

الذخيرة في محاسن أهل الجيرة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشنتريني (١٥٤٢)

القسم الثاني - المجلد الأول

تحقيق
الدكتور إحسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٢

مقدمة التحقيق

هذا هو القسم الثاني من الذخيرة وهو يشمل تراجم أدباء الجانب الغربي من الأندلس ، أي أهل حضرة إشبيلية وما اتصل بها من بلاد ساحل المحيط الرومي ، وقد اعتمدت في تحقيقه على أربع مخطوطات^١ يمكن أن تمثل فشتين - تضم الفئة الأولى :

(١) مخطوطة الخزانة العامة بالرباط (رقم : D 1324) وقد رمزت لها بالحرف (ط) ومجموع ورقاتها ١٥٧ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي جميل محلى بشكل جزئي ، وعدد السطور في الصفحة الواحدة ثلاثون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد اثنتا عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٧ × ١٩,٥ وعلى هوامشها قراءات من نسخة أخرى ، وتعليقات بعضها بخط الناسخ نفسه ، وبعضها بخط متأخر في الزمن مختلف عن خط الناسخ ، وقد أثبت من القراءات المقارنة ما رمز إليه الناسخ بالحرف (خ) ، وحذفت ما صرح الناسخ بأنه ليس من أصل الذخيرة ، كما حذفت التعليقات والإضافات المتأخرة .

وقد فرغ الناسخ من كتابة هذا القسم من الذخيرة في زوال يوم الأربعاء ٢٤ ذي القعدة عام ١٠٠٥ ، وهو الذي قام بنسخ القسم الأول والثالث من هذا الكتاب أيضاً ، واسمه أحمد بن الحاج علي بن الحاج أبي القاسم بن محمد بن سودة الأندلسي . ولما كانت هذه النسخة هي خير النسخ التي حصلت عليها ضبطاً ودقة فقد أثبت أرقام أوراقها في سياق هذه الطبعة . ومع أنها

١ هناك نسخة مغربية خامسة إلا أنني استبعدتها لأنها غير واضحة .

— نسبياً — متأخرة في الزمن ، فإنها تعدّ من أقدم النسخ المتيسرة من الذخيرة وهذه مشكلة لم أستطع التغلب عليها ، فأنا — حتى اليوم — لم أستطع العثور على نسخ تتمتع بقدوم واضح ، أو حتى على الأصل الذي أخذت عنه (ط) أياً كان تاريخه .

(٢) مخطوطة بغداد ، وقد رمزت لها بالحرف (د) وتحتوي ٣٣١ صفحة ، مكتوبة بخط نسخي مشرق حديث وعدد السطور في الصفحة الواحدة ٢٩ سطراً ومعدل الكلمات في السطر الواحد إحدى عشرة كلمة ، ومسطرتها ٢٥ × ١٤,٥ ، وقد كتب على الصفحة الأخيرة منها : « نجز والله الحمد تسويد هذا الجزء من الذخيرة لابن بسام عليه الرحمة على نسخة قديمة بخط مغربي مغلط ، وقد اجتهدت بتصحيحها حسب الإمكان ، والله المستعان . وقد وافق ذلك اليوم الحادي والعشرين من شهر المحرم سنة أربع وعشرين وثلثمائة وألف هجرية ، على يد أفقر الوري للطف ربّه المنان : عبد اللطيف ثنيان ، في بغداد المحمية ، صانها الله عن كل بلية ، آمين » .

إذن فهذه النسخة حديثة جداً ، وقد صرّح ناسخها بأنه نقلها عن أصل مغربي ، ولا ندرى حتى اليوم من أمر هذا الأصل شيئاً ، ولكنني أستطيع أن أقول إنّ (د) منقولة عن أصل يشبه (ط) للتماثل الدقيق بين القراءات حتى في الخطأ ، وللتطابق التام في طول كل ترجمة ، وفيما نقص من تراجم كاملة أو أجزاء من ترجمات ، كما سيأتي بيانه بعد قليل ، وكل الفرق بين النسختين أنّ ناسخ (د) حاول أن يجتهد في بعض القراءات ، التي عدّها خطأ في الأصل ، ولم يسلم من إضافة أخطاء جديدة ، مما قد يلحق الناسخ عن طريق السهو .

وتضم الفئة الثانية من المخطوطات :

(٣) مخطوطة الخزانة الملكية بالرباط (رقم : ٩١٤٤) وقد رمزت لها بالحرف (م) وتقع في ٢٤٥ ورقة ، وهي مكتوبة بخط أندلسي ، ومسطرتها

١٩,٥ × ٢٣ ، وعدد السطور في الصفحة الكاملة ٢٢ سطراً ، ولكن هذا لا يطرد لأن الناسخ يراوح كثيراً بين الكتابة بخط ذي حجم عادي والكتابة بخط كبير جداً حتى ان عدد الأسطر في الصفحة الواحدة لا يزيد عن أحد عشر سطراً . وهذه الكتابة بالخط الكبير لا تقتصر على عنوانات الفصول بل تشمل كل ما ظنه الناسخ بداية فقرة جديدة . وتظهر في هذه النسخة آثار الأرضية بكثرة ، وفيها خروم ضاعت بسببها أوراق كثيرة كما تبهم الفوارق فيها بين عدد من الحروف المتقاربة في صورها ، وهي لا تشمل كل القسم الثاني ، وإنما تنتهي عند أوائل ترجمة ابن عبدون ثم نجيء في خاتمتها صورة تملك على هذا النحو : « الحمد لله : تملك هذا الكتاب عبده تعالى أبي [كذا] بكر بن أحمد بن علي أعانه الله على طاعته » . إلا أنها لا تحمل تاريخاً .

ورغم ما في هذه المخطوطة من عيوب فقد كانت ذات دور هام في ما قدمته من عون أثناء تحقيق هذا القسم ، لانفرادها عن (ط) واعتمادها على أصل آخر ، وهذا ما جعلها تحفل بزيادات غير موجودة في (ط) وقرينتها (د) ومنها زيادة في ترجمة عبد الجليل بن وهبون وأخرى في ترجمة أبي بكر ابن عبد العزيز كما أنها تنفرد إذا قورنت بالنسختين السابقتين بإيراد ترجمة ابن مرزقان .

(٤) نسخة المكتبة الوطنية بباريس رقم : ٣٣٢٢ (ورمزها : س) ، وهي منسوخة عن نسخة عدد أوراقها ٢٢٢ ورقة مثبتة أرقامها على هوامش الصفحات ، وتقع (س) في ٢٦٥ ورقة ، وعدد السطور في كل صفحة عشرون سطراً ، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة ، وخطها نسخي حديث ، ويبدو أن كاتبها أجنبي ، يدلّ على ذلك نوع الخط ، ومحاولة رسم الكلمات دون إدراك لمعناها ، وكثرة الأخطاء في الصفحة الواحدة ، وقد تمّ نسخها في ١١ أكتوبر سنة ١٨٨٤ .

ولا ريب في أن الأصل الذي نقلت عنه (س) قريب الشبه بالنسخة (م) وقد احتفظت النسخة الباريسية أيضاً بالزيادات التي جاءت في نسخة الخزنة الملكية بالرباط ؛ وكان لا بدّ من الاعتماد على (س) لأنّ قرينتها (م) غير كاملة ، فاستطاعت نسخة باريس أن تمدنا بترجمة لم ترد في مخطوطات الفئة الأولى وأعني بذلك ترجمة الأعمى التطيلي . أما فيما عدا ذلك فانه ليس في مقدور أيّ محقق أن يثبت جميع الفروق التي تتمتع بها (س) لأنّ أكثرها قائم على الخطأ المحض ، وإنّما كان أكثر الاعتماد عليها استثناساً بطبيعة السياق ، وترجيحاً إن أمكن الترجيح .

وبعد : فقد كان هذا القسم من الذخيرة معدّاً للنشر في النصف الأول من سنة ١٩٧٥ ، بعد الانتهاء من طبع القسم الثالث ولكن كان يمنعني من دفعه إلى المطبعة إحسامي بأنّ هناك شيئاً ينقصه ويتمثل هذا في مواطن :

١ - ترجمة أبي الوليد الباجي ، فقد كتب في هامش ط أن الترجمة لا يزال ينقصها ورقة ونصف الورقة ، وهو شيء لم أستطع العثور عليه في (م) أو (س) رغم انتمائهما إلى فئة مختلفة .

٢ - إن ترجمة الوزير أبي عبيد البكري لا يمكن أن تكون كاملة ، فإنّ ابن بسام لم يورد شيئاً من نثره أو شعره .

٣ - إنّ فهرست الذخيرة (في صدر القسم الأول) ينصّ على وجود ترجمة لمن اسمه « الوزير الخطيب الأديب أبو عمر ابن حجاج » تقع بعد ترجمة أبي عبيد البكري ولا وجود لها في المخطوطات الأربع ، أليس من المعقول أن تكون موجودة في مخطوطة أو مخطوطات أخرى ؟ وفي هامش (ط) ما ينبيء بأنّها ناقصة ، وكاتب هذا التعليق بخط متأخر ، ربما فعل ذلك لأنّه رآها في مخطوطة أخرى .

٤ - إن الزيادات التي وردت في نسختي (م) و (س) قد تشير

إلى أن استكشاف مخطوطات أخرى قد يتيح العثور على زيادات جديدة .

لهذا كله أثرت التريث ؛ وغادرت بيروت في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٥ إلى جامعة برنستون ، واشتدت وطأة الأحداث المؤسفة في أثناء ذلك على لبنان ، وكان أن سعى بعض أصدقائي - جزاهم الله خيراً - إلى تصوير مسودة القسم الثاني ، كما تركتها محققة ، وإرسالها لتودع عند صديقي العلامة يوسف فان اس ، بجامعة توبنجن بألمانيا ، ولم أستطع رؤية هذا القسم من الذخيرة إلا بعد عودتي إلى بيروت في حزيران (يونيه) ١٩٧٧ ؛ وفي أثناء هذه الغيبة صدر من هذا القسم قطعة تستغرق حتى آخر ترجمة أبي العلاء بن زهر ، قام بتحقيقها الدكتور لطفي عبد البديع^١ ، ولما قارنتها بما كنت حققته وجدت مصداق بعض ما قدرته فقد احتوت تلك القطعة (اعتماداً على النسخة الكتانية) ما تفتقده النسخ من ترجمة أبي الوليد الباجي ، ولعلّ هذه النسخة الفريدة (أعني الكتانية) أن تكون قد احتفظت أيضاً بكل ما قدرته من نقص في النسخ التي تسرت لي ، أو بمعظمه .

إنني أحنب هذه المقدمة ، وقد قطع هذا القسم شوطاً غير قليل في المطبعة ، ولهذا رأيت أن أضيف إليه ما جاء من زيادة في ترجمة الباجي مستمداً من القطعة التي حققها الدكتور عبد البديع ، وأن أصنع لترجمة البكري تحشية مما ورد في المصادر من شعره ونثره ، أميزها عما عداها لأنها ليست من أصل الذخيرة ، راجياً إذا أتيح لي الاطلاع على النسخة الكتانية - وهو شيء لا أظنه سهلاً - أو غيرها من النسخ ، أن أثبت الزيادات وفروق القراءات في نهاية هذا الجزء .

لقد كنت أظن أن الصعوبات ستصبح مذلة لإخراج هذا القسم على نحو أكثر تحقيقاً للرضى ، ولكنني حين اعتبر هذه الفترة الطويلة التي مضت على

١ الهيئة المصرية العامة للكتاب : ١٩٧٥ .

الذخيرة - ولعلها أن تكون أهم مصدر من مصادر الأدب الأندلسي - دون أن تيسر للقراء والدارسين ، أحسُّ أن إخراجها على هذا النحو خير من التماذي في تأخير احتياجها حتى تكتمل جميع الوسائل .

ولقد كان العبء في هذا القسم - كما كان في القسمين السابقين : الأول والثالث - يستنزف موفر الطاقة ، ومذخور الجهد ، فالذخيرة لا يمثل نصاً سهلاً ، يتفق كل الناس على قراءته - وبخاصة للتباعد بين المخطوطات - ولا يمكن الاسراف فيه في ناحية على حساب ناحية أخرى ؛ بل لا بد من الموازنة بين الشرح والتعليق والتخريج وترجيح القراءات ، والاقتصار على الضروري ، مع مراعاة الربط بين الذخيرة والمصادر الأندلسية (وأحياناً غير الأندلسية) الأخرى . وقد تلقيت العون في تحقيق هذا القسم من اثنين يستحقان كل شكر وتقدير وهما الدكتور وداد القاضي التي لم تأل جهداً في تدقيق الملازم الطباعية ، وتوجيه بعض القراءات التي أعياني أمرها ، والإشراف على الفهارس المفصلة الدقيقة ، والدكتور ألبير مطلق ، الذي بذل جهداً طيباً في معاونتي على مقارنة النسخ ، والتضحية بوقته في تقديم كل ما يعين على إنجاز هذا القسم .

فإليهما مرة أخرى ، تقدير عارف بمدى ما بذلاه من جهد مخلص ، والله يوفقنا جميعاً إلى ما فيه الخير .

احسان عباس

بيروت في أيلول (سبتمبر) ١٩٧٧

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صل الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله

فصل^١ في ذكر الأعيان المشاهير ، من أرباب صناعة المنظوم
والمنثور ، بحضرة إشبيلية ونواحيها ، وما يصاحبها ويدانيها ،
من بلاد ساحل البحر المحيط الرومي ، وهو الجانب الغربي
من جزيرة الأندلس ، وإيراد ما بلغني من غرر أشعارهم ،
ومستطرف أخبارهم ، مع ما يتعلق بها ، ويذكر بسببها

قال ابن بسام : وحضرة إشبيلية على قديم الدهر كانت قاعدة هذا
الجانب الغربي من الجزيرة ، وقرارة الرياسة ومركز الدول المتداولة ،
ومنها مهدت البلاد ، وانبتت الجياد ، عليها الفرسان ، كأنها العقبان ،
وبهذا الأفق نزل جند حمص من المشرق فسُميت حمص ، ولما كانت
دار الأعزة والأكابر ، ثابت فيها الخواطر ، وصارت مجمعا لصوب العقول
وذوب العلوم ، وميداني فرسان المنثور والمنظوم ، لا سيما من أول المائة
الخامسة من الهجرة حين فريح كل حيز بما لديه ، وغلب كل رئيس

١ نشر دوزي هذا الفصل من الذخيرة الخاص ببني عباد ، في المجموع الذي ضم ما جاء من هذه
الأسرة في المصادر العربية ، وذلك في الجزء الأول ص ٢٠١ - ٣٢٣ .

على ما في يديه ، بعد الدولة العامرية ، فأضحت أقطار الجزيرة يومئذ كبنى
الأعيان ، وأهلها كما قال أخو بني عدوان^١ :

عذير الحمي من عدوان كانوا حية الأرض
بني^٢ بعضهم بعضاً فلم يُبقوا على بعض

فاشتمل هذا القطر الغربي لأول تلك المدّة على بيّني حسب ،
وجمهوري أدب ، مملكتان من لحم وتجب ، مصّرتا بلاده ، وأكثرتا
رؤادّه ، فأناه العلم من كلّ فج عميق ، وتبادره العلماء من بين سابق
ومسبوق ، وكلّما نشأ من هذين البيتين أميرٌ كان إلى العلم أطلب ، وفي أهله
أرغب ، والسلطانُ سوقٌ يُجلبُ إليه ، ما يتفقُ لديه ، حتى اجتمع
في الجانب الغربي على ضيق أكنافه ، وتحيف العدو قصمه الله لأطرافه ،
ما باهى الأقاليم العراقية ، وأنسى بلغاء الدولة الديلمية ، فقلّما رأيت
فيه نائراً غير ماهر ، ولا شاعراً غير قاهر ، دَعَوْا حرّ الكلام فلبّى ،
وأرادوه فما تابى ، وطريقتهُم في الشعر الطريقة المثلّى التي^٣ هي طريقة
البحثري في السلاسة والمثانة ، والعذوبة والرصانة .

وأنا أورد في هذا القسم بعض ما انتهى إليّ من حرّ كلامهم ، في
نثرهم ونظامهم ، مشوباً ذلك كلّهُ بفنون فوائد ومعارف من أخبار
يحسن الوقوف عليها . على أنّ الذي بلغني من شعر كلّ قطري ، ثماد
من بحر ، ونقطة من قطر ، ولقد فاتني كثير من الكتاب والوزراء ،

١ هو ذو الإصبع العدواني ، انظر الأغاني ٣ : ٨٥ .

٢ ط س : بكى .

٣ ط س : الذي .

وجملة من أعيان الشعراء ، ممن كان في ذلك التاريخ ، منهم من لم أسمع
بذكره ، ومنهم من لم يَسْمَحْ نَقْدِي^١ بإثبات ما بلغني من شعره ، وربما
أجريتُ ذِكْرَ أحدهم غير مُبَوَّب عليه ، ولا مُشيرٍ إليه ، إما لشيء
أجاد فيه ، وإما أن يتعلق ذكره بذكر من أجريه ، وقد أبدأ بذكر الرجل
لمكانه من الإحسان ، لا لتقدمه من الزمان ، أو لبعض ما يدعو إليه القول
من نسقٍ خبر ، أو موجبٍ نظر ، فأول ما ابتدأتُ به من أهل حمص آل
عباد لنباهة ذكرهم ، مع جَوْدَةِ شعرهم .

فصل في ذكر القاضي أبي القاسم محمد بن عباد وإيراد جملة من أخباره ، واجتلاب قطعة من أشعاره^٢

قال ابن بسام : كان ذو الوزارتين القاضي أبو القاسم محمد بن اسماعيل
ابن عباد المتغلب على إشبيلية ممن له في العلم والأدب باع ، ولذوي المعارف
عنده بها سوق وارتفاع ، وكان يشارك الشعراء والبلغاء في صنعة الشعر وحوك
البلاغة ، بسطاً لهم ، وإقامة لهمهم ، ولما كان في طبعه من ذلك أيضاً .
وقد ذكر الوزير أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم الفارسي^٣

١ س : يسمع نفسي .

٢ لا مجال لحصر المصادر المعتمدة في أخبار بني عباد ، فقد جمع منها دوزي في كتابه :

Historia Abbadidorum (Leiden, 1846).

قسطاً وافرأ ، وإنما نذكر هنا بأهم المصادر مثل البيان المغرب والقلائد والصلة والمغرب
والمعجب والمطرب والاحاطة والروض المطار ونفح الطيب وبدائع البدائنه وتاريخ ابن
خلدون وتاريخ ابن الأثير والحريدة وابن خلكان والنويري ، وتعد مقارنة هذا النص بما
ورد في الحلة البيراء والبيان المغرب أمراً ضرورياً ، لاعتماد المصدرين على كتاب ابن بسام .

٣ هو ولد الحافظ الفقيه أبي محمد ابن حزم ، روى عن أبيه وأبي عمرا بن عبد البر وغيرهما ، وكتب
بخطه علماً كثيراً ، وكان عنده أدب ونباهة وذكاء ، وتوفي بالزلافة سنة ٥٧٩هـ (الصلة : ٤٤٠) .

في كتابه الموسوم بـ « الهادي إلى معرفة النسب العبادي » كيف طلع نجمه ، وثبت في ديوان الملوك اسمه ، وقد أثبت من ذلك ما امتدَّ بي إليه سبب ، واتصل بينه وبين ما أنا بسبيله نسب ، ووَصَلْتُ به ما لم أجد لأبي رافع زيادةً على ما بيّن ، وتماماً على الذي أحسن .

قال أبو رافع^١ : القاضي ابن عباد هو أبو القاسم محمد بن ذي الوزارتين أبي الوليد اسماعيل بن محمد بن اسماعيل بن قريش بن عباد بن عمرو بن أسلم بن عمرو بن عِطَاف^٢ بن نعيم ، وَعِطَافٌ هو الداخلُ منهم بالأندلس في طالعة^٣ بلج بن بشر القشيري ، وكان عطاف من أهل حمص من صُنْعِ الشام لخمياً النسب صريحاً ، وموضعه من حمص العريش ، والعريش في آخر الجفار بين مصر والشام ؛ ونزل بالأندلس بقرية يُمِين من إقليم طُشَانَة^٤ من أرض إشبيلية .

قال ابن حيان^٥ : واسماعيل بن عباد قاضيهما القديم^٦ الولاية ، وَرَجُلُ الْغَرْبِ قاطبةً ، المتصل الرئاسة في الجماعة والفتنة ، وكان أيسرَ مُكَوِّرٍ^٧ بالأندلس وقته ، ينفق من ماله وغَلَّاتِهِ ، لم يجمع درهماً قط من مالٍ .

١ انظر الحلة ٧ : ٣٤ والبيان المغرب ٣ : ١٩٤ .

٢ بكسر العين وتخفيف الطاء (الحلة) .

٣ ط د م س ودوزي : طاعة .

٤ صوابه « الشام » .

٥ طشانة (Tocina) تقع في كورة اشبيلية .

٦ الحلة ٢ : ٣٥ .

٧ ط د س : قديم .

٨ المكور : المعصم .

السلطان ولا خَدَمَهُ^١ ، وكان واسع اليد بالمشاركة ، آوى صنوف الجالية من قرطبة عند احتدام الفتنة ، وكان معلوماً بوفور العقل وسبوغ العلم والركانة^٢ ، مع الدّهاء وبَعْدِ النظر وإصابة القرطسة .

فأما ذو الوزارتين أبو القاسم ابنه فأدرك متمهلاً ، وسما بَعْدُ إلى بلوغ الغاية فخلط ما شاء وركب الجرائم^٣ الصَّعْبَةَ ، وكان القاسمُ بن حَمُود قد اصطنعه بعد مهلك أبيه اسماعيل ، وردَّ عليه ميراثه من قضاء بلده بَعْدَ بَعْدِهِ عنه مدّة ، [٢ب] وحصل منه بمنزلة الثقة ، فخانه تَخَوُّنٌ ، الأيَّامِ عند إدبارها عنه ، إثارةً للحزم وطلباً للعافية ، فصدّه عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً ؛ وكان الذي وطّد له ذلك نفرٌ من أكابرها المرتسمين بالوزارة ، مناغين في ذلك لوزراء قرطبة ، على تحمّلهم لابن عبادٍ كِبَرَ ذلك ، لإناقته عليهم في الحال وسعة التعمّة ، وإحصائهم عليه مِلْكٌ ثلث إشبيلية ضيقةً وغلّةً ، يخادعون به بذلك عن تشبّيه ، إبقاءً منهم على نعمهم ، وهو يشتري بذلك أنفُسَهُمْ ولا يشعرون ، إلى أن وقعوا في الهوّة ، وكانوا جماعةً منهم بنو أبي بكر الزبيدي النحوي وبنو يريم^٤ صنائع ابن عباد وغيرهم ، راضٍ بهم الأمور واستمال العامة ، فلمّا تَوَطَّأت^٥ له قَبْضُ أيدي أصحابه هؤلاء ، وسما بنفسه فأسقط جماعتهم ،

١ واضح من هذا القول أنه لم يعد توليه القضاء من الخدم السلطانية .

٢ د والخلة : والزكّانة .

٣ هذه هي قراءة م ؛ والجرائم : أصل الشجرة ، وقد يفهم من ذلك أنه تجسّم صواب الأمور

وفي ط د والخلة : الجرائم ؛ س : الجرائم .

٤ ط د م س : بخون .

٥ ط س : يريم ؛ م : ابريم ، د : ابرم ، البيان : مريم .

٦ ط م د : توطلت (وهي قراءة جيدة أيضاً) ؛ س : اتواطأت .

وجرت له في تدبيرهم أمور يشقّ إحصاؤها ، ركبَ فيها أحزَمَ طُرُقِ
 طُلَّابِ الدول ، حتى انفرد بسابقتها ومهدّ لدولته ، واجتمع^١ أهلُ عمله
 على طاعته ، فدانوا له ، وسلك سيرة أصحاب الممالك بالأندلس^٢ لأول
 وقته ، وقام بأصحّ عزمٍ وأيقظَ جدّ ، واخترع في الرياسة وجوهاً تقدّم
 فيها كثيراً منهم ، وامثلَ رَسَمَ ابنِ يعيش^٣ صاحب طليطلة من بينهم في
 تَمَسُّكِه بخطة القضاء وارتسامه باسمه ، وأفعاله^٤ على ذلك أفعالُ
 الجبابرة ، وأقبلَ لأولّ وقته يضمُّ الرجالَ الأحرارَ من كلِّ صنف ،
 ويشترى العبيدَ ، والحدّ يساعده والأمور تنقادُ له ، إلى أن ساوى ملوكَ
 الطوائف وزاد على أكثرهم بكثافة سلطانه ، وكثرة غلمانه ، فنفعَ الله
 به كافة رعيته ونجّاهم من ملك البرابرة ، وتدرّج في تدبير ذلك أولاً
 أولاً ، ومارسه شأنًا شأنًا ، إلى أن استولى على أمده ، ومهدّ قواعد سلطانه ،
 وشدّ أواخيه . وأخباره مأثورة مشهورة .

قال ابن حيان^٤ : ومن أشهر أخباره أنه نظر في شأن من بقي من فتيان
 بني مروان يومئذ فسقط إليه خبر الدعيّ المُشَبَّه بهشام بن الحكم ، وكان
 قد تحدّث أنّه أفلت من يدي سليمان قاهره ، وانه غاب ببلاد المشرق

١ ط د م س : واجمع .

٢ الحلة ودوزي : الذين بالأندلس .

٣ هو يعيش بن محمد بن يعيش أحد رؤساء طليطلة عند نشوب الفتنة ، وقد استطاع أول الأمر
 إبعاد منافسيه من رؤساء المدينة ولكن مدته في الحكم لم تطل ، فأخرجه أهلها ، وخاطبوا
 اسماعيل بن ذي النون لتسلم البلد ، وقد ترجم له ابن بشكوال (الصلة : ٦٥٠) وقال
 إنه بعد خروجه من بلده صار إلى قلعة أيوب وتوفي بها سنة ٤١٨ هـ أو أوائل ٤١٩ هـ (انظر الحلة

٢ : ٣٧ - ٣٨ التعليق رقم : ٥)

٤ البيان المغرب ٣ : ١٩٧ .

مدته الطويلة ثم عاد إلى الأندلس ، فقدح ذلك في قلوب الناس لمقدمات
سلفت في ذكر هذا الرجل والشك في موته ، إذ كان سليمان قاتله قد ترك
إبداءه للناس ، حسبما فعلته خدّمة^١ الملوك قبّل فيمن خلعهوه ، إمّا استخفافاً
من سليمان يومئذ بمن ملك نواصيهم بالقهر ، أو ما شاء الله من غلط
أصاب المقدار قصده ، لقضاء سبق في علم أم الكتاب ، فلم تزل طائفة
من شيعة تنفي موته ، وتروي في ذلك روايات تبعد عن الحقيقة ، وتصدر
عن نسوان وخصيان من أهل القصر بقرطبة ، إلى أن علق ذلك بمن فوقهم
من شيع الروانية ، فشدوا أواخي خلاصه ، وقطعوا على حياته ،
ووصفوا أنه اضطرب بقرطبة في دولة البرابر ممتناً نفسه في طلب
المعيشة ، ثم زعموا بعد حين أنه عبر إلى أرض المشرق ، وانساح^٢ في
ذلك الأفق ، وقضى^٣ كل المناسك هنالك ، ووطىء كل بقعة ، ثم كرّ
راجعاً إلى دياره لأمد محدود ولكرة الدولة الروانية ، لتحدث على يديه^٤
الأنباء البديعة ، فدانوا - كما تسمع - بالرجعة ديئونة الشيعة ، وناهوا
في ذلك تبه ، بتضليل^٥ ، سخر منهم أهل التحصيل ، إلى أن ظهر على زعمهم
بالمرية سنة ست وعشرين في أيام زهير الصقلي .

ولم تزل قصة هذا المشبه بهشام تدب في قلوب الناس ديب النار في الفحم ،
فدبر ابن عباد خبره ، واهتبل الغرة في ذلك ، وأنه أقل ما يجيء له

١ البيان : حزمة .

٢ قد تقرأ في ط : وارتاح ؛ البيان : وساح .

٣ ط د س والبيان : وقصر .

٤ ط : على يده .

٥ ط : بطل ؛ دوزي : تقليد ؛ البيان : بتضليل ؛ س : تغليل .

منه دفعُ مكروه ابن حمود ، وتنظّمُ الناسِ على جرّبه ، [١٣] فأخبرَ
أنّه حصلَ هشامٌ عنده ، وجمع من بقي بإشيلية من نساء القصر والحرم ،
فاعترف به أكثرهم ووقفوا على عينه ، وأوماً إلى ثقاتهم عنده بما يريد فيه ،
فاجتنبوا خلافه وابتغوا موافقته ، فوجد ابنُ عبّاد بذلك السبيل إلى ما
دبره من حرب ابن حمود^١ ، وحجبه عن أعين الناسِ ، وبثّ كتبه بذلك
إلى جميع الرؤساء ، واستنهضهم إلى الاجتماع على هذا الخليفة المخبوء لفكّ
الرقاب وكثرة الأيام ، والجهاد دونه ، فكثُر الخوضُ بالأندلس في ذلك ،
ومالت نفوسُ أهلِ قرطبة في نصبه إماماً للجماعة ، وأشخصوا الرسلَ
للقوف على عين هشام ، وثبتت^٢ الشهادة فيه ، وزوّر ابنُ جهوز وغيره في
ذلك شهادات ، على علمٍ منهم ، ابتغاءَ عَرْضِ الدنيا وإذاعاً من ابن
جهوز أيضاً لما رآه من دفع ابنِ حمودِ الفاجرِ فاه على حضرةِ قرطبة ،
فرجع منه سريعاً إلى الاعتراف بالخطأ بقيّة عمره بعد عظيمِ ما^٣ انبعثت
في ذلك من الفتن ، وجرت من المحن ، وصُرِعَ من الجبابرة ، ونُقِلَ
من الدول ؛ انتهى كلام ابن حبان .

قال ابن بسّام : وكان القاضي ابن عبّاد - كما وصف - زاحراً العُبابِ
متألّق الشهاب ، أذكى من قاسٍ وقلّد ، وأذهى من أتهم وأنجد ،
يأخذُ وكأنّه يدعُ ، ويطيرُ فيحسبُ أنّه وقع ، فتغلبَ على إشيلية
وليس له أوان ذلك معقلٌ إلا وله شرّ راتبٌ ، وعليه أميرٌ غالبٌ ، فدار
الأمرُ بها عليه لتمييزه بخطّة القضاء التي لم يجاذب رداءها ، ولا سلّم لأحدٍ

١ ط م : ابن عبّاد ، وبياض في د .

٢ ط س ودوزي : وثبتت .

٣ س م : ما .

بعدُ لواءها ، إلى أن استوثقَ الأمرُ ليحيى بن علي الحمودي - حسبما تقدم - فاضطرَّ أهلُ إشبيلية إلى الإذعان لطاعته ، والدخول فيما دخل فيه الناسُ من جماعته ، وأدارهم لأُمورٍ جَرَّتْ على رهونٍ تكون بيده ، فَصَّنَ كلَّ بولده ، وبادرَ القاضي فراهنه ابنه عبّاداً ، فانفرد بالتدبير ، واستولى على الأمور ، واستظهر على ذلك بهدم البيوتات ، وتشتيت ذوي الهبات ، وأول ما بدأ به من ذلك نكبة شَيْخِي المصري يومئذ الزبيدي وابن يريم ، طواهما طيَّ السجل ، وقبضهما قَبْضَ الظل ، فأبْدَ القاضي يومئذ بحبيب وزيره ^١ ، ودارت عليه رحي تدبيره ، رجلٍ من أهلِ بادية إشبيلية لم تكن له نباهة مذكورة ، ولا سابقة مشهورة ، أوسع أهل زمانه شراً ، وأوسعهم خديعةً ومكرًا ، وأبْدَ أيضاً بابنه اسماعيل طود أصالة ، وجنّي ^٢ بسالة ، مَحَشَ تلك النار ، وسابق ذلك المضمار ، فبين هذين استوسقت له الأمور ، وتدفقت تلك البحور ، وله أخبار مشهورة ، وقصص مأثورة ، فيها بعض الطول ، وهي عادلة عن تلك السبيل ، لكنني ألنّع منها بلُحمة .

قال ابن حيّان ^٣ : تعطلت قصبة باجة في ذلك الأوان بسبب فتنة البرابرة وخربت ، على قدَمِ بنائها في الجاهلية ، واتصال عمرائها في الإسلام ، ومكانها من طيب الميرة واتساع الخطّة ، وكانت آفاتُها من اختلاف أهلها قديماً ، وبقاء شؤمِ العصبية بين العرب منهم والمولدين إلى آخر الأيام ،

١ هو محمد بن أحمد بن عامر الحميري الملقب بحبيب والد اسماعيل مؤلف كتاب « البديع في وصف الربيع » (وسيرجم ابن بسام لابنه في ما يلي من هذا القسم) .

٢ دوزي : وجير ؛ س : وجنبي .

٣ زاد هنا في م : وكان القاضي ابن عباد زاحر العباب متألق الشهاب ، وقد مرت آنفاً .

فسمّا لها ابنُ عباد وابن مسلمة المعروف بابن الأفطس ، وذهبا يومئذ إلى عمارتها^١ ، فاستظهر القاضي ابن عباد في ذلك بحليفه محمد بن عبد الله البرزيلي^٢ صاحب قرمونة ، وجرّد ابنه أسماعيل لبنائها ، فسبقه ولدُ ابن مسلمة إليها الملقب بالمظفر ، وجاء مدداً لابن طيفور صاحب ميرتلة^٣ من أمراء الساحل ، فترّل ابن عباد عليه بباجة ، وضربت خيله إلى ناحية يابرة والغرب فهتكت أستاراً ، وخربت دياراً ، واتصل الحصار بابن الأفطس بباجة ، وانصدع الجمع عن أسره وقتل كبار رجاله ، وبعث بالأسرى إلى أبيه ، وكان في جملتهم أخُ لابن طيفور صُلبٍ بإشبيلية ، وحُبسَ ولدُ ابن الأفطس عند [٣ ب] صاحب قرمونة ابن عبد الله ، وبلغت هذه الغارة من ابن الأفطس الغاية ، وتجاوزَ البلاءُ في جهته النهاية ، وهيضَ جناحُه بأسر ابنه ، ووهن ابن طيفور بقتل أخيه ، وكان ابنُ عبد الله بقرمونة ، قطبُ رحي الفتنة ، كثيراً ما يُحرّض القاضي ابن عبادٍ على الخروج إلى بلد ابن الأفطس ، وإلى قرطبة ، فيعمّا^٤ الجهات كلّها تدويحاً ، كلما آبا من جهةٍ صاروا إلى سواها ، حتى أثّرا آثاراً قبيحة ، فارتفع طمعُ وزراء قرطبة المدبّرين لها منه ، لأنّه كان لا يوافقهم على دعوة أمويٍ ليفرطٍ

١ عمارتها : موضعها بياض في دس وعند دوزي ، ويكثر البياض في هذه القطعة ، إلا أنه في م ط محشى بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ تكتب أيضاً : البرزلي والبرزالي . وقد بويغ البرزالي هذا بقرمونة سنة ٤٠٤ فعمرت ، وكان فارساً مهيباً ثم بايعته استجه والمدور وأشونة ولم يزل يتولى أمورهما حتى سنة ٤٣٤ (البيان ٣ : ٢١١ - ٣١٢)

٣ ميرتلة : مدينة تقع إلى الشرق من باجة (الروض المعطار : ١٩٣) .

٤ ورد النص على الأفراد في م س : فيعم . . . كلما آب . . . الخ .

شروده^١ عن الجماعة ، وإنما كان مذهبه طمسَ رَسْمِ الخلافة من معانيها^٢ بقرطبة ، وتَصْيِيرُها أسوةَ إشبيلية في إسنادها إلى رئيسٍ من أهلها ، وطَرْدَ قريش عن سلطانها ، إِبْطالاً للإمامة ورسوخاً في الخارجية ودفعاً لأمر الله . فقطع سبل قرطبة وشدَّ حصرها ، فتمسك الوزراء بجبل بعض البرابر من بني برزيل بجهة شدونة ، وكانوا على قديم^٣ الأيام جمرة زناة بأساً وصرامةً ، واعتضدوا بهم مدة ، واعتضد أيضاً ابنُ الأَفْطَسِ بطائفة أخرى منهم ، فكان في كلِّ بلدٍ جملةٌ منها سالت عن أهلِ البلاد سِيُولَ بها ، وخلطوا الشرَّ بين رؤسائها ، واستخرجوا بذلك ما اطمَروهُ^٤ من دنائيرهم وخليعهم ، وجاحوا ذاتَ أيديهم ، وعلموهم كيف تُؤكل الكتف ، فطال العجبُ عندنا بقرطبة وغيرها من صعاليك قليلٍ عددُهُمْ ، منقطعٍ مدَدُهُمْ ، اقتسموا قواعدَ الأرض في وقتٍ معاً ، مُضَرِّين بين ملوكها ، راتعين في كلاًها ، باقرين عن فلندتها ، حلّوا محلَّ الملح في الطَّعام بياسهم الشديد ، وقاموا مقام الفولاذ في الحديد ، فلا يُقْتَلُ الأعداءُ إلَّا بهم ، ولا تعمُرُ الأرض إلَّا في جوارهم ، فطائفةٌ عند ابن الأَفْطَسِ تقاوم أصحابها^٥ قِبَلِ ابن عباد ، وطائفة عندنا بقرطبة تَحْيِيزُ أهلها عن الاضداد ، فسبحان الذي أظهرهم ، ومكَّن في الأرض لهم ، إلى وقتٍ وميعاد .

وكان^٦ انطلاق المظفر من يد ابن عبد الله في ربيع الأول من سنة إحدى

١ س و دوزي : شدوذه .

٢ المعان : المنزل ؛ ط : مفانها ؛ م س : مفانيها ؛ د : مكانها .

٣ ط : قدم .

٤ من طمر بمعنى أخفى تحت الأرض ؛ س : اظهروه .

٥ تقاوم أصحابها : سقطت من ط .

٦ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٠٣ .

وعشرين في خبر طويل ، وعرض عليه ابنُ عبدِ الله يومَ أطلقه أنْ يجتازَ على القاضي ابنِ عبادٍ [ليشركه] ^١ في المنّ عليه بفكّه ، فأبى من ذلك وقال : مقامي في أسرك أشرفُ عندي من تحمّلِ مِنْتَه ، فامّا انفردتَ باليدِ عندي وإلا أبقيتني على حالي ، فأعجبَ ابنُ عبدِ الله بمقاله ، وناقسَ في إسداءِ اليدِ عنده لكمالِ خصاله ، وأكرّمَ تشيعه ^٢ ، فتقدّ إلى أبيه يومئذٍ ببطليوس وقد هدّبتَه محنته . وتمت أدواته وقويت حنكته ، وكان مَرَجَلًا معقلاً أديباً عالماً ، فرجع إلى مقاومة ابنِ عبادٍ .

فلما كان في سنة خمس وعشرين وجّه ابنُ عبادٍ بابنه اسماعيلَ مع عسكرٍ إلى أرضِ العدو تحت معاهدة بينه وبين ابنِ الأفطس ، فلما أوغل اسماعيلُ يبلده يريد أرضَ غليسية ، وابنُ الأفطس مضمراً ^٣ الغدرَ به ، بادر بجميع رجالِ ثغره ^٤ ، ورصده في شِعْبٍ ضيقٍ في طريق قُفُوله ، ولم يعلم ابنُ عبادٍ بشيءٍ من تدبيره حتى حصل في الأنشودة ، فبادر اسماعيلُ بالنجاةِ لنفسه ، وأسلمَ جميعَ عسكره له ، وجرت عليه في مَهْرَبِهِ مع جُمْلَةٍ من أصحابه شدةٌ لَجَأَ فيها إلى ذبح خيله والاعتداء بلحومها . ونجا بدمائه إلى مدينة أشبونة آخر عمله من ساحل البحر المحيط . فاصطلم ابنُ الأفطس عسكره اصطلاماً لم يُسْمَعْ بمثله ، ووقع سَرَعَانُ العدو من النصارى على كثير منهم فاقتنصوهم اقتناصاً ، وقتلوا منهم أمةً ، وكانت حادثةٌ شنيعةٌ بقيت بها عداوتهما إلى آخر وقتهما .

١ زيادة من البيان .

٢ ط د م س : مصر .

٣ ط د م س : تعدّه .

قال ابن بسام : ومن شعر ذي الوزارتين قوله ^١ :

يا حَبْدًا الياسمينُ إِذْ يَزْهَرُ	فوق غصونٍ رطِيبةٍ نُضِرُ
قد امتطى للجبالِ ذروتها	فوق بساطٍ من سندسٍ أَخْضَرُ
كَأَنَّهُ والعيونُ ترمقهُ	زمرّدٌ في خلاليهِ جَوْهَرُ

وقال :

وياسمينٍ حَسَنِ المنظرِ	يفوقُ في المرأى وفي المخبرِ
كَأَنَّهُ من فوقِ أَغصانِهِ	دراهِمٌ في مُطَرَفِ أَخْضَرِ

وقال :

تري ناضرَ الظيَّانِ فوقَ غصونه	إذا هو من ماء السحاب يغنّدي
وَحَقَّقْتُ به أوراقه في رياضه	وقد قُدَّ بعضٌ مثلَ بعضٍ وقد حُدّي
كصفرٍ من الباقوتِ يُلْبَسُنْ ^٢ بالفضي	منضدةٌ من فوق قُضْبِ الزمرّد

فصل في ذكر المعتضد بالله عبّاد ابن ذي الوزارتين

القاضي أبي القاسم محمد بن عبّاد وسيّاقه مقطوعات

من أشعاره ، مع جملة من عجائب أخباره

قال ابن بسام ^٣ : ثم أفضى الأمر إلى عبّاد ابنه سنة ثلاث وثلاثين ،

١ وردت هذه المقطعات في الحلة ٢ : ٣٨ - ٣٩ ، والأولى منها في النسخ ٤ : ٢٤٢ .

٢ الحلة ودوزي : يلعبن .

٣ انظر الحلة ٢ : ٣٩

وتسمّى أولاً بصخر الدولة ثم بالمتعصّد ، قطبٌ رُحى الفتنة ، ومنتهى غاية المحنة ، مِّنْ رجلٍ لم يثبت له قائمٌ ولا حصيدٌ ، ولا سَلَمٌ عليه قريبٌ ولا بعيدٌ ، جِبَارٌ أَبْرَمَ الأمور وهو متناقض ، وأَسَدٌ فَرَسَ الطلى وهو رابض ، منهوّرٌ تنحاماها الدهاة ، وجِبَارٌ لا تَأْمَنُهُ الكماة ، متعسفٌ اهتدى ، وَمُنْبَتَّ قطع فما أبقي ، ثار والناسُ حربٌ ، وكلُّ شيءٍ عليه لب ، فكفى أقرانه وهم غيرٌ واحد ، وضبط شأنه بين قائم وقاعد ، حتى طالت يده ، واتسع بلده ، وكثر عديدهُ وَعُدَدَه ؛ افتتح أمره بقتل وزير أبيه حبيب المذكور ، طعنةً في ثَغْرِ الأيام ، مَلَكَ بها كَفَّه ، وجِبَاراً من جابرة الأنام ، شَرَّدَ به مَنْ خَلَفَهُ ، فاستمرَّ يَفْرِي وَيَخْلُقُ ، وأخذ يجمع ويفرق ، له في كل ناحية ميدان ، وعلى كل راية حيوان ، حَرَبُهُ سَمٌّ لا يبطيء ، وسهم لا يُخطيء ، وسلمُهُ شَرٌّ غيرُ مأمون ، ومتاعٌ إلى أدنى حين .

وذكره ابن حيان فقال ^٢ : وعشي يوم الأربعاء ^٣ لست خلت لحماذى الآخرة سنة إحدى وستين ، طَرَقَ قرطبة نَعْيُ المتعصّد عباد زعيم جماعة أمراء الأندلس في وقته ، أسد الملوك ، وشهاب الفتنة ، وراحض ^٤ العار ، ومُدْرَك الأوتار ، وذو الأنباء البديعة ، والحوادث ^٥ الشنيعة ، والوقائع المنيعة ، والهمم العلية ، والسطوة الأبيّة ، فرماه الله بسهمٍ من مراميه

١ ط د م ودوزي : وجبان .

٢ البيان المغرب ٣ : ٢٠٤ والحلة ٢ : ٤٠

٣ الحلقة : الأحد ؛ والسبب في هذا الخلاف أنه توفي السبت ودفن يوم الأحد (كما سيبين في ما يلي) ولكن الخبر لم يطرق قرطبة إلا يوم الأربعاء .

٤ ط د م س : وداحض .

٥ الحلقة : والجرائر .

المُصْنِية ، أَجَلَ^١ ما كان في اعتلائه ، وأرقى ما كان إلى سمائه ، وأطَمَعَ ما كان في الاحتواء على الجزيرة ، مُحْتَفِزاً لها عند تشميره الذليلَ بفتنة لا كِفَاءَ لها ، فتوفاه الله على فراشه من علّة ذبحة قصيرة الأمد^٢ ، وَحِيّة الاجتهاز ، اتفقت الحكايات أنها كانت شِبْهَ البَغْتِ . وكانت ولايته بعد موت أبيه القاضي يوم الاثنين غرة جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلاثين ، وقضى نَحْبَهُ يوم السبت الثاني من جمادى الآخرة سنة [٤ ب] إحدى وستين ، ودُفِنَ عَشِيَّ يوم الأحد بعده ، تَغَمَّدَ الله خطاياه ، فلقد حُمِلَ عليه على مرّ الأيام ، في باب فَرَطِ القسوة وتجاوز الحدود ، والإبلاغ في المُثْلَةِ ، والأخذ بالظنّة ، والإخفار للذمّة ، حكايات شنيعة لم يبدُ في أكثرها للعالم بصدقها دليلٌ يقومُ عليها ، فالقول ينساغ في ذكرها ؛ ومهما بَرِيَء من مغبتها^٣ فلم يَبْرَأْ من فظاعة السطوة وشدة القسوة^٤ ، وسوء الاتهام على الطاعة ، سجايما من جبلّة^٥ لم يحاشِ فيها^٦ ذوي رحم واشجة .

وقد كان تَقْيِيلَ سيرة أحمد بن أبي أحمد بن المتوكل^٧ أحد أشدّاء خلفاء^٨ العباسيين الذي ضمَّ نَشْرَ المملكة بالمشرق ، وسطا بالمتنزين عليها ، وبفقده انهدمت الدولة ، فحمل عبّاد سمتهُ المعتضدية ، وطالع بفضل

١ س ط د والبيان : أجد ، الحلة : أمد .

٢ م : المتل (دون اعجام للتاء) ؛ س : الأمل .

٣ ط د س ودوزي : مفيها .

٤ ط د م س : فلم يبرأ من شدة القسوة .

٥ الحلة : جبلته .

٦ دوزي والحلة : فيهن .

٨ هو الملقب بالمعتضد (٢٧٩ - ٢٨٩) .

٩ دوزي والحلة : خلائف .

نظره أخباره السياسية التي أضحّت عند أهل النظر أمثلة هادبة إلى الاحتواء على أمدّ الرئاسة، في صلابة العصا وشناعة السُّطّا، فجاء منها بمهولات يذعر من سمع بها فضلاً عن من عاينتها، نسبوا إلى هذا الأمير الشهم عباد امتثالها من غير دلالة، وقد انطوى علم الله فيها وتقرر إرصاده للمكافأة بها، ولم يقصر عباد في دولته التي مهّدها فوق أطراف الأسنة وصير أكثر شغله فيها شبّ الحروب، وكياد الملوك، وإهراج البلاد، وإحراز التلاد، من توفّر حظه الأوفى من الأمور الملوكية، والعدد السلطانية، والآلات الرئاسية، فابتنى القصور السامية، واعتمر العمارات المخلّة، واكتسب الملابس الفاخرة، وغالى الأعلّاق السنية، وارتبط الخيول السابحة، واقتنى الغلمان الرؤفة، واتخذ الرجال الذادة، تنقّاهم من كلّ فرقة، فساس طبقاتهم ما بين إدّار الاعطية وضمان الزيادة على صدق الصيال، والوفاء بالوعد على النكول عن العدو، سياسة أعيّت على أنداده من أملاك الأندلس، فخرّج منهم رجالاً مساعير حروب، أباد بهم أقتاله.

ومن نادر أخباره المتناهية في الغرابة أن نال بُغْيته وأهلك تلك الأمم العاتية، وإنه لغالب عن مشاهدتها، مُتَرَفِّهٌ عن مكابذتها، مدبّر فوق أريكته، منفذ لحيلها من جوف قصره، ما إن مشى إلى عدو أو مغلوب من أقتاله غير مرة أو اثنتين^٢، ثم لزم عيريسته^٣ يدبّر داخلها أموره، جرّد نهاره لإبرام التدبير، وأخلص ليله لتملّي السرور، فلا يزال تدار عليه كؤوس الراح، ويُحَيّا عليها بقبض الأرواح، التي لأناسيتها من

١ ط د م س : الشظا .

٢ دوزي : مرتين .

٣ ط د : حريشته ؛ س : عن بيته .

أعدائه بباب قصره حديقةٌ تَطْلُعُ كلَّ وقتٍ ثمرًا من رؤوسهم المهداة إليه ، مفرطة الآذان برقاع الأسماء المنوَّهة بخاملها ، ترتاح نفسه لمعايتها ، والخلق يذعرون من التماحها ، وهو واصلٌ نعيمٍ ليله بإجالة كيده ، ومستدعٍ نشاطٍ لهُوَ بقوةٍ أيدِهِ : له في كل شأن شُؤْبُن ، وعلى كل قلب سمعٌ وعينٌ ، ما إن سَبَرَ أحدٌ من دهاة رجاله غوره ، ولا أدركَ قَعْرَهُ ، ولا أَمِنَ مكره ، لم يزل ذلك دأبه منذ ابتدائه إلى انتهائه .

وكان محمد بن عبد الجبار الملقب بالمهدي ، مفرق الجماعة بقرطبة ، ومبتعث تلك الفتنة المييرة ، سبق عباداً إلى اتخاذ مثل هذه الحديقة المطلعة لرؤوس أعدائه ، أيامَ أكثرَ له واضحٌ الخصي العامري من إرسالِ برؤوس الخارجين عليه ، لأول وقته ^٢ ، وأصلح بهم باب مدينته سالم ، فغرس منها فوق الخشب المعلية لها بشطّ النهر حذاء قصره حديقةً هول عريضةً طويلة الخطّة ، جمّة عددِ الصفوف المسطورة ، فأضحت شُغلاً للنظارة ، وذكرتها شعراؤه مثل قول صاعد بن الحسين ، من قصيدة أولها :

جِلاءُ العينِ مُبْهِجَةٌ النفوسِ	حدائقُ أَطْلَعَتْ ثَمَرَ الرُّؤُوسِ
هناك اللهُ مَهْدِيّ المساعي	جَنَى الهاماتِ من تلك الغروسِ
فلم أرَ قبلها وحشاً جميلاً	كَرِيهٌ روائِهِ أنْسُ الأُنسِ
فماذا يَمَلَأُ الأَسْماعَ منها	إِذَا مُلِئَتْ مِنْ أَنْبَاءِ الطُّرُوسِ

وقد كانت لِعِبَادِ وراء هذه الحديقة المألثة قلوبَ البشر ذعراً ، مباهاةً بخزانةِ بَلْثَوَى ، أكرمَ لديه من خزانةِ جواهره ، مكنونةٍ جَوْفَ قَصْرِهِ ،

١ ط د م س : ومبتدع ، والتصويب عن البيان .

٢ ط د س : وقته .

أودعها هامّ الملوك الذين أبادهم بسيفه ، منها رأس محمد بن عبد الله البرزيلي شهاب الفتنة ، ورؤوس الحُجّاب ابن خزرون وابن نوح وغيرهم الذين قرن رؤوسهم برأس إمامهم الخليفة يحيى بن علي بن حمود ، سابقهم^١ إلى تلك الرفعة^٢ ، فخصّ رؤوسهم بالصون بعد إذالة جُسومهم الممزقة ، وبالغ في تطييبها^٣ وتنظيفها للشواء لا للكرامة ، وأودعها المصاون الحافظة لها ، فبقيت عنده ثابرة^٤ تجيب سائلها اعتباراً ؛ انتهى كلام ابن حيان .

قال ابن بسّام : فلما افتتحت إشبيلية وخُلِعَ المعتمد ، حَدُثَتْ أَنَّهُ وجد جُوالق^٥ مطبوع^٦ عليه ، وظنّ أَنَّهُ مال أو ذخيرة ، فإذا هو مملوء رؤوساً ، فأعْظِمَ ذلك وهال أمره ، فدَفِيعَ كلُّ رأس منها لمن كان بقي من عقبهم بالحضرة ، أخبرني من رأى رأس يحيى بن علي بن حمود يومئذ ثابتَ الرسم متغيّرَ الشكل ، فدَفِيعَ إلى بعض ولده فدَفِنَه .

قال ابن حيان^٧ : وكان عباد أوتي أيضاً من جمال الصورة ، وتمام الخِلْقَةِ ، وفخامة الهيئة ، وسَبَاطَةِ البَتَانِ ، وثقوبِ الدهن ، وحضور الحَاطِر ، وصدقِ الحسّ ، ما فاق أيضاً به على نظرائه . ونظر مع ذلك في الأدب ، قبل ميل الهوى به إلى طلب السلطان ، أدنى نظر بأذكي طبع ، حصل منه لثقوبِ ذهنه على قطعةٍ وافرةٍ علقها من غير تعهّد لها ، ولا إمعانٍ في غمارها ، ولا إكثار من مطالعتها ، ولا منافسةٍ في اقتناء صحائفها ، أعطته نتيجتها على ذلك ما شاء من تحبير الكلام ، وقرض قِطْعٍ من الشعر ذات طلاوة ، في معانٍ أمدَّتْهُ فيها الطبيعة ، وبلغ فيها الإرادة ، واكتبتها

١ البيان : الوقعة ؛ وقد تقرأ في ط كذلك .

٢ س : تطييبها .

٣ نقل لسان الدين بعض هذا النص في أعمال الأعلام : ١٥٥ .

الأدباء للبراعة - جمع هذه الخلال الظاهرة والباطنة إلى جود كفّ بارى بها السحاب . وأخبار عباد في جميع أفعاله وضروب أنحائه - عالئاته وخافئاته - غريبة بعيدة ، وكان على تجرّده في إحكام التدبير لسلطانه ذا كلفٍ بالنساء . فاستوسع في اتّخاذهن ، وخلّطَ في أجناسهنّ ، فأنتهى في ذلك إلى مدّى لم يبلغه أحدٌ من نظرائه ، قيل إنه خلف من صنوفهن السّريريات خاصّة نحواً من سبعين جارية ، إلى حرّته الحظيّة لديه الفدّة من حلائله بنت مجاهد العامري أخت علي بن مجاهد أمير دانية . ففشا نسلُ عباد لتوسّعه في النكاح وقوّته عليه ، فذكر أنه كان له من ذكور الولد نحو من عشرين ومن الإناث مثلهم : انتهى كلامه .

قال ابن بسّام : وكان المعتضد - كما وُصِفَ - ينفث بأبيات من الشعر فيما يعنّ^١ له من أمر ، ورأيت ابن أخيه اسماعيل قد جمع شعر عمّه هذا في ديوان ، وسأجري هاهنا طرفاً منه .

جملة من أشعاره

مع ما ينخرط في سلوكها من عجائب أخباره

قال^٢ :

كأنما ياسمينتنا الغضّ كواكب في السماء تبيض^٣
والطرّقُ الحمرُ في جوانبه كخذ عذراء مستها^٣ عضّ

١ قد تقرأ في م : يعنّ .

٢ انظر البديع في وصف الربيع : ٩١ والحلة ٢ : ٤٩ واعمال الاعلام : ١٥٧ .

٣ البديع : ناله ؛ الحلة : مه .

وقال ١ :

إشربْ على وجه الصباحِ	وانظر إلى نَوْرِ الأفاحِ
واعلم بأنك جاهلٌ	ما لم تقل بالإصطباحِ
فالدهر شيءٌ باردٌ	إن لم تسخنهُ براحِ

وقال ٢ :

أنتك أم الحُسنِ	تشدو بصوتِ حسنِ
تمدّ في الحانها	مدّ الغناء المدني
تقود مني سلسلاً ٣	كأنني في رسنِ
أوراقها	إذا شدّت في فننِ

[٥ ب] ومعنى هذا البيت كقول ابن المعتز :

ذُرَى شجرٍ للطير فيه تشاجرٌ	كأنّ سقيطَ الطلّ فيها جواهرٌ
كأنّ القماري والبلابل حولنا	قيانٌ وأوراق الغصونِ ستائر

وقال بعض أهل عصرنا وهو الوزير أبو محمد بن عبدون :

يا نفحةَ الزَّهرِ من مَسْراكِ واغاني	خلوصُ رِيّاكِ في أنفاسِ آذارِ
والأرضُ في حُللٍ قد كادَ يُحرقُها	توقدُ النورَ لولا ماؤها الجاري
والطيرُ في ورَقِ الأشجارِ شاديةٌ	كأنهنّ قيانٌ خلفَ أستارِ

١ نفع الطيب ٤ : ٢٤٣

٢ نفع الطيب ٤ : ٢٤٢

٣ النفع : ساكناً .

٤ ط د م س : شوال .

ومعنى بيت ابن عبّون الثاني من متداولات المعاني ، منها قول الآخر ونقله إلى الدموع :

لولا الدموع وفيضهنّ لأحرقت أرض الوداع حرارة الأكباد

وأشبه منه قول ابن رباح :

نارٌ يُغذّيها السحابُ بمائه فلذلك لم تك تترمي بشرار

ومن أحسن شعر المعتضد قوله ^١ :

شربنا وجفن الليل يغسل كحلّه بماء صباح ^٢ والنسيم رقيق
معتقة كالنهر أما نجارها فضخم وأما جسمها فدقيق

وقال يخاطب مجاهداً ^٣ :

خلّي أبا الجيش هل يُقضى اللقاء لنا فيشتفي منك طرف أنت ناظرة
شطّ المزار بنا والدار دانية يا حبذا القال لو صححت زواجره

وقال من جملة قصيدة يخاطب بها أباه القاضي ^٤ :

أطعتك في سرّي وجهري جاهداً فلم يك لي إلا الملام ثواب
ولما كبا جدّي إليك ولم يسع نفسي على سوء المقام شراب

١ الخلة ٢ : ٤٩ والنفع ٤ : ٢٤٢ وأعمال الاعلام : ١٥٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ وقد وردا في الذخيرة ١ : ٥١٨ منسوبين لابن برد الأضر .

٢ ط : الصباح .

٣ الخلة ٢ : ٤٧ والبيان ٣ : ٢٠٨ .

٤ دانية بمعنى قرية كما أنها اسم البلد حيث مجاهد العامري أبو الجيش .

٥ الخلة ٢ : ٤٦ .

فررتُ بنفسِي أبتغي فرجةً لها
وما هزّني إلاّ رسولُك داعياً
فجئتُ أغدّ السيرَ حتى كأنّما
وما كنتُ بعدَ البينِ إلاّ موطناً
« ولكنك الدنيا إليّ حبيسةٌ »
أصِيبُ بالرضى عني مسرةً مهجتي
وكان المعتضد كثيرًا ما يرتاح في شعره إلى ذكر الطائفة التي كانت يومئذ تحاربه ، فمن ذلك قوله :

لقد حُصِّلَتْ يا رُنْدَة ٣
أفادتُناك أرماحُ
وأجنادُ أشداءُ
غدوتُ يروني مولى
سأفني مُدَّةَ الأعدا
وتبلى بي ضلالتُهم
[١٦] فكم من عدَّةٍ قتلُ
نظمتُ رؤوسهم عقداً
فصرتُ للمكنا عقدةً
وأسيافُ لها حدةً
إليهم تنتهي الشدة
لهم وأراهمُ عدَّةً
ان طالتُ بي المدة
ليزدادَ الهوى جدَّةً
تُ منهم بعدها عدَّةً
فحلَّتْ لَبَّةَ السدَّة

وأعجب المعتضد يومئذ بهذه القطعة الرندية ، عجبَ حسان بن ثابت بقصيدته الميمية ٤ ، وأخذ الناسَ بحفظها ، وحملهم على ضبط معانيها ولفظها .

١ بيت مضمن وهو المتنبي ، انظر ديوانه : ٤٨٢

٢ البيان : ٣ : ٢٠٨ والنفع : ٤ : ٢٤٣ والخلة : ٢ : ٤٩ .

٣ رندة : (Ronda) مدينة قديمة من مدن تاكرنا (الروض : ٧٩) .

٤ لعله يعني قصيدته التي يقول فيها :

لنا الجفئات الفر يلعن بالضحى وأسيافنا يقطرون من نجدة دما

وعلى ذكرها وذكرهم ، فلنسمع بشيء من أمرهم . بدأ بغرب إشبيلية وبها عدة رؤساء ، وجماعة خلفاء ، فكانوا دخان ناره ، وزبد تياره ، إلا ما كان من ثبوت قدم قريعه المظفر بن الأفطس ، فانه نازعه لبوسها ، وعاطاه إلى آخر أيامه كؤوسها ، ولهما في ذلك غير مجال وميدان ، وقد سرد قصصهما أبو مروان ابن حيان ، وسألمعُ بعيونها ، وأقلبُ ظهورها لبطونها .

جملة من حروبه مع المظفر وغيره من أمراء الغرب

قال ابن حيان^٢ : وأول ما ظهر من تفاسد عباد والمظفر ان ابن يحيى صاحب لبلة عند هجوم عباد عليه استجار بالمظفر بن الأفطس ، فأجاره وانزعج له ، ووصل يده وعطل ثغره ، وجمع جيشه وأقبل إلى لبلة ناصراً لابن يحيى ، مضيقاً لمن خلفه يوقد نار فتنة كان في غنى عنها ، حتى نزل بنفسه على ابن يحيى ودافع ابن عباد عنه ، وحرك في ذلك من حلفائه البرابرة جماعة ، فسارعوا إليه غير ناظرين في عاقبة أمرهم ، وتقدموا في تحريك بعسوسهم محمد بن القاسم فانتظم به أمرهم ، وتقدم بهم إلى إشبيلية ورحاهم تدور على قريعتهم باديس بن جبوس ، مذرهم في الحللى ومقرعهم في النائية ، يستلمون لرأيه ويزحمون بركنه ، فأشفق الوزير ابن جهور من حركتهم تلك ، على عادته في التقلل لأمثالها ، وجهد جهده في صرفهم ، وأرسل ثقات رؤسائه إلى عامتهم ، إلا ما كان من الدائلين منهم عباد داعية المروانية ومحمد بن إدريس صاحب مالقة دائل الحمودية ، فإنه تنكبها

١ البيان : وجرية .

٢ البيان ٣ : ٢٠٩ .

بعاداً من الظنّة ، إذ كان هو وجماعة قرطبة متوقفين^١ على كل دعوة ، فلما وصلت رسله إليهم ما زادهم إلا لجأجأ . ولم يترك ابنُ جهورٍ يضربُ لهم الأمثال ، ويخوفهم من سوء العاقبة والمآل ، حتى صار فيهم كؤوم آل فرعون وعظاً وتذكّرة^٢ ، يَجِدُ^٣ منهم الأطوادَ الراسية ، ويرقي الحيات المتصامّة . واستنّ القوم في ميدان الغي ، فلما صبح عند ابن عباد خروجه لليلة بجيشه دفعا عن ابن يحيى منتظراً لخلطائه ، جرد خيلاً ضربت على بلد ابن الأفطس ، وغارت وأنجحت ، وفعلت فَعَلَاتٍ نَكَاتِ القلوب ، وقرفت الندوب^٤ ، ثم نهض ابنُ عباد بنفسه إلى ليلة اللقاء ، فجرت بينهما على بابها وقعة عظيمة^٥ صعبة ، استنهما فيهما النصر في مقام واحد شقّ الأبلّسة ، وكانت < الدائرة >^٥ أولاً على ابن الأفطس ، فولّى الدبر وخاض وادبها دون مخاضة ، وقيل قُتِلَ من رجاله عددٌ كثير ، ثم رجعت له على ابن عباد كربة فكشف رجاله وأصاب منهم نفراً ، ثم افرقوا ولحق بعدُ باديسُ بجمعه وخاض وادي قرطبة وجاز إلى الشرف ، وتجمّع بحلفائه ، وعاثوا في نظر إشبيلية ، وانقطعت السبل جملة ، وكثر القتل والمهراج والسلب ، وأمسى الناسُ في مثل عصر الجاهليّة ، ثمّ والى ابنُ يحيى بعد ذلك كله المعتضدَ لضرورة دفعته إلى ذلك ، فكاشفه^٦ المظفر وخانه فيما كان اتّمنه عليه من ماله وأودعه عنده ، [٦ ب] أيام تورطه في حرب المعتضد ، فانبثت

١ ط : متوقفين ؛ البيان : مترفين ؛ س : متوقفين .

٢ ط : يجدو ؛ د : يحذر ؛ س : يجدوا .

٣ ط د م س : الذنوب ؛ وقرفت الندوب : قشرت الجروح .

٤ عظيمة : سقطت من ط د والبيان .

٥ زيادة من دوزي .

٦ ط : فكشفه .

بينهم العصمة ، وضربت خيلُ المظفر على صاحب لبله ، فاستغاث المعتضدُ فلحق به خيله واقتلت مع خيلِ المظفر ، وكان ابن جهور كثيراً ما يوالي رسله إلى الاصطلاح بينهما ، فتصدر عنهما وتخبر أن ابن الأفطس أقرب إلى الملام ، بامتطاء قعود اللجاج في القطيعة .

ومن النوادر المحفوظة بينهما أن المعتضد والى حربه في شهور سنة اثنتين وأربعين فغيراً بلده ، وفتح عدة حصون ضمها إلى عمله ، وشدها برجاله ، ودمر عمارات^١ واسعة أفسد غلاتها ، وأوقع رعيته في المجاعة الطويلة ، وعجز المظفر عن دفاعه شبراً واحداً فما دونه ، استكانةً للحادثة التي هدَّت ركنه ، وأفنت حماة رجاله ، فاعتصم بحصنه بطليوس^٢ ، ولم يخرج من خيله فارساً ، وجعل يشكو به إلى حلفائه ، فلا يجد ظهيراً ولا نصيراً .

فلما قضى المعتضد من تدوين بلادهِ وطَرَهُ ، وكرّر راجعاً إلى إشبيلية في شوال من العام ، وردت علينا بقرطبة يومئذ غريبة^٣ ، وذلك أن رسولَ المظفر في أثر هذه الوقائع عليه < ورد قرطبة >^٣ يلتمس شراء وصائف ملهيات يأنسُ بهن^٤ ، نافياً بذلك الشماتة عن نفسه ، ولم يكن له عادة بمثله ، فنقّب له رسوله عن ذلك ، وكنّ قد عدّ من بقرطبة يومئذ ، فوجد له صييتين ملهيتين عند بعض التجار لا طائلَ فيهما ، فاشتراهما له ، وأقام رسوله يلتمس الخروجَ بهما فلم يستطع ، لقطع خيلِ المعتضد جميع الطرق ، فأقام مدة بقرطبة إلى أن شيع بخيلِ كثيفة ومضى بهما ، وأولو

١ في النسخ : بغير .

٢ ط م : عمارات ؛ س : غمرات .

٣ زيادة من البيان المغرب .

النهي يَعْجَبُونَ وَيُعْجَبُونَ^١ مما شَهَرَ به نفسه من البطالة ، أيام الحروب
المُحَرَّمَةِ لأطهار النساء على فحول الرجال العاقدة للأزرة ، وعلى ما
كان يدَّعيه لنفسه من الأدب والمعرفة ، وبحث على هذه الأعجوبة وما
الذي حمله على هذا الأقن فلماذا به ناغى كاشحة المعتضد المرتاح بعد
الظفر لاجتلاب قينة عبد الرحيم^٢ الوزير من قرطبة ، إثر وفاته يومئذ ،
وقد استدعاها لما وُصِفَتْ له بالحذق في صنعتها ، فوجَّهَتْ نحوه ،
فتقبَّلَه المظفر في إظهار الفراغ وطلب الملهمات ، وقد علم العالم أنه
لفي شغلٍ عنهن . فامتد شأو هذين الأميرين يومئذ في الفتي وتباريا في
القطيعة حتى أفنيا العالمين ، إلى أن سنَّى الله بينهما الصلح ، في ربيع الأول
سنة ثلاث وأربعين ، بسعي ابن جهور أمير قرطبة ، كعادته بينهما^٣ ،
بعد كتب ورسل في ذلك ، والمظفر يمتطي اللجاجة هنالك .

فلما سكنت الحال بينهما فرغ المعتضد إلى حرب الأمراء الأصاغر
بالغرب ، كابن يحيى وابن هارون وابن مزين والبكري^٤ ، وأتيح له من
الظفر عليهم ما حاز به أملاكهم وضمَّها جملة إلى عمله ، ثم مدَّ يده بعد
إلى القاسم بن حمود صاحب الجزيرة الخضراء ، فرضة المجاز من الأندلس

١ ويعجبون : من م وحدها .

٢ البيان : قينة ابن الرميحي .

٣ ط د م س : بينهما .

٤ ابن يحيى صاحب لبله ، وقد مر من خبره ما يكفي ، وابن هارون هو سعيد بن هارون صاحب
اكشونية ، توفي سنة ٤٣٤ وخلفه ابنه ومن يده أخذ المعتضد اكشونية سنة ٤٤٩ ؛ وابن
مزين هو عيسى بن محمد بن مزين صاحب شلب ، حكم فيها سنة ٤٤٠ ووالى عباد الحروب
ضده وقتله سنة ٤٤٥ وانتزع مدينة شلب منه ، وأما البكري صاحب شلطيث وأونة
فسوردد ابن بسام خبره مع بني عباد في ما يلي .

إلى أرض العدو التي كان منها فتحها ومن قبلها ما أتاها على قدم الدهر ،
وذلك أنه لما وجد هذا الفتى ، على نباهته وجلالة عمله ، أضعف أمراء
البرابرة شوكة وأقلتهم رجالاتاً ، صمد له وحصره ، فاستغاث القاسم
حلفاءه بالأندلس وصاحب سبته سقوت البرغواطي^١ مولى ابن حمود ،
فأبطأ عليه حتى سقط في يده ، ونزل على أمان ، وآل أمره إلى أن لحق
بقرطبة وأسكنها تحت كنف ابن جهور مع نظرائه من المخلوعين .

فلما كانت سنة إحدى وخمسين ، وقد أتيج له من الظفر ما أتيج ،
اتصلت الأنباء عندنا بقرطبة بصموت منابره في جميع أعماله عن ذكر إمامه
هشام بن الحكم ، صاحب الرجعة ، الذي اتصل الدعاء له على منابره
من عهد قيام والده إلى آخر هذه السنة ، يومئذ إليه بالحياة في غياهب الحجب
من غير ظهورٍ خاصة ولا عامة ، ودعوته على ذلك كله [أ٧] مرفوعة
عند من اتسنى بالمعتضد من أمراء شرق الأندلس ، إلى أن قطعها قاطع
الأعناق عليها ابن عباد ، فدُكر أنه دعا وجوه حضرته فنعى لهم
إمامهم هشاماً ، وكشف إليهم تقدّم وفاته من علّة زمانية ، ووصف
أنّ الحال التي كان بسبيلها من اشتداد الفتنة بينه وبين من تظاهر عليه من
أمراء الأندلس الدّائنين منه عاقه يومئذ عن البوّح بوفاة هذا الإمام والشهرة
لدفنه ، إعطاءً للحزم بقبسطه ، فلمّا سكنت الحال وجب التصريح
بالحق ، وعطف - زعموا - بكلامه على شحذ بصائرهم في التمسك
بجبل الإمامة ، والفرار عن الميتة الجاهلية . وذكر أنه خاطب من كان
تحت دعوة هذا المنعّي هشام من أمراء الأندلس ناعياً له ، داعياً إلى التعرّض
منه ، فارتفعت الدعوة منذ ذلك الوقت ، وصارت هذه الميتة الحامل

١ سيأتي خبر سقوت في هذا القسم من الذخيرة .

هذا الاسم الميتة الثالثة ، وعساها تكونُ إن شاء الله الصادقة ، فكم قُتِلَ
 وكم مات ، ثمَّ انتفض من التراب ، ومزق الكفن قبل نفخة الصور ووقعة
 الواقعة ، فقد كان مات في يد أول خالعه محمد بن هشام بن عبد الجبار ودُفِنَ
 علانيةً ، ثمَّ نُشِرَ بيد واضح الصقلي فتى بني أبي عامر ودال مدَّيْدَةٌ ،
 ثمَّ قتل خالعه الثاني سليمان المستعين ودفنه خفيةً ، ثمَّ أبرز صدهاء علي
 ابن حمود الحسني المتري ، يُذكي الطلب بثأره على الدولة ، ودفنته
 الدفنة التي خلناها حقيقةً ، فلم يلبث أنْ نَجَمَ حياً بإشبيلية بعد حَقَب ،
 فبقي هنالك ملكاً ودال قرناً إلى أن وقعت عليه هذه الميتة الثالثة ، فما نقول
 ونعتقد في الفرق بين هذه الميتات المتواليات ، إذ كان ماتهما واحداً ، وليس
 إلاّ السيف عليها أدلة ، غير إخلاص الدّعاء لكلمة المسلمين في الائتلاف
 لما فيه الصّلاح ، انتهى ما تلخصته من كلامه .

قال ابن بسام^١ : ثم غمس المعتضد يده بعُذُ في من كان يليه من أقتاله
 البرازلة فصدّم^٢ شرهم بشرهم ، وضرب زيدهم بعمرهم^٣ ، وقد كان
 عندما تسعرت نار الحرب ، بينه وبين رؤساء الغرب ، هادتهم على
 دَحْن ، وفتح لهم حتى ضربوا حوله بعطن ، ليقتلهم بسيوفهم ،
 ويستدرجهم إلى حنوفهم ، فلما استقرت قدمه بشلب ، قاصية قواعد
 الغرب ، كان أول ما بدأ به من حربهم هجومه على الحاجب ابن نوح^٣

١ البيان المغرب ٣ : ٢١٤ .

٢ س ودوزي : فضرِب .

٣ هو محمد بن نوح الدمري الملقب بعز الدولة ثار بمورور سنة ٤٣٣ إلى أن أنهى المعتضد حكمه
 سنة ٤٤٥ ، وسجنه وتوفي في سجنه ٤٤٩ .

المتري منهم - كان - بكورة مورور^١ في غير كتيبة نظمها ، ولا مقدمة إليه قدمها ، إلا فتیان يبنهان عليه ، ويحملان الأموال بين يديه ، تجاسراً على ركوب الخطر الذي تحاماه اللبيب ، واستنامة^٢ لصرف القدر وهو لا يدري أبخطيء أم يصيب ، فخلص إلى ابن نوح^٣ هذا : من رجل لا يبالي دم من تجرع^٤ ، ولا يحفل بأي شيء يصنع ، فبالغ ابن نوح في بره ، وتضاءل لأمره ، وحمل ذلك من فعله على أكد أسباب السلامة ، وأتم وجوه الاستنامة^٥ ، وفض المعتضد يومها^٦ من صميم ماله ، في وجوه حماة ابن نوح ورؤوس رجاله ، ما استمال به قلوبهم ، واستنصح به جيوبهم .

ثم صار إلى ابن أبي قرّة^٧ برندة فسامه مثلها ، وحذا له نعلها ، فتلک اعتد عليهم يداً ، وجعلها لما أراد من مكروهم أمداً . وقد كان أحد أجنادهم أشار بالرأي في أمره . وأراد أن يتطلع عليه من ثنية مكره ، فواطهم يومئذ بغدره ، ورمز لهم بالاستراحة من شره ، ففهمها المعتضد وجعل تلك الكلمة دبّر أذنه . وأثبتها في ديوان إحته ، حتى حل بطائلها . واستفاد بعد مديدة من قائلها ، وجأجأ بالحاجبين المذكورين لأول تمكته من الغرة ، وساعة صدره من مركزة من الحضرة ، فتهافتا تهافت الفراش على الجمرة . وجاءا مجيء الحائن إلى الشفرة ، وتطفّل عليهما الحائن ابن خزرون المتري - كان - وقته بأركش ، فله أبوه وافداً

١ مورور (Moron) : مدينة صغيرة إلى الجنوب الغربي من قرمونة ، بولاية اشبيلية (الروض

المعطار رقم : ١٨١) .

٢ م س والبيان ودوزي : الاستقامة .

٣ في النسخ : يوماً .

٤ هو أبو النور هلال بن أبي قرّة اليفرنى .

٥ س ط : فواطهم (لعلها : فراطهم ؛ وهي قراءة توافق قوله «ورمز») .

لم تُجزِهِ الوفاة ، وواهاً له قتيلاً لم يحلَ بظائل الشهادة ، فجرع الكل [٧ ب] الختوف ، وحكم في عامتهم السيوف ، واستمر بعد ذلك على حرب يقاياهم ، وتبّع أخراهم ، حتى تغلب على بلادهم ، وألوى بطارفهم وتلادهم ، في أخبار طويلة استوفاهما ابن حيان ، هي خارجة عن غرض هذا الديوان ؛ وقد أملت منها بما فيه كفاية ، إذ لا يتسع هذا المجموع لاستقصاء الغاية .

والسبب^١ الذي كان يُغريه بطلبهم ، ويبيعه على التمرّس بهم ، أن بعض من نظّر بمولده كان أخبره أن انقضاء دولته يكون على أيدي قوم يطروون على الجزيرة من غير سكّانها ، فكان لا يشك أنهم تلك البرازلة الطارئون عليها في عهد ابن أبي عامر ، فأعمل في نكالمهم وجوه سياسته ، وشغل بقتالهم أيام رياسته ؛ واتفق أن دخل عليه يوماً بعض وزرائه وبين يديه كتاب قد أطل فيه النظر ، فإذا كتابُ سقوط المتري يومئذ بسبته ، يذكر أن القوم المثلثين^٢ المدعوين بالمرابطين قد وصلتْ مقدّمتهم رَحبةً مراکش ، فقال له ذلك الوزير المذكور كلاماً معناه : وأين رحبة مراکش ؟ دخلوها^٣ فكان ماذا ؟ ومات الحجاج قَمَةً ؟ ! ودونهم اللجج الحضّر ، والمهامه الغُبَرُ ، والليالي والأبيّام ، والجماهير العظام ، فقال له المعتضد : هو والله الذي أتوقعه وأخشاه ، وإن طالت بك حياة فستراه ، اكتب إلى فلان - يعني عامله على الجزيرة - باحتراس جبل طارق حتى يأتيه أمري ،

١ انظر الحلة ٢ : ٥٠ .

٢ ط د س : المثلثين .

٣ ط م س : وجلوها (اقرأ : وجلوها) .

وأخذ يريش^١ في تحصينه ، ووضع أرصاده هنالك وعيونه ، وييري^١ ، والله عزائم لا تقيها الحصون^٢ ، ولا يهندي إليها الأرصاد والعيون ، ولكل شيء أمد مكتوب ، وميقات مضروب ، ويبلغ الكتاب أجله .

فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد

واجتلاب جملة من شعره ، مع ما يتعلق من الأخبار السلطانية بذكره

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر بعد المعتضد لابنه المعتمد ، وكان مع اشتغاله بالحرب ، وسعة مجاله بين الطعن والضرب ، وعلى أن أباه عبداً ما انفك يدير عليه الرحي ، ويفزع^٢ إليه كلما قرعت عصاً عصاً ، حتى صار أسوة لنجوم ليلها ، وحلماً لتون خيلها :

لا يشرب الماء إلا من قلب دم ولا يبيت له جار على وجل^٣

فقد كان متمسكاً من الأدب بسبب ، وضارباً في العلم بسهم ، وله شعر كما انشق الكمام عن الزهر ، لو صدر مثله عمّن جعل الشعر صناعة ، واتخذ بضاعة ، لكان رائعاً معجباً ، وفادراً مستغرباً ، فما ظنك برجل

١ وييري مطوقة على « يريش » .

٢ يفرع (من الثلاثي) فيه معنى المشاورة ، وإذا كان مضارعاً للرباعي (أفرع) : ففيه معنى الرجوع تقول : أفرع إلى الحق أي رجيم ؛ ولولا شخصية المعتضد وما تنطوي عليه من الاعتداد لصح أن تكون القراءة « ويفزع إليه » .

٣ البيت لأبي سعد المخزومي واسمه عند المرزباني (معجم الشعراء : ٩٨) عيسى بن خالد بن الوليد وقيل إنه دعي في مخزوم (طبقات ابن المعتز : ٢٩٥ - ٢٩٨) وكان يهاجي دعلج بن علي الخزاعي ؛ وقد ورد بيته هذا في معجم المرزباني وديوانه : ٥٣ .

لا يجدُ إلا راثياً ، ولا يُجيدُ إلا عابثاً ، وهو مع ذلك يرمي فيصيب ، وبهي
 قَبِصُوب ، وشعره يوضُّعُ ما شرح ويعبر عما ذكر . مع أنه قد رُوِيَتْ
 أشعارُ أولي النباهة والأعيان ، على قديم الزمان ، لشرف قائلها ، مع قلّة
 طائلها ، وقد رأيت أبا بكر الصولي أثبتَ للملكِ بني أمية وخلفاء بني العباس ،
 ما لو صدر مثله لصغار الناس لاستُهجنَ ، أو طرأ للضعفاء السوق لاستُصْفِرَ .
 فلنا في الصولي أسوةٌ في إثبات هذا النوع من الشعر إن وقع في كتابنا هذا .
 [١٨] والعجب من المعتمد أنه مرى سحابه في كلتا حاله فصاب ، ودعا
 خاطره فأجاب ، ولا تراجعَ له من طبع . ولا بعد الخلع . بل يومه في
 هذا الشأن دهر ، وحسته في هذا الديوان عشر . فان أجاد فما أولى ، وإن
 قصرَ فعذرُه أوضح وأجلى .

والبيت المتقدم^١ من جملة قصيد . للمخزومي أبي سعد^٢ ، وإنما أشار
 في معناه إلى قول بشار^٣ :

فتى لا يبيتُ على دمنة^٤ ولا يشرب الماء إلاّ بدم^٥
 وقال أبو الطيب^٥ :

ولا تردُ الغدران إلاّ وماؤها من الدم كالريحان تحت الشقائق
 وقال محمد بن هاني^٦ :

لا يُوردون الماءَ سنبك سابع^٦ أو يكتسي بدم الفوارس طحلبا

١ ط : المقدم .

٢ ط دم س : أبي سعيد .

٣ ديوان بشار : ٢١٧ (جمع الملوي) .

٤ دوزي : هدنة .

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

٦ ديوان ابن هاني : ١٨٩ .

جملة من شعر المعتمد في النسيب وما يناسبه^١

قال^٢ :

دارى الغرامَ ورامَ أنْ يتكتَّمَا وأبى لسانُ دموعه فتكلَّمَا
رحلوا وأخفى وجده فأذاعه ماءُ الشَّوْنِ مصرَّحاً ومجمما
سأبرئهمُ والليلُ غُفْلٌ ثوبه حتى تراءى للنواظر معلَّمَا
فوقفتُ ثمَّ محيراً وتسلَّبتُ مني يدُ الإصباح تلك الأنجما

وكانَ معنى هذا البيت الأخير ، إلى قول المجنون يشير^٣ :

فأصبحتُ من ليلي الغداةَ كناظِرٍ مع الصبح في أعقاب نجمٍ مُغرَبٍ

وله^٤ في أم الربيع وقد مرضت فلم بعدها :

مرضتم فأمسكتُ الزيارةَ عامداً وما عن قلبي أمسكتها لا ولا هجير
ولكنني أشفقتُ من أن أزوركُم وأبصرَ آثارَ الحسوف على البدر

١ تتردد أشعار المعتمد في كثير من المصادر التي ترجمت له ، وقد جمع ديوانه الأستاذان : أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد (القاهرة ١٩٥١) وأرى أن أكتفي بمراجعة ما جاء في الذخيرة على هذا الديوان ، إلا استثناءات قليلة .

٢ الديوان : ٢٦ .

٣ ديوان المجنون : ٧٩ .

٤ هذه العبارة والبيتان التاليان من هامش ط ، وهما مكتوبان بخط الأصل ، وأمام العبارة لفظة : « طرة » ؛ وهما ومعهما بيت ثالث في المقتطف من أزهار الطرف لابن سميذ الورقة :
٤٤ ، ولم ترد هذه الأبيات في الديوان أو في النسخ الأخرى .

وقال المعتمد^١ :

أَكْثَرْتَ هَجْرِي غَيْرَ أَنَّكَ رَبَّمَا عَظَمْتَكَ أَحْيَانًا عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجُرِ بَيْنَنَا لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الْوَصَالِ بِدُورِ

وهو ينظر إلى قول الأسعد بن بليطة^٢ :

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفَّسَ الرِّيحَانُ فِي الْآصَالِ
وَكَأَنَّمَا الْخَيْلَانُ فِي لَبَاتِهِ سَاعَاتُ هَجْرِي فِي زَمَانِ وَصَالِ

وقال^٣ :

تَظُنُّ بِنَا أُمُّ الرَّبِيعِ سَامَةً أَلَا غَفَرَ الرَّحْمَنُ ذَنْبًا تَوَاقَعُهُ
أَأَهْجُرُ ظُلُمًا فِي فَوَادِي كَنَاسُهُ وَبَدَرَ تَمَامٍ فِي ضُلُوعِي مُطَالَعُهُ
وَرَوْضَةً حُسْنٍ أَجْتَنِبُهَا وَبَارِدًا مِنْ الظُّلُمِ لَمْ تُحْظَرْ عَلَيَّ شَرَائِعُهُ
إِذْنٌ عَدِمْتُ كَفَيْ نَوَالًا تُفِضُهُ عَلَى مَعْتَمِيهَا أَوْ عَدُوًّا تَقَارِعُهُ

وناوله بعض نسائه كأس بلور مترعاً خمرأ ولمع البرق فارتفعت فقال^٤ :

رَبِعَتْ مِنَ الْبَرْقِ وَفِي كَفِّهَا بَرْقٌ مِنْ الْقَهْوَةِ لَمَّاعٌ
يَا لَيْتَ شَعْرِي وَهِيَ شَمْسُ الضُّحَى كَيْفَ مِنَ الْأَنْوَارِ تَرْتَاعُ

وقال^٥ :

-
- ١ ديوان المعتمد : ١٣ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
 - ٢ ترجمته في القسم الأول من الذخيرة ص : ٧٩٠ .
 - ٣ ديوان المعتمد : ٢٠ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
 - ٤ الديوان : جفوني (عن المطرب والخريدة) .
 - ٥ الديوان : ٢١ ومعاهد التنصيص : ٢ : ١١٤ والمعجب : ١٦١ ومختارات الصيرفي : ١١١ .
 - ٦ الديوان : ١٥ ورايات المبرزين : ٣٧ (١٠ غرسية غومس = غ) والمعجب : ١٦١ .

قامت لتُحجب قُرْص^١ الشمسِ قامتها
 عن ناظري حُجبتُ عن ناظرِ الغيرِ
 [٨ ب] علماً لعمرِكَ منها أنها قمرٌ
 هل تُحجبُ الشمسَ إلا غرّة^٢ القمرِ

وقال^٣ :

عفا اللهُ عن سِحْرِ على كلِّ حالةٍ
 أسحرُ ظلمتِ النفسَ واختَرَتِ فرقتي
 وكانت شُجُونِي باقِرَابِكَ نَزْحاً
 ولا حُوسِبَتُ عني بما أنا وأجِدُ
 فجمعتُ أحزاني وهُنَّ شَوَارِدُ
 فيها هنَّ لما أن نأيتِ شَوَاهِدُ

وقال^٤ :

فإن تَسْتَلْذِتي بَرْدَ مائِكَ بَعْدَنَا
 فبَعْدَكَ ما نَدري متى الماءُ بارد

وقال^٥ :

يا غرّةَ الشمسِ التي
 لَوَلَاكَ لم أَكُ مُؤَثِّراً
 قلبي لَهَا أَحَدُ البرُوجِ
 فَرُشَّ الحَرِيرِ على السَّرُوجِ

وقال^٦ :

١ الديوان : ضوء الشمس .

٢ الديوان : صفحة .

٣ الديوان : ٨ .

٤ عد هذا البيت في الديوان لاحقاً بالأبيات السابقة .

٥ الديوان : ٥ .

٦ الديوان : ١٧ .

تَمَّ لَهُ الْحُسْنُ بِالْعِزَارِ واَقْتَرَنَ اللَّيْلُ بِالنَّهَارِ
أَخْضَرُ فِي أَبِيضٍ تَبَدَّى ذَلِكَ آسِي وَذَا بَهَارِ
فَقَدْ حَوَى مَجْلِسِي تَمَاماً إِنَّ يَكُ مِنْ رِيقِهِ عَقَارِ

هذا كقول ابن وكيع^١ :

شَادِنٌ خَدَهُ وَعَيْه نَاهُ وَرَدِي وَنَرَجْسِي
إِنَّ يَجْدُ لِي بِخَمْرَةٍ فَلَقَدْ تَمَّ مَجْلِسِي

ما أخرجته من مقطوعاته السلطانية التي
أجراها مُجَرِّى الاخوانيات

بات الوزير أبو الأصينغ بن أرقم^٢ على قرب من إشبيلية ، وأعلمه أنه
وافدٌ عليه صبيحة غدٍ ، فكتب إليه المعتمد^٣ :

أَهْلًا بِكُمْ صَحَبْتَكُمْ نَحْوِي الدَّيْمُ إِنْ كَانَ لَمْ يَتَجَنَّحْ لِي بِكُمْ حُلْمُ
حُتُّوا الْمَطِيَّ وَلَوْ لَيْلًا بِمَجْهَلَةٍ فَلَنْ تَضَلُّوا وَمَنْ بَشَّرِي لَكُمْ عِلْمُ
سَأَكْتُمُ اللَّيْلَ مَا أَلْقَاهُ مِنْ بُعْدٍ وَأَسْأَلُ الصَّبْحَ عَنْكُمْ حِينَ يَبْتَسِمُ

وأدخلت إليه يوماً باكورة نرجس ، فكتب إلى ابن عمار يستدعيه^٤ :

١ لم يردا في ديوانه المجموع .

٢ انظر ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٦٠ .

٣ الديوان : ٦٠ .

٤ هذه هي قراءة م ، وفي ط د : يتجنح ؛ الديوان : يتبع ؛ س : يتحتج .

٥ الديوان : ٦٤ وقد أثبت هناك جواب ابن عمار أيضاً ؛ ومختارات الصيرفي : ١١٠ .

قد زارنا الرجيس الذكي
ونحن في مجلس أنيس
ولي نديم غدا سمي
يا ليتته ساعد السمي

فأجابه ابن عمار :

لبّيك لبّيك من مناد
له الندى الرّحب والندى
ها أنا في الباب عبد قين
قبلته وجهك السني
شرقه والداه باسم
شرفته أنت والنبي

وسأله الوزير أبو عمرو بن غطمش^١ أن يشرقه^٢ بالسير معه إلى منزله ،
فاجتمع الندماء بالقصر . [٩٩] بعد صلاة العصر . انتقلوا ليلاً بانتقالها
إلى دار الوزير المذكور ، فبدت من ابن عمار حينئذ هنة أوجبت أن رماه
المعتمد ببعض الآنية . فافترقوا بعد نومه ووقوع اليأس من سيره ، ومضت
الجماعة إلى دار الوزير المذكور ، فلما استيقظ المعتمد من السكر ، أخبر
بما وقع من الأمر . فكتب إليهم بهذين البيتين^٣ :

لولا عيون من الواشين ترمقني
وما أحاذرُه من قول حُرّاس
لزرتكم لأكافيكم يخفوتكم
مشياً على الوجه أو حبواً على الراس
وله يستعطف أباه المعتضد إذ دخل مالمقة وأخرج منها ، في قصيد أوله^٤ :

١ كنيته في ط د : أبو عمرو ؛ وقد مر ذكره عند المقرئ (النفع ٤ : ٧٧) في رسالة
كتبها المعتمد نفسه إلى الأعلم الشتمري يقول له فيها « سألك الوزير الكاتب أبو عمرو
ابن غطمش سلمه الله عن المسهب وزعم أنك تقول بالفتح والكسر . . . الخ » .

٢ الديوان : ٨٨٧ و المسالك : ٣٩٧ وابن خلكان ٥ : ٢٦ .

٣ الديوان : ٣٦ وابن خلكان ٥ : ٢٤ والحلة ٢ : ٥٦ والقلائد : ١٩ ومنها بيت واحد
في رايات المبرزين : ١٠ (غ) .

سَكَنَ فُؤَادَكَ لَا تَذْهَبُ بِكَ الْفِكْرُ
وَأِنْ يَكُنْ قَدْرٌ قَدْ عَاقَ عَنْ وَطَرٍ
وَأِنْ تَكُنْ خِيَّةٌ فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةٌ
إِنْ كُنْتَ فِي حَيْرَةٍ عَنْ جُرْمٍ مَجْتَرَمٍ

ومنها :

يَا ضَيْغَمًا يَقْتُلُ الْفَرَسَانَ مَفْتَرِسًا
قَدْ أَخْلَقْتَنِي أَصْرُوفٌ أَنْتَ تَعْلَمُهَا
وَحَلْتُ لَوْنًا وَمَا بِالْجَسَمِ مِنْ سَقَمٍ
لَمْ يَأْتِ عَبْدُكَ ذَنْبًا يَسْتَحِقُّ بِهِ
مَا الذَّنْبُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ ذَوِي دَغَلٍ

ومنها :

لَمْ أَوْتَ مِنْ زَمَنِي شَيْئًا أَلْدُّ بِهِ
وَلَا تَمْلِكُنِي دَلٌّ وَلَا خَفَرٌ
رِضَاكَ رَاحَةَ نَفْسِي لَا فَجَعْتُ بِهِ
وَهُوَ الْمَدَامُ الَّتِي^٣ أَسْلُو بِهَا فَاذَا

فَلَسْتُ أَعْرِفُ مَا كَأْسٌ وَلَا وَتَرٌ
وَلَا سَبَبِي خَلَلَدِي^٢ غَنْجٌ وَلَا حُورٌ
فَهُوَ الْعِتَادُ الَّذِي لِلدَّهْرِ يُدْخِرُ
عَدَمَتَهَا عَبَثَتْ فِي قَلْبِي الْفِكْرُ

١ ط والديوان : أخلقتني .

٢ الهلّة : ولا تمرس بي (ولم تثبت هذه القراءة في الديوان) .

٣ ط م س : الذي .

ذكر الخبر عن حديثه يومئذ بمالقة ودخوله إياها ،
وانصرافه مفلولا دون ما تخيل من التخيم في ذراها ،
وأمل من الاستباحة لحماها

قال ابن بسام : لما سما باديس بن حبوس إلى قصبة مالقة بعد تقلص
الظلال الحمودية عن أرجائها ، وأقول النجوم العلوية في سمائها ، في خبر
خلا منه هذا المجموع حين لم يتعلق بذيله مما وقع إلي نظم ولا نثر ،
ولا أشرق في ليله مما حصل في يدي للأدب كوكب ولا بدر ، فلذلك
أضربت [٩ ب] عنه ، وأخليت كتابي منه ، وأتيت بخبر المعتمد فيها حين
أنبأ به شعر ، وجرى له على لسان الأدب ذكر ، وفاء بالشرط ، وتوفية
بالقسط :

كان^١ أهل مالقة إذا جرى ذكر عباد ارتاحوا إليه ارتياح الغصون
تحت النسيم ، ورفعوا أصواتهم بالصلاة عليه والتسليم ، هذا على ما كان
يقضي عيونهم من قبح آثاره ، ويصك أسماعهم من هول أخباره ، ويلفح
وجوههم من وهج ناره ، تشبعا لم يكن له أصل إلا شؤم الحمية ، ولؤم
العصية ، فاهتبلوا غرة من باديس أميرهم ، وناجوا عبادا بذات صدورهم ،
وألقوا إليه بأيدي تأميلهم وتأميرهم ، فجأجأوا لظمآن^٢ لا يروى على
طول الشرب ، وهزوا سيفا يكاد يهتك الضريبة قبل الضرب ، فجدا
فيها وشمتر ، ونادى أهلها وحشتر ، وكان المعتضد إذا طول اختصر ،

١ انظر البيان المغرب ٣ : ٢٧٣ .

٢ ط د م س : ساجوا الظمآن .

وإذا تُحَدَّثَ عنه على البعد حضر ، ولَبَّى دُعاةَ أهلِ مالقةَ بالخيلِ بين
الجلالِ واللبود ، وبالأبطالِ أثناءَ الحريرِ والحديد ، وأنفذَ إليهم شوكتَه
الوحيَّ سُمُّها ، وأطلعَ عليهم كتيبتَه البعيدَ همُّها ، القاسطَ^١ حكمها ،
معصبةً بابنيه جابرٍ ومحمد ، فلأولِ إطلالِ عسكره عليها هبَّتْ له ريحُ
فتحها ، وضحك في وجهه بشرُ^٢ صُبْحها ، فحلَّ لأولِ وقته بحرِيمها ،
وتحكَّم في ظالمها ومظلومها ، إلَّا فرقةً من السودانِ المغاربةِ لاذوا بذروةِ
قَصَبَتها وهي بحيثِ ينشأ تحتها الدَّجَنُ ، ويعجزُ دونَ مرامها الظنُّ ،
إنافةً مكانَ^٣ ، وإطالةً بنيانٍ ؛ وقد كان أهلُ مالقةَ أشاروا على ابني
المعتضد ، حينَ خلَّتا بينهما وبين البلد ، بإذكاء العيونِ ، وإساءة الظنون ،
وضَبْط ما حولها من المعازلِ والحصون ، فغفلا ، واستصرخ السودانُ المغاربةُ
أمرهم باديسَ فلبَّاهم بزخرةٍ من تياره ، وأقبَسَهم شرارةً من ناره ،
فلم يرُعْ ابني عبَّاد ، إلَّا صهيلُ الجياد ، وتداعي الأجناد ، بشعارِ الجلاد ،
فلم ترَ إلَّا أسيراً أو قتيلاً ، أو فازعاً إلى الفرار ما وجد إليه سبيلاً ، وامتلات
أيدي الباديسين من السلاح والكراع ، ورفلوا بين خيارِ البرِّ وفاخرِ المتاع ،
ولجأ ابنا عبَّاد إلى رُنْدَةٍ وقد انغمسا في عارها ، وصليا بنارها ، ورأيا
وجهَ الموتِ في لمعانِ أسنتها وشفارها ، ومن ثمَّ خاطبَ المعتمدُ أباه
بالشعرِ المتقدم الذكر ، وقد أخضرَ ذِمَمَهُ ، ونذرَ دَمَهُ ، ولولا أنه استجار
— زعموا — يومئذ برجلٍ من العبَّاد كان هنالك لتبَّتْ يده ، ولحق إسماعيل
أخاه .

١ س ودوزي : الغائط .

٢ ط د : وجه .

٣ دوزي : اتقان .

ورُفِعَ إلى المعتمد صَدْرَ دولته شعر ، عَزِيَّ إلى بعض الأصحاب ،
من الوزراء الكتاب ، يعرِّضُ بأبي الوليد بن زيدون فيه ، أوله ^١ :

يا أَيُّهَا الملك العليّ الأعظم	اقطعْ وريدَيَّ كلَّ باغٍ ينثمُ
[واحسم بسيفك داءَ كلِّ منافقٍ	يُبْدي الحميلَ وضدَّ ذلك يكتمُ] ^٢
لا تتركَنَّ للناسَ موضعَ شبهةٍ	واحزمْ فمثلك في العظامِ يحزم
قد قال شاعرٌ كندةٌ فيما مضى	بيتاً على مرِّ الليالي يُعلَمُ
« لا يسلمُ الشرفُ الرفيعُ من الأذى	حتى يراقَ على جوانبه الدم » ^٣

فلما سمعها المعتمد ، عرف الغرض الذي إليه قصد ، ووقَّعَ على
ظهر الرقعة ، بهذه القطعة ، وهي من جيد نظامه . وحرَّ كلامه ^٤ :

كذبتُ مناكم صرَّحوا وأجمَّجموا	ألدينُ أمتنُ والمروةُ أكرمُ
خنتُمُ ورمتمُ أن أخونَ وإنما	حاولتمُ أن يُستخَفَّ يللم
وأردتمُ تضيقَ صدرٍ لم يَضيقُ	والسُّمرُ في ثَغْرِ الصدورِ تحطَّم
وزحفتُمُ بمحالكم ^٥ لمُجربُ	ما زال يثبتُ في المحالِ فيهزم
أنِّي رجوتُمُ غدرَ مَنْ جربتمُ	منه الوفاءَ وجورَ مَنْ لا يظلم

١ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٠٦ والقلائد : ١٤ والإعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ زيادة من دوزي .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٨ .

٤ ديوان المعتمد : ٦٧ والقلائد : ١٥ والإعلام : ٢ : ٣١٦ .

٥ الديوان : النحور (عن القلائد) .

٦ ط د م س : ورجعتم لمحالكم ، وبهامش ط « وزحفتُم » .

٧ دوزي والقلائد : وظلم .

أَنَا ذَاكُمْ لَا الْبَغْيُ يُثْمِرُ غَرْسُهُ عِنْدِي وَلَا مَبْنَى الصَّنِيعَةِ يُثَلِّمُ^١
كُفُّوا وَإِلَّا فَارْقَبُوا لِي بَطْشَةً يُلْقَى السَّفِيهُ بِمِثْلِهَا فَيُحَلِّمُ

ولأبي الوليد على ذلك جوابُ شكرٍ من جملة قصيد : قال فيه^٢ :

قُلْ لِلْبَغَاةِ الْمُنْبِضِينَ قِسِيَهُمْ سَتَرُونَ مَنْ تُصْمِيهِ تِلْكَ الْأَسْهَمُ
أَسْرَرْتُمْ فَرَأَى نَجِيَّ غِيُوبِكُمْ شَيْحَانُ مَدْلُولٌ عَلَيْهِ مُلْهَمُ
مَا كَانَ حِلْمُ مُحَمَّدٍ لِيُحِيلَهُ عَنْ عَهْدِهِ دَغِيلُ الضَّمِيرِ مُذْمَمُ
فِرْقَ عَوْتَ^٣ فَزَارَتْ زَارَةً رَاجِرُ رَاعَ الْكَلِيبَ بِهَا السَّبَّيْنَتَى الضَّيْعَمُ
لِي مِنْكَ فَلْيَذِبِ الْحَسُودُ تَلْظِيًّا لُطْفُ الْمَكَانَةِ وَالْمَحَلِّ الْأَكْرَمُ
لَمْ تُلَفِّ صَاغِيَتِي لَدَيْكَ مُضَاعَةً كَلَّا وَلَا ضَاعَ اصْطِنَاعِي الْأَقْدَمُ
بَلْ أَوْسَعْتُ حِفْظًا وَصَدَقَ رِعَايَةً ذِمٌّ مَوْثِقَةُ الْعَرَى لَا تُفْصَمُ
فَلْيُخْرِقَنَّ الْأَرْضَ شُكْرٌ مُنْجِدٌ مِنِّي تَنَاقَلَهُ الْمُحَافِلُ مُنْهِمُ

ومن كلام المعتمد الجزل ، قوله يوم كَيْلٍ يخاطب الكبل^٤ :

إِلَيْكَ فَلَوْ كَانَتْ قِيُونُكَ أَشْعِرَتْ تَصَرَّمَ مِنْهَا كُلُّ كَفٍّ وَمَعْصَمِ
مَهَابَةً مَنْ كَانَ الرِّجَالُ بِسِيْبِهِ وَمِنْ سَيْفِهِ فِي جَنَّةٍ أَوْ جَهَنَمِ

ومما قاله بعد زوال سلطانه وتضعُّع بنيانه ، لما دُخِلَ عليه البلد يوم الثلاثاء منتصف رجب سنة أربع وثمانين ، خرج مدافعا عن ذاته ، وذابا عن حرمانه ، وظهر يومئذ من بأسه ، ومن تراميه - زعموا - على الموت

١ د والديوان ودوزي : تهديم (عن القلائد) .

٢ ديوان ابن زيدون : ٣١٤ والقلائد : ١٦ .

٣ ط م : غوت .

٤ ديوان المعتمد : ١١٢ .

بنفسه ، ما لا مزيد لبشر عليه ، ولا تناهي لخلق اليه ، وفي ذلك يقول^١

لَمَّا تَمَاسَكَ الدَّمْعُ	وَتَنَبَّهَ الْقَلْبُ الصَّدِيقُ
قَالُوا الْخَضُوعُ سِيَاسَةٌ	فَلْيَيْدُ مِنْكَ لَهْمُ خَضُوعٍ
وَالَّذِي مِنْ طَعْمِ الْخَضُوعِ	عَلَى فَمِي السَّمِ النَّقِيعِ
إِنْ تَسَلَّبَ عَنِي الدُّنَا ^٢	مُلْكِي وَتُسَلِّمَنِي الْجَمُوعِ
فَالْقَلْبُ بَيْنَ ضُلُوعِهِ	لَمْ تُسَلِّمِ الْقَلْبَ الضُّلُوعِ
لَمْ أُسْتَلَبْ شَرَفَ الطَّبَا	عَ أُيُسَلَّبُ الشَّرَفُ الرَّفِيعِ
قَدْ رُمْتُ يَوْمَ نَزَاهِمِ	أَلَا تَحْصَنُنِي الدَّرُوعِ
وَبَرَزْتُ لَيْسَ سِوَى الْقَمِي	صَ عَلَى الْحَشَا شَيْءٌ دَفُوعِ
وَبَذَلْتُ نَفْسِي كَيْ تَسِي	لَ إِذَا يَسِيلُ بِهَا النَّجِيعِ
أَجَلِي تَأَخَّرَ لَمْ يَكُنْ	بِهَوَايَ ذُلِّي وَالْخَضُوعِ
مَا سَرْتُ قَطَّ إِلَى الْقَتَا	لَ وَكَانَ مِنْ أَمَلِي الرَّجُوعِ
شَيْمُ الْأُولَى أَنَا مِنْهُمْ	وَالْأَصْلُ تَبِعُهُ الْفُرُوعِ [١٠ب]

قوله : « ما سرت قط إلى القتال » . . . البيت ، كقول قيس بن الخطيم^٣ :

وإني في الحرب الضروس موكل^٤ بتقديم نفسي لا أريد بقاءها

١ ديوانه : ٨٨ وبعضها في القلائد : ٢٢ والمعجب : ٢٠٢ والاعلام : ٢ : ٣١٤ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٢ الديوان والقلائد : إن يسلب القوم العدا .

٣ ديوان قيس بن الخطيم : ١٠ .

٤ ديوان قيس : باقدام .

وروى ابن قتيبة قال^١، قال أبو دلامة : كنتُ في عسكر مروان بن محمد أَيْتَامَ زَحَفَ إلى شيبان^٢ ، فلما التقى الزحفان خرج رجلٌ منهم ينادي إلى البراز ، فلم يخرج إليه أحدٌ إلاَّ أعجَلَهُ ولم يُنْهِنِهِ ، ففاظَّ ذلك مروان ، فجعل يندب الناسَ على خمسمائة ، فقتل أصحابَ الخمسمائة ، فندبهم على الألف ، ولم يزل يزيد حتى نادى بخمسة آلاف ، قال أبو دلامة : وكان تحيُّ فرس لا أخافُ خَوْنَهُ ، فلما سمعتُ بخمسة آلاف اقتحمت الصفَّ ، فلما نظر إليَّ الخارجي علم أنني خرجتُ للطمع ، فبرز إليَّ وهو يقول^٣ :

وخرج أخرجَهُ حُبُّ الطَّمَعِ
فَرًّا من الموت وفي الموت وقعَ
من كان ينوي^٤ أهله فلا رجع

فلما وقرتُ في أذني انصرفتُ عنه هارباً ، فجعل مروان يقول : من هذا الفاضح ؟ إيتوني به ، ودخلتُ في غمار الناس .
وقيل^٥ كان أبو دلامة مع أبي مسلم في بعض حروبه مع بني أمية ، فدعا رجلاً إلى البراز فقال له أبو مسلم : اخرج إليه ، فأنشأ يقول :

١ انظر الشعر والشعراء : ٦٦١ والأغاني : ١٠ : ٢٥٦ - ٢٥٧ .

٢ ثار في زمن مروان اثنان كل منهما يعرف بشيبان وهما شيبان بن عبد العزيز الشكري وشيبان بن سلمة (المعروف بشيبان الأصفر) ، وفي م س والأغاني : سنان ؛ د : سنار ؛ ط : سناس .

٣ انظر شعر الخوارج : ٢٢١ (الطبعة الثانية) .

٤ ط د م س : يهوى .

٥ الأغاني : ١٠ : ٢٨٠ .

ألا لا تلمني إن هربت^١ فانتقي أخاف على فخارقي أن تحطما
فلو أتيت أبتاع في السوق مثلها وجدك ما باليت أن أتقدم

وحدث أيضاً أبو دلالة قال^٢ : أتيت بي المنصور وأنا سكران ، فحلف
أن يخرجني في بعث حرب ، فأخرجني مع رَوْح بن حاتم المهلبتي لقتال
الشراة ، فلما التقى الجمعان قلت لروح : لو أن نخي فرسك ومعك سلاحك
لأثرت اليوم في عدوك أثراً ترتضيه ، فتزل عن فرسه ونزع سلاحه ، فلما
حصل ذلك في يدي وزالت حلاوة الطمع أنشدته :

إنني استجرتك أن أقدم في الوغى لتطاعن وتنازل وضراب
فهب السيوف رأيتها مشهورة فركتها ومضيت في الهرب
ماذا تقول لما نجي ولا تترى من بادر^٣ الموت بالنشاب

قال : دع عنك هذا ، وبرز رجل من الخوارج فقال : اخرج إليه ،
قلت : أنشدك الله في دمي أيها الأمير ، ان هذا أول يوم من أيام الآخرة
وآخر يوم من أيام الدنيا ، وأنا والله جائع ما تنبعت مني جارحة من الجوع ،
فأمر برغيفين ودجاجة ، فأخذت ذلك وبرزت إلى الصف ، فلما رأي الخارجي
أقبل نحوي وتحدثنا ، وقلت : إن معي زاداً أحببت أن تأكله معي وما
أريد قتالك ، فجعلنا نأكل على ظهور دوابنا والناس يضحكون ، فلما
استوفيناه ودعني ، فلما انصرف قلت لروح : قد كفيبتك قيرتي فقل
لغيري يكفيك قيرته . ثم خرج آخر يدعو إلى المبارزة فقال : اخرج إليه فقلت :

١ الأغاني : فررت .

٢ الأغاني ١٠ : ٢٥٥ .

٣ الأغاني : واردات ؛ ط م س : باردات .

لَئِنِّي أَعُوذُ بِرَوْحِ أَنْ يَقْدُمَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَتَخْزِي بِي بَنُو أَسَدٍ
 إِنْ الْبَرَازَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ مِمَّا يَفْرُقُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ [١١١]
 إِنَّ الْمَهْلَبَ حَبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ وَمَا وَرِثْتُ اخْتِيَارَ الْمَوْتِ مِنْ أَحَدٍ
 لَوْ أَنَّ لِي مَهْجَةً أُخْرَى لَجَدْتُ بِهَا لَكِنَّهَا خُلِقَتْ فَرْدًا فَلَمْ أَجِدْ

فضحك وأعفاني .

رجع : ثم التوت بالمعتمد الحال أياماً يسيرة ، والناس بمحضرة اشبيلية
 قد استولى عليهم الفزع ، وخامرهم الجزع ، يقطعون سبلها سياحة ،
 ويخوضون نهرها سياحة ، ويترامون من شرفات الأسوار ، ويتوكلون مجابي
 الأقدار، حرصاً على الحياة ، وحسناً من الوفاة ، فلما كان يوم الأحد الموفي
 عشرين من رجب المؤرخ ، دخل البلد على المعتمد بعد أن جدَّ الفريقان في
 القتال ، واجتهدت الفئتان في التزال ، وفي أثناء تلك الحال ، وما كان يتناجي
 باله من اللبلال ، خاطب أبا بكر المنجم الحولاني بهذه الايات ١ :

أَرَمِدْتَ أَمْ يَنْجُومُكَ الرَّمْدُ قَدْ عَادَ ضِدًّا كُلُّ مَا تَعِدُ
 هَلْ فِي حَسَابِكَ مَا نَوْمَتُهُ أَمْ قَدْ تَصَرَّمَ عِنْدَكَ الْأَمْدُ
 قَدْ كُنْتَ تَهْمِسُ إِذْ تَخَاطَبَنِي وَتَخَطُّ كَرَهَا إِنْ عَصَتِكَ يَدُ
 فَالآنَ لَا عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ أَتَرَكَ غَيْبَ شَخْصِكَ الْبَلَدُ
 وَتَرَكَ بِالْعُرَاءِ فِي عُرْسٍ أَمْ إِذْ كَذَبْتَ سَطَا بِكَ الْأَسَدُ
 الْمَلِكُ لَا يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ وَالْمَوْتُ لَا يَبْقَى لَهُ أَحَدُ

ثم أخرج المعتمد في ذلك اليوم إلى أن أطلقت إليه جميع أمتهات أولاده
 وبنيه ، وكل ما يختص به من أقاربه وذويه ، وعُمِرَ بهم مركبٌ فركبوا

١ ديوان المعتمد : ٨٧ .

البحر ورزقوا السلامة فيه ، إلى أن وصلوا إلى أمير المسلمين وناصر الدين ،
 أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فبقوا هنالك في كَتَفِهِ وَذَرَى
 فضله ، تحت إحسان عميم ، وبذل نائل جسيم ، حتى انقرضت هنالك
 أيامه ، ووافاه حِمَامُهُ ، بعد مرضٍ شديدٍ أصابه ، وكانت وفاته
 في ربيع الأول سنة ثمان وثمانين ، وكان مولده في ربيع الأول سنة إحدى
 وثلاثين .

ومن النادر الغريب أنه نودي في جنازته بالصلاة على الغريب ، بعد عظيم
 سُلْطَانِهِ ، وجلالة شأنه ، فتبارك من له البقاء ، والعزة والكبرياء . وبلغني أنه
 لما أحسَّ بالوفاة ، رثى نفسه بهذه الأبيات ^١ :

قبر الغريب سقاك الراحُ الغادي	حقاً ظفِرتَ بأشلاءِ ابن عبّادٍ
بالطاعنِ الضاربِ الرامي إذا اقتلوا	بالخِصْبِ إنْ أجذبوا بالرّيِّ للصّادي
نعم هو الحقّ وافاني به قدَرٌ	من السماءِ فوافاني لميعادِ [١١ب]
ولم أكنْ قبلَ ذاكِ النعشِ أعلمُهُ	أنّ الجبالَ تهادى فوق أعوادِ
فلا تزلْ صلواتُ الله نازلةً	على دفينك لا تُحصَى بتعدادِ

ثم وصّى بأن تثبت على قبره .

وتنازعت يومئذٍ لمةٌ من أهل الأدب بأغمات ، ورثوه بقصائد مطوّلات ،
 منهم أبو بحر بن عبد الصمد ^٢ ، رثاه بقصيد أوله ^٣ :

١ ديوانه : ٩٦ والمعجب : ٢٢٢ والاعلام : ٢ : ٣٢٠ - ٣٢١ .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٠٩ .

٣ أبياته في القلائد : ٣١ والنفع : ٤ : ٢٢٤ ، ٢٥٩ والاعلام : ٢ : ٣٢١ .

ملك الملوك أسامع^١ فأنادي أم قد عدتكَ عن السماع عواد
لما نُقِلت من القصور فلم تكن فيها كما قد كنت في الأعياد
قبَلت في هذا الثرى لك خاضعاً وجعلتُ قبرك موضع الإنشاد

وأنشد على قبره وفعل ما ذكر : قبل التراب ومرغ جبينه وعفّر ، فأبكي
من حضر^٢ .

وبلغني أيضاً عن بعض بني عباد أنه أنشد في النوم قبل حلول الفاقة
بهم هذه الأبيات^٣ :

ما يعلم المرءُ والدنيا تمرُّ به بأنَّ صرفَ ليالي الدهرِ محذورُ
بيننا الفتي مرَدٌ في مسرّتهِ وافى عليه من الأيامِ تغييرُ
وفرَّ من حوله تلك الجيوشُ كما تفرَّ إنْ عايَنتُ صقراً عصافيرُ
وخرَّ خُسراً فلا الأيامُ دُمنَ له ولا بما وُعدَ الأحرارُ محبورُ
من بعد سبعِ كأحلامٍ تمرَّ وما يرقى إلى الله تهليلٌ وتكبيرُ
يحلّ سوءٌ بقومٍ لا مرَدَّ له وما تُردُّ من الله المقاديرُ

وكذلك حكى عن رجل أنه رأى في منامه إثرَ الكائنةِ عليهم كأنَّ
رجلاً صعد منبرَ جامع قرطبة واستقبل الناسَ ينشدهم^٤ :

ربَّ ركبٍ قد أناخوا عيسَهمُ في ذرى مجدهمُ حينَ بسَقُ
سكت الدهرِ زماناً عنهمُ ثم أبكاهمُ دماً حينَ نطقُ

١ قارن بقوله في القلائد : « . . . وقال بعد أن طاف بقبره والتزمه ، وخر على ترابه ولثمه ،
فانحشر الناس إليه وانحفلوا ، وبكوا لبكائه وأعولوا » .

٢ الخلة ٢ : ٦٣ .

٣ الخلة ٢ : ٦٤ والمعجب ٢١٧ .

فلما سمع المعتمد ذلك أيقن أنه نعيٌ لملكه ، وإعلامٌ بما انتثر من
سلكه ، فقال ^١ :

من عزا المجدَ إلينا قد صدق	لم يُلِّمَ من قال مهما قال حق
مجدنا الشمسُ سناءً وسناً	من يَرُمُ سترَ سناها لم يطق
أيها الناعي إلينا مجدنا	هل يضيرُ المجدَ إن خطبُ طرق
لا تُرْعَ للدمع في آفاقنا	مزجتهُ بدمٍ أيدي الخرق
حقن الدهر علينا فسطا	وكذا الدهرُ على الحرّ حق
وقديماً كَلِيفَ الملكُ بنا	ورأى منا شمساً فعشق
قد مضى منا ملوكٌ شهروا	شهرة الشمس تجلّت في الأفق
نحن أبناءُ بني ماءِ السما	نحونا تطمحُ الحاظُ الحدق
وإذا ما اجتمع الدينُ لنا	فحقيرٌ ما من الدنيا افترق

قال ابن بسام : والبيتان اللذان ^٢ أنشدا في المنام رواهما الرواة [١٢ أ]
في خبر النعمان بن المنذر ، وهو أنه نزل تحت شجرة ، ومعه عدي ^٣ بن زيد
فقال له : أتدري ما تقول هذه الشجرة أيها الملك ؟ قال : وما تقول ؟ قال
تقول :

ربّ ركبٍ قد أناخوا حولنا يشربون الخمر بالماء الزلال
ثم أضحووا لعبَ الدهرُ بهم وكذلك الدهر حال بعد حال

فتكدّر على النعمان نعيمُ يومه الذي كان فيه .

١ المصدر نفسه .

٢ ط م س : الذي .

٣ ط م د س : علي .

ويتعلق بذيل هذا الخبر قول الآخر ^١ : سل الأرض من غرس أشجارك
 وشق أنهارك ، وجنى ثمارك ، فان لم تجنك حواراً ، أجاتك اعتباراً . وقال
 بعض الحكماء ^٢ : أشهد أن في السموات والأرض آيات ودلالات ، وشواهد
 قائمات ، كل تؤدي عنه الحجة ، وتشهد له بالربوبية .

وجلس أبو العتاهية بجانوت وراق فأخذ كتاباً وكتب على ظهره ^٣ :
 أيا عجباً كيف يُعصى الاله أم كيف يجده جاحد
 وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

فلما انصرف اجتاز بالموضع أبو نواس فقال : لمن هذه ؟ لوددتها لي
 بجميع شعري . قيل له : لأبي العتاهية ، فكتب تحتها ^٤ :

سبحان من خلق الخلق ق من ضعيف مهين
 فصاغه في قرار إلى قرار مكين
 يحول^٥ شيئاً فشيئاً في الحجب دون العيون
 حتى بدت حركات مخلوقة من سكون

وإلى هذا المعنى ذهب أبو الطيب بقوله ^٦ :

١ عيون الأخبار ٢ : ١٨٢ وكتاب الصناعتين : ١٤ وزهر الآداب : ٣٣٣ .

٢ زهر الآداب : ٣٣٢ .

٣ ديوانه : ١٠٤ وزهر الآداب : ٣٣٢ .

٤ زهر الآداب : ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٥ ط م د س : فصاغها .

٦ ط م د س : تحول .

٧ ديوان المتنبي : ٢٣٩ .

تُنشِدُ أَثَوَابَنَا مَدَائِحَهُ بِالنُّسْنِ مَا لَهْنَ أَفْوَاهُ
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى الْأَصَمِّ بِهَا أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيْنِهِ عَيْنَاهُ

ومنها قول نصيب ^١ :

فَعَاجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنَتَ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ

وقال أبو تمام ، وله بهذا المعنى بعض الإلمام ^٢ :

مِنَ الْقَلَاصِ اللُّوَاتِي فِي حَقَائِبِهَا بَضَاعَةٌ غَيْرُ مُزْجَاةٍ مِّنَ الْكَلَمِ

وأخذه بعض أهل عصرنا ، وهو الوزير أبو محمد بن عبدون ، فقال للمتوكل ^٣ :

فَجَاءَتْهُ لَمْ تَبْصُرْ سَوَى الْبَشَرِ هَادِيَا وَسَلَهُ وَلَمْ يَسْمَعْ سَوَى الشُّكْرِ حَادِيَا
هُوَادٍ عَلَى أَعْجَازِهَا قِيمَ النَّدَى فَأَرْبَحُ بِهَا مِشْرِيَّ حَمْدٍ وَشَارِيَا ^٤

وهذا المعنى الذي افْتَنُوا قِيَهُ نظماً ونثراً ^٥ هي النصب ^٦ الدالة بذاتها التي وصفها الجاحظ في أقسام البيان .

رجع : وكان أبو بكر الداني ماثلاً لبني عبّاد بطبعه ، إذ كان المعتمد

١ ديوان نصيب : ٥٩ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦ .

٣ تردد ترجمته في ما يلي من هذا القسم وفيها البيتان .

٤ في النسخ : هاديا ، وصوبناه بحسب ما سيحيى في ترجمة ابن عبدون .

٥ ط د : نثراً ونظماً .

٦ النصب هي الحال الدالة التي تقوم مقام الدلالات الأخرى من لفظ وإشارة وعقد وخط (البيان

١ : ٧٦) ، وفي ط د س م : النسبة .

الذي جذب بضبعه . وله في البكاء على أيامهم ، وانتشار نظامهم ، عدة مقطوعات ، وقصائد مطولات ، يشتملُ عليها جزءٌ لطيف ، صدر عنه في صيغة تأليف ، وهيئة تصنيف ، ضلَّ فيه وأضلَّ « والنذرُ يُعذَّرُ في القدر الذي حمَل » سَمَاهُ بـ « نظم السلوك » ، في وعظ الملوك « ترجمة راقية بلامعنى . : ليست من الغرض الذي نحاه ولا المغزى ؛ على أنه كان شاعراً يتصرّف ، وقادراً لا يتكلّف ، فوفد هنالك على المعتمد وفادة وفاء ، ولا وفادة استجداء ، وانقطع إليه انقطاع وداد . لا انقطاع استرفاد . وله أشعارٌ سائرة ، ومعه أخبارٌ نادرة . تدلّ على كرم طُعْمَتِهِ . وبُعْدِ هِمَّتِهِ . وأنا أورد هاهنا منها ما يليقُ بالديوان . ويروق في السماع والعيان .

حدث الداني عن نفسه قال : لما أردت الانفصال عنه هنالك بعثَ إليّ بعشرين مثقالاً وشقة رازي بغدادي . وكتب مع ذلك ^١ :

إليكَ التزر من كف الأسير	فان تَقَبَّلْ تَكُنْ عَيْنَ الشُّكُورِ
تَقَبَّلْ ما يذوبُ له حياءٌ	وان عَذَرَتْهُ حالاتُ الفقيرِ
ولا تعجبْ لخطبِ غَصْرٍ ^٢ منه	أليسَ الخسفُ ملتزمَ الدورِ
ورجٌ يجبره عَقْبِي نداه ^٣	فكم جَبَرَتْ يدهُ من كسيرِ
وكم أعلتْ علاه من حضيض	وكم حَطَّتْ ظُباهُ من أميرِ
وكم مِن مَنبرِ حنّتْ إليه	أعالي مرتقاه ومن سريرِ
زمانَ تراجعتْ عَن جانبيه	جِادُ الخيلِ بالموْت الميرِ

١ ديوان المعتمد : ١٠٢ والمعجب : ٢١٩ والاعلام : ٢ : ٣٢٢ .

٢ ط د م س : غص .

٣ ط د م س : يده .

٤ دوزي : تراجعت .

فقد نظرتُ إليه عيونُ نحسٍ مضتُ منه بمعدومِ النظيرِ
نحوسٌ كُنَّ في عقبي سعودٍ كذاك تدورُ أقدارُ القديرِ

قال الداني : فرددتُ عليه صلته وكتبتُ إليه مع ذلك ^١ :

سقطتُ من الوفاءِ على خيرٍ فذرّني والذي لك في ضميري
تركنتُ هواك وهو شقيقُ ديني لئن شُقتُ برودي عن غدورِ
ولا كنتُ الطليقَ من الرزايا لئن أصبحتُ أجحفُ بالأسيرِ
أسيرُ ولا أصيرُ إلى اغتنامٍ معاذَ الله من سوء المصيرِ
أنا أدرى بفضلِكَ منك إني لبستُ الظلَّ منه في الحرورِ
غنيُّ النفسُ أنت وإن ألحَّتُ على كَفَيْكَ حالاتُ الفقيرِ
تُصَرِّفُ في الندى حيلَ المعالي فسمحُ من قليلٍ بالكثيرِ
أحدثُ منك عن نبعٍ غريبٍ تفتّحُ عن جنى زهرٍ نصيرِ
جذيمةُ أنت والزباءُ خانتُ وما أنا من يقصرُ عن قصيرِ
وأعجبُ منك أنك في ظلامٍ وترَفَعُ للعُفاةِ منارُ نورِ
[رويدك سوف توسعني سروراً إذا عاد ارتقاؤك للسريّرِ
وسوف تحلّتي رُتبَ المعالي غداةَ نحلُّ في تلك القصورِ
تزيدُ على ابن مروانِ عطاءً بها وأزيدُ ثمَّ على جريرِ ^٢
تأهبَّ أن تعودَ إلى طلوعٍ فليس الخسفُ ملتمَ البدورِ] ^٣

١ انظر ديوان المعتد : ١٠٣ والمعجب : ٢٢٠ والخريدة : ٢ : ٤١ والنفع : ٤ : ٩٦ - ٩٧

والاعلام : ٢ : ٣٢٢ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ - ١٢١ .

٢ يشير إلى أن جريراً مدح الأمويين بأنهم أعطوا « هنيئة » وهي مائة من الأبل .

٣ هذه الأبيات زيادة من دوزي .

قال الداني : فراجعني المعتمد بهذه الأبيات ^١ :

ردّ برّي بغياً عليّ وبرّاً	وجفا فاستحقّ لوماً وشكراً
حاط ^٢ نرّي إذ خاف تأكيدَ ضرّي	فاستحقّ الجفاء إذ حاط نزراً
فلذا ما طويتُ في الحمدِ بعضاً	عاد لومي في البعض سرّاً وجهراً
يا أبا بكرٍ الغريبَ وفاءً	لا عدمناك في المغارب ذخراً
أيّ نفعٍ يجدي احتياطُ شفيقٍ	مت ^٣ ضرّاً فكيف أُرهبُ ضرّاً

[١٣ أ] وهذا المصراع الأخير ، كأنه إلى بيت أبي الطيب يشير ^٤ :

• أنا الغريق فما خوفي من البلل •

قال الداني : فراجعته ^٥ :

أيتها الماجدُ السّميدُ قدرا	صرفني البرّ إنّا كان برّاً
حاشَ لله أنْ أجيعَ كريماً	يتشكّى فقراً وكم سدّ فقراً
ليت لي قوّةٌ أو آوي لركنٍ	فترى للوفاء مني سرّاً
أنت علّمتني السيادة حتى	صرت أرقى على الكواكب قدرا
ربحت صفقةً أزيل بروداً	عن أديمي بها وألبس فخراً
وكفاني كلامك الرطب نبلاً	كيف ألقي درّاً وأطلب تبرا
لم تَمُتْ إنّما المكارم ماتت	لا سقى الله بعدك الارض قطرا

١ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ .

٢ م والديوان : عاف ؛ س : خاف .

٣ م ط د س : بت .

٤ ديوانه : ٣٢٨ ، وصدر البيت : « والمجر أقتل لي ما أراقبه » .

٥ ديوان المعتمد : ١٠٤ والمعجب : ٢٢١ وبمضها في النسخ ٤ : ٩٧ .

٦ الديوان ودوزي : ناهضت همّي .

قال الداني : وبلغت حالي عنده من التقريب والترحيب أن أفرطت في الإدلال ، وانبسطت في الاسترسال ، وخاطبته في أن يكون زادي من نعمائه ، وأن يحاول صنعته بعض إمامه ، حرصاً مني على التشريف ، وسعياً إلى الاستزادة من شكر المعروف ، فكان ذلك على أحسن وجه ، وشكر غاية الشكر انبساطي ، وتحقق به صحة ارتباطي ، وكنت خاطبته في ذلك بهذه القطعة :

وداعٌ ولكني أقول سلام	وللنفس في ذكر الوداع حِمامٌ
أخادع نفساً إنْ تحققت النوى	فليس لها بين الضلوع مقام
قد ائتلفت أهواؤها بك جملةٌ	كما ائتلفت في وكرهن حمام
وشقت عن النصح المبين جيوبها	كما شقت عن زهرن كمام
أكرّر لحظي في محبّاك إنّه	لنور الهدى فيه عليك قسام ^١
وأحمل من تقبيل كفك سودداً ^٢	على عاتق الجوزاء منه حسام
أملّسني النعمى قديماً ومثلها	حديثاً وأحداث الزمان عظام
لأجلستني حتى اتكأت ولم يزل	يُدلّ على المولى الكريم غلام
عسى عند حمل العيس رحلي في غدٍ	يُهيّأ من زادي لديك طعام
وميلي إلى الطاهي وطيب إرادة	ليثبت لي في وصف ذاك كلام
وكيف أزيد المجد صحف محاسن	سهرت لها والعالمون نيام

قال : فأجاني بقوله^٣ :

كلامك حرٌّ والكلام غلام	وسحرٌ ولكن ليس فيه حرام
ودرٌ ولكن بين جنبيك بحرُه	وزهرٌ ولكن الفؤاد كمام

١ هامش ط : في أخرى : محيا لنور الهدى فيه قسام .

٢ خ بهامش ط : من كفك مجدداً وسودداً .

٣ ديوان المعتمد : ١١٣ .

وبعدُ فإن ودّعني بخداة
أعني^١ على نفسي بترويد نفسها
فدونكته إذ لم أجِد لي حيلة
فهنتته زاداً وفي الصدر وقدة
لقد كان قال من سمائك مؤنس
تحليت بالداني وأنت مباعد
ويا عجباً حتى السمات نخونني
أضاء لنا أغمات قربك برهة
تسيرُ إلى أرض بها كنت مضغة
وأبقى أسامُ الذل في أرض غربة
فبلّغتها في ظل أمنٍ وغبطة
فحقّي^٢ أن^٣ يجني عليك ملام
بلى قول^٢ لاشي^٢ علي^٢ حرام
وقلبي فاعلم في الطعام طعام
وللصبر من دون الفؤاد مرام
وقد عاد ضدّاً فالغزاء رمام
فيا طيب بدء لو تلاه تمام
وحق انتباهي للصديق منام
وعاودها حين ارتحلت ظلام
وفيهما اكتست باللحم منك عظام
وما كنت لولا الغدر ذاك أسام
وسنّي لي مما يعوق سلام

قال ابن بسام : وكان الحُصْرِيّ المكفوف القروي قد طرأ على الأندلس في مدّة ملوك طوائفها ، فتهادته تهادي الرياض للنسيم ، وتنافسوا فيه تنافس الديار في الأنس المقيم ، ولما خلّعوا وأخوت تلك النجوم ، وطُمِسَتْ للشعر تلك الرسوم ، اشتملت عليه مدينة طنجة وقد ضاق ذرعُهُ ، وتراجع طبعُهُ ، فتصدّى إلى المعتمد في طريقه ، وهو في تلك الحال ، من الاعتقال ، بأشعار له قديمة صدرها في الرباب وفرثي ، وعجزها في الاستجداء وطلب اللهى ، خارجة عن الغرض والمقرى ، مما كان فيه المعتمد يومئذ ، وألح عليه بالوصول بتلك الأشعار إليه ، فندبه كرمُ جبلته إلى مقارضته ،

١ ط م : أن يجني عليه .

٢ ط : أعين .

٣ ط م دس : وقول .

عند مفاوضته ، فطبع على ثلاثين مثقالاً لم يمكنه سواها ، وأدرج قطعة شعر
طيها معتلراً من نزرها ، راغباً في قبول أمرها ، فلم يجاوبه الحصريّ عما
حصل حينئذ من قبيله لديه ، فكتب المعتمد بهذه الأبيات إثر ذلك إليه ^١ :

قُلْ لِمَن قَدْ جَمَعَ الْعِلْمَ م وَمَن أَحْصَى صَوَابَهُ
كَانَ فِي الصَّرَةِ شَعْرٌ فَتَنْظَرُنَا جَوَابَهُ
قَدْ أَثْبَنَّاكَ فَهَلَاءَ جَلَبَ الشَّعْرُ ثَوَابَهُ

واتصل فعلُ المعتمدِ بالحصريّ إلى جماعة من زعانف الشعراء ، وكلُّ
طالب حياء ، من مشحوذِ المدية ، في الكُدَيْةِ ، فتعرضوا له بكلِّ
قارعة طريق ، وجاموه من كلِّ فجٍّ عميق ، يحسبون الدفلى من حاله نور
اجتناء ، ويعتقدون السراب في أمره غدير ماء ، وطىّ الحال ، كان ما لا
مزيد عليه من الاختلال ، وعند ذلك قال ^٢ :

شعراء طنجة كلّهم والمغربِ ذهبوا من الاغراب أبعد مذهبِ
سألوا العسير من الأسير وانه بسؤالهم لأحقُّ فاعجب واعجبِ
لولا الحياء وعزّةُ لحميّةُ طيّ الحشا ناغاهم ^٣ في المطلبِ
قد كان أن سئِلَ الندى يُجْزَلَ وان نادى الصريخُ يبابه اركبْ يركبِ

١ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والاعلام : ٢ : ٣١٥ .

٢ ديوان المعتمد : ٩١ والمعجب : ٢٠٦ والحلة : ٢ : ٦٧ وغنّارات الصيرفي : ١١٩ .

٣ الديوان : لحكامهم .

٤ ط د م س : الغنى .

وعند ذلك قال ^١ :

قل لمن يطمع في نائله
راح لا يملك إلا دعوة^٢
قد أزال البأسُ ذاك الطمعا
رحم^٣ الله العفاة الضيعة

وسأله رجل يعرف بابن الزنجاري أن يزوده من شعره فكتب إليه ^٣ [١٤]

لو أستطيع على التزويد بالذهب
يا سائل الشعر يجتأبُ الفلاة به
زاد^٤ من الريح لا ري ولا شبع^٥
أصبحتُ صيفراً يدي مما تجود به
ذلّ وفقرٌ أدالا عزة^٦ وغني^٧
قد كان يستلبُ الجبارَ مهجته
والملكُ يحرسه في ظلّ واهيه
فحين شاءَ الذي آتاه ينزعه
فهاكها قطعة^٨ تطوى لها حسداً

فعلتُ لكنّ عدائي طارقُ الثوبِ
تزويدك الشعر لا يغني عن السغب
غدا له مؤثراً ذو اللب والأدب
ما أعجب القدر المقدور في رجب
نعمى الليالي من البلوى على كتب
بطشي ويحيا قتيلُ الفقر في طلبي
غلب^٩ من العجم أو شم^{١٠} من العرب
لم يجند شيئاً قراعُ السمر والقضب
«السيفُ أصدقُ إنباء^{١١} من الكتب»

ومما قاله في ابنه ، وتعجب من حاله ، قال ^٤ :

بكت أن رأيت لافين ضمهما وكر
بكت لم تُرقِ دمعاً وأسبلتُ عبرة^{١٢}
وناحت وباحث واستراحت بسرّها
وما نطق حرقاً ييوج به سرّ

مساءً وقد أخنى على لافها الدهرُ
يقصّر عنها القطرُ مهما همى القطرُ
وما نطق حرقاً ييوج به سرّ

١ من أبيات في ديوانه : ١٠٨ .

٢ الديوان : جبر .

٣ ديوانه : ٩٢ .

٤ ديوانه : ٦٨ والقلائد : ٢١ .

فمالي لا أبكي أم القلب صخرة
 بكت واحداً لم يشجها غير فقده
 بني صغير أو خليل موافق
 ونجمان زين للزمان احتواهما
 غدرت إذن إن صن جفني بقطرة
 فقل للنجوم الزهر تبكيهما معي
 وكم صخرة في الأرض يجري بها نهر
 وأبكي لآلاف عديدهم كثر
 يمزق ذا قفر ويغرق ذا بحر
 بقرطبة النكداء أو رندة القبر
 وإن لؤمت نفسي فصاحبها الصبر
 مثلهما فلتحزن الأنجم الزهر

قال ابن بسام : وهذه القطعة يشبه أولها قطعة عوف بن محلم ، وما أراه إلا بها ألم ، وعلى منوالها سدي وألم ، وهي ^١ :

وأرقي بالري نوح حمامة
 على أنها ناحت ولم تذر عبرة
 وناحت وفرخاها بحيث تراهما
 فنحت وذو الشجو الغريب ينوح
 ونحت وأسراب الدموع سفوح
 ومن دون أفراخي مهامه فيح

وقال المعتمد أيضاً يبكيهما بما يفتت الكبد ، ويفت العضد ^٢ :

يقولون صبراً لا سبيل إلى الصبر
 هوى الكوكبان الفتح ثم شقيقه
 ترى زهرها في مآتم كل ليلة
 ينحن على نجمين ، أكلت ذا وذا
 [١٤ب] أفتح لقد فتحت لي باب رحمة
 توليتما والسن بعد صغيرة
 سأبكي وأبكي ما تطاول بي عمري
 يزيد فهل عند الكواكب من خبر ^٣
 تخمش لهما وسطه صفحة البدر
 وأصبر ما للقلب في الصبر من عذر
 كما بيزيد الله قد زاد في أجري
 ولم تلبث الأيام أن صغرت قدري

١ طبقات ابن المعتز : ١٨٧ وابن خلكان ٣ : ٨٦ .

٢ ديوان المعتمد : ١٠٥ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٣ ط م د : صبر ؛ س : صهر .

توليتما حين ابتهت بكما العلا
فلو عدتما لاخترتما العود في البرى
بعيد على سمعي الحديد نشيده
مع الأخوات الهالكات عليكما
فتبكي بدمع ليس للقطر مثله
أبا خالد أورثني الحزن خالداً
وقبلكما قد أودع القلب حسرة
إلى غاية ، كل إلى غاية يجري
إذا أنتما أبصرتما في الأسر
ثقيلاً فتبكي العين بالحس والنقر
وأمتكما الثكلي المضرة الصدر
وتزجرها التقوى فتصغي إلى الزجر
أبا النصرمذ ودعت ودعني نصري
تجدد طول الدهر ثكل أبي عمرو^١

قوله : « فلو عدتما لاخترتما العود في البرى ... » البيت ، كأنه من أشعار النساء ، وأراه ينظر إلى قول الخنساء في صيغة المبني ، وإن خالفه في المعنى ، وهو^٢ :
فلولا كثرة الباكين حولي على إخوانهم لقتلت نفسي

وأبو عمرو الذي ذكره هو ابنه المقتول بقرطبة على يدي ابن عكاشة ، حسبما يأتي شرحه في موضعه من هذا المجموع إن شاء الله .

قال أيضاً فيهما يندبهما بما يوقد الضلوع ، ويسكب الدموع^٣ :

يا عين عيني أقوى منك تهانا
ونار برقك تخبو إثر وقدها
نار وماء صميم القلب أصلهما
أبكي لحزن وما حملت أحزانا
رنار قلبي تلتقي الدهر بركانا
متى حوى القلب نيراناً وطوفانا

١ أبو عمرو ابنه الملقب سراج الدولة . وسيأتي الحديث عنه في ما يلي .

٢ انظر السط : ١٤٥ .

٣ ديوان المعتمد : ٦٩ ومختارات الصيرفي : ١٢٠ .

٤ العين : مطر أيام لا يقلع .

٥ ط م د س : يلقى .

ضدَّانَ أَلْفَ صَرَفُ الدَّهْرِ بَيْنَهُمَا
 بَكَيْتُ فَتَحاً فَإِذَا نَادَيْتُ^١ سَلَوْتَهُ
 يَا فَلَذَتْنِي كَبْدِي بِأَبْنَى تَقْطَعُهَا
 لَقَدْ هَوَى بِكَمَا نَجْمَانِ مَا رَمَى
 مَخْفَفٌ عَنْ فَوَادِي أَنْ تُكَلِّكُمَا
 يَا فَتَحُ قَدْ فَتَحْتَ تِلْكَ الشَّهَادَةَ لِي
 وَيَا يَزِيدُ لَقَدْ زَادَ الرَّجَا بِكَمَا
 كَمَا شَفَعْتَ أَخَاكَ الْفَتْحَ تَبِعَهُ
 مِنِّي السَّلَامُ وَمَنْ أُمَّ مُفْجَعَةً
 أَبْكِي وَتَبْكِي وَتُبْكِي غَيْرَنَا أَسْفَاً

لَقَدْ تَلَوْنَ فِي الدَّهْرِ أَلْوَانَا
 ثَوَى يَزِيدُ فَزَادَ الْقَلْبَ نِيرَانَا
 عَنْ وَجْدِهَا بِكَمَا مَا عَشْتُ سَلْوَانَا
 إِلَّا مِنْ الْعُلُوِّ بِالْأَلْحَاطِ كَيَوَانَا
 مَثْقُلٌ لِي يَوْمَ الْحَشْرِ مِيزَانَا
 بَابَ الطَّمَاعَةِ فِي لَقِيَاكَ جَذَلَانَا
 أَنْ يَشْفَعَ اللَّهُ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانَا
 لِقَاكَ اللَّهُ غَفْرَانَا وَرِضْوَانَا
 عَلَيْكُمَا أَبَدًا مَثْنَى وَوَحْدَانَا
 لَدَى التَّذَكُّرِ نِسْوَانَا وَوَلْدَانَا

واجتاز يوماً عليه بموضع ثِقَافِهِ سِرْبُ القَطَا فَهَاجَ وَجْدَهُ ، وَأَثَارَ
 مِنْ لَاعِجِ الشَّوْقِ مَا عِنْدَهُ ، فَقَالَ^٢ :

بَكَيْتُ إِلَى سِرْبِ القَطَا إِذَا مَرَرَنِي
 [١٥ أ] وَلَمْ تَكُ وَاللَّهُ الْعَلِيمُ حَسَادَةً
 فَأَسْرَحَ لَا شَمْلِي صَدِيعٌ وَلَا الْحِشَا
 هَنِيئاً لَهَا أَنْ لَمْ يُفَرِّقْ جَمِيعُهَا
 وَأَنْ لَمْ تَبَيْتْ لَبِلاً تَطِيرُ قُلُوبُهَا
 وَمَا ذَاكَ مِمَّا يَعْتَرِينِي وَإِنَّمَا

سَوَارِحَ لَا سِجْنَ يَعُوقُ وَلَا جَبْلُ
 وَلَكِنْ حَنِئاً أَنْ شَكْلِي لَهَا شَكْلُ
 وَجِيعٌ وَلَا عَيْنَايَ يُبْكِيهِمَا ثُكْلُ
 وَلَا ذَاقَ مِنْهَا الْبَعْدَ مِنْ أَهْلِهَا أَهْلُ
 إِذَا اهْتَرَّ بَابُ السِّجْنِ أَوْ صَلَّصَلِ الْقِفْلُ
 وَصَفَتْ الَّذِي فِي جَبَلَةِ الْخَلْقِ مِنْ قَبْلِ

١ الديوان : فإذا ما رمت .

٢ ديوان المعتمد : ١١٠ والقلائد : ٢٨ .

٣ ط م د س : الأهل .

لنفسى إلى لقبا الحمام^١ تشوق^٢ سواي بحب العيش في ساقه كبل
ألا عصم الله القطا في فراخها فإن فراخي خانها الماء والظل^٣

ومعنى البيت الخامس منها يشبه قول أبي عامر بن شهيد القرطبي^٤ :
وما اهتزَّ باب السَّجنِ إلَّا تَفطَّرَتْ قلوبٌ لنا خوفَ الرَّدَى وكبود^٥
ولستُ بذى قيدٍ يرُنُّ وإنَّمَا على اللحظِ من سُخْطِ الامام قيود

وقال السهمري العكلي^٦ من شعراء الدولة الأموية بالعراق^٧ :
لقد جمَعَ الحدَّادُ بَيْنَ عَصَابَةٍ تَسَاءَلُ في الأقيادِ ماذا ذنوبُها
بمَنزِلَةٍ أَمَّا اللَّثِيمُ فسامنٌ^٨ بها وكرامُ الناسِ بادٍ شُحوبُها
إذا حَرَسِي قَعَقَعَ البابُ أَرْعَدَتْ فرائصُ أقوامٍ وطارتْ قلوبُها
نَرَى البابَ لا نَسْطِيعُ شَيْئاً وراءه كأنَّا قَتْنَا^٩ <قد> أسلمتها كعوبها

ونجوز المعتمد في قوله : « وما ذاك ممَّا يَعْتَرِينِي . . . البيت ،
وأجاد فيه ما أراد .

وقال من جملة قصيد ، وقد دخل عليه بناته للسلام يوم عيد^{١٠} :

- ١ م س : الحبيب .
- ٢ ديوان ابن شهيد : ١٠٠ - ١٠١ .
- ٣ هو السهمري بن بشر بن أويس العكلي ويكنى أبا الديلم (الأغاني ٢١ : ٢٥٧) .
- ٤ الأبيات في الأغاني ٢١ : ٢٦٤ .
- ٥ الأغاني : قشامت ؛ وهو خطأ : والسامن : الذي يكتسب سنة .
- ٦ ط م د س : قسي أسلمتها ؛ وقد غيرته اعتماداً على الأغاني .
- ٧ ديوان المعتمد : ١٠٠ والقلائد : ٢٥ ومختارات الصيرفي : ١١٩

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساء لك العيد في أغمات مأسورا
 ترى بناتك في الأطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا
 برزن نحوك للتسليم خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا
 يطأن في الطين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافورا
 أظفرت في العيد لا عادت إساءته فكان فطرك للأعياد تقطيرا
 لا خد إلا تشكى الجذب ظاهره وليس إلا مع الأنفاس مطورا
 قد كان دهرك إن تأمره ممثلا فردك الدهر منهيا ومأمورا
 من بات بعدك في ملك يسر به فإنما بات بالأحلام مغرورا

ودخل عليه ابنه أبو هاشم وهو يرسف في قيوده ، ويتقلب في حديدته ،
 فخنقت الطفل العبرة ، وكان أحبهم إليه ، وأحظاهم على صغره لديه ،
 وفيه يقول يوم الجمعة المشهور ، إذ أبلى في قتال النصارى ^١ :

أبا هاشم هشمي الشفار فليله صبري لذاك الأوار
 ذكرت شخصك ما بينها فلم يشني حبه للفرار

وعند بكائه قال ^٢ :

[١٥ب] قيدي أما تعلمني مسلما أبيت أن تشفق أو ترحما
 دمي شراب لك واللحم قد أكلته لا تهشم الأعظما
 يبصرني فيك أبو هاشم فيثني والقلب قد هشما
 ارحم طفيلا طائشا لبه لم يخش أن يأتك مسترحما

١ ديوان المعتمد : ٤٨ .

٢ ديوانه : ١١٢ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

وارحَمُ أَحَبَّاتٍ لَهُ مِثْلُهُ جَرَّعَتْهُنَّ السَّمَّ وَالْعَلْقَمَا
 مِنْهُنَّ مَنْ يَفْهَمُ شَيْئاً فَقَدْ خَفْنَا عَلَيْهِ لِلْبِكَاءِ الْعَمَى
 وَالْغَيْرُ لَا يَفْهَمُ شَيْئاً فَمَا يَفْتَحُ إِلَّا لِرَضَاعٍ فَمَا

وذكرت بقوله : « ذكرت شخصك » ... البيت ، يبين أنشدنيهما
 الوزير أبو بكر - هما لأخيه أبي الحسن البطلبوسي^١ - لنفسه :

ذكرتُ سُلَيْمَى وَحَرَّ الْوَعَى كَقَلْبِي سَاعَةً فَارَقْتُهَا
 وَأَبْصَرْتُ بَيْنَ الْقَتَا قَدَّهَا وَقَدْ مَلَنَ نَحْوِي فَعَانَقْتُهَا

ومن شعره في الندبة على نفسه قال^٢ :

غَنَّتْكَ أَغْمَاتِيَّةُ الْأَحْزَانِ ثَقُلْتُ عَلَى الْأَرْوَاحِ وَالْأَبْدَانِ
 قَدْ كَانَ كَالثَّعْبَانِ رُحُكَ فِي الْوَعَى فَعَدَا عَلَيْكَ الْقَيْدُ كَالثَّعْبَانِ
 مُتَمَدِّدًا بِحِمِيكَ كُلَّ تَمَدُّدٍ مَتَعِظًا لَا رَحْمَةً لِلْعَانِي
 قَلْبِي إِلَى الرَّحْمَنِ يَشْكُو بَشَّةُ لَا خَابَ مَنْ يَشْكُو إِلَى الرَّحْمَنِ
 يَا سَائِلًا عَنْ شَأْنِهِ وَمَكَانِهِ مَا كَانَ أَغْنَى شَأْنَهُ عَنْ شَانِي
 هَاتِيكَ قَبْنَتَهُ وَذَلِكَ قَصْرُهُ مِنْ بَعْدِ أَيِّ مَقَاصِرٍ وَقِيَانِ
 مِنْ بَعْدِ كُلِّ غَرِيرَةٍ^٣ رُومِيَّةُ تُخْزِي الْحَمَائِمَ فِي ذُرَى الْأَغْصَانِ

١ ترد ترجمتهما في ما يلي من هذا القسم ، وكذلك البيتان وانظر الغيث ٢ : ١٩ .

٢ هذه القطع الثلاث المتوالية ترد في الديوان : ١١٥ ، ٩٤ ، ٩٨ وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٤ .

٣ ط س : عزيزة .

وقال من قصيدة :

تبدلتُ من عزّ ظلّ البنودِ وكان حديدي سناناً ذليلاً
وقد صارَ ذاك وذا أدهماً بذلّ الحديدِ وثقلَ القيودِ
وعضباً رقيقاً صقيلَ الحديدِ بعَضُ بساقِي عَضِ الأسودِ^١

وقال :

غريبٌ بأرضِ المغربين أسيرُ وتندبُهُ البيضُ الصوارمُ والقنا
إذا قيل في أغماتِ قدماتِ جودهُ مضى زمنٌ والملكُ مستأنسٌ به
برأيٍ من الدهرِ المضللِ فاسدِ أذلّ بني ماءِ السماءِ زمانُهُمُ
فيا ليت شعري هل أبيتُ ليلةً بمبتةٍ الزيتونِ مورثةٍ العلا
[١٦٦] بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا ويلحظنا الزاهي وسعدُ سعوده
تراه عسيراً أم يسيراً منالهُ قضى الله في حمصِ الحمامِ وبُعْثِرَتْ

سيكي عليه منبرٌ وسريرُ وينهلُ دمعُ بينهنَّ غزيرُ
فما يُرتجى للجودِ بعدُ نشورُ وأصبحَ عنه اليومَ وهو نفورُ
متى صلّحتُ للصالحين دهورُ وذلّ بني ماءِ السماءِ كثيرُ
أمامي وخلفي روضةٌ وغديرُ تغني قيانٌ أو ترنُّ طيورُ
تشيرُ الثريا نحونا ونشيرُ غيورين والصب المحبُّ غيورُ
ألا كلُّ ما شاءَ الإله يسيرُ هنالك عنّا للنشورِ قبورُ

١ في هامش ط أبيات مطلقها ز

تؤمل للنفس الشجيرة فرجة وتأتي الخطوب البنود إلا تهاديا
وبعدا قطعة قافية ، وهي بخط الناصخ نفسه ، ولكنه كتب عليها : « من غير الأصل » فلذا
لم أثبتها .

والثريا وسعد السعود والزاهي الذي ذكر في هذا الشعر أسماء قباب
ومصانع سلطانية كان تأتق في بنائها من قصور إشبيلية . وعلى هذا الشعر
أجابه أبو محمد الصقلي المعروف بابن حمديس بأبيات قال فيها ^١ :

نحيء خلافاً للأُمُورِ أُمُورُ وَبَعْدِلُ دَهْرٌ فِي الْوَرَى وَيَجُورُ
أَتْيَاسٌ مِنْ يَوْمٍ يَنَاقِضُ أَمْسَهُ وَزَهْرُ الدَّرَارِي فِي الْبُرُوجِ تَدُورُ
وَقَدْ تَتَخَيَّ السَّادَاتُ بَعْدَ خُمُولِهَا وَتَخْرُجُ مِنْ بَعْدِ الْكُسُوفِ بَدُورُ

وفي هذا الجواب يقول :

ولما رحلتم بالندى في أكفكم وَقَلْقِلَ رَضْوَى مِنْكُمْ وَثِيرُ
رفعت لساني بالقيامة قد دنت فَهَـذِي الْجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ تَسِيرُ

وَنَعَبَتْ غُرَبَانُ بِجِدَارِ الْمَكَانِ الَّذِي كَانَ فِيهِ ، ثُمَّ وَرَدَ لَئِنْ ذَلِكَ النَّبَأُ
بقُدُومِ بَعْضِ نَسَائِهِ عَلَيْهِ فَقَالَ ^٢ :

غُرَبَانُ أَغْمَاتَ لَا تَعْدَمَنَّ طَبِيبَةً مِنْ اللَّيَالِي وَأَفْنَانًا مِنْ الشَّجَرِ
تُظِلُّ زُغَبَ فَرَاخٍ تَسْتَكِنُ بِهَا مِنَ الْحُرُورِ وَتَكْفِيهَا أَذَى الْمَطَرِ
كَمَا نَعَبْتُنَّ لِي بِالْقَالِ يَعْجِبُنِي مَخْبَرَاتُ بِهِ عَنْ أَطِيبِ الْخَبَرِ
أَنَّ النُّجُومَ الَّتِي غَابَتْ قَدْ اقْتَرَبَتْ مِنَّا مَطَالِعُهَا تَسْرِي إِلَى الْقَمَرِ
عَلَيَّ إِنْ صَدَقَ الرَّحْمَنُ مَا زَعَمَتْ أَلَا يُرَوِّعُنَّ مِنْ قَوْسِي وَلَا وَتَرِي
وَاللَّهِ وَاللَّهِ لَا نَقَرْتُ وَاقَعَهَا وَلَا تَطَيَّرْتُ لِلْغُرَبَانِ بِالْعُورِ
وَيَا عَقَارِهَا لَا تَعْدِمِي أَبَدًا شِدْخًا وَعَقْرًا وَلَا نَوْعًا مِنَ الضَّرَرِ

١ ديوان ابن حمديس : ٢٦٨ .

٢ ديوان المتمدن : ١٠٠ .

كما ملأت قلبي منذ حللت بها مخافة أسلمت عيني إلى السهر
 ماذا رمتك به الأيام يا كبدي من تبّلهن ولا رام سوى القدر
 أسرّ وعُسّر ولا يسر أو مله أستغفر الله كم لله من نظر

وقال أيضاً وهو بتلك الحال ، من الاعتقال ^١ :

لك الحمد من بعد السيوف كبول بساقي منها في السجون حبول
 وكنا إذا حانت لنحير فريضة ونادت بأوقات الصلاة طبول
 شهدنا فكبرنا فظلت سيوفنا تُصلي بهامات العدا فتطيل
 سجود ^٢ على إثر الركوع متابع هناك بأرواح الكُماة تسيل ^٣

ومما قيل فيه بعد خلعه من ملكه وانتثار سلكه

من ذلك قصيد لأبي بكر الداني أنشده [١٦ ب] إياه حين فُكَّت عنه
 القيود ، أوله ^٤ :

تَنَشَّقُ رِياحِينَ السَّلامِ فَلَمَّا أَفْضُ بِهَا مَسْكَاً عَلَيْكَ مَخْثَماً
 وَقُلْ لِي مَجَازاً إِنْ عَدِمْتَ حَقِيقَةً لَعَلَّكَ فِي نَعْمَى فِكْمٍ كُنْتَ مَنْعَماً
 أَفَكَّرُ فِي عَصْرِ مَضَى لَكَ مَشْرِقٍ فَيَرْجِعُ ضَوْءُ الصَّبْحِ عِنْدِي مَظْلَماً
 وَأَعْجَبُ مِنْ أَفْقِ الْمَجْرَةِ إِذْ رَأَى كَسُوفَكَ شَمْساً كَيْفَ أَطْلَعَ أَنْجَماً
 لَنْ عَظُمْتَ فَبِكَ الرِّزْيَةُ إِنَّنَا وَجَدْنَاكَ مِنْهَا فِي الْبَرِيَّةِ أَعْظَمَماً

١ ديوان المتمد : ١١١ .

٢ ط م س : وفود .

٣ في هامش ط قطعتان بخط الناسخ ولكنهما من غير الأصل .

٤ انظر نفع الطيب ٤ : ٢٥٧ ومختارات الصيرفي : ١٢١ .

قناة سَعَتَ للطن حتى تَقَصَّدَتْ
بكي آلَ عباد ولا كمحمدٍ
حبيبٌ إلى قلبي حبيبٌ لقوله
وكنّا رعيّنا العزّ حول خِماهمُ
كأن لم يكن فيه أنيسٌ ولا التقى
ولا حلّتِ الآمالُ فيكَ ثُباً ثُباً
ولا اخضرَّ روضٌ في رباها فخلتُه
ولا انعطفتُ فيه الغصونُ فعانقتُ
ولم تخفقِ الراياتُ فيها فأشبهتُ
ولا جرَّ فيها صعدةَ الرمح خلفه

وفيه يقول :

مؤيدَ لحمٍ هل تؤمّلُ رجعةً
حكيتَ وقد فارقتَ ملكك مالكا
ندبتك حتى لم يخلَ ليَ الأسى
ولاني على رسمي مقيمٌ فإن أمتُ
بكاك الحيا والريحُ شقَّتْ جيوبها
ومزقَ ثوبُ البرقِ واكتست الدجى
يُنْجيكَ من نَجى من الحبّ يوسفاً

وسيفٌ أطالَ الضربَ حتى ثلّما
وأبنائه صوبُ السحابِ إذ همي
« عسى طللٌ يدنو بهم ولعلّما »^١
فقد أجذبَ المرعى وقد أقفرَ الحمى
به الوفدُ جمعاً والخميسُ عرمرما
فقامت إليها المكرمات لُمّاً لُماً
توشحَ منهم لا من النور أنعما
وشيجاً بأيدي الدارعين مقوماً
قوادمَ طيرٍ في ذرى الجوّ حوماً
فتاها فقلّتُ الصلّ أتبِعَ ضيغما

فكم أملَ أضحى إلى النُجج سلّما
ومن وِلَهٍ أحكي عليك منما
دموعاً بها أبكي عليك ولا دما
سأتركُ للباكين رسمي مرسما
عليك وباحَ الرعدُ باسمك معلما
حداداً وقامتُ أنجمُ الليلِ مآتما
ويؤويك من آوى المسيح بن مريما

١ مضمّن من قول حبيب أبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٣٢) :

عسى وطن يدنو بهم ولعلما وأن تعبت الأيام فيهم فرما

قوله : « نديتك » ... البيت ، أغار فيه على إبراهيم الشاشي ^١ وقصر
بأعه ، وضائق فيه ذراعاه ، وخلّى السبيل له حيث يقول :

لا ترحلنّ فما أبقيت من جلدي ما أستطيع به توديع مرثحيل
ولا من الغمض ما أقرى الخيال به ولا من الدمع ما أبكي على طلل

ومن هذه القصيدة :

لله جسمي فما أبقي حشاشتهُ على الحوادث والأسقام والعلل
يغدو سقامي على مثل الخيال ضئي ويقرع الخطبُ مني صفحة الجبل
[١٧] ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً وأملك السرج في وجه القنا الذبل
ولا يُقيل ردائي عاتقي دنفاً ويحملُ الدرع مسلوباً عن البطل

ورأى أبو بكر الداني حفيدَ المعتمد ، وهو غلام وسيم ، قد اتخذ الصياغة
صناعة ، وكان لقبَ في دولتهم من الألقاب السلطانية بفخر الدولة ، فنظر
إليه وهو ينفخ النار بقصبة الصائغ ، فقال من جملة قصيدة ^٢ :

شكأتنا فيك يا فخرَ العلا عَظُمْتَ والرزءُ يعظمُ في من قدره عظما
طُوِّقْتَ من نائباتِ الدهرِ مِخْنَقَةً ضاقتُ عليك وكم طوّقتنا نعما
وعاد كونُك في دكانِ قارعة من بعد ما كنت في قصرِ حكي إرما
صرّفت في آلة الصّواع أنملةً لم تدري إلا الندى والسيف والقلما
يدٌ عهدتُكَ للتقيل تبسطها فتستقل الثريا أن تكونَ فما
يا صائغاً كانت العليا تصاغُ له حلياً وكان عليه الحلّي منتظما

١ ط س : الشاشي .

٢ المعجب : ٢٢٣ والنفع : ٤ : ٩٧ - ٩٨ والإعلام ٢ : ٣٢٢ ومنها أبيات في ساهد

التنصيص ٣ : ٢٠ ومختارات الصيرفي : ١٢٤ .

للتنفخ في الصور هول^١ ما حكاه سوى
وددت إذ نظرت عيني إليك به
ما حطك الدهر لما حط من شرف
لح في العلا كوكباً إن لم تلح قمرأ
[واصبر^٢ فربتما أحمدت عاقبة^٣
والله لو أنصفتك الشهب^٤ لانكسفت^٥
بكي حديثك حتى الدّر حين غدا
هول^٦ رأيتك فيه تنفخ^٧ الفحما
لو أن عيني تشكو^٨ قبل ذاك عمي
ولا تحيّف من أخلاقك الكرما
وقم بها ربوة^٩ إن لم تقم علما
من يلزم الصبر^{١٠} بحمد^{١١} غب^{١٢} ما لزما^{١٣}
ولو وفي لك دمع الغيث لانسجما
يحكيك رهطاً وألفاظاً ومبتسماً

وله فيهم أيضاً من قصيدة يرثيهم أولها :

تبكي السماء بدمع^{١٤} رائح غادي
على الجبال التي هدت^{١٥} قواعدها
عريسة^{١٦} دخلتها النائبات^{١٧} على
وكعبة^{١٨} كانت الآمال^{١٩} تعمرها^{٢٠}
أن يخلعوا^{٢١} فبنو العباس قد خلعوا
نسيت^{٢٢} إلا غداة^{٢٣} النهر كونهم^{٢٤}
والناس^{٢٥} قد ملأوا^{٢٦} العبرين واعتبروا^{٢٧}
على البهاليل من أبناء عباد
وكانت الأرض^{٢٨} منهم ذات أوتاد
أسود^{٢٩} لهم^{٣٠} فيها وآساد
فاليوم^{٣١} لا عاكف^{٣٢} فيها ولا باد
وقد خلت^{٣٣} قبل^{٣٤} حمص^{٣٥} أرض^{٣٦} بغداد
في المنشآت^{٣٧} كأموات^{٣٨} بالحداد
من لؤلؤ^{٣٩} طافيات^{٤٠} فوق^{٤١} أزباد

١ في أصل ط : توقد ، وخ بهامشها : تنفخ .

٢ غ بهامش ط : شكت. [من] .

٣ زيادة من دوزي .

٤ القلائد : ٢٣ والنفع : ٤ : ٢١٤ والمعجب : ٢٠٩ ومختارات الصيرني : ١٢٢ .

٥ القلائد والنفع : بمنز .

٦ فوقها في ط : منهم .

٧ القلائد والنفع : تخدمها .

حُطَّ القناعُ فلم تُستَرْ مخدّرةٌ ومُرُقَّتْ أوجهٌ تمزيقَ أبراد
حان الوداع فضجت كلُّ صارخةٍ وصارخٍ من مُفدّاةٍ ومن فاد
سارت سفائنهم والنّوحُ بصحبها كأنها إبلٌ يحدو بها الحادي
كم سال في الماء من دمع وكم حملت تلك القطائع من قطعات أكاد

ومحاسن الداني كثيرة ، وفي القسم الثالث^١ من شعره جملة موفورة ،
ومحاسن المعتمد أيضاً أكثر من أن تعدّ فقد استوفيتها في كتابي المترجم
بـ « الاعتماد على ما صحَّ من شعر المعتمد بن عباد » .

[١٧ ب] باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان ، ممّن كان
بدولة المعتمد من أرباب هذا الشأن ، واجتلاب ملح وطرف
لشعراء كانوا بذلك الأوان ، مع ما يتعلقُ بها ،
ويذكر بسببها

فصل في ذكر الوزير الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني^٢ وإلّبات
فصول من نثره ، مع ما ينخرط في سلكها من شعره ،
وإيراد جملة من أخباره ، وحميد آثاره

هو أبو حفص عمر بن الحسن بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الله أبي

١ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٦ وما بعدها .

٢ أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني (٣٩٢ - ٤٦٠) طلب العلم على شيوخ الأندلس ثم
ارتحل سنة ٤٤٤ (وابن بسم يقول سنة ٤٤٠) وأخذ عن علماء المشرق ، وأصبح مفتناً
في العلوم ؛ ولما قتله عباد بيده أمر بدفنه بثيابه وقلنسوته وهيل عليه التراب داخل القصر من
غير غسل ولا صلاة (انظر الصلة : ٣٨١ والنفع ٢ : ٩٣ ومسالك الأبصار ١١ : ٤١٦
والمغرب ١ : ٢٣٤ وفيه نقل عن الذخيرة ، وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٥) .

سعيد الداخل بجزيرة الأندلس ، وهو كان صاحب صلاة الجماعة بقرطبة على عهد عبد الرحمن بن معاوية وهشام الرضي ابنه . وهوزن الذي نُسِبَ إليه ، وغلب اسمه عليه ، بطن من ذي الكلاع الأصغر .

وأفضى أمرُ لإشبيلية إلى عباد ، حسبما تقدّم به الايراد ، وأبو حفص يومئذ ذات نفسها ، وإيالة شمسها ، وناجذُها الذي عنه تبسم ، وواحدُها الذي بيده يَنْقُضُ وَيُبْرِمُ . وكان بينه وبين عباد قبل إفضاء الأمر إليه ، ومدار الرياسة عليه ، إئتلافُ الفرقدن ، وتضافرُ اليدين ، واتصال الأذن بالعين . ولما ثبتت قدمُ المعتضد في الرياسة ، ودفع إلى التدبير والسياسة ، أوجس منه ذعراً ، وضاق بمكانه من الحضرة صبراً ، وأحسَّ بها أبو حفص . وكان أليماً ، وذكياً لودعياً ، لو أخطأ الحازم أجَلَهُ ، ونفعت المحتال حِيلَهُ . فاستأذن المعتضد في الرحلة سنة أربعين وأربعمائة^١ ، فصادف غرَّتَهُ ، وكفي إلى حين مَعَرَّتَهُ ، واحتلَّ صقليةً تضيقُ عن فخره الآفاق ، وتهادى عجائب ذكره الشام والعراق ، ثم رحل إلى مصر وله هنالك صوتٌ بعيدٌ ، ومقام محمود ، ووصل إلى مكة ، وروى في طريقه كتاب الترمذي في الحديث وعنه أخذه أهل المغرب ، ثم رجع إلى الأندلس واستأذن المعتضد في سكنى مُرْسِيَّة : رأياً رآه ، وبلداً اختاره وتوخَّاه ، وأميرها يومئذ ابنُ طاهر ، فلما غلب الرومُ على مدينة بَرَبُشْتَر^٢ سنة ست وخمسين ، وقرف الندب ، وتفاقم الخطب ، وضاق عن ساكنه

١ المغرب : وتناصر .

٢ انظر التعليق رقم : ٢ على الصفحة السابقة .

٣ م : مدينة ابن بشر ، وانظر الكاتبة على مدينة بربشتر في الذخيرة ٣ : ١٧٩ .

الشرق والغرب ، خاطب المعتضد برقعة يحضه فيها على الجهاد ، ويستشير
إلى أين ينتقل من البلاد ، فراجع برسالة من إنشاء الوزير الكاتب أبي الوليد
ابن المعلم ، وهي ثابتة في أخباره من هذا القسم ، يشير عليه فيها بالرجوع
إلى بلده ، لا بل استدرجه إلى متلحده ، فأذهله عما كان استشعر ، وأنساه
ما كان حذر ، أجل قريب ، وحمام مكتوب ، ومصرع ، لم يكن
عنه مدفع ، فاستقر بإشبيلية سنة ثمان وخمسين ، ولقيه المعتضد فأعلى المحل ،
وفوض إليه في الكثر والقل ، وعول عليه في العقد والحل . فلما كان
يوم الجمعة لإحدى عشرة ليلة لربيع الأول سنة ستين أحضره القصر ،
وقد غلب [١٨] - زعموا - عليه السكر ، وأمر خادمين من فتيانه بقتله ، فكلاهما
أشفق من سوء فعله ، وفر ، لا يبالي سيء عباد أو سر ، فقام إليه هو
بنفسه وبارش قتله بيده ، فلم يزل عباد بعده سولا ، ولا متع بدنياء إلا
قليلا ، وإلى الله الإياب ، وعليه الحساب .

فصل من رقعة كان خاطب بها المعتضد من مرسية واستفتحها بهذه
الآيات ٢ :

أعبادُ جلّ الرزءُ والقومُ هُجِعَ على حالةٍ من مثلها يُتَوَقَّعُ ٣
فلقُ كتابي من فراغِكَ ساعةً وإن طال فالموصوفُ للطول موضع
إذا لم أثبت الداءَ ربّ دوائه ٤ أضعُتُ وأهلُ للامامِ المضيعُ

١ في الصلة : لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الآخر .

٢ الآيات في المغرب وترتيب المدارك وهي وبعض الرسالة في النفع ٢ : ٩٣ .

٣ ترتيب المدارك : يتقنع .

٤ المغرب : نجادة ؛ النفع : شكاية .

وفي فصل منها : وكتابي عن حالة يشيبُ لشهودها مَفرِقُ الوليد ، كما يغبرُ لورودها وجهُ الصعيد ، بدوُها ينسفُ الطريفَ والتالد ، ويستأصل الوليدَ والوالد^١ ، تذرُ النساءَ أياي ، والأطفالَ يتامى ، فلا أيسمة إذا لم تبق أنثى ، ولا يتيم والأطفالُ في قيد الأسرى ، بل نعم الجميع جمًا جمًا ، فلا تخصّ ، وتزدلف إليهم قدماً قدماً ، فلا تنكص ، طمّنت حتى خيفَ على عروّةِ الإيمانِ الانقضاض ، وطمّنت حتى خشيَ على عمودِ الإسلامِ منها الانقضاض ، وسمّنت حتى تُوقَعَ على جناحِ الدينِ الانهياض .

وفي فصل منها : كأنَّ الجميعَ في رَقْدَةٍ أهلِ الكهف ، أو على وعدٍ صادقٍ من الصّرفِ والكشف ، وأنتى لملها بالدفاع عن الحرّيم ، ولما نمتلّ أدبَ العزيزِ الحكيمِ في قوله : ﴿ ولولا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ (البقرة : ٢٥١) وقوله تعالى : ﴿ لَهْدَمْتُ صَوَامِعُ وَيَبَعُ وُصُلَاتٍ وَمَسَاجِدُ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا . وَلِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ مِنْ يَنْصُرُهُ ﴾ (الحج : ٤٠) ومن أين لنا دفعهم^٢ بالكفاية أو كيف ، ولم نمتطِ إليهم الخوفَ ، ونساجِلُهُمُ السيفَ ، بل لَمَّا يُرَأَبُ من صدوعهم ثلم ، ولا دَوِيٍّ من جراحهم كَلَمٌ . ولا رُدٌّ في نخورهم سهم . ان حاربوا موضعاً أرسلناه ، أو انتسفوا قُطْرًا سَوَّغناه ، وان هذا الأمر^٣ له ما بعده ، إلا أن يُسْتَنِي اللهُ على يَدَيْكَ دَفْعَهُ وَصَدَّهُ :

١ د : والتليد . . . الوالد والوليد .

٢ دفعهم : سقطت من ط س .

٣ م د س : الأمر .

فكم مثلها جأواء^١ نهتهت فأنثت وناظرها من شدة النقع أرمد^٢
 فمرت تنادي الويل للقادح الصفا لبعض القلوب الصخر أو هي أجلد
 وألقت ثناء كاللطائم نشره^٣ تبعد الليالي وهو غص^٤ يجدد^٥

وفي فصل منها: والحرب في اجتلائها حسناء عروس تطبي الأعمار
 بيزتها ، وفي بنائها شمطاء عبوس تختلي الأعمار غربها ، فالأقل
 للهبها وارد ، والأكثر عن شهبها حائد ، فأخلق بمجيد عن مكانها ، وعزلة
 في ميدانها ، فوقودها شكة السلاح ، وفرندها مساقط الأشباح ، وقتارها
 متصاعد الأرواح ، فان عسعس ليلها مدة من الانصرام ، أو انجس
 وبئها ساعة لانسجام ، فيومها غسق يرد الطرف كيلا ، وتبئها
 صيب يزيد الجوف غليلا :

أعباد ضاق الذرع واتسع الخرق ولا غرب الدنيا إذا لم يكن شرق^١
 ودونك قولاً^٢ طال وهو مقصر فلعين معنى لا يعبره^٣ ، النطق^٤
 [١٨ب] إليك انتهت آمالنا فارم مادمي بعزمك ، يدمغ هامة الباطل الحق

وما أخطأ السبيل من أقي البيوت من أبوابها ، ولا أرجى الدليل من ناط
 الأمور بأربابها ، ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدحج ، ومحجوب في طي المكاريه
 مدرج ، فانتهاز فرصتها فقد بان من غيرك العجز ، وطبق مضاربها فكان

١ الجأواء : الكتيبة التي يملوها لون السواد لكثرة الدروع . ط س : شهوا .

٢ م : يجدد .

٣ ط : قول .

٤ س م : يمترها .

٥ بهامش ط بخط مغاير : مفاصلها ، وكذلك هي في بعض أصول النقع .

قد أمكنك الحز، ولا غرو أن يستمطر الغمام في الجذب، ويستصحب
الحسام في الحرب، فالسهم تطيش فتختلف، والرمح تلين وتنقص،
فان جعجعت أيها الساعي المخب في بغاء الفرج، وتحقق بالحث على
جلاء تلك اللجج، ووجدت في فتح ذلك الباب المرتج :

فناد : أعبادُ ذا عائدُ	وقدك، على حينها تنصرم
تجيبك أسود على ضمير	معوذة ما بفت أن يتم
كان المقادير حزب له	فيمضي على رأيه ما حكم
سفته الحمية جريالها	وصحت مناقبه في الكرم
فصاب لأعدائه منقير	وغيث لراجيه حلوالديم
كنوه بما مد في عمره	وكان نخور العدا يخترم
تقيدنا حر أفعاله	وكنيته تقتضي ما رسم
فمن ذين تفريع أوصافه	وبالرمز نعي الذكي الفهم

وفي فصل منها : وما زلت أعتدك لمثل هذه الجولة وزراً ، وأدخرك
في ملحمها ملجأً وعَصراً ، لدلائل أوضحت فيك الغيب ، وشواهد رفعت
من أمرك الريب ، فالنهار من الصباح ، والنور من المصباح ، ولئن كان
ليل الفساد مما دهم قد أغدِفَ جلبابه ، وصباحُ الصلاح بما ألم قد قدَّ
إهابه ، فقد كان ظهراً قديماً من اختلال الأحوال ما أياس ، وتبين من
فساد التدبير ما أبلس^٢ ، حتى تدارك فتق ذلك سلفك ، فرثه جميل
نظرهم ورأبه^١ ، وصرفه مشكور أثرهم وشعبه :

١ م س : تخترم ؛ أصل ط : تتخرم .

٢ م س : البس .

فعاد الشملُ منتظماً هنياً وأضَ الصَّدْعُ ملتئماً سوياً

ثم تَوَلَّيْتُ فَكَتَبْتُ ، وَخَلَفْتُ فَأَرْبَيْتُ ، وَبَزَعْتُ فَأَوْرَيْتُ ، فَالنَّاسُ
مَذْبُوحَاتُهُمْ رَحْبَ جَنَابِكَ فِي عَطْنٍ يُرْبِي عَلَى لَيْنِ الدِّمَاسِ ، وَتَحْتَ مِيزَانٍ
تَعْلُو عَلَى مَنَى النَّفْسِ ، فِي زَمَانٍ كَالرَّبِيعِ اعْتَدَلَ هَوَاؤُهُ ، وَتَشَاكَهَتْ أَرْضُهُ
وَسَمَاؤُهُ ، وَاخْضَرَّتْ بِالنَّبْتِ أَدِيمُهَا فَكَأَنَّهَا الرِّقِيعُ ، وَتَعَمَّمُ بِالنُّورِ جَمِيمُهَا فَتَقُولُ
هُوَ الرِّصِيعُ ، فَفَضْلُكُمْ فِي الْأَعْنَاقِ أَطْوَقُ ، وَمَجْدُكُمْ لِلْأَفَاقِ إِشْرَاقُ ،
وَحَيْثُمَا حَلَلْتِ : الْأَرْضُ عِرَاقُ ، فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ هُوَ ٢ إِلَى تِلْكَ الْحَضْرَةِ مُشْتَاقُ ،
فَلَا تَحْرِمْنِي وَصْلًا كُنْتُ جَاهِدًا فِي إِنْبَاطِهِ ، وَلَا تَصُدِّقِي ٣ عَنْ مَنْهَلٍ كُنْتُ
صَدْرًا فِي فُرْطَانِهِ ، فَأَحَقُّ الْوَرَى بِجَزِيلِ تِلْكَ الْآلَاءِ ، وَأَحْلَقُهُمْ بِمُتَرَلِّ تِلْكَ
السَّمَاءِ ، أَنْصَحُهُمْ لَهُ جَيِّبًا ، وَأَصْحُهُمْ فِيهِ غَيِّبًا :

أَعْبَادُ كَلَّا قَدْ عَكَّوْتَ فُضَائِلًا	تَقَاصَرَ عَنْهَا كُلُّ أَرْوَعٍ مَاجِدٍ
فَأَوَّلَهَا جُودًا أَرَانَا أَكْفَهُمْ	جَمُودًا كَكَفٍّ لَمْ تُؤَيِّدْ بِسَاعِدٍ
وَسَعِيٍّ لَا تَبْغِي بِخَيْلٍ سَعْيَهُمْ	تَلَا عُبَّ وَلَدَانٍ أَطَافَتْ بِوَالِدٍ
وَنَصْرٍ لِمَنْ وَالَيْتَ يَرِدِي عَدُوَّهُ	رَدَى أَهْلَ جَوٍّ فِي وَقِيعَةِ خَالِدٍ ٤
[١٩] مَنَعْتَ بَنِي جَالُوتَ مَا قَدَّ أَبَاحَهُمْ	سَوَاكَ بِحَرْبٍ قَبَّذْتَ كُلَّ شَارِدٍ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَنْظُرْ أَسْوَدًا بِرُوضَةٍ	تُرَاعِي عَصَا رَاعٍ وَتَعْنُو لِرَائِدٍ
عَجَائِبُ مَجْدٍ أَعْجَزَتْ مَنْ سِوَاكُمْ	وَمَنْ سَرَّهَا الْمَشْهُورُ صِدْقُ الْمَوَاعِدِ ٥

١ م : بالروض .

٢ د : من هوى ؛ وسقط من م س ، وموضعه في ط كلمة غير واضحة .

٣ د : تصرفني .

٤ جو : اليمامة ، ووقيعه خالده فيهم في حروب الردة مشهورة .

٥ بعد هذا البيت في م س : ومنها

فان راثَ أمرِي فادركني برحلة
وَحَدِّ مَكَاناً أَنَّهُ فَرَضَاكُمْ
فَقَدْ جَدَّ أَمْرٌ هَدَّ شَرَعَ مُحَمَّدٍ
لِكُلِّ بَيِّنُ الرَّأْيِ عِنْدَ وَفَاتِهِ
أَضَاعُوا وَجْهَ الْحَزْمِ يَوْمًا فَعَزَّاهُمْ^١
إِلَى مَأْمَنِ فَالْخَوْفُ أَعْجَلُ طَارِدِ
هَوَايَ وَإِنْ أَغْشَى كَرِيهَ الْمَوَارِدِ
وَمَا مُخْبِرٌ عَنْ حَالِهِ مِثْلُ شَاهِدِ
وَهَلْ مِنْ دَوَاءٍ بَعْدَ نَهَشِ الْأَسَاوِدِ
عَلَى أَمْرِهِمْ مِنْ لَيْسَ عَنْهُ بِهَاجِدِ

وفي فصل منها : فالثمرة من ساقها ، والجياذ على أعراقها ، ولئن
لذت تلك الثمرة لذائق ، وشدخت غرة تلك القرحة لرامق ، لما بين^٢
كنه المجنى قبل تظطير أكمامه ، ومما يصحح عتق الجنين^٣ قبل أوان
فظامه ، فلنوي الأبصار أدلة على العتق لائحة ، ولأولي الألباب شواهد
على الكرم واضحة ، وبحق أدركت ، فعلى السوابق سلكت ، وبمشاعر
المعالي نسكت فتنسكت :

« وما بك من خير أتوه فلانما توارثه آباء آبائهم قبل^٤ »
« وهل ينبت الخطي إلا وشيجه وتغرس إلا في منابتها النخل »
وقول رسول الله أعدل شاهد فحكمته شرع ومنطقه فصل
يقول : بنو الدنيا معادن ، خببرها إذا ما زكوا من كان قديماً له الفضل

١ في النسخ : فغرم .

٢ ط م : لما تبين ؛ س : لما بين ؛ وسقطت من د ، وأثبتنا ما في هامش ط .

٣ م س وهامش ط : المجنى .

٤ ط س : وبمشاعر .

٥ البيتان الأولان لزهير بن أبي سلمى ، ديوانه : ١١٥ .

وصلّى الله على رسوله فقد نبّه بتصحيح ، ودلّ دلالة نصيح ، فان
المعادن لا تؤتي غير معهودٍ فليزها ، كما لا نصح الدوائر إلا على نقطة
مركزها ، فمن طلب النبل في غير معادنه ، واستثار الخير من غير مكانه ،
أعجزه من مطلبه مرامه ، وطاشت في سهمه أعلامه ، بل قد
ضلّ قصد السبل ، واعتسف القلاة بغير دليل ، فسقط العشاء به على
سرحان^٢ ، وأفضى القضاء به إلى الطوفان ، وإنما هو الفجر أو البحر^٣ .

ومن شعره أيضاً يحض على الجهاد ،
ويستنفر كواف البلاد^٤

قوله :

يَتِ الشَّرَّ فَلَا يَسْتَرْلَ طَرَقَ التَّوَّامَ سَمِغٌ أَزَلْ
فَتَشَبَّهُوا وَاخْشَوْشُوا وَاحْزَلُّوا كُلُّ مَا رَزَى سِوَى الدِّينِ قُلْ
صَرَاحَ الشَّرِّ فَلَا يُسْتَقْلَ إِنْ نَهَلْتُمْ جَاءَكُمْ بَعْدُ عِلْ
بَدَأَ صَقَّ الْأَرْضَ نَشْرٌ وَطَلَّ وَرِيَّاحٌ ثُمَّ غَيْمٌ أَبْلَ

١ ط م د س : واستشار .

٢ المثل في فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢١ والمسكري ١ : ١٥ (تحقيق أبو الفضل)
والمستقصى : ٢٢٦ والسان (سرح) وجمهرة ابن دريد ٢ : ١٣٢ .

٣ من كلام أبي بكر الصديق ، يقول : إن انتظرت حتى يضيء لك الفجر أبصرت قصدك وإن
خبطت الظلماء وركبت المشواء هجما بك على المكروه ، يضرب الفجر والبحر مثلا لفترات
الدنيا (السان - فجر) وانظر النخبة ١ : ٣٩٤ .

٤ ط م : آل البلاد ؛ س د : إلى البلاد .

ه النفع : رش : ط م د س : نشو .

قد رَجَتْ عادٌ سحاباً يَهْلُ^١ فإذا ربيعٌ دبُّورٌ مِحْلُ^٢
نَقَّبُوا فالداءُ رزءٌ يَحْلُ^٣ واغمدوا سيفاً عليكم يُسْلُ^٤

ومنها :

يَدُّنا العليا وهمٌ وَيَكْ^٥ شُلُ^٦ فَلِمَ استرعى^٧ الأعزَّ الأذلَّ
عجبُ^٨ الأيام ليثٌ صمل ذعرته نعجةٌ إذ تصل
« خبرٌ ما جاءنا مصمِّلُ^٩ جلٌّ حتى دقَّ فيه الأجلُ^{١٠} »

قوله : « فنبوا^٦ واخشوشنوا ... » من قول عمر بن الخطاب ،
رضي الله عنه : « اخشوشنوا واخشوشنوا وعليكم باللبسة المعدية » ؛
وقوله : « بدءٌ صَعَقُ الأرض نَشءٌ^٧ وطلٌ » ... معنى مبتذل ، ومنه
المثل « السَّقْطُ يحرقُ الحَرَجَةَ » ، وقال الأول :
والشيء تحقره وقد ينمي^٨

وقال الفرزدق^٩ :

-
- ١ النفع : خففوا فالداء رزء أجل .
٢ م ط : بك .
٣ في النسخ : استوى .
٤ ط د : عجبا .
٥ مضمّن من الحماسية رقم : ٢٧٣ في شرح المرزوقي .
٦ فنبوا : سقطت من م ط .
٧ ط د : نشو ؛ م : نشي .
٨ صدره : ان يأبروا نخلا لغيرهم ، الحماسية رقم : ٤٤ للحارث بن ولة الجرمي .
٩ حماسة البحّري : ١٣٦ والمختار : ١٧٢ .

قوارص تأنيني وتحتقرونها وقد يملأ القطرُ الاناءَ فيفغَمُ

[١٩ ب] وقال نصر بن سيار من أبيات كتب بها لمروان :^١

فان النارَ بالعودين تَذْكَي وان الحربَ مبدأها الكلامُ

وقال أبو تمام ، وعليه عولَ الفقيه ، ولكنه استحقته بما زاد فيه . وهو^٢ :

كم من قليلٍ حدا كثيراً كم مطرٍ بدؤهُ مُطَيَّرُ

وأخذه أبو عبادة فقال :

وأول الغيث طلّ ثم ينسكب^٣

وقال ابن الرومي^٤ :

لا تحقرنَّ سُبَيْباً قد قاد خَيْراً سُبَيْبُ

وقال أبو العلاء ، وحرفته إلى بعض الأنحاء ، ولكنه إليه أشار ، وحواليه

دار . *

فأولُ ما يكون الليثُ شبلٌ ومبدأ طلعةِ البدرِ الهلالُ

وكان له فيه إلام ، بقول أبي تمام^٥ :

١ مروج الذهب ٦ : ٦٢ وفصل المقال : ٦٩ ، ٢٣٣ .

٢ المختار : ١٧٢ وزهر الآداب : ٥٧٣ .

٣ صدره : وأزرق الفجر يبدو قبل أشبه ، ديوان البحترى : ١٧١ والمختار : ١٧٢ .

٤ ديوان ابن الرومي : ١٤٦ وزهر الآداب : ٥٧٣ وروايته : كم جر (كم قاد) .

٥ شروح السقط : ١٧١٨ .

٦ ديوان أبي تمام ٤ : ١١٥ .

إن الهلال إذا رأيت نموّة أيقنت أن سيكون بدرًا كاملاً

وقال العباس بن الأحنف وقصد به قصده ، وكان ينفق مما عنده^١

الحبّ أول ما يكون حاجة تأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا اقتحم الفتى لجج الهوى جاءت أمور لا تطاق كبار

وقال الآخر ، وكأنه نحا به نحواً غريباً ، ولكنه نظر إلى المعنى نظراً مريباً :

فلا تحقرن عدوّاً رماك وإن كان في ساعديه قصر^٢
فان السيوف تحز الرقاب وتعجز عما تنال الإبر

ومن كلام المحدثين ما أجروه مجرى الأمثال : « ربّ عشق جنّني بلفظة ،
وصباية غرّست من لحظة »^٣ . إلى غير ذلك مما لا يحّد شهرة ، ولا
يحصي كثرة .

وقال الوزير أبو حفص من جملة قصيدة :

أيا أسفا للدين إذ ظلّ نهبة بأعيننا والمسلمون شهود
أني حرم الرحمن يلحد جهرة ويجعل أشراك الإله يهود
ويثلب بيت الله بين بيوتكم وقادره عن ردّ ذاك قعيد
ويوضع للدجال بيت بمكة ويخفى عليكم منزع وقصود

١ ديوان العباس : ١١٦ .

٢ النسخ ٣ : ٢٣١ ، وردا غير منسوبين ، وهما في التمثيل والمعاصرة : ١١٥ لابن

نباتة السدي وانظر نهاية الأرب ٣ : ١٠٤ واليتيمة ٢ : ٢٩٦ .

٣ في الميداني (١ : ٢١٤) رب صباية غرست من لحظة . رب حرب ثبت من لفظة .

٤ في النسخ : شهود .

أعيدكم أن تذهبنوا فيمسكم
وأفيع بذكرٍ يستطير لأرضكم
ولاعجب أن جانس الحوض صفدع
يقودُ امرأ طبعٌ إلى علم شكله
عقابٌ كما ذاقَ العذابَ ثمود
يومٌ به أقصى البلادِ وفود
وقدماً تساوي مطلبٌ وشهود
كما انمازت الأرواحُ وهي جنود

وهذا المصراع الأخير ، إلى معنى الحديث^١ يشير : « قلوب المؤمنين
أجناد مجتدة ، ما تعارف منها ائتلف ، وما تناكر منها اختلف »^٢ ، وأخذه
الحسن فقال^٣ :

إنَّ القلوبَ لأجنادٌ مجتدةٌ لله في الأرض بالأهواءِ تعترفُ
فما تعارفَ منها فهو مؤتلفٌ وما تناكرَ منها فهو مختلف

[٢٠] وقال الوزير أبو حفص من أخرى :

تبارك من تفرّد بالبقاء وأسلك خلقه سبيلَ الفناء
وشتت شملهم بعد انتظامٍ وكدرَ وردهم إثر الصفاء
ولم يُجبرِ الأمورَ على قياسٍ فليست دارنا دارَ الجزاء
فتبصر محسناً يحزى بقبُحٍ وذا ضعةٍ يقاد إلى السناء
وقد كنتُ اعتلقتُ أجلَ ملكٍ وأعلمهم بنقَبٍ أو هِناءٍ^٤

١ م : البيت .

٢ في صحيح مسلم ٢ : ٢٩٥ - ٢٩٦ الأرواح جنود مجتدة ما تعارف . . الخ الحديث .

٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .

٤ في النسخ : تختلف .

٥ في النسخ : اعتقلت ، وما أثبتته من هامش ط .

٦ يشير إلى المثل : « يضع الهناء مواضع النقب » والهناء : القطران ، والنقب : الحرب ،
يضرب مثلاً للحاذق البصير في الأمور ، وهو من شعر دريد بن الصمة في الهنساء ، وصدر
البيت « متبدلاً تبدو محاسنه » .

ومن يجهد الدنيا حريصاً فليس بجائرٍ غيرَ العناء
ومن يثق الزمانَ يجده خباً وبَصْرَعهُ على حين الرجاء
إذا كان الدواءُ به اعتلالي فأبي الخلق أرجو للشفاء

وهذا كبيت عدي بن زيد^٢ :

لو بغير الماءِ حلقي شَرِقٌ كنتُ كالغَصَّانِ بالماءِ اعتصاري

وأرى الوزير أبا حفص إنما عَوَّلَ فيه على قول أبي بكر رضي الله عنه
وقد قيل له : لو سألنا لك الطبيب ، فقال : « الطبيبُ أَعَلَّتِي » .

فصل في ذكر الفقيه القاضي أبي الوليد الباجي^٣ ، من باجة الأندلس^٤ ،
والإتيان بلمعةٍ من أخباره التي زاحمت في بيوت شرفها الكواكب ،
وقطعةٍ من أشعاره التي ملأت بفوالدها وطُرفِها المشرقَ والمغرب
قال ابن بسّام : نشأ أبو الوليد هذا وهمته في العلم تأخذ بأعنان السماء ،

١ في النسخ ، لدى ، وما أثبتته من هامش ط .

٢ ديوان عدي : ٩٣ .

٣ أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد (أو سعدون) بن أيوب التجيبي ، أحد أقطاب المذهب المالكي ، وصاحب المؤلفات الفقهية القيمة ، منها المتقى وإحكام الفصول في أحكام الأصول وغيرهما ، توفي بالمرية سنة ٤٧٤ (انظر ترتيب المدارك : ٤ : ٨٥٢ والديباج المذهب : ١٢٠ والمرقبة العليا : ٩٥ وبغية الملتبس رقم : ٧٧٧ والصلة : ١٩٧ والقلائد : ١٨٨ والمغرب : ١ : ٤٠٤ وتهذيب ابن عساكر ٦ : ٢٤٨ ومعجم الأدباء ١١ : ٢٤٦ والإكمال ١ : ٤٨٦ وتذكرة الحفاظ : ١١٧٨ وابن خلكان ٢ : ٤٠٨ والشذرات ٣ : ٣٣٤ ونفع الطبيب : ٢ : ٦٧ ومرآة الجنان ٣ : ١٠٨ وفوات الوفيات ٢ : ٦٤ وعبر الذهبي ٣ : ٢٨٠ والروض المعطار : ٧٥ .

٤ باجة الأندلس (Beja) : تقع في البر تغال على بعد ١٤٠ كم إلى الجنوب الشرقي من لشبونة .

ومكانه من النثر والنظم يسامي مناط الجوزاء ، وبدأ في الأدب فبرز في ميادينه ، واستظهر أكثر دواوينه ، وحمل لواء مشوره وموزونه ، وجعل الشعر بضاعته فوصل له الأسباب بالأسباب ، ونال به مآكل القحَم الرغاب ، حتى جُنَّ الإحسان بذكره ، وغنى الزمان بغرائب شعره ، واستغنت مصر والقيروان بخبره عن خبره ، ولم تزل أقطار تلك الآفاق تواصله ، وعجائب الشام والعراق تغالزه ، حتى أجاب ، وشد الركاب ، وودَّع الأوطان والأحباب ، فرحل سنة ست وعشرين ، فما حلَّ بلداً إلا وجده ملآن بذكره ، نشوان من قهوتي نظمته ونثره ، ومال إلى علم الديانة ، وقد كان قبل رحلته تولَّى إلى ظله ، ودخل في جملة أهله . فمشى بمقياس . وبني على أساس . فلم يبعد أن أصبح نسيج وحده ، في حله وعقده . حتى صار كثير من العلماء يسمعون منه . ويرتاحون إلى الأخذ عنه ، وحتى علم العلم أن له أشكالا ، وتيقن أهل العراق أن بالأندلس رجالا ، ثم كرَّ ، وقد نفع وضرَّ ، وأحلى وأمرَّ ، واستقضي بطريقه بحلب ، فأقام بها نحواً من عام . ثم نازعه [٢٠ ب] هوى نفسه ، إلى مسقط رأسه ، ومنبت غرسه . من أرض الأندلس ، فورد وعشب بلادها ناب وظفر . وصوب عهادها دمٌ هدر ، ومالها لا عين ولا أثر ، وملوكها أضداد ، وأهواء أهلها ضغائن وأحقاد ، وعزائمهم في الأرض فساد وإفساد . فأسف على ما ضيعه ، وندم لو أجدى عليه ذلك أو نفعه ، على أنه لأوّل قدمه رفع صوته بالاحتساب ، ومشى بين ملوك أهل الجزيرة بصلّة ما انبت من تلك الأسباب ، فقام مقام مؤمن آل فرعون لو صادف أسماعاً واعية . بل نفخ في عظام ناخرة ،

وعكفَ على أطلالِ دائرة ، بيد أنه كلما وفد على ملك منهم في ظاهر أمره لقيه بالترحيب ، وأجزل حظه بالتأئس والتقريب ، وهو في الباطن يَسْتَجْنِهْلُ نَزْعَتَهُ ، وَيَسْتَقِيلُ طَلْعَتَهُ ، وما كان أفْطَنَ الفقيه ، رحمه الله ، بأمرهم ، وأعلمه بتدبيرهم ، لكنه كان يرجو حالاً تثوب ، ومذنباً يتوب ، ولم يَحْضُلْ مع ذلك من تأليفِ الدواوين وتدريسها ، وتشيد المكارم وتأسيسها .

بلغني عن الفقيه أبي محمد بن حزم أنه كان يقول : لم يكن لأصحاب المذهب المالكي بعد عبد الوهاب^١ مثل أبي الوليد الباجي . وقد ناظره بميوزقة فغلَّ من غَرَبِهِ ، وسبَّبَ إحراقَ كتبه ، ولكنَّ أبا محمد وإن كان اعتقد خِلَافَهُ ، فلم يَطْرَحْ إنصافه ، أو حاول الردَّ عليه ، فلم ينسب التقصير إليه . وتوفي أبو الوليد الباجي ، رحمه الله ، سنة أربع وسبعين ، وهو بسبيله من تصنيف الدواوين ، في علوم الدين ، وقد أخرجت ما وجدت من كلامه في هذا الفن الذي أنا في إقامة أوده .

ووجدت للوزير الكاتب أبي محمد بن عبد البر رقعةً كتبها عن مجاهد أمير دانية ، وقَتَّه^٢ ، إلى المظفر ببطليوس في صفته ، يقول في فصلٍ منها : الآفاق — أَيْدِكَ اللهُ — وإن وارت الأنواز والشهب ، والأبعادُ وإن كَشَفَتْ^٣

١ هو أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر القاضي (- ٤٢٢) (انظر في ترجمته ترتيب المدارك ٤ : ٦٩١ وطبقات الشيرازي : ١٦٨ وتبيين كذب المفتري : ٢٤٩ وتاريخ بغداد ١١ : ٣١ والديباج المذهب : ١٥٩ وابن خلكان ٣ : ٢١٩ والمراقبة العليا : ٤٠ والفوات ٢ : ٤١٩ وستأتي ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة ؛ وانظر كذلك مصادر أخرى ذكرت في حاشيتي الوفيات والفوات) .

٢ في النسخ : كَشَفَتْ .

الاستارَ والحجب ، فلن تحجب أنوارَ الفضلِ والكرم ، ولن تسدَّ مطالعَ
 المآثرِ والمهم ، ولن تقطعَ تعاملَ التواصلِ والودادِ ، وتدآبِ التضافرِ^١ والإنجادِ ،
 وتلك حالنا فلننا على بعدِ الدارِ ، وشحطِ المزارِ ، ننطوي على أنفسِ
 متجاورةٍ متلاصقةٍ ، ونأوي^٢ إلى مذاهبٍ متوافقةٍ ، والفقيرِ الحافظِ أبو الوليدِ
 الباجي غَدِي نَعْمَتِكَ^٣ ، ونشأة^٤ دولتكِ ، هو من آحادِ عصره في
 علمه ، وأفرادِ دهره في فهمه ، وما حصل أحدٌ من علماء الأندلس متفقهاً
 على مثل حَظِّهِ وقسمه ، وقد تقدَّم له بالشرقِ صِبْ وَذِكْرٌ ، وحصلَ
 بجَزيرتنا^٤ ونَكَ فيه جمالٌ وفخرٌ ، فإنه إليك تنعطفُ أسبابه ، وعليك
 تلتقي وتلتفُّ آراؤه ، لكن شددتُ عليه يدي ، وجعلته عَلمَ بلدي ، يشاورُ
 في الأحكامِ ، ويهتدى إليه في الحلالِ والحرامِ ، فقد ساهمتك به ، وشاركتك
 فيه ، كما تساهمنا وتشاركنا في الأحوالِ السلطانية ، والأمورِ الدنياوية .

١ د : التضافر .

٢ في النسخ : فانك . . . ننطوي . . . ونأوي .

٣ د : وغرس .

٤ د : بجوزتنا .

ما أخرجه من أشعاره في أوصاف شتى

فمن ذلك قوله^١ :

إذا كنتُ أعلمُ علماً يقيناً بأن جميع حياتي كساعة^٢
فليمُ لا أكون ضنيناً بها وأجعلها في صلاح وطاقه
وقوله في صفة قلم :

وأسر ينطق في مشيه ويسكتُ مهما امرً القدمُ
على ساحة ليلها مشرقٌ مُنيرٌ وأبيضها مدلهمٌ
وشبهتها ببياض المشيب بخالط نور سواد اللثمُ

[ودخل بغداد والحيرمان قد كساه سراويل ، ورماه بطير أبايل ، وقاضي

١ بهامش ط : جملة من شعر أبي الوليد ، وليس في النسخ شعر أو نثر له ؛ وقد جاء في هامش ط المقطوعتان الأوليان الثابتان هنا ، وهناك ما يفيد أنهما نقلتا من نسخة عتيقة ؛ ثم كتب بهامش النسخة نفسها بخط مفاير كثيراً لخط الأصل : « بل بقي نحو الورقة ونصف » وكتب عندنهاية الترجمة ، « بقيت خمسة أبيات » ، وهذا الذي أثبتته هنا إنما جاء في الطبعة المصرية (١٩٧٥) اعتماداً على النسخة الكتانية ؛ وقوله « ما أخرجه » - بضمير الغائب - دليل على أنه ملحق بجهد رجل آخر عدا ابن بسام ، لعله وجده في مسودات ابن بسام نفسه ، أو لعله أضافه مشاكهاً عمل ابن بسام في المقدمات المسجوعة ، وما جاء به مسجوعاً هنا يقارب طريقة ابن بسام ، ولكنه لا يطابقها تماماً . هذا وقد خالفت قراءة الطبعة المصرية في عدة مواضع ، دون أن أشير إلى ذلك .

٢ وردت القطعة في ابن عساكر والقلائد والمغرب والفوات وبغية المنتسب والصلة والمرقبة العليا وابن خلكان ومعجم الأدباء والنفع وترتيب المدارك والديباج المذهب والروض المطار .

قضاتها السمناني ناصح الدين تاج الإسلام^١ يباري القطر ، ويحلي ديباج
الفقر ، فقلّده معهود تحفيه ، وسقاه ماء أمانيه ، وأهّبه من نوم فاقته ، وطبّه
بجودٍ أسرع في إفاقته ، واشتمل عليه اشتمالاً مع صون ماء وجهه عن إراقته ،
أناله ما أحسّبه والله وأكسّبه ، فاقتصر على نداه ، واهتصر أفنان جناه .
وقال يمدحه^٢ :

يا بعد صبرك أنهموا أم أنجدوا	هيهات منك تصبرٌ وتجلّدُ
يأبى سلوكَ بارقٍ متألّقٌ	وشميمٌ عَرَفَ عرارةٍ ومغرّدُ
في كل أفقٍ لي علاقةٌ خولةٌ	تهدي الهوى وبكلّ أرضٍ تُهمّدُ ^٣
ما طال عهدي بالديار وإنما	أنسى معاهدها أسىً وتبلّدُ
ولقد مررتُ على المعاهد بعد ما	لبس البداوةَ رسمها المتأبّدُ
فاستنجدتُ ماء الدموع ليّنهم	فتتابعَتُ حتى توارى المنجّدُ
طفقتُ تسابقني إلى أمد الصيا	تلك الرُّبى ومنالُ شأوي يبعدُ
لو كنتُ أنبأتُ الديارَ صبابتي	نخلٌ ، الصفا بفنائها والجلمدُ
لله أيامُ الشبابِ وحُسْنُها	وغصونهنّ المائساتُ الميّدُ
أيامَ أنقضُ للمراح ذؤابتي	بين اللداتِ ودرع بردي مُجسّدُ
أتقنصُ الظبيّات في سبيل الصبا	فيصيدهن لي العذار الأسود

١ هو القاضي أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد السمناني - سنان العراق - كان فقيهاً متكلماً
على مذهب الأشعري وقد أخذ عنه الباجي علم الكلام بالموصل لا ببغداد ، وتوفي السمناني
سنة ٤٤٤ (الباب والمتنظم ٨ : ١٥٦) .

٢ منها بيتان في معجم الأدباء ١١ : ٢٤٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٣ في البيت إشارة إلى مطلع مطلقة طرفة .

٤ النفع ومعجم الأدباء : رق .

حتى علاني الشيبُ قبل تحلُّمٍ
وحجبتُ أسنَّ الحلم في زمن العبا
وسقتني الدنيا زُعاقَ خمارها
ما هالي صعبُ المرام ولا الذي
أستقربُ الهدفَ البعيدَ بهمةٍ
أسري إذا اعتكر الظلامُ وقادني

ومن مديحه :

حيثُ التقتْ ظُبةَ السَّماحةِ والعلا
فجنابُهُ لا يُستباحُ وجارُهُ
حرَمُ المكارمِ لا [ينال] فيناه
عالي محلُّ النارِ في كَلْبِ الشتا
هذا الشهابُ المستضاءُ بنوره
هذا الذي قمع الضلالةَ بعد ما

وله في المعتضد بالله ٣ :

عبادُ استعبد البرايا
مديحه خيمٌ كلُّ نفسٍ
بأنعمٍ تبلغ النعائمُ
حتى تغنت به الحمائمُ

١ حجيت : لزمت وتمسكت به .

٢ هذا البيت قلق القراءة .

٣ معجم الأدباء ١١ : ٢٥٩ والنفع ٢ : ٧٦ .

٤ النعائم : منزلة من منازل القمر .

٥ معجم الأدباء والنفع : ضمن ؛ والحميم : الخليقة والطبع .

وله يرثي ابنه ١ :

رعى الله قلبين استكانا بيلدة
لئن غيباً عن ناظري وتبوعا
وأبكي وأبكي ساكنيها لعلني
فما ساعدت ورق الحمام أخا أسي
ولا استعذبت عيناى بعدهما كرى
أحنُّ ويشني اليأس نفسي على الأسي
هما أسكنيها في السواد من القلب
فؤادي لقد زاد التباعد في القرب
سأنجد من صحب وأسعد من سحب
ولا روح تريح الصبا عن أخي كرب
ولا ظمئت نفسي إلى البارد العذب
كما اضطرَّ محمول على المركب الصعب

وله يرثي ابنه محمداً ٢ :

أحمدٌ إن كنت بعدك صابراً
ورزئتُ قبلك بالنبي محمد
فلقد علمتُ بأنني بك لاحقٌ
لله ذِكْرٌ لا يزال بخاطري
فإذا نظرتُ فشخصه متخيلاً
وبكل أرض لي من أجلك روعة
فإذا دعوتُ سواك حاد عن اسمه
صبر السليم لما به لا يسلم
ولرزوه أدهى لدي وأعظم
من بعد ظني أنني متقدم
متصرف في صفوه متحكم
وإذا أصختُ فصوته متوهم
وبكل قبر عبرة ونرثم
ودعاه باسمك ميقول بك مغرم

١ المغرب ١ : ٤٠٥ والقلائد : ١٨٩ ومجمع الأدباء ١١ : ٢٥٠ - ٢٥١ وترتيب المدارك

٤ : ٨٠٧ ومنها بيتان في ابن خلكان ٢ : ٤٠٨ .

٢ ترتيب المدارك : وأمطر .

٣ القلائد : ١٨٩ والنفع ٢ : ٧٥ .

٤ القلائد والنفع : لوعة . . . وقفة وتلوم .

حَكَمَ الردي ومناهجٌ قد سنَّها لأولي النهى والحِذْقِ قبلُ مُتَمِّمُ
فلئن جرعتُ فإن ربي عاذِرٌ ولئن صبرتُ فإنَّ صبري أكرمُ

وله بمدح الأمير معز الدولة أبا علوان ابن أسد الدولة ٢ :

محلُّ الهوى من سرِّ حبك أهيلُ وصرفُ النوى عن شملِ شوقي غافيلُ
ولله طيفٌ لا يُلْمُ كأنما له من سهادي في الزيارة عاذلُ
غدا نافرأ لا أستطيعُ اقتناصهُ ولو أن لي يوم الكتيبِ حباتلُ
تبيتُ جفوني صادياتٍ من الكرى ولكنها من ماءٍ دمي نواهيلُ
لئن أمطرتُ روضَ الحدودِ سحابُها لقد صديتُ منا قلوبٌ مواجلُ
خليليَّ ما فاستعرضا الركبَ منهما فقد درجتُ في الريحِ منها رسائلُ
أسروا إلى الليلِ البهيمِ سُرَاهُمُ فنَهَّتْ عليه في الشمالِ شمائلُ
متى نزلوا ثاوين في الخيفِ من منى بدتُ للهوى بالمازمينِ مخايلُ
قلَّله ما ضمتُ منيَّ وشعابُها وما ضمتُ تلك الربى والمنازلُ
ولما التقينا للجِمارِ وأبرزتُ أكفٌ لتقليبِ الحصى وأناملُ
أسرتُ^١ إلينا بالغرامِ محاجرُ وباحت به منا جُسومٌ وواحلُ
سقى أثلاثَ الجزعِ من أم مالك عشارُ سحابٍ مُترعاتِ حوافِلُ

١ القلائد والنفح : والحزن .

٢ منها أبيات في نفح الطيب ٢ : ٨٤ ؛ ومدوح الباجي هذا هو شمال بن صالح المردي صاحب حلب ؛ فهذه القصيدة مما قاله بالمشرق .

٣ النفح : بالخيف .

٤ النفح : لتقيل (وما هنا أصوب) .

٥ النفح : أشارت (وما هنا أصوب) .

وله بمدحه :

لريّاهمُ في عَرَفٍ رَبَّعِكَ عُنْوَانُ
وفيك من الحِمَى الَّذِينَ تَحْمَلُوا
وكم ليلةٍ فيها تَعَسَّفْتُ حَوْلَهَا
سَرِينَا كَمَا يَسْرِي الْخِيَالُ وَغُضِّضْتُ
لَيْسِنَا بِرُودِ اللَّيْلِ حَتَّى تَشَقَّقَتْ
حَوِيَتْ مَعَزَّ الدُّوَلَةِ الْمُلْكِ فَاعْتَرَى
فَلَيْلِمَجْدٍ سِلْكٌ قَدْ أَجِيدَ نِظَامُهُ

ومن حُسْنِهِمْ فِي حُسْنِ مَغْنَاكَ تَبْيَانُ
مُخَايِلُ أَغْصَانِ تَبِيسُ وَكُثْبَانُ
وَكَالِئِهَا مِنِّي مَشِيعٌ وَيَقْظَانُ
عَلَى رَكْبِنَا مِنْ نَاطِرِ اللَّيْلِ أَجْفَانُ
جِيوبٌ تَضِيءُ بِالصَّبَاحِ وَأُرْدَانُ
بَذِكْرِكَ فِي الْآفَاقِ مُلْكٌ وَسُلْطَانُ
وَأَنْتَ لَذَاكَ السِّلْكِ دُرٌّ وَمَرْجَانُ

وله :

تَجَنَّبُ بِجَهْلِكَ مَا صَوَّرُوا
فَإِنَّ الرِّسُولَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وإن كان في سِتْرٍ أَوْ [مِبْرَةٍ] ١
أَحَقُّ الْعَذَابِ لِمَنْ صَوَّرَهُ

وله :

تَبْلَغُ إِلَى الدُّنْيَا بِأَيْسَرِ زَادٍ
وِغَضٍّ عَنِ الدُّنْيَا وَزُخْرَفِ أَهْلِهَا
وَجَاهِدِ عَنِ اللَّذَاتِ نَفْسَكَ جَاهِدًا
فَمَا هَذِهِ الدُّنْيَا بِدَارٍ إِقَامَةٍ
وَمَا هِيَ إِلَّا دَارُ لَهْوٍ وَفَنَةٍ

فَلَا تَكْ عَنْهَا رَاحِلٌ لِمَعَادٍ
جَفَوْنَكَ وَاكْحَلْهَا بِطُولِ سِهَادٍ
فَإِنَّ جِهَادَ النَّفْسِ خَيْرُ جِهَادٍ
فَيُعْتَدَّ مِنْ أَغْرَاضِهَا بَعَادٍ
وَإِنْ قَصَارَى أَهْلِهَا لِنَفَادٍ

وله :

١ انظر النهي عن التصاوير في السّر في سنن النسائي ٨ : ٢١٢ . والميثرة كهينة المرفقة أو الثوب تجلل به الثياب ؛ وهذه القراءة تقديرية .

يا قلبُ إمّا تُكْلفني كاذباً
تُشغلي عن عملي نافعٍ
أخبري بأن تُسلمني نادماً
وحاق بي ما جاء عن ربنا
أو صادقاً عن الهدى جائراً
في موقف ألقاك لي ضائراً
إن لم ألق الله لي عاذراً
(ووجدتوا ما عملوا حاضراً)

وله في معنى السفر :

إذا كنتَ ربي في طريقي صاحباً
فسهل سبيلي وازو عني شرّها
وتخلفني في الأهل ما دمتُ غائباً
وشرّ الذي ألقاه في الأهل آيها

وله في معنى الحمد والشكر :

الحمدُ لله ذي الآلاءِ والنعمِ
مَنْ يحمده الله يأتيه المزيدُ ومن
ومُبْدِع السَّمع والأبصار والكلمِ
يكفرُ فكم نعمِ آتٍ إلى نِقَمِ

وله :

الحمدُ لله حَمْدَ مُعْتَرِفٍ
وأنَّ ما بالعباد مِنْ نِعَمٍ
وانَّ شكري لبعضِ أنعمه
بأنَّ نِعماه ليس نُحْصِيها
فإنَّ مَوْلى الأنام مَوْليها
من خير ما نعمةِ يواليها

وله في قيام الليل :

قد أفلح القانتُ في جُنْحِ الدُّجى
فقائماً وراكعاً وساجداً
له حنينٌ وشهيقٌ وبُكَا
يتلو الكتابَ العربيَّ النيرا
مُبْتَهِلاً مُسْتَغْبِراً مُسْتَغْفِراً
يبلُّ من أدمعه تُرْبَ الثرى

١ الأبيات في ابن عساكر ٦ : ٢٥٠ (ما عدا الثاني) .

إنّا لسفرٌ نبتغي نيلَ المدى ففي السرى بُغيتُنا لا في الكرى
من ينصبّ الليلَ ينلَ راحته عند الصبحِ بحمدِ القومِ السرى^١
وله :

وتيقنْ بأنك الدهرَ تملي في كتاب المستحفظين الكرامِ
ثم تؤقّي يومَ الكتابِ كتاباً ناطقاً بالفجور والآثامِ
وأرى عشرةَ اللسان ، وإن لم تبْدُ ، أنكى من عشرة الأقدامِ
وأرى القولَ كالسهمِ فإن كا ن قبيحاً عادت عليّ سهامي
ومن الغيِّ أن أصابَ بسهمٍ وأنا مالكٌ يمينَ الرامي [

الوزير أبو عامر بن مسلمة^٢

طائلُ الدهر ، وعلمٌ بُردةٍ ذلك العصر ، وأحد جهاذة الكلام ،
وجماهير الشار والنظام ، من قومٍ طالما ملكوا أزمنة الأيام ، وخصّصوا
بالسنة السيوف والأقلام ، لم يزالوا أقماراً في آفاق الكتاب ، وصدوراً في
صدور المراتب ، وكان أبو عامر هذا من شرفهم بمنزلة الفصّ من الخاتم ،
وبمكان السرّ من صدر الحازم . ولما ثلّت تلك العروش الأموية ، واختلت
تلك الدولة القرطبية ، تحيّر إلى المعتضد ، لأملاكٍ قديمة كانت له في البلد ،
فعاش بفضل وفره ، وتصوّن عن الدخول في شيء من أمره ، إلا عن زيارة

١ انظر المثل في فصل المقال : ٢٥٤ ، ٣٣٤ والميداني ١ : ٣٠٣ والفاخر : ١٥٨ والمسكري
(بهامش الميداني) ٢ : ٦٤ .

٢ ترجمته في الجفوة : ٦١ (والبغية رقم : ١٠٧) والمطبع : ٢٣ والمغرب ١ : ٩٦ .

للام ، ومناذمة في بعض الأيام ، جَدَّتهُ إليها ، وغلبه مضطراً عليها ، ولم يزل يتخادع له عن ذلك استدفاعاً لشره ، ومداراةً على بقيّة عمره ، حتى مات مستوراً بماله ، مبقًى على أشكاله ، وله منظومٌ مطبوع ، ونثرٌ بديع ، وقد وقع إليّ من إملأاته ، وغرائب أدواته ، تأليفٌ جمعه للمعتضد سماءه على ما اقتضاه مطابقة الزمان ، ومذهب الألوان ، حديقة الارياح في صفة حقيقة الراح ، دلّ على كثرة روايته [١٢١] وجودة عنايته ، إلى غير ذلك من نظمته ونثره ، وأوردت منه طرفاً شاهداً على ما أجريت^١ من ذكره .

جملة من شعره

نقلت من خطه قال : كتبت يوماً بهذه الأبيات إلى الأديبين أبي عليّ إدريس وأبي جعفر بن الأبار^٢ مستدعياً لهما :

أيا	شقيقي	إخاءٍ	ويا	قسيميّ	صفاءٍ
ومن	هما في	ذوي الفهم	م	جوهرُ	الأدباء
تفضلاً	وأجيباً	إلى	نديّ	نداء	
لتأنسا	بحديثٍ	وقهوةٍ	وغناء		

١ م س : على ما أخرجت .

٢ أبو عليّ إدريس بن اليماني ترد ترجمته في الذخيرة ٣ : ٣٣٦ وابن الأبار سترد ترجمته في هذا القسم : ١٣٥ .

قال ، فأجابني إدريس :

يا صِنُوْ ماءِ السماءِ	في رقةٍ وصفاء
ويا سراجَ ضياءِ	يجلو دجى الظلماء
بهرتَ سيما ذكاءِ	في بهجةٍ وذكاء
وحزتَ في العلياءِ	قوادمَ الجوزاءِ
يا حاتمَ الكرماءِ	وأحمدَ الشعراءِ
بادهتنا بلال	سواطعِ اللآلئِ
قريضُ حُسنٍ كلرٌ	على طلى الحسناءِ
يقود في كل معنى	معنى الغنى والغناءِ
وقد أجبنا إلى ما	دعوت من آلاءِ
[لازال] نجمك ^١ أسمى	من نجم كل سماءِ

قال الوزير أبو عامر : وبعث إليّ أبو الأصبغ بن عبد العزيز^٢ باكورَ بهارٍ وكتب معها :

وبهارٍ أَلَمْ قَبْلَ الأَوَانِ	في بهاءٍ يروقُ رأيَ العيانِ
أمكن القطفَ في مدى شهرِ شريرٍ	نَ على غيرِ عادةٍ الإمكانِ
سبق الزهر ^٣ في الفضائلِ طرّاً	وكسا بالجمالِ فضلَ الزمانِ

قال ، فأجبتُه :

١ م ط س : بخت .

٢ سيأتي طرف من خبره في هذا القسم : ٢٠٦ .

٣ م ط د س : الدهر .

يا إماماً في السبق يومَ الرهان كلَّ حينٍ يؤمّني بالأمان
وصل الرّجسُ المبكرُ يحكي سبقَ عبادِ الملكِ اليماني
يا بهارَ الرياضِ أنتَ بهارٌ باهرُ الأنوارِ والريحان

قال الوزير أبو عامر : وأعلمتُ ابنَ الأَبَرِ بخبرِ البهارة ، وكان عليلاً
وقلت له : إني نادمتها ليلتي ، وجعلتها مؤنستي على قهوتي ، فكتب إلي :

بالله كيف النديمة يا ذا السجايا الكريمة
عذراءُ تعبقُ شمأً وأنتَ تعبقُ شيمه
أحبيبُ بها بكرَ نورٍ من البهارِ يتيمه
فتلكَ عندي والعو دَ لا نديما جدِّيمه
فاصبِ غُدَيْتَ عليها من المدامةِ ديمه
والدهرُ يمضي فبادرُ من الزمانِ غنيمه
وانعمْ بدولةِ ملكٍ ثنى الغيوثِ لثيمه
عبادِ المُصَيِّفِ المج دَ باللهي المظلومه

وله في وصف مشروب زيب :

مُرَّةٌ ماتت زماناً بحجابٍ يحتويها
لَبِثَتْ في بطنِ أمّ غَيَّبَتْهَا عن بنيتها
أَلْحَدَتْهَا الشمسُ دهرًا ثم عاد الروحُ فيها
كان ماءُ المزنِ عيسى إذ وضعناه بفيها

١ كذا في م ط د س ، وهو مختل ، ولعل صوابه « باهري الأنوار » .

٢ م ط س : فيها .

فانبرى منها سراجٌ
وبدأت منها شمسٌ
عزبت ألبابنا إذ
عزبت في شاربها
رائقٌ من يجتليها
عزبت في مطليها

والمصحفي^١ قبله القائل :

٢١١ ب [ولما تولّى بابة الكرم جائرٌ
ولم يبق من جثمانها غير جلدتها
وصلت بها الماء القراح عافطاً
عليها فأصلاها بزعمكم الشمساً
غدت للذي تحويه من روحها رمساً
فراح لها جسماً وراحت له نفساً

وذكر الوزير أبو عامر أنه ما رآه ، ولا نظر إليه ، ولا اعتمد عليه ،
ولا قصده ، ولو سمعه لما أورده .

وقال :

ومهففي^٢ غض الشباب منعّم
قد جاء يسمى^٢ بالندام فقلت لا
لا تسقي راح الكؤوس وسقني
فأقام لي من لحظه ورضابه
وضللت في ليلي فأبدى غرة
فيه أطرت إلى الجماح جناحي
إني هجرت تعاطي الأقداح
سحر العيون بقسم مقام الراح
راحاً وقام الخد بالنفاح
أغنت عن المصباح والإصباح

قال : وبلغني أن ابن الأبار صدّ عنه يوماً من بهواه ، وواصل سواه ،
فكتب إليه :

١ هو الحاجب جعفر بن عثمان المصحفي ، منافس المنصور بن أبي عامر ، وقد قضى عليه المنصور
سنة ٣٦٧ (وأخباره في المصادر التاريخية المتعلقة بتلك الحقبة ، وانظر المطمح : ٤ - ٨) .
٢ يسمى : سقطت من ط م س .

قد هَجَرَ الأَنسُ والسُّرُورُ
وغيَّضَت غِيضَةً التَّمَنِّي
وأفقرَ الرَّبْعُ بعدَ أنسٍ
إِذْ هَجَرَ الشَّادِنُ النَّفُورُ
فطُفِرَ نَوَارِهَا حَسِيرُ^١
فَعَمِرَ لَهْوُ الْفَقْرِ قَصِيرُ

قال : فراجعني بهذه الأبيات :

يَا مَنْ بِهِ تَزْدَهِي الدُّهُورُ
وَمَنْ إِذَا احْتَلَّ فِي عُلَاهُ
قَدْ عُوْتِبَ الشَّادِنُ الْغَرِيرُ
وَمَنْ لِي بِالْجَوَابِ نِيهَاً
فَافْتَرَّ عَنْ وَاضِحٍ شَنِيبٍ
ثُمَّ تَلَاكَ لَنَا عُيُونُ
تَرْجَمَ بِالشَّعْرِ عَنْ مَعَانٍ
وَلَمْ نَزَلْ نُعْمِلُ الْحَمِيَا
مَدَامَةً أَفْتَتِ اللَّيْسَالِي
تَخَالُهَا فِي الْكُؤُوسِ سِرًّا
حَتَّى إِذَا مَا الصُّدُودُ^٢ أَوْدَى
فَاهِنًا بِمَا قَدْ هُنَا مُحِبَّ
كَانَ لَكَ اللَّهُ مِنْ وَفَى
إِنَّ الْوَرَى أَصْبَحُوا أَجَاأَ
وَمَنْ لَهُ تَخَضَّعُ الْبُدُورُ
فَكُلُّ جَفْنٍ بِهِ قَرِيرُ
فَعَادَ مِنْ وَصْلِهِ الْيَسِيرُ
وَهُوَ بِمَا قَلْتُهُ خَبِيرُ
فِيهِ لَمِيتِ الْهَوَى نَشُورُ
تَخَالَفَتْ تَحْتَهَا الصُّدُورُ
ضَنَّ بِإِعْلَانِهَا الضَّمِيرُ
وَاللَّحْظُ مَا بَيْنَنَا سَقِيرُ
وَأَرْضِيعَتْ ثَدْيُهَا الدُّهُورُ
وَهِيَ لِشَرَابِهَا سُرُورُ
تَنَاوَلَتْ مَرْجَهَا الثُّغُورُ
خَطَرُكَ فِي نَفْسِهِ خَطِيرُ
وَفَى بِهِ دَهْرُنَا الْغُرُورُ
وَإِنَّكَ السَّائِعُ النَّصِيرُ

١ موضع هذا الشطر بياض في ط د س وقد جاء في م بخط مختلف عن خط الأصل .

٢ س م : السُّرُور .

لَطُفْتُ ظَرْفًا وَطَيْتَ حَتَّى تَرَجَّمَ عَنْ خُلُقِكَ الْعَبِيرَ
لَا زِلْتَ بِالْفَضْلِ لِي مَلِيًّا فَإِنِّي بِالثَّنَا فَقِيرَ

[٢٢١] وقال الوزير أبو عامر ^١ :

أَهْلًا وَسَهْلًا بوفودِ الربيعِ وَتَغْرِهِ الْبَسَامِ عِنْدَ الطَّلُوعِ
كَأَنَّمَا أَنْوَارُهُ ^٢ حُلْسَةٌ مِنْ وَثْنِي صِنْعَاءَ السَّرِيِّ الرَّفِيعِ
أَحْبَبُ بِهِ مِنْ زَانِرٍ زَاهِرٍ دَعَا إِلَى اللَّهِو فَكُنْتُ السَّمِيعِ
بَثَّ عَلَى الْأَرْضِ دَرَانِيكَةً ^٣ فَكُلُّ مَا تُبْصِرُ فِيهَا بِدِيعِ

قال الوزير أبو عامر : وكتبْتُ إلى ابن الأَبار يوماً بهذه الأبيات :

قُلْ لِأَبِي جَعْفَرٍ الْمُتَّقَى مِنْ سَرٍّ قَحْطَانٍ وَخَوْلَانِ
انْظُرْ إِلَى الظُّبْيِ الْأَنِيقِ الَّذِي يَخْتَالُ فِي أَبْرَادِ إِحْسَانِ
كَأَنَّمَا مَقْلَتُهُ ^١ بِأَبْلِ حُقَّتْ بِسِحْرِ الْإِنْسِ وَالْجَانِ
كَأَنَّمَا شَارِبُهُ بِهَجَّةٍ زَمَرْدٌ مِنْ فَوْقِ مَرْجَانِ
كَأَنَّمَا أَرْدَافُهُ عَالِجٌ وَقَدَّهُ غُضْنٌ مِنَ الْبَانِ

قال ، فأجابني بأبيات منها قوله :

وَأَبَايَ ذَاكَ الْغَزَالُ الَّذِي يَحُولُ فِي سَرٍّ وَإِعْلَانِ
مُقَرَّطَقٌ يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُوٍ رَصْعَهُ الْحَسَنُ بِمَرْجَانِ
أَفْدِيهِ مِنْ أَحْوَرَ أَجْفَانِهِ نَامَتْ لَكِي تَسْهَرُ أَجْفَانِي

١ منها ثلاثة أبيات في المغرب ١ : ٩٧ .

٢ المغرب : أزهاره .

٣ الدرانيك : البسط .

لما بدا لي جيدُهُ مُتَلَعاً قلتُ لمن قد ظلَّ يلحاني
لا فزتُ منه بجميعِ المنى إن كانَ هذا عندَ رضوانِ
من أينَ للظبي كَأَجْفَانِهِ أو مثلَ ذاكِ الخوطِ للبانِ
ما هو إلاَّ [...] برهانِ وحجَّةُ اللوطي على الزاني

قال : وكتب إلي ابن الأَبَر أيضاً بهذه الأبيات :

يا مُفْصِحَ الكفِّ واللسانِ بالطَّوْلِ طوراً وبالبيانِ
عندي مَنْ عندَهُ فؤادي ومن تجنَّبه قد براني
أظنها نومةٌ لِقُردي أو غفلةٌ الغيرِ من زماني
وليس سرُّ السرور إلاَّ ضرةٌ أخلاقِكَ الحسانِ

قال فأجبتَه :

يا مالكَ السحرِ والبيانِ وناظمِ الدَّرِّ والجُمانِ
أكرمُ بمولى أجابَ عبداً فأقبلِ الدهرَ بالأمانِ
وانترحتَ دولةَ التناهي واقتربتَ دولةَ التداني
وكلُّ شيءٍ يكونُ عندي ملكُكَ يا ناظرَ الزمانِ
وقد بعثتُ المدامَ تحكي جزءاً من أخلاقِكَ الحسانِ

الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم^١ :

يُدبِعُ ذلكَ الزمانُ ، أحدَ وزراءِ المعتضدِ الكَتَّابِ الأعيانِ ، وممنَّ

١ ذكره صاحب المذوذة مرتين : ٦٥ : ٢٨٣ (البغية رقم : ٣٨٣ ، ١٥٧٢) فقال في
الموضع الأول إنه أديب شاعر يروي عنه ابنه عبد العزيز ، وأن ابن حزم ذكره ، وأورد
له في الموضع الثاني أبياتاً من قصيدة طويلة قالها في القاضي أبي الفرج ابن العطار .

شهيرَ بالإحسان ، في صناعة النظم والنثر ، ولم أقعْ له عند نقلي هذه النسخة إلا على النافه النَّزْرُ ، وعلى ذلك فقد كتبتُ له منهما ما يشهد أنه كان من أهل الرواية والعلم ، وذوي الدراية والفهم .

فصول له من مقامة

قال في أولها : سقى عَهْدَكَ أيتها الدمنةُ الزهراءُ كلَّ عهد ، وجاد قُطْرَكَ أيتها الروضةُ الغناءُ كلَّ قَطْر ، وسال عليك من أدمعي كلَّ مِلْتِ هَطَّال ، وتناوحتْ عليك من أضلعي كلَّ جنوب وشمال ، منشرةً أنوارك ، لا مُعَقِّبةً آثارك ، ومهديةً أَرْجَلَ ونسيمك ، لا مُغَيِّرةً أطلالكِ ورسومك ، فكم لنا في واديك من بُلْهَنِيَّةِ زمانٍ أُنِيق ، وفي مغانيك من رفاهية عيشٍ رقيق ، نُعَلُّ بِكَاسِي عَتَابٍ وإعتاب ، ونرتعُ في جَنَبَتِي صَباً وتصاب ، غُدُوْنَا من عشيقٍ إلى صديق ، ورواحنا من صَبُوحٍ إلى غَبُوق ، وخليلتنا مساعد ، وعدوْنَا مباعِد ، ورقيننا أعمى ، وزماننا أعشى ، حتى إذا استيقظ الدهرُ من هجعتِه ، وهبَّ من غطيط رقدته وسكرته ، ضرب فوقنا يجرانِه ، وصرف إلينا لَهْذَمَ سِنَانِه ، ولبس لنا جِلْدَةَ النَّمِر ، وقلَّبَ لنا ظهرَ المِجَنِّ ، وألقى علينا بَعَاعَه ، وطمس ذوننا شِيعَه ، مسترداً ما وهب وأعطى ، ومكدرأ ما منع وأصفى :

أبدأُ تسردُّ ما تهبُّ الدنُّ يا فيا ليت جودها كان بخلا^١

١ م س : جنبي .

٢ ط د : لنا .

٣ البيت المتنبي ، ديوانه : ٤٠٠ .

فما لبث أن صدعَ مروتننا ، وقصمَ عروتننا ، وحلَّ عقدتنا ،
ونثرَ عقدتنا .

وفي فصل منها : وكان لي أليف ، وعقيد شريف ، من صرحاء الاخوان ،
وصيابة الفتيان ، ومُصاصِ أعيان الزمان ، وحين سَوَّلْتُ لي همتي ما
سَوَّلْتُ ، وخَبَّلْتُ لي أمني ما خَبَّلْتُ ، أَجَلْنَا قِدَاحَ الرَّأْيِ ، وأسهمنا
بين القُربِ والنَّأْيِ ، شاورَ في أمري قريحتهُ ، ونخلَّ لي نصيحته ، وقال :
أرى أن لا تريمَ بَيضَتِكَ^١ وأرومتك ، وأنْ تُوطِنَ أَرْضَكَ ولا تفارق
عشيرتك ، وأربأ بك عن مُضِلَّاتِ المني ، وأعيذك من تُرْهَاتِ لعلِّ^٢
وعسى ، فتحسبُ كل بيضاء شحمة ، وتظنُّ كلَّ سوداء تمرة^٣ ، وربما
سَقَطَ العشاءُ بكَ على سِرْحَانِ^٤ ، وكلُّ الناسِ بكر ، وفي كلِّ وادٍ
بنو سعدٍ^٥ :

والرفق يمنٌ والأناةُ سعادةٌ فاستأنِ في رفقٍ تلاقٍ نجاحاً^٥

وان أبيتَ إلا التحولَ ، فعليك من الرؤساء . بأحلمِ الحلباء ، ومن القرباء
بأشرفِ الشرفاء ، ولا تَغُرَّنَكَ المناصبُ ، دونَ المناسبِ ، ولا المَقُولُ

١ ط د س : ببيضتك .

٢ انظر المثل « ما كل بيضاء شحمة » و « ما كل سوداء تمرة » في المسكري ٢ : ٢٨٧ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٦٩ .

٣ انظر فصل المقال : ٣٦٢ والميداني ١ : ٢٢٣ والمسكري ١ : ٥١٤ (أبو الفضل)
والفاخر : ٢٠٦ وقد مر تخريجه ص : ٨٣

٤ انظر المسكري ١ : ٦١ والميداني ١ : ٣٦ .

٥ بيت شعر للناطقة الذبياني (انظر اللسان والاساس : أنى ، وفصل المقال : ٣٢٨) .

دون المعقول ، ولا الدراهم دون المكارم ، وازهد في أكثر كل عين ،
واذكر قول [ابن] الحسين ^١ :

وما رغبت في عسجدٍ أستفيده ولكنّها في مفخرٍ أستجده ^٢

فلما سمعتُ ووعيتُ ، ارتكنتُ ^٣ وتوليت ، ثم آيت قبولاً ، ليقضي
اللهُ أمراً كان مفعولاً ، وناقضتُ نصحه بقول حبيب ^٤ :

وإن صريح العزم والرأي لا مريء إذا بلغته الشمس أن يتحولا

ومغتراً بقول الثاني ^٥ :

تلقى بكل بلادٍ أنت نازها أهلاً بأهلٍ وجيراناً بجيرانٍ

وفي فصل منها : وصرّح لي الدهر عن أهله ، ووجدت الناس اخبر
تقله ^٦ ، من أمير لا أسميه ، ووزير أقنعت الواو فيه ، وكاتب أمي ،
وقاض جبلي ^٧ ، وأمة مبورة ، في قرية مصورة ، وإذا اختلفوا أنشدوا :

ومن تكن الحضارة أعجبتّه فأبي رجالٍ بادية ترانا ^٨

١ ديوان المتنبي : ٤٥٤ .

٢ م ط س : ارتكبت .

٣ ديوان أبي تمام ٣ : ١٠٦ .

٤ م ط س : ومعنى القول الثالث .

٥ هذا من الحديث ، والهاء في « تقله » هاء السكت : ولفظ الحديث لفظ الأمر ، ومعناه الخبر ،
أي من خبرهم أنفضهم (التاج : قل) .

٦ جبلي : نسبة الى جبل وقاضيا يضرب به المثل في الجهل (ثمار القلوب : ٢٣٦) .
وفي النسخ : حني .

٧ البيت للقطامي ، ديوانه : ٧٦ .

[أ٢٣] فينا^١ أقرع السنين^٢ ، وأعض^٣ الكفين^٤ ، وأخضب^٥ بلا
حناء^٦ ، وأنشد^٧ في الأمراء :

وإذا نظرتُ إلى أميرِ زادني كلفاً به نظري إلى الأمراء^٨

إذ قرع البشيرُ بابي ، وطرقَ المستأذنُ حجابي ، قائلاً : رسولُ
مولاك ، وكتابهُ وإفاك ، فممتُ أساقطُ من الجدل ، وأعثرُ في دعائِرِ العجل ،
مقبلاً فاه ، وصائحاً : زاه .

وفي فصل منها : وأفضنا في وصفِ معاليه ، واستنشدني فأنشدته ما
قلته فيه ، فقال : بزاغة القصحاء ، وبراعة الشعراء ، دعني من زُخرفِ
شعرك ، وَصِفْهُ لي بِمُنْصِفِ ثرك ، فللمنظوم رونق ، وأنت فيه ذو
طولق^٩ ، فقلتُ : على الخبير سقطت ، وأنا الكفيلُ بما سألت وشرطت ،
وأسمعته سجعاً لا نظماً ، ونثراً لا شعراً ، فقلت : هو الإمام الطاهر ،
والكوكب الزاهر ، والأسدُ الحادرُ ، والبحرُ الزاخر ، أوهبُ الملوكِ
للذخائر ، وأعفاهم عن الجرائر ، وأرفعهم قدرأ^{١٠} ، وأوسعهم صدرأ^{١١} ،
وأطيبهم ذكرأ^{١٢} ، أعطرأ^{١٣} من العنبر ، في كل منبر ، وأفروحُ من المسكِ الذكي^{١٤} ،

١ ط : فيها .

٢ م ط : وأنشدوا .

٣ البيت لعدي بن الرقاع العاملي ، انظر الشعر والشعراء : ٥١٧ وتمام المتون : ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٤ طولق : انظر في شرح هذه اللفظة ١ : ٢٦٨ ، ٣ : ٦٥٣ من الذخيرة ، وهو هناك شرح استعاجي ،
وقد جاء في شرح القصيدة الساسانية لصفي الدين الحلي أن الطولق درج فيه تصاوير و تماثيل ،

انظر : C. E. Bosworth: The Mediaeval Islamic Underworld part II p. 73

(Arabic Part), p. 329 (Eng. Trans).

٥ ط : قدرأ .

٦ د : أطيب .

في كلّ نَدِيٍّ ، الحليمُ فما يفضب ، والجوادُ وما يرغب ، والشجاعُ وما
يرهب ، والقويُّ وما يعنف ، واللينُّ وما يضعف ، والرفيقُ^١ إذا ساس ،
والمصيبُ إذا قاس ، ينبوع كلّ جدل ، ودافع كلّ وجل ، وحسبك بي
عنده^٢ من جليسٍ رئيس ، أكلتمُ منه سبحانه ، وأخذ عن إقمان ، وأستزلُّ^٣
كبيان :

له كبرياء المشتري وسعوده وسطوةُ بهرامٍ وظرفُ عطاردي^٤

وقمر إلا أنه بشر ، وجبلٌ إلا أنه رجل ، بحرٌ علمٍ . وطودٌ حلم ،
وعالم في عالم : الأصمعيُّ عنه ناقل ، والجاحظ عنه باقل ، إذا ركب ضاق
عنه الأفق ، وإذا تبدّى وسع الدهر ندى ، وإن نطقَ بينَ وصدق ، وإن
كتب أبدعَ وأغرب ، نداه سحائب ، وكتبه كئائب ، مشرقياته من
لسانه وبيانه ، وخطياته من أقلامه وبنانه . تمشق فيها جوادُ فهمه ، ويمرّ
دِررَ أشواها من آدابه وعلمه ، ويسحبُ لها من فكره مضماراً . ويثير من
مداده قسطنطلاً وغباراً ، ويرتبُ فيها الحروف ، ترتيبَ الصفوف . ويمشق
بها في المهارق ، مشقّة في الطلّ والمفارق ، هذا إلى روحانية ملك ، في
تجلّته ملك . فاستطيرَ فرحاً ، وازدهى مرحاً . وخفّ فقام إليّ ،
ورفّ يقبلُ بينَ عينيّ ، وكأنه إنما نُشِرَ من قبر ، أو صحا من سكر ، وقال :
أصبتَ واللهِ القرطاس ، وبنيتَ على أساس . وفُزْتَ بالقدر المعلنّ ،
وتخلّيتَ من الجلتى ، والحديثُ ذو شجون : متى الحركة ؟ وفيمَ التلوّمُ

١ س ط د م : والرفيق .

٢ م ط س : عندهم .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ٧١ .

٤ م ط س : وخاف .

والمقام ؟ وكنت شاكياً فقلت : رويدَ الإبلالِ ، وبُعَيْدَ الإقلالِ ^١ ، قال :
فَسِيرْ في كنف السَّلامة ، إلى وطن الكرامة .

وله من رقعة كتبها عن المعتضد إلى الوزير الفقيه أبي حفص الهوزني ،
قال فيها : وردني كتابك الأثير المقابل بين النثر البليغ والنظم البديع ،
تَصَرَّفْتَ فيهما نصْرُفَ من إذا حاك الكلامَ طَرَزَ ، وإذا غَشِيَ ميدانَ
البيان برَّزَ ، وأخذ بأفاق العلوم ، وأشرقتْ خواطِرُهُ فيها كإشراقِ النجوم ،
ولمَّا لفضيلةٌ بَعُدَ فيها شأوك ، وفات جَهْدُ المجارينَ لك عَقْوُك ؛
فأمَّا ما صَدَّرْتَهُ به من بالغ إطرأ ، وسابغ ثناء ، فأمرٌ أعلمُ أَنَّهُ صَدَرَ
عن عهدٍ كريمٍ ، ومعتقدٍ سليمٍ ؛ أنا معتقدٌ عليهما بحملى القرض ،
والمجازاة الحسنة بهما في وكيد القرض . واقترضت ما تلا ذلك من وعظك
المبرور ، واحتسابك ^٢ المشكور ، في الحال التي أشرتَ إليها فأقنعت ،
ورَمَزْتَ ^٣ بها فأسمعت ، بصحة دينك ، وبرَدِ يقينك ، حتى نظرت
إلى ما دَهَمَ المسلمين من كَلَبِ العدو عليهم : يجوسون ^٤ البسيط من
ديارهم ، ويستبيحون ^٥ المحوط من ديارهم ، ليس إلى الانقيادِ عن أحكامهم
دِفَاعٌ ، ولا سوى الانحياز من أمامهم امتناع ، قد تبينَ لهم أنْ تخاذلنا
لهم علينا ناصراً ، وتواكلنا مظاهير ^٦ مؤازرٍ ، فلا يَعْدُمُونَ من يتخلى لهم

١ رويد الإبلال ، الإقلال : بياض في م د س ، وثبت في ط بخط مغاير لخط الأصل .

٢ في النسخ : واحسانك ، واثبت ما في هامش ط .

٣ ط د : وزمرت .

٤ م ط د س : ويحرمون .

٥ د : ويستحيون ؛ م ط س : ويستحبون .

٦ خ بهامش ط : مضافر .

عن بلد ، أو يعطيهم الجزية عن يدٍ ﴿ ولو شاء الله لانتصر منهم ، ولكن ليلو بعضكم ببعض ﴾ (محمد : ٤٧) .

ولقد شرحت من تلك [٢٣ ب] النُصَبِ ما يُسْهِرُ التَّوَاطُرَ ، ويبلد الخواطر ، ولا يدع ركنَ عزٍّ إلا أوهاه ، ولا بناء جلد إلا أرداه ، ولا عِدًّا صَبْرًا إلا أغاضه ، ولا نمدَّ دمعًا إلا أفاضه ، وإن الحذر أن تَغْشَى^١ التي لا شوى لها ، وتفجأ التي لا لعا منها ، فَيُرامُ من ذلك استكفاف سَبِيلٍ من التلف قد انحدر ، وَيُنْظَرُ في أعقابِ نجمٍ من التلافي قد انكدر ، إلا أن يعودَ الله علينا برحمته ، ويهيء لنا أسباب عِصْمَتِهِ .

وأما ما ندبت إليه ، وحضضت عليه ، من إحقاق^٢ السعي فيما يَتَمَنَعُ^٣ المشركين - بدّهم الله - ويجمعُ عليه كلمة المسلمين ، فيعلمُ الله أني قد ناجيتُ بذلك وناديتُ ، وراوحتُ فيه وغاديتُ ، وبثتُ رسلي إلى ذلك داعين ، يَصِلُونَ التذكرة ، ويوَكِّدُونَ التبصرة ، ويتلون المواعظ ، ويستثيرون الحفاظ ، فَصَمَّتِ^٤ المسامعُ ، واتفقت في التثاقلِ المنازع ، وَخَلَّجَ^٥ بالخذلان ، وَتُجَوِّزُ^٦ الجمجمةُ في ذلك إلى الإعلان ، ولو شاء الله لجمعهم على الهدى .

وفي فصل منها : وأما إزماعك للتقل . وأن أرسم لك مكان التحول ، فأني مكان يكون ذلك سوى وطنك الذي تعرّفت فيه سابغ الأمن ،

١ د : بحر .

٢ م : تمحي .

٣ في النسخ : إجهاد والاحقاد : الاسراع .

٤ م : وجلح ؛ س : وجلح .

وتلقيت فيه طائر البُسن ، ولم تعدم المحل الرفيع ، والجانب المنيع ،
والسكون مني إلى من لم يزل يعتمدك بإيثاره ، ويشاركك في خاص أسراره ،
ويرفع قدرك فوق أقدار الأكفاء ، ويحط عن منزلتك منازل النظراء ،
وان كان قد جرى قدر بمفارقة فكانت سليمة لم يتبعها إلا حال لك محوطة
محفوظة ، وساقاة^١ بعين الصيانة مكلوءة^٢ ملحوظة .

وهذه أيضاً جملة من شعره

له في المعتضد من قصيد أوله :

دونَ الأحبة بالوعساء أعداءُ	وسلّم كل بعيد الهم هينجاءُ
والحب كالجد لا ينفك من كبَد	فيه يلد لنا يؤس ونعماءُ
حفيظة منك عين الله تكلوها	وشيمة شيم منها العين والطاءُ
وهية لم تزل تعنو إليك بها	والدين يخط منه الليل عشواءُ
مدوا إليك أكف البغي فأنجذمت	وقد خلّت منهم بالسيف أقفاءُ
وقادة في وجوه القوم أنجلها	من حد سيفك تويخ وإدماءُ
أبناء دابة من مقطوف ^٣ هامهم	على الجنوع لها وقع وإقعاءُ
قوم هم نبلوا الإسلام قاطبة	عنهم كما نبذ الأموات أحياءُ

ومعنى البيت الثاني منها كقول حبيب^٣ :

١ هذا يعني ان الهوزني قد خلف له أقرباء في اشيلية حين ارتحل عنها .

٢ طس : مطوف .

٣ ديوان أبي تمام ٢ : ١٨ .

كَأَنَّهُ كَانَ تَرِبَ الْحَبِّ مُذْ زَمِنَ فَلَيْسَ يُعْجِزُهُ قَلْبٌ وَلَا كَبِيدُ
وَأَخَذَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ ١ :

وَقَدْ صُفِّتَ الْأَسْتَةُ مِنْ هُمُومٍ فَمَا يَخْطُرُنْ إِلَّا فِي فُؤَادِ
وَقَالَ مِنْ أُخْرَى ٢ :

سَحَبَتِ عَلَى أَثَرِ الْخِيَالِ ذِيُولَا سَرَتْ تَعُودُ مِنَ الصُّدُودِ عَلِيلَا
عَلَّلْتُ مِنْكَ بِكُلِّ وَعْدٍ كَاذِبٍ وَسَرَى خِيَالُكَ بِالرُّضَى تَخْيِيلَا
لَوْ كُنْتُ صَادِقَةً رَحَلْتُ إِلَى الصَّبَا وَخَضِبْتُ شَيْبِي بِالشَّبَابِ مَحِيلَا
سَقِيَا لَهَيْدِكَ وَالشَّبَابُ مُلَاوَةٌ ثَنِي عَيُونَ الْحَوْرِ عَنِّي حَوْلَا [١٢٤]
أَيَّامَ أَمْرَحُ فِي الصَّبَابَةِ خَالِعَا رَسْتِي وَأَسْحَبُ فِي الْمَجُونِ ذِيُولَا
وَأَصِيدُ بَيْنَ حِمَائِلِي وَحِبَائِلِي صِيدَا وَغِيدَا مَا يَدِينُ قَتِيلَا
وَمِنْهَا :

يَا هَذِهِ عَنِّي إِلَيْكَ فَإِنَّ لِي أَمَلًا بِأَعْنَانِ السَّمَاءِ كَفِيلَا
مَنْ لَمْ يَبْتَ عِنْدَ ابْنِ عَبَّادٍ فَقَدْ ضَلَّ السَّبِيلَ وَأَخْطَأَ التَّامِيلَا

وَمِنْهَا فِي وَصْفِ حَرْبِهِ مَعَ صَاحِبِ سَبْتَةِ :

فَارِخْ جِيَادَكَ فِيهِ أَطْلَاحُ السَّرَى وَقَدْ الْجِيُوشَ إِلَى الْعِدَا أُسْطُولَا
أَنْشَأْتَنَ سَفَائِنًا وَمَدَائِنًا وَجَنَّبْتَنَهُنَّ كَتَائِبًا وَرَعِيلَا
دَهْمٌ تُخَالُ الْبَيْضَ فِي أَوْسَاطِهَا بَلَقًا وَفِي أَطْرَافِهَا تَحْجِيلَا
قُرِعَتْ بِأَوْسَاطِ الرِّيَاحِ فَأَسْرَعَتْ فِي الْمَاءِ تُعْمِلُ كَلْكَلًا وَتَلِيلَا

١ ديوان المتنبي : ٧٩ .

٢ وقع هنا خرم في م .

قوله : « لو كنت صادقة » . . . البيت ، نقل لفظه من قول أبي الطيب^١ :

خُلِقْتُ أَوْفًا لَوْ رُدِدْتُ إِلَى الصَّبَا لفارقت شيبي مُوجَع القلبِ بِأَكْبَا

وقال محمد بن هاني^٢ :

لخَطَطْتُ شَيْئًا مِنْ عِذَارِي كَاذِبًا ومحوت مَحَوَ النَقْسَ عَنْهُ شَبَابًا
وَحَضَبْتُ مَبِضَّ^٣ الْحَدَادِ عَلَيْكُمْ لو أَنِّي أَجِدُ الْبَيَاضَ خَضَابًا

وله من أخرى في المعتمد^٤ :

أَشِيتَ الْبَرْقَ بَاتَ لَهُ اثْتِلَاقٌ تَضِيءُ بِهِ الْأَمَازِ وَالْبُرَاقُ
وَبَيْنَ جَوَانِحِي قَلْبٌ مُطَارٌ جَنَاحَاهُ أَدَّكَارٌ وَاشْتِيَاقُ

ومنها :

وَلَمْ أُنْسَ الْكَيْبَ وَلَيْلَتَيْهِ كَأَنَّهُمَا اخْتِلَاسٌ وَاسْتِرَاقُ
نَجُومِ الرَّاحِ فِي أَفْلَاكِ رَاحٍ مَشَارِقُهَا الْمَطَرُفَةُ الرَّاقُ
وَشَدُوْهُ تَطْرَبُ الْأَلْفَاظَ عَنْهُ كَمَا نُفِضَتْ مِنَ الدَّرِّ الْحَقَاقُ
وَأَفْصَحَ مِنْ أَبَانَ النَّصْحِ عَنْهُ يَدٌ نَيْطَتْ بِهَا قَدَمٌ وَسَاقُ
تَذَكَّرْتُ الصَّبَابَةَ وَالتَّصَابِي هُنَاكَ إِذْ تَرَوْقُ وَلَا تَرَاقُ
وَنَحْنُ كَأَنَّنَا غُصْنَا أَرَاكَ قَدْ اشْتَبَكَا وَضَمَّهْمَا اعْتِنَاقُ
ذِرَاعَاهُ عَلَى عُنُقِي نَجَادٌ وَسَاقَاهُ عَلَى كَتِفِي نَطَاقُ

١ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٢ ديوان ابن هاني : ١٩٩ .

٣ الديوان : مسود .

٤ في المعتمد : لم ترد في ط س .

٥ س ط : البحر .

إذا ما الشمس ورّستها أصيلٌ أدالَ الإصطباحَ لها اغتباقُ
ومن نِعمِ ابنِ عبّادٍ كؤوسٌ نُعلُّ بها وأقداحُ تُتّاقُ
ومن كفّ الربيعِ لنا ربيعٌ يصوب حياً ومن حمصٍ عراقُ

وله فيه وقت انصراف قرطبة إليه ، وقتل ابن عكاشة على يديه :

صفا لك الشربُ كانت فيه أقذاءُ وعاد بُرءٌ على ما أفسدَ الداءُ
ولن يُعجّلَ مقدورٌ له أجلٌ وللأمورِ مواقفٌ وآناء [٢٤ ب]
وقد تباطأ وحي الله آونةُ عن النبيّ وغابت عنه أنباءُ
فليهنك الصنعُ قد راقّت عواقبهُ وشُفّعتْ عنه بالآلاءِ آلاءُ
فتحٌ كما وضعَ الإصباحُ منه على آفاقٍ مُلُكك إشراقُ ولآلاءُ

ومنها في رثاء ابنه :

الظافر الذفر الذكري معطرةُ منه المنابرُ ألقابُ وأسماءُ
رزقته فاحتسبهُ عند خالقه زُلّفتي بذلك تقربُ وإدناءُ
ولو أفادَ عليك الحزنُ فائدةً لكان صخرأ وکلّ الناسِ خنساءُ
تشرفت بك دولاتٌ وأزمنةُ وفاخرت بك أمواتٌ وأحياءُ

ومن مريّة له في المعتضد :

عليك أبا عمرو سلامٌ مُودّعٍ له كبّدٌ بين الضلوعِ دخيلُ
عمت الورى بالكلّ فيك رزيةُ وقبّحت وجهَ الصبرِ وهو جميلُ
فمن شاء فلينظرْ بعينِ حقيقةٍ ففبك لنا وعظّم مداهُ طويلُ
يرى الأرض فيها الأرض كيف تزلزلت بنا ويرى الأطوادَ كيف تزولُ
أقلّت فمادت حمصٌ بعدك دُجّةُ كأنك شمسٌ والزمانُ أصيلُ

١ س ط : وأحداق نشاق ، وتناق : غففة من تتاق أي تملأ .

وكتب إلى الوزير أبي عامر بن مسلمة من جملة أبيات :

يا ابن الكرام السادة الخُلص	قولاً بلا إفك ولا خَرَص
ماذا ثرى في القصف متكثراً	مع رنة الطنبور والرقص
فلعلتي أشفي بريقتيها	من عارض في الصدر كالغصص
والدُّ عند سماع مُبْهَجها	من طيب الأخبار والقصص
أهل العراق على مذاهبها	لا تلق منهم غير مرتخص

فأجابه أبو عامر بأبيات منها :

يا جهيداً قد قال بالرخص	القصفُ عندي غايةُ الفُرص
مع ماجدٍ حلٍ شمائله	ذي حُنْكةٍ للهوا والقنص
فإذا مضت للفطر ثانية	أرسلتُ خيلَ اللهو للقنص
فجرت لدى الميدان جامعة	وجريت في لبّ من الرخص
في مجلسٍ قد طاب مجلسه	خالٍ من التكدير والنقص

الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب^٢ :

كان سديدَ سهمِ المقال ، بعيدَ شأو الروية والارتجال ، والأديب

١ م : باللهو .

٢ أبو الوليد اسماعيل بن محمد بن عامر بن حبيب . الملقب بحبيب ، وقال ابن الأبار إن أباه كان يلقب بذلك ، توفي في حدود ٤٤٠ وهو ابن اثنتين وعشرين سنة (وقال ابن سعيد : ابن تسع وعشرين سنة) ؛ وذهب ابن سعيد إلى أن المعتضد هو الذي قتله ، وكان له أخ اسمه محمد بن محمد بن عامر وهو شيخ أبي بكر ابن العربي ؛ وكانت لأبيه قدم في الرياسة عند المعتضد كما أشار ابن بسام في هذا الجزء . (انظر الجذوة : ١٥٢ والبغية رقم : ٥٣٤ والتكملة : ١٨٠ والمغرب ١ : ٢٤٥ والنفع : ٣ : ٤٢٧ والمسالك ١١ : ٢١٥) ؛ وكتابه « البديع في فصل الربيع » نشر بتحقيق هنري بريس ، الرباط : ١٩٤٠ .

أبو جعفر بن الأبار هو الذي أقام قناته^١ ، وصقل - زعموا - مرآته^٢ ، فأطلعه شهاباً ثاقباً ، وسلك به إلى فنون الآداب طريقاً لاجباً ، ولو تحاماه صرّف الدهر ، وامتد به قليلاً طلقُ العمر ، لسدَّ طريق الصباح ، وغبّر في وجوه الرياح . توفي ابن اثنتين وعشرين [٢٥ أ] سنة ، فذهب بأكثر ما كان في ذلك الوقت من حسنة ، وقد أعرب عن ذلك من أمره بأبيات شعر قرأتها على قبره ، وله كتاب سمّاه بـ « البديع في فصل الربيع » جمع فيه أشعار أهل الأندلس خاصة ، أعرب فيه عن أدب غزير ، وحظ من الحفظ موفور ، وقد أخرجت من نثره ونظمه ، ما يشهد بغزارة علمه وفهمه .

فصل من نثره

قال في صدر التأليف الموصوف^١ : فصل الربيع أرج وأبهج ، وأنس وأنفس ، وأبدع وأرفع ، من أن أحدَ حُسْنِ ذاته ، وأعدَّ بديع صفاته ، وهو مع سماته الرائقة ، وآلائه الفائقة ، لم يعن بتأليفها أحد ، وما انفرد بتصنيفها^٢ منفرد .

وله فصل من أخرى إلى أبيه^٣ : لما خُلِقَ الربيعُ من أخلاقك الغرّ ، وسرَقَ زَهْرُهُ من شيمك الزُّهر ، حَسُنَ في كلِّ عين منظره ، وطاب في كلِّ سمع خبره ، وتاقت النفوسُ إلى الراحة فيه ، ومالت إلى الإشراف

١ البديع : ١ .

٢ البديع : بتأليفه . . . بتصنيفه .

٣ البديع : ٢٨ - ٢٩ والنسخ ٣ : ٢٧ والمطاء الحزبيل في كشف غطاء الترسيل ص : ٤ .

٤ البديع والمطاء : لكل .

على بعض ما يحتويه ، من النور الذي كسا الأرض حُللاً ، لا يرى الناظرُ
في أثنائها خللاً . فكأنها نجومٌ نُثِرَتْ على الثرى ، وقد ملئت مسكاً وعنبراً ،
إن تَنَسَّمْتَهَا فَأَرَجَةٌ ، أو تَوَسَّمْتَهَا فبهجة ، تروقُ العيونَ أجناسها ،
وتُحيي النفوسَ أنفاسها :

فالأرضُ في بردةٍ من يانعِ الزَّهرِ تُزري إذا قِستَها بالوشي والحبرِ
قد أحكمتها أكفُ المزنِ واكفةً وطرزتها بما تهمي من الدررِ
تبرجتْ فسبَّتْ منَّا العيونَ هوىً وفنته بعد طولِ السَّترِ والخفرِ

فأوجدني سبيلاً إلى إعمال بصري فيها ، لأجلو بصيرتي بمحاسنِ نواحيها ،
والفصلُ على أن يكملَ أوائه ، وينصرمَ وقتهُ وزمانه ، فلا تُخليني من
من بعضِ الشفَى منه ، لأصدِرَ نفسي متيقظةً عنه ، فالنفوسُ تصدأ كما
يصدأ الحديد ، ومن أجمها فهو السَّديدُ الرشيد .

وله من أخرى إلى بعض إخوانه^١ : قد علم سيدي أن بمرآه يكملُ جذلي ،
ويدنو أمني . وقد خللتُ محلاً عُنِيَ الجوّ بتحسينه ، وانفردَ الربيعُ بتحسينه ،
فكساه حُللاً من الأنوار ، بها ينجلي صدأ البصائر والأبصار ، فمن مكتوم^٢
يعبقُ مِسْكُهُ ، ولا يمنعه مَسْكُهُ ، ومن بادٍ يروق مجتلاه ، ويفوق مجتاه ،
في مرآه ورياه ، فتفضّل بالخفوفِ نحوي ، وتعجيلِ اللحاقِ بي ، لنجددَ
من الأنس مغاني دَرَسَتْ ، ونفكَّ من السرورِ معاني قد أشكلت وأبست^٣ ،

١ البديع : ٢٩ .

٢ البديع : ٣٠ والمطاء الجزيل : ٤ .

٣ البديع : مكوم .

٤ في النسخ : وأبست .

ونشكر للربيع^١ ، ما أَرانا من البديع .

قال ابن بسام : ووجدت لأبي الوليد هذا رسالةً عارض بها أبا حفص ابن برد في رسالته في تقديم الورد على سائر الأزهار . فخرج فيها أبو الوليد - خروج أبي حفص بن برد - على الورد، ودعا إلى البهار، وأسمع سائر الأنوار، فنصبه إماماً، ولولا اشتهاه فضل الورد لكانت لزاماً، وقد اقتضيت من الرسالتين قبض فصول، تخفيفاً للتثقيب، وجمعاً للشمل، ومقابلة للشكل، وقدّمتُ رسالة ابن برد، على حُكْم الإحسان ومقتضى النقد . وهي رقعة خاطب بها ابن جهور^٢ ، قال فيها^٣ :

أما بعد ، يا سيّدي ومنّ أنا أفديهِ . فانه ذكر بعض أهل الأدب المتقدمين فيه، وذوي الظرف المعتنين بمُلَحِّ معانيه، أنّ صنوفاً من الرياحين، وأجناساً من أنوار البساتين، جمعها في بعض الأزمنة خاطراً خَطَرَ بنفوسها . وهاجسٌ هَجَسَ في ضمايرها . لم يكن لها بدٌّ من التفاوض فيه والتحاوُر، والتحاكُم من أجله والتناصف، وأجمعتُ على أن ما ثبت في ذلك من العهد، ونَقَدَ من الحليّ، ماضٍ على من غاب شخصه . ولم يثنُ منها وقته، فقام منها قائمها فقال: يا معشرَ الشجر، وعامةَ الزَّهر . إن الله تعالى اللطيف الخبير^٤ [٢٥ب] الذي خلق المخلوقات، وذراً البريات، بايّنَ بين أشكالها وصفاتها، وباعد بين مِنَحها وأعطياتها . فجعل عبداً وملكاً . وخلق قبيحاً

١ ط م د س : الربيع .

٢ هو أبو الوليد ابن جهور ، وفي المطاء الجزيل : ابن جمهور .

٣ البديع : ٥٢ (وابن بسام يوجز في النقل) وانظر أيضاً المطاء الجزيل : ١٢٦ - ١٢٧

ونهاية الأرب ١١ : ١٩٦ .

٤ المطاء : إن اللطيف الخبير .

وحسناً . فضَّلَ بعضاً على بعض^١ حتى اعتدل بِعَدْلِهِ الكلُّ ، وانَّسَقَ على لطف قدرته الجميع ، فجعل لكلٍّ واحد منها^٢ جمالاً في صورته ، ورقةً في محاسنه ، واعتدالاً في قَدِّه ، وعبقاً في نسيمه ، ومائيَّةً في ديباجته ، وقد عطفت علينا الأعين ، وثنت إلينا الأنفس ، وزهت بمحضرنا المجالس ، حتى سَفَرْنَا بين الأحبَّةِ ، ووصلنا أسباب القلوب ، ونَحْمَلْنَا لطائف الرسائل ، وصيغ فينا القريض ، وركبَت على محاسننا الأعاريض ، فطمح بنا العُجْبُ ، وازدهانا الكبر ، وَحَمَلْنَا تفضيل مَنْ فضَّلنا ، وإيثار مَنْ آثرنا ، على أن نَسِينَا الفِكرَ في أمرنا ، والتمهيدَ لعواقبنا ، والتطبيبَ لأخبارنا ، وادعينا الفضلَ بأسره ، والكمالَ بأجمعه ، ولم نعلمْ أنَّ فينا من له المزيَّةُ علينا ، ومن هو أولى بالرياسة منا ، وهو الورد الذي إنْ بذلنا الإنصافَ من أنفسنا ولم نَسْبَحْ^٣ في بحرِ عمانا ، ولم نَمِلْ مع هوانا ، دِنًا له ، ودعونا إليه ، فمن لقيه منا حيَّاه بالملكِ ، ومن لم يدركْ زَمَنَ سُلْطَانِهِ ، ودولة أوانِهِ ، اعتقد ما عُقِدَ عليه ، ولبَّى ما دُعِيَ إليه ، فهو الأكرمُ حَسَباً . والأشرفُ زَمَنًا ، إنْ فَقِدَ عَيْنُهُ لم يُفْقَدْ أثره . أو غاب شخصه لم يَغِبْ عَرَفُهُ . وهو أحمر والحمرة لونُ الدم ، والدم صديقُ الروح ، وهو كالياقوت المنضَّدِ ، في أطباقِ الزبرجد ، وعليها فرائد العسجد ، وأما الأشعار فبمحاسنه حَسُنَتْ ، وباعتدال جماله وَزِنَتْ .

١ البديع والمطاء : فضل على بعض بعضاً .

٢ البديع والمطاء : منا .

٣ البديع : نرتكض .

٤ المطاء : عليها .

وفي فصل منها : وكان ممن حضر هذا المجلس من رؤساء الأنوار والأزهار ، الرجس الأصفر والبهار ، والبنفسج والخيري النمام^١ . فقال الرجس الأصفر : والذي مهّد لي حِجْرَ الثرى ، وأرضعني ثديّ الحيا ، لقد جئت بها أوضح من لبّة الصباح ، وأسطق من لسان المصباح ، ولقد كنتُ أسيرُ من التعبّد له والشغف به ، والأسف على تعاقب الموت دون لقائه ، ما أنحل جسمي ، ومكّن سقمي ، وإذ قد أمكن البوح بالشكوى ، فقد خفّ ثِقْلُ البلوى .

ثم قام البنفسج فقال : على الخير سقطت ، أنا والله المتعبّد له ، والداعي إليه . المشغوف به ، وكفى ما بوجهي من ندوب ، ولكن في التأسي بك أُنس . ثم قام البهار فقال : لا تنظُرُنَّ إلى غضارة منبتي ، ونضارة ورقّي^٢ ورقتي ، وانظروا إليّ وقد صرتُ حدقةً باهتةً تشير إليه ، وعيناً شاخصة تندي بكاءً عليه :

ولولا كثرةُ الباكين حولي على إخوانهم لقتلتُ نفسي^٣

ثم قام الخيري^٤ فقال : والذي أعطاه الفضلَ دوني ، ومدّ له بالبيعة يميني ، ما اجترأت قطّ إجلالاً له ، واستحياءً منه ، على أن أتنفّس نهاراً ، أو أساعد في لذة صديقاً أو جاراً ، فلذلك جعلتُ الليلَ سراً ، واتخذت جوانحه كيناً .

١ المطاء : وهو النمام .

٢ د : رونقي .

٣ الخشاء ، ديوانها : ١٥٢

٤ المطاء : الخيري النمام .

فلما استوت آراؤها قالت : إن لنا أصحاباً ، وأشكالاً وأنساباً ، لا نلتقي بها في زمن^١ ، ولا نجاورها في وطن ، فهلّم فلنكتب بذلك عقداً ينفذ على الأقاصي والأداني : فكتبوا رقعةً نسختها : هذا ما تحالف عليه أصنافُ الشجر . وضروبُ الزهر ، وسميهاً وشتويها . وربيعيها وقبضيها ، حيث ما نجمت من وهادٍ^٢ أو ربوة ، وتفتحت من قرارة أو حديقة ، عندما راجعت من بصائرهما . وألمت من مراشدها ، [واعترفت بما سلف^٣] من هفواتها . وأعطت للورد قيادها ، وملاكته أمرها ، وعرفت أنه أميرها المقدم لخصاله^٤ فيها ، والمؤمر لسوابقه^٥ عليها ، واعتقدت له السمع والطاعة ، والتزمت له الرق والعبودية ، وبرئت من كل زهرٍ نازعته نفسه المباهاة^٦ له . والانتراء عليه . في كل وطن ، ومع كل زمن ، فانه زهرة قضى عليها لسان الأيام هذا الحلف ، فلنعرف أن إرشادها فيه ، وقيام أمرها به .

وأما رسالة أبي الوليد فخطب [٢٦ أ] بها المعتضد يومئذ [قال] فيها^٧ : فأول من رأى ذلك الكتاب . وعين الخطاب . نواوير فصل الربيع التي هي جيرةُ الورد في الوطن ، وصحابتُهُ في الزمن ، ولما قرأته أنكرت^٨ .

١ ط م : زمناً في زمن .

٢ العطاء : تلمعة .

٣ زيادة من البديع والعطاء الجزيل .

٤ العطاء : بخالصة .

٥ العطاء : بسوابقه .

٦ ط م د س : نازعه المباهاة .

٧ البديع : ٥٨ والعطاء الجزيل : ١٢٧ .

٨ البديع : أنكبرت .

ما فيه ، وبنت على هدم مبانيه ، ونقض معانيه ، وعرفتِ الورد بما عليه ،
 فيما نسب إليه : من استحقاقه ما لا يستحقه ، واستناله ما لا يستأهله . ورأتُ
 أنَّ مخاطبة من أخطأ تلك الخطيئة ، وأدنى من نفسه تلك الدنية ، تدبيرٌ
 دَبْرِيٌّ ، ورأيٌ غيرُ مرضي ، فكتبت إلى الأقحوان والخيري الأصفر كتاباً
 قالت فيه : لو استحق الوردُ إمامةً ، واستوجب خلافةً . لبادرَتْها آباؤنا ،
 ولعقدها أوائنا ، التي لم تزل تجاوره في مكانه . ونجى معه في أوانه ؛
 ولا ندري لأي شيءٍ أوجبتُ تقديمه ، ورأتُ تأهيله ، بما غيرهُ أشكلُ
 له وأحقُّ به ، وهو تَوَرُّ البهار ، البادي فضله بُدْوُ النهار ، والذي لم يزل
 عند علماء الشعراء ، وحكماء البلغاء ، مشبهاً بالعيون التي لا يحول نظرها ،
 ولا يحورُ حَوَرُها ، وأفضلُ تشبيه الوردِ بينصرة الحد عند من تشيع فيه ؛
 وأشرفُ الخواص العين ، إذ هي على كلِّ متَوَلٍّ عَيْنٌ^٢ ، وليس الحدُّ حاسةً ،
 فكيف تبلغه رئاسة ؟ :

أينَ الحدودُ من العيونِ نفاسةً ورئاسةً لولا القياسُ الفاسدُ^٣
 وأصح تشبيه الورد وأقربه من الحق قول ابن الرومي في الشعرِ الطائي^٤
 ولقد وافق ووفق . وشبهه فحقَّق .

١ العطاء : لا يحول . . . ولا يحول .

٢ البديع : منول ؛ وفي النسخ : منول عون ، وآثرت قراءة العطاء الجزيل .

٣ البيت لابن الرومي ، انظر ديوانه ٢ : ٦٤٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ١٩٣ وديوان
 المعاني ٢ : ٢١ وحلقة الكميت : ٢٠٢ ؛ وعند هذا البيت ينتهي ما جاء من هذه الرسالة
 في العطاء الجزيل .

٤ يشير إلى قول ابن الرومي في هجاء الورد (حلقة الكميت : ٢١١) :

وقائل لم هجوت الورد معتمداً فقلت من رقبته عندي ومن سخطه
 كأنه سرم بفل حين يخرج منه عند البراز وباتي الروث في وسطه

وطول أبو الوليد في رسالته هذه ، وختمها بمبايعة الأزهار للبهار ،
فرجعت عن تقديم الورد في خبر طويل .

ومن شعر أبي الوليد في أوصاف شتى

قال يصف ورداً بعث به إلى أبيه ^١ :

يا من تأزَّرَ بالمكارم وارتدى	بالمجد والفضل الرفيع الفائق
انظر إلى خدَّ الربيع مركباً	في وجه هذا المهرجان الرائق
وردٌ تقدَّم إذ تأخَّرَ واغتندى	في الحُسْنِ والإحسانِ أول سابق
واقاك مشتملاً بثوب حياته	خجلاً لأنَّ حياك آخر لاحق

وقال فيه ^٢ :

إنما الوردُ في ذُرَى شَجَرَاتِهِ	كأجلَ الملوك في هَيَاتِهِ
نفحة المسك من شذا نَفَحَاتِهِ	خَجَلُ الخدِّ من سنا خَجَلَاتِهِ
مُرِجَتُ حمرة اليواقيت بالدرِّ	فجاءت به على حَسْبِ ذاته
مثل ما جاء من سماح وبأس	خَلُقَ الحميري سُمُّ عَدَاتِهِ
إن يَعيدُ فالوفاء حَتَمٌ عليه	فَرَضُهُ في صِلَاتِهِ كَصَلَاتِهِ

وقال ^٣ :

١ البديع : ١٢٨ ونفع الطيب ٣ : ٤٢٨ .

٢ البديع : ١٢٩ .

٣ البديع : ١٥٥ والمسالك ١١ : ٢١٥ والنفع ٣ : ٤٢٨ .

أتى^١ الباقلاء^٢ الباقل^٣ اللون لا بساً
تري نوره^٤ يلتاح^٥ في ورقاته^٦
وقال^٧ :

كان نور^٨ الكتان حين بدا
أكف^٩ فيروزج^{١٠} معاصمها^{١١}
أولا فزرق^{١٢} الياقوت^{١٣} قد وضعت^{١٤}
وقال^{١٥} :

وقهوة لا يحدّها منصر^{١٦}
إذا دنت فالسرور^{١٧} مبتسم^{١٨}
كانها والحباب^{١٩} يحجبها^{٢٠}
غيت^{٢١} عنها فليست^{٢٢} أقربها^{٢٣}
رقت^{٢٤} وراقت^{٢٥} في أعين النظر^{٢٦}
وان نأت^{٢٧} فالسرور^{٢٨} مستعبر^{٢٩}
بحر^{٣٠} من التبر^{٣١} يقذف^{٣٢} الجواهر^{٣٣}
بناظر^{٣٤} منه يسكر^{٣٥} المسكر^{٣٦}

وبيته الثالث في هذه من التشبيه الذي ما له من شبيه ، وأما بيته الأخير
منها فمن قول ذي الرمة^{٣٧} :

وعينان قال الله كونا فكانتا^{٣٨} فعولان^{٣٩} بالألباب^{٤٠} ما تفعل^{٤١} الخمر^{٤٢}

وزاد أبو الوليد زيادة حسنة^{٤٣} : لم يقنع^{٤٤} أن يفعل^{٤٥} ناظره^{٤٦} فعل^{٤٧} الخمر^{٤٨} حتى
أسكرها^{٤٩} منه . وقال^{٥٠} :

١ البديع : أرى .

٢ البديع : برود .

٣ البديع : ١٥٧ والمسالك نفسه .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ديوان ذي الرمة : ٤٧٨ .

وكأسٍ لها كَيْسٌ على اللبِّ والعقلِ
 كأنَّ حَبَابَ الماءِ في جَنَابِهَا
 تزيدُ ذوي الألبابِ فضلاً ولم تزل
 غيتُ بمن أهواه عن نشواتها
 شمولُ تريكِ الأنسِ مجتمَعِ الشَّمْلِ
 دروعُ لُجَيْنٍ قد جَلَّتْهَا يدُ الصقلِ
 تُدِيلُ بطبعِ الجودِ من طَبَعِ البخلِ
 فمن طَرَفِهِ خمري ومن ريقه نُقْلِي

وقال :

حِمَامٌ بلحظك قد حُمَّ لي
 وإن لم تُغثني بمعنى الحياة
 فيها أنا قاضٍ بداءِ الهوى
 فيها لَيْتَ قَبْرِي حيثُ الهوى
 عسى مَنْ تَلِفْتُ بِحِجِّي له
 فإن جاد بالوصل بعد الوفاة
 فيا صاحبي هناك اخفرا
 إذا ما أدركتْ كؤوسَ الهوى
 مُدَامَ تَعَتَّقُ بالناظرين
 فما زال يهدي إلى مقتلي
 من ريقِ مِسْمَكِ السلسلِ
 وقاضي جمالِك لم يَعْدِلِ
 فأكرمُ بذلك من منزلِ
 يرقُّ على ذي بلاءٍ بلي
 رجعتُ إلى عيشي الأوَّلِ
 ولا تخفرا لي بقطرِ بُلِ
 ففي شربها لَيْتَ بالموثلي^٢
 وتلك تَعَتَّقُ بالأرجلِ

وهذا البيت مما أغربَ به على الألباب ، وأغرب فيه عن موضعه من
 الصواب ، وبين قول أبي الطيب شبه بعيد ، ولكن لأبي الوليد فضلُ
 التوليد ، وحسنُ من النقل ليس عليه مزيد ، وهو قوله^٣ :

١ د : أردت ؛ طس : رأيت .

٢ هذا البيت والذي يليه في المغرب ١ : ٢٤٥ : روايات المبرزين : ٣٩ (١٦ غ) والنفع
 والمسالك .

٣ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

انظر إذا اختلفَ السيفانِ في رَمَجٍ إلى اختلافهما في الخلقِ والعملِ
 هذا أعدى^١ لريب الدهر منصلتاً وعددٌ ذاك^٢ لرأس الفارسِ البطلِ
 وقال الآخر وإن لم يكن به :
 بالهند تُطْبَعُ أسيافُ الحديدِ وفي بغداد تُطْبَعُ أسيافُ من الحدقِ

الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار^٣

أحد شعراء المعتضد المحسنين المتقنين [٢٧ أ] انتحل الشعرافتنَ وتصرف ،
 وعُنيَ بالعلم فجمع وصنّف ، وله في صناعة النظم فضلٌ لا يُردّ ، وإحسانٌ
 لا يعدّ ، وقد كتبتُ طرفاً مما أبدع ، ليكونَ أعدلَ شاهدٍ على أنه تقدّمَ
 وبرعَ .

ما أخرجته من شعره في أوصاف شتى

قال^٤ :

لم تدرِ ما خلّدتَ عيناك في خلدي من الغرامِ ولا ما كابدتُ كبدي

١ الديوان : هذا المعد .

٢ الديوان : أعد هذا .

٣ هو أحمد بن محمد الخولاني الاشبيلي (- ٤٣٣ هـ) ، كان كثير الشعر (انظر ترجمته في ابن خلكان ١ : ١٤٤ والجذوة : ١٠٧ وبقية الملتبس رقم : ٣٦٤ والمغرب ١ : ٢٤٣ والمسالك ١١ : ٤١٨ والوافي ٨ : ١٣٧ وله أشعار في النفع والبدیع في فصل الربيع) .

٤ انظر الوافي ٨ : ١٣٧ ومنها بيتان في المسالك .

أفديك^١ من زائر رام الدنوّ فلم
خاف العيون فوافاني على عَجَل
عاطيته الكأس فاستحييت مُدامتها
حتى إذا غازلت أجفانهُ سنّة
أردت توسيدهُ خدي وقلّ له
فبات في حرّم لا غدرَ يذعره
بلدرُ ألمٌ وبلدرُ التّمّ متحقّ
تخيرَ الليلُ فيه أين مطلعه
يسطّعه من غرق في الدّمع متقد
معطلاً جیده إلا من الغيد^٢
من ذلك الشّنب المعسول بالبرد^٣
وصيرته يدُ الصبهاء طوّع يدي
فقال كفك عندي أفضل الوسد
وبتُ ظمآن لم أصدر ولم أُرِد
والأفق محلولك الأرجاء من حسد
أما درى الليل أن البدر في عضدي

قال ابن بسام : وقد رأيت من يروي هذه القطعة لادريس بن اليماني ،
وهو الأشبه بما له من الألفاظ والمعاني ، وهي لمن كانت له منهما رائقة ،
ومتأخرة سابقة ، في التزام العفاف مع السلاف ، وما سمعت بأبدع منها لأحد
من أهل هذا الأفق . وإنما أثبت هنا بعض مقطوعات في معناها لأهل المشرق
ثم أعود لإيراد ملحّ أهل أفقنا ، وأرجع إليها وأكرّ بعدُ عليها ، وأقدّم
أولاً الحديث : « من أحبّ فعمّ ومات فهو شهيد » ، والعفاف مع البذل ،
كالاستطاعة مع الفعل ، ولله درّ صريع الغواني ، فهو صاحب بديع في أكثر
المعاني ، كقوله :

ألا ربّ يوم : صادق العيش نلتُهُ بها ونداماي العفافة والبذل^٤

١ الوائي : أفديه .

٢ الوائي : الجيد .

٣ الوائي : والبرد .

٤ روى ابن بسام منها بيتين لادريس في الذخيرة ١ : ٨٧ .

٥ زهر الآداب : ٧٢٧ وديوان صريع الغواني : ٩١ .

وقال الآخر^١ :

وبتنا فوقَ الحمي لا نحن منهمُ
وباتَ يقينا ساقطَ الطلِّ والندى
نعدّي بذكرِ الله في ذاتِ بيننا
ونصلى عن ربي العفاف وربما
ولا نحن بالأعداءِ مختلطانِ
من الليل بُردًا بمنّةٍ^٢ عطرانِ
إذا كان قلبانا بنا يردانِ
نقعنا غليلَ النفسِ بالرشقانِ

وقال الصمة القشيري^٣ :

بنفسي من لو مرَّ برَّدُ بنانه
ومن هابني في كلِّ شيءٍ وهيبتهُ^٤
على كبدي كانت شفاءً أناملُهُ
فلا هو ييداني ولا أنا سائله

وقال القسَّ المكي^٥ :

أهابك أن أقولَ بذلتُ^٦ نفسي
حياءً منك حتى سلَّ جسي
ولو أني أطعتُ القلبَ قالا [٢٧ ب]
وشقَّ عليَّ كتمانِي وطالا

وقال العباس بن الأحنف^٦ :

أناذنون لصبٍ في زيارتِكُم
لا يضمُرُ سوءَ إن طالَتِ إقامته
فعندكم شهواتُ السَّمعِ والبصرِ
عفُّ الضميرِ ولكن فاسقُ النظرِ

١ انظر الزهرة : ٦٦ .

٢ ط د : ديمة .

٣ هما ليزيد به الطبرية في ابن خلكان ٦ : ٣٦٩ والأغاني ٨ : ١٦٤ .

٤ الأغاني ٨ : ٣٣٧ .

٥ ط د م س : بذات .

٦ زهر الآداب : ٧٢٧ والزهرة : ٦٧ وديوانه : ١٤٧ .

ولبعض الطالبين^١ :

رَمَوْنِي وَلِيَاها بِشِغَاءِ هَمِّهَا أَحَقُّ أَدَالَ اللهَ مِنْهُمْ وَعَجَلًا
بِأَمْرِ تَرْكَنَاهُ وَرَبِّ مُحَمَّدٍ جَمِيعًا فَإِذَا عَفَّةً أَوْ تَجَمَّلًا

وقال سعيد بن حميد^٢ :

زَائِرٌ زَارَنَا عَلَى غَيْرِ وَعْدٍ مُخْطَفُ الْكَشْحِ مُثْقِلُ الْأُرْدَافِ
غَالِبَ الْخَوْفِ حِينَ غَالِبَهُ الشَّوْ قُ وَأَخْفَى الْهَوَى وَلَيْسَ بِخَافِ
غَضٌّ طَرَفِي عَنْهُ تَقَى اللهَ وَاخْتَر تٌ عَلَى بَذْلِهِ بَقَاءَ التَّصَافِي
ثُمَّ وَلَّى وَالْخَوْفُ قَدْ هَزَّ عَظْفِي هُ وَلَمْ نَحْلُ مِنْ لِبَاسِ الْعَفَافِ

وأنشد الصولي لأبي حاتم السجستاني في أبي العباس المبرد ، وكان يلزم
حلقته ، وهو غلام وسيم^٣ :

مَاذَا لَقِيتُ الْيَوْمَ مِنْ	مَتَمَجِّنٍ خَنَثِ الْكَلَامِ
وَقَفَّ الْجَمَالَ بِوَجْهِهِ	فَسَمَتْ لَهُ حَدَقُ الْأَنَامِ
حَرَكَاتُهُ وَسَكُونُهُ	تُجَنِّي بِهَا ثَمَرُ الْأَنَامِ
وَإِذَا خَلَوْتُ بِمَثَلِهِ	وَعَزَمْتُ فِيهِ عَلَى اعْتِرَامِ
لَمْ أَعُدْ أَفْعَالَ الْعَفَا	فَ وَذَاكَ أَكْرَمُ لِلْغَرَامِ
نَفْسِي فِدَاؤُكَ يَا أَبَا أَل	هَبَاسَ حَلَّ بِكَ اعْتِصَامِي
فَارْحَمِ أَخَاكَ فَإِنَّهُ	نَزَرُ الْكَرَى جَادِي السَّقَامِ
وَأَنِلْنَاهُ مَا دُونَ الْحَرَا	مَ فَلَيْسَ يَطْمَعُ فِي الْحَرَامِ

١ زهر الآداب : ٧٢٧ والروض المبطار (بيروت ١٩٧٥) : ١٩٤ .

٢ زهر الآداب : ٧٢٧ .

٣ متابع لزهر الآداب : ٧٢٧ .

وكان أبو حاتم يتصدق كلَّ يومَ بدينار ، ويحتم القرآن في كل أسبوع .

واجتمع^١ أبو العباس بن سريج الشافعي وأبو بكر بن داود القياسي في مجلس الوزير ابن الجراح فتناظرا في الإيلاء ، فقال له ابن سريج : أنت بقولك «مَنْ كَثُرَتْ لِحَظَاتُهُ ، دَامَتْ حَسَرَاتُهُ» ، أبصر منك بالكلام في الإيلاء ، فقال أبو بكر : لئن قلتَ ذلك فاني أقول :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلَتِي	وَأَمْنَعُ نَفْسِي أَنْ تَنَالَ مَحَرَّمَا
وَأَحْمِلُ مِنْ ثِقَلِ الْهَوَى مَا لَوْ أَنَّه	يُصِيبُ عَلَى الصَّخْرِ الْأَصَمِّ نَهْدَمَا
وَيَنْظُرُ طَرْفِي عَنْ مَرَجٍ خَاطِرِي	فَلَوْلَا اخْتِلَاسِي رَدَّهَ لَتَكَلَّمَا
رَأَيْتُ الْهَوَى دَعَايَ مِنَ النَّاسِ كُلِّهِمْ	فَلَسْتُ أَرَى حَبًّا صَحِيحًا مُسَلَّمَا

فقال أبو العباس : لم تفتخر^٢ عليّ . ولو شئت أنا أيضاً لقلت : [١٢٨]

وَمَطَاعِمٍ لِلشَّهْدِ مِنْ نَفْسَانِيهِ	قَدْ بَتُّ أَمْنَهُ لَذِيذِ سِنَانِيهِ
ضَنْئًا بِحَسَنِ حَدِيثِهِ وَكَلَامِهِ	وَأَكْرَرُ اللَّحْظَاتِ فِي وَجَنَانِيهِ
حَتَّى إِذَا مَا الصَّبْحُ لَاحَ عَمُودُهُ	وَلَى بِخَاتَمِ رَبِّهِ وَبِرَاتِهِ ^٣

فقال أبو بكر : يُحْفَظُ عَلَيْهِ مَا قَالَ ، حَتَّى يَقِيمَ عَلَيْهِ شَاهِدِي عَدْلِ أَنَّهُ وَلَّى بِخَاتَمِ رَبِّهِ ، قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : يَلْزَمُنِي فِي ذَلِكَ مَا يَلْزَمُكَ فِي قَوْلِكَ :

أَنْزَهُ فِي رَوْضِ الْمَحَاسِنِ مَقْلَتِي . . . الْبَيْت .

١ متابع لزهر الآداب : ٧٢٨ وانظر ابن خلكان ٤ : ٢٦٠ والوافي ٣ : ٥٨ ومصارع

العشاق ٢ : ١٣٧ .

٢ ط : تفخر .

٣ وبراءته : مخفف من « وبراءته » .

فضحك الوزير ابن الجراح ، وقال : لقد جمعنا ظرفاً ولطفاً وفهماً
وعلماً .

وقال الشريف الرضي ^١ :

بتنا ضجيعين في ثوبَي هوى وتقى	يلقنا الشوق من قرنٍ إلى قَدَمِ
وبات بارقُ ذاك الثغر يوضحُ لي	مواقعَ اللثمِ في داجٍ من الظلمِ
وباتت الريحُ كالغَيْرى تجاذبنا	على الكتيبِ فضولَ الرِيطِ واللممِ
يوكِّعُ الطلُّ بُردَنا وقد نَسَمَتْ	رُويحةُ الفجرِ بين الضَّالِّ والسلمِ
وأكمَّ الصبحُ عنها وهي غافلةٌ	حتى تكلمَ عصفورٌ على علمِ
فقمْتُ أنفض بُرداً ما تعلَّقَه	غيرُ العفافِ وراءَ الغيبِ والكرمِ

وقال المتنبّي ^٢ :

وأشَبَّ معسولِ الثَّيَّاتِ واضحٍ	سَرْتُ فَمِي عَنْهُ فَقَبَّلَ مَفْرَقِي
وأجِيادَ غَزْلانٍ كجيدِكَ زَرْنِي	فَلَمْ أَتَبَيَّنْ عَاطِلاً مِنْ مَطْوَقِ

وقال :

يُردُّ يَدَا عَنْ ثُوبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهُوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ

وهذا المعنى في شعرهم أكثر من أن يحصى .

وأثبتُ هنا أيضاً مقطوعاتِ أبياتٍ لغيرِ واحدٍ ممَّنْ تقدم ابن الأبار في

١ ديوان الرضي ٢ : ٢٧٤ .

٢ ديوان المتنبّي : ٣٣٥ ، ٣١٠ .

ذكر العفاف ، ثم أعود بعد إلى ما له من الأشعار في سائر الاوصاف :

قال الرمادي ^١ :

وليلة راقبتُ فيها الهوى	على رقيبٍ غيرِ وسانٍ
والراحُ ما تنزل من راحتي	وقتاً ومن راحة ندماني
وربَّ يومٍ قَيْظُهُ منضجٌ	كأنَّه أحشاءُ ظمآنٍ
أبرزَ في خديهِ لي رشحهُ	طلاً على وردٍ وسوسانٍ
وكان في تحليلِ أزراره	أقودَ لي من ألفِ شيطانٍ
فُنُحَّتِ الجَنَّةُ من جيبهِ	فبتُ في دعوةِ رضوانٍ
مروءةٌ في الحبِّ تنهى بأنَّ	يجاهرَ اللهُ بعضيانٍ

وقال من أخرى :

لياليَ بعثُ العاذلينِ إمامي	بفتكي وولَّيتُ الوشاةَ أذاني
وإذ ليَ ندمانان : ساقٍ وقينةٌ	رشيقانِ بالأرواحِ بمترجانِ
أمدُّ إلى الطاووس في تارةٍ يدي	وفي تارةٍ آوي إلى الورشانِ
وكنتُ أديرُ الكأسَ حتى أراهما	يميلانِ من سُكْرِ ويعتدلانِ [٢٨ب]
فكانا بما في الجسم من رقةِ الضنى	يكادانِ عندَ الضمِّ يلتقيانِ
ونفضي إلى نومٍ فإن كنتَ جاهلاً	مكاني فوسطى العِقْدِ كان مكاني
فلو تبصرُ المضى وبدره حوله	لقلتُ السُّها من حوله القمرانِ
وما بيَ فخرٌ بالفجورِ وإنَّما	نصيبُ فجوري الرشفُ والشفتانِ

وقال الحصري الكفيف :

١ أبيات الرمادي في المطرب : ٣ - ٤ .

قالت وهبتك مهجتي فتخذ
وثنت إلى مثل الكتيب يدي
وهمت لكن قال لي أدبي
قالت : عفت فعت ، قلت لها
ولابن فرج الجياني ^١ :

وطاعة الوصال عفت ^٢ عنها
بدت في الليل سافرة فباتت
وما من لحظة إلا وفيها
فملكت الهوى جمحات شوقي
وبت بها مبيت الطفل ^٣ يظما
كذاك الروض ما فيه لمثلي
ولست من السوائم مهملات
وما الشيطان فيها بالمطاع
دياجي الليل سافرة القناع
إلى فتن القلوب لها دواعي
لأجري في العفاف على طباعي
فيمنه القظام عن الرضاع
سوى نظري وشم من متاع
فأتحذ الرياض من المراعي

قال ابن بسام : وابن فرج هذا ممن تقدمني ^٤ في نشر محاسن أهل هذه
الجزيرة ، وإظهار خبايا فضائلهم المشهورة ، فعارض كتاب « الزهرة » للأصبهاني
بتصنيف رائق ترجمه بـ « كتاب الحقائق » ، فان لا يكن سبق بالزمان .
فلقد زاحم بالاحسان . وله شعر مشهور له فيه إحسان كثير كقوله : وهو
من ملبح الوصف في العفاف عن الطيف ^٥ :

١ هو أبو عمر أحمد بن فرج الجياني صاحب كتاب الحقائق ، وأبياته في الجذوة : ٩٧ : المطمح :

٨٠ : والثريشي ١ : ٢١١ والمغرب ٢ : ٥٦ والنفع ٣ : ١٩١ ٤٣٧ : واليتيمة ٢ : ١٧ .

٢ في أصل ط : غدوت .

٣ في أصل ط : السقم ؛ وفي الحاشية : السقب .

٤ م ط : أمتي .

٥ انظر هذه القطعة في المصادر المذكورة سابقاً .

بأَيْتِهما أنا في الحبُّ بادِ بشكر الطيف أم شكر الرقادِ
 سرى فازداد بي أُملي ولكنْ عفتُ فلم أُنلْ منه مرادي
 وما في النوم من حَرَجٍ ولكنْ جريتُ من العفاف على اعتيادي
 أخذه من قول المتنبي :

« يردُّ يداً عن ثوبها وهو قادر . . . البيت »

كانه لما عف في اليقظة جرى على عادته في النوم .

ولابن الأَبَر في هذا عدة أشعار ، منها قوله :

ومعترضٍ بالغُصْنِ في حركاته تسَلَّ^١ القلوبُ العفو من لحظاته
 عاطيتهُ كأساً كأنَّ سُلَافها من ريقه المعسول أو وجناته
 حتى إذا ما السكرُ مال بِعِطْفِهِ وعنا بحكم الوصل في نشواته
 هصرتُ يدي منه بغصنٍ ناعم لم أجن غيرَ الحِلِّ من ثمراته [٢٩أ]
 وأطعتُ سلطانَ العفافِ تَكْرَماً والمرءُ مجبولٌ على عاداته

وقال^٢ :

ومنعمٍ غُضَّ القطاف عذب الغروب للارتشاف
 قد صيغَ من دُرِّ الجِما لـ وصينَ في صَدَفِ العفاف
 وسقته أندية^٣ الشبا بـ بمانها حتى أناف
 فترَوَّضتُ عنه الريا ضـ وسُلِّقتُ منه السُلاف

١ تسل : مخفف من « تسأل » .

٢ انظر المسالك ١١ : ٤١٨ - ٤١٩ .

٣ المسالك : أيام .

مهما أردتُ وفاقهُ	يوماً تعرّضَ للخلاف
لماً تصدّى للصدو	دِ وما ل نحو الإنحراف
هيأتُ من شرّكي له	فِعْلَ اللطافِ من الظُّراف
فَسَقَيْتُهُ ماءً بها	وأدرتُ صافيةً بصف
حتى تَرَنَّحَ مائلاً ^١	كالغصنِ مال به انعطاف
فوردتُ جَنَّةَ نحره ^٢	ونعيمها داني القطاف
وَضُمْتُ ناعمَ عِطْفِهِ	ضمُّ المضاف إلى المضاف
فورعتُ في حين الجنى ^٣	وكففتُ عن فوقِ الكفاف
وعصيتُ سلطانَ الهوى	وأطعتُ سلطان العفاف

وما أملح هذه الملح ، وما أقبح ما أنشدت في ضدّها لعبد الجليل ، حيث يقول :

تعرّض لي ليسقطَ في حبابي	سقوطَ تعمّدٍ شبه اتفاق
وبات على المدامة لي نديماً	وبين جفونه للغنّج ساق
إلى أن مال من سِنَةِ الحميا	وقام الليلُ ممدودَ الرّواق
وحلَّ معاقدةَ الهيمانِ عنه	بِسَبْطٍ كان يعقدها رقاق
وصار على كرامتهِ بساطاً	ولُفَّتْ بيننا ساق بساق

وبعده ما أضربت عنه ، وَصُنْتُ كتابي منه .

١ د : قدّه .

٢ المساك : خده .

٣ المساك : حتى في الحنا (اقرأ : الجنى) .

وأنشدني أبو بكر الداني^١ لنفسه :

أتوبُ لله من هوى رشأُ غَيْرَهُ بالعطاءِ مَنْ غَيْرُ
ليس معي خاتمٌ ولا فتكٌ ولا شرابٌ إناؤه عنبر
ولمّا كان شرطه قدحاً وكان شرطي عليه أن يسكر

وممن رأيت أروع هذه الأوصاف وشغف، وصرف فيها الكلام فتصرف،
الأديب أبو القاسم المعروف بالنيشي الاشيلي^٢ ، أنشدني لنفسه من جملة
قصيدة^٣ :

وعجّاء حوراء^٤ وفنق الهوى تحيّرْتُ فيها وفي أمرها
غلاميةٌ ليسَ في جِسمِها مكانٌ دقيقٌ سوى خصرها
إذا أدبرتْ أو إذا أقبلتْ فمي فَرَّها الموتُ أو كَرَّها
ولما خلونا ورقَّ الكلامُ دفعتْ بكفّي في صدرها [٢٩ب]
ومن لا أسميته مثلُ القنّاةِ فألقتْ ذراعاً على عِشرها
فما زلتُ أجمعُ طعناً وضرباً على زيدها وعلى عَمَرِها
وصارفتها العينُ هذا بذاك وقد شدّت السوقَ من أزرها
فأعطيتها المحضَ من فضّي وأعطني المحضَ من تبرها

قوله : « ولما خلونا ورقَّ الكلام » ، من قول امرئ القيس^٥ :

١ هو ابن البانة ، وترجمته في القسم الثالث : ٦٦٦ .

٢ هو المعروف بمصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطيلي (انظر ترجمته في المطمح : ٨٨

والمغرب : ١ : ٢٨٩ والرايات : ٢٣ غ) وأبياته قد وردت في المغرب : ١ : ٢٩٠ .

٣ عند هذا الحد ينتهي الحرم في النسخة م .

٤ المغرب : لفاء .

٥ ديوان امرئ القيس : ٢٢ .

وصرنا إلى الحسنى ورقاً كلامنا ورضتُ فدلّتُ صعبةً أي إذلالٍ

وأخذه الآخر فقال^١ يصف كتاباً :

وفيه الوصلُ يُشْرِقُ جانباه وقد رقَّ التشكّي والخطابُ

وقال ابن الرومي :

كادتُ لعرقانِ التوى ألفاظُها من رقةِ الشكوى تكونُ دموعا

وقوله : « غلامية » ... البيت ، معنى " كثر ترداده ، وطال منهم
تعمّده واعتماده ، وأرى أيضاً أن أوّلَ من أشار إليه ونبّه عليه الملكُ الضليلُ ،
حيث يقول :

مَنْ ما تَرَقَّى العَيْنُ فِيهِ تَسَهَّلَ ... البيت

غير أنه أورده مُقْلَصَ الذيل ، بهيم الليل ، وقد بيّنه بقوله :

• له أبطلا ظي وساقا نعامة •

ثم نقله الشعراء بعدُ كلَّ على مقدار ما أوتي من البيان ، ووهب من
الإحسان ، فقال الاعرابي^٢ :

عُقَيْلِيَّةٌ أَمَّا مِلَاتُ لُزَارِهَا فَدِعْصٌ وَأَمَّا خَصْرُهَا فَبَتِيلٌ

وقال الآخر^٣ :

١ فقال : سقطت من م .

٢ البيت من قصيدة لابن الطُّرَيْفِيَّة في وفيات الأعيان ٦ : ٣٦٨ والحماسية رقم : ٥٤١٠ وزهر
الأدب : ٨٥٤ وقيل لأبي كبير الهذلي ، وأدرجت في ديوان ابن الدميني : ١٨٦ ومخرجها
محقق الديوان ص : ٢٥٦ .

٣ هو الحكم الحضري ، انظر الأغاني ٢ : ٢٥٠ .

تساهم ثوبها ففي الدرع رادة* وفي المرط لفأوان ردفهما عبل*

وقال ابن أبي ربيعة^١ :

خود* وقبر* نصفها ونصفها مهفهف*

ونسخه أبو تمام فقال^٢ :

تشكى الأين من نصف سريع إذا قامت ومن نصف بطي*

وقال الأخطل^٣ :

أسيله مجرى الدمع أما وشاحها فيجري وأما القلب* منها فلا يجري

وهذا كقول خالد بن يزيد^٤ :

تجول خلخال النساء ولا أرى لرملة خلخال* تجول ولا قلبا*

ومدحهم بضمور الكشح، وجولان الوشح، وصموت القلب والخلخال،
وامتناع الخدام من الحجال، كثير، ومنه قول النابغة^٥ :

على أن حجلتيها وإن قلت أوسعا صموتان من ملء وقلته منطق*

وقال الطائي^٦ :

١ ديوان ابن أبي ربيعة : ٢٥٢ .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٥٢ .

٣ ديوان الأخطل : ١٢٩ .

٤ الديوان : الحجل .

٥ زهر الآداب : ٣٩٣ ووفيات الأعيان ٢ : ٢٢٤ .

٦ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان النابغة : ١٨٤ .

٧ زهر الآداب : ٣٩٣ وديوان أبي تمام ٣ : ١١٥ .

من الهيف لو أن الخلاخيل صُبِرَتْ لها وَشُحاً جَالَتْ عليها الخلاخلُ

وقال ابن أبي زرعة^١ : [١٣٠]

استَكْتَمَتْ خَلْخَالَهَا وَمَشَتْ تَحْتَ الظَّلامِ بِهِ فَمَا نَطَقَا
حَتَّى إِذَا رِيحَ الصَّبَا نَسَمَتْ مَلَأَ الْعَبِيرُ بِنَشْرِهَا الطَّرَقَا

وقال المتنبي^٢ :

وَحَصِرَ ثَبْتُ الْأَبْصَارِ فِيهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ حَدَقٍ نَطَاقَا

وقلبه الناجمُ فقال^٣ :

مَسْلُوءَةُ الْكَلِّ غَيْرَ بَطْنٍ مَثْقَلٍ فِيهِ عَنْكِبُوتُ
حَجَّوْهَا الدَّهْرَ فِي اصْطِخَابٍ وَوَشَّحَهَا كُظْمٌ صُمُوتُ

وما أحسن قول القائل فإنه ترك اللفظ المطروق ، واختصر على كافة الشعراء الطريق^٤ :

أَبَتْ الرُّوَادِفُ وَالْثَدْيُ لِقُمُصِهَا مَسَّ الْبَطُونِ وَأَنْ تَمَسَّ ظُهُورَا
وَإِذَا الرِّيحُ مَعَ الْعَشِيِّ تَنَاوَحَتْ نَبَّهْنَ حَاسِدَةً وَهَجَنَ غَيُورَا

وَحَسَنَهُ بَعْضُ أَهْلِ أَفْقَانَا فَقَالَ^٥ :

إِنْ الْعَزِيزَ عَلِيَّ خَصَرْتُكَ إِنَّهُ بِالرَّدْفِ حُمِّلَ مِنْكَ مَا لَا يُحْمَلُ

١ زهر الآداب : ٣٩٣ والمختار : ٩٨ .

٢ زهر الآداب : ٣٩٤ وديوان المتنبي : ٢٧٩ .

٣ زهر الآداب : ٣٩٤ .

٤ أمالي القاضي ١ : ٢٣ .

٥ هو النحلي ، الذخيرة ١ : ٣٨٤ .

ولنأخذ من قول المتنبي ^١ :

أعارني مُقَمَّ عَيْنِهِ وَحَمَلَنِي من الهوى ثِقْلَ ما تحوي مَازِرُهُ

قال ابن بسّام : وهذا الباب واسع الميدان ، ملتف الأغصان ، وإنما ألمع من كل معنى ييسر ، وأثيرُ حصة من ثبير .

وقول أبي القاسم المذكور : « على زيدها وعلى عمرها » من الكنايات المختارة ، والسامع يفهم الإشارة ، وإنما نَبَّهَتْهُ على هذا التعريض ، وأرثه كيف يأخذ في هذه العروض ، إحدى من جَاهَرَتْ بالصَّبْوَةِ ، وتجاوزت طَلَقَ الْجَمُوحِ في ميدان الشهوة فقالت : إن ضَمَّ قَصَقَصَ ، وإن دَسَرَ أغمض ، وإن أخلَّ أحمض .

وقال أبو القاسم من أخرى ^٢ :

وخشفيَّةُ الأَلفاظِ والجَليدِ والحشا ولكن لها فضلُ القبولِ على الحشفِ
تثنَّى على مثل العنان إذا التوى ^٣ وقد عقلوها للفسوقِ على النصفِ
وليس كما قال الجهولُ تَقَسَّمتْ فبعضٌ إلى غُصْنٍ وبعضٌ إلى حِقْفِ

ومنها :

سعت في سبيلِ الفتك ^٤ والفتكُ بيننا إشارةٌ لحظِ تنسخُ ^٥ النكْرَ بالعرفِ

١ ديوان المتنبي : ٣٦ .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٩٠ .

٣ المغرب : إذا انثنى .

٤ المغرب : المتك .

٥ المغرب : تخلط .

ومنها :

وما شئت من عضّ الحليّ ورضهٍ وما شئت من صكّ الخلاخل والشنف

قوله : « خشفية الألحاظ » معنى مشهور ، ومنه قول مجنون بني عامر^١ :

أيا شبه ليل لا تراعي فاني لك اليوم من وحشية لصديق

وقوله : « وما شئت من عض الحلي » ... البيت ، كقول الآخر :

باعتناق ينوب منه حصي اليا قوت ضمّا وتطمئنّ النهود

وقال أبو بكر الداني :

ضممتها ضمّ مشتاق إلى كبدي حتى توممت أن الحليّ ينكسر

[٣٠ ب] وقال ابن عمار :

ضمّا ولثماً بغني الحليّ بينهما كما تجاوب أطياراً بأطيار

وقوله : « وما شئت من صكّ الخلاخل بالشنف » فانه صكّ به وجه

بعض أهل عصرنا^٢ حيث يقول :

• وجمعت بين القرط والخلخال •

ومن مجون ابن الأبار قوله مما يضارع ما تقدّم^٣ :

زارني خيفة الرقيب مريباً يتشكّى القضيّب منه الكثيا

١ ديوان المجنون : ٢٠٦ .

٢ هو صالح الشتمري ، كما سيجي في ترجمته .

٣ انظر المسالك : ٤١٩ والفوات : ٤٠٦ والنفع : ٣ : ٤٧ ومعاهد التنصيص : ١ : ٩٥-٩٦ .

رشاً راش لي سهام المنايا من جفونٍ يُضمي بين القلوبا
 قال لي : ما ترى الرقيب مُطِلاً^١ قلتُ ذَرَه أتى الجَنَابُ^١ الرحيبا
 عاطيه أكثوس المدام دراكاً وأدرها عليه كوباً فكوبا
 واسقنيها بخمر^٢ عَيْنِكَ صِرْفاً واجعل الكأس منك ثغراً شنيبا
 ثم لَمَّا أن نامَ مَنْ نَتَقِيهِ^٣ وتلقَى الكرى سميعاً مجيبا
 قال لا بد أن تدبَّ إليه قلتُ أبغي رشاً وآخذ^٤ ذيباً ؟^١
 قال فابدأ بنا ونحن عليه قلتُ كلاً لقد دَفَعْتَ قريبا
 فوثبنا على الغزال ركوبا وديننا إلى الرقيب ديبا
 فهل أبصرت أو سمعت بصب^٥ ناك محبوبه وتاك الرقيا

قال ابن بسام : ولقد ظرّف ابن الأبار واستهزأ ما شاء وندر ، وأظنّه
 لو قدر على إبليس الذي تولى له نَظْمَ هذا السِّلْكِ ، وأوطأ له ثَبَجَ هذا
 الملك ، لَدَبَ إليه ، ووثب أيضاً عليه ، وأبو نواس ، سهلَ هذا السيل
 للناس ، حيث يقول^٦ :

نكنا رسولَ عنانٍ والرأي فيما فعلنا
 فكان خبزاً بمنحٍ قبل الشّواء أكلنا

١ الفوات : المكان .

٢ النفع : من خمر .

٣ المساك : ثم لما نام الرقيب سريعا ، الفوات : نام من بعد نكس .

٤ ط : وأحذر ؛ م : وأخاف ؛ س : وأغشى .

٥ م : واستشر ؛ ط دس : واشتهر ، والتصويب عن المسالك .

٦ المسالك ١١ : ٢٠ وديوان أبي نواس ١ : ٨٤ (تحقيق فاجنر) .

ومن أناشيد الثعالي^١ :

ليَ أيرُ أراحي الله منه صار همّي به عريضاً طويلاً
نامَ إذ زارني الحبيبُ عناداً ولعهدي به ينيكُ الرسولا
حُسِبَتْ زورةٌ لشقوةٍ جدّي فافترقنا وما شفيْنَا غليلاً

وقرأت^٢ في بعض الملح خبراً له بهذا الموضع ، بعضُ موقع ، قال بعضهم :
مشيتُ فإذا أنا بصديقٍ من أهل اليسارِ خارجاً من دارٍ بغي ، فقلت له :
أَيكونُ عندك أربعُ حرائر ، وأكثرُ من ستينَ سريّة ، وتأتي مثلَ هذه
الدينّة ؟ ! فقال : اسكت . مثَلُ أيرِي مثَلُ الكلبِ يَنابحُ مَنْ طرأ عليه
ولا يتعرّضُ لمن اختلَطَ به .

وقد قلت إن الحسن بن هاني ، أكثرَ من هذه المعاني ، حتى منعه الأمين
محمد بن هارون عن ذلك ؛ وله في وصف الشراب ، وما يتعلق بهذه الأسباب ،
شعر كثير ، كقوله^٣ :

قد هجرتُ المدامَ والنُلَمانا وَتَمَتَّعْتُ^٤ ما كَفَّاني زمانا
ونَهاني^٥ خليفةُ الله أنْ لا أَقربَ الخنَدرِيسَ والغُلَمانا [١٣١]
وخَشِيتُ المَلاكَ إنْ لم أَطِعهُ ودعَني نَفسي إِيهمَ عيانا

١ الأبيات للمفجع البصري ، انظر البيهقي ٢ : ٣٦٣ ومعجم الأدباء ١٧ : ١٨٢ والمساك
٤٢٠ : ١١ .

٢ نقل العمري هذه الحكاية ١١ : ٤٢٠ .

٣ م : من ذلك قوله ؛ وانظر ديوانه : ٣٥٤ ، وما هنا أتم .

٤ الديوان : وتفتيت .

٥ م ط س : ونهانا .

وغزال سقيته الراح^١ حتى أضغفت^٢ منه مقلة^٣ ولسانا
قال : لا تسكرتني بجاني قلت : لا بد^٤ أن تُرى سكرانا
إن^٥ لي حاجة إليك إذا نم تَ فان شتَ فاقضِها يقظانا
فتلكنا تلكوا^٦ بانحناث^٧ ثم أصنى لما أردتُ فكانا

واشتهار شعره ، يمنعني من ذكره .

وممن سلك أيضاً هذه السبيل من الشعراء المجاهرين بالمجون ، الناطقين
بالسن الشياطين ، الفرزدق^٨ ، بقوله^٩ :

هما دلتاني من ثمانين قامة^{١٠} كما انقض^{١١} باز أفتخ^{١٢} الريش كاسره^{١٣}
وهو قصيد^{١٤} مشهور^{١٥} ، وقد عبّره به جرير فقال^{١٦} :

تدلى ليزني من ثمانين قامة^{١٧} وقصر^{١٨} عن باع العلا والمكارم
ومن محاورات امرئ القيس التي تقدّم الناس فيها قوله^{١٩} :

تقول^{٢٠} وقد جرّدتها من ثيابها كما رُغنت مكحول^{٢١} المدامع^{٢٢} أتلما
وعيشك^{٢٣} لو شيء^{٢٤} أنا رسول^{٢٥}ه سواك ولكن^{٢٦} لم نجد^{٢٧} لك^{٢٨} مدفعا
وزاد فيه ابن أبي ربيعة فقال^{٢٩} :

١ الديوان : عاطية الكأس .

٢ الديوان : فترت .

٣ ديوان الفرزدق : ٢١٢ .

٤ ديوان جرير : ١٠٠١ .

٥ الديوان : تدليت تزني . . . وقصرت .

٦ ديوان امرئ القيس : ٢٤١ وقراسة الذهب : ٤٢ .

٧ ديوان ابن أبي ربيعة : ١١٣ وقراسة الذهب : ٤٢ .

وناهدةِ التدينِ قلتُ لما اتكبي على الأرضِ في ديمومةٍ لم تَوسدِ
فقلتُ على اسمِ اللهِ أمرُك طائعٌ وإن كنتُ قد عوددتُ ما لم أعودِ

وذكرت بقوله : « على اسم الله » ما أنشده ثابت في كتابه « في خلق
الانسان »^١ مما له بهذا بعضُ تعلق :

تقول إذ أعجبها عتورُهُ^٢ وغابَ في كعشَبها^٣ جذْمورُهُ^٤
أستقدرُ اللهَ وأستخيرُهُ^٥

وقال أبو نواس أيضاً :

فبتنا يرانا الله شرَّ عصابةٍ^٦ نجرُّ أذيالَ الفسوقِ ولا فخرُ

وهو القائل^٧ :

عصابةٍ شرٍّ لم تر الدهرَ مثلَهُم^٨ وإن كنتُ منهم لا برياً ولا صفراً
إذا ما أتى وقتُ الصلاةِ رأيتهم يحثُّونَهَا حتى تفوتهمُ سكرًا

وقال والبة بن الحباب^٩ :

١ انظر كتاب ثابت : ٢٨٧ والسان (عتر) .

٢ عتر الذكر : اذا اشتد انعاظه واهتز .

٣ ثابت : فقرتها .

٤ ديوانه : ٢٧٣ .

٥ الديوان : فقمتنا إليه واحداً بعد واحد .

٦ ديوانه : ٢٧٤ .

٧ انظر ترجمة والبة في الأغاني ١٨ : ٤٣ وتاريخ بغداد ١٣ : ٥١٨ وطبقات ابن المعتز

٨٧ والفوات ٤ : ٢٤٧ وقد ورد بيتاه في معظم المصادر المذكورة .

قلت لِنَسْأَلُكَ عَلَى خَلْوَةٍ أَذْنٌ كَذَا رَأْسُكَ مِنْ رَأْسِي
وَنَمْ عَلَى جَنْبِكَ لِي سَاعَةٌ لَئِي أَمْرُؤُ أَنْكَحَ جُلَاسِي
وقال سَحَبْتُمْ^١ :

وَبَتْنَا وَسَادَانَا إِلَى عَلَجَانَةٍ وَحَقَفَ تَهَادَاهُ الرِّيحُ تَهَادِيَا
تَوَسَّلْنِي كَفَاً وَتَشْتِي بِمَعْصَمٍ عَلَيَّ وَتَلَوِي رَجُلَهَا مِنْ وَرَائِيَا [٣١ب]
وممن كُنِيَ ولم يَصْرَحْ ابْنُ الْمُعْتَرِ بِقَوْلِهِ^٢ :

وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا لَسْتُ أَذْكُرُهُ فَظَنَّ خَيْرًا وَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْخَبِيرِ
قال ابن بَسَام : والباب طويلٌ والاكتار مملول ، وتتبع كلُّ معنى
يعترض ، يخرج بي عن الغرض ، فان سكتُ فترفيها ، وان أَلَمْتُ بشيءٍ
فدلالةٌ على الأدب وتنبهها .

سائر أشعار ابن الأبار في أوصاف شتى

غُنِّيَ يَوْمًا بِشعر ابن الرومي حيث يقول^٣ :
وَحَدِيثُهَا السَّحَرُ الْحَلَالُ لَوْ أَنَّهُ لَمْ يَجْنِ قَتْلَ الْمُسْلِمِ الْمُتَحَرِّزِ
فسأله الوزير الشيخ أبو الوليد ابن المعلم الزيادةَ فيها ، فقال :

١ ديوان سحيم : ١٩ - ٢٠ .

٢ الديوان : وتحوي .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ المختار : ٤١ وزهر الآداب : ٩ .

راق الرياضي يزهره وبزهوه فتجبرت في معجب بل معوز
عاقرت من طرب عليه عقارة صفراء تغزى للنحول وأعترى
لكن تميز في الكؤوس بنورها وبهاثها ، وبقيت غير مميّز
وقال :

نطق العود فعاتب من نطق واصطبجها مزة أو فاغتبى
لا تدعها قهوة كترخبة لم يدعها نوح إذ خاف الغرق
خلتها في كأسها إذ شعشعت شفقا تلبس أثواب الفلق
قهوة رقت وراقت كأبي عمرو الراق خلقا وخلق
حاجب ما إن نبي أنعمه بالعطايا والمنايا تندفق
هو والإفضال روض وصبا هو والعلياء عقد وعشق
هو والأملاك إن قيسوا به مهنع بين بنيات الطرق

قوله : « لم يدعها نوح » أشار إلى ما روي في بعض الأحاديث : ان
الشجرة التي أكل آدم عليه السلام منها في الجنة المنهي عنها شجرة العنب .
وروي أيضاً أن نوحاً عليه السلام لما نزل عن السفينة نازعه إبليس أصل
العنب ، فاصطلحا على أن لنوح الثلث ، ولإبليس الثلثان ، وإلى هذا أشار
يوسف بن هارون الرمادي^١ بقوله ، وهي من ملحه :

أفي الخمر لامت خلتي مستهامها كفرت بكأسي ان أطعت ملامها
لمحمولة في الفلك من جنة المني قد أوصي^٢ نوح غرسها وضامها
فخادعة إبليس عنها لعلمه بها فرأى كتمانها واغنامها

١ انظر الشريشي ٢ : ٢١ - ٢٢ .

٢ م : فأوصي ، الشريشي : قد أوصى لنوح .

فَفَازَ بِثَلَاثِهَا وَنَوَحٌ بِثَلَاثِهَا
 لَهُ حَظٌّ أَنْتَى وَهُوَ حَظٌّ مَذْكَرٌ
 وَإِنَّا لَوَرَاثُ ، وَقَدْ مَاتَ جَدُّنَا
 وَلَوْلَا مَغْيِبِي عَنْهُ لَمْ يَكْ رَامَهَا
 قَلِيلٌ لَعَيْنِي أَنْ تُطِيلَ انْسِجَامَهَا
 غَيْبِنَا ، وَإِنَّا لَا نَجِيزُ اقْتِسَامَهَا

ومن قصائد ابن الأبار الطويلة في المدح

له من قصيدة في اسماعيل [٣٢ أ] بن عباد قال فيها ١ :

حُبِيتَ مِنْ بَرْقِ يُجِينُ جَنَانَهُ ٢
 كَالَأَنَّهُ سَهْرًا وَبَاتَ مَكَالَتِي
 وَالصَّبْحُ يُشْهِرُ مِنْ سَنَاهُ صَوَارِمًا
 وَكَأَنَّ جُنْحَ اللَّيْلِ طِيفُ أَدَمَ
 وَكَأَنَّ غَاثَةَ النُّجُومِ بِأَفْقِهَا
 وَكَأَنَّمَا الْجُوزَاءُ إِذْ بَصُرَتْ بِهِ
 عَذَلُوا وَلَوْ عَذَلُوا أَوْ اسْطَاعَ الْهَوَى
 لَا تَكْثُرُوا فَالْحُبُّ فِي حَوْبَائِهِ
 مَلِكٌ إِذَا الْهَبَبَاتُ أَظْلَمَ جَنَحَهَا
 رَاعَتْ وَقَائِعُ بَاسِهِ حَتَّى لَقَدْ
 إِنْ كَانَتْ الْأَسْدُ الضُّوَارِي لَا تَخَا
 وَجَدَا إِلَى أَهْلِ الدَّخُولِ دَخِيلًا
 حَتَّى رَأَيْتُ اللَّحْظَ مِنْهُ كَلِيلًا
 وَاللَّيْلُ يَرْفَعُ مِنْ دُجَاهُ سُدُولا
 مُتَضَمِّنٌ مِنْ صَبْحِهِ تَحْجِيلًا
 عَنْ وَجْهِهِ تُغْضِي عَيُونًا حَوْلًا
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ نِطَاقَهَا مَحْلُولًا
 نُطْقًا لَكَانَ الْعَاذِلُ الْمَعْنُولًا
 كَالْحَمْدِ فِي أَسْمَاعِ اسْمَاعِيلَا
 فِي مَعْرَكٍ جَعَلَ الْحَمَامُ ٣ دَلِيلَا
 تَرَكَ الْحَمَامَ بِنَفْسِهِ مَشْغُولَا
 فُ صِيَالَهُ ٤ فَلَيْمَ اتَّخَذَنَ الْفِيلَا

١ المسالك : ١٩٩ ؛ وفي المغرب منها أبيات .

٢ المسالك : تسهله .

٣ المغرب : جعل الحمام إلى الحمام .

٤ المغرب : لم تخف من بأسه .

إن كانت البيضُ الصوارم لم تهيم في حُبّه فلم اكتسبنَ نحولا
لم ينسَم ثَغْرُ الحِجَابِ زاهياً حتى غدا لجينها إكليلا
لو تخفّر العشاقُ بيضُ سيوفه^١ لم يتركوا عند العيون دُحولا

وما أحسنَ قولَ < أبي الفضل ابنِ شرف >^٢ :

لم يبقَ للظلمِ في أيامهم أثرٌ إلا الذي في عيونِ الغيدِ من حورٍ

وقال المتوكل بن الأفطس في صفة سيفٍ وأخبر عنه :

لولا الفتورُ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ إنّي أمضى من ظُبَا الحَدَقِ

ومن قصيدة ابن الأبار :

غَضُّوا الملاحظَ إنَّ نورَ جبينه يُعْشِي العيونَ ويبهْرِ المعقولا
ولقد خشيتُ على الثرى وعلى الورى لما دَنَوْا من كَفِّهِ ثَقِيلا
هل كان يعصمُ منه إلا عَفْوُهُ لو أنَّ أنْمَلَهُ جَرَيْنَ سيولا

الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي^٣

من مشاهير شعراء المعتضد أيضاً ، أحد من راشر سهام الألفاظ بالسحر

١ م : سيوفهم .

٢ انظر المغرب ٢ : ٢٣٢ والنفع ٤ : ٦٧ .

٣ له ترجمة في الجذوة : ٢٩٦ ، ٣٧١ (البغية رقم : ١٢٣٢ ، ١٥٢٣) . والمغرب

١ : ٢٤٥ ، وذكره في رايات المبرزين ١١ (غ) ؛ ونقل ابن سعيد عن الحجاري قوله ان ابن حصن

نشأ مع المعتضد فاستوزره إلا أنه كان فيه طيش أداه إلى حتفه ؛ وانظر أيضاً النفع ٣ :

٢٦٦ ، ٢٩٩ ؛ وبدائع البدائه : ٣٦٧ والمسالك ١١ : ٢١٧ .

الحلال ، وشق^١ كرائم المعاني عن أيّن^١ من محاسن ربّات الحجال ، بين طبع أرقّ من الهواء ، وأعذب من الماء ، وعلم أغزر من القطر ، وأوسع من الدهر ، إذا ذكر شعراً ظنّ أنه صانعه ، أو ديواناً توهّم أنه مؤلفه وجامعه ، واني لأعجب من قوم من أهل أفقنا لم يعرفوه ولم ينصفوه ، فأضربوا عن ذكره ، وزهدوا في أعلاق شعره ، ولعلمهم حاسبوه بنزع علات كان يتعبّث بها بين مجونه وسكره ، وهيهات فضله أشهر ، وإحسانه أكثر ، ولو تأملوا قوله من قصيدة في اسماعيل بن عباد : [٣٢ ب]

بَكَرَتْ سُحْرَةَ قُبَيْلِ الذَّهَابِ تنفض المسك عن جناح الغراب^٢
وقوله على أنها من عبثاته^٣ :

عليّ أن أتدلّل له وأن يتدلّل
خدّ كانّ الثريا عليه قرطّ مسلسل

لعلّوا أنه رأس الصناعة ، وإمام الجماعة .

ولما هيّبت المعتضد^٤ بأبي الوليد بن زيدون فأنحطّ في حبله ، وتولى إلى ظلّه - حسبما قدمت ذكره في أخباره من القسم الأول - أفرج له عن صدرِ النادي ، وخلق بينه وبين محبوبه الوادي ، وهو يظنّ أن سيّجري بالخلاء^٤ ، ويستولي على حمّل اللواء ، فانتحاه من ابن حصن هذا شيطان^٤ مريد ، وطلّع عليه منه رقيب عتيد ، وطفق ينازعه^٤ الراية ، ويسابقه إلى

١ المساك : أفق .

٢ المغرب : تنفض الماء ، د : غراب ، والبيت في المسالك .

٣ انظر النفع ٣ : ٤٢٩ .

٤ فيه إشارة إلى المثل : كل حجر في خلاء يسر .

الغاية، وإن كان أبو الوليد ربما غمره بمكانه، وتمكُّنه من سلطانه . وكان المعتضد ، لشلوذ مناحيه ، وفضل عريدة كانت فيه ، ربما أغرى بينهما إذا اجتماعا في مجلسه، فيتمكن لابن حصن التقدُّمُ عليه ، بسعة ذرعه ، ورضاه بالعفو من طبعه ؛ وكان ابن زيلون قد جرى من الكلام إلى غاية لا يتعداها، ولا يرضى من نفسه إلا بلوغ أقصاها ، ولا يمكنه ذلك منها إلا في مهلة طويلة ، وعلى كلفة ثقيلة ، فربما كبا جواده ، وتأخَّرَ مُرادُه ، ولم يزل أبو الوليد يُطْرِقُ ويحلم ، ويسدِّي في أمره وَيُلْحِمُ ، وابن حصن يغرُّ وَيُقَدِّمُ ، ففاز ابن زيلون بحلمه وتوقُّره، وهوى نجم ابن حصن بين اغتراره وتهوُّره ، فزلَّتْ قدمه ، وطاح دمه ، في خبر مشهورٍ مذكور ، «وعند الله تجتمع الحصوم»^١ وإليه ينتهي الظالم والمظلوم .

جملة من أشعاره في صفات مختلفة

قال :

ألا قلْ لبدري الدجى ما عداهُ مما بدا من نوالِ نوى لي^٢
وهاتِ اشْفِينْ غُلَّتِي بالدمام فان بناتِ الدوالي الدوا لي

وقال^٣ :

١ عجز بيت من الشعر ، و صدره « إلى ديان يوم الدين نغضي » والبيت لأبي المتاهية في ديوانه :

٣٥٣ والأغاني ٤ : ٥٣ وهو دون نسبة في ابن خلكان ٦ : ٢٢٩ .

٢ س م : نوال .

٣ المسالك ١١ : ٢١٧ .

وربَّ شعله نارٍ شفيتُ منها أوارِي
أليس ذاك عجيباً^١ يُطفئ الغليلُ بنارٍ؟^٢
كأنما عصرت من شقائق الجلتار
إذا بدت لك في قط عمة من البلار
حسبتُها شفقاً صُ باً في زجاجِ نهار

وقال^٣ :

قم يا غلام فسقنيها واطرب واشرب عتبتُ عليك إن لم تشرب
من قهوة صفراء ذات أسيرة في الكأس تأتلقُ اتلاقِ الكوكب
خضبتُ بنانَ مديرها بشعاعها فعلَ العرارة في شفاءِ الربرب

وقال :

مالي وللراح وأخلاقها ولائمي فيها لإخلاقها
هات اسقنيها الآن تبريةً تحكي^٣ سنا الشمس بإشراقها
راح متى راحت بكفسي فقد قامت لي الدنيا على ساقها

وقال :

ولي نديمٌ راقدٌ ليله أعدى من الحين على الأنفس
نادى به مازحنا في الدجى والوردُ مقرون مع الرجس
قلت له : دعه فلا بدَّ من نيلوفرٍ في وسطِ المجلس

١ ط : أليس ذا حياء أن .

٢ وردت في المغرب ١ : ٢٤٦ والمساك ، والأخير منها في رايات المبرزين : ٤٠ (١١ غ) .

٣ ط : تحوي .

وقال :

قد شُغِلَ الناسُ بذكرِي وما شُغِلَ - إلا الكأسُ والآسُ
ماذا على الناسِ من الناسِ ما أحقَّ بعضَ الناسِ - يا ناسُ^١

[٣٣ أ] ومن مستظرف مجونه قوله^٢ :

بأبي ظبي صغير السِّ	ن حازت ^٣ ثلثَ سنِّي
سرَّني أن ليس يدري	مذهبي فيه وفني
فهو يدعوني عمّا	وأنا أدعوه يا ابني
ذاك عندي وأبي أطر	ف ما مرَّ بأذني
قلتُ لما أن بدا لي	وجهه < من > تحت بطني
قال ماذا قلته لي ؟	قلتُ خيراً فيك أعني
أنا صبٌّ فيك ميت	فاتق الله وصِلْني
لستُ أخشى الموت إلا	خوف أن تبعد عني
فاكتستُ وجَنَّتُهُ رَوْ	ضَةً ورد فتنتي
لو ترى مجلس لهوي	قلتُ ذا جَنَّةٍ عَدَنٍ
ومدامي خندريس ^٤	لم يشبها ماء مُزَنٍ
لو تراني قلتُ هذا	ملك ^٥ ما ذا ابنُ حصن

١ سقط هذا البيت من م .

٢ وردت أبيات منها في المغرب ١ : ٢٤٦ وتحفة العروس : ١٦٨ .

٣ كذا في النسخ ، على التأنيث ، ولعله « حاذي » .

٤ ط م د س : تنأ .

٥ ط : مالك .

ومعي مُسَمِّعَةٌ تَدُ رَبُّ كَأْسًا وَتَغْنِي
وَإِذَا مَا شَرِبْتُ كَأْسًا مِنْ الرَّاحِ سَقَتْنِي
قَهْوَتِيْ خَمْرٍ وَعَيْنِيْ بِهِمَا قَدْ أَسْكُرْتَنِي
قُلْتُ لِلْمَازِجِ خُذْ صَافِيَةً مِنْهَا وَمَنِي
فَاسْقِنِيهَا بِكَبِيرٍ فَإِنْ أَعْيَا فَبَدْنِ
فَلَقَدْ شَاقَ فَوَادِي رَنَّةُ الْعُودِ الْمَرْنِ
فَتَسَاقَيْنَا إِلَى أَنْ جَاوَزَ اللَّيْلَ عَنِي
قَمْتُ نَشْوَانَ وَقَامَتْ فِي تَهَادٍ وَتَشْنِي
وَنَضْتُ عَنْهَا قَمِيصًا ثُمَّ لَمَّا ضَاجَعْتَنِي^٢
قَلْبَتُ بَطْنًا لِبَطْنٍ^٣ قُلْتُ لَا ظَهْرًا لِبَطْنِ
فَانْتَشْتُ فِي خَجَلٍ قَا ثَلَّةً عِنْدَ التَّشْنِي
أَنَا حَانُوتٌ بِوَجْهَيْنِ^٤ فَلَطُتُ إِنْ شِئْتَ وَازَنْ
لَمْ أُنَلْ مِنْ كُلِّ مَا فَهُوَ تُ بِهِ غَيْرَ التَّمْنِي
إِنَّمَا الشَّعْرُ فَكَأَهَا تُ وَحْسِي حُسْنُ ظَنِي^٥

قوله : « قلت لما أن بدا لي وجهه »^١ . . . البيت ، مما أراد أن يسهل

١ . المغرب : بتهاد .

٢ م : ضجعتني .

٣ المغرب : لظهر .

٤ أصبح هذا مثلاً عند الاندلسيين ، انظر المثل رقم : ٨٣٦ من أمثال الزجالي (٢ : ١٩٠) .

٥ م س : ظن .

٦ أورد البيت كاملاً في النسخ ، وذلك لا يلتئم مع اثباته لفظة : « البيت » التي تشير إلى حذف .

فيه فنهق ، وأن يتغزل فزلق ، وإنما أراد قول عمر فقصر ، وما أورد
ولا أصدر ، حيث بقول^١ :

قلت يوماً لما وحركت العو دَ بمضراها فغنتُ وغنّيتُ
ليتني كنت ظهرَ عودك يوماً فإذا ما احتضنته^٢ كنتُ بطنا
فبكتُ ثم أعرضتُ ثم قالت من بهذا أذاك في اليوم^٣ عنا
قلتُ لما رأيتُ ذلك منها بأبي ما عليك أن أتمنى
وقال ابن حصن^٤ :

أمتُ إليه فما يُسَعِفُ وأشكو جفاهُ فما يُنْصِفُ
غزالٌ كحيلٌ له ريقة^٥ يُشَابُ بها المسكُ والقرْقَفُ
كأنَّ العذارَ على خدِّه نجادٌ ومقلتهُ مُرْهَفُ

وهذا كقول ابن رشيق القيرواني^٦ ، وهو من متداولات المعاني :

وهل على عارضيه إلا^٧ قلادتُ حساما

وقال في الشَّقِيرِ^٧ :

وبستانٍ أعجبتُ الطُّرفَ عنه على شقر كمثل لحى الديوكِ
كأن حبابِ ثاوي الطلِّ فيه جُمانٌ فوق تيجانِ الملوكِ

١ ديوان عمر : ٤٣٩ .

٢ الديوان : احتضنتني .

٣ ط د : النوم .

٤ منها بيتان في المسالك ومعاهد التنصيص ٣ : ٨٢ .

٥ ديوانه : ١٦٩ ووفيات الأعيان ٢ : ٣٦٦ - ٣٦٧ .

٦ الوفيات : وهل ترى ... حمائل .

٧ الشقر : شقائق النعمان .

وقال ١ :

شربناها كميت اللون حتى عجزت عنتت حجباً ولكن
وأحسب أنها كانت عقيقاً رأيت الفجر قد وضع النقابا [٣٣ب]
تروك كلماً شابت شبابا جرت أنفاسنا فيه فذابا

وقال ٢ :

يُجنح ٣ عنها الدن ٤ فاستعبرت كأنها في الكأس مبيضة ٥
جرباً كما قوس إكليل خيط من الفضة مفتول

وقال :

طل على خده العذار وابيض هذا واسود هذا
وقد جرى ٥ للنعيم فيه أقام من فوقه حباب
أغض جفني عنه لأنني ٦ رشا أعار الغزال لحظاً
شربت من خمير مقلتيه متى أرم سلوة نهاني
فاقتضح الآس والبهار واجتمع الليل والنهار
ماء بأحشائي منه نار يطير من تحته شرار
عليه من مقلتي أغار فحسنته منه مستعار
كأسين لي منهما خمار غنج بعينه واحورار

١ وردت في المسالك ١١ : ٢١٨ .

٢ وردا في المسالك .

٣ ط م د س : يحجب ؛ المسالك ، حجب ؛ ويجنح : يقشر .

٤ المغرب : من صبها ؛ المسالك : منصبة (وهي قراءة جيدة) .

٥ وقد جرى : سقطت من م س ط .

٦ عنه لأنني : موضعها بياض في م ط س .

عذارُهُ قائمٌ بعُذري فليس لي في الهوى اعتذار
حكى غزالَ الفلا نِفاراً فشأنه التَّيَهُ والنِّفار

وكان يوماً على وادي قرطبة في مجلس أنس فتذكر اشبيلية ، فقال :
ذكرْتُكَ يا حمصُ ذكرى هوىِّ أمات الحسودَ وتَغْنَيْتَهُ
كأنك والشمسُ عند الغروب عروسٌ من الحسنِ منحوتةُ
غدا النهرُ عقدك والطودُ تاجك والشمسُ < في > أعلاه ياقوته
وقال ^١ :

اشربْ على طيبِ نسيمِ السَّحَرِ وانظرْ إلى غُرَّةِ ذاك القَمَرِ
كأنه ماءٌ غديرٍ صفاً والمحقُّ فيه مثلُ ظلِّ الزَّهَرِ
ومنها :

أنشدكم شعري كمن قد قرأ سورةَ ياسين على من كَفَرَ
في نَفْسٍ أَسْتَغْفِرُ اللهَ بل في بَقَرٍ لولا اختلافُ الصُّورِ

ما أخرجته من قصائده المطولة في المدح وما يتشبه به

قال من قصيدة ^٢ :

وما راعني ^٣ إلا ابن ورقاء هاتفاً على فتنٍ بين الجزيرة والنهرِ

١ البيتان في المغرب ١ : ٢٤٦ والمساك .

٢ انظر المغرب ١ : ٢٤٧ والمساك ١١ : ٢١٩ وسرور النفس : ١٠٢ وعنوان المرقصات :

٢٦ ونهاية الأرب ١٠ : ٢٦٧ وحلبة الكميت : ٢٨٦ ورايات المبرزين : ٣٩ (١١ غ) .

٣ خ بهامش ط : هاجني ، وكذلك هو في سرور النفس .

مُفَسَّنَقُ طَوْقٍ لَازُورْدِي كُلِّكَل
أَدَارَ عَلَى الْبَاقُوتِ أَجْفَانِ لَوْلِي
حَدِيدُ شَبَا الْمَنْقَارِ دَاجٍ كَأَنَّهُ
تَوَسَّدَ مِنْ عُوْدٍ^١ الْأَرَاكِ أَرِيكَةً
وَلَمَّا رَأَى دَمْعِي مُرَاقَاً^٢ أَرَابَهُ
فَحَثَّ جَنَاحِيهِ فَصَفَّقَ طَائِرَاً

ومنها في المدح :

جَوَادٌ يَرَى أَنَّ الْعَلَاءَ خَيْرٌ مَا اقْتَنَى
يَرَى أَنَّهُ عَرِيَانٌ مِنْ كُلِّ مَلْبَسٍ
طَمُوحٌ إِلَى الْعَلِيَاءِ كَاسٍ مِنَ التَّقَى
يُرِوْقُكَ مِنْهُ خَلِيقَةٌ وَخَلِيقَةٌ

وَأَنَّ ادَّخَارَ الْحَمْدِ مِنْ أَفْضَلِ الذِّكْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ يَخْتَالُ فِي حَلَلِ الشُّكْرِ
غَضِيضٌ عَنِ الْفَحْشَاءِ عَارٍ مِنَ الْوُزْرِ
مَتَى شَتَّ إِطْرَاءً أَرْتَكُ بِمَا تَطْرِي

وهذا مما ذهب به مذهب أبي الطيب وقصر عنه :

وَأَخْلَاقُ كَافُورٍ إِذَا شَتَّ مَدَحَهُ
وَإِنْ لَمْ أَشَأْ تُحْمِلِي عَلَيَّ وَأَكْتُبُ

وقال من أخرى :

أَقَامَ قَنَاةَ الدِّينِ وَاقْتَعَدَ الْعَلَاءَ
وَشَدَّ عَرَى الْإِسْلَامِ وَاخْتَرَمَ الشُّرَكَاءَ

١ ط : التبر .

٢ خ بهامش ط : فرع ، وكذلك هو في سرور النفس .

٣ سرور النفس : توأماً .

٤ ديوان المتنبي : ٤٦٥ .

٥ م ط س : واعتزم .

يضيق الفضا عن أن يكونَ لبانه وتدنوا الثرياً أن تكونَ له سمكا
أدرت وقد دارت رحي الحرب عزيمةً أبادت ذوي الشحناء صولتُها هُلُكا
فأبوا وسُمِرُ الخطَّ سائلةٌ دماً وأجسامهم ينضجنَ من صدأ سهكا
قَالَ ما انفكَّت تغادرُ في العدا وقبعة غسانٍ غداة غزَت عكا^٢

ومنها في الحرباء :

تظل ترى الحرباءَ فيها مرفعاً يدَيَّ كاتبٍ ما زال يدعو وما انفكا
قال ابن بسّام : وقد أكثر الناس في وصف الحرباء وانتصابها ، وكنوا
بكل شيء عن تلوتها وانقلابها ، فممن أحسن في التشبيه ، وذهب بهذا المعنى
مذهباً من الحسن لا شكَّ فيه ، ابنُ الرومي بقوله^٣ :

ما بالها قد حُسِنَتْ ورقبها أبداً قبيحٌ ، قُبِحَ الرقباءُ
ما ذاك إلا أنها شمسُ الضحى أبداً يكون رقيبها الحرباء

وقال ابن بابك في غير هذا المعنى ، ولكنه في ذكرها معه التقى^٤ :
بغرةٍ كشعاع الشمس لو برزت في ظلمةٍ^٥ الليل للحرباء لانتصبا
ونقله بعض أهل عصرنا فقال في صفة يبداء :

١ ط د : ويدنو .

٢ يريد قبيلة عك .

٣ ديوان ابن الرومي ١ : ٦٣ والتشبيهات لابن أبي حون : ٢١ والشريشي ٢ : ١٨٠ .

٤ اليتيمة ٣ : ٣٧٩ .

٥ اليتيمة : ذو غرة ... لو برقت ... في صفحة .

بيت حرباؤها ضحيان متصباً وإن أطل^١ فلم ينظر إلى نور
وقال :

بحيث ترى الحرباء بالشمس كافراً ولو أنه جاءته من جنتي عدن
ولو يستطيع التف في ظل عوده على وشك ما يعني وقلة ما يعني
وقال أبو العلاء^٢ :

أوفى بها الحرباء عودتي منبر للظهير إلا أنه لم يخطب
فكانه رام الكلام ومسه عمي فأسعده لسان الجندب
وقال أيضاً^٣ :

وساحرة^٤ الأقطار يجني سرائها فتصلب حرباء برياً على جذع
وقال عبد الجليل المرسى :

بقلب كحرباء الظهيرة لا يني مع الشمس من ذاك الشعاع يدور
وأرى أول من ذكرها ذو الرمة في قوله^٥ :

غدا أكتب الأعلى وراح كأنه من الضيح واستقباله الشمس أغبر^٦

١ م : أطل .

٢ شروح السقط : ١١٣٣ .

٣ شروح السقط : ١٣٥١ .

٤ ط م ذ س : وساجرة .

٥ ديوان ذي الرمة ٢ : ٦٣٣ .

٦ الديوان : أخضر .

وقال ابن حصن من قصيدة أولها^١ :

أعاجوا المهارى بالعقيقِ فمنعجِ وأوضح منهم توضح كل منهج [٣٤ب]
على نؤي دارِ الركبِ عرجُ فانه حرامٌ علينا السيرُ إن لم نُعرجِ
على نؤي دارٍ قد تبقّى كانه وقد مَحَّ منه شطره نصف دُمْلجِ

ومنها :

بعيدةٌ مهوى القرطِ مُصمّنةُ البرى لطيفةٌ طيُّ الكشحِ رياءُ المدملجِ
تعضّ على العنّابِ بالبردِ الشهي وتمسح ماء الطلّ فوق البنفسجِ
جلت بعقيقِ جوهرأ فتبسّمت وذبت عن الوردِ النديّ بصولجِ

ومنها :

فقلتُ صلي قد ضقتُ ذرعاً بهجركم فقالتُ صه قد ضقتُ ذرعاً بدملجي

وهذا المعنى مشهور ، هو في شعرهم كثير ، إلا أنه غوّره وأبعده ،
وأوّر لفظه وعقّده ، والذي إليه أشار ، وعليه دار ، قول أبي تمام^٢ :
يعيرني^٣ أنْ ضِقتُ ذرعاً ببَيْتِهِ ويجزعُ أنْ ضاقتُ عليه خلاخلُهُ

ومن مدح هذه القصيدة :

جزيلُ التقى يمشي الهويّنا تواضعاً ويهترُ إعظاماً له كل خُنْبُجْ

١ منها أربعة أبيات في المسالك .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤ .

٣ الديوان : يعنفني .

٤ الخنيج : الضخم ؛ وفي ط : خنج .

وهذا المعنى مما ركب فيه ابن حصن رأسه وجكّم هواه، والمعنى مشهور في من وصف بالنسك ومُدِّح بالانسلاخ عن أبهة الملك ، ومن ذلك ما قال أبو تمام ^١ :

يقول فَيُسْمِعُ ويمشي فَيُسْرِعُ ويضربُ في ذاتِ الإله فيوجعُ

ورأت عائشة ^٢ رضي الله تعالى عنها رجلاً ناسكاً يداني الخطي ويخفض الصوت فقالت : ما بال هذا ؟ قيل : هو ناسك ، قالت : عمر والله كان أنسك منه ، ولكنه كان إذا مشى أسرع ، وإذا تكلم أسمع ، وإذا ضرب في ذات الله أوجع . وأبو تمام بهذا الكلام ألمّ ، وبه ترتّم . وفي الحديث ^٣ أنه كان صلى الله عليه وسلم إذا مشى تكفّأ كأنه ينحدر من صبيب .

وقال من أخرى ^٤ :

خليليّ من يضحى إلى البدر شافعي	فما لي على وجدي به من نصبرٍ
يعزّ على واديهمْ أن أزورهمْ	فلا يردون الماء غير مكدر
وما شفّني وادٍ تَضَوّع عنبراً	سواه ولا ماءً يشابُ بسكر
تُدْرِجُ عطفيه الرياحُ فيثني	تثني أعطافِ التزيفِ المخصرِ

ومنها :

١ ديوان أبي تمام : ٣٢٦ .

٢ ورد في طبقات ابن سعد ٣ : ٢٩ منسوباً للشفاء ابنة عبد الله .

٣ انظر مسند أحمد ١ : ٨٩ ، ٩٦ ، ١٠١ ، ٣ : ٢٢٨ ، ٢٧٠ .

٤ منها خمسة أبيات في المسالك .

٥ المسالك : أزوره .

٦ د : الغزال المخصر ، م : المحصر .

وإلاّ فلي منهم بِمُنْعَرَجِ الهوى
مُعَرَّسُ صيدانٍ وأعطانُ بَزَلِ
معاهدُ لم أعهدُ بها عكَل الصبا
وصلتُ بها عيشاً كأني قطعته
فكم غمرةٍ جلتى شكرتُ لها الدجى
وما استيقظتُ إلا لقرع حجالها
وقالت : هو الهيمانُ ما باله انتهى
إلى كم أناجي كلَّ أبيض صارمٍ
وحتامُ أستدعي الظُّبا سلماً إلى

[١٣٥] ومنها :

تحامى هداجاً بالظُّبا كلَّ هودجٍ
وقائع تغتال^٢ النفوس كأنها
فتى كفرنند السيف أرهيف حدّه^٣
أخو الحرب مَشَاءُ إليها ترهوكاً^٤
إذا شهد الهيجا فأولُ مُورِدٍ
يفاجيك عفواً منه جودُ بنانه
ويغشاك دون السّترِ نورُ جبينه

علائمُ لا تحفى على المتبصرِ
ومسرحُ غزلانٍ وآريُّ ضميرِ
ثماداً وفينانِ الهوى غيرِ مثيرِ
على ظهرِ خوّارِ الجديلينِ مُجفّرِ
وعنفتُ أوصاح الصبحِ المشهرِ
وجرسِ جُرْبَانِ^١ الحسامِ المفقرِ
ومن دوننا أهوالُ بيدٍ ومعرشِ
هوى كلِّ أحوى بالصريمةِ أحورِ
لقا كلَّ ظبيٍ بالسماوةِ أعفرِ

له واشتجاراً بالقنا كلَّ مشجرٍ
وقائعُ عبادٍ لدى كلِّ عسكرٍ
يهولك في مرأى نبيلٍ ونخبرٍ
إذا سهيك الأبطالُ تحت السنورِ
حرائبها عللاً وآخرُ مُصدِرِ
بأغدقٍ من صوبِ الغمامِ وأغزرِ
بأشرقٍ من ضوء الصبحِ وأنورِ

١ د ط س : جريان ؟ وجريان السيف : غمده أو هو قراب ضخم يضع المرء فيه السيف وأدوات أخرى ، والمفقر : السيف الذي فيه حروز مطمئنة عن مثنه .

٢ د : بالصرائم .

٣ المسالك : تختار .

٤ م ط س : تركوها ؛ الترهوك : مشي الذي كأنه يمشي في مشيته .

تَكَفَّكَتِ الْأَبْصَارُ عَنْهُ بِمُؤَدَمٍ أَغْرَّ طَلِيقَ الْوَجْهِ أَرُوعَ مُبَشِّرٍ^١
مُقَابِلِ أَطْرَافِ الْعُمُومَةِ مُخْوَلٍ مَقْدَسِ أَعْرَاقِ الْأَرْوَمِ مَطْهَرِ
أَمَسْتَخْبِرِي عَنْهُ ، عَنْ الدَّهْرِ لَا تَسْلُ فُقِيلِي قَدْ أَعْيَا عَلَى كُلِّ مَخْبَرِ
أَأْرُقِي إِلَى السَّبْعِ الشَّدَادِ تَخْرُصًا وَأَنْتِ^٢ بَمَا فِي قَعْرِ سَبْعَةِ أَبْحَرِ

ومنها في وصف قصيدته^٣ :

تَذَكَّرْتُ لَيْلَ الْقَوَافِي فَلَمْ تَزَلْ تَسَاعِدُنِي عَفْوًا وَلَمْ تَتَعَذَّرْ
فَدُونُكَ عَذْرَاءَ الْمَعَانِي ابْتَدَعْتُهَا عَوَانَ الْقَوَافِي خَيْرَةَ الْمُتَخَيَّرِ
إِذَا مَا الرِّوَاةُ اسْتَنْشَدَتْهَا تَبْرَقَتْ لَهَا أَوْجُهُ مِنْ حَشْمَةٍ وَتَغَيَّرَ

ومنها في التعريض بابن زيدون :

وَيَنْكَلُ عَنْهَا شَاعِرُ الْمَصْرِ كُلَّهُ أَلَا فَاضْحَكُنْ مِنْ شَاعِرِ الْمَصْرِ وَاسْخِرِ
وَدُونُكَ فَاحْكُمْ بَيْنَ نَظْمِي وَنَظْمِهِ بِذَهْنٍ ذَكِيٍّ ثُمَّ قَدَمٍ وَأَخَّرِ
وَلَسْتُ بِكَاسِيهَا مَدَى الدَّهْرِ حُلَّةً بِنَغْمَةٍ إِنْشَادٍ وَلَا بِمَكْرَرِ
وَمَا أَنْتَ مِمَّنْ يُحَمَّدُ السِّيفُ عَنْده بِجُودَةٍ صَقْلٍ وَهُوَ غَيْرُ مَذْكَرِ

وله من أخرى :

١ هو مؤدم مبشر : وصف للرجل الكامل أي جمع لين الأدمة ونعومتها وهي باطن الجلد وشدة البشرة وخشونتها وهي ظاهر الجلد ؛ ويقولون امرأة مؤدمة مبشرة إذا حسن منظرها وصح مخبرها .

٢ ط : وإنما ؛ س د : وأنا .

٣ ومنها . . . قصيدته : وقع في د قبل قوله « أأرقى إلى السبع . . . » .

٤ د : خوداً للمعاني .

أبى أبدأ إلا اصطحاب ثلاثة
 حسامٌ ويعبوبٌ وسمراءٌ لدنةٌ
 أجال على الصحراء أجرد ساجداً
 طليعة عيني منه أذنٌ حديديةٌ
 شككت ظلمته ظُلُمان كل مفازة
 وصاغ من الاكليل حلياً لنحره
 أصرف منه في الأئنة بارقا
 ومنها :

أحنُّ إلى البرق اليماني إذا انتحى
 متى حُسبَ الأملاكُ من كل أمة
 به نسخت أيدي الليالي ملوكها
 وقال من أخرى :

جفا الأبردين الماء والظل وارفأ
 معننى بأحابيسائل عنهم
 ثننى ذكره المثني مخايل دمة
 أسى بالتي من أجلها اقتحم القنا
 محش وغى ورآد ما حمت القنا
 نبوا أفياء القنا وكفى بها
 ومنها :

وأبيض مهوٍ لم تجده إذا انتمى
 إلى الشرف العادي يعدو المشارفا

١ المهو من السيوف : الرقيق ، وقيل هو الكثير الفرند .

أَعَارَتْهُ أَنْفَاسِي التَّهَابَ وَرَقَرَقَتْ
وَرَاقِ الْعَذَارَى حُسْنُهُ فَأَعْرَنَهُ
تَحَالُ مُذَابِ التَّبَرِّ فَوْقَ لُجْبَيْنِهِ

ومنها :

يَذَكِّرُنِي الْبَرْقُ الْيَمَانِي إِذَا انْتَحَى
عَلَى عَاتِقِي شِهْلَانٌ مِنْهُ غَمَامَةٌ

ومنها :

سَقَى عَهْدَهَا بِالْخَيْفِ غَادٍ وَرَائِحُ
فَكَمْ لَيْلَةٍ نَازَعَتْ كَفَّ الْمَنَى بِهَا
مَعَاهِدُ اسْتَسْقَى لَهَا أَنْجَعُ الْحَيَا
تَحْمَلَنِي مَا لَا أَطِيقُ وَطَالَمَا
بِمَا بَيْنَنَا مَا بِالْ قَلْبِكَ لَا يُرَى
رَوَيْدِكَ بِالْغَصْنِ الْخَضِيدِ فَانْهَا
وَفَكَّنِي أَسِيرًا مِنْ ثِقَافِكَ إِنَّمَا
إِذَا جَنَّ لَيْلٌ أَوْ تَرَسَّمَ طَائِرٌ
طَوَى نَحْوِكَ الْأَجْزَاعَ يَرْعَى خِلَالَهَا
تَبْدَلُ مِنْ رِيحِ الْقَرْنِفُلِ بِالضُّحَى
وَمِنْ فِدَنَ غَنَّتَهُ شَدَوْا قِيَانَهُ

عَلَيْهِ جَفُونِي مَوْجَ دَمْعِي ذَارِفَا
دِمَاجَ خُصُورٍ وَاتِّثْلَاقَ سَوَالِفَا
سَوَاكَا بِأَفْوَاهِ الْكَوَاعِبِ لِاصْفَا^١

لَدَى الْهَزِّ بَرْقًا مِنْ حَفَافِهِ خَاطِفَا
إِذَا أَسْدَفَ اللَّيْلُ اسْتَهْلَتْ سَدَائِفَا

وَأَيَّامَنَا بِالْخَرْعِ مِنْهُ السَّوَالِفَا
جَنَى الْوَصْلِ حُلُولَ الطَّعْمِ وَالْعَيْشِ غَاضِفَا^٢
وَفَاءٌ وَأَسْتَصْحِي الدَّمُوعَ الذَّوَارِفَا
عُرِفْتُ صَبُورًا فِي الْمَلَمَّاتِ عَارِفَا
عَلَى عِطْفِكَ الْمَضْنَى بَرْدُ فِكَ عَاطِفَا
رَوَادِفُ يَتَرَكْنَ الْجِبَالَ رَوَاجِفَا
مُضَارِبُ الْخَاطِ بِهَرْنٍ الْمُثَاقِفَا
حَسَبْتُ بِهِ طَيْفًا مِنَ الْجَنِّ طَائِفَا
صَفَائِفُ^٣ وَالْأَجْزَاعُ تُتَدَى صَفَافِهَا
ذَوَارِي مِنْ أَرْوَاحِهَا وَذَوَارِفَا
ثِقَاتِلَ مِنْ أَلْحَانِهَا وَخَفَائِفَا

١ لصف : برق وتلألأ .

٢ الغاضف : الناعم البال .

٣ د : صفائف ؛ وأرجح أن تكون القراءة « صفائف » .

وبالرَّمْلِ مرتجاً وبالْبَانِ مائساً
وبالْتَقَسِ النِّفَاحِ من نحو أرضهم
وبالْأَمْلِ^٢ [الملقي] بأطرافه على
فَقِي تَرِدُ الأَمْلَكَ سُدَّةً بابه
تخالمهم من كلِّ شرقٍ ومغرب
يؤمّون بحراً يتركُ البحرُ جوده
مكارم تُنْبِي^٣ حَدَّ ذَهْنِي وتغتدي
نمائه إلى العلياءِ كلِّ مُدَجَّجٍ
وَأَسَادُ أَجَامٍ نَهَبُ رِياحُهُمْ
إذا ما انتضَوْا بِيضَ السُّيُوفِ حسبهم
يَهْزُونَ بِالسُّمْرِ اللَّدَانِ أَشَاجِعاً
تَرَى الْبِشْرَ مِنْهُمْ فِي صَحَائِفِ أَوْجِهٍ
يَصُونُونَ أَحْسَاباً كَرَاماً وَأَوْجِهاً
تَلَفَتِي مُضِيمَ الْمَجْدِ فَاخْضَرَّ عَوْدُهُ
إذا جَمَدَتْ كَفُّ الْكِرَامِ عَنِ النَّدَى
وَجَدْتَ أَبَا عَمْرٍو عَلَى كُلِّ حَالَةٍ

روادفَ يملأنِ الملا ومعاظنا
غواليَ يلقينَ الرِّيحَ غوالفا^١
أبي عمروِ الأعلى تليداً وطارفا
كما تردُّ الماءَ الحمامُ عوافنا
طوائفَ بالبيت العتيق طوائفا
غريقاً، وبدراً يتركُ البدرُ خاسفاً [٢٢٦]
مصاييحُ فكري في دجاها توالفا
يَرَّاحُ إلى المعروفِ جذلانَ عارفا
غداةَ الوغى في الناكثين حراجفا^٤
شموسَ ضحى تُبْندِي بروقاً خواظفا
عوارِيَ بالطعنِ التَّوَامِ عوارفا
قَرَّاناً عليها للنجاحِ صحائفها
حساناً وأحلاماً حصاناً حصانفاً^٥
ولولا تلافيه لأصبحَ تالفا
وخلفها مرَّ السنين جلائفا^٦
جواداً بما يحويه سمحاً ملأظفا

١ ط م س : عوالفا .

٢ د : وبالْأَمْنِ .

٣ تنبي : تسبب فيه نبوة .

٤ الحرجف : الريح الباردة .

٥ ط د س : قرانا .

٦ م : حصاناً ؛ ط : حصائفا .

٧ جلائف : مقطوعة متأصلة .

وأصبحتُ للدنيا وللدين كالثأ
رمتني صروفُ الدهر خيفاً عيونها
وأصلحتُ أحوالي وكنّ فواسداً
وأوردتني صداة^١ ودك سلسلاً
وأرضتُ أطماعي وكنّ خشاشياً
ولاني وإنّ أحكمتُ نظم جواهر
لملتُ سبيك العسجد المحض منك في
وأنشيدك السحر الحلال مخاطراً
وأجنبك من شكري بوردي مضاعف
وتمنحني بده الكريم وتارة

والمجدِ والعليا والملك كاففا
فأمنتني منهنّ ما كنتُ خائفا
وأحييتُ آمالي وكنّ نوالفا
وأرعيتني سعدان برّك وارفا^٢
وجددتُ آمالي وكنّ خشاشفا^٣
وألقاك منها بالنفيس متأخفا
يدّي صيرتني يترك الصبارفا
كن قلّد الليث المهيج مؤاقفا
وودّي فتعطيني العطاء مضاعفا
تجازي بإطرائي فتعطي مجازفا

وله من أخرى أيضاً :

على الظنّ أني عنك سالٍ ولم أكن
ومن قرّني لا تعجبي وتعلمي
ولاني وإن عاقت عوائق دوننا :
ليدّ كبرئيك المسي والصبح والدجى
مشمّ ذكي عرّفه ، ومقبّل

سكّوت ولكن عن صبح أرقق
بأنّي مللّوخ من الحبل أفرق
رقيب عتيد أو فراق مفرق
وجوّز الضحى ، كلّ إليك مشوق
شهّي ، وصدر ناهد ، ومعنق

١ س ط : سراد .

٢ فيه إشارة إلى المثل : « ماء ولا كصداء ومرعى ولا كالسعدان » .

٣ ط : أبرضت ، وأرضت : جعلتها أريضة ممرعة ، والخشاشي : الأرض الصلبة ذات الحصى ،
والخشائف : اليابسة .

٤ من المثل : « أعن صبح ترقق » يضرب لمن يمرض بشيء وهو يريد غيره . انظر فصل المقال :

٧٥ والقصبي : ٥٣ .

وخذ غدا يستغفر الله كلما
 يخادعه مكرأ فيحسب أنه
 وليل زمان الوصل منك لحفته
 نرقرق من نظم الكلام ونثره
 حديثاً كعرف العنبر الورد بيننا
 جلت وهي عبّري عن عيّا نقابها
 تكاد بلحظ الوهم تندى غضارة
 ومما يغيظ الخيزرانة أنها
 إذا طفقت تمشي الهوينا تهادياً
 أرتك الهوى رُشدأ ولم تعد أنها
 وإن سقرت تفر عما يجيدها
 سمعت قلوب العاشقين كأنها
 ملوك له مرأى جميل ومخير
 تلوذ بحقوقه الملوك كأنها
 إذا صال كاد النجم من شدّ صوله
 وإن لقي الأعداء ولّت كأنها
 له من نبيل الرأي سيف وذابل
 ذكي إذا حاك الكلام رأته

تخلّله لحظي يعيث ويفسق
 يناجيه سرأ وهو يزني ويسرق
 بيوم به كل الأمانى تلحق
 سلفاً تسقاها الحيرشى^١ وتغبق^٢
 مع المسك مفتوقاً يذّر ويسحق [٣٦ب]
 كما انحلّ خيط المزن والشمس تشرق
 وتعتقد لنا بالبنان وتطلق
 بعقدتها فوق الحشا^٣ تمنطق
 كما انساب مشحوناً على الماء زورق
 أراك على وعساء بالحلبي تورق
 وعن مثل ما تفر من ذاك تنطق
 بنود أبي عمرو مع الريح تحق
 نبيل وفعل مستطاب^٤ ومنطق
 كواكب بالشمس المنيرة تحق
 يخرق جلباب الدجى ويمزق
 بغاث رأت في الجوّ صقراً يخلق
 ومن حزمه درع حصين ويلمق
 بصمّم في أوصاله يطبق

١ في النسخ ، جرشي ، ولا وجه لاسقاط «ال» التعريف فيه .

٢ م ط د : ترقرق . . . ونعيق ، والبيت متصل بما بعده .

٣ ط د م س : الحيا .

٤ ط م : اطفقت .

يشقق^١ أبكار المعاني كأنها
 يطيب نسيم الشعر من طيب ذكره
 متى حكنت فيه الشعر بيت^٢ ولبتي
 به دمر الرحمن دمر وانطوى
 ومن آل يرنيان^٣ أنكث أمة
 ثلاثة رهط بدد الله شملهم
 وصبرهم قبل انقضاء حديثهم
 وكل غدا رهناً بما كان عاملاً
 فأشكل ملبوس تخيرته لهم
 وأفضل مركوب عليه حملتهم
 هم وردوا الخوض الذي عنه ذدتهم
 هم نقضوا ميثاق عهدك عنوة^٤
 هم أنصجوا ذاك الشواء فرمدوا
 ومنها :

بمعتضد بالله أشرفت الدنيا
 ورقت حواشي الدهر حتى كأنه
 وأطلقها من ربة الجور مطلق
 رداء عروس بالعبير مرقق

١ بنو يفرن من زناة ، استولوا بعد الفتنة على تآكرنا وكانت قلعهم ردة ، وكان زعيمهم أبو نور بن أبي قره حليفاً لعباد ، ثم غدر بهم عباد في حديث طويل ، (انظر البيان المذرب ٣ : ٢٧٠ وما بعدها) وقوله : « دمر » هي أحد فروع اليفرنيين ، وفي النسخ : تدمر .
 ٢ وردت في النسخ : يرقيان ، وعند ابن عذاري (٣ : ٢٧١) يرنيان ، وكان أميرهم عبدون بن خزرون صاحب أركش وشذونة ، وقد قام عباد بالقضاء عليهم أيضاً وأباد أكثرهم سنة

ومنها :

لأغرقتني من أن أكون بشكرها
ولو كلُّ عضوٍ فيَّ أو كلُّ شعرةٍ
أنتني يدٌ بيضاءُ منك كأنَّها
ومشتاقه عذراءُ شدَّ خناقُها
عليه من اسم الملك عِقْدٌ منظمٌ
تلاقيتها بشرّاً ملاقاتاً شيقٍ
أقبلها طوراً وطوراً أضمتها
إلى أن تشقينا عناقاً وخفتُ أن
قطعتُ عليها عقدها فتناثرتُ
كحلتُ بها حولاءَ عيني فاغتندي

ومنها في ذكر قصيدته :

وأيقظتُ أفراسي لها فتطايروا
فيا لك من لهوٍ وطيبٍ وفرحةٍ
لو أن جريراً والفرزدق أنشِدَتْ
وهن وإن كانت قوافي تتنقى

وله فيه من أخرى^١ :

وليلٍ كأكبادِ العُداءِ وصلتهُ
ويومٍ عمامي بلبلٍ ذعرتهُ

١ موضع هذه العبارة بياض في م ط س .

وجرية ماء كالمجرة جلّت
تشادي به ورق الحمام بالضحى

ومنها :

أحمج شري الخطب جزواً ومخطباً^١
وألقى بأمثال الخطوب خطوبها
ومن يشك ما أشكول إلى نصب الشرى
ومن يرج عباد بن عباد الرضا
فنى تذري^٢ الهيجاء أرواقها به
وتسفر منه المشكلات نقابها
وما أصعب الأشياء حتى يرومها
بذل له الأمر العسير فكاد أن

والمج بنت الدهر جداء^٣ حافلا
من الهمة الطولى تليلاً وكاهلا
من الراحة استمرى السئوم القوائلا
رجائي لم يلق الليالي خاملا
على نكل حرب لا يرى الدهرنا كلا
إلى فيصل يستشعر القول فاصلا
برأي يريه أجل الأمر عاجلا
يكلّفه أن يرجع العام قابلا

ومنها :

وطوقني دون السؤال اهتاله^٤
فأبنع لي ما جف من عودٍ مطلبي
تراسل في الجلى أسيرة وجهه

أيادي جلّتي وقد كنت عاطلا
وعاد أجاجي منه عذاباً سلاسل
نجيعاً وطوراً سؤدداً وطوائلا

١ في د ط : جدواً ؛ ويجمع : يحقق النظر ، (وفي النسخ : يجمع) والشري : الحنظل ،
والجرو : الحنظل حين يكون صغيراً ، والمخطب : الحنظل حين يصفر .

٢ في النسخ : ألمج ؛ وألمج : أرفع ؛ الجداء : القليلة اللبن ، والحافل : الضرع
المستل بالبن .

٣ في النسخ : تزدري ؛ ولا معنى له .

٤ نكل حرب : قوي عليها ، وفي النسخ : حزب .

٥ م ط : اهتاله ؛ س : اهتالها .

يدٌ تَسَعُ الدنيا بما وَسِعَتْ ولا
يَقِيلُ أبان^١ أن يرى فصراً خاتماً
أُمُسْتُوصَفِي عنه ابنَ بَجْدَتِها أَجَلٌ
مَساعٍ إذا ما الوصفُ حاولَ بعضُها
خلعن على سحبان حُلَّةَ باقلٍ
سوى العجز لا يجدي تناول وصفها
وإنَّ زماناً جادَ فينا بمثلِهِ
فهذا مكانُ الوصفِ إن كنتَ واصفاً
فما يهبُ الآمالَ إلاَّ حوالياً
وإن خاتلت أعداؤه أَفتاً^٢ لهم
فما ينظمُ الآراءَ إلاَّ دأبياً

ومنها :

همُ القوم طابوا أَبْطُنًا وعمائراً
ضراغمُ آجامٍ تهبُّ لدى الوغى
فما حملوا إلاَّ بنصرٍ حمائلاً
ولا اذرعوا غيرَ القلوبِ سوابغاً

ومنها :

ودونكها مصبوحةٌ رِسلَ مِقْولٍ

أحاشي بها برأوبحراً وساحلاً [٣٧ ب]
لها والبحورُ الزاخرات أناملاً
لقد جَلَّ عن وصفي عللاً وفواضلاً
ذهبن به في كلِّ وادٍ محاولاً
فساوى بها سحبانُ في العيِّ باقلاً
عليَّ وقولي عزَّتِ المتناقلات
جديرٌ بأن يدعى الجوادَ المناولاً
وهذا مكان القولِ إن كنت قائلاً
إذا وهب الناسُ العطايا عواطلا
بما قِطِ^٣ حَرْبٍ لم تجده مخاتلاً
ولا يبعثُ الرايات إلاَّ قوائلاً

وطابوا شعوباً قوبلت وقبائلاً
شماثلهم في المأزقين شماثلاً
ولا أعملوا إلاَّ يَنْجُجِ عواملاً
ولا سكنوا غيرَ السروجِ معاقلاً

أزفَ بها بكَراً عواناً مُراسلاً

١ أبان : اسم جبل .

٢ س م : أفة .

٣ المأقط : المترك .

قوافي أمثال الصخور بعثها
حوامل للآمال أجمل^١ من غدت
إذا أنشدت في محفل القوم أعربت
بيان هو السحر الحلال تجودت
قديمًا على أسمع قوم معاولا
مطافيل بالمعنى النفيس حواملا
من الغبط في أضلاع قوم محافلا
به فكرة أضحت لبابل بابلا

وله من أخرى في اسماعيل بن عباد :

هوى بي هوى الغيد الحسان فللجوى
وزين عندي حلّة السقم أنها
أما وعيون العين يوم النوى لقد
أمرضتها كأس الملامة مُدْمَنًا
نفضت يدي عن كل ورد وسوسن
وأغضيت إلا أن يلوح لناظري
والعس معسول الثنايا من المني
حيب رقيب الحسن فوق جبينه
حشا كحلا عينيه مسك عذاره
سأهواه ما اهتر الأراك وأصبحت
صقيل فرند السيف يبيض ليله^٢
تبّل منه كل مرأى ومخير
تلين له الأيام وهي شدائد

بكل فؤاد من فؤادي^٣ تمكن
نحور بها زهر الحلى تترين
سبي قلبي الغصان منهن أغصن
أقل علي^٤ اللوم كم أنت تُدْمِنُ
لحد به ورد أنيق وسوسن
محيا به أيقنت أني مُحَيَّن
ألد ومن شمس الظهيرة أحسن
يتيه ، ومعشوق الملاحه يَمَجُن
فلاح به وجه من العذر بين
أنامل إسماعيل بالحدود تهتن^[١٣٨]
إذا اربد من ليل الكربة موهين^٥
فقد فتنت فيه قلوب وأعين
وتعنو وجوه الحادثات وتذعن

١ م : أحمل .

٢ ساقط في ط م س ؛ وفي د : بكل فؤاد من فؤادي ؛ ولا أراه دقيقاً ، ولعل الصواب « بكل
تسيم من فؤادي » أو « بكل فؤادي علقه وتمكن » أو ما أشبه من قراءة .

فقد يقطع الصمصامُ والمتنُ لينَ
 رأى حُسْنِ مسعاهم فما زال يحسن
 وقائعهم في كلِّ هيجاءِ تؤمِّن
 وتثالُ منهم بالفصاحةِ ألسن
 وعزَّأ مكيناً لا يني يتمكن
 وليس كذا لكنه يتظنن
 ذكي^١ كمثل النارِ في الزندِ تكمن

فلا تياسنَ منه بلينِ عريكةٍ
 نماءُ إلى العلياءِ آباءُ عزَّةٍ
 ميامينُ أجدادٍ مأمينُ لم تكن
 تفرقُ منهم بالسماحةِ أوجهُ
 كفاهم باسماعيلِ مجدأ مؤثلاً
 تظنُّ به في المشكِّلاتِ كهانةُ
 توقدُ ذهنٍ في خمودِ سَكينةٍ

وله من أخرى :

إلاَّ إشارةُ عتابٍ وتسليمُ
 والسرُّ منهتكُ والصبرُ معلومُ
 حمَلَتْها ضعفَ ما يلقي بها الريمُ

ما بينَ البينِ يومَ الخوفِ مذمومُ
 وآيةُ الحبِّ في الأجفانِ واضحةُ
 هي الغزاةُ لولا ضيقُ دملجها

ومنها :

حداهم^٢ كلَّ رهوٍ السيرِ غطومُ
 أحوى المحاجر طايي الكشحِ مهضومُ
 كأنه سوسنُ بالوردِ ملطومُ
 تحفه طُرّاً ليلٍ وتعميمُ
 للينِ حِقْفُ من الكافورِ مركومُ
 ضربانِ مُنتَشِرُ منه ومنظومُ

ساروا وقلبي أسيرُ في القبابِ وقد
 وفي الغبيطِ الموشى شادنُ خَرِقُ
 مخدّد الخلدُ بالأوهامِ ناعمه
 بلرُ بديباجتيه عُجْمَتا سَبَجِ^٣
 غُصْنُ من الورقِ الماذي يجذبه
 يُهندي لك الدرَّ من لفظٍ ومبتسمُ

١ لعل الصواب : « ذكاء » .

٢ س ط : حدا بهم .

٣ المعجمة : النقطة ؛ السيج : الحرز الأسود .

يُجْني الذنوبَ وأخو أن أوْاخِذَهُ
 ما هاجَ برحَ الهوى إلاَّ مطوِّقَةً
 ترنَّمتَ ودموعُ الصبِّ آيَةً أن^١
 أيا حمامةَ ذا الوادي أثرتَ جوى
 إلاَّ يَكُنْ وادياً حلتَ ركبُهُمُ
 همُ أناخوا بيجز عَيْنِهِ جمالَهُمُ
 [هلم^٢] نسري اعتسافاً حيثَ عنَّا لنا
 نُغشي بهنَّ بنات الوخدِ ساجدةً
 يُنْضي^٣ سرى الليل تأويبَ النهار ولا
 والآلُ عند هيام القبطِ مضطربُ
 يزاحم الليلَ والخرقاء موضعةً
 مَرْقُتُهُ وثرِيَّاه تلوحُ كما
 وقد محّا سُنَّةَ البدرِ الخسوفُ كما

ومن المدح :

حوى من الفخرِ ما لم يَحْوَهِ مَلِكُ
 أغرُّ مَبتهجٍ فاح الزمان به
 هو الجواد الذي أضْحى السَّماح له

من أجلِ ذلك قيلَ الحسنُ مرحوم
 كأنَّها من نحولِ شَفْها جيم
 يَهيلُ ساجِمَها بينَ وترنيم
 تنقُصُ منقِدةً منها الحيازيم
 به وإلاَّ فما واديك مأموم
 وأنهلوها وهنَّ الطلحُ الهيم
 منهن وهنَّ سنا نارٍ وتخييم
 تَحْدي وقد همَّ بالسَّمار تهويم
 هجير من لب الرضاء تَضريم
 كأنَّه في بَساطِ القاعِ محموم [٣٨ب]
 والقفرُ مثل طراد السَّيفِ ديموم
 لاحت بأَعْلَ زنجي خواتيم
 محّا سنا رونقِ المرأة تسهيم

وحاز ما لم يَحْزُهُ العُربُ والرومُ
 كأنَّما دهرنا بالمسكِ مرثومُ
 رِبْطاً كأنَّ العطايا فيه تعليمُ

١ س م ط : أفة أن .

٢ بياض في م د س ؛ وفي ط كلمة لعلها مزيّدة بخط غير خط الأصل .

٣ ط م س : يضي ؛ د : يقى .

٤ مرثوم : مخلق ملطخ بالطيب .

٥ التليم : جملة معلماً أي مخطئاً .

قد كفل الخلقَ جلواهم فعمتهم
 إذا نبا حادثٌ للدهر عن له
 ياها أمية لا تقرب لحمص حمى
 كذلك آباؤه الماضون هم أكتما
 إذا نظرت فأشكالُ البدور وإن
 نماك للمجد عباداً فأنت له
 هذي الليالي على حُكْمٍ وإن رغمت
 كأنما الرزقُ من كفيهِ مقسومُ
 عزمٌ ثنى المنّ منه وهو مقصومُ
 محمد ما تحامى فهو ترخيم
 ت العز ما ظلموا يوماً ولا ضيموا
 خبرتهم فهم الأسدُ الضراغيم
 نجل سَمَت بكما الصيدُ اللهايم
 زمامها بكلا كفيك مزوم

ومنها الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي^٢

قال ابن بسّام : وكان أبو عمر يوسف بن جعفر المعروف بابن الباجي
 من بلغاء الكتاب ، وأغرب شأؤ جدّه الباجي في الولادة كل الإغراب ،
 في صلة حبّل البلاغة على جميع كتاب الإسلام ، لأنّه أنسل أربعة من
 حملة الأقلام وفرسان الكلام ، أولهم جدّه يوسف ، وابنه جعفر بن
 يوسف ، وعبد الله ويوسف ابنا ابنه جعفر ، ويوسف هذا هو المكني بأبي
 عمر . فأما أبوه جعفر فكتب صدر الفتنة المؤرخة أوّل هذا الكتاب لعدّة

١ ط د م : وما .

٢ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٤٠٥) أن يوسف بن جعفر الباجي كان فقيهاً جليل القدر
 رحل إلى المشرق وحج وولي قضاء حلب ، وعاد إلى الأندلس فجل قدره عند المقتدر بن هود
 ملك سرقسطة ، وقد ذكره ابن بشر بن الصقلي وعنه ينقل العماد (الخريدة ٢ : ٣١٣)
 وذكر أن له مؤلفات وتصانيف شرعية ؛ وعاد العماد فذكره (٢ : ٣٨٠) نقلاً عن
 القلائد : ١٠٢ وفيها أن كنيته « أبو عمرو » ، وانظر المسالك ١١ : ٤٢٠ .

من كبار أملاكها آخرهم يحيى بن اسماعيل بن ذي النون ، ولديه توفي بمدينة سالم سنة خمس وثلاثين . وكان أبو عمر هذا إنما تصرف كاتباً ، وطلع شهاباً ثاقباً ، بأفق المشرق ، وإنما ذكرته هنا لأن بلده وبلد سلفه باجة ، إحدى مدن الجانب الغربي من الأندلس ، وقاعدة بلاد ساحل البحر المحيط الرومي .

ونقلت ما أثبت في هذا المجموع من رسائل بني الباجي من قراطيس تعاليق ، وبطاق وقع إلى تفاريق ، منسوبة لهم في الجملة ، وربما اختلطت رسائل الإين والأب لهذا السبب ، وهذا الذي أصف وأشرح ، مما لا يضر ولا يقدح^١ ، لا سيما في رواية حكاية لا يخيل بها نسبتها إلى من < لم > يحكيها ، وفي نشر نسيجه لا يغض من بهجتها لإضافتها إلى من لم يحكيها ، وإنما هي ملح مثور أو منظوم ، وليست بحقائق علوم ، فتكلف في صحة الأسانيد ، والفرق بين سعيد وسعيد ، والفصل ما بين عبيد وعبيد . وعلى أي حال ورد هذا المجموع . من مجهول أو معلوم ، في مثور أو منظوم ، فبديع رائق ، ومتأخر إن شاء الله سابق .

جملة من رسائله في أوصاف مختلفة

له من رقعة عن ابن هود إلى المعتضد :

كثرت - أيدك الله - محامدك فصارت زاد الرفاق ، وأشرقت

١ هكذا يقول ابن بسام ، ولكن هذا من التجوز الذي يلحق ضرراً بالدراسة الدقيقة . والمؤلف إنما يتحمل لنفسه عذراً ، وقد علق العمري على هذا بقوله : « وهبهم أهل بيت وأحدهم أليس يفرق بينهم التفاوت ؟ ! » .

عَاسِنُكَ فَرَمَتْ بِسَاطِعِ نَوْرِهَا إِلَى الْآفَاقِ ، فَنِي كُلِّ سَبِيلٍ طَلِيعَةٌ مِنْ ثَنَائِكَ مَرَحِلٌ ١ ، وَفِي كُلِّ أَفَقٍ بَرِيدٌ مِنْ أَنْبَائِكَ يُتَعَلَّلُ ، [٣٩] وَلِفَضَائِلِكَ الْمَأْثُورَةِ حَمَلَةٌ يُتَبَايَنُونَ فِي الْقَدْرِ ، وَيَتَفَاضِلُونَ فِي النُّشْرِ ، وَكُلُّهُمْ مُوجِزٌ وَإِنْ حَاوَلَ أَنْ يُطْنَبَ ، وَمُقْتَصِدٌ وَإِنْ حَاوَلَ أَنْ يُسْهَبَ ، وَاللَّهُ يَصُونُ مَا أَلْبَسَكَ مِنَ الْمَكْرَمَاتِ ، وَيَزِيدُ فِيمَا خَوَّلَكَ مِنَ الصَّالِحَاتِ ، بِمَنْهٍ .

وَأَنَا لَا أَزَالُ بِفَضْلِ خُلُوصِي إِلَيْكَ ، وَصَدَقِ انْجِدَابِي لَكَ ، وَشَدَّةِ اغْتِبَاطِي بِمُوهَبَةِ اللَّهِ السَّنِيَّةِ فَيْكَ ، مُصِخِّاً إِلَى كُلِّ دَاعٍ بِشِعَارِكَ ، وَحَامِلِ لَأَثَارِكَ ، مُسْتَهْدِياً لَطِيبِ أَحَادِيثِكَ وَمُبْهَجِ أَخْبَارِكَ ، فَلِذَا ظَفَرْتُ بِمَحْدَثٍ عَنْكَ فَقَدْ نَلْتُ جَدَّالِي ، وَإِذَا وَقَفْتُ عَلَى خَبَرٍ مِنْ لَدُنْكَ فَذَلِكَ مِنْ أَمَلِي .

وَفَلَانٌ لَحِقَ بِجَهَنِّي . طَاعَتِكَ : وَعِنْدَهُ أَوْفَى بَضَاعَةٍ مِنْ رَفِيعِ ثَنَائِكَ ، وَأَحْسَنُ إِشَاعَةٍ بِجَمِيلِ أَنْبَائِكَ ، وَهُوَ النَّاطِقُ الْقَوْلُ ، وَالصَّادِقُ الْمُقْبُولُ ، فَعَرَضَ تِلْكَ الْبَضَاعَةَ الزَّكِيَّةَ فِي مَعْرَضِ نَفَاقِهَا . وَقَصَدَ بِهَا أَقْوَمَ أَسْوَاقِهَا ، وَأَهْدَى ذَلِكَ الْعِلْقَ السَّيِّيَّ إِلَى مُسْتَهْدِيهِ ، وَأَدَّاهُ إِلَى يَدٍ ٢ مُقْتَنِيَةٍ : وَلَمَّا أَنْ صَدَرَ عَنْهَا ، بَعْدَ انْقِضَاءِ وَطَرِهِ مِنْهَا ، وَقَدْ ضَمَّخَهَا بِذِكْرِكَ ، وَقَامَ فِيهَا بِشُكْرِكَ ، تَقَفْتُ إِلَى مُوَاصَلَتِكَ مَعَهُ : وَتَجَدِيدِ الْعَهْدِ الْكَرِيمِ عَلَى يَدِهِ ، فَأُصْحَبَتُهُ كِتَابِي هَذَا مُخْبِراً عَنْ مَقَامِهِ فِي بَثِّ مَنَاقِبِكَ . وَوَاصِفاً لِحَالِهِ فِي نَشْرِ مُحَامِدِكَ ، وَحِيلَافٍ عَلَيْهِ فِي وَصْفِ وَدَّيِّ ، وَالْإِخْبَارِ عَمَّا عِنْدِي .

وَلَهُ مِنْ تَعْزِيَةِ إِلَى ابْنِ أَبِي عَامِرٍ فِي ابْنِهِ الْمُعْتَزِّ ٣ : بِأَيِّ لِسَانٍ - أَيْدِكَ اللَّهُ -

١ كَذَا فِي النُّسخِ .

٢ يَدٌ : سَقَطَتْ مِنْ ط .

٣ وَرَدَتْ هَذِهِ الرِّسَالَةُ فِي الْعَطَاءِ الْجَزِيلِ : ٦٢ .

أخاطبك مذكراً ، أو بأيّ مقالٍ أَلَطِفُكَ مصبراً ، وقد أذهلتني
فجأةُ الخطبِ ، وتركني طائرَ القلبِ واللّبِّ ، وقد رماني ساعدُ الزمانِ
حينَ رماك ، وأصماني سَهْمُهُ كما أصمّاك ، وثارَتْ إليّ فجائعهُ من حيثُ
ثارَتْ إليك ، ودارَتْ عليّ وقائعهُ من حيثُ دارَتْ عليك . ولو كان ما
طالغني خَطَرَةً حُلُمٍ ، لكفى به داعيةٌ بثٍّ وألمٍ ، فكيف إذا كان يقيناً
يقطع أَمَلَ المؤمِّلِ ، ويُبْطِلُ رجاءَ المرتجِي المتعلِّلِ ؟ !

وورد كتابُكَ الجليلُ ناطقاً بلسانِ الرزيّةِ ، مقصداً سهمَ الفجيعةِ في
المعترِ باللهِ ، ابنك ، ومعتدي - كان - فأنّا لله !! أيُّ رزءٍ ما أفضله في
القلوبِ ، وأيُّ خطبٍ ما أشنّعهُ في الخطوبِ ، وأيُّ مصابٍ ما أحقه
بالأُسى^١ ونَبَذِ الأُسى ، لولا أمرُ الله تعالى . ولا أجِدُ - أيّدك الله - لهذه
الفادحةِ قدراً ، ولا أقيسُ بها أمراً ، ولا أكاد أقولُ في مثلها صبراً ،
فإنها سالبةُ الأذهانِ ، وجامعةُ الأحزانِ ، وخبیثةُ الحدّثانِ ، وكبيرةُ نوائبِ
الزمانِ .

وفي فصلٍ منها : ونحنُ مأمورُنا ، ومحكومُ علينا ، يملكتنا خيرُ المالكينِ ،
ويحكمُنا أعدلُ الحاكمينِ ، ولو شاء الله لم يَخْلُقْنا ، فضلاً عمّن
خَلَقَ مِنّا ولنا ، وقد أنعم الله عليكَ بنعمي متّعلِّك^٣ بها ما شاء ، ثم صنع
في بعضٍ ما شاء ، فإن تقابلُ بالاحتسابِ قَدَرَهُ النَّازلُ ، وبالتفويضِ

١ العطاء الجزيل : بطول الأُسى .

٢ في النسخ : وكثيرة .

٣ في النسخ : منحك ، والتصويب عن العطاء الجزيل وزاد فيه بعد اللفظة « الله » .

قضاءه العادل ، فأحزى بحزنك أن يعود سروراً ، ويصدقك أن يكون
بثواب الله مجبوراً .

وله من أخرى في مثله ^١ : كتابي عن نفسٍ مستطارةٍ بِلَوَعَتِهَا ،
وكبدٍ مُذَابِقَةٍ بِرَوَعَتِهَا ، وعن قلبٍ شعاره بُرَحُ الجوى ، وأشاره تَهْبُ
الأسى ، تفجّعاً لما فجّعت ، واشتراكاً في عظيم المصاب معك ، وأسفاً على
من فقدناه فقْدانَ السَّمْعِ والبصر ، ورُميْنَا فيه بأفْطَعِ الحَوَادِثِ والغِيرِ ،
فانّا لله وإنّا إليه راجعون ، بها يعتصمُ العارفون ، وإلى حقيقتها يرجعُ المسلمون .

وانّ كتابك ورد منبثاً عن صورة حالك ، وتوفية ^٢ رزنيك حقّه من
الأسف ، وإعطاءٍ مصابك بقدره من اللّهُفِ ، فسَدَّ ^٣ على نفسي
— فَادَيْتِكَ — ثنایا الصَّبْرِ ، ووقع منها موقع المشيم من الجمر ، ولعمرُ
الله إنه الرزء ، [فليس كمثل الرزء ، التي] يحسن فيها الرزء ، وإنك بالبت ^٤
والحزن لحقيق ، ثم إنك بالصبر والاحتساب ^٥ لخايق ، ولولا أنّي أثقُ برجوعك
إليه ، وتأیید الله تعالى لك في الاحتمال عليه ، لسلكت في الذكري طريق
المحتشد [٣٩ ب] ، وأنفَدْتُ فيها وَسْعَ المجتهد ، على أنّي باستهدائها ^٨

١ وردت في العطاء الجزيل : ٦٣

٢ العطاء الجزيل : في توفية .

٣ ط م س : فشد .

٤ في النسخ : الخبر .

٥ ط م د س : لرزء يسهل لا يحسن فيها ، وأثبت ما في العطاء الجزيل .

٦ ط م د س : للبت .

٧ ط م د س : في الاحتساب .

٨ م س : باستدائها ، ط : باستهدائها .

جدير ، وإلى سماعها فقير . وما اقتباسي إلا منك ، ولا اقتدائي إلا بك ،
جعلك الله في تلقّي هذا الرزء ، وتحمل هذا العبء ، قدوة رشدي للجازعين ،
وأُسوة هدي للغافلين .

وله من أخرى إلى ابن هود بعد خروجه عنه : كتب مملوكهُ الملتحفُ
في نعمائه ، المتقلبُ في آلائه ، من فلانة ، وما قطعَ مرحلةً ، ولا احتل منزلةً ،
إلا ودأبه وَصَفُ معاليه ، ونشرُ أبياده ، وأما مفارقة ذراه فيكاد الإشفاق
يُضْمي الجنان ، ويدُمي الأجفان ، وينفي بالجملة السلوان ، وهو أمرٌ
حُمِّ واقترب ، وقضاء سبق وغلّب ، وأنا مع انفصالي عن ذلك الكنفِ الجليلِ
المأمول ، والفيئاء العزيز الموصول ، الذي عَمَرْتُهُ في ظلّ الإكرام
والتوجيه ، ومهاد الإنعام والترفيه ، غيرُ خارج من عداد من يتقلبُ فيه ،
وجملة من يُرَآو حُهُ ويقاديه ، لأن فَضْلَهُ بي حيث كنتُ محيط ، وأُمِّي
به منوط ، وتشيعي له مشهور ، واعترافي بعوارفه لديّ مأثور ، وسيعلمُ
مولاي أَنِّي صَحِيتُ فاعتدلت ، ثم فارقتُ وما اختللتُ ، بل أعظمتُ
وأجللتُ ، وأثّبتُ فاحتفلت ، والله الحسيبُ بالنيّات والأعمال ، الشهيدُ
على الأقوال والأفعال .

ومن أخرى له : سيّدي ، ومن أبقاه الله للكرم يتبوأ سِطَنَهُ ، والشرفِ
يدَرِغُ بُرْدَتَهُ ، والعزّ يلبسُ سِرْبَالَهُ ، والفخرِ يَسْحَبُ أَذْيَالَهُ ، بأيّ
لسانٍ — أعزّك الله — أناجيك على بُعدِ الدار ، وقد أخرستَ عن واجبِ
الشكر لسانِي ، وطمستَ على وجوه بياني ، بما أضفيت من حُللِ بَرِّكَ التي

أخجلتني ، وطوّفتني من منتك التي أُلجِمتني^١ ، بالهديةِ السنيّةِ التي لا يزال الدهرُ ينثرها ، وأيدي الثناءِ تنشرها ، فكم من عِلْقٍ نفيسٍ شافهتني منها بلسان بغدادَ وَعَدَنَ ، ولاحظني بمقلةِ مصرَ واليمنَ ، وأيمُ الله : لقد ابتسمتُ إليّ نجومُ السماءِ ، ودان لها تقويفُ كلِّ روضةِ غَنَاءٍ ، وتحدّثَ بها الكرمُ المحضُ ، وأشاد بذكرها الثناءُ الغضُّ ، وحقَّ لهديةِ أهدتها أناملُك المستهلةِ السحابِ ، وجادت بها راحتُك الثرةُ المواهبِ ، أن يعنّو لها القمرانِ ، ويحاسنَ بها زماننا كلَّ زمانٍ ، فلو أن البحرَ عاينها طامياً لما ساجلك ، والغمامَ شاهداً هامياً لما طاولك .

وله من جوابٍ على كتاب عتاب : المودّات - أعزّك الله - إنما تثبت دلائلها ، وتصحّ مخايلها ، بمضمرات الفؤاد ، لا بمزورات المداد ، وبمعتقدات الحقائق ، لا بمعهودات البطائق ، وفي علمه تعالى أني من الاعتداد بمجدك ، والاعتلاق بحبل ودك ، والاسناد إلى كرم عهدك ، بمنزلةٍ لا يتعاطى إدراكها أحدٌ ، ولا تطولُ يدٌ صفائي فيها يدٌ ، وفي نفسك النفيسة من ذلك أعَدَلُ شاهد ، وأصدقُ رائد .

وقد ورد كتابُك ففضضته^٢ عن مثل عقارب لاسيةٍ ، وسهامٍ نافذةٍ صائبةٍ ، من عتابٍ صدّع قلبي ، وفَتَّ في عَضُدِي ، وتقريعٍ لم أُقِفَ ببابه ، ولا جَدَبْتُ بأسبابه ، ومعاني العتاب^٣ - أعزّك الله - إذا وردت على سليمٍ منها ، نزيهٍ عنها ، متحفّظٍ من وقوعها ، متحرّزٍ من جميعها ، أساءت

١ م ط : أفحمتني ، س : أفضعتني .

٢ م ط س : وفوضته .

٣ ط : الكتاب .

ظنه ، وأطالت فكره ، وأشغلت سره ، ولا سيما على بعيد الدار ،
 نائي المحل ، مشتاق إلى الإخوان ، متأسف على فقد الخالصان ، مستشعر
 حرماناً لزم ، وزماناً جارٍ وظلم . وأما الهنات التي أطلقت عنان العتب عنها
 في ميدان فسيح ، وجربت في إيرادها جرئ الشفيق النصيح ، فليست
 بهنات مخلقة ليعرض ، ولا قاطعة عن فرض ، وربما غيرت عندك
 صفتي فتكررت عليك ، ومثلك من حكّم الخبر على الخبر ، وقنع بالعين
 دون الأثر .

وله من أخرى عن ابن هود إلى ابن ذي النون [٤٠ أ] يشكره باطلاق
 ابن غصن^١ من السجن : كتابي - أيدك الله - كتاب أعزيتته من ذكر
 الوداد ، وعدلت فيه عن وصف الاعتقاد ، خرقاً لعادة المتوددين ، وصفحاً
 عن طريق المتصنعين ، على أني - علم الله - في الصدر المقدم ممن
 يواليك ، والرعيّل الأول ممن يتشيع فيك ، وأفردته بشكري يدك البيضاء ،
 وحميد صنيعتك الغراء ، التي طوّقت بها جيد الأدب ، طوقاً يبقى على
 الحقب ، ووضعت على نار الذكاء ، وقوداً يسطع بطيب الثناء ، مزاحماً
 بفضل همتك لكلّ الزمان ، وقد أناخ على الفهم بجران ، وحافظاً على
 حرمة الكرم وقد أعرض عن ثقلها الثقلان ، أنفة من أن يضيع حذاء
 نظرك حق أديب ، وتقطع بمرأى عينك نفس لبيب ، وأنت عين
 الآداب ، وعمدة ذوي الألباب ، فيعود عليك من أهلها ملام ، ويقول
 قائلها ضاع عند أوفى البرية ذمام . فله همتك التي أبت إلا الحفاظ
 السليم ، وشيئتك التي لم ترض إلا المقام الكريم ، ويدك التي انتعشت

١ كان المأمون بن ذي النون قد سجن أبا مروان ابن غصن الهجاري ، انظر أخباره في القسم
 الثالث : ٣٣١ وما بعدها .

بها الأديبَ أبا مروانَ بن غصنٍ من هُوَّةِ العثار ، وفككتَهُ من قَبْضَةِ
الإسار ، فأحْيَيْتَهُ وهو مُشْفٍ على البَوَار ، فلَما يدُ مسيحُ الكرام ،
ومبدعةُ حَسَنَةِ الأيام ، فلو كانتَ للمكارم صورةٌ لكانت هذه الصنعةُ
كُحْلَ طَرْفِهَا ، أو كانت للجدِّ روضةٌ لكانتَ المستبدُّ بطيب عَرْفِهَا ،
أو لو نطقَتِ ألسُنُ الآدابِ لَقَدْ تَنَكَّرَتْ ، أو أُرْسِلَتْ نَجْمَةُ الثناء لما تَعَدَّتْكَ ،
وإن كثيرَ الشكر لَيَقِيلُ في جَنبِ ما أسديتَ ، وبالغَهُ ليقصِّرُ عن الغاية
التي لها تصدَّيْتُ ، لأنَّكَ ضَمِنْتَ حياةَ نفسٍ ، ونشرتَ دفينَ رَمْسٍ ،
فكأنَّكَ أحييتَ جميعَ الوري ، ونشرتَ كلَّ مستودعٍ في الثرى ، وأنتى
يقاومُ هذا الصنيعُ ، ولو تظاهر على فرضه الجميع . وعند الله كفاءُ ما أوليت
من جميل الفعل ، وجزاءُ ما أتيتَ في سبيل الفضل .

وله من أخرى على لسان البهارِ إلى ابن هود^٢ : أطال الله بقاءَ المقتدر
بالله ، مولاي وسيدي ، ومُعَلِّي حالي ومقيمِ أودي ، وأعاذني من خيبة العناء ،
وعَصَمَنِي معه من إخفاقِ الرجاء ، ولا أَشْمَتَ بي عدوًّا من الرياضِ يناصِبِي ،
وحاسداً من التناويرِ يراقِبِي ، وقد علمَ الوردُ موقعَ إمارتي ، وغنيَ بلطيفِ
إيمائي عن عبارتي ، وإنها تحيةُ الزهرِ حيَّاكَ بها ، وخيبةُ ذَخَرِها ناك وأهلكَ
لها ، وقد أتيتُ في أواني ، وحضرتُ وغابَ أقراني ، ولم أحلِّ من خِدمَتِكَ
رتبتي ومكاني ، ولم أعزِّ من الحضورِ بين يديك نوبتي وزماني ، وأنا عبد
مطيعٌ مسخَّرٌ ، ومملوكٌ يتصرَّفُ مدبَّرٌ ، حقيقٌ بأنَّ يُحَسِّنَ إليَّ فأدني ،
وجديرٌ بأنَّ يُهْتَبَلَ بي ولا أُجفَى ، لأنِّي سابقُ حَلْبَةِ التَّوار ، وأوَّلُ

١ ط د : صبيح .

٢ تقع هذه الرسالة في سلسلة الرسائل « الزهرية » التي مرت منها نماذج في ترجمة أبي الوليد

اسماعيل الملقب بحبيب : ١٢٧

طلائع الأزهار ، وأنا ناظرُ الفضلِ وَعَيْنُهُ ، ونُصارُ الروضِ وَلُجَيْنُهُ ،
وقائدُ الظَّرفِ وفارسُهُ ، وعائدُ مجلسِ الأُنسِ وحارسه .

وفي فصل منها : فهل لمولاي أن يحسنَ إليَّ صنيعاً ، ويكرمَ النورَ جميعاً .
ويدنيني فأرقي إلى أخوتي الثرياً سريعاً ، في مجلسٍ قد أخلَصَتْهُ سحائبه ؛
وأفرغت الحسنَ عليه والطيبَ ضرائبه ، وجَهْلُكَ بَدْرُهُ ، وغرَّتْكَ فجره ،
وأخلاقك زَهْرُهُ ، وثناؤك دُرُّهُ وعطره ؛ وتُعْمِلُ في أمرِ الدنيا رأيك ،
وتتركُ الهمومَ حيثُ تركها الناسُ قبلك ، ولوصلحُ الكَمَدِ لأحدٍ لَكنتُ أنا أحقُّ
مَنْ لَزِمَهُ ، وأثبتَ عليه قَدَمَهُ ، لأنِّي سريعُ الذُّبُولِ ، وشيكُ الأفولِ ،
لا يصحُّني الظهورُ إلا قليلاً ، ولا أُمْنَحُ من مَتَاعِ السُّرورِ إلا تعليلًا ،
غيرَ أني مُغْتَنِمٌ لساعاتي ، آخِذٌ من الأُنسِ بقدرِ استطاعتي ، وقديماً
أكرمَني مولاي فلا يهني ، ووصلني فلا يصرمي ، ومنحني فلا يحرمي :
لا تُهِنِّي بعدما أكرمْتَنِي فشديدٌ عادةٌ مُنْتَزَعَةٌ

[٤٠ ب] ولابن الخطاط رقة في وصف هذه الرسالة ، منها فصل قال
فيه : بعثت إليك برسالة الوزير الكاتب أبي عمر الباجي في البهار ، منقولةً
بخطِّي على اختلافه ، واختلافِ أشكاله . إلا أنَّ حُسْنَ الرسالة ، وموضعها
من البلاغة والجزالة ، يغطِّي على قَمَاءَةِ خطِّي ، ودناءةِ ضبطي ، فاجتلتها
— أعزَّكَ الله — عروسَ فكرٍ ، لحظها حَبِيرٌ ، ولفظُها سِحْرٌ ، ومعناها بديعٌ ،
ومنتهاها رفيعٌ ، ومرماها سديدٌ ، ركبَ اللفظَ الغريبَ فاعتنَّ له^١ المرادُ البعيدُ ،
يُطْمَعُ وَيُؤْيَسُ ، ويوحش ويؤنس ، فأما إطماعُها فيما تُحَرِّزُ من لدونة

١ هو محمد بن سليمان الرعياني أبو عبد الله . راجع ترجمته في القسم الأول : ٣٧ .

٢ ط د م س : فاعتزله .

ألفاظها وسهولة أغراضها ، وأما إياها فيما يُعجز من امتثالها ، ويُبْعِدُ من متآلها ، والله يُمْنِعُكَ برياضِ الآدابِ نَجْتِي أَرْهَارَهَا ، وتنتهي خيارها .

ولأبي عمر في نزول الغيث بعد القحط^١ : إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَايَا وَاقِعَةً بِالْعَدْلِ ، وعطايَا جَامِعَةً لِلْفَضْلِ ، ومنحاً ييسطها إذا شاء إنعاماً وترفيهاً ، ويقبضها إذا أراد إلهاماً وتنبهاً^٢ ، ويجعلها لقوم صلاحاً وخيراً ، ولآخرين^٣ فساداً وضيئراً ، ﴿ وهو الذي يَنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ ﴾ ، وهو الوليُّ الحميد ﴿ (الشورى : ٢٨) .

وإنه كان من امتسالك السّقيا ، وتوقفِ الحيا ، ما رينع به الآمينُ ، واستطير به السّاكنُ ، ورجفت الأكبادُ فرعاً ، وذُهِلَتِ الألبابُ جزعاً ، وأذكتْ ذُكَاؤُ حَرَّهَا ، وَمَنَعَتِ السَّمَاءُ دَرَّهَا ، واكتستِ الرياضُ غُبْرَةً بعد خُضْرَةٍ ، ولبست شحوباً بعد نَضْرَةٍ ، وكادت برودُ الرّياضِ تُطْنُو ، ومدودُ نَعْمٍ * الله تُزَوِّي ، ثم نشر تعالى رحمته ، وبَسَطَ نَعْمَتَهُ ، وأتاح مِنتَهُ ، وأزاح مِحنَتَهُ ، فبعث الرّياحَ لَوَاقِحَ ، وأرسل الغمامَ سَوَافِحَ ، بماءٍ دَقِيقٍ ، وريّاءٍ غَدَقٍ ، من سماءٍ طَبَقٍ ، استهلَّ جَفْنُهَا فَدَمَعَ ، وسمعَ دَمْعُهَا فَهَمَعَ ، وصابَ وَبَلَّهَا فَفَقَعَ ، فاستوفت الأرضُ رِيّاً ،

١ قارن بالقلائد : ١٠٣ والخريدة : ٣٨٢ ، ووردت أيضاً في المعطاء الجزيل : ١٢٩

٢ القلائد والخريدة : ترفيهاً وإنعاماً . . . تنبيهاً وإلهاماً .

٣ القلائد والخريدة : وعلى آخرين .

٤ المعطاء الجزيل : له .

٥ م : أنعم .

٦ م د س ط : ففقع .

واستكملت من نباتها أثاثاً ورثياً، فترينة الأرض مشهورة، وحلّة الزهر
 منتورة، ومينة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بوسها، والوجوه
 ضاحكة بعد عبوسها، وآثار الجزع محوّة، وسور الشكر متلوّة،
 ونحن نستريد الواهب نعمة التوفيق، ونستهديه في قضاء الحقوق، إلى سواء
 الطريق، ونستعيز به من المنّة أن تعود فتنة، ومن المنحة أن تعود محنة.
 وإحسان بني الباجي كثير، وترسيلهم مشهور، اندرج لهم فيه بديع،
 ولا يتسع لاستيفائه هذا المجموع.

وهذه أيضاً جملة من شعر أبي عمر

قال من قصيدة في المعتمد، وقد طباعت له غافق والمدور^٢ أولها :
 أنارت لك الدنيا ووجهك أنور وجلّت عطاياها وقدرك أكبر
 ودار كما شئت القضاء مساعداً فجاءت ولاء غافق والمدور
 أزرتهمما ببحر الكتائب مزيداً فألفت عنان الطّوع رضوى وصنبر^٣
 ومنها :

١ العطاء الجزيل : إثر .

٢ القلائد والخريدة : الحمد .

٣ غافق : حصن حصين كان يقرب حصن بطروش (الروض : ١٣٩) والمدور حصن آخر
 (Almodovar del Ria) قريب من قرطبة ، وانظر الحديث عن المدور في المغرب

١ : ٢٢٢ .

٤ صنبر : اسم جبل ، ذكره البحري « اعلام رضوى أو شواهد صنبر » . وفي المسالك :
 وألفت عنان الطّوع وهي تحسر .

يقولُ مُشَارُو الجَنِّ إِذْ دَعَرُوا بِهِ
سَرَى فَاسْتُطِيرُوا خِيفَةً مِنْ نَذِيرِهِ
فَتَوَحَّ بِمَوْتِ الحَاسِدُونَ شَجَى بِهَا

ومنها :

لئنْ جَهِدَ المدَّاحُ فِيكَ فَاظْنَبُوا
فَدَتِكَ مُسَوِّكٌ لَا مَلُوكَ كَمَا ادَّعَوْا
وَلِلَّهِ مِنْكَ القَوْلُ والعَقْدُ صَحَّةٌ
وعَصْرٌ تَحْلَى مِنْكَ بِالْأَحَدِ الَّذِي
وَأَيَّامٌ سَعَدَ فِي ظِلَالِكَ أَوْطَنْتَ
نَفْسِي حُسْنَهَا عَنْ نَازِلِي طَائِفِ الكَرَى
وَأَمْتَعَنِي جَوْ نَضِيرٍ وَسَلْسَلٍ
وَكَمْ مَوْرِدٍ فِي الْأَرْضِ يُشْفِي بِهِ الصَّدَى
أَهْنِيكَ أَمْ هَذَا الْأَنَامَ بِأَنْعَمِ
وَهَلْ تَلْتَقِي الْأَجْفَانُ إِلَّا عَلَى الرَضَى

وله فيه من أخرى أولها ٣ :

لَا زَالَ عَزُّكَ يُخَفِّضُ الأَطْرَادَ
لِلَّهِ أَيَّامٌ بِقُرْبِكَ أُنْعَمَتْ

هِيَ الْأَرْضُ تَسْنَى أَمْ هُوَ الْبَحْرُ يَزْخَرُ
وَلَمْ تَكُنْ لَيْلًا قَبْلَهُ الْجَنُّ تُدْعَرُ
فَلَيْتَ حَلِيفَ الْغِيِّ يَحْيَا فَيُخَبِّرُ

فَأَنَّكَ أَعْلَى فِي النَفُوسِ وَأَخْطَرُ [١٤١أ]
إِذَا ظَفَرُوا يَوْمًا زَهَوًا وَتَجَسَّرُوا
إِذَا سُدَّ مَسْمُوعٌ وَخَالَفَ مَضْمَرُ
لَهُ فِي يَدِ السَّبْقِ اللِّوَاءُ الْمَشْهُرُ
تُرَاجُ بِهَا الْأَمَالُ دَابَّاءُ وَتُمْنَطَرُ
نَانِعَمُ سَاعَاتِي بِهَا حِينَ أُسْهِرُ
نَعِيرُ وَمَمْتَدُّ الْمَطَارِفِ أَخْضَرُ
وَلَكِنْ نَدَاكَ الْغَمْرُ أَحْلَى وَأَنْضَرُ
جَمِيعُهُمْ فِي حَلْيِهَا يَتَبَخَّرُ
وَأَنْتَ عَلَى الدُّنْيَا الْإِمَامُ الْمُؤَمَّرُ

وَيُذِلُّ فِي آجَامِهَا الْأَمَادَا
مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ تَكُنْ أَعْيَادَا

١ المالك : تلويح .

٢ المالك : الأمير .

٣ منها أربعة أبيات في الممالك .

راقتُ محاسِنُها وطابَ نعيمُها
أسفي على زَمَنٍ مضى في غيرها

وهذا كقول أبي العلاء^١ :

وأطربني الشابُّ غداً ولَّى

فأنى الزمانُ حدائقاً وعِياداً
يا ليتَ ذاهِبَهُ استُعِيدَ فعاداً

فليتَ سِنِيهِ صوتٌ^٢ يُستعادُ

وفيها يقول ابن الباجي :

مَنْ مِبلغَ عَنِّي الأَجَبَةِ إِذْ نأتُ
أنتي وجدتُ الجَوْ طلقاً بعدهم
فليَكِبِ الأعداءُ أَنَّكَ واحد
لله معتمدٌ عليه مؤيدٌ
لا يصرفُ النصحاءُ عزمَ سماحيه
جودٌ يفيضُ البحرُ منه ومنه
وأناةٌ حلِمٌ في إباءِ حفيظةٍ

أوطانُهُمُ والمعشرَ الحسادا
والماءَ مصقولَ الأديمِ بُرادا
رَجَعَ الجموعَ وقلَّلَ الأعدادا
بالنصرِ منه عفا وجاد وذاذا
سبحانَ مَنْ طَبَعَ الجوادَ جوادا
في البأسِ يَدْفِئُ ذِكْرُهَا الأنجادا
كالأرضِ تُطْلِعُ سوسناً وقتاداً

وله من قصيدة في تأييد المقتدر بن هود : أولها^٣ :

كَأَنَّكَ ما ائْتَمَدْتَ التَّصَرُّ دارا
ولا غَدَتِ الجموعُ عليكَ خرسا
صَكِبَتْهُمُ السَّيْرُ في حُبَاهَا
حَلَّتْهُمُ يَسْتَبِرُّ النَّفْسُ مِنْهَا

ولا أوقَدْتَ بالعلياءِ نارا
يهابونَ السَّكِينَةَ والوقارا
شَمائلُ تَكْسِبُ الأَنسَ النُّوارا
رياضُ الحزنِ سامَرَتِ القِطارا [٤١ب]

١ شرح السقط : ٢٨٤ .

٢ ط س : صوب .

٣ منها أربعة أبيات في الممالك .

تعالى الله كيف هوى نيرٌ ووافى البحرُ مسقطهُ مغارا
أسرَّ الدهرُ مُقتدرَ المعالي فليَمَّ يا بدرُ فارقتَ السرارا ؟ !
أباحَ لهاجمَ الحدَثانِ منه زعيماً لم يزل يحمي الذمارا
وطال به الزمان وكان قدماً يجبرُ على الزمانِ منٍ لستجارا
ريبُ وقائعٍ بليت عليه حمائلهُ وما حمل العذارا
لتبكِ الخيلُ مرسلها رياحاً تلوثُ بـمفرقِ الشمسِ الغبارا
ويضُ الطبعُ مُصلتها بروقاً وصُفّرُ النبعِ مُقدِّحها شرارا

في ذكر الأديب الأريب أبي الحسن ابن الاستحي^٢

وكان شاعراً مُجيداً ، وإماماً في سائر التعاليم محموداً ، وله سبقٌ لا
يُنكرُ ، وحقٌ لا يؤخرُ ، وإحسانٌ لا يزالُ يُذكرُ ، أنشد له أبو الوليد
ابن عامر في كتابه المسمى بـ « البديع في فصل الربيع » ، قال ، أنشدني أبو الحسن
ابن الاستحي لنفسه^٣ :

قد قلتُ للروضِ ونوارهُ نوعانِ تبريُّ وفضيُّ
وعرفهُ مختلفٌ طيبهُ صنفانِ خمريُّ ومسكيُّ
ووجهُ عبد اللهٍ قد لاح لي وهو من البهجة دريُّ

١ ط م س د : حام .

٢ هو علي بن عبد الله بن علي المعروف بابن الاستحي ؛ ذكره الحميدي مرتين (الجزء : ٣٧٠ ، ٢٩٥) وتصفح اسمه في الموضع الثاني إلى « الأشجعي » وكان فقيهاً نحويّاً من أهل قرطبة ، سكن اشبيلية (انظر البنية رقم : ١٢٢١ ، ١٥٢٢ ، والمساك ١١ : ٤٢) .

٣ انظر البديع : ١٨ ، والجزء : ٣٧١ ، والمساك والبنية .

شِمُّ غَرْسِكَ الْأَرْضِيَّ إِنِّ الَّذِي أَبْصَرْتُهُ غَرْسٌ سَمَاوِيٌّ
حُسْنُكَ نَوْرِيٌّ بَلَا مِرْيَةٍ وَحَسْنُ عَبْدِ اللَّهِ نَوْرِيٌّ

ومعنى البيت الرابع من هذه ناظر إلى قول الآخر :

لَا تَقِسْ غَرْسَ رَبِّنَا بِالَّذِي يَغْرِسُ الْبَشَرَ

وقال يمدح المعتضد^١ ويصف الشقائق^٢ :

إِنَّ الشَّقَائِقَ مِنْ حُمْرِ الْخُلُودِ قَدَ اشْ
كَانَهَا فِي الْمَرْوَجِ الْخُضِرِ آتِيَةً
يَا ابْنَ الَّذِي قَدْ حَمَاهَا فِي مَنَابِتِهَا
مَعْرُوفَةً بِاسْمِهِ فِي كُلِّ مُطَّلَعٍ
جَدُّدٌ لَهَا مِنْ وَكِيدِ الْعَهْدِ حُرْمَتِهَا
وَصِيلٌ لَهَا مُحَدَّثِ الْإِكْرَامِ بِالْكَرَمِ
تُفَّتْ وَمَسْوَدُّهَا مِنْ حَالِكِ اللَّمَمِ
حُمْرٌ قَدْ اضْطَرَبَتْ^٣ مِنْ قَانِيَةِ الْأَدَمِ
فَلَمْ تَزَلْ فِي حِمَى مِنْهُ وَفِي حَرَمٍ
مَحْفُوظَةٍ الْمُنْتَمَى مَرْعِيَّةَ الزَّمَمِ
وَأَشَارَ إِلَى أَنَّ جَدَّهُ كَانَ النِّعْمَانَ الَّذِي نَسَبَ إِلَيْهِ الشَّقَائِقَ ، وَرَوَى أَنَّهُ

مَشَى يَوْمًا فِي بَعْضِ شَأْنِهِ ، فَأَفْضَى إِلَى مَوْضِعٍ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الشَّقَائِقِ كَثِيرٌ فَقَالَ :
أَحْمُوها ، فَحَمِيَتْ ، فَسَمِيَتْ بِذَلِكَ شَقَائِقُ النِّعْمَانِ ، حَكَى ذَلِكَ أَبُو حَنِيفَةَ^٥
وَرَفَعَهُ إِلَى الْأَعَشَى ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ حَاضِرَ النِّعْمَانِ يَوْمَئِذٍ .

وَأَذَكَرَهَا هُنَا قِطْعًا مِنَ الشَّعْرِ ، مَا ضَرَّهَا أَنْ لَمْ تَكُنْ قِطْعًا مِنَ الزَّهْرِ ،

١ البديع : ١٥١ .

٢ م : الشعر .

٣ البديع : آتية . . . اصطلمت .

٤ س د م ط : جرد ، والتصويب عن البديع .

٥ يعني أبا حنيفة الدينوري صاحب كتاب النبات .

عَلَّقَتْ بِذَنبِ ابْنِ الْاِسْتَجِيِّ هَذَا ، بَارَى بِالْمَعَارِضَةِ فِيهَا صَدُورَ الرِّتَبِ ،
وَأَفْرَادَ أَهْلِ الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ بِأَشْيِيلِيَّةٍ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ ، أَخْرَجْنَاهَا مِنْ كِتَابِ
« الْبَدِيعِ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ » لِأَبِي الْوَلِيدِ بْنِ حَبِيبٍ الْمَذْكُورِ .

قال أبو الوليد^١ : أنشدني أبو الحسن ابن الاستجى لنفسه يمدح القاضي
ابن عباد من جملة قصيدة : [٤٢ أ]

كَأَنَّمَا الْوَرْدُ ^٢ لَمَّا	وَشَتَّ يَدُ الْمَزْنِ أَرْضَهُ ^٣
كَوَاكِبٌ فِي سَمَاءٍ	مِنْ الزَّبَرْجَدِ غَضَّةً ^٤
كَأَنَّ طَلَّ الْأَقَاحِي	مِدَامَعٌ مِنْ فَضَّةٍ ^٥
أَوْ لَوْلُوْهُ فَوْقَ أَرْضٍ	مِنْ الْمُهَا مَبِضَّةً
كَأَنَّمَا الْوَرْدُ صَدْرُ	أَبْقَى بِهِ اللَّثْمُ عَضَّةً
كَأَنَّمَا النَّهْرُ نَقْصَلُ	جَلَا الصِّبَا قَلُ عَرْضَهُ
كَأَنَّمَا الشَّمْسُ فِي الْجَوِّ	حِينَ تَقْطَعُ عَرْضَهُ ^٦
وَجْهُ ابْنِ عَبَّادٍ النَّدَى	بِ حِينَ تَأْمَلُ قَرْضَهُ ^٧
حَوَى بِطُولِ يَدَيْهِ	طُولَ الثَّنَاءِ وَعَرْضَهُ

وعن شعر أبي الوليد ابن عامر في معارضته من جملة قصيدة^٨ :

^١ البديع ، ٤١ - ٤٢ .

^٢ البديع ، التورثي .

^٣ البديع ، ٤٢ .

^٤ البديع ، ٤٢ .

^٥ البديع ، ٤٢ .

^٦ البديع ، ٤٢ .

^٧ البديع ، ٤٢ .

انظر إلى النهر واعجب
 قد حلّ بين رياض
 من نرجسٍ مثل لونِ الـ
 وأقحوانٍ أنيقٍ
 كأنما النهرُ أفقُ الـ
 وقد كسا عدوّتيه
 كما ابنُ عبادٍ الند
 بحسن مرآه وارضة
 من النواوير غضة
 مهجور فارق غمضة
 بروده مبيضة
 سماء عائق أرضه
 بحومة الزهر مخضة
 بـ قد كسا الصّون عرّضه

وقال ابن القوطية في ذلك ^٢ :

بشاطي النهر نور
 نمارق وزراب
 فالوردُ وجنةُ خود
 كما البنفسج خد
 والياسمين نجوم
 حكى سجايا ابن عبا
 كسا ^٣ الدّرّانك أرضه
 من النواوير غضة
 غراء بيضاء ^٤ بضه
 أبقى به اللثم ^٥ عضة
 حازت من الحسن محضة ^٦
 د ^٧ الكريم وعيرضة

وقال ابن الأبتار من جملة أبيات ^٧ :

١ ط د م س : عضة ؛ خ بهامش ط : مخضة ؛ البديع : من الأزاهر مخضة .

٢ البديع : ٤٣ .

٣ م ط س : كما (كى) .

٤ البديع : بيضاء غراء .

٥ البديع : اللثم .

٦ بعد هذا حدث سقط في .

٧ البديع : ٤٣ .

شقائق^١ شق^٢ قلبي كأنما الأرض^٣ منها
رواؤها خريدة^٤ مفتضة^٥
ونرجس^٦ متفاض^٧ كأنما الحزن^٨ مضه
يرنو بطرف^٩ كليل^{١٠} كمن يحاول^{١١} غمضه
وسوسن^{١٢} إن تشمه^{١٣} فكالوذائل^{١٤} بضه
أو ألسن^{١٥} الدّر صيغت^{١٦} أو الطلي^{١٧} الميضة^{١٨}
والأقحوان^{١٩} نجوم^{٢٠} ليست ترى^{٢١} منقضة^{٢٢}

ثم خرج إلى المدح بأبيات حذفها لطولها .

وقال أبو الاصبغ بن عبد العزيز :

يا من تأمل^١ نوراً فيه النواوير^٢ غضة^٣
وعاين^٤ الحسن^٥ منها قد زين^٦ البعض^٧ بعضه
فالنرجس^٨ الغض^٩ تبر^{١٠} في صفرة^{١١} منه محضه^{١٢}
والأقحوان^{١٣} يياضاً كأنه^{١٤} سيمط^{١٥} فضه
والورد^{١٦} ماء^{١٧} ونار^{١٨} سالا^{١٩} على وجه^{٢٠} بضه^{٢١}
ضدّان^{٢٢} في صحن^{٢٣} خد^{٢٤} قد ألفا^{٢٥} بعد^{٢٦} بغضه^{٢٧}

١ البديع : واقتضه .

٢ ط د س : الحسن .

٣ في النسخ : يشمه .

٤ هنا ينتهي السقط في م .

٥ البديع : ٤٦ .

٦ ط د م س : سلا .

٧ س ط : بعض .

والملاح حذفته .

وعارضهم القاضي ابن عباد بسطاً لأمانتهم : وعجباً بما أوردوا من
الفاظهم ومعانيهم ، وكأنه نقد على ابن عبد العزيز هذا شيئاً في التشبيه ،
فقال يعرض به ويعاتبه فيه ^١ :

أبْلِغْ شَقِيقِي عَنِّي	مقالة	لتمضه
بأنَّ وَصَفَ الْأَقَاحِي	الذي وصفَ لم أرضه ^٢	
هلاًَّ وَصَفَ الْأَقَاحِي	بأكوسٍ من فضه	
أو النجومِ تَسَاقَطُ	نَ في ألها المبيضه	

في أبيات غير هذه .

وقال ابن حصن في ذلك ^٣ :

نَبَّهْ جَفُونَكَ لِلرَّو	ض واهجرن كل غمضه
قَدْ نَبَّهَ الْطَلَّ مِنْهُ	جفن الذي كان غمضه
مَنْ بَيْنَ وَرْدٍ كَخَدِّ	حيب حاولت عضه
وَسُوسٍ قَدْ حَكَى لِي	سوالف القيد بضمه
وَمَنْ بَهَارٍ تَدَلَّى	جماجم منه غمضه

١ البديع : ٤٧ .

٢ ورد البيت في م :

بأن وصف الأقاحي باكوس من فضه

وهو سهر .

٣ البديع : ٤٨

٤ هذا البيت والذي يليه سقطا من م .

كأنه مُعْرِضٌ عن حدث لم يرْضَه [٤٢ ب].
ومن أقاح يباهي مصفرةً مبيضة
كأنه نُقِرَ التَّجَرُّبُ في مداهن فضه

ولم أسلك في هذه الأشعار طريق الاختيار ، إذ ليس فيها حظ لمختار ،
وإنما أثبتتها لما تعلق بها ، وذكرت بسببها ، ولا أعطّل جيد التأليف من
غشلبها .

فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة من الأدباء
كانوا بعصر المعتضد عباد ، ولم أجد لهم أشعاراً تفسح لي
في طريق الاختيار ، إلا ما أثبت لهم الوزير أبو عامر
ابن مسّلمة في عرض كتابه المترجم بـ « الحديقة » فكل
ما أثبت لهم في هذا الفصل فمن كتابه نسخت ،
ومن خط يده نقلت

فمنهم الوزير أبو الأصغر بن عبدالعزيز أنشد له في فنون الخيري ورحله
البهار :

رحل الربيعُ عليه بندُ موال وأقيم للخيري رايةً والـ
في شهر كانونٍ أذيلَ وقوَّضتْ أيامُ بهجته فهن خوالي

١ س ط م د : نقد .

٢ ذكره الحميدي (الجزء : ٣٦٧ والبنية رقم : ١٥١٣) في من ذكروا بالكنية ولم يتحقق
من أسمائهم . والحميدي يعتمد أيضاً كتاب الحديقة لأبي عامر ابن مسلمة .

فاشكر أوائله فهن نوافج
وإذا سررت بخل صدق وافد
واحمد أوآخرة فهن غوالي
ورضيته فانظر إلى الرحال

وأنشد له :

هام قلبي بغزال
شرب الكأس وأبقى
فعلما أنه ير
قال لي لولا الحميا
كشفت من سيرة ما
وبدا في الخلد منه
فجني الورد فيه
أتمنى منه عطفه
عامداً في الكأس نطفه
غب أن يمتح رشفه
ما خصصناك بتحفه
لم تكن تأمل كشفه
خجل خالط طرفه
وأنا أمتع قطفه

قال أبو عامر : وكتب إلي وإلى ابن الأبار وقد رأى معنا غلاماً فيما سلف
وسمياً . ثم عذر وأدبر . بأبيات أولها :

أمنّوسّي ظبي أغرّ غريم
لئن لثمتما بالسحر من كل غريم
وقد يحرم الرامي المصيب قريسة
أثرت من الصيد الذي قد عقرتما
وسعد الفتى في عمره جالب المني
فطيا جميعاً واطربا وتمكنا
هل الراح إلا وجهه ورضابُه
ومقتنصّي ناري أنار منير
ففي مقبل الغلال كل غرور
ويبرزقها ينسحر كل سحور
وكم عاقر للصيد غير مثير
إليه وفي الحرمان كل عسير
فليس الذي أدركتما بيسير
فان جمعت حلت بغير تكير

١ د : فريضة .

فأجابه ابن الأبار :

لعمرك إن الطيِّبَ غيرُ غريبٍ
بدتُ لحيتهُ في وجهه هي لحيتهُ
وإنَّ محيّا البدر غير منيرٍ
أتاحتْ له موتاً بغيرِ نشور [٤٣أ]

ومنها :

إذا لم أقُلْ إلاَّ براحٍ وراحةٍ
سأقعداً عن ناهي النُّهى في اجتنابها
هل العيشُ إلاَّ أن أقبَلَ ثَغَرَهَا
خبَرتُ بني الأيامِ شرقاً ومغرباً
فما قدَّرتُ ذنبي في اغتفارٍ قديرٍ
وإن قام في فوديَّ شاهدٌ زور
وأصغي إلى بَمٍّ أجشَّ وزيرٍ
فآثرتُها إذ لم أفزُ بأثيرٍ

وأنشد له أيضاً بما خاطب به ابن الأبار :

أما وخذُ له مُعَدَّرٌ	ومبسم الخاتم المجوهرُ
وخصَّره المتعَبِ المعنى	بثقلٍ ما ضاق عنه مثر
ولمَّةٍ أسبَلتْ أثينا	كأنَّه وابلٌ معطرٌ
ووردِ خديَّه بعدَ سُكْرِ	والفُتُجِ من لحظة المحيرِ
إنَّ لعينيه في فؤادي	أشدَّ من وقعِ كلِّ خنجرِ
إنَّ خلتهُ ضيغداً قطوباً	أو أسداً عابساً غضنفرِ
فهو من الحسنِ كلُّ بدرٍ	وهو من الطيبِ كلُّ عنبرِ
ريقتهُ خمرةٌ ولكنَّ	شيبَ شذاها بطعمِ سُكْرِ
لو كان في الخلد مثلُ هذا	ناه على الحوَرِ أو تكبرِ
في شبهه قال مثلُ هذا	مَنْ أحسنَ الوصفِ ثم ندَّرِ
« مظفرٌ كاسمه مظفرٌ »	أخلاقُ ليثٍ وخلقُ جُودَرِ

فأجابه ابن الأبار بهذه الأبيات :

لستُ بصابٍ إلى معذَر	بل أنا في حُبِّه معذَر
لا أعشقُ الطَّيِّبَ ذا الجَلامِ	لأنَّه في الطَّيِّبِ منكر
أهواهُ والحدُّ منه صُبْحٌ	حتى إذا ما دجا تغيَّر
أحسنُ ما فيه أن تراه	بين مهابةٍ وبين جؤذر
متوجِّهاً لَمَّةً تبدَّى	بتاج كسرى ومُلْكٍ قيصَر
إن ماس فالمرطُ منه مُشرٍ	بما حوى والوشاحُ مُعسر
يرفقُ بالخلقِ حين يُغضي	وينظرُ الموتُ حين ينظر
متى يَلُكُمُ عاذِلٌ عليه	يبدو له وجهه فيُعذَر
كم علَّني الرَّاحَ ثم حيَّا	أحوى مريضُ الجفونِ أحور
كأنَّما سحر وجنتيه	نَوَمَ أجفانه لتسهر
ما زلتُ أشتفها ونُقلي	طلاه والمبسمُ المجوهر
أمكن من طُرةٍ وثغري	فصرتُ في جنةٍ وكوثر

وأشدد للوزير أبي الأصمغ بن سعيد^١ :

وما أنسَ لا أنسَ المدامةَ بيننا	يناولنيها وهو بالسحرِ نافثُ
ويجعلُ نقلي ريقه ^٢ بعد رشفها	فيا لك من طيبٍ على السُّكرِ باعث
فسُكرانٍ من خمرٍ ومن رشفٍ ريقه	وبينهما من سحرٍ عينيه ثالثُ

١ انظر الجذوة : ٣٦٧ (البغية رقم : ١٥١٢) ووصفه بأنه رئيس أديب شاعر ؛ وانظر النفع

٣ : ٤٨٥ ؛ وذكر الحميدي : ١٦٤ الأصمغ بن سيد وكناه أبا الحسن ، وقال انه ، شاعر اشبيل

رآه قبل ٤٥٠ ، ولعل الشخصين شخص واحد ، وانما الخطأ واقع بين الاسم والكنية .

٢ م ط س : ريقها .

وأنشد له :

يا أيها الساقى الذي بعثت لنا
لا تسقنيها دونَ ملءِ كؤوسها
إني اتخذتُ الغيَّ رشداً والهوى
فامزج بريقك لي الكؤوس وقلْ لنا
يُمنّاهُ من مُزْنِ الغمام رذاذا
وإذا سجدتُ بها إليك فماذا
ديناً ولذتُ عن الرشاد لوإذا
خُذْتُ ، تلقني لكبارها أخاذا

وأنشد له :

بالغت في عدلي وفي تأنيبي
هيات لستُ بتائبٍ عن شرِّها
إن كان أكرمني المشيب فانها
فلأشربنَّ لكي أدافعَ كَرَبَها
في الراح حينَ وعظمتني بمشيبي
ما دامَ شرِّبها أقلَّ ذنوبي
راحُ تروحُ بِكُرْبَةِ المكروبِ
عني وأطربُ فوق كلِّ طروب

وأنشد لأبي إسحاق بن خيرة الصباغ^١ [٤٣ ب]

يومٌ كأنَّ سحابةً
حجبتْ به شمسَ الضحى
فالغيثُ يبيكي فقدها
والرعدُ يخطبُ مَفْصِحاً
والروضُ يسقيه الخيا
فاطربُ ولدٌ بحُسْنِه
لبستُ غمامي المصامتُ
كئثالُ^٢ أجنحة الفواختِ
والبرقُ يضحكُ مثلَ شامتِ
والجوُّ كالمحزونِ ساكتِ
والنورُ ينظرُ مثلَ باهتِ
واشربُ فإنَّ العمرَ فائتِ

١ هو إبراهيم بن خيرة أبو إسحاق يعرف بابن الصباغ ، من شعراء اشبيلية (الجدوة : ١٤٥
والبنية رقم : ٥٠١ والمغرب ١ : ٢٦٠ والنفع ٣ : ٤٨٥) وفي المصادر بغض أبياته
الثانية ؛ وقد نسبت الأبيات في المطبع : ٢٣ لأبي عامر ابن مسلمة نفسه .
٢ س والجدوة : بمثال .

صرفاً كأنَّ حَبَابَهَا
تحكي خلالَ الحَاجِبِ الزَّ
عبَادِ السَّامِي الذَّرَى
ملكٌ إذا نَطَقَتْ عُلَا
أو طاشْ عَقْلُ مَعَاشِرِ
وَأَنشُدْ لَهُ أَيْضاً :

أَبْذُ مَقَالَ النَّصِيحِ
وَرُخْ وَبَاكِرُ مُدَاماً
خِرْقَاءَ يَلْتَغُ مِنْهَا
إِذَا تَنَاوَلَتْ مِنْهَا
رَقَّتْ عَلَى ظَهْرِ كَسْرَى
فَلَيْسَ تَوْجِدُ إِلَّا
وَدِنْ بِشَرْبِ الصَّبُوحِ
كَالشَّمْسِ وَقْتَ الْجَنُوحِ
لِسَانُ كُلِّ فَصِيحٍ
حَسَنَتْ كُلَّ قَبِيحٍ
وَعَهْدِ عَادٍ وَنُوحِ
بَنُورِ لُونٍ وَرِيحِ

وَأَنشُدْ لَهُ :

رَبِّ لَيْلٍ طَالَ لَا صُبْحَ لَهُ
فِي دَجَى لَيْلٍ بِهِمٍ حَالِكٍ
فَتَرَاهَا حَائِرَاتٍ فِي الدَّجَى
قَدْ هَتَكْنَا جُنْحَهُ عَنْ فَلَقٍ
إِذْ بَدَتْ شَبَهَتْهَا فِي كَأْسِهَا
وَأَمْتُنَا لِلْمَلَاهِي مَرَحاً
صَرَعْتَنَا إِذْ عَلَوْنَا ظَهْرَهَا
ذِي نَجُومٍ أَقْسَمْتُ أَنْ لَا تَغُورُ
يَسْتَوِي الْأَكْثَمُ فِيهِ وَالْبَصِيرُ
زَاهِرَاتٍ كَمَصَابِيحٍ تَنْيرُ
مِنْ خُمُورٍ وَوُجُوهٍ مِنْ بُلُورٍ
نَارَ إِبْرَاهِيمَ فِي بَرْدٍ وَنُورٍ
خَيْلَ رَاحٍ بِمَنَآيِنَا تَدُورُ
فِي مِيَادِينِ التَّصَانِي وَالسُّرُورِ

١ س : طال .

فنعانا العودُ في مِيتةٍ بأبحُ الهمَّ إسعافاً وزير
فرفعنا من كؤوسٍ نُكَّسِ وفتحنا من عيونٍ بفتور
فكأننا حين قُمْنَا مَعَشَرَ نُشِرُوا بعد مماتٍ من قبور

وأنشد لأبي بكر بن نصر الإشبيلي^١ :

أهدتُ إلى روعي براحٍ يمينها راحاً أرقَّ من الهواءِ وأعتقا
فكأنَّ حبَّ حَبَّابِها في وجهها درَّ على أرضِ النَّضارِ تَفَرَّقَا
وكانَ شَخْصَ الكأسِ شمسٌ وُشِحتْ قمرًا فغاضَ شعاعها وتمزَّقا
للهِ دركٌ من زمانٍ لم يَزَلْ حلَّوْا الحلَى رجبَ الجَنَابِ مَعْتَقَا
زمنٌ هَصَرَنا عَيْشَهُ فكأنَّه من جُودِ إِسْمَاعِيلَ كانَ مَنْقَعَا
الحاجِبِ الملكِ الذي حجب الوري عن كلِّ مكروهٍ يُخَافُ وَيُنْتَقَى
وكأنَّه بِيديه صَوَّرَ نَفْسَهُ فأجادها كيف اشتهى وتأنَّعا

وأنشد لمحمد بن ديسم الإشبيلي^٢ :

امزجْ حُمِيَّ الكؤوسِ واشربْ بنفثةٍ من رُضَابِ أَلْعَسِ
راحاً تَمَطَّى بطونَ راح لها خلالَ الضلوعِ مِكنَسِ
يديرُ منها البنانُ خمرًا صِبْغَةَ ماءِ اللجينِ ملبسِ
مَلِكٌ زها رفعةً ومجداً كَبازِكا مَحْتِدَاً وَمَغْرِسِ [أ٤٤]

١ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي ، ذكره الحميدي في الكنى اعتماداً على ابن مسلمة (الحنوة : ٣٦٩ والبنية رقم : ١٥١٩) .

٢ ذكره ابن سعيد نقلاً عن الحجازي وأنه من شعراء الدولة الممتضدية ، معتمداً على أبي عامر ابن مسلمة (المغرب ١ : ٢٥٩) .

تَطْلُعُ أَنْوَارُهُ شَهَاباً إِنَّ عَارِضَ الْخُطُوبِ عَسَّعَسُ
وَيَذْءُ عَنِ الْمَوْتِ حِينَ يَسْطُو وَيَسْمُ الْمَوْتَ حِينَ يَغْبِيسُ

وَأَنشُدْ لَهُ فِي تَرْكِ الشَّرَابِ ١ :

تَجَافَيْتُ عَنْ شُرْبِي لَهَا لَا لِعِفَّةٍ وَلَمْ يَكْ إِقْصَائِي لَهَا عَنْ تَحَرُّجٍ
وَلِإِنْ ٢ أَكُ قَدْ عَرَّجْتُ عَنْ حَقِّ حَبِّهَا فَمَا أَنَا عَنْ تَفْضِيلِهَا بِمَعْرَجٍ

وَأَنشُدْ لَهُ فِي مِثْلِهِ :

وَلَمْ أَجْتَنِبْ شُرْبَ الْمَدَامِ لِعِفَّةٍ وَلَمْ أَلْحِقِ الصَّهْبَاءَ ذِمًّا وَلَا عَذْلًا
تُنَافِرُنِي أَنْ صِرْتُ ضِدًّا لَشَكْلِهَا فَلَيْسَتْ لَنَا أَهْلًا وَلَسْنَا لَهَا أَهْلًا

وَأَنشُدْ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْبَلْمِيِّ الْإِسْبِيلِيِّ ٣ :

وَلَقَدْ رَشَفْتُ مُدَامَةً أَشْهَى مِنَ الثَّغْرِ الْبَرُودُ
بَكْرًا وَلَكِنْ عَهْدُهَا مِنْ عَهْدِ عَادٍ أَوْ ثَمُودُ
لَأَنْتَ لَنَا لَكِنْ لَهَا بِعَقُولِنَا بِطَشٌ شَدِيدُ
تَبْلُو وَقَدْ نَظَّمِ الْمَزَا جُ مِنْ الْحَبَابِ لَهَا عَقُودُ
وَإِذَا تَوَارَتْ بِالْحُلُو قِ بَدَا سَنَاها فِي الْخُلُودِ
وَكَأَنِّي مَوْلَى الْوَرَى وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ عِيْدُ

وَأَنشُدْ لَهُ :

١ وردا في المغرب ١ : ٢٥٩ .

٢ م ط د س : ولم .

٣ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٥٩ والنفع ٣ : ٤٨٤ .

وَمُدَامَةٍ وَرَسِيَّةٍ أَعْمَلْتُهَا عُرِضْتُ عَلَىٰ بَشْرِهَا أَعْمَالِي
فَكَوَّسُهَا بِصَفَائِهَا كَلَّالِي وَشَرَابُهَا فِي جَوْفِهَا كَالْآلِ

وَأَنشَدَ لَهُ صَاحِبُ كِتَابِ «الْبَدِيعِ» ١ :

انْظُرْ وَنَزَّهُ نَاطِرِيكَ بِرَوْضَةٍ غَنَاءَ مَا زَالَتْ تُرَاحُ وَتُمَطَّرُ
لَتَرِيكَ مِنْ صِنْعَاءِ صِنْعَةٍ وَشِيهَا بِمُطَارِفٍ مِنْ تُسْتَرٍ لَا تُسْتَرُ
أَلْوَانُهَا مِثْنَىٰ وَطِيبُ نَسِيمِهَا يُقْصَىٰ الْعَبِيرُ ٢ بِهَا وَيُنْسَىٰ الْعَبِيرُ

وَقَالَ ٣ :

أَمَا تَرَىٰ الزَّرْجَسَ الْغَضَّ الذَّكِيَّ بَدَا كَأَنَّهُ عَاشِقٌ ذَابَتْ ذَوَائِبُهُ
أَوِ الْمَحَبُّ اشْتَكَىٰ لَمَّا أَضَرَّ بِهِ فَرَطُ السَّقَامِ فَعَادَتَهُ حِبَائِبُهُ

وَقَالَ ٤ :

رَبِّ نِيلُوفَرٍ غَدَا يَخْجَلُ الرَّا فِي إِلَيْهِ نَفَاسَةٌ وَغَرَابَةٌ
كَمَلِيكَ لِلزَّرْنَجِ ٥ فِي قَبَتِهِ بِيضًا يَدْنُو الدَّجَىٰ فَيُغْلِقُ بَابَهُ

١ البديع : ٢٩ .

٢ م ط س : يقضي العبور .

٣ هما في المغرب والنفع ؛ وقال ابن سعيد ان صاحب البديع انشدهما له ، ولكنهما لم يردا في المصدر المذكور .

٤ البديع : ١٤٦ والمغرب والنفع .

٥ البديع : الأحبوش .

وأنشد الوزير أبي بكر بن القوطية^١ في تجنيس القوافي، عارض بها طريقة
أبي الفتح البستي :

سقاني كأسه^٢ ولها ديب^٣ . زادني ولها
غزال^٤ إن رأى ولهي زها^٥ عن قصتي ولها

وقال :

ومنادم لم أرض من أشري به فندمت إذ أصبحت غير شريه
يا ليت ما ألقاه من أرقى به وسهادي انفردا بعين رقيه

وقال :

ومُدِلْ بِسَقِيهِ يَتَلَقَى نُدَمَاه بِسَطْوَةٍ واقتدار
فمتى أسأل الرجوع لداري قال لي : اشرب فلست في وقت دار

وقال في المردقوش^٢ :

عنبري اللون في الخلقة قد فاق طيباً كل مشوم وبذ
ذو جلايب له قلصها فأت خلقاً كأذان الجرذ^[٤٤ ب]

١ المشهور بهذا الاسم أبو بكر محمد بن عمر بن عبدالعزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال
وكتاب افتتاح الأندلس ، أصله من اشبيلية وسكن قرطبة ، وكان عالماً بالنحو حافظاً لغة وأخبار
الأندلس وأحوال فقائها وشعرائها ، وطال عمره ، وكانت وفاته سنة ٣٦٧ ، ولا يمكن أن
يكون هو المذكور هنا ، فلعل هذا حفيد له ، ولهذا وضعه الحميدي في باب الكنى (الجنوة :
٣٦٩ والبغية رقم : ١٥١٨) ، وقد كان أبو بكر هذا هو صاحب الشرطة وذكر أنه شاعر
متأخر (بالنسبة لزمان الحميدي) ، وقد أكثر له صاحب البديع من المختارات الشعرية .
٢ يسمى أيضاً المرزنجوش والمرزجوش ، وهو نبات كثير الأغصان ينسبط على الأرض ،
وله ورق مستدير عليه زغب ، وهو طيب الرائحة جداً .

ولذا سَمَّوْهُ إِذْ أَشْبَهَهَا مَرْدَقَوْشًا بِاشْتِقَاقِ يَوْمِئِذٍ
أشار إلى ما حكاه بعضهم أن المرد بالفارسية : الأذن ، والقوش : الفأر .
وقال في الترنجان :

وَأَخْضَرَ فُسْتُقِيَّ اللَّوْنِ غَضَّ يَرُوقُ بِحُسْنِ مَنْظَرِهِ الْعَبُونَا
ذِكِّي الْعَرَفَ مَشْكُورِ الْأَيَادِي كَرِيمِ عَرَفُهُ يُسْلِي الْحَزِينَا
أَغَارَ عَلَى التَّرْنُجِ وَقَدْ حَكَاهُ فَزَادَ عَلَى اسْمِهِ أَلِفًا وَنُونَا

وأراه سمع قول صاعد اللغوي فيه ، حيث يقول ^١ :
من طيبه سَرَقَ الْآتِرُجَّ نَكْهَتَهُ يَا قَوْمُ حَتَّى مِنْ الْأَشْجَارِ سُرَّاقُ
ولكنه عكسه ، إذ اقتبسه ، وترك الرائحة ومال إلى الاسم .

وقال في التفاح :

وَجُلَّتَارِيَّةٍ مَسْكِيَّةِ النَّفْسِ كَانَتْهَا جَلْوَةٌ فِي كَفِّ مُقْتَبَسِ
قَدْ أَشْرَبَتْ مِنْ صِبَاغِ اللَّهِ حَمَرَتَهَا كَانَهَا غُرَّةٌ أَوْفَتْ عَلَى لَعَسِ
كَرِيمَةٍ مِنْ بَنَاتِ الْفَرْعِ مَا حَضَرَتْ إِلَّا وَحَضَتْ عَلَى الذَّاتِ وَالْأَنْسِ
حَافَتْ فَنَكَّسَتْهَا لَمَّا كَلَفَتْ بِهَا فَن دَعَوْتُ أَجَابَتْ بِاسْمِ مُتَكَسِ

قوله : « حافت » هو « تفاح » مقلوب .

وقال في السفرجل :

١ البيت في الذخيرة ٤ ، الورقة : ٣٤ .

وزعفرانية في ثوب مخزون
مصفرة من بنات الحسن تحسبها
قد رنحت فوق أغصان ترجحها
تروق طعماً وشمّاً في البساتين
في زغبها ميتاً في ثوب تكفين
وفلكت كئدي الربرب العيين

وقال في الأترج :

جسم من الثور في ثوب من النار
فابيض باطنها واصفر ظاهرها
محفوفة برباح من منابتها
عطرية لم تطيب للقاء ولا
كأنه ذهب من فوق بلأر
كأنها درهم من تحت دينار
مشحونة بين أرواح وأمطار
مدت يميناً إلى حانوت عطار

وقال في الخوخ :

وطيب الريق عذب آب في آب
مخمل الثوب لم تخمل رثاسته
خالسته نظري فاحمر من خجل
من اسمه فيه مقلوباً ومبتدئاً
وزار مشتَملاً في زي أعراب
بين الفواكه من نقص ولا عاب
خداه ثم انثنى عني كرتاب
أرني على اللوز في تطريز جلباب

يريد أن الخوخ يقرأ من طرفيه . وفيه يقول :

لم أرَ كالفيرسيك جلبابا
من طرفيه يتأتى اسمه
كأنه قد سكن الزابا
فإن تفتنت له ثابا

وقال في الفستق : [٤٥ أ] .

صدف أبيض نقبي
متفر عن جوهر
كل صبغ يعزى إلى
ذو بهاء وروث
أخضر فيه مطبق
لونه قيل فستقي

وقال في العُنَّاب :

أما ترى ثَمَرَ العُنَّابِ مُوقَرَةً
وقد تدلَّتْ به الأغصانُ مائلةً
بكلِّ أحمرٍ لَمَاعٍ من الخرزِ
مثلَ العناكيل من صَدَرٍ إلى عجزِ
وقد حمتها عن الأيدي أسنتها
حذارَ مفترسٍ أو خَوْفٍ منتَهزِ

وقال :

ما طَلَعَتْ في قوسها
نَفْسٌ وما مِنْ نَفْسٍ
إِلَّا بَدَأَ قوسٌ قُرْخَ
رُوحٌ ولكنْ لا شَيْعِ
شِراةٌ تلمحها
قرارةٌ لمنْ لمَحْ
ولستُ من شُرَّابِها
ولا لها بمَقْرَحِ
ولا أنا مَغْتَبِقٌ
بها ولا بمَصْطَبِحِ
لكنتي أمدحُها
تَظَرُّفاً في من مدح

الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر اليايادي

أحدُ الأفرادِ الأعجاذِ من إياد ، وهو وإن كان في وقتنا البحرَ الذي لم يُبْلَغْ بالتحصيل ، والصبحَ الذي لا يُفْتَقَرُ معه إلى دليل ، فلإني أجريتُ ذكره في نَفْسِ هذا الديوانِ نَفْساً ، واجتلبتُ قطعةً من شعره أقمتها للآدابِ عُرْساً ، وجعلتها لألبابِ الشعراءِ والكتابِ مِدْوَساً ، مع أنه أعلى قدراً ، وأبهرُ ذكراً ، من أن يعبرَ الدهرُ عن علاه ، أو يدعي الشعرُ أنه من حلاه ؛ ولم أظفرُ عند تحريري هذه النسخة بشيء من نثره ، فلذلك اقتصرْتُ على جملةٍ من شعره ، جعلتها ذريعةً إلى إجراء ذكره ، ولولا ترتيبُ اقتضاه

١ في النسخ : مدرجا .

هذا التأليف ، وقضى به التصنيف ، لحل ذكره من هذا الديوان محل زحل من الفلك ، والتاج من مفترق الملك .

وقد قدّمت في أخبار القاضي ابن عباد من إظلام أفقه - كان - على الأشكال ، واجتماع فرقته من < غير > الأغفال ، بما أغنى عن إعادة المقال . وكان الفقيه جدّه محمد بن مروان بن زهر^١ ، منشأ تلك الدولة العبادية أوّل من تُشنى عليه الخناصر ، وتشير إليه القلوب والنواظر ، وتفترق إلى ما لديه الألباب والبصائر . فضاعت دولته عن مكانه . ضيق صدر العاشق عن كتّم أشجانه ، واسترايت لجلالة شأنه ، استراية المناق بتلجلج لسانه ، وأهمته أمره حتى أخرجه عن بلده ، واستصفى ذات يده ، فلهق بشرق الأندلس . وأقام بها بقيّة عمره ، بين جاهه ووفره ، وفي حصن حصين من سلامة سيرة وجهه .

ونشأ ابنه الوزير أبو مروان عبد الملك بن محمد^٢ فما بلغ أشده ، حتى سدّ مسدّه . بل ما خلع تمانه : حتى استوفى مناقبه ومكارمه . وورث مباديته وخواتمه ، ومال إلى التفتن في أنواع التعاليم من الطب وغيره من العلوم ، فجمع شعاها ، واستوفى أجناسها وأنواعها ، وجذب بضبعها ، وفرّق بين غربها ونبّعها ، ورحل إلى المشرق لأداء حجّ الفريضة فملأ البلاد جلالة ، ورَجَحَ الأطواد أصالة ، ولم يلق أحداً من زعماء تلك الأقطار إلاّ عول على ما عنده ، وتجاوز في الأخذ عنه عقوه وجهده .

١ توفي الفقيه محمد بن مروان بن زهر سنة ٤٢٢ (انظر المطرب : ٢٩٣ والصلة : ٤٨٧

والبغية ص : ١٢٠ والوافي ٥ : ١٦ وعبر الذهبي ٣ : ١٥٠) .

٢ راجع ترجمة أبي مروان عبد الملك في الذيل والتكملة ٥ : ٣٧ والتكملة رقم : ١٦٩١

وطبقات صاعد : ٨٤ وابن أبي أصيبعة : ٦٤ والمغرب ١ : ٢٦٥ .

ونشأ أبو العلاء زهر بن عبد الملك^١ فاخترع فضلاً لم يكن في الحساب ،
وشرع نبلاً قصرت عنه نتائج الألباب ، وكنا نتوقع الحمام حتى سطا ،
ونتجع الغمام إلى أن أعطى ، لو ساجل البحر لفضحه ، أو وازن الدهر
لرجحه ، نشأ بشرق الأندلس والآفاق تتهادى عجائبه ، والشام والعراق
تندارس بدائعه وغرائبه ، ومال إلى علم الأبدان ، فلولا جلالة قدره ،
لقلنا جاذب هاروت طرفاً من سحره ، ولولا أن الغلو آفة المديح ، لتجاوزت
طلتى الحموح ، ولكن اكتفيت بالكناية عن التصريح ، وصلوات الله
على المسيح . [٤٥ ب] ولم يزل مقيماً بشرق الأندلس إلى أن كان من غزوة
أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، في من انضم
إليه من ملوك الطوائف إلى حصن ليبيط ما كان ، فشخص الوزير أبو العلاء
معه ، فلقية المعتمد واستماله واستهواه ، وكاد يقلب على سيره وتجنواه ،
وصرف عليه بعض أملاكه ، فحن إلى وطنه ، حين النجيب إلى عطنيه ،
والكريم إلى سنتيه ، ونزع إلى مقر سلفه ، نزع الكوكب إلى بيت
شرقيه ، إلا أنه لم يستقر بأشبيلية إلا بعد خلع المعتمد ، ودعا به أمير
المسلمين ، رحمه الله ، فلباه ، وحل من نفسه محلاً لم يحله الماء من الظمان ،
ولا الروح من جسده الجبان . وقد أخرجت من ملتح أشعاره ما يعطل
شدا الزهر ، ويخجل سنا الأنجم الزهر .

١ انظر في أخبار زهر بن عبد الملك كتاب التكملة : ٣٣٤ والطرب : ٢٠٣ والنفع ٣ : ٢٤٦ ،
٤٣٢ (نقلا عن الذخيرة) . وبدائع البداه : ٣١٠ وابن الأصبعة ٢ : ٦٤ - ٦٦ . وكانت
وفاته سنة ٥٢٥ ودفن بأشبيلية خارج باب الفتح .

جملة من مقطوعاته الاخوانيات

كتب إليه حسام الدولة ابن رزين بهذه الأبيات ^١ :

وَدَعِ الحُسُودَ بَغْلِيَّهٍ وَبِدَائِيهِ	عَادِ اللِّثِيمَ فَأَنْتَ مِنْ أَعْدَائِهِ
مَشْغُولَةٌ أَفْوَاهُهُمْ بِجَفَائِهِ	لَا كَانَ إِلَّا مِنْ غَدَتِ أَعْدَاؤُهُ
حُسَيْدَ الكَرِيمِ بِجُودِهِ وَوَفَائِهِ	أَبَا العَلَاءِ لَنْ حُسَيْدَتَ لَطَالَمَا
وَنَأَى السَّيِّئِ فَكُنْتَ مِنْ أَبْنَائِهِ	فَخَرَّ العَلَاءُ فَكُنْتَ مِنْ آبَائِهِ
لَا كَانَ قَلْبٌ لَسْتُ فِي سَوْدَائِهِ	كُنْ كَيْفَ شِئْتَ مُشَاهِداً أَوْ غَائِباً
مَمْلُوءَةً مِنْ وَدِّهِ وَصَفَائِهِ	وَالَيْكَ كَأْساً مِنْ وَدُودٍ مُمَحِضٍ

فأجابه الوزير أبو العلاء بقوله :

وَتَعَبَّدَ الْأَحْرَارَ حُرّاً وَفَائِيهِ	يَا صَارِماً حَسَمَ العَلَاءُ بِمَضَائِيهِ
إِلَّا بِأَنْ سُمِّيتَ مِنْ أَسْمَائِهِ	مَا أَثَّرَ العَضْبُ الحَسَامُ بِذَائِهِ
حَتَّى اسْتَمَدَّ الرُّشْدَ مِنْ آرَائِهِ	وَلَقَدْ غَدَا رَأْيِي الزَّمَانَ بِمَعْزَلِ
وَتَبَرَّقَعَتْ شَمْسُ الضُّحَى لِسَانَهُ	عَنَّتِ المُلُوكُ لِفَضْلِهِ وَعِلَائِهِ
سَمّاً لِمَا قَابَلَتْهَا بِدَوَائِهِ	شَرَّفَتْ ذَا أَمَلٍ بِكَأْسٍ لَوْ غَدَتِ
وَأَرَى رَهينَ الرَّمْسِ مِنْ شَهْدَائِهِ	كَيْمَا أَمْحُونَ الدَّهْرَ مَكْلُوءاً بِهِ

قال ابن بسام : قول ابن رزين : « فخر العلاء فكنت من آبائه » . . .

١ انظر النفع ٣ : ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٢ النفع : حسن .

البيت ، للشعراء نصرُفٌ في اشتقاق المدائح من أسماء المدحوخين ، ومنه قول ابن الرومي ^١ :

كَأَنَّ أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى فِي الْمَعَالِي وَيَصْعَدُ

ولما سمع البحريُّ هذا البيت قال : مني أخذه في العلاء بن صاعد ^٢ :

سَمَّاهُ أَسْرَتُهُ الْعَلَاءُ وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ تَمَّ عُلَاهُ

وقال ابن البين البطليوسي ^٣ في الوزير أبي الأصمغ بن المنخر :

شَمُّ الْأَنْوَفِ لِذَاكَ مَا سُمُّوا بِهَا وَمِنَ الْمَسْمَى تُؤْخَذُ الْأَسْمَاءُ

وقال أبو بكر بن سوار ^٤ في القاضي ابن حمدين : [٤٦ أ.] .

مِنْ مَبَشِّرِ حُمِدُوا فَأَحْمَدَ سَعْيُهُمْ فَلِذَاكَ مَا سُمُّوا بِنِي حَمْدَيْنِ

وقال الصاحب بن عباد ^٥ : وقد قَتَلَ الْمُتَنَبِّي مِنْ هَذَا جَبَلًا اخْتَنَقَ بِهِ ،

فقال ^٦ :

فِي رَتْبَةِ حَجَبِ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا

وقال أبو الوايد بن حزم ^٧ في الوزير أبي العلاء المذكور :

١ ديوان ابن الرومي ٢ : ٥٩١ رسالة الصاحب : ٢٤٢ .

٢ ديوان البحري : ٢٤٠٥

٣ سنجي . ترجمته في هذا القسم : ٧٩٩

٤ » » » » : ٨١١

٥ رسالة الصاحب : ٢٤٢ .

٦ ديوان المتنبي : ١٠١ .

٧ ترجمته في ما يلي من هذا القسم .

أما العلاء فلن تراحمك العدا فيه وحسبك أن دُعيت له أبا

ومن جواب الوزير أبي العلاء له :

أجريت طرفك في العتاب وربما
عُتي ولا عتب لدي ، وإن بنا
لحبا وضمن من سجايا ذاته
ولطالما فيه انخدعت إخاله
ما كل ناضر دوحة روضاً ولا
كل ضياء راق حسناً كوكبا
- وقيت - من أجرى بلا قصد كبا
استبدلت برقاً شام لحظك خلّبا
نفحات غدر ضمن هبات الصبا
نصلاً فلما أن ضربت به نبا
كل ضياء راق حسناً كوكبا

وقول الوزير أبي العلاء : « وربما وقيت » ، من مליح الالتفات ، وهو
عند بعض أهل النقد تنميم ، والالتفات أولى به وأشكل بمعناه . ومنه قول كثير^١ :

لو أن الباخلين وأنت منهم رأوك تعلموا منك المطالا

وقوله : « وأنت منهم » التفات ، وقد سمّاه ابن المعتز^٢ : « اعتراضاً »
وجعله باباً على حدثه بعد الالتفات ، وغيره جمع بينهما^٣ . وقال النابغة^٤ :

ألا زعمت بنو عبس بآني ، ألا كذبوا ، كبير السن فان

١ ديوان كثير : ٥٠٧ ومعه مصادر تخريجه ، يضاف إليها : بديع أسامة : ١٣٠ وبديع ابن

المعتز : ٦٠ واعجاز الباقلاني : ١٥٠ ومعاهد التنصيص : ١ : ١٢٥ وشرح النهج : ٢ : ٤٠٧ .

٢ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٣ يزيد ابن رشيقي في العمدة : ٢ : ٥٤ ، وهو يتابعه في أمثله .

٤ لم يرد في ديوان النابغة الذبياني وقال صاحب العمدة : ورواه آخرون للجعدي ، وهو في

ديوانه : ١٦٢ وروايته ، ألا زعمت بنو كعب .

فقلوه : « ألا كذبوا » اعترض ؛ وقال بعض العرب^١ :
 فظلتوا بيومٍ دُعُ أخاك بمثله على مَشْرَعٍ يروي^٢ ولما يُصْرَدُ
 فقلوه : « دُع أخاك بمثله » التفاتٌ مليح ؛ وقال عَوْفُ بن محَلَم^٣ :
 إن الثمانين ، وَبَلَّغَتْهَا قد أَحْوَجَتْ سَمْعِي إلى ترجمان^٤
 وقال اسحاق الموصلي : سألني الأصمعي وقال : أنعرف التفاتات جرير؟
 قلت : وما هي ؟ فأنشدني^٥ :
 أتَنسى إذ تودُّعُنَا سَلِمْ بفرعٍ بِشَامَةٍ سَقِيَّ البشامُ^٦
 وقال لي : أما تراه مقبلاً على شعره ثم التف إلى البشام فدعا له ؟ وأنشد
 له ابن المعتز^٧ :
 متى كان الخيامُ بذِي طلوحٍ سَقِيَتِ الغيثُ أبتها الخيامُ^٨
 وأحسن^٩ ابنُ المعتز في العبارة عن الالتفات ، حيث قال : هو انصراف
 المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة ، وعن المخاطبة إلى الإخبار وتلا قوله تعالى :
 ﴿ حتى إذا كنتم في الفُلكِ وَجَرَيْنَ بهم بريحٍ طَيِّبَةٍ وفرحوا بها جاءتها
 رِيحٌ عاصِفٌ ﴾ (يونس : ٢٢) وأنشد لأبي عطاء السندي يرثي عمر بن
 هبيرة :

١ العمدة ٢ : ٤٥ ، وكذلك سائر هذا الفصل عن الالتفات .

٢ س م ط د : يوفي .

٣ طبقات ابن المعتز : ١٨٨ .

٤ ديوان جرير : ٢٧٩ ، ٢٧٨ .

٥ بديع ابن المعتز : ٥٩ .

٦ هذا كلام ابن رشيق ، وانظر ابن المعتز : ٥٨ .

وإنك لم تبعد على متعمد بل كل من تحت التراب بعيد
وهو عندهم استدراك ؛ وأنشد ابن المعتز في هذا النوع لبشار^١ : [٤٦ب]
نبئت فاضح أمه يغتابني عند الأمير ، وهل عليّ أمير ؟
وما أملح قول نصيب^٢ :
وكدت ولم أخلق من الطير إن بدا سنا بارق نحو الحجاز أثير
فقوله : « ولم أخلق من الطير » عجب . ولما سمعت^٣ التي قيل فيها
هذا البيت تنفست تنفساً شديداً ، فصاح ابن أبي عتيق : أواه ، زاه !!
قد والله أجابته بأحسن من شعره ، والله لو سمعك لتنعق وطار ، فجعله
ابن أبي عتيق غراباً لسواده . وأنشدوا للعباس بن الأحنف^٤ :
إن تم ذا الهجره يا ظلوم ، ولا تم ، فما لي في العيش من أرب
وقال عدي بن زيد ، وهو في حبس النعمان^٥ :
فلو كنت الأسير ، ولا تكنته ، إذا علمت معد ما أقول^٦
واستقصاء ذكر هذا الباب ، مما يضحك حجم الكتاب .

١ ديوان بشار : ١١١ (جمع الملوي) .

٢ ديوان نصيب : ٩١ .

٣ أنظر الأغاني ١ : ٢١٣ .

٤ ديوان العباس : ٢٣ .

٥ م د : السحر .

٦ لم يرد في ديوانه .

٧ هنا آخر النقل عن المدة لابن رشيق .

وقول الوزير أبي العلاء : « أَثَرُ الْعُصْبِ الْحَسَامُ بِذَاتِهِ » ... البيت ،
من ملبح المدح في حسن التعرف بجنس السيفيّة ؛ وأبو الطيب ممن اتخذ
سبيّاً إلى سمائها وعرج ، وقَرَعَ بابها حتى دخل كيف شاءَ وخرج ، كقوله ١ :
لقد رفع الله من دولة لها منك يا سيفها مُنْصَلُ
وكقوله :

لولا سمي سيفه ومضاؤه لما سلّين لكنّ كالأجفان
وكقوله :

تُسمى الحسام وليست من مشابهة وكيف يشتبه المخدم والخدم
وقال :

قلّد الله دولة سيفها إذ ت حُساماً بالمكرمات مُحلّي
فإذا اهترّ للندى كان بحراً وإذا اهترّ للوغى كان نصلاً
وقال :

وإن الذي سمى عليّاً لمنصف وما كل سيف يقطع الهام حده
وإن الذي سمّاهُ سيفاً لظالمه وتقطع لزّبات الزّمان مكارمه
وقال :

إن الخليفة لم يُسمك سيفه حتى بلاك فكنت عين الصارم
وإذا تتوج كنت دُرّة تاجه وإذا تختم كنت فصّ الخاتم

١ انظر في هذه الأبيات ديوان المتنبي : ٢٩٧ ، ٤١٣ ، ٣٥٥ ، ٤٠١ ، ٢٤٩ ، ٢٧٨ ،
٣٤٤ على التوالي .

وقال :

مَنْ للسيفِ بأن يكون سَمِيحًا في أصلِهِ وفرنده ومضائِهِ
طَبِيعَ الحديدِ فكان من أجناسِهِ وعليّ المطبوعُ من آبائِهِ

ولما أفضت الحال ، بالمعتمد إلى الاعتقال ، وحُبس بأغمت ، اعتلّت بعض كرائمه في أثناء ذلك ، والوزير أبو العلاء هنالك ، فبادر إلى مرغوبه ، وسارع إلى تأتّي مطلوبه ، ولم يلتفت إلى ما كان سلف بين سلفيهما من معانٍ ، قضتها صروف الزمان ، واقتضتها حمايةُ السلطان ، فلاطف علاجها ورفع قدر المعتمد بالتبجيل ، ودعا له بالبقاء الطويل ، وكتب إليه المعتمد إثر ذلك بهذه الأبيات . وذكر قصّة غريبة وهي : أن أكرم بناته ألحأها حين إلى استدعاء غزلٍ بأجرة تسدّ بعض خلّتها ، فأدخل إليها في جملة ما أخرج غزلٍ لبنت عريف شرطته^١ المنتقل إليه من دولة غرناطة ، وعلم الأمر بعد ذلك فتعجب من تقلّب الدهر ؛ وفي ذلك يقول للوزير المذكور^٢ : [٤٧ أ]

دعا لي بالبقاء وكيف يهوى أسيرٌ أن يطول به البقاء
أليس الموتُ أروحَ من حياةٍ يطول على الشقي بها الشقاء
[أأرغب أن أعيش أرى بناتي عواري قد أضرت بها الحفاء]^٣
خوادم بنتٍ من قد كان أعلى مراتبه - إذا أبدؤ - النداء
وطردُ الناس بين يديّ مروري وكفّهم إذا غصّ الفناء

١ م ط س : شرطه .

٢ ديوان المعتمد : ٩٠ والمعجب : ٢١٨ .

٣ زيادة من الديوان لاستيفاء المعنى .

وركض^١ عن يمين أو شمال
ولكن^٢ الدعاء إذا دعاه
جزيت أبا العلاء جزاء بر^٣
سبلي^٢ الكل عما فات علمي
إذا اختل^٤ الأمام أو الورا^٥
ضمير^٦ خالص^٧ نفع^٨ الدعاء
نوى برآ وصاحبك^٩ العلاء
بأن^{١٠} الكل^{١١} يذكركه^{١٢} الفناء

فأجابه الوزير أبو العلاء بأبيات ، قال فيها :

تنافست^{١٣} المراتب^{١٤} فيك حتى
عزيز^{١٥} أن ينال^{١٦} البحر^{١٧} نهبي^{١٨}
ويُلْقَى^{١٩} في متون^{٢٠} الرمل^{٢١} ماء^{٢٢}
ولكن^{٢٣} الزمان^{٢٤} بلوم^{٢٥} طبع^{٢٦}
ومجدك^{٢٧} إنه قسم^{٢٨} عظيم^{٢٩}
لكنت^{٣٠} الغيث^{٣١} إن^{٣٢} محل^{٣٣} تبدى^{٣٤}
ومثلك^{٣٥} ، عز^{٣٦} قدرك^{٣٧} عن^{٣٨} مثيل^{٣٩} .
لأنك^{٤٠} في سماء^{٤١} المجد^{٤٢} نجم^{٤٣}
وغاية^{٤٤} كل^{٤٥} شيء^{٤٦} لانتها^{٤٧}

حللت^{٤٨} العُسر^{٤٩} إذ^{٥٠} نحب^{٥١} الشقاء^{٥٢}
وتسقي^{٥٣} الكوثر^{٥٤} العذب^{٥٥} الرشاء^{٥٦}
وتشكو^{٥٧} غاية^{٥٨} المحل^{٥٩} السماء^{٦٠}
على^{٦١} الحر^{٦٢} الشريف^{٦٣} له^{٦٤} اعتداء^{٦٥}
به^{٦٦} وجِد^{٦٧} السن^{٦٨} وله^{٦٩} السناء^{٧٠}
وكنت^{٧١} الليث^{٧٢} إن^{٧٣} عن^{٧٤} اللقاء^{٧٥}
يؤمل^{٧٦} أن^{٧٧} يطول^{٧٨} له^{٧٩} البقاء^{٨٠}
به^{٨١} لنواظر^{٨٢} الدنيا^{٨٣} جلاء^{٨٤}
وأنت^{٨٥} لغاية^{٨٦} المجد^{٨٧} انتهاء^{٨٨}

وخاطبه الوزير أبو محمد بن عبدون برقعة^{٨٩} خطب فيها ودّه ، فتخلّف
عن جوابه لشغل^{٩٠} غرض^{٩١} ، فأعاد عليه ثانية بهذه الأبيات :

نصيبي^{٩٢} من الدنيا^{٩٣} مودّة^{٩٤} ماجد^{٩٥} أهيّم^{٩٦} به^{٩٧} سرّاً^{٩٨} وأخدمه^{٩٩} جهراً^{١٠٠}

١ في المعجب :

وركض عن يمين أو شمال
يعني أمام أو وراء

نظم الجيش ان رفع الورا

إذا اختل الامام أو الورا

٢ م ط د : سبلي ؛ س : سبلي ؛ المعجب : سبلي النفس .

له الخيرُ إنْ يأذنْ أَقلُّ غيرَ عاذلٍ
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً
فأطرقَ لم ينبسْ بحرفٍ ولم يُعِدْ
وما الصمتُ في هذا المكانِ لِسُنَّةٍ
فان زفَّها دوني إلى كلِّ خاطبٍ
وإن حَدَّثتْ منه إليَّ إجابةً

فأجابه الوزير أبو العلاء :

وفاؤك ما أَسْتَى وفضلُك ما أَسْرَى
إذا رمتْ نثراً جئتَ بالسَّحْرِ ناثراً
بسَّطتْ بعضُ القولِ يميني وملتْ أنْ
ولو نهضتْ بي نحو سؤلي قدرةً
عقيلةً نظمٍ عن يسارِ زففتها
فما بالحميلِ الظنَّ يحسبُ أنني
أنزّه ذاك الفضلَ عن كشفِ سوءةٍ

وإن يابَ اسكتْ عنه لا طالباً عذراً
وأعطيتُ من شكري وأغلٍ به مهراً
إليَّ جواباً منه نظماً ولا نثراً
فلإني لم أخطُبْ مودَّتَه بكراً
فلم يرَ مثلي لا وفاءً ولا برّاً
عذرتُ عن الأولى ولم أكفرِ الأخرى

ومجدُّك ما أَسْمَى وزندُك ما أَوْرَى
وإن حِكتْ شعراً جئتَ بالآية الكبرى
قبضتُ ولم أمددْ إليها يداً يسرى
إذنْ لم أدعْ في الشكرِ نظماً ولا نثراً
لكفوٍ ودادٍ لم تجدْ كفؤه مهراً
صمتُ لكبرٍ حينَ عدتْ به سرّاً
لحأتُ إليها حينَ أرمقني عسراً

ما وجدته من شعر أبي العلاء في النسيب

كلفه حسام الدولة وصف غلام قائم على رأسه . فقال ٢ :

١ د : أعقبني .

٢ بدائع البداهة : ٣١٠ - ٣١١ .

تضاعفَ وجدي إذ تبدى عذارهُ
وقد كان ظنِّي أن سيمحقُ ليلهُ
فأظهر ضدَّ ضدَّه فيه إذ وشت
وتمَّ فخان القلبُ مني اصطباره [٤٧ب]

بدائع حسنٍ هامٍ فيها نهاره
بعنبرِ صدغيهِ على الحدِّ ناره

وقال فيه :

مُحِبَّتْ آيةَ النهارِ فأضحى
كان يُعشي العيونَ نوراً إلى أن

بدرٌ تمَّ وكان شمسَ نهارٍ
شغلَ الله خدَّه بالعدارِ

كأنه ألم في هذا بقول الآخر :

حلّقوا رأسه ليزدادَ قبْحاً
كان قبل الحلاقِ ليلاً وصباحاً

حذراً منهمُ عليه وشحاً
فمحوا ليله وأبقوه صباحاً

وقال فيه :

عذارُ ألمٍ فأبدى لنا
ولو لم يكن النهارُ الظلامُ

بدائع كنّا لها في عَمى
لم يستبْ كوكبٌ في سما

وقال فيه :

تَمَّتْ محاسنُ وجهه وتكاملتْ
وكذلك البدرُ المنيرُ جماله

لما استدار عليه صبحٌ موقٍ^٣
في أن تكتنفه جمالُ أزرق

١ م ط د س : يفشى .

٢ ط م د س : يستيق ، والتصويب عن بدائع البدائه .

٣ بدائع البدائه : لما استدار به عذار موق .

٤ بدائع البدائه : استنار .

وهذا كقول ابن برد وقد تقدم^١ :

يا ثوبه الأزرق الذي قد فاق العراقي^٢ في السناء
كانه فيه بدرٌ تمُّ يشقُّ في زُرْقَةِ السماء

ولنأخذ من قول ابن المعتز :

الآن صرتَ البدرَ حينَ لبستَ ثوبَ سمائه

وله وهو مما طبّقَ المفصل في الغرض واستوفى معنى^٣ لم أرَ أحداً يستوفيه ،
وجمعه من ألفاظ أدبية ، ومعانٍ فلسفية ، وأبرزه في صورة من الحسن
يوسفية :

يا راشقي بسهامٍ ما لها غرضٌ إلا فؤادي وما منها له غرضٌ
وممرضي يجفون لحظها غنجٌ صَحَّتْ وفي صنعها التمريض والمرض
امنٌ ولو بخيالٍ منك يؤنسني فقد يسدُّ مسدَّ الجواهر العَرَض

١ أورد ابن بسّام هذين البيتين في القسم الأول : ٥٠٦ وهما هناك منسوبان لابن الرومي ،

وانظر ديوانه : ١٣٧ .

٢ م : الأزرق .

ومنهم الوزير الفقيه^١ أبو عبيد البكري^٢

وكان بأفقنا^٣ آخرَ علماء الجزيرة بالزمان، وأولَّهم بالبراعة والإحسان، وأبعدَهُم^٤ في العلوم طَلَقًا، وأنصعهم في المشور والمنظوم أفقًا، كأنَّ العرب استخلفته على لسانها، أو الأيام ولَّتْهُ زِمَامَ حدثانها، ولولا تأخُّرُ ولادته، وعهدة^٥ في زيادته، لأنسى ذكرَ كنيته المتقدِّم الأوان، ذَرَبَ لسان، وبراعة إتقان، لا يجمع الزمانُ حبَّه، إلا كما يؤلف كتبه، ولا يهزُّ البرقُ حسامه، إلا كما يصرفُ أعلامه، ولا يتدفَّقُ البحرُ إلا كما يجيشُ صدره، ولا يكونُ السَّحَرُ إلا كما يروقُ نظمُه ونثره^٦، وله تقدُّمٌ سبق. وسَلَفٌ صدق. وقد كان لسلفه بغربي جزيرة الأندلس إمرة^٧ فعلوا منها مقعدَ أكابر الأمراء من الخروج عن الطاعة، والاستبداد عن الجماعة، ولهم في ذلك، وللمعتضد قريع أقرانهم، الذي طمَّ واديه على

١ الفقيه : زيادة من ط .

٢ أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز البكري (٤٨٧ -) صاحب المؤلفات اللغوية البارعة مثل شرح الأمالي وفصل المقال، والكتب الجغرافية مثل: المسالك والممالك ومعجم ما استعجم؛ انظر مقدمة السط التي جمع فيها الأستاذ الميمني ما ورد عنه في الصلة والقلائد وبغية الملتبس والحلة والوافي وعد مؤلفاته. وانظر دراسة عنه في الجغرافية والجغرافيين في الأندلس: ١٠٧ - ١١٤٨ وقد نقل الأستاذ الميمني نص الذخيرة هذا أيضاً في مقدمة السط .

٣ بأفقنا : سقطت من م ط س .

٤ ط م س : وأبدعهم ؛ الميمني : وأبرعهم .

٥ يعني أبا عبيد القاسم بن سلام .

٦ ونثره : سقطت من م س .

٧ م ط : أميرة .

قُرْبَانِيهِمْ ، أخبار ذكرها ابن حيّان ، وقد أُلْمِتْ منها بلمع ليتصل الكلام ،
ويستقيم النظام .

فصل في أخبار البكرين من أمراء الغرب^١

[١٤٨] قال ابن حيّان : لما تولّى الوزير أبو الوليد بن جمهور
الإصلاح بين ابن الأفطس والمعتضد ، بعد امتدادِ شأوهما في الفتنة ، وسنّى
الله السلمَ بينهما في ربيع الأول سنة ثلاث وأربعين ، اعتدى بعد ذلك المعتضدُ
على جاريته ابن يحيى أمير لبلة ، وأبي زيد البكري أمير شلطيّش وأوتبة^٢
فأخرجهما عن سلطانهما الموروث ، وحصل له عملهما بلا كبير مؤنة ،
وضمّه إلى سائر عمله العريض ، وازداد بذلك المعتضد سلطاناً وقوة ، وذلك
أنّه لمّا خلا وجهه من المظفر بن الأفطس فرغ لابن يحيى بلبله^٣
وصمّم في قصده بنفسه ، فترّل ابن يحيى له عن لبلة وخرج عن البلد ، وانزعج
إلى قرطبة : وردّها^٤ مسلوب الأمانة : لاثداً بكشف ابن جمهور ساد الخلة

١ نقل دوزي هذا الفصل عن الذخيرة في مجموعه عن بني عباد : ١ : ٢٥٢ وانظر البيان المغرب ٣ :

٢٤٠ والمجلة السراء ٢ : ١٨٠ - ١٨٢ .

٢ أوتبة اسم آخر لمدينة ولبة (Huelva) وهي وشلطيّش (Saltes) في كورة اكشونية
في الركن الجنوبي الغربي من شبه جزيرة ايبيرية ، وتسمى المديرية اليوم مديرية ولبة . وفي ساحلها
جزر صغيرة أكبرها جزيرة شلطيّش (انظر الروض المطّار ، الترجمة الفرنسية : ٤٤ : ١٣٥٠

٣ لبلة (Niebla) تقع شمال اقليم اكشونية وتبعد عن اشبيلية إلى الغرب مسافة خمسين
كيلومتراً (الروض : ٢٠٣) .

٤ م س : وردّها .

وماوى الطريد . وكان من الغريب النادر أن شاركه المعتضدُ بقطعةٍ من خيله
أوصلته إلى مأمنه بقرطبة .

ثم سقط إلينا النبأ بعدُ بامتداد يدهِ إلى البكري بولبة وشلطيش ،
وكان هذا الفتي أبو زيد البكري أوارث ذلك العمل لأبيه ، وكان أبوه
من بيتِ الشرفِ والحسبِ والجاهِ والنعمة ، والاتصال القديم بسلطان
الجماعة ، وكان له ولسلفه قبيلُ إسماعيلَ بن عباد جدَّ المعتضدِ وسائلُ
وأذمةٌ خلَّفَها في الأعقابِ اغترَّ بها عبد العزيز البكري ، فبادر البعثةَ إلى
المعتضدِ ساعةَ دَخَلَ ليلةَ يَهْنِئُه بما تهيأ له منها ، وذكره بالذمامِ الموصولِ
بينهما ، واعترف بطاعته ، وعرض عليه التخلِّي عن ولبة ، وإقراره بشلطيشِ
إن شاء ، فَوَقَعَ له ذلك من المعتضدِ موقعَ إرادة ، وردَّ الأمرُ إليه فيما يعزمُ
عليه ، وأظهر الرغبة في لقائه ، وخرج نحوه يبغى ذلك ، فلم يظمنَّ عبدُ
العزيزِ إلى لقائه ، وتحمَّلَ بسفنه بجميع ماله إلى جزيرةِ شلطيش ، وتخلَّى
للمعتضدِ عن ولبة . فحازها حوزةُ اللَّيْلَةِ ، وبَسَطَ الأمانَ لأهلها ،
واستعمل عليها ثقةً من رجاله ، ورسم له القِطْعَ بالبكري ، ومَنَعَ الناسَ
طُرُقاً من الدخولِ إليه ، فتركه محصوراً وسطَ الماءِ إلى أن أُلْقِيَ بيده من قُربِ
ولم يَغْرُبْ عنه الحزم . فسأل المعتضدُ أن ينطلقَ انطلاقَ صاحبه ، فأَمَنَّهُ ،
ولحق بقرطبة ، وبوشر منه رجلاً سرياً عاقلاً عفيفاً أديباً يفوتُ صاحبه ابنُ
يحيى خِلالاً وخصالاً إلى زيادةٍ عليه بيتِ السَّروِ والشرفِ ، وبابنِ له
من الفتيانِ بزَّ الأقرانِ جمالاً وبهاءً وسَرواً وأدباً ومعرفةً ، يكنى أبا عبيد .
وتحدَّثَ الناسُ من حزمِ عبد العزيزِ يومئذ أنه لما احتلَّ بشلطيش علم أنه لا

يقارعُ عبّاداً ، فأخذ بالحزم أولاً ، وتخلّى له عنها بشروط وفقى له بها ،
فباع منه سفنه وأثقاله بعشرة آلاف مثقال ، واحتلّ قرطبة في كنف ابن جهور
المأمون على الأموال والأنفس ، وصفّت لعبّاد تلك البلاد ، لو أن شيئاً
يلوم صفاؤه ، والملك لله وحده ^١ .

[فصل من نثره ^٢]

له من كتاب يهنيء فيه المعتمد بالفتح الذي كان سنة تسع وسبعين
وأربعمائة : أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ،
ذي الأيادي الغرّة ، والنعم الزهر ، وهناً ما منحه من فتح ونصر ، واعتلاء وقهر ،
بطالع السعد يا مولاي أبت ، وبسانح اليُمن عدت ، وبكنف الحرز عدت ،
وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم البرّ سميت ، وبمحنة العصمة أتيت ، وبسهم
السداد رميت فأصميت ، صدّر عن أكرم المقاصد ، واشرف المشاهد ،
وعوداً بأجل ما ناله عائد ، وآب به وارد ، فتوحاً أضحكت مبسم الدهر ،
وسفرت عن صفحة البشر ، وردّت ماضي العمر ، وأكبت واري الكفر ،
وهزّت أعطاف الأيام طرباً ، وسقت أقداح السرور نخباً ، وثنت آمال الشرك

١ بياض ط الأيسر بخط غير خط الأصل : « بقي منها نحو نصف ورقة » وعلى هامش الأيمن
« هنا ترجمة للوزير الفقيه أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج » . ولكن مما يلفت النظر أن النسخ
المعتمدة لم تورد ترجمة ابن حجاج كما أنها لم تورد للبكري شعراً أو نثراً ، وهي في
الأرجح ناقصة عما رسمه ابن بسام نفسه ، لهذا أثبت هنا بعض نثر البكري وشعره ليكون
ذلك في نسق مع طبعة كتاب الذخيرة .

٢ نهاية الأرب ٥ : ١٤٥ ونقله الميمني في مقدمة السط .

كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية رهبا ، فذكرها زاد الراكب ، وراحة اللاغب ،
ومتعة الحاضر ونقلة المسافر :

بها تُنْفَضُ الأحلاس في كل منزلٍ وتعقد أطراف الجبال وتطلق^١

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفّت الملة ، وبردت
الغلة ، وكشفت العلة .

كان داء الاشتراك سيفك واشتدت شكاة الهدى وكان طيبيا

فقد الدين جديداً ، والإسلام سعيداً ، والزمان حميداً ، وعمود الدين
قائماً ، وكتاب الله حاكماً ، ودعوة الإيمان منصوره ، وعين الملك قريرة ،
فهنا الله مولانا وهنا هذه المنح البهية مطالعها ، الشبهة مواقعها ، المشهورة آثارها ،
المأثورة أخبارها ، ونصر الله أعلامه ففي البرّ تحلّ وتعقد ، وعضد حسامه
فبالقسط يُسَلّ ويغمد ، وأيدّ مذاهبه فبالتحزّم تُسندى وتُنحم ، وأمدّ
كتابه ففي الله تسرج وتُنجم . فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب
جلاه ، وميت حق أحياه ، وحي باطل أرداه ، وكم جاحم ضلالة أطفأ
ناره ، وناجم فتنة قلم أظفاره ، ومغلول أسنة أرهف شفاره ، ومستباح
حرمة حمى ذماره .

فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة . المتبلجة عن ميمون النقية
وعمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج
للناس يأمرين بالمعروف وينهون عن المنكر ، والذي سطع هذا السراج ،
وانتهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ،
إدالة من مشاقبه ، وإزالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه . وإن أجلّ هذه النعم
في الصلور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما من الله به من سلامة مولاي التي هي

١ للأعشى ، ديوانه : ١٤٩ والخيرة ١ : ٨٣٥ .

جامعة لعزّ الدين، وصلاح كافة المسلمين، بعد أن صلي من الحرب نيرانها،
فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهونائم
تمرّ بك الأبطالُ كلّمى هزيمةً ووجهك وضاح وثغرك باسم

فله الحمد والابداع والالهام ، وله المنّة وعلينا متابعة الشكر والذوام ،
وفازت الكفّ الكليم ، بأعلى قداح المكّوم لدى المقام الكريم ، وانها لهي
التالية للاصبح الدامية ، في المترلة العالية :

بصّرت بالراحة العُليا فلم ترها تُنالُ إلا على جسرٍ من التعب

جملة من شعر أبي عبيد البكري^١

قال يخاطب أبا الحسن ابراهيم بن محمد المعروف بابن السقاء وزير ابن
جهور ، وقد خرج رسولا^٢ إلى باديس بن جبوس بغرناطة :

كذا في بروج السعد ينتقل البدرُ ويحسن حيث احتل آثاره القطرُ
وتفتسم الأرض الخطوط فبقعةً لها وافر منها وأخرى لها نزر
لذلّ مكانٌ غاب عنه مملكي وعزّ مكانٌ حلّه ذلك البدر
فلو نقلت أرض خطاها لأقبلت تهنيه بغدادٌ بقربك أو مصر

وله في المعتمد عندما أجاز البحر مستجيراً بأمر المسلمين وناصر الدين :

١ ديوان أبي تمام ١ : ٧٨٠ .

٢ انظر الحلة السيرة ٢ : ١٨٦ وما بعدها ، ومقدمة السمط .

يهون علينا مركب الفلك أن يرى
فجزنا أجاج البحر نبغي زلاله
يذكرنا ذاك العباب إذا طمى
عجيا العلا لما نبا مركب الجرد
وذقنا جنى الشريان نبغي جنى الشهد
ندى كفك الهامي على القرب والبعد

ومنها :

محمد يا ابن الأكرمين أرومة
فلو خلد الانسان بالمجد والتقى
ليهنك تشيد المكارم والمجد
وآلائه الحسنى لهنت بالخلد

وله :

أجد هوى لم يأل شوقاً تجددا
وما زال هذا الدهر يلحن في الورى
ومن لم يحط بالناس علماً فاني
ووجداً إذا ما أتهم الحب أنجد
فيرفع مجروراً ويخفض مبتدا
بلوتهم شتى مسوداً وسيدا

وله ، وكان مولماً بالخمير :

خليلي إني قد طربت إلى الكاس
فقوما بنا نلهو ونستمع الغنا
فليس علينا ، في التعلل ساعة
وتقت إلى شم البنفسج والآس
ونسرق هذا اليوم سرّاً من الناس
وإن وقعت في عقب شعبان من باس^١

١ هنا تقع ترجمة أبي عمر أحمد بن محمد بن حجاج ، وقد نقل ابن سعيد شيئاً منها عن الذخيرة (المغرب ١ : ٢٥١) وفيها يقول : « كان بحر علوم ، وسابق ميدان منشور ومنظوم » وأورد له ابن سعيد رسالة أو قطعة من رسالة ، أثبتها البلوي أيضاً على نحو أتم في العطاء الخزيل (ص : ٥) ؛ وأرجو أن أوفق الى العثور على الترجمة كاملة وإلحاقها بهذا القسم من الذخيرة .

في ذكر ذي الوزارتين الفقيه الكاتب أبي بكر محمد بن سليمان
المعروف بابن القصيرة^١

وهو في وقتنا جمهورُ البراعة ، وبقيةُ أئمة الصناعة ، وعذبة اللسان العربي ، وسويداءُ قلبِ هذا الإقليم الغربي ، بحرٌ علمٍ لا يتزح ، وجبلٌ حلمٍ لا يُزحزح ، من بعضِ كور إشبيلية ، نشأ في دولة المعتضد ، شهر^٢ بالعفاف فلزمه ، ويُسرِّرُ للعلم فتعلَّمه^٣ وعلَّمه ، وكانت له نفسٌ تأبى إلا مزاحمة الأعلام ، والخروج على الأيام ، وهو دائماً بغضٌ عِنائها فتجمع ، ويظايطء من غلوائها فتتطاول وتطمح ، ممتنعاً من خدمة السلطان ، قاعداً بنفسه عن مرتبة نظرائه من الأعيان ، بين عفة تزهده ، وهيبة من المعتضد تُقَعِّده ، حتى فطن له ذو الوزارتين ابن زيدون ، فلم يزل يتصرَّحُ قذى العطلة عن مائه ، ويُعَلِّي رماد تلك الهيبة عن نار ذكائه ، إلى أن نبه عليه المعتضد [٤٨ب] آخر دولته ، فتصرف فيها قليلاً على تقيّة من تلك البقية ،

- ١ أبو بكر محمد بن سليمان الكلاعي الإشبيلي (٥٠٨-) كان من أهل التفنن في العلوم كاتباً بارع الخط ، وبها فرسولا عن المعتمد بن عباد إلى الملوك غير مرة ، وقبيل وفاته أدركه الحرف ؛ انظر ترجمته في الصلة : ١٠٤ والمغرب ١ : ٣٥٠ والمطرب : ٨١ واعتاب الكتاب : ٢٢٢ والمعجب : ٢٢٧ والوافي ٣ : ١٢٨ والمحمّدون من الشراء : ٣٥٨ والخريدة ٣ : ٣٨٣ والذيل والتكملة ٦ : ٢٢٧ والنفع ٤ : ٣٦١ ، ٣٦٥ ، ٣٦٦ والاحاطة ٢ : ٥١٦ .
- ٢ من هنا نقل ابن الأبار نص ابن بسام في ترجمة ابن القصيرة : (اعتاب الكتاب : ٢٢٢) حتى قوله : تقعده ؛ ثم نلص بعد ذلك حتى آخر الترجمة .
- ٣ الاعتاب : تعلّمه .

وتتشقّف من ذلك التعقّف ، إلى أن أفضى الأمر إلى المعتمد ، وأحسبه قد كان في أيام أبيه ، من بعض من بداخله ويصافيه ، فجاءه من علاه بنصيب ، وسقاه من نداء ببحر لا يذّتوب ، وأنهضه إلى مشى الوزارة ، وأكثر ما عوّل عليه في السفارة ، فسفر غير ما مرة بينه وبين حلفائه من ملوك الطوائف بأفقتنا ، حتى انصرفت وجوه آمالهم إلى أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فسفر ذو الوزارتين بينهما مراراً فكثّر صوابه ، واشتهر في ذات الله مجيئه وذهابه ، واضطر المعتمد إليه قريباً من آخر دولته ، فعظمت حاله ، واتسع مجاله ، واستولى على الدولة استيلاءً قصّر عنه أشكاله ، إلى أن كان من خلعه ما كان ، فكان ذو الوزارتين أحداً من حرب ، وفي جملة من نكيب . وأقام على تلك الحال ، نحواً من ثلاثة أحوال ، حتى تذكّره أمير المسلمين بما كان عهد من حسن خليقته ، وسداد طريقته ، وقد حدثت أن سبّب ذلك الذكر ، كتاباً كان ورد من صاحب مصر ، لم يكن بدّ من الجواب عليه والانصاف منه ، وتفقد يومئذ أعلام المشاهير ، فكان ذو الوزارتين أقرب مذكور ، فاستدعاه حينه ، وولاه كتّبة دواوينه ، ورفع شأنه ، حتى أنساه زمانه ، وقد أثبت من كلامه مما أنشأه في الدولتين ، ما يملأ ذكره الخافقين ^١ .

١ ذكر مؤلف المعجب : ٢٢٨ أن ابن القصيرة كان على طريقة قدماء الكتاب من ايثار جزل الألفاظ وصحيح المعاني من غير التفات إلى الأسجاع التي أحدثها متأخرو الكتاب ، المهم إلا ما جاء في رسائله من ذلك عفواً من غير استدعاء .

جملة من إنشاءاته السلطانيات مع ما يتعلق بها ويذكر بسببها

له من رقعة وردت على الجناح بهزيمة الطاغية اذفونش، قصمه الله ، يوم الجمعة المشهور ، الذي أباد الله فيه عبدة الطواغيت على يدي أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، قال فيها :

كتبت^١ صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين ، وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضلهم على يدي مسعانا الفتح المبين ، بما يسر الله في أمسه وسنائه ، وقدره سبحانه وقضاه^٢ ، من هزيمة اذفونش بن فردلند ، أصله الله - إن كان طاح - الجحيم ، ولا أعدمه - إن كان أمهل^٣ - العيش - الذميم ، كما قنعه الخزي العظيم ، وإتيان القتل على أكابر رجاله وحُماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم والليلة المتصلة به إلى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي من رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي ممّا قبض ونهب ، واتخذ الناس هياماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون الله تعالى على ما صنع فيها ، والتبّع بعد في آثارهم ، وتمادي الطلب من وراء فرارهم ؛ والذي لا مزية فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت

١ فيه مشابه سا أورده صاحب الروض المطار (مادة : الزلافة) ونقله المقرئ في النفع ؛ :

٣٦٩ ، وانظر أيضاً القسم الثالث من كتاب أعمال الاعلام : ٢٤٥ .

٢ م : وقدره مبتأ وقضاه ، س : وسناه مبتأ وقضاه .

٣ اعلام : إن كان قد أمهل .

من سيوف الهند بسيوف الجوع والبعد مقتول ، ولم يصبني بحمد الله إلا جرح
أشوى^١، وعنت رغب حُسن المآل عندي^٢ وزكّى^٣، فلا يشتغل لك
بذلك بال^٤، ولا تتوهم فيه غير ما أشرت إليه ، والحمد لله على ما صنع حق
حمده ، وهو أهل الميزيد الذي لا يرجى إلا من عنده .

قال ابن بسام : وشهر رجب الذي ذكره كان سنة تسع وسبعين .

ثم ورد بعد كتاب من إنشائه يشرح جُمَل هذا الفتح وتفصيله^٥ ، قال
في بعض فصوله : وقد علم ما كنا قبل مع عدو الله اذفونش بن فردلند ،
قصمه الله ، من تطأطؤنا واستعلائه ، وتقامثنا وانتخائه ، وأنا لم نجد لدائه
دواء ، ولا لبلائه انقضاء^٦ ، ولا لمدة الامتحان به فتاء^٧ ، إلى أن سنى الله
تعالى من استصراخ أمير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب يوسف بن تاشفين ،
معقلي الأحمى - أيده الله - ما سنى ، وأدنى من نأى دياره وشحط مزاره
ما أدنى ، فلم أزل أصل بيني وبينه الأسباب ، وأستفتح إلى ما كنت أتخيل من
نصره الأبواب ، إلى أن ارتفعت الموانع قبله^٨ ، وانتهجت السبل القصية^٩ له ،
ثم أجاز - على بركة الله وعونه - يريش ويبري ، وصار بعد قدماً يخلق
ويفري ، ويتبع وجوه الخزامة [٤٩ أ] كيفما انجهد ويستفري ، وأنا أنجده
بوسعي ، وأسعده على حسب ما يطيقه ذرعى^{١٠} ، إلى أن صرنا معشر الحلفاء

١ أشوى : أصاب الشوى أي الأطراف ولم يكن قاتلاً .

٢ هذه العبارة قلقة هنا ، وكذلك هي في الروض والنفح وأعمال الاعلام .

٣ ط د س : القيمة (ولعل الصواب : العصية) .

٤ م س : الحلفاء .

بِبَطْلَيْوَس - حرسها الله - واتفق رأينا بعد تشاورٍ على قصد قورية^١ - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بذلك ، فصمد من مُحْتَشِدِهِ إليها في جيوشٍ تملأ الفضاء ، وتسدُّ الهواء ، وُثِمْنَعُ أن تقع على ما تحت راياته ذُكَاءٌ ، قد تحصَّنوا بالحديد من قرونها إلى أقدامهم ، واتخللوا من السلاح ما يزيدُ في جرأتهم وإقدامهم ، ولما أشرف على جنابها ، ولستأبها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتَّجه لنا بعدُ ما أردنا من إلماها ، دعاهُ تعاظمه^٢ إلى مواجهة سبيلنا ، وحمله نفجُهُ وهوُّرُهُ على السلوك في مدرَج سبولنا .

وفي فصل منها : قدنونا إليه بمحلاتنا - نصرها الله - ثم اضطربناها^٣ بازائه ، وأطللنا عليه براياتنا^٤ حتى كدنا نركزها بفنائها^٥ ، ورأى - لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضطراً على اللقاء ، وقدَّم بعض أخيبته دَهِشاً في الرقعة التي كانت بيننا على صغرها من بساط الفضاء ، وقد تيقَّن أنه إن أخذ المسلمون مصافهم ، ورتبوا في مواقعهم كواقفهم ، اضطلِّمَ عن آخره جَمْعُهُ ، واجتثَّ أصلُهُ وفرعُهُ ، فاهتبلَ فيما قَدَّرَ غِرَّةً ، وحمل ولم يكن - بحمدِ الله - ما استشعره مرَّةً ، فتنادى المسلمون بشعارهم المنصور ، وأقبلوا عليه وعلى من معه في حالٍ مؤذنة بالظهور والوفور ، فتواقف قليلاً الجمعان ، وتجاول ملياً الفريقان ، وللسيوف حكمها ، ومن الختوف حدُّها المفهوم ورسماها ، ثم صدق أميرُ المسلمين وناصر

١ قورية (Coria) قريبة من ماردة (الروض المطار رقم : ١٥٣) وفي س م : مورية .

٢ م ط : تعاظمه .

٣ م د : أخطربناها .

٤ م : براياتنا .

٥ بفنائها : سقطت من م .

الدين - أيده الله - الحملة ، و صدم في جمع لم يكثر عدد الحملة ، فلم يلبث أعداءُ الله أن ولّوا الأدبار ، واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسلمين - نصرهم الله - بقية اليوم والليله ، تقتلهم في كل غورٍ ونجد ، وتقتضي أرواحهم على حالين من كالمِ ونقداً ، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين - آجرهم الله - إلا من سيلتهمه البُعد ، ويأتي على حُشاشته الجهد ، وأما محلّتهم فانتُهبت في أولِ وهلة ، وشُرِبَت بأسرها في نهلة .

وفي فصل منها :

ولم يُصَبِّ بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول المقام ، وشدّة الاقتحام ، كثيرٌ ، ولا مات من أعلامهم^١ تحت تلك الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان اذفونش - لعنه الله - لم يمت تحت السيوف بدداً ، فسيموت لا محالة أسفاً وكدداً ، ونحمد الله على ما يسره من هذا الفتح الجليل وسناه ، ومنحه من هذا الصنع الجميل وأولاه .

قول أبي بكر فيما كتب به عن المعتمد يومئذ : « ولم يصنبي إلا جرح أشوى » تواتر النبا أنه جرحته يده في ضنك ذلك المأزق .

وقيل في يوم الجمعة أشعارٌ سارت بالمغرب والمشرق ؛

أخبرني أبو بكر الخولاني المنجم قال : كتب إليّ أبو عبد الله بن عباد^٢

١ الكاظم : النسيئة والسلفة ، والنقد : الدفع المعجل .

٢ م : أعاليهم .

٣ يعني أبا عبد الله محمد بن عباد المعروف بابن القزاز .

من المربة بقصيدته في صفة يوم الجمعة ، فارفعت إلى المعتمد على يدي ،
وهي التي يقول فيها ^١ :

وقالوا كفه جُرِحَتْ قفلنا	أعاديهِ	تواقعها الجراحُ
وما أثرُ الجراحة ما رأيتم	فترهبها المناصلُ والرماحُ	
ولكن فاض سيلُ البأسِ منها	ففيها من مجاريهِ انسياح	
وقد صَحَّتْ وسَحَّتْ بالأمانِ	وفاض الجودُ منها والسماح	
رأى منه أبو يعقوب فيها	عُقَاباً لا يُهاضُ لها جناح	
فقال له لك القِدْحُ المَعْلَى	إذا ضُرِبَتْ بمشهدك القِداحُ	

[٤٩ ب] وفي ذلك اليوم يقول عبد الجليل : ويمدح أمير المسلمين وناصر
الدين ، رحمه الله تعالى ^٣ :

فتار إلى الطعان حليفُ صدق	تثورُ به الحفيظةُ والذِّمامُ
نُمي في حميرٍ ونَمَتَكَ نَحْمٌ	وتلك وشائجُ فيها التحام
فيوسفُ يوسفُ إذ أنت منه	كيامن ^٤ . لا وهي لكما نظام
نهجتَ لسيله نهجاً فوافى	وفي آذيه الطامي عِرامُ

١ انظر أبياتاً منها في القسم الثالث من أعمال الاعلام : ٢٤٩ وفي القلائد : ١٣ والمغرب والخريدة

وهي من قصيدة وردت في ترجمة ابن عبادة القزاز في القسم الأول من الذخيرة : ٣٠٨

٢ م س : تواقعهُ .

٣ منها أبيات في المسالك : ١١ : ٢٢١ والخريدة ٢ : الورقة : ٩٩ (في ترجمة عبد الجليل ابن وهبون)

والمغرب : ١٢٠ - ١٢١ والقسم الثالث من أعمال الاعلام : ٢٤٧ - ٢٤٨ والقلائد : ١٣ .

٤ كيامن : مثل يامن (يعني بنيامين أخا يوسف الصديق) وفي أعمال الاعلام : كبا بزلا

وما لكما نظام (وهو غريب) .

فَهَيْلَ بِهِ كَتِيبُ الْكَفْرِ هَيْلًا وَكُلُّ رُقِيقَةٍ^١ مِنْهُ رَكَامٌ
وَصَارُوا فَوْقَ ظَهْرِ الْأَرْضِ أَرْضًا كَأَنَّ وَهَادَهَا مِنْهُمْ أَكَامٌ
عَدِيدٌ لَا يَشَارِفُهُ حَسَابٌ وَلَا يَحْوِي جَمَاعَتَهُ زَمَامٌ
تَأَلَّفَتِ الْوَحُوشُ عَلَيْهِ شَتَّى فَمَا نَقَصَ الشَّرَابُ وَلَا الطَّعَامُ
فَإِنْ يَنْجُ اللَّعِينُ فَلَا كَحْرُ^٢ وَلَكِنْ مِثْلَمَا يَنْجُو اللَّثَامُ

وكان أذفونش قد اضطره الخور يومئذ للفرار ، فتسئم قنن الجبال الشاهقة والأوعار ، إلى أن جنّه ثوب الظلام ، فنجّا منجى الحارث بن هشام . برأس طميرة^٣ وبلحام^٤ . ودخل طليطلة - أعادها الله - مع شيرذمة من أتباعه قليلة ، وبقية من طائفة له مخدولة مغلولة ، فوصف ذلك كله عبد الجليل في هذه القصيدة ، فقال :

فَأَيْنَ الْعَجَبُ يَا أَذْفُونَشُ هَلَاءَ تَجَنَّبْتَ الْمَشِيخَةَ يَا غَلَامُ^٥
سَتَسْأَلُكَ النِّسَاءُ وَلَا رِجَالُ^٦ فَتَخْبِرُ مَا وَرَاءَكَ يَا عَصَامُ^٧

وهذا لفظ أبي فراس في سيف الدولة . وننشد ما قبله لاتصال المعنى به^٨ :

سَلِي عَنِّي سَرَاةَ بَنِي كَلَابِ بِيَالِسَ عِنْدَ مُشْتَجِرِ الْعَوَالِي

١ ط : رقيقة ؛ م : رقيقة ، والرقيقة : التراب اللين .

٢ فيه إشارة إلى قول حسان بن ثابت يعبر الحارث بن هشام بالفرار :

إِنْ كُنْتُ كَاذِبَةُ الَّذِي حَدَّثَنِي فَنَجُوتُ مِنْجَى الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكْتُ الْأَحِبَّةَ أَنْ يِقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طَمِيرَةٍ وَبِلِحَامٍ

٣ هو مثل ، انظر جمهرة العسكري ٢ : ٢٥٥ (تحقيق أبو الفضل) والميداني ٢ : ١٢٣ .

والسان (عصم) .

٤ ديوان أبي فراس : ٣٠٦ .

لقيناهم بأسيافٍ قصارٍ كَفَيْنَ مؤونة الآسَلِ الطَّوَالِ
تدورُ به نساءُ بني قُرَيْظٍ^١ وتَسألهُ النساءُ عن الرجالِ

وفي هذه القصيدة يقول كأنه يخاطب أذفونش :

أَقَمْتَ لَدَى الْوَعَى سَوْقًا فَخَذَهَا	مَنَاجِزَةً ، وَهَوْنًا مَا تُسَامِ
فَإِنْ شَتَّ اللَّجِينُ فَمَنْ سَامٌ	وَإِنْ شَتَّ النَّصَارَ فَمَنْ حَامِ
رَأَيْتَ الضَّرْبَ تَصْلِيًا فَصَلَّبَ	فَأَنْتَ عَلَى صَليِكَ لَا تَلَامِ
أَنَامَ رِجَالُكَ الْأَشْقُونَ ؟ كَلَّا	وَهَلْ يَحْلُو بِرَأْسِ مَنْامِ
رَفَعْنَا هَامَهُمْ فِي كُلِّ جَذَعٍ	كَمَا ارْتَفَعْتَ عَلَى الْإِيكَ الْحَمَامِ
سَيَعْبُدُ بَعْدَهَا الظُّلَمَاءُ لَهَا	أُتِيحَ لَهُ بِجَانِبِهَا اكْتَامِ
وَلَا يَنْفَكُ كَالْخَفَاشِ يُغْضِي	إِذَا مَا لَمْ يَبْشِرُهُ الظَّنَّامِ
نَضًا أَدْرَاعَهُ وَاجْتَابَ لَيْلًا	يُودُّ لَوْ أَنَّ طَوْلَ اللَّيْلِ عَامِ
وَلَيْسَ أَوْانَ لِلْأَيْمِ ^٢ انْسِلَاحُ	وَلَكِنْ فِي ضَمَائِرِهِ احْتِدَامِ

وقوله : « سيعبد بعدها الظلماء » ... البيت : كقول المتنبي^٣ :

[١٥٠ أ] .

وكم لظلام الليل عندك من يدٍ تخبرُ أنَّ المَانُوِيَّةَ تكذبُ

وكقول أبي تمام^٤ :

١ الديوان : إمام من قريظ .

٢ م س : الليل .

٣ ديوان المتنبي : ٤٦٤ والخريدة ٢ : ١٠٠ .

٤ ديوان أبي تمام ١ : ١٩٩ .

جفا الشرقَ حتى ظنَّ مَنْ كان جاهلاً
بدين النصارى أنَّ قِبَلَتَهُ الغربُ

وقوله : « يود لو أن طول الليل عامٌ » ؛ من قول المعري ، وقصر عنه :
يود أن ظلام الليل دام له . . . البيت ^١ ؛ ونقله التهامي نقلاً مليحاً
فقال ^٢ :

وتودُّ لو جعلتُ سواد قلوبها وسواد عَيْنَيْهَا سواد عذارِ

وكانت طوائف الروم ، مدة ملوك الطوائف بأفقنا قد كلب داؤهم
بكلِّ إقليم ، فلاطفوهم بالاحتيال ، واستزلوهم بالأموال ، فلم يزل
دأبهم الإذعان والانقياد ، ودأب النصارى التسلُّط ^٣ والعناد ، حتى
استصفوا الطريف والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن التفاد ، بما كانوا
ضربوا على أنفسهم من الضريبة ، إلى ما يتبعها من هديآت ونفقات ، وشعرُ
العصرِ ، شاهدٌ بالأمر ، كقول حسن بن المصيصي ^٤ يمدحُ المعتمد ويهون عليه
تلك الاتاوات ، من جملة أبيات :

ولم تطوِّدوا المسلمين ذخيرةً	تهينُ كرام المنفسات لتكرما
تجبلُ في فك الأسارى وإنما	تعاقدُ كفاراً لتطلق مسلما
وما كنت ممن شحَّ بالمال والقنا	فتكثر ديناراً وتركز لهذما
فترسله للصقير أصفر عسجداً	وإن خالفوا أرسلت أبيض مخذما

١ تمامه : وزيد فيه سواد القلب والبصر (شروح السقط : ١١٩) .

٢ ديوان التهامي : ٥٥ .

٣ م : التصليط .

٤ ستأتي ترجمته في هذا القسم : ٤٣٣ .

وفي ذلك يقول أبو بكر الداني من جملة قصيدة :

في نصرة الدين لا أعدمت نصرته تلقى النصارى بما تلقى فتخضع
تنيلهم نغماً في طيها نقم سيستضر بها من كان يتنفع
وقل ما تسلم الأجسام من عرض إذا توالى عليها الري والشبع
لا يخطئ الناس عشوا عند مشكلة فأنت أدرى بما تأتي وما تدع

وهذا مدح غرور ، وشاهد زور ، وملق معتف سائل ، وخديعة
طالب ناثل ، وهيهات !! بل حلت الفاقة بعد جماعتهم حين أيقن النصارى
بضعف المنن^٢ ، وقويت أطماعهم بافتتاح المدن ، واضطربت في كل
جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن أخطأه
القتل منهم فلانما هو بأيديهم سبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، حتى
دنوا مما أبادوه من التوثب ، وأشرفوا على ما أمّلوه من التغلب^٣ .
وحصلت مدينة قورية وسرنة أولاً في يد العدو ، إلى عدة حصون
وقلاع ، كلها في غاية من الحصانة والامتناع ، ثم لم يزل التخاذل يترايد ،
والتدابير يتساند ، حتى حلت الفاقة ، وقضيت القضية ، وتعجّلت
البلية ، بحصول مدينة طليطلة في أيدي النصارى ، وذلك في سنة ثمان
وسبعين ، وهي من الجزيرة كنقطة الدائرة ، وواسطة القلادة ، تدركها
من جميع نواحيها ، ويستوي في الاضرار بها قاصيها ودانيها . وفي ذلك يقول

١ ط م س : تسام .

٢ ط د : المن .

٣ وضعنا هذا النص بين أقواس ، لأنه سيرد من بعد في رسالة لمحمد بن أيمن ، فهو ليس
من كلام ابن بسام ، وإنما أورده مقتباً .

بعض الشعراء^١ :

حشوا مطاياكم عن أرض أندلس^٢ فما المقامُ بها إلا من الغلط [٥٠ ب]
فالثوب ينسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منسولاً من الوسط

ولعمري لو^٣ قضى بالسّماع على العيان ، واستغنى بالإقناع عن
البرهان ، واطمأن قلبه إلى التّمويه ، وقد رآه محضاً لا شك فيه ؛ لكان
كلام الداني أبي بكر ، في ذلك المعنى المتقدم الذكر ، برتبة ذلك أليق ،
وفي حليته أجمع وأسبق ، حتى لو سمعه الحارث بن هشام ، لعلم
أنه قد ترك في حمد المذموم ، ومعارضة الصحيح بالسقيم ، طلقاً شاسعاً ،
ومجالاً واسعاً .

وأول من حسن الفرار ، فما وقع ولا طار^٤ ، الملك الضليل حيث
يقول^٥ :

وما جبنت خيلي ولكن تذكّرت^٦ مرابطها من بربعيص وميسرا^٧

ثم تتابع الشعراء في خدع العقول ، بالتّمويه المستحيل ، فمن مُحسن
برّر ، ومن مقصّر عجز ، ومن أحسن ما ورد في ذلك قول حسان^٨ :

١ هو ابن العسال الزاهد عبد الله بن فرج اليحصبي ، انظر النفع ٤ : ٣٥٢ .

٢ في النسخ : لقد .

٣ م : عار .

٤ ديوان امرئ القيس : ٧٠ .

٥ قيل إن بربعيص بنواحي حلب ؛ وفيها وفي ميسر كانت وقعة فيما يبدو .

٦ ديوان حسان ١ : ١٧ .

نوليها الملامة إن المُنَا إذا ما كان مغثٌ أو لحاء^١
ونشرها فتركنا ملوكاً وأسنداً ما يُنهنهنَّ اللقاء

الآيات ، حتى قال الحارثُ بن هشام قطعتهُ في حُسْنِ الفرار ، التي
التي صارتُ نهايةً في العجب ، وشهادةً في تحسين نتائج الحرب ، وهي
قوله^٢ :

الله يعلمُ ما تركتُ قتالهم حتى علّوا فرسي بأشقرَ مزيدي
ونشيتُ ريحَ الموتِ من تلقائهم في مأزقٍ والخيلُ لم تبددِ
وعلمتُ أني إن أقاتِلُ واحداً أقتلُ ، ولا يضررُ عدوي مشهدي
فصدتُ عنهم والأحبةُ فيهم طمعاً لهم بعقابِ يومٍ سرمدِ

وسمعا بعض العجم فقال : قاتلكم الله معشرَ العرب ، حَسَنَتْكُمْ كُلُّ
شيءٍ حتى الفرار .

ومن أسحر^٣ ما وردَ في ذلك للألباب ، وأخذَ عِـهِ عن الصواب ،
قولُ ابنِ الرومي في سوداء ، وقد تقدم في ما مرَّ من الكتاب^٤ :

أكسبها الحبَّ أنها صُبِغَتْ صبغةَ حبِّ القلوبِ والحدقِ
إلى ما لا يُحصى عدده ، ولا يُستقصى أمدُه .

١ المَغْثُ : القتال ؛ اللِحاءُ : السباب ؛ المُنَا : فعلنا ما نلام عليه .

٢ حماسة البحري : ٥٠ ونسب قريش : ٣٠٢ والسيرة : ٢ : ١٨ والعقد : ١ : ٤٠ .

٣ م : أبهر .

٤ انظر زهر الآداب : ٢٣٠ وتشبيهات ابن أبي عون : ٢٣٦ والقسم الأول من الذخيرة : ١٥٠ .

والفيث : ٢ : ١٦٠ .

ومن الشاهد أيضاً على ما تقدم من الأوصاف رقاغ رأيتها تكتب يومئذ
بأحد بيوت الأشراف ، خوطب بها العمال ، في استعجال قبض تلك
الأموال ، منها رقعة عن المعتمد قيل فيها :

الحال مع العلوّ - قصمه الله - بيّنة لا تخفى ، ومداراته - ما لم تمكن^١
مضاهاة - أرلى وأحرى^٢ ، والتزيم له في الصلح المتفق عليه جملة مال
رسم عليك منه - بعد النظر لحالك ، والتحاشي من الإجحاف بمالك - كذا ؛
فعجل النظر فيه ، وابعثه بكتاب تجاوب على ظهره بوصوله ، وبحسب
تعجيلك أو تأخيرك يكون الاستدلال على طيب نفسك ، وصدق ضميرك ،
فتدارك بالمشاركة في هذا الخطب الملم^٣ المهم الذي لا محيد عنه ، ولا
بد منه .

وأخرى خوطب عنه بها قواد البلاد في هذا المعنى : الحال مع العلوّ -
قصمه الله - بيّنة لا تحتاج إلى جلاء ولا كشف ، معروفة لا تفتقر إلى
نعت ولا وصف ، ومن لا يمكن مقاوamته ومخاشته . فليس إلا مداراته
وملايئته . وكان - قل الله حدّه ، وفضّ جنده - قد اعتقد الخروج في
هذا العام إلى بلادنا - عصمها الله - بأكتف من جموعه في العام القارط
وأخفل ، وأبلغ في استعداده وأكمل ، إلّا أنّ الله تعالى يسّر من إنايته
إلى السّلم ما يسّر ، ونظر لنا من حيث لا نستطيع أن ننظر ، ووقع
[١٥١] الاتفاق معه على جملة من المال تُقدّم إليه ، ونستكف بها الشرّ

١ ط م د : تكن .

٢ م : وأجدى .

المرهوب^١ لديه ، فكم حال كانت بخروجه تشلّف ، ونعمة بأيدي طاغيته
تُنتسَف ، والرعيةُ - حاطها الله - في هذا العام على ما يقتضيه ما عمّ
البلاد من الفساد ، وشملتها من جائحة القحط والجراد ، وتكليفها أداء
شيء من المال الذي التزم مرتفع ، وأخذها بالمعونة على ما ناب مُستنِع ،
فلم يبق إلا أن نميل بهذه الكلفة على الخدمة ميّلا العموم ، ونجربهم
فيها على أحسن مجاري التحرير والتقويم ، وهي حال تقتضي من كل
من أحسن التأمل المعونة فيها ، والمبادرة بحسب طاقته إليها ، وقد أدرجت
طبي رُفْعِي هذه قِنْدَاقاً^٢ تُسمّى الخدمة قبلك فيه ، ورُسِمَ على كل
واحد منهم ما توجه حاله وتقتضيه ، فتقدم في ما نصصته من الحال إليهم ،
وكلمتهم بما يخفف الحال عندهم ويسهلها لديهم ، ولتقبض ذلك كله
في أعجل ما يمكن ، فالحاجة إليه وكيدة ، والضرورة حافزة شديدة .

قال^٣ : ولما كلب العدو - قصمه الله - في ذلك التاريخ ، وأعضل دأؤه ،
وجعل يبطأ بلاد المسلمين ، آمناً لا يخاف ، وآسأ لا يستوحش ، مُقْدِماً
لا يكع ، ومجتزئاً لا يرتدع ، ينزل بساحات القواعد الرفيعة ، والقلاع
المنيعه ، فيعفي الآثار ، ويستبيح الدمار^٤ ، ويهتك مَصُون الأستار ، ورِمَت

١ ط : الموهوب .

٢ ط : متدماً ؛ م س : قنداماً ؛ وبياض في د ؛ والقنداق لفظة يونانية تعني « بيان » أو
« براءة » مدرجة ضمن رسالة أو رقعة ، كما يفهم من النص أعلاه .

٣ قال : سقطت من م د س .

٤ في النسخ : كمل .

٥ ط : ومجرماً .

٦ كذا ولعلها « الديار » ، وهي غير واضحة في م .

لها الأنوف ، واستُعْذِبتَ معها الختوف ، وحميت منها النفوسُ الأبيّة ،
والعدوّ في كل ذلك ثلجُ الفؤاد ، رابطُ الجأشِ ، لا يرقبُ سنانَ دافعٍ ،
ولا يبدو له وَضَحُ سيفِ مدافعٍ ، لأنَّ أكثرَ ماوكِ هذا الإقليمِ ، كانوا
يداخلون طوائفَ الرومِ ، ويكتري كلُّ واحدٍ منهم عسكرياً بمحملةٍ من المالِ ،
يُخْرِجُهُ إلى بلدٍ كاشيحه . ويسلّطُهُ على معانده ممن يجاورُهُ من
البلادِ ، حسداً له وطمعاً في بلده أنْ يصيرَ طَوْعَ يده ، فكانت نيرانُ
الفتنةِ بينهم مشتعلةً ، والرعيّةُ مهملةً ، لأنَّ جُمْلَةَ غلاتهم ، وجميعِ
اعتمالاتهم ، كانت تلتفُّ بأيدي تلك الطواغيتِ ، الخارجةِ إليهم في أكثرِ
المواقيتِ ؛ وما كان يفلتُ من الخرابِ يَغْرَمُونَهُ في المغارمِ ، وما يُجَسِّمُونَهُ
من المجاشمِ ، فقطعوا أَيْامَهُمْ بقرعِ الظنائبِ ^١ ، وشرعِ الأنابيبِ ، نكاياتِ
قَعْدَةٍ ، لا نكاياتِ مَرْدَةٍ ، إذ كان كلُّ واحدٍ منهم يخفي عن قِرْنِهِ
بقصره ، ويطلُّ الهزَّ لسيفٍ غيره . ويسلُّه على جاره ، حتى غدا ذلك
السيفُ مسلولاً عليه ، كما قال أبو تمام ^٢ :

عَبَأَ الكمينَ له فظلَّ لَحِينِهِ وكنينهُ الملقى ^٣ عليه كمينُ

لأنَّ النصراني لما اطلعوا على عوراتهم : زحفوا بطوائفهم إليهم ،
ولما لم يبق إلا نفَسٌ خافتٌ ورَمَقٌ زاهقٌ ، ورأى المسلمون أنَّهم بالجزيرة
على طرف : وفي سبيل ^٤ تمام وتلف ، استصرخوا أميرَ المسلمين وناصر

١ قرع للأمر ظنوبه (وهو عظم الساق) : استعد له وتهياً .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٠ .

٣ الديوان : المخفي .

٤ ط : نافق ؛ س م : راق .

٥ م د : سيل .

الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأجاز إلى جزيرة الأندلس في صدر سنة تسع وسبعين ، وبادر بنفسه وجماعته عجالاً ، وتداركوها ركبناً ورجالاً ، ونفروا نحوها خفافاً وثقالاً ، والتجّح يقدّمهم ، والفلج يصحبهم ، فكان من الفتح يوم الجمعة المؤرخ ما كان : صرع الله فيه عبدة الطواغيت ، ووفد عليه عوضاً من آلاف دنائير الأموال . ضعّفهم من الفرسان الأبطال ، ففي ذلك يقول عبد الجليل من جملة قصيدة :

أَتُنْكِرُ الْعُجْمُ أَنَّ الْعَرَبَ سَادَتَهَا	وتشهد البيض والخطية السمير
لَمَّا تَعَارَضَ دُونَ الشُّكْرِ كَفَرَهُمْ	عادت بوادر فيهم تلکم البدر
وَهَبَّ عَنْ كُلِّ دِينَارٍ لَهُمْ بَطْلٌ	كخالص التبر مسبوك ومختبر
فَلْيَقْبَلُوهَا أَلُوفًا مِنْ أَسُودٍ وَغَى	تزكو على السبك لا جبن ولا خور
وَلْيَرْقُبُوا مِنْ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَمَنْ	مؤيد الدين ليلاً ما له سحر [هـ ب]
لَمْ يَهْشَمُوا الثَّغَرَ إِذْ عَائَتْ أَكْفَهُمْ	لو يعقلون ولكن تلکم الثغر
وَلَيْسَ مَا غَيَّرُوا إِلَّا لِأَنْفُسِهِمْ	كأنما نبهوا إذ نامت الغير

قوله : « وهبَّ عن كل دينار لهم بطل » . . . البيت ، نبهه على هذا المعنى المتنبي بقوله ٢ :

ولو كنت في أسر غير ٣ الهوى	ضمنت ضمان أبي وائل
فدى نفسه بضمان التضار	وأعطى صدور القنا الذابل
ومناهم الخيل مجنوبة	فجئن بكل فتي باسل

١ د : تعرض .

٢ ديوان المتنبي : ٢٥٩ .

٣ م ط : غير أسر ، وهي رواية أخرى .

وفي يوم الجمعة يقول أيضاً ابنُ جمهور^١ من جملة قصيدة :
 لم تعرف العُجمُ إذ جاءتْ مُصمَّمةٌ يومَ العروبةِ أنَّ اليومَ للعربِ
 وهذا ينظر إلى قول أبي تمام^٢ :

لئن كان نصرانياً النهرُ آلسٌ لقد وجدوا وادي عقرقر قسَ مسلماً^٣
 وفي ملوك الأندلس يقول أبو الحسن ابنُ الجدد^٤ يمدحُ أميرَ المسلمين
 وناصر الدين ، رحمه الله :

في كلِّ يومٍ غريبٌ فيه مُعتَبَرٌ	نلقاهُ أو يتلقانا به خَبَرٌ
أرى الملوكَ أصابَتْهُمْ بأنْدلسٍ	دوائرُ السَّوءِ لا تُبقي ولا تَدْرُ
قد كنتُ أنظرها والشمسُ طالعةٌ	لو صحَّ للقومِ في أمثالها النظر
ناموا وأسرى لحم تحت الدجى قدَرٌ	هوى بأنجمهم خَسفاً وما شعروا
وكيف يشعرون في كفه قدَحٌ	تخلو به مُذهلاتُ الناي والوتر

١ في النسخ ابنُ جمهور ، والتصويب عن الحلقة ٢ : ١٠١ حيث ذكر أنه أحد أدباء اشبيلية .
 وابنُ جمهور ليس من اشبيلية ، وقد عرف محقق الحلقة بمن اسمه عبد الله بن أحمد بن جمهور
 ومن المستبعد أن يكون هو الشاعر المقصود هنا ، لأن عبد الله ولد سنة ٥١٦ هـ أي بعد الزلافة
 بشماني وثلاثين سنة .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٢٤٢ .

٣ نهر آلس وادي عقرقر ببلاد الروم ، وكان عند الأول نصر الروم وعند الثاني نصر للمسلمين .
 ٤ ترجم ابن سعيد (المغرب ١ : ٣٤٠) لأبي الحسن بن محمد بن الجدد ، الذي سترجم له ابن
 ابن بسام في هذا الجزء ويكنيه بأبي الحسين (والكنتين تنبادلان في المخطوطات) فلعنه هو
 المعنى هنا .

صَمَتَ مَسَامِعُهُ عَنْ غَيْرِ نِعْمَتِهِ
تَلَقَاهُ كَالْعَجَلِ مَعْبُوداً بِمَجْلِسِهِ
وَحَوْلَهُ كُلُّ مُغْتَرٍ وَمَا عَلِمُوا
فَقُلْ لِمَنْ نَامَ أَصْبَحَتْ، انْتَبَهْ، فَلَقَدْ
وَانْظُرْ إِلَى الصَّبْحِ سَيْفًا فِي يَدِي مَلَكٍ
يُرْعَى الرِّعَايَا بِطَرْفِ سَاهِرٍ يَقْظِ
رَدُّوا مَوَارِدَ قَدْ أوردتم حَقَقًا
كَأَنِّي بِكُمْ قَدْ صَرْتُمْ سَرَّاءَ
أَمَاتَكُمْ قَبْلَ مَوْتٍ^٢ سَوْءٍ فَعَلَكُمْ^١
فَمَا تَمَرُّ بِهِ الْآيَاتُ وَالسُّورُ
لَهُ خُورٌ وَلَكِنْ حَشَوهُ خُورُ
أَنَّ الَّذِي زَخَرَفَتْ دُنْيَاهُمْ غَرَّرُ
مَضَى لَكَ اللَّيْلُ بُحْتًا وَانْقَضَى السَّحَرُ
فِي اللَّهِ مِنْ جُنْدِهِ التَّأْيِيدُ وَالظَّفَرُ
كَأَنَّ رَعَايَا بِطَرْفِ سَاهِرٍ عَمَرُ
بِهَا الْأَنَامَ وَلَكِنْ مَا لَكُمْ صَدْرُ
وَمَا لَكُمْ فِي الْوَرَى عَيْنٌ وَلَا أَثَرُ^٣
وَكَيْفَ بِالذِّكْرِ لَمْ تَحْسُنِ السَّيْرُ

رجعت إلى إيراد فصول من ترسيل ذي الوزارتين المذكور

فصول من رقعة كتبها عنه إلى صاحب القلعة ، قال فيها ^٢ :

ورد كتابك الذي أنفدته من وادي منى مُنْصَرَفَكَ من الوجهة
التي استظهرت عليها [٥٢ أ] بأضدادك ، وأجحفت فيها بطارفك وتلادك ،
واخفقت من مَطْلَبِكَ ومِرَادِكَ ، فوقفنا على معانيه ، وعرفنا المصريح به
والمشار إليه فيه ، ووجدناك تتجنى وتُشْرَبُ على مَنْ لَمْ يَسْتَوْجِبِ الثَّرِيبَ ،

١ سقط البيت من م .

٢ م ط : صوت .

٣ هذه الرسالة موجهة إلى صاحب قلعة بني حماد على لسان يوسف بن تاشفين ، كما قال في
القلائد : ١٠٥ والحريدة ٣ : ٢٨٥ .

وتجعل سببَكَ حَسَنًا ، وَمُنْكَرَكَ^١ معروفًا ، وخطأك^٢ صوابًا بيِّنًا ،
وتقضي لنفسك بفَلَج^٣ الخصام ، وتوليها الحجَّةَ البالغةَ في جميع الأحكام ،
ولم تتأَوَّلْ^٤ أن وراءَ كلِّ حُجَّةٍ أدْلِيَّتُهَا ما يَدْحَضُهَا ، وإزاءَ كلِّ^٥
دعوى أبرمتها ما يَنْقُضُهَا ، وتلقاءَ كلِّ شكوى صَحَّحَتْهَا ما يُمَرِّضُهَا ،
ولولا استنكاف الجدالِ ، واجتنابُ ترددِ القيلِ والقالِ ، لَنَصَصْنَا^٦
فصولَ كتابك أَوَّلًا فَأَوَّلًا ، وتقرينَها تفاصيلَ وَجُمَلًا ، وأضفنا إلى كلِّ^٧
فصلٍ ما يُبْطِلُهُ ، ويُخْجِلُ من يتحلهُ^٨ ، حتى لا يدفعَ لصحتهِ^٩ دافعٌ ،
ولا ينبو عن قبُولِ أدْلِيَّتِهِ راءٍ ولا سامعٌ ، ولا يختلفُ اعترافًا به دانٍ
ولا شاسعٌ .

وفي فصل منها : ونشُدُّكَ الله الذي ما^{١٠} تقوم السماء والأرض إلاَّ
بأمرِهِ ، ألم نكنْ عندما نزعَ الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد بن يوسف ،
رحمه الله ، وتفاقم الشَّنَانُ ، قد توفّرنا على ما كان بالحال من إقلاقٍ ، وتأخّرنا
عمَّا كانتِ النِّصْبَةُ^{١١} تستقدّم إليه من بدارٍ أو سباقٍ ، ولم نَمُدَّ^{١٢} الجهةَ حقَّ
إمدادها^{١٣} ، ولا كثرنا فوق ما كان يلزم من جماهيرِ أعدادِها ، ولا عدَدَنا

١ القلائد والحريدة : ونكركَ .

٢ القلائد والحريدة : وخلافك .

٣ م ط سر : يصلح .

٤ القلائد : لقصصنا ؛ الحريدة : لفضضنا .

٥ ط : ويخجل من حجته .

٦ القلائد والحريدة : حجته .

٧ د والقلائد : لا .

٨ د : القصة .

٩ م ط : امتدادها .

عن^١ جهادِ المشركين ، ولا أقبلنا إلاّ على ما يحوط حريمَ المسلمين ، رجاءً أن يثوب استبصار ، أو يقع إقصار ، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشّد . وتقوم بحميّةٍ وتقعّد ، وتبرق غضباً^٢ وترعد ، وتستدعي ذؤبانَ العرب وصعاليكهم من مُبتعدٍ ومقرب ، فتعطيهم ما في خزائنك جزافاً ، وتنفق عليهم ما كَنَزَه أوائلك إسرافاً . وتمنح أهلَ العشرات مئين وأهلَ المئين آلافاً : كلّ ذلك تعتصد بهم ، وتعتمد على تعصّبهم لك وتألّبهم^٣ : وتعتقد أنهم جُنّتكَ من المحاذير ، وحماك^٤ دون المقادير ، وتذهلُ عمّاً في الغيب من أحكام العزيز القدير^٥ .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤمّ العدوَّ - قصمه الله - فنجهه ونكافحه ، فنقدعه^٦ ونناطحه ، ونتحيّفُه من أقطاره ، ونغزوه بدماءٍ وتعقيباً في عُقر داره ، إلى أن استجمعت أخيراً واستجشت ، وترجعت إلى عرفانك وأجهشت ، ولولا ماؤك^٧ الذي ثَمَلوه ، وشارفوا^٨ إلى أن يستنفدوه ، ما أووا لشكواك ، ولزاحوك ضغناً على إبالة بلواك ، وإنك لتنداي منهم بسمٍ ، ومستريح إلى غمٍّ ، فبلغت معهم ما بلغت ، وأرغمت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو واقداً أخذناه بمخنته ، وأضفنا

١ القلائد : ولا عنانا غير .

٢ القلائد والخريدة : : غيظاً .

٣ القلائد والخريدة : وحمائك .

٤ م ط س : القادر .

٥ س د : فننده (اقرأ : فنبده) .

٦ م س د وخ بهامش ط : مالك .

٧ ط : وشاربوا .

أنشودة وَهَقِ الخَزْيَ على عنقه . وأشفى على انقطاع ذَمَائِهِ وَرَمَقِهِ ،
فَفَرَّجَتْ عَنْهُ كَرْبَةً لَمْ يَظْنُهَا تَنْفَرَجُ ، وَنَهَجَتْ لَهُ مِنْهَا وَجْهَ مَخْلَصٍ لَمْ يَحْسَبْهُ
يُنْتَهَجُ ، وَأَخْلَيْتْ^١ وَجْهَهُ لِأَذَى الْمُسْلِمِينَ يُبْدِيهِ وَيُعِيدِهِ ، وَبَسَطَتْ
فِيهِمْ يَدَهُ وَكَانَتْ فِي جَامِعَةِ تَقْصُرُهُ عَمَّا يَرِيدُهُ ، وَلَوْ أَنَّ صَاحِبَ رُومَةَ^٢
الْمَشْتَمَلِ مَعَهُ بَعَاءَةُ الْكُفْرِ وَالشُّرْكِ ، الْمُنْتَحِلَ مَا يَنْتَحِلُهُ مِنْ كَلِمَةِ الزُّورِ
وَالْإِفْكِ ، يَكُونُ مَكَانَكَ مِنْ جَوَارِنَا ، وَيَصَاقِبُ كَمَا صَاقَبْتَ قَاصِيَةَ دَارِنَا ،
مَا أَتَى مِنْ نَصْرِهِ فَوْقَ مَا أَتَيْتَ ، وَلَا تَوَلَّى مِنْ انْتِشَالِهِ ، وَالسَّعْيِ فِي اسْتِقْلَالِهِ ،
إِلَّا بَعْضَ مَا تَوَلَّيْتَ ، وَلَا أَنْحَى عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَضَارَةٍ إِلَّا بَدُونَ مَا أَنْحَيْتَ ،
وَلَا بَغَاهُمْ خَبَالًا^٣ بِأَكْثَرِ مِمَّا بَغَيْتَ .

وما في تلك الجزيرة - عصمها الله - من صالح ولا طالح إلا ما يعرضُكَ
على الله تعالى ، ويرفعُ إليه فيكَ عَقِيرَتَهُ بِالشُّكْوَى ، وَكُلُّ مَا سَفَكَ مِنْ
دَمٍ ، وَانْتَهَكَ مِنْ مُحَرَّمٍ ، وَاسْتَهْلَكَ مِنْ ذَمٍّ ، فَإِلَيْكَ مَنْسُوبٌ ، وَعَلَيْكَ
مَحْسُوبٌ ، وَفِي صَحِيفَتِكَ مَكْتُوبٌ ، وَمَوْعِدُ الْجَزَاءِ غَدًا وَإِنَّهُ لَقَرِيبٌ ،
فَانْظُرْ مَا أَنْجَحَ أَتْرَاكَ ، وَأَرْبَعَ مَتَجَرَّكَ ، وَأَصْلَحَ مَوْرَدَكَ وَمَصْدَرَكَ .

وله من أخرى عنه إلى الفقيه قاضي الجماعة [٥٢ ب] بقرطبة أبي عبد
الله بن حمدين^٣ : وصل كتابك فوقفنا على معانيه ، وأحصينا المجمل والمفضل

١ ط م : وأجلت .

٢ س م ط : ولولا صاحب رومة .

٣ هو محمد بن علي بن عبد العزيز بن حمدين التغلبي ، أبو عبد الله ، كان من أهل التفتن
في العلوم ، حافظاً ذكياً تولى القضاء بقرطبة سنة ٤٩٠ وبقي في منصبه إلى أن توفي سنة ٥٠٨
(الصلة : ٤٣٩ - ٥٤٠) وانظر القسم الأول : ٨٣٩ (الحاشية : ٤) وفي ما جاء هنا
تصحيح لما ورد هناك حول أبي عبد الله قاضي الجماعة .

مما ذكرته فيه ، والذي أومأت إليه من أن الأمر الذي وليته ذو شغوبٍ
 مُشغِبَةٍ ، وأشغالٍ على مُحَاوِلِهَا صَعْبَةٍ ، حقّ لا امتراء فيه ، ولا غطاءً
 عليه من مُحَصِّلِيهِ ، ولذلك ما اختير له ، على وجه الزمان ، أهلُ المنَنِ من
 أولى الديانة والصيانة ، الذين نرجو أن تكون منهم محسوباً ، وفي صدرِ
 ديوانهم مكتوباً ، فاستهد الله يهدك ، واستعن بالله يعنك في صدرِكَ وَوَرْدِكَ ،
 وتولّ ١ القضاء الذي ولّكه الله بجِدٍّ وحزم . وجَلَدٍ وعزم ٢ ، وأمضِ
 القضايا على ما أمضاها الله تعالى في كتابه وسنة نبيه ، ولا تبال ٣ برغمٍ راغمٍ ،
 ولا تشفق ٤ من ملامةٍ لائمٍ ، وآسٍ بين الناس في وجهك وعدلك ، ومجلسك ،
 حتى لا يطمع قوياً في حيفك ٥ ، ولا ييأس ضعيف من عدلك ، ولا يكن
 عندك أقوى من الضعيف حتى تأخذ الحق له . ولا أضعف من القوي حتى
 تأخذ الحق منه ، وانصح لله تعالى ولرسوله عليه السلام ، ولنا ولجماعة
 المسلمين .

وقد عهدنا إلى جماعة المرابطين أن يسلموا لك في كل حق تمضيهِ .
 ولا يعترضوا عليك في قضاء تقضيهِ ، ونحن أولاً وكلهم آخرأ مذ صرت
 قاضياً ، سامعون منك ، غير معترضين في حقٍ عليك ، والعمال والرعية
 كافة سواء في الحق ، فان شكت إليك بعاملٍ وصحّ عندك ظلمه لها ، ولا
 يتجه في ذلك عمل غير عزله ، فاعزله ، وإن شكا العامل من رعية خلافاً

١ س ط د : وتولى .

٢ وجلد وعزم : سقطت من م .

٣ ط د م س : تبالي .

٤ م : وعالك .

٥ س : لديك .

في الواجب فأشككه منها وقومها له ، ومن استحقَّ من كلا الفريقين الضربَ
والسجنَ فاضربهُ واسجنهُ . وإن استوجبَ الغُرمَ في ما استهلك فأغرمهُ ،
واسترجع الحقَّ شاءَ أو أبى من لدنه ، والأمرُ في استكفاء من يكفيك ،
ويُغني في بعض الأمور عنك ، إليك ، ولا نشيرُ بشيء عليك : وتصرفك
أحياناً في إصلاح صنعتك وترقيع معاشك . غيرُ مُضَيِّقٍ عليك فيه ،
فاعلمه .

وله من أخرى عن المعتمد إلى ابن صمادح : إنما أشاركك^١ - أيتك
الله - في النعمة بأسوغها ، وأطالعك^٢ في الهمة بأبلغها . لما أعلمه علمَ
اليقين . وأتوسمه توسم الصبح المين^٣ . أنك بكريم عهدك . وسليم ودك ،
تأخذ من ذلك بالخطِّ الأوفى ، وتضرب في الارتياح له بالقدحِ المعلنِ ،
وأنفذته من حصن لبيط^٤ - سهلَ الله مرامه . وأعاد إلى يد المسلمين زمامه
- وقد جرى بين فرسان من النصارى وبين سرعانٍ من الجند - نصرهم
الله - عند إطلالي عليه تناوش أطمعَ فيهم ، ودلَّ بأنه قد سُقطَ في أيديهم ،
ثم صوبجوا يومَ كذا بالحرب ، وكوفحوا إلى أخرةٍ بالغرب^٥ . بالطعنِ
والضربِ ، وانصرفوا ولاذوا بالانحجارِ ، واحتجزوا بالجلدرانِ والأسوارِ ،
ولم يكنْ واحد منهم يثور إلا إلى حمام . ولا يبدي جارحةً إلاً إلى سَهْم

١ م ط س : إشارتك : خ بهامش ط : أشاركك .

٢ د : وأطلمك .

٣ خ بهامش ط : المستبين .

٤ م ط س : س ط ؛ د : لبيط (وهذا الوجه الأخير يكثر وروده) .

٥ ط : بالضرب .

رام ، وفي خلال ذلك ما أمرتُ بِشربهمُ فَعُورَتُ^١ منابِعُهُ ، وَقَطَعَتُ
مِشَارِعُهُ ، وحصلوا منّا ومن العَطَشِ تحتِ محارِبَيْنِ : ظاهرٍ وباطنٍ ،
وعرضةً لمجاولين : مستترٍ وعالين .

وغيرُ ذاهِبٍ على أحدٍ ما تقتضيه هذه الحالُ المبهجةُ بما يخالفها على علو
كعب الإسلام ، وينصب على الشركِ وأهله من سوء الانتقام ، بعد البلوغ
من الشكر لله تعالى إلى الغاية القصوى ، من اختصاصِ أمير المسلمين وناصر
الدين ، أبي يعقوب حليفنا^٢ الأعزّ - أيده الله - بقسمٍ من الشكرِ وافرٍ ،
وحظٍّ من الثناء والنثر^٣ ظاهرٍ ، فانه الذي نهجَ بنفسه الكريمة - سنّاها الله - هذه
السبيلَ ، وتجنّشَ فيها المجاشمَ حتى أذلَّ من المشركين العزيزَ وأعزَّ من المسلمين
الذليلَ . ثم لم يشغله - دام تأييده - عن صلةِ أيدينا بعد ذلك أمرٍ . ولا ثناه
عن النظر لنا عُدْرٍ .

وفي فصل منها : وكان نفوذِي إليها من لوزقة^٤ بعد أن تملّكتُ قصابيها ،
وتولّجتُ على ما اقترحتُ أبوابها ، وكان تخلّي سعدٍ الدولة أبي الأصمغ
ابن لبون^٥ عنها على أفضل حال وأجمعها . بما [٥٣ أ] شئت من إلفاف

١ م د : فعورت .

٢ ط د : خليفنا .

٣ كذا ورد في م ط د .

٤ لوزقة (Lorca) من أكبر مدن ولاية مرسية (انروض رقم : ١٦٢) .

٥ ط : ليون ؛ وأبو الأصمغ سعد الدولة هذا ذكره ابن سحيد في المغرب (٢ : ٢٧٥) وذكر
أنه ولي لوزقة بعد أخيه أبي عيسى ابن لبون (الذي ترجم له ابن الأبار في الحلة ٢ : ١٦٧)
ثم صارت للمعتمد كما يذكر ابن القصيرة في هذه الرسالة .

وإجمال : يأسر وتساهل ، وتقاصر حيث كان له أن يتناول ، رأياً أدرك منه على صغره ، وقصر ما قطعته من مسافة عمره ، ما يعجز عنه الكهل المجرب ، ويقصر دونه الحول القلب . وتأملت ذلك منه - أبقاء الله - حق التأمل ، ونظرت إليه بعين الملتفت المحصل ، فوفيته الجزاء ، وسرت معه حسبما سار معي إلى ما شاء ، فحصل لي من الناحية ما لا يضاهي معقلاً وبسيطاً ، وعاد الشمل محوطاً والأمر مبسوطاً ، والعاجز الكاسل حازماً نشيطاً ، ورجع الضيق بها سعة ، والهرج^٢ بحمد الله دعة .

ومن جواب ابن صمادح ، من إنشاء ابن الوكيل^٣ كاتبه : إلى مخاطبتك - أيدك الله - تسكن النفس ، وبمطالعتك يتمكن الأنس . فما تزال - والله يُعْلي كعبتك ، ويجعل الأيام والليالي أنصارك وحزبك - تطلع من الاهتبال ، في وفق الإجمال ، ما يبدو ويتبين مع البكر والآصال - لا أعدمك الله معلومة تبديها ، ومنقبة تنافس همم الكرام فيها .

وورد كتابك مفتوحاً بما كان من صنعه تعالى الكفيل ، وبلائه الجميل ، ومنه المتابع الموصول ، في احتلاك بليط^٥ - سره الله ، وأحلّ الهلاك بمن احتواه - وما كان من ذلك التناوش الذي أبدى مخايل الاعتلاء ، وأذن بالملك والاستيلاء ، ولا شك أن من سعى لله وحده ولم يرد الظفر والظهور

١ د : والأمل .

٢ ط : والهرج (وهي قراءة مقبولة) .

٣ لعل المعنى هنا هو أبو بكر عيسى بن الوكيل اليابري الذي عاش إلى أيام دولة المرابطين واستعمل على الكتابة بفرنطة (اعتاب الكتاب : ٢٢٤) .

٤ د : أفق .

٥ د : بليط ؛ ط س م : بليط .

إلا بما عنده ، أنَّ حزْبَهُ مُنْصُورٌ ، وآمالُهُ مُوصُولٌ بِهَا التَّسْهِيلُ والتَّيسِيرُ ،
والْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى مَا مَنَحَ مُتَعَيِّنَيْنِ ، وَمَوْضِعُ الضَّرَاعَةِ إِلَيْهِ فِي الْإِزْدِيَادِ
ظَاهِرٌ بَيِّنٌ ، عَلَى مَا أَوْلَى مِنْ نَعَمٍ ، أَظْهَرَتْ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خُمُولٍ ، وَالشُّكْرُ
لَهُ عَلَى قَسَمٍ ، أَعَزَّتِ الدِّينَ وَقَدْ كَانَ جِدًّا ذَلِيلٍ .

وَتَوَجَّهَ عَلَى مَا ذَكَرْتَ شُكْرُ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ وَنَاصِرِ الدِّينِ أَبِي يَعْقُوبَ ،
حَلِيفِنَا الْأَعَزَّ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - عَلَى مَا أَجْرَى إِلَيْهِ بَدَأَ مِنَ الْخُفُوفِ^١ بِنَفْسِهِ النَّفِيسَةِ
- نَسَاهَا^٢ اللَّهُ - وَمَا اعْتَمَدَهُ عَوْدًا مِنَ الْإِهْتِبَالِ الَّذِي تَوَخَّاهُ ، فَهُوَ الَّذِي
نَهَجَ هَذِهِ السَّبِيلَ ، وَبَرَّدَ اللَّوْعَةَ وَالْغَلِيلَ ، وَأَعَادَ الْحَزْبَ اللَّعِينَ بَعْدَ عِزَّتِهِ
الْحَقِيرِ الذَّلِيلِ .

وَرَأَيْتُ - أَرَاكَ اللَّهُ مُنَاكَ - أَنْ حَرَكْتَكَ الْمِيْمُونَةَ كَانَتْ إِلَى هُنَاكَ مِنْ
لُورَقَةٍ بَعْدَ أَنْ تَمَلَّكَتَ قِصَابَهَا ، وَتَوَلَّجْتَ عَلَى اخْتِيَارِكَ أَبْوَابَهَا ، عَلَى
الصُّورَةِ الَّتِي وَصَفْتَهَا ، مِنْ مُتَابَعَةِ^٣ أَهْلِهَا ، وَانْطِيَاعِ^٤ مِنْ فِيهَا ، نِعْمَةٌ يَعْلَمُ
اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ نَصِيْبِي مِنْهَا النَّصِيْبُ الْأَوْفَرُ ، وَذَنْبِي مِنْهَا الذَّنْبُ الْأَكْبَرُ ،
وَكُلُّ نِعْمَةٍ أَنَاخْتُ بِجَنَابِكَ ، وَحَطَّتْ رَحْلُهَا بِبَابِكَ ، فَإِنِّي فِيهَا الْخَلِيطُ
الْمُسَاهِمُ ، وَالْمُشَارِكُ الْمَقَاسِمُ ، عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْإِخَاءُ ، وَيَسْتَدْعِيهِ الْإِنْتِظَامُ
وَالصِّفَاءُ .

١ ط م د : الختوف .

٢ ط م : نساهها .

٣ كذا في النسخ . ولعلها : مشايعة .

٤ ط م د س : وانطباع .

وله من أخرى عنه : قلّ ما ينفع صلاح الظاهر إذا فسدت الدخلة^١ ، ولا يغني اندمال الخارج ما كانت العلة^٢ ؛ وكتابي هذا يوم كذا وفي ليلة طلّع عليّ الخبر بما تستغربه من غدر أهل فلانة لي ، وعقد السلم بيننا لم يحفّ ميداده^٣ ، وعهد التوافق لم يكدّ بفصل أشهاد^٤ ، فانظر فعلهم ما أقبحه ، وتأملنه فما أفصح^٥ ، واعلم أن غائلتهم لا تطفأ أبداً نائرت^٦ها ، ولا يؤمن على حال نائرت^٦ها .

وله عنه من أخرى ، إثر دخول ابن عكاشة قرطبة^٧ ، وقتله لابنه عباد ، وقد وجدت هذه الرقعة في بعض التعاليق منسوبة لابن الباجي : كتبت على أثر النازل الشنيع ، والرزم الفظيع ، الذي صدّع كبدي ، وفّت في عضدي ، وأثكلني من^٨ كان القرّة لعيني ، ما جرى على الفقيد الشهيد عباد ابني مجلّك - كان - رحم الله مصرّعه^٩ ، وبرّد مَضْجعه^{١٠} ، وقتل قاتله ، ووَفّر لي أجر المصاب فيه .

وشرح هذه الفاجعة ، والقاصمة الهاجمة : تسببت من مثابرة العدو المبين المفتون ، جاري الذميم الحوار^{١١} القبيح الآثار ، ومجاهرة الفاسق المعروف بابن عكاشة ، دليله في سبيل التسلط والعدوان ، وسهّمه إلى أغراض

١ ط م د س : الداخلة .

٢ قص الفتح في القلائد : ١٠ - ١٢ كيف استولى المعتد على قرطبة بمدخلة أهلها وولاه ابنه الملقب بالطاهر « ولم يزل فيها آمراً وناهياً ، غافلاً عن المكر ساهياً . . . إلى أن ثار فيها ابن عكاشة إيلاً وجراً إليها حرباً وويلاً » وقتل الطاهر ؛ وانظر أيضاً النفع ١ : ٦٢٣ - ٦٢٧ وأعمال الاعلام : ١٥١ - ١٥٨ واسم ابن عكاشة « حكم » وانظر ما يلي : ٢٦٨ .

٣ م ط س : تم .

٤ يشير بهذا إلى ابن ذي النون ، كما سيذكر ابن بسام في ما يلي .

التمرد والطغيان ، على السعي الخبيث الذي لا يُصيرُ على مثله إلا منحرفٌ
 عن الملة ، منسلخٌ عن [٥٣ أ] الخير بالجملة ، طَلَبَ الغيرةَ في قرطبة حتى
 أصابها ، وارتقب الفرصةَ حتى ولجَ بابها ، ليلاً في زُمرةٍ من أخابيثِ
 أصحابه ، بعد أن هيَّءَ^١ له فَتْحُهُ ، ودخل المدينة ، وصادفَ
 السَّربَ آمناً غريباً ، والعددَ قليلاً نثيراً ، ويمتَمَ موضعَ المطهرِ بالشهادة ،
 فتنذِرَ بهم وخرج مُطالِعاً للأمر ، فلم يبعدْ أن غَشِيَهُ^٢ المَرَدَّةُ فثبتَ لها
 مدافعاً عن نفسه حتى أفيظت^٣ - رحم الله موقعه فريداً مُسَلِّماً ، وأقره
 في جواره العزيز سعيداً مكرماً .

ثم عاث المذكورُ في البلد . واستثارُ أشباهه من السفلة الأراذل ، في
 استباحة المنازل ، فأجابوه وانضموا إليه ، وصار جمعه منهم وبتوتُ أمره بهم^٤ ،
 وأما سائر الأعلام والأسواط فبرءاءُ من هذه القصة : ناوون عن المشاركة
 في هذه الدنية ، بَغْتَهُمْ^٥ من الحالِ ما لم يعلموا ، ففَوْضُوا وسلّموا ، وبادرتُ
 إلى عَرَضِ ما وقع على فضلِ تأمّلك . ل ترى جيداً هذا العلوّ المطالب ،
 المشاقّ المناصب . وإكبابه^٦ على التسلُّطِ والتمردِ ، إلى أن انتهكَ الحرمةَ

١ قد تقرأ في م : « سني » .

٢ م : غشيته .

٣ ط : أفيضت .

٤ ط د س : واستثار .

٥ م : ومتون ؛ س : وتيور .

٦ زاد في د : معهم .

٧ د : إلا أنهم بفتحهم .

٨ قد تقرأ في م : والبابه ؛ د : والبائه ؛ وفي ط : واكبابه والبابه .

ووتر في الولد^١ ، غير مُبالٍ ببعيد ولا قريب ، ولا مُسْكٍ مخافة إنكارٍ
ولا تثريب ، والربُّ لِبَغْيِهِ بالمرصاد ، والقاطعُ بأمله في الانبساطِ والازدياد .

ذكر الخبر عما دار به نجم قرطبة يومئذ ،

من تغلب ابن ذي النون عليها ،

وعودة المعتمد بعد إليها^٢

قال ابن بسّام: قد قدّمتُ من عَجْبِ المعتمدِ بذاته ، وتوفّره — كان —
على لذّاته ، وتقديره أنه يضبطُ أزمّةَ البلادِ ، ويملكُ رقابَ العبادِ ، وخيلهُ في
الأجلال^٣ ، وكأسهُ في يدِ السّاقِ المختالِ . على مكانه من العلم . ووفورِ
حظّه من الحِلْمِ ، ما فيه كفايةٌ لمن استغنى . وآيةٌ لمن تدبّرَ واجتلى .
وعندما أخرج قرطبة من أيدي بني جهور ، في خبَرٍ قد شُرحَ في القسم الأول
وفُسرَ ، ولأَها ابنه عباداً ، وكان مِحْشَ حَرْبٍ ، ونشأة طَعْنٍ وضرب ،
فَقِيَ لا يبالِي مَنْ لَقِيَ ، ولا إلى أيّ شيءٍ دُعِيَ ، هاجم ابنُ ذي النون في
بعضِ نهْدَاتِهِ إلى قرطبة ، وجيشه قد ملأَ الفضاءَ ، وفات الإحصاءُ ،
فقلَّ أجناده ، واستباح طارِفُه وتلاده ، ونجا ابنُ ذي النون منْجَى أبي نصر ،
بعد ما أعطى على القَسْرِ ، وترجّحَ بين القتلِ والأسْرِ ، لا يحفلُ بما أُخِرَ ،
ولا يُلْوِي على مَنْ تَعَدَّرَ .

١ د : البلد .

٢ نقل دوزي هذا الفصل في ما جمعه من أخبار بني عباد ١ : ٣٢٢ وانظر أعمال الاعلام : ١٤٩

١٥٢ .

٣ م ط ودوزي : الآجال .

٤ انظر القسم الأول : ٦١٠ - ٦١٤ .

غير أن المعتمد لما تهيأت له على ابن ذي النون الجسرة^١ ، وأمكنته^٢ منه تلك الغيرة^٣ ، أدار أمر قرطبة ، وأميرها ابنه ، على أحد عبيده المتجندين ، محمد بن مرتين^٤ . وكان شهاباً لا يضطلي بناره . وأسداً لا يستقر على زاره ، إلا أنه كان من الإدلال بئسه ، والإهمال لنفسه ، والإقبال على كيسه وكأسه ، والغفلة عن عادة الله في جنسه ، آية من آيات الله الذي وكله إلى سوء القدر ، وقتله بيد أضعف البشر ، أحد الرجال المتلصصين ، والدائرة المتمردين ، المتصرفين في صغار المهن ، النابتين في مدارج سيول الفتن . رجل كان يعرف بابن عكاشة . لم تكن له سابقة قديمة ، ولا نباهة معلومة ، قرآشة طارت حول نار الفتنة المبيرة ، المهتكة لمحارم هذه الجزيرة . فترقى من سكنتى الشعب ، والسكون إلى الذئاب ، وانتهاز الفرصة إن أمكنته^٥ في الطارق المتتاب ، إلى تسنم المعقل ، وتدير الأمور الجلائل ، وأذكاه ابن ذي النون عيناً على قرطبة ، في أحد الحصون المصاوبة لها ، وأبعد آماله كانت إخافة سبلها ، وتحيف عملها ، وكان إحدى^٦ الأعاجيب ذكاء لب ، وصرامة قلب ، وتقديماً إلى ضرب ، لا يحل إلا ريشاً يرحل ، ولا يقول إلا بعد ما يفعل ، وابن مرتين في خلال ذلك خال بشيطانه ، ساع في شأنه ، بين بطالته وطغيانه ، كلما حدث عن ابن عكاشة بغرة اهتبلها ، وأشير عليه في أمره بنصيحة كي

١ أبو بكر محمد بن مرتين : ذكره الحجاري وقال إنه كان ينادم ابن افتتاح (المغرب ١ : ٢٤٣) وقد ذكر في النفع ٣ : ٥٠٦ ولقب بالقائد ، وانظر ٣ : ٤٧٤ ، وذكره ابن الخطيب في أعمال الأعلام : ١٥١ ، ١٥٨ وأشار إلى أنه وزر للظافر أثناء توليه قرطبة ، وهو ما يتحدث عنه ابن بسم في هذا الفصل .

٢ دوزي : أمكنت .

٣ م : أحد .

يقبلها [٥٤ أ] أعرضَ عن الصادقِ الخبير ، ودَقَعَ في صدرِ الناصحِ المشير .

حدثني من أثقُ بخبره ، ممن كان بعضُ أبوابِ قرطبةَ يومئذٍ إلى نظره ، أن ابنَ عكاشةَ كان يسري تحتَ الليلِ إلى أحدِ حُرَّاسِها فيخرجُ إليه بعضَ مرَدَّتها ، فيطعمهم ويسقيهم ، ويدبُرُ كيف يفتحُ البلدَ على أيديهم ، ويوليهم الأعمالَ ويَقْطِعهُم النفوسَ والأموالَ ، فأخبرَ بذلك عبادَ بنَ المعتمد ، فقال له : القَ ذا الوزارتينِ الأعلى ابنِ مرتين ، وكان لا يستبدُّ^١ عليه ، ولا يقطعُ أمراً إلا بين يديه ، فأدعى ما كان عنده من ذلك إليه ، فأظهر السرورَ ، ووعد الجددَ والتَّشْمِيرَ ، وقال له : تقدِّمُ إلى فلان وفلان ، جماعةٍ كانت بالحضرةِ من الأعيان ، فليكونوا عندك في العَدَدِ الوافر ، والسلاحِ الظاهر ، فأمرهم عنه فَأَتَمَّرُوا . وتقدَّمَ إليهم بالحضور فحضروا :

في ليلةٍ من جمادى^٢ ذاتِ أُنديةٍ لا يُبْصِرُ الكلبُ في ظلماتها الطنبا^٣

وأقاموا منتظرين لأمره حتى بدا النور ، وتكلم العصفور ، وهو مشغولٌ بجَرِّ ذبوله ، وعصيانِ عَنَدُولِهِ ، فيسوا من نَصْرِهِ ، وجعلوا بعدُ يُلْحَلون في أمره . وتمَّ لابن عكاشةَ تدبيرُهُ ، واستوسق له غيرهُ وتَقِيرُهُ ، فأنتهك حُرْمَةَ قرطبةَ ، سنةَ سبعٍ وستين ، في شِرْذمةٍ قليلةٍ ، وشبابةٍ^٤ كليلَةٍ ، مُعلنين بشعارهم ، متلبثين بين تغريهم واغترارهم ، لم تكن لهم هِمَّةٌ

١ بعد هذه اللفظة بياض عند دوزي ، لا وجود له في النسخ المعتمدة .

٢ من جمادى : سقطت من ط م س .

٣ البيت لمرة بن محكان التميمي ، شاعر مقل إسلامي ، انظر الحماسية رقم : ٦٧٥ .

٤ س م ط د ودوزي : وشاة .

إلا دار عباد ، فثار إليهم عندما أحسَّ بهم ولا أهبةَ إلاَّ إقدامه ، ولا صاحب
إلا حسامه ، فجادلهم بالسيف صلناً ، حتى أذاقوه الموتَ بحثاً ، ثم نهّدوا
إلى دار ابنِ مرتين وهو في منزل راحته ، غافلاً عما نزل بساحته . ذُكِرَ
أنه كان ساعِثُ يُلْعَبُ بين يديه بالكرّج . فعولَ على الفرار . واستترَ
مُدْبِئَةً في بعضِ الأقطار ، حتى انقضتْ أيامه ، وَعَثَرَ عليه حِمَامُهُ ،
أَخْرَجَ من قرطبةَ كأنه يُحْمَلُ إلى ابنِ ذي النون . وقد تَقَدَّمَ إلى
حَمَلَتِهِ ، فطَوَّأ خبره ، وَمَحَوْا أثره .

وبات ابنُ عكاشةَ ليلته يطرقُ دورَ الأعيانِ من أهل قرطبة . يتودَّدُ
إليهم ، ويعرض نفسه عليهم ، فمن أجابه قبله . وَمَنْ أبى عليه لم يعرضْ
له ؛ وأصبح قد انضافَ إليه من بني المحن ، وطغَامِ الفتن ، مَنْ مَنَعَ
منه ، وحسَمَ الأطماعَ عنه . ودعا الكافةَ إلى المسجدِ الجامعِ فاتوه خيفاً
وثقالاً ، وبأيعوه بِطَاءً وَعِجَالاً ، وانثالت إليه طوائفُ الأمدادِ ، وقوَّادُ
الأجنادِ ، فانتظم له الأمرُ ، واستوسق له المِصْرُ ، ولحقَ ابنُ ذي النونِ
بعد ذلك وهو يرى أنه قد وَطِئَ صَلَعةَ النَّسرِ . وأخذ بِمُخَنَّقِ الدهرِ ،
أملأَ طالما عللته به المطامعُ . وهزته ' إليه المضاجعُ ، ولم يزل في يوم دخوله
قرطبةَ يُعْمِلُ الحيلةَ في إقصاءِ ابنِ عكاشةَ من دولته ، وإخراجه عن جملته .

بلغني أنه دَخَلَ على ابنِ ذي النونِ يوماً . وقد رفل في الشارة ، وتقلَّدَ
مُشْنَى الوزارة ، فرحَّبَ به وأدناه . وهشَّ إليه وناجاه ، فلما
خرج تنفَّسَ الصُّعْدَاءَ ، وأتبعه نظرةَ شواءٍ ، وهَيَّئَ بكلمةٍ عوراءَ ،

١ م ط : وهذته ؛ خ بهاش ط : وهزته .

فكَانَ بَعْضُ الْحَاضِرِينَ أَنْكَرَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ يُطْرِي ابْنَ عَكَاشَةَ ، وَيَذْكُرُ حُسْنَ بِلَائِهِ ، وَيَنْبَهُ عَلَى مَكَانِهِ مِنَ الدَّوَاةِ وَغَنَائِهِ ، فَلَمَّا أَكْثَرَ قَالَ لَهُ ابْنُ ذِي النُّونِ : دَعُ عَنْكَ ، مَنْ اجْتَرَأَ عَلَى الْمُلُوكِ لَمْ يَصْلَحْ لِلْمُلُوكِ .

ثُمَّ لَمْ يَلْبِثِ ابْنُ ذِي النُّونِ إِلَّا أَشْهَرًا لَمْ تُنْعَبْ كَفَّ الْعَاقِدُ ، وَلَا أَطَالَتْ غَمُّ الْحَاسِدِ ، حَتَّى أَتَيْتِي مِنْ مَأْمَنِهِ ، أَغْبَطَ مَا كَانَ بِسَيْثِهِ وَحَسَنِهِ ، وَسَقَاهُ السَّمَّ الْوَحْيَ - زَعَمُوا - بَعْضُ ثِقَاتِهِ ، فَاسْتَقْلَّ بِجَسَدِهِ تَابُوتُهُ ، وَطَارَ بِهِ إِلَى طَلِيلِطَةَ جَنَّتِهِ وَعَفَارِيئَتُهُ ، وَخَلَا وَجْهَهُ قُرْطُبَةً بَعْدَ ذَلِكَ لِلْمُعْتَمِدِ وَعَادَ إِلَيْهِ مُلْكُهَا . وَانْظَمَ فِي يَدَيْهِ سِلْكُهَا ، وَأَخَذَ بَثَارَ ابْنِهِ عَبَادٍ بِقَتْلِهِ لِابْنِ عَكَاشَةَ فَلَمْ يَكُنْ كَمَا قَالَ دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ ٢ :

قَتَلْنَا بَعْدَ اللَّهِ خَيْرَ لَدَاتِهِ ذُؤَابَ بْنَ أَسْمَاءَ بْنَ زَيْدٍ بْنَ قَارِبٍ

وَمِمَّا كَتَبَ عَنِ الْمُعْتَمِدِ بَعُودَ قُرْطُبَةَ إِلَيْهِ ، وَقَتْلَ ابْنِ عَكَاشَةَ عَلَى يَدَيْهِ رَقْعَةً مِنْهَا : وَأَنْفَذْتَهُ عِنْدَمَا عَادَتِ الْحَضْرَةُ إِلَى يَدَيَّ ، وَانْتَضَمْتُ بِلَدِي ، عَلَى صُورَةٍ مِنَ التَّيْسِيرِ ضَاعَفْتُ [٥٤ ب] حُسْنَ مَوَاقِعِ الْعَارِفَةِ بِهَا ، وَبَشَرْتُ بِلَوْاحِقِ النَّصْرِ الْمُرَادِفِ بِعَقِبِهَا ، وَذَلِكَ أَنَّ أَهْلَهَا الصَّادِقَةَ فِي مَحَبَّتِنَا أَهْوَاؤُهُمْ ، الْمُتَّفِقَةَ عَلَى طَاعَتِنَا آرَاؤُهُمْ ، لَمْ يَزَالُوا عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ تَقْلُبًا مِمَّا جَرَى قَبْلَ عَلَى غَيْرِ اخْتِيَارِهِمْ . وَتَوَجَّعًا لِمَا كَانَ انْقَضَى عَلَيْنَا فِي جَوَارِهِمْ ، نَابِينَ عَمَّنْ وَلِيِّ أَمْرِهِمْ بَعْدَنَا ، مُسْتَقْصِرِينَ لَشَانِهِ عِنْدَنَا ، إِلَّا النَّفَرَ الْيَسِيرَ ، وَالتَّافَهُ الْحَقِيرَ ، مِنْ سَفَهَاتِهِمُ الَّذِينَ سَبَّوْا تِلْكَ الْوَهْلَةَ ، وَظَاهَرُوا عَلَى تِلْكَ الْغَفْلَةِ ،

١ م ط د س : وحسنته .

٢ البيت من قصيدة في الأصمعيات (رقم : ٢٩) : ١١٧ - ١١٩ ، وانظر حماسة ابن الشجري : ١٣ والسبط : ٦٩٠ والخزانة ٣ : ١٦٦ .

ولم يكن لهم أولاً علم بما سُدَّوهُ والحموه ، ولا رَضُوا آخراً بما جَنَّوهُ
وارتكبوه ، فتحركتُ من وقفي ، ولم أكْذُ أَطِيلُ على أفقهم إلاَّ والإشارةُ
علينا ، بأثوابهم إلينا : أنْ أَقْدِمُوا وَصَمَّوْا ، فافتحمتُ من النهر غُخَاضَةً
توازي الرِضَّ الشرقيَّ منها ، وثار أهلُها معي ، داعينَ بشعاري ، معلنين
بانتصاري ، وكلمة ثاري ، يكسرون بين يَدَيَّ كلَّ غَلَقٍ يعترضني ،
ويفتحون أكلَّ مُرْتَجٍ يتصبُّ دوني ، وأَحْسُ ابنُ عكاشةَ ومن معه
من الشَّيعةِ المفلولةِ بمكاني ففرُّوا بأرواحهم ، وألْقَوْا ما كانَ معهم من
سلاحهم . وقد كنتُ أَحَطُّتُ بنواحي الحضرةِ خيلاً ترصدُهُمْ ،
وتقطعُ من النجاةِ سَبَبَهُمْ ، فوقعوا فيها وأتَّيَ على آخرهم ، وسبقَ إليَّ رأسُ
ابنِ عكاشةَ ؛ وكان الحبيبَ إليَّ ، أنْ يمثَلَ بين يَدَيَّ ، فأبْسَطَ له من العذابِ
ما كانَ أَشْفَى لِنَفْسِي ، وأثلجَ لصدري .

وفي هذا الفتح أنشده حسان بن المصيصي قصيدته التي يقول فيها ،
ووصف إشارة الناس يومئذٍ من سور المدينة :

وليسوا بفرقى قد أشاروا للساحلِ ولكنهم غرقى أشاروا إلى بحرٍ

وله عنه من أخرى إثر فتح مُرْسِيَّةَ على يدي ابنِ عمار ، وإخراجِ
بني طاهرٍ منها : لم يغبْ عنك من مجرى الحالِ بمرسيةَ وَجْهٌ أَجْلوه ، ولا
انطوى منْ فحواهِ أَمْرٌ أَنْشُرُهُ وَأَبْنِيهِ ، وها أنا أَعْرِضُ عليك من باطنها
ما ربَّما خفي ، وأُنْهِي إليك من نجواه ما لعلَّه لم يَنْتَمِ على وَجْهِهِ ولا أَنْهِي ،

١ م : ويقتحمون .

٢ د : البحر .

٣ ط : نهى .

وذلك أن الافرنج أيام تلومهم على صاحبها، وإحداقيهم بجانبها، أشخصوا
إلي من أعيانهم من قَرَّبَ عليَّ وجهَ مَرامِها ، فاستجبتُ لندائهم ، ولم
يَكْدُ بختلجُ بيالي شكٌ في صِدقِ أنبائهم ، وإذا الأمرُ بخلافِ ما ذكروه ،
وعلى غير ما سَهَّلوه ، ووَقَعَ من المطاولةِ ما وقع ، وآلتِ الحالُ معهم إلى ما
قد فشا وَسُمِعَ ، فأعدتُ إليها الخيلَ مع فلانٍ لإطالةِ حَصَرها ، والإناخةِ
بِعَقْرِها ، وصاحبُها معَ ذلكِ عمٍ عن رُشدِهِ ، يقدِّمُ رجلاً ويؤخِّرُ
أخرى في إعطاءِ صَفَقَةِ يده ، ليقضي الله تعالى قَدَرَهُ ، ويُسَلِّخَ أمرَهُ ،
فلما رأى أهلُها المتَحَنون بسوءِ نظره ، المصابون من حَظَلِ تدبُّره ، أن
غَماءَهُم^٢ لا تُفَرِّجُ^٣ ، وظلماءَهُم لا تنجلي ولا تليحُ^٤ ، أبَدُوا إليه ، ما كانوا
ينطوون له عليه ، فتألَّبوا وثاروا وطَيَّرُوا بالخبرِ من كان فيها من الأولياءِ
إلى فلان ، وكان على مقربةٍ منها ، غيرَ متراخٍ عنها ، فانصبَّ إليها كالشُّبُوبِ
الماطر ، وانقضَّ عليها كالعُقابِ الكاسِرِ ، ووافاها وقد بولغ في حصاره ،
وانبسطَ أيدي النَّهَبِ في دياره ، فكشفهم عن مكانه ، ونفَسَ عنه^٥
فانتشى^٦ ريحَ أمانه . ثم نقله وابنَ أخيه إلى أدنى معقلٍ إليهما ، وآمنه عليهما ،

١ ط م د س : والاباحة .

٢ م : غماتهم .

٣ م س : تنفدح ؛ ط : تنفدح ، وتفرح : تصبح قرحاء أي ذات غرة ، والأقرح : الصبح لأنه
بياض في سواد .

٤ الباء غير معجمة في النسخ ؛ وهي من الأح بمعنى أضاء وبدا وتلاؤ ؛ ويمكن أن تكون قراءة
هذه العبارة على النحو الآتي : « أن غماتهم لا تنفرج ، وظلماءهم لا تنجلي ولا تبليج » ، ولكن
أثرت ما هو أقرب إلى الأصل .

٥ د : عنهم .

٦ هذه القراءة من هامش ط ؛ وفي النسخ : فانتشى .

وأخذ في ضبط الحصون ، وما يُغني به الحزم من وجوه التحصين ، وأظهر
أهلُ البلادِ [من] الاغتيالِ بمآلهم ، والاستبشارِ بمفاتيحِ حالهم ، ما يُظهرُ مَنْ
خَرَجَ من ضيقٍ إلى سعة ، وانتقلَ من هَرَجٍ إلى دعة .

ومن أخرى له عنه : ومن أحدثِ نعم الله الممنوحة عهداً ، وأبعدِها
في التمامِ والوفور حدّاً ، ما أتاحه الله في المغالِطِ المعجَّبِ ، القويِّ
المجِيءِ والمدَّهَبِ ، فلان - ضاعف الله إذلاله وإخزاه ، ووفاه على ذميم السعي
جزاءه - فانَّ حاله جَرَتْ على ما أَصِفُهُ : سلف من ضلالته في موالاة
التعريض^٢ للحضرة وسائر أعمالها ، ما أثاره الحسدُ المدَّوي لصدرة ، والقلقُ
الغالبُ على صبره . واتَّفَقَ له من [٥٥ أ] إمهال الله تعالى إياه ، وتنكيب
الحوادثِ عن ذراه ، مدةً عنه ، اتفاقُ أجرة رَسَنَهُ ، وأسلَكَهُ في الغواية
سَنَنَهُ ، حتى ظنَّ أنَّ الحوادثَ لا تربيّه ، والنوائِبَ لا تنوبُهُ ، وحَسِبَ
أن الأيدي لا تُمدُّ إلى مطالبته ، والآمالَ لا تطمحُ إلى معارضته ، وقديماً
خان هذا المعتقدُ أهلَهُ ، وأبان لمن سكن إليه جهلُهُ .

وفي فصل منها : ولم يبعد أنْ خرجَ في شهرِ رمضان على عادتهِ من
الاستخفافِ بعظيمِ حرْمَتِهِ ، وتركِ المراقبةِ لأهلِ الاسلامِ وذمَّتِهِ ،
بعد أن تأهَّبَ ، واستنجد واستمدَّ ، والعُجْبُ قد أطغاه وأبطره ، والشرُّ
قد غطى سمْعَهُ وبَصَرَهُ ، والمطامعُ قد تشغبتْ عليه ، وبَسَطَتْ في

١ م : حرج (واللفظتان متبادلتان في النسخ) .

٢ د : التعريض .

انتهاز الفرصة يديه ، فأخرجتُ ابني الظافر^١ مستعيناً بالله معولاً^٢ عليه ، متبرئاً من الحول والقوة إليه . فلما دنا من المحلة الذميمة واصطفوا إزاءها ، اقتحم سرعانُ رجالنا نهراً كان بينهم . مبادرين غيرَ هيأين ، ونشأت بين الفريقين حربٌ أجَلَّتْ عن أعدادٍ صرعى من أصحاب المخلول ، ثم تلا ذلك عيونُ كافة العسكر وصدقت الحملةُ على الحائنين . فلم يلبثوا أن وُلِّتُوا مُدْبِرِينَ ، وألقَوْا بأيديهم منهزمين ، والأسنةُ تحفزهم ، والجلادُ يزعجهم ، فانحجزوا بالحصنِ وأسلموا محلَّتَهُم ، فَحَيِّزَ جميعها . وغنم من كُرَاعِهِم وسلاحهم وسائرِ أسلَاحِهِم جُمْلٌ نفوتُ الحصرَ ، وتُعْجِزُ الوصفَ ، وبقي المخاذيلُ إلى آخرِ النهار ، ثم خرجوا مع المغيب ، وَشَعِرَ بفعلهم ، فاتبعتهم الخيلُ إلى النهر ، فتهافتوا فيه تهافَتَ القراشِ في النار ، وفرَّوا على عاجلِ البوار ، وكان الشاذَّ منهم من سَلِمَ . والجملُ الغفيرُ مَنْ غَرِقَ وتلف ، والله حسيبُ مَنْ أَوْرَظَهُمْ وأغراهم ، والمنتقمُ ممن قادهم إلى منايهم . وأما المخلولُ المعهودُ خَوْرُهُ ، والشديدُ هَوْرُهُ ، فإنه سقط عن مركبه في تلك الصدمة سقوطاً أَوْهَنَهُ وكَلَمَهُ ، ولولا من كرَّ عليه حتى أَقِيلَ واحتُمِلَ لحصلَ في رِبْقَةِ الأسْرِ . وَلَغَلِقَ رَهْنُهُ إلى آخرِ الدهرِ .

وله من أخرى : وقد كانت نشأتُ بيننا وبين فلان ، التَطِيفِ الودِّ ، السِيَّءِ العهدِ — جزاءُ الله جزاءَ مَنْ خاس بدمامه ، ونثرَ عِقْدَ الوفاءِ بعد انتظامه — مُدَاخَلَةً تُوَسِّطُهَا رؤساءُ . وتقلدها وزراءُ ، طالت زمناً لا يتنهجُ فيها

١ م : المظفر .

٢ م : ومعولاً .

إلى السلم سبيل ، ولا يبدو من ^١ الوفاق دليل ، ولا يلوح للنجاح وجهٌ مقبول ، بما كان السفراءُ يَلْقَوْنَهُ من تَشَطُّطٍ في غير كُنْهِهِ ، ومقابلتي بما كان يأتي من شبهه ، إلى أن تطأطأ من سموه ، وتقاصر من علوه ، ونضاً عنه ثوبَ الرياء ، وأبدى وجهَ حاجتهِ إلى الانقياد والاستبقاء ^٢ ، فأثبت إنبابةً من يؤثر الهدنة على الفتنة ، وتأثيت إرادة من يريد إدالة المودة من الإحنة ^٣ ، وأنا أعتقدُ أنه مصحح فيما أراه ، صادقٌ في الذي أعطاه ، أقضي على الظاهر ، ولا أتجاوزُ تصفح الحاضر ، وإذا هو مصرٌّ غلرةً شوهاء ، لو تهياً مرادُهُ منها لأغصتُ بالريق ، وللفتِ السوق بالسوق ، ولكن الله بما عودنا من فضله نبه على الغامض ، وأبان عن برق الحلب الوامض ، فرأيت مكنونَ الضمير ، بعين التفكير ، ونشرتُ مطويَّ الجوانح بيد التدبير ، فإذا كلُّ ما عقيدَ مُنْحَلٌّ ، وما أبرمَ مُضْمَحِلٌّ ، فرددتُ عندما خَلَجَ عَقْدُهُ إِلَيْهِ ، وقلبتُ غيرَ مُلِمٍ ظَهَرَ المِجَنُّ إِلَيْهِ .

ومن أخرى عنه : كنت قد هادنتُ أهلَ غرناطة — لازالوا في أذيالِ مكرهم عاثرين ، وفي أيدي غوائلهم مستأسرين — مهادنةً دعوني إليها فأجبت ، واستدنتوني نحوها فدنوت ، فلما أشرفتُ على التمام ، وآذنتُ بالانصرام ، راسلوني في تماديبها فساعدت . وأرادوني على اتصاها فانفعلت وأنفقدت ، وانعقد بيننا عقد بُولغ في تأكيده . ونُنْوَمِي في إحكام موائيقه وعقوده .

١ م ط س : يبدو عن .

٢ د : والاستبقاء .

٣ م ط س : الأحبة .

٤ د : الخاطر .

٥ م : شهراء .

ولم تكذ صحيفته تَطْوَى ، ولا شهيدته يتولّى ، حتى غدروني في الحصنِ
 الفلاني باستنامةٍ مَنْ كان فيه مِنْ قِبَلِي إلى السلم ، وإضاعته استشعار الحزم ،
 فلم أعجلْ بالتنكّر ، ولا سارعت بالتمنّر ، ورأيت الاستيناءَ ، وآثرت
 الاستبقاء ، رجاءَ أن يفكروا في العواقب ، فيفيثوا^١ إلى الواجب ، ويعطفوا
 [٥٥ ب] إلى الرأي الصائب ، وأعدت إليهم من أمكنني إعادته من السُّفراء ،
 فلقوا منهم بدهة^٢ وإباءً ، والتواءً وانزواءً ، ولما رأيت ذاهبَ رشادهم لا
 يرجع ، ودواءَ استصلاحهم لا ينجع ، وثأني نصفتهم^٣ لا يُرأب ، وغائبَ
 قياتهم لا يُرتَقَب ، عملت على الإيثار ، واستجمعت لذي الانتصار ،
 وسقيتهمُ بمثلِ كأسهم ، ورميتهمُ عن نظائرِ قياسهم ، فلم يَطلُ أمدٌ ،
 ولا كثر من ماضي الأيام عَدَدٌ ، حتى حصَل من وجوهِ قوادهم ، ورؤوس
 أجنادهم ، فلانٌ وفلان ، إلى ستةٍ وعشرين^٤ رجلاً أحبط بهم أسراً^٥ ،
 وتقبّضَ عليهم طُراً ، وجعلوا قِراهم البثَّ والآهِنَ ، وأبا مِثوهم
 الهون^٦ والخسف .

وله من أخرى عنه : شرُّ الناسِ لنفسه مَنْ جهلَ مقدارها ، ولم يتَّهِمِ
 اختيارها ، وقفّاً إذا شرهتْ وعميت آثارها ، وطار بجناحِ طَمَعها . إلى

١ ط : فيموا .

٢ البدهة : المباغتة والمفاجأة ؛ س ط د : بدهة .

٣ م ط د س : وثاني ؛ ط : نصيفتهم .

٤ خ بهامش ط : تتمة عشرين .

٥ م ط : أسرى .

٦ ط : الجهون وفوقها « كذا » ، وشكلها قريب من ذلك في م س .

ذميم طَبَعَهَا ، واتَّبَعَ رائدَ جَشَعِهَا^١ ، إلى وخيم مرتعها ، وعاد إلى الصالح من خُلُطَائِهِ فاستفسده ، وإلى الصفي فأحقده ، وإلى المستنيم فأوحشه وشرَّده ، ولا سيما في حالٍ تحضُّ على استدناء البعداء ، وتبعث على مصادقة الأعداء ، ومع نصبةٍ قد أُنذرت بما لها ، وحَدَّرَتْ من بغتةٍ اغتياها ، بل والله قد نفحت رجومُها ، ولفحت سَمومها ، وصرَّحَ بالبأساء شومها .

وليس يذهب عنك أني ، بما أشرت إليه ودَرت حواليه ، إلى صاحبِ طليطلةَ ناظر ، وإلى قُبُح ما عاملني به شاهر ، وذلك أنه منذ زمنٍ يتمرَّس بجاني ، ويقوم في وجه ما لا يَرِيْبُهُ من مذاهي ؛ فمن ذلك ما نعلمه^٢ من خُفُوفِهِ إلى بَسْطَةِ^٣ اللقاءِ فلانٍ - أَخَذَهُ الله بما أَلْبَسْتُهُ من حُرْمَةٍ^٤ فَجَرَّدَهَا ، وأَوَّلَيْتُهُ من نعمةٍ فَعَمَّطَهَا وَجَحَدَهَا - وبِقَائِهِ هنالك يشجَّعه^٥ على غدري ، ويشيعه من مخالفةٍ^٥ أمري ، وتوثقَ له أنه إذا انصرم مني ، وانخرَكَ ببعضِ عمله عني ، كان له إنْ هَمَّتْ به سنداً ، ووصلَ به إنْ وصلتُ يداً ، فحيثُذِ صنع فلان ما صنع ، وحاول أن بطيرَ فوق ، من تلك الجهة التي كانت انخرطت في سِلِّكَ بلدي وعملي ، واطردت في منابرِها الخطبةُ

١ س م ط د : خشمها .

٢ د : نعلم .

٣ بسطة (Basa) واسمها في القديم (Basti) ، وهي اليوم أكبر مدينة في ولاية غرناطة وتبعد ١٢٣ كم إلى الشمال الشرقي من غرناطة نفسها (الروض رقم : ٤٦) .

٤ من حرمة : سقطت من م .

٥ م : عن مخالفته ؛ س : عن مخالفة .

٦ س م ط : ذلك .

لي ، حتى انصات^١ فيها فَوَاقَ بَكِيَّةٍ حُكْمُهُ . وذُكِرَ على أَعوادها اسمه ،
« ولكن قليلاً ما بقاءُ الثَّأْبِ »^٢ ووسمه : إلى^٣ غير ذلك من قوارص^٤ القول
والفعل ، ستصل إليك على ألسنة الرسل . وأنا في كل ذلك أحتمل الأذى ،
وأغضي على القذى ، وأقبض يد الانتصار . طمعاً في الاقتصار^٥ والاستبصار ،
وذهاباً مع عادة الأناة والإنظار . وربما ألمحت في بعض الأحيان بعتاب^٦ ،
وتكلمت بكلمات غضاب ، فظن^٧ أن ذلك قُصَّاري في إنكاري ، ومتهمي
وُسعي واقتداري ، فزاد الاعتداء والاستهداف^٨ ، وعظم الازدراء والاستخفاف ،
ولولا نظري من هذه الجزيرة — عصمها الله — إلى ما يُنظَرُ إليه ، وإشفاقي
منها على ما لا^٩ يشفق عليه . لَأَسْكَنْتُ أَوَّلَ انبعاثه ذلك التَّزْوان ، وردعت^{١٠}
قبل احتفاله ذلك الاستنان .

وفي فصل منها : ثم ختم تلك الهنات ، وتلا تلك السيئات ، بخبر صاحب
فلاة ، كنت أوطأته على علمك رقاب أهلها . وجعلت إليه القبض والبسط^{١١}
فيها ، ولم أشرك معه أحداً في معنى . فخان بما ائتمن^{١٢} . وفرط في ما
احتجج^{١٣} ، وخاف عاقبة ذلك فتغلب واضطغن^{١٤} . وأراد أن يفوز بيطته

١ انصات : استقام ؛ س م : اقضات ؛ د : اتصلت .

٢ عجز بيت لأحمد بن أبي فتن . صدره : « فتأبى كي لا ينكر الدمع منكر » (زهر الآداب :

١٠١٢ وقد مر تخريجه في القسم الأول : ٣٢٣ وورد هناك برواية مختلفة)

٣ ط م س : التشاوب اسمه استقال ؛ د : في اسمه .

٤ ط م د س : قوارص .

٥ د : الاقتصار .

٦ م ط د : والاستهراف .

٧ كذا في النسخ .

وما جمع ، وينجو مما حذر عليه وتوقع ، فأزمع على الانحراف والانزواء ،
واستجمع للخلاف والانتراء ، وداخل فلاناً يعرض عليه ما ذهب إليه ،
ليؤيده على قبوله بما في يديه . فنأى عنه بجانب التزيه الكريم ، وأعرض لإعراض
الحرة الصميم ، فانصرف إلى المذكور وهو لئها مستمطر متوكف ، وإلى
مثلها مستوقف مستشرف ، فما دعاه حتى لباه ، ولا أومى إليه حتى تهافت
عليه ، لا يتهيب حالاً ، ولا يتوقع مآلاً ، وبلغني الخبر وكفى به مزعجاً ،
ولا كئله مبسماً مخزجاً ، فصبرت حتى أعذرت ، وتأنيت حتى أبليت ،
ثم اعترمت على الانتصار ، وتقدمت أطلب الثار ، مستخيراً وعد الله لمن
بغى عليه ، مقتضياً حكمه العدل فيمن تسبب إليه ، فتقدمت في معسكر
ألفته يد الإعجال ، [٥٦ أ] وحالت البديهة بينه وبين الاحتفال ، فأنخت
به على بلده أياماً ، قطعت فيها دونه كل الرفاق ، ولم أبق حوله سقفاً على
جدار ولا قائمة على ساق ، ثم مررت إلى جهة فلانة أجوس خلالها ،
وأفرى بالنهب والإحراق أعمالها ، وأتسم معاقلها ، وأجعل أعاليها
أسافيلها . إلى أن وقت^١ بجانبها^٢ منازل^٣ . وزحفت إلى بابها مقاتلاً ، وصاحبها
يرى الخوي ملء عينيه ، ويقلب على خسارة صفقتيه كفيه ، ولا يعاين
إلا نارا تضطرم عليها ، وتصطم حوايلها ، فلو أصغينا لسمعنا قعقة
أضراسه ، واستشعرنا لوجدنا حر أنفاسه : وكل كمي عنده - وكانوا
عدداً لفيماً ، وجمعاً كثيفاً - قد تسبخ جباناً ، وتسبخ هيداناً ، لا يكاد
يقبل حتى يدبر ، ولا يبرز حتى ينجر :

١ م ط : اسق ... نقفاً .

٢ أجوس ... وقت : سقط من م س .

٣ م ط : بجانبها .

تلقَى الحسامَ على جِراءَةٍ حَدَهٍ مثلَ الجبانِ بكفٍّ كلِّ جبانٍ^١

ثم انكفأتُ ، على غير الطريق التي كنتُ أنشأتُ ، عائداً بمثل ما بدأتُ ،
واطئاً ما لم أكن قبل وطئتُ ، فتخيّلُ سبيلي ، في وجهي وقفولي ، وتمثّلُ^٢
أثري ، في وردي وصَدَري . وكنتُ قد وجهتُ أسطولاً بلغ في ساحلِ
بلده أقصى المبالغ من الإفسادِ والتدمير ، والتغيير والتأثير ، ثم انصرف
بحمد الله كما انصرفتُ على غاية الوفور والظهور .

وله عنه من أخرى : وإنّ فلاناً جارنا — لا أجاره الله من رَيْبِ الزمان ،
ولا صرفَ عنه صروفَ الحدّثان — يأبى الله أن يراه حائداً عن فسادٍ ، وعائداً
إلى رشادٍ ، ومُقلِعاً عن قبيحٍ ، ومستمعاً من نصيحٍ ، فهو — والأيامُ قد
وعظته لو اتعظ ، والأحوالُ قد نبهته لو انتبه واستيقظ ، وحجّةُ علو السنِّ^٣
قد قامت عليه ، ووجوهُ غير الدهرِ قد سَفَرَتْ إياه — بمتزلة الغرّ العابث ،
في سلاح السّفية^٢ العاث ، ولا يُقْصِرُ ولا يبصرُ ، ولا يَرْعَوِي ولا
يفكر .

واتفق الآن ، بمساعيه الحبيثة ، ومحاولاته الذميمة ، أن تسبب إلى مداخلة
الحصن الفلاني . على يدي خبيث من أهلها ، قد دبّر الحيلة حتى اتجهت في مثلها .
وأنفذ إليه قائداً من وجوه عبيده . واتصل بي الخبر ، فطيرتُ^٣ مَنْ ناشَبَهُمْ^١
الحربَ ، فوهب الله لأوليائي الظهور ، ووقى الله المحذورَ ، من مَضَرَّةٍ

١ البيت المتنبي ، ديوانه : ٤١٦ .

٢ م س : السين .

٣ م : فطيرت .

كان الجاهلُ المطاولُ قَرَعَ بابها ، وأحصد^١ في ظنِّه أسبابها ، فتأمل^٢ كيف^٣ دُوبُ هذا الموصوف بحقائق صفاته ، المتابع لقبايح^٤ هناته ، على إضرار نار الفتن ، باستشارة^٥ دواعي الإحن ، وتعريض المسلمين - عصمهم الله - للحوادث والمحن ، وكيف لا يزدادُ على الأيام إلا جماحاً في ميدانه ، وانقياداً لشیطانه ، واستكثاراً من سوء عمله ، على قريب أجله ؛ وليشكر الله حقَّ شكره من لم يُضِعْهُ هذه الضيعةَ الزَّهَاءَ الشَّوْهَاءَ ، ويشعرهُ هذه البصيرةَ العمياء الصماء ، ومن طَبَّعَ على قلبه ، بمجاهرة عصيان ربِّه ، فشرُّهُ أبداً عتيده ، وشیطانه مريدٌ .

وفي فصل من أخرى : ورد كتابك مبيتاً عن ودِّ كماء المزن ، وعهد كروض الحزن ، مع برِّ حافلٍ وفيتته^١ ، وإلطف بالغِ أحفيتها^٢ ، مَجْلُوسِينَ في معرض سيادة لاحظت ضميري لها عيونُ حور ، وجاذبتُهُ منها ألفاظُ أوانسٍ نور ، أرثني البيانَ كيف يدبُّ سحره ، والافتتانَ كيف يطمُّ بجره . وزهر الآداب كيف يطلعُ من كماميه ، ولؤلؤ الكلام كيف يتسقُ من نظامه . كلُّ ذلك سافرٌ عن وجه طويّةٍ سائلةٍ غرّةٍ الإمحاض ، سليمةٍ جوهر الصفاء ، مع علوقٍ مستحيلة الأعراض .

وله عنه من أخرى إلى صاحب المهدية : إنني - أبتدك الله - على ما بيتنا من لججٍ خضرٍ ، وفيافٍ غبرٍ ، لمستكثراً من إخائِكَ ، مستظهرٌ بوفائِكَ ،

١ س د م : وأحصل .

٢ زاد في م : شاء .

٣ لقبايح : موضعها بياض في م .

٤ ط م د : باستشارة .

متوفرٌ على إجمال ذكرك وثنائك، قياماً بما يتعينُ من مجدك وسنائك ،
ويعلم الله أنه ما أُملي الأبعد ، وعملي الأحمد ، إلا أن يؤمَّ أفقك الطلق — صان
الله بهاءه ، وحسن أرجاءه — من الخواص النبلاء ، والأعيان الفضلاء ،
مَنْ يبلِّغك كتابي ، وينوبُ في إنهاء طاعتي إليك منابِي .

وكان فلان [٥٦ ب] قد ألمَّ بي زائراً ، وتلوَّم لديَّ مجاوراً ، فأقبلتهُ
وجَهَ البشر ، وألحفته جناحَ البِرِّ ، بخلالِ رائحة ، وخصالِ بارعة ، لنفائس
المحاسن جامعة ، منها — وهي أحظى وسائله لديَّ ، وأدنى فضائله إليَّ —
إدماؤه نُشرَ نُشرًا معاليك ، وإعلانهُ بثَّ أباديك ، وكنتُ متى تشوّفَ
لمعاودة وطنه ، واستشرف لمطالعة سكنه ، أقومُ في وجه زماعه ، وأغضُ
من طَرْفِ نزاعه ، استمناحاً بما يثيره من ميامنك ، واستدامةً لما يتلوه من
آيات محاسنك ، إلى أن جدَّ به التوقُ . واستولى على مقادّتيه ^٢ الشوق ،
ولم يكنْ في صدره عمَلٌ ، ولا بَرْدٌ قَبْلُ . فأصحبتهُ كتابي هذا إليك
مجدِّداً رَسَمَ الوداد ، وعامراً سبيلَ حُسْنِ الاعتقاد . ومعلماً بما بلوتُ من
صدق تشييعه لمجدك ، وخفّة لسانه بحمدك ، ومشيراً إلى ما عنده من كُنْه
إجلال لك . وحقيقة استكثار منك . ثقةً بأنه يُحسِنُ لإنهاءه ، ويوفي
أداءه ، إن شاء الله .

قال ابن بسام : ومحاسن ذي الوزارتين أبي بكر أكثر من أن تحصى ،
وآياته أبين وأبهر من أن تستقصى . وإنما ظفرتُ منها بطرف . وحصلتُ

١ النشر : الرائحة ؛ وقد انفردت بها ط ولعلها مكررة إذ المعنى يتم دونها .

٢ م : واستولى مقادة .

منها على نُتَفٍ ، ولم يقعْ إليَّ من شعره ما أَوْشَحُ هذا المجموعَ بذكره ،
ولا بأسُ بآثباته إن حصل ، وبالله أستعينُ وعليه أتوكل .

ومنهم الوزير الفقيه الكاتب أبو القاسم
محمد بن عبد الله بن الجحدّ^١

قريع وقتنا ، وواحد عصرنا ، ممن استمرى أخلافَ النظم والنثر ،
فدرّتْ له بالبيان أو بالسحر ، فان تكلم فأبوجر ، أو نظم فكلثوم بن عمرو ،
حتى إذا أخذ في الجدال ، أو تفقّه في علم الحرام والحلال ، فرويدك حتى
ترى الصبحَ كيف يُسفر ، وتَبَجَّ البحر كيف يَزْخَر ، وهو على نباهة
الذكر ، وعلوّ القدر ، وشرف المحلّ من فهر ، قد لزم داره ، وطوى
أخباره ، واقتصر على عُفّة^٢ من المعيشة رُزِقها ، فهو يَبْرُضُ جَمِيمها ، لا
بل يتزوّدُ نَسِيمها ، والشمسُ ، وان سترها الضبابُ فغيرُ^٣ خفيّة السّناء ،
ولا مجهولة الغناء . وكان على عهد المعتمد قد تقلّد وزارة ابنه يزيد^٤ ، فلم

١ محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرح بن الجحد الفهري : شلبي الأصل سكن اشيلية ، ويعرف بالأحذب ،
أخو الحافظ أبي بكر ابن الجحد ، كان من أهل التفنن في المعارف والآداب والبلاغة ذا حظ جيد
من الفقه والتكلم في الحديث ، وكان يقبى ببلده ليلة وتوفي سنة ٤١٥ (الصلة : ٥٤٤) والذيل
والتكملة ٦ : ٣٢٦ والمطرب : ١٩٠ والمعجب : ٢٣٧ والقلائد : ١٠٩ والخريدة ٣ : ٣٩٣
والمغرب ١ : ٣٤١ وإحكام صناعة الكلام : ١٨٥ - ١٨٦) .

٢ العفة : بقية اللبن في الضرع ، ولعلها أن نقرأ « غفة » - بالغين المعجمة - وهي البلغة من
الغيش .

٣ د : غير .

٤ هو الملقب بالراضي أبي خالد ، ولده أبوه أولا الجزيرة الخضراء ثم رندة ، ومعهما استنزل
وقتل سنة ٤٨٤ (انظر الحلة ٢ : ٧٠) .

يزل معه عليّ الشان ، نابه المكان ، حتى كان من أمره ما كان . وهو اليوم في وقتنا قد اضطرّ إليه أهلُ قاعدة لبلّة فولتوهُ خطّةَ الشورى ، وألقوا إليه مقاليد الفتوى ، فمهّد لذلك جانباً من كفايته ، واحتسب فيه جزءاً من عنايته ، على كُرّهٍ منه شديد ، ومَرَامٍ في التزايد من العلم بعيد . وعلى ذلك فلم يدعُ مساجلةَ الإخوان ، ومراسلةَ من يرسم بهذا الديوان ، من بني الأوان ، بما يشهد له أنه بديعُ الزمان ، وفارس الميدان ، وقد أثبت له بهذا الديوان ، ما يقيمُ له أوضح برهان .

جملة من رسائله في أوصاف شتى

فصول^١ له من رقعة أنشأها على لسان مَنْ صَدَرَ من بيت الله الحرام وزيارة قبر^٢ نبيه عليه السلام : صلوات الله على خاتم الرسل ، وناهج السبل ، وناسخ جميع الملل ، ومجليّ الظُّلُم والظُّلُم ، ومحبي القلوب بنور الهدى والحكم ، ومقلّد التّذارة والسفارة إلى كوافِ الأمم ، وعليه من لطائف التسليم ، ما يُرَبِّي على عدَد النجوم ، وَيُزْرِي بالمسك المختوم ، ويقتضي باتصاله واحتفاله رضى الحيّ القيوم .

كتبت يا أكرم الأنبياء وسائل ، وأعظمهم فضائل ، وأعمهم فواضل ، وأتمهم فرائض ونوافل ، وقلبي بحبك معمورٌ ومأهول ، وعلى الإيمان بك مفطورٌ ومجبول ، وبتمثل ما عاينته من عظيم آثارك مهوّل مشغول ،

١ د : فصل .

٢ قبر : سقطت من م ط س .

ومن لي بِمِقْوَلٍ [٥٧أ] لَا يَتَخَلَّلُهُ خَلَلٌ ، وَلَا يُدْرِكُهُ فِي الصَّلَاةِ عَلَيْكَ وَالِدَعَاءُ لَكَ مَلَلٌ ، وَلَا يَشْغَلُهُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَذِكْرِكَ سَهْوٌ وَلَا خَطَلٌ ، حَتَّى أَقْطَعَ بِذَلِكَ أَنَاءَ لَيْلِي وَنَهَارِي ، وَأَصَالِي وَأَسْحَارِي ، وَأَجْعَلَهُ شِعَارِي وَدُثَارِي . وَهَجِيرَايَ فِي إِعْلَانِي وَإِسْرَارِي ؛ اللَّهُمَّ أَهْمْنِي مِنْ تَحْمِيدِكَ وَتَسْبِيحِكَ ، وَالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِكَ الْأَمِينِ وَنَصِيحِكَ ، مَا يَشْغَلُ لِسَانِي ، وَيَثْقُلُ مِيزَانِي ، وَيَبْسُطُ يَوْمَ الْقَرْعِ الْأَكْبَرِ مِنْ أَمَانِي ؛ اللَّهُمَّ وَفِّرْ حَظِّي مِنْ شِفَاعَتِهِ ، وَأَحْسِنْ عَوْنِي عَلَى طَاعَتِكَ وَطَاعَتِهِ ، وَاحْشُرْنِي فِي عِدَادِ زَمَرَتِهِ وَجَمَاعَتِهِ .

وَلَمَّا صَدَرْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَنْ زِيَارَتِكَ الْكَرِيمَةِ ، وَقَدْ مَلَأْتُ هَيْبَتِكَ وَمَحَبَّتَكَ أَرْجَاءَ فِكْرِي . وَفَضَاءَ صَدْرِي ، وَغَشِيَّتِي مِنْ نُورِ بَرَهَانِكَ مَا بَهَّرَ لِي . وَعَمَرَ قَلْبِي . لَحَقَنِي مِنَ الْأَسْفِ لِبَعْدِ مَزَارِكَ ، وَالْحَيْنَ إِلَى شَرَفِ جَوَارِكَ ، مَا أَوْدَعَ جَوَانِحِي التَّهَابَا ، وَأَوْسَعَ جَوَارِحِي اضْطِرَابَا . وَأَشْعَرَ أَمَلِي عَوْدَاً إِلَى مَحَاكٍ الْمَعْظَمِ وَإِيَابَا ، وَكَيْفَ لَا أَحِينَ إِلَى قُرْبِكَ ، وَأَتَهَالِكُ فِي حَبْلِكَ ، وَأَعْفِرُ خَدَّيْ فِي مَقْدَسِ تَرْبِكَ ، وَبِكَ اقْتَدَيْتُ فَاهْتَدَيْتُ . وَلَوْلَاكَ مَا صُمْتُ وَلَا صَلَّيْتُ . وَلَا سَعَيْتُ وَلَا طَفْتُ ، بَلْ كَيْفَ لَا يَتَحَرَّكَ نَحْوُكَ نَزَاعِي ، وَيَتَأَكَّدُ انْقِطَاعِي ، وَبِكَ اسْتَشْفَاعِي ، وَإِلَيْكَ مَفْزَعِي يَوْمَ الدَّاعِي . فَلَا تَنْسَ لِي يَا رَسُولَ اللَّهِ عِيَاذِي بِكَ وَلِيَاذِي ، وَإِسْرَاعِي إِلَى زِيَارَتِكَ وَإِعْذَاذِي ، وَاذْكُرْنِي فِي الْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَشْهُودِ ، عِنْدَ حَوْضِكَ الْمُرُودِ ، وَظِلِّكَ الْمُدُودِ ، وَمَقَامِكَ الْمَحْمُودِ .

١ م : قلبك .

٢ وَلَا طَفْتُ : لَمْ تَرُدْ فِي د .

اللهم كما أعنتني على حج بيتك المحرم ، وزور نيك المكرم ، فاجعله لي شفيعاً ، وتوفني على ملبته مطيعاً . ويسر لي كربةً إلى مواطنيه المقدسة ورجوعاً ، إنك على ذلك قدير . وبحقيقة دعائي عليم خير ، والسلام المردد المؤكد على نبي الرضوان : وصفي الرحمن ، ما تعاقب السلوان ، وتناوب العصران .

وله من أخرى خاطب بها بعض من قدم من الحجاز : كتبت وقد هزني واغد البشري . واستخفني رائد المسرة الكبرى . بما سنّاه الله من قدومك محوط الجوانب والأرجاء ، منوط الفخار بذوائب الجوزاء ، محوط الآثار في مواطن الرسل ومواطن الأنبياء ، فيا لها حجة مبرورة ما أتم مناسكها ، وأوضح في مناهج البر مسالكها . لقد شهد فيه الميقات بخلوص إهلاك وإحرامك . واهتز البيت العتيق لطوافك واستلامك . ورضيت المروة والصفا عن كمال أشواطك . وتهلل بطن المسيل لسبعك فيه وانحطاطك ، ثم بالوقوف الأعظم من عرفة سَطَعَ عَرَفُ تَحْشَعِكَ ودعائك ، وارتفع خفض تضرعك واستخذائك . وفي البيت الأكرم من المزدلفة حظي بقربك وتزلفك ، وزكا تهجدك^١ وتنفلك . وعند الإفاضة فاضت الرحمة عليك ، وكلت النعمة لديك : وأما مني ففيها قضيت مناك وأوطارك ، وقبيلت هداياك وجيمارك ، وحطت خطاياك وأوزارك . فما صدرت عن تلك المعالم المكرمة . والشعائر المعظمة . وإلا وهي راضية عن عَجْكَ وثَجْكَ^٢ ،

١ في النسخ : بقربك .

٢ في النسخ ما عد من ٤ يتهجدك .

٣ المعجج في الدعاء . المعجج دماء البدن وغيرها ؛ وفي الحديث : تمام الحج المعجج .

شاهدةٌ لك بكمال حَجِّكَ ، مشفقةٌ من فراقك وَبُعْدِكَ ، متعلقةٌ لو
 أمكنها بِبِرْدِكَ ، وقبلُ أو بعدُ ما تَأَنَسَّتْ بك يثرب ، وَرَفِيعَ لك في جنبها
 مضرب ، فشافهت منازل التَّزْيِيلِ ، وطالعت معاهدَ الرُّسُولِ ، وقضيت من
 زيارة القبر الكريم واجباً ، وقمتَ بينه وبين المذبح ضارعاً راغباً ، فما
 حُجِبَ عنه عليه السلام زَوْرُكَ وإِلْمَاكَ . وقصدُكَ واثتمامُكَ ،
 وصلاتُكَ وسلامُكَ ، بل كان لكلِّ ذلك راعياً سامعاً ، ويكونُ لك بحول
 الله شاهداً شافعاً ، فهناك الله ما منحك من جزيل الأجر في مواقف الحرمين ،
 وأطارَ لك من جميل الذكر في الحافقين .

ولما قعد بي عن قصدك ما قَعَدَ ، ولم يمكنني الوفودُ عليك في جملة
 من وفد ، استنبت كتابي منابي [٥٧ ب] .

وله من أخرى في صفة مطر بعد قحط : لله تعالى في عباده أسرارٌ ، لا
 تُدْرِكها الأفكارُ ، وأحكامٌ ، لا تنالها الأوهام ، تختلفُ والعدل متَّفِقٌ ،
 وتفرقُ والفضلُ مجتمعٌ متَّسقٌ ، ففي مَنَحِها^١ نفائسُ المأمولِ ، وفي منحها
 مدآوسُ العقولِ ، وفي أثناء فوائدها حدائقُ الإِنعامِ راقيةٌ ، وبين أرجاء
 شدائدها بوارقُ الإِنذار والإِعذار خافقةٌ ، وربما تفتحتُ كرائمُ التَّوَائِبِ ،
 عن زَهَرَاتِ المواهبِ ، وانسكبتُ غمامُ الرزايا ، بنفحاتِ العطايا ، وصدع
 ليلَ البأسِ صبحُ الرجاءِ ، وخلعَ عاملَ البأسِ والي الرخاءِ ، ذلك تديرُ اللطيفُ
 الخبيرُ ، وتقديرُ العزيزِ القدير .

ولما سامت بتبسط الغيثِ الظنون ، وانقبض بتبسُّط الشكِّ اليقين ،

١ م : منحها ؛ س : فتحها .

واسترابت حياضُ الوهاد ، بعهود العِهاد ، وتأهبت رياضُ النجاد ،
لبرود الحداد ، واكتحلتُ أجفانُ الأزهار ، بإثمد التقع المثار .
وتعطّلت الأنوار ، من حُلِيِّ الديمة المدرار ، أرسل الله تعالى بين يدي رحمته
ريحاً بليلةَ الجناح ، غيلةَ النجاح^١ ، سريعةَ الإلقاح ، فنظمتُ عقودَ السحاب ،
نظّمَ السّحاب ، وأحكمتُ برودَ الغمام ، رائقةَ الأعلام ؛ وحين ضربتُ
تلك المخيلةُ في الأفق قباها ، ومدّتْ على الأرض أطباها ، لم تلبث أن
انتهك^٢ رواقها ، وانبتك^٣ وشيكاً نطاقها ، وانبرت مدامعُها تبكي بأجفان
المشتاق ، غداة الفراق ، وتحكي بنان الكرام ، عند أريحية المدام ،
فاستغربت الرياضُ ضحكاً ببكائها ، واهتزتْ رُفاتُ النبات طرباً لتغريد
مُكائنها ، فكانَ صنعاء قد نَشَرَتْ على بسيطها بساطاً مُفَوِّقاً ، وأهدتْ
إليها من زخارف بزّها ومطارف وشيها أظافاً ونحفاً ، وخيل للعيون أن
زواهر النجوم ، قد طلعتْ من مواقع التخوم ، ومباسم الحسان ، قد وصلتْ
بافترار الغيطان ، فبا بَرْد مَوْقِعِها على القلوب والأكياد ، وبا خلوص
ريّها إلى غُلّ النفوس الصّواد ؛ كأنما استعارتْ أنفاس الأحباب ، أو
ترشفتْ شنباً من الثنايا العذاب ، أو تحملت ماء الوصال ، إلى نار ° البلبال ،
أو سرّتْ على أنداء الأسحار وريحان الآصال . لقد تبين للصّنع^٤ الجميل

١ م : الجناح .

٢ م ط س : انتهك .

٣ انبتك : انقطع .

٤ ط م : تشرفت .

٥ م ط س : ثار .

٦ م ط : الطبع .

من خلال دِيَمِهَا تنفَسُ ونصول ، وتمكَّن للشكر الجزيل في ظلال نعمها
مُعَرَّسٌ ومقبل ؛ فالحمد لله على ذلك ما انسكب قَطْرٌ ، وانصدع فجر ،
وتوقَّد قَبَسٌ ، وتردَّد نَفَسٌ ، وهو الكفيلُ تعالى باتمام النعمى ، وصلة
أسباب الحياة ، بعزته .

وله من رقعة خاطب بها الوزير الفقيه أبا القاسم الهوزني^١ إثر قدومه من
حضرة أمير المسلمين ، رحمه الله تعالى^٢ ، غبَّ نبوة خلصت إلى غربيه ، وروعة
كادت تطير بسربه :

وكم نعمة لا يُسْتَقَلُّ بشكرها إلى الله في طيِّ المكاره كامينه

قد يُجَنَّتِي^٣ - أعزَّك الله - من شجر المساءة ثمَّ المصرة ، ويجنِّي
وجهُ المحبوب غبَّ المكروه مُشرق الأسرَّة ، وربَّما تهجَّم القدر وضميرُهُ
مبتسم ، وتصلَّب الزمنُ وعقدُهُ محتشم ، وإنَّما ينظر إلى مواقع الأقدار
في الإصدار ، وتُحَمَّدُ مجاري الأعمال عند المآل ؛ وفي هذه المقدمة دلالةٌ
على النبوة التي ما اعتكر جنحها ، إلَّا ريشما وضع صُبْحها ، ولا نَعَبَ
بالبعد غرابُها ، حتى التفت إلى سانح السَّعد ركابها ، ولا استطار لها في
قلب الوليَّ صدعٌ ، حتى اشتمل منها على أنف العلوِّ جدعٌ ؛ وما ذاك

١ أبو القاسم واسمه الحسن هو ولد أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني الذي ترجم له ابن بسام
في هذا القسم من الذخيرة (انظر ص : ٨١ فيما تقدم) وأبو القاسم هو الذي سعى في فساد
دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بشار أبيه ، وكان فقيهاً مشاوراً ببلده ،
توفي سنة ٥١٢ (الصلة : ١٣٧ والمغرب ١ : ٢٣٥ وترتيب المدارك ٤ : ٨٢٦) .

٢ تعالى : زيادة من م .

٣ م : يتجنى .

إلا لأن سلطان الحق أنجذك وأبدك ، وبرهان الفضل قام معك وأطال
 بك ، وحاشا للعلم أن يلبيس حامله خمولا ، أو يبحث له نحو الاذالة
 خمولا ، فوشكان ما استقلت بك أيدي الآثار ، في صدر العثار ، وخاصمت
 عنك السن الستن ، عوارض المحن ، وما سرت إلا وظل الكرامة
 عنك ظليل ، وصنع الله لك رسيل وبك كفيل ، فلئن أوحش مسيرك ،
 لقد آنس ظهورك ، ولئن حسن اقترابك ، لقد سمح اغترابك ، ولئن
 سخنت العين بعدك ، لقد بين بين فقلك ، فالحمد لله الذي أوشك
 مقدّمك ، وأعلى قدّمك ، ورفع في كل مكرمة ومأثرة علكم ، [٥٨ أ]
 وإياه تعالى أسأل أن يهنيك ويهنيء فيك عارفة السلامة ، ويبقيك بعيد
 الصيت رفيع القدر في الظعن والإقامة ، ولولا ترددي في عقابل ربيع^١
 لزممت جسي شهورا ، واتخذته ربعا معمورا ، لما استنبت في التهته خطابا ،
 ولحشت نحوك ركابا ، وأنت بسروك توسيع العذر قبولا ، وتقبله
 وجها جميلا .

وله من أخرى يهنيء بمولود : إن أحق ما انبسط فيه للتهته لسان ،
 وتشرف في ميادين معانيه بيان^٢ وبنان^٣ ، أمل رجّي فتأبى زمانا ، واستندعي
 فلولي عيانا ، وطاردته المنى فأتعبها^٢ حينا ، وغازلتها الهمم فأسعرها^٣
 حينا ، ثم طلع غير مرتقب ، وورد من صحبة المباحج في عسكر لجب ،
 فكان كالمشير إلى ما بعده من مواكب الآمال ، والدليل على ما وراءه

١ يريد حتى الربيع .

٢ س م ط : فاتبها .

٣ في النسخ : فأشعرها .

من كواكب الإقبال ، أو كالصبح افترت عن أنوار الشمس مباسمه
والبرق تتابعت إثر وميضه غمائمه ، وفي هذه الحملة ما دلّ على المولود^١
المجدود ، المؤذن برادف الحظوظ وتضاعف السُّعُود . فباله نجم سعادة ،
تطلع في أفق^٢ سيادة ، وغصن سناء ، تفرّج من دَوْحَة علاء ، لقد
تهللت وجوه المحاسن باستهلاله ، وأقبلت وفود الميامن باستقباله ،
ونُظِّمَت له قلائد التمام ، من جوهر المكارم ، وخُصَّ بالثدي الحوافل ،
بلبان الفضائل . وما كان منبت الشرف بانفراد تلك الأرومة الكريمة إلا^٣
مقشعر الربى ، مغبرّ الثرى ، متهاف أغصان الرضى ، فأما وقد اهتز
في أيكَة السيادة قضيب^٤ ، ونشأ من بينة النَّجَابَةِ نجيب ، فأخلى بذلك
المنبت أن تعاوده تضرّته ، وترفّ عليه خبرته ، ويراجعه رونقه وبهاؤه ،
وتضاحكه أرضه وسماؤه ، فالحمد لله على ما أتاحه من انشاء^٥ الأمل بعد
جِماحِهِ ، واختيال الجذَل في حليّة غُرَرِهِ وأوضاحه ، وهو المسؤول
أن يهنّيك منه صنعا يَحْسُنُ في مثله الحسد ، ويتمنى لفضله النّسلُ والولد .

وله من أخرى خاطب بها ذا الوزارتين الكاتب أبا بكر بن القصيرة وقد
قربت بينهما المسافة ، حسبما ذكر ، ولم يتفق التقاؤهما :

لم أزل - أعزك الله - أستترلُ قُرْبِكَ براحة الوهم ، عن ساحة النجم ،
وأنصبُ لك شُرَكَ المني ، في خُلْسِ الكرى ، وأعللُ فيه نفْسَ الأمل ،
بضربِ سابقِ المثل :

١ د : الوليد .

٢ ط : في أوفق .

٣ ط : انشائه ، م : انشاء .

ما أقدر الله أن يذني على شحطٍ من داره الحزنُ ممن داره صول^١

فما ظنك بي وقد نزل على مسافة يوم ، وطالما نفر عن خياله نوم^٢ ،
ودنا حتى هم^٣ بالسلام ، وقد كان من خدع الأحلام ، وناهيك من ظمأي
وقد حمت حول الوردِ الحَصير ، وضممتُ الرشاءَ بالقصر ، ووقفَ بي
ناهضُ القدر ، وقفّة العيرِ بين الورد والصدر^٤ ، فهلا^٥ ، وصِلَ ذلك
الأمل بباع ، وسمح الزمانُ باجتماع ، وطويت بيتنا رقعة أميال ، كما
زويت مراحلُ أيامٍ وليال ، وما كان على الأيام لو غفلت قليلاً ، حتى
أشفي بلفائك غليلاً ، وأتسّم من رَوْحِ مشاهدتك نفساً بليلاً ؛ ولئن
أقعدتني بعواقبها عن لقاءِ جرّ ، وقضاءِ برّ ، وسقَرِ قريب ، وظفرِ غريب ،
فما تحيقت ودادي ، ولا ارتشفت مدادي^٦ ، ولا غاضت^٧ كلامي ،
ولا أحقت^٨ أقلامي ، وحسبي بلسان التبلّ رسولاً ، وكفى بوصوله
أملاً^٩ وسولاً ، ففي الكتاب بُلغة الوطر ، ويُسندلُ على العينِ
بالأثر .

١ البيت لحنج المري (البلدان : صول) ؛ وصول : مدينة في بلاد الخزر من نواحي باب
الأبواب .

٢ س ط م : عن خياله ؛ وسقطت « نوم » من م ط س .

٣ من قول أبي العلاء المعري (شروح السقط : ١٥٣)

هموا فأموأ فلما شارفوا وقفوا كوقفة العير بين الورد والصدر

٤ فهلا : سقطت من م ط س .

٥ م س : مرادي .

٦ م س : حاصت .

٧ س : أجفت .

٨ د : أمدأ .

على أني إنما وحيّته وحَيّ المشير باليسير ، وأحلتُ فهِمَكَ على
المسطور في الضمير ، وإن فرغت للمراجعة ولو بحرف ، أو لمحة طرف ،
وصلت صديقاً ، وبللت ريقاً ، وأسديت يداً ، وشفيت صدًى ، لا زالت
أباديك بيضاً ، وجاهلك عريضاً ، ولياليك أسحاراً ، ومساعيك أنواراً .

ثم ختم رقعة بهذه الأبيات :

هو الدهر لا يَفْتَنُ^١ يمرُّ وَيَحْتَلِي
إذا أشكلت يوماً عليه مُلِمَّةٌ
سألني بحدّ الصبر صُمَّ خطابهُ^٢
وأعرضُ عن شكواه إلا شَكِيَّةٌ
روى لي أحاديث المني فيه غُصَّةٌ^٣
وجادُ بقرب الدار غيرَ متمِّمٍ
تراءى لي العذبُ النмир فلبتني
أنحجبُ شمسَ العلم بردةً ليلةً
ويخشنُ سراها لموطئ أحمصي
أجلُ قَيْدِ هذا الدهر أضيقُ حلقةً
سأبعثُ طيفي كلَّ حينٍ لعلّه
ودونك من روض السلام نحيبةً

وسَيَّان عندي ما يُجِدُّ وما يَبْلِي [٥٨ب]
فمن ظهر قلبي يستمدُّ ويستملي
وإن صيغ فيها الشيبُ من حدِّق النبل
بها من هوى مرآك ضَرَبُ من الجبل
ولكنها لم تخلُ من غَلَطِ النقل
ويا ربَّ جودٍ قُدَّ من شيم البخل
بَرَدَتْ لهاقي منه في نُغْبَةِ النهل
ولو وصات أردانها ظلمةُ الجهل
ولو نبشت في جناحها إِبْرُ النحل
وأقصرُ للخطو الوَسَّاع من الكبل
يصادفُ من نجوى خيالك ما يُسْلي
تنسِيكَ غُصَّ الورد في راحة الطلِّ

١ ط م س د : يبقِي .

٢ كذا في النسخ ، ولعلها : خطوبه .

٣ ط م س د : غُصَّة .

٤ ط م د س : وجاء .

٥ د س : الظل .

قوله : « يا ربَّ جود قُدَّ من شيم البخل » يشبه قول الآخر :

الدهر ليس له صنيعٌ يُشكَّرُ شربٌ له يصفو وشربٌ يَكْثُرُ
يهبُّ القليلَ وقد نوى استرجاعه هبةُ البخلِ أقلُّ منه وأنزر

وكانَ هذا من قول بشار^١ :

أما البخلُ فلستُ أعذله كلُّ امرئٍ يُعطي على قدره

فراجعهُ ذو الوزارتين برقةً نسختها : كتبتُ ولسانُ القلم يتلعمُ ، وقدمُ
الكلم يتأخرُ أكثرَ مما يتقدمُ ، هبةٌ لانتقادك ، وعجزاً عن مواقع إصدارك
وإيرادك ، وإنَّ متعاطيَ جرائك^٢ ، ومناهضِ إعادتك أو ابدائك^٣ ، بلخيرٌ
بالتقصير ، وخليقٌ بحرمانِ حظِّ البُسوقِ والظهور ، والله يزيذك فضلاً ،
ويجعلك لكلِّ جليلةٍ من الحِصالِ ونبيلةٍ من الأحوال أهلاً ، بمنته .

ووصل إليَّ - وصل الله اعتلاءك ، وأثَّلَ مَجْدَكَ وسناءَكَ - خطابُكَ
الكریم نظماً ونثراً ، فأهدى برآ ، واقتضى ما لا يُستطاعُ شكرًا ، ويعلمُ
الله الذي لا ينطوي دونه سرٌّ ، ولا يفوت إحصاءه أمرٌ ، أني أجِدُ من الشوقِ
إليك ، مثلَ ما أخبرتَ به لديك ، وأحسُّ من التشوقِ إلى لقاءك ، بنحو
ما أطلعتُهُ من تلقائك ، والله وليُّك حيثَ كنتَ ، وكالثُّك وكالتي

١ لم يرد في ديوانه (جمع العلوي) ، وهناك بيت على شاكلته وهو (ص : ١٤٠) :

أعطى البخلُ فما انتفعت به وكذلك من يعطيك من كدره

٢ م ط س : جوابك ؛ والجراء : بمعنى المجارة والمباراة .

٣ د : وإبدائك .

فيك أقمت أو ظننت ، وإيَّاهُ أسألُ أن يبلِّغَكَ أوطاركَ ، ويؤتيكَ من كلِّ أملٍ وفي كلِّ موردٍ ومصدرٍ اختياركَ ، بعزته .

وأنا أعتذر إليك من الاقتضاب ، وأن لا أَلُمَّ في النظم بجواب ، بما لا يذهب عليك من الأعدار ولا يستترُ دونك من الأسباب ، وأنت بمعاليك تقبل العذر ، وتتأوَّلُ أجملَ تأوَّلٍ ١ الأمر .

وله من أخرى : لم أزلُ مذجداً اغترابكَ ، ونعب غرابك . أتعجَّبُ من تحوُّلكَ ، وأتَشَوَّفُ إلى ما يَرِدُ من قبيلِكَ ، فلم أظفر من خبرك بيقين ، ولا حصلتُ من كيفيةٍ مقرَّكَ على ثلجٍ مبین ، إلى أن ورَدَ جُهِينَةُ أخبارِكَ ، وَعَيْبَةُ أسرارِكَ ، فلان ، فكشف من صورة أمرِكَ ما التبس ، ووصف من جُمْلَةٍ حالِكَ ما سرَّ وأتس ، وذكر أن ذلك القطر - حرسه الله - رَحِبَتْ بك معاهده ، وَعَذُبَتْ لك موارده [٥٩ أ] واشتملت عليك أفيأوه ، وتهلَّلت إليك أرجاؤه ، ولا غرو من نفاقِكَ حيث احتللت ، وقبولك أينما انتقلت ، فمن تحلى بمثلِ حلاك ، لم يَضِيعُ كيف تصرَّفَ ، ولا عدم اللطف أينما انحرف ؛ والله تعالى يصنعُ لك جميلاً ، ويُنيلكَ حيثما كنت أَملاً وسُلاً .

ووصل خطابك الخطيرُ فجلاً وجَهَ بَرِّكَ وسيماً ، وشَخَصَ عهلك عَمِيماً ، وأهدى إليَّ من رياض ودِّكَ نسيماً ، ومن عرارِ حمدِكَ شميماً ، فيا حُسْنَ موقعه من الضمير ، ويا نُبلَ منزَعِهِ الجميلِ المشكور .

وله من أخرى : قد يرد من تحف الإخوان ما لم يراقبَ له مَوْرِد ، ولا

١ أجمل تأوَّل : سقطت من م ط س .

ضُرِبَ فيه موعد، ولا غازلَه ضمير، ولا تقدّم فيه بشير، فيكون للجامع
الأنس أجلب، وللمجامع النفس أذهب، وعلى صفحات الفؤاد أندى وأبرد،
وإلى تَلَعَاتِ الودادِ أهدي وأقصِد، لا سيّما إذا ورد وللوحشة جُثُومٌ،
وبين الجوانح كلّوم، كوردي خطابيك، فإنه هجم ولا تاهّب له خلد،
ونجم وفي جفن الأنس رمد، فأذكرني حسنه زمن الصبا، وتقس
الصبا، وأنساني عهده زهر الرّبي، وثمر المتى، وجدّد من رسم الصباية
والمة قديماً، وأحيا من شخص القرابة رفاتاً رميمًا، ونشر من واشجها ما
دَفَنَتْهُ الأيامُ خمولاً، ووصل من مقطوع أسبابها ما لم يكن قبل موصولاً^١،
فلله درّ عهدك ما أجمل مُحَبَّاه، وأنتم في روض الوفاء ريتاه، وسقياً
لمفرس مجدك فما أذكى ثراه، وأطيب جنّاه، وصل الله ما بيننا يوم تُقَطَّع
الأسباب والأنساب، وجعله ميراثاً في الأخلاف والأعقاب، وأبقاك أنساً
لنوي الألباب، ومعدنا للكرم اللباب، بمنّه.

وتلقيت المترع الجميل في جهة فلان، المُسْنَدِ إلى مجدك بأحسن وجوه
الإجمال، وأنتم معاني البرّ المتوال، وأقبلت عليه، لإقبال المصفي إليه،
المستوفي ما لديه، فنشر من أياديك الجميلة مآثر، وشبّ بِمَسْنَدِ ذكرك
الطيب مجامير، وعمر بأوصاف معاليك مشاهد ومحاضر، وجعلت أهنأ
لسماعها طرباً، وأستعيد من أغانيها نوباً، وأستريده من محاسنها عجباً
وعجباً، فأمتع بشهيتها أذني، وأذكر بلذيتها معسف^٢ زمي. ورأيتَه حَسَنَ
الأداء، لمعاني الثناء، متصرف اللسان، في شكر الاحسان، والله يعمر
بوفود الأمل جنّابك، ويمدّ في ساحة الكرم أطنابك، بعزته.

١ م : وصولاً .

٢ كذا في م ط د س ؛ ولعل الصواب « متفيف » أي مائل الأغصان (أو مسف) .

وله من أخرى : قد كنت - أدام الله عزك - بتواتر السماع ، وتظاهُر
الإجماع ، أتقَلَّد فضلك ، وأشهد بالسبق لك ، وأودُّ أن يسفرَ بيننا خطاب ،
ويتفقَ للمفاتيح أسباب ، رغبةً في الانتظام ، ولو بسفارة الأقلام ، واجتلاءً
بالإخاء ، ولو بالرقم في صَفْحِ الماء ، إلى أن وافاني خطابُكَ ففتح للمداخلة
باباً ، وأوضح في المواصلة شِعَاباً ، وتضمنَ من أدلَّةِ الودِّ ما لا يكذب
رائده ، ولا يخرجُ شاهده ، بل يُقضى بشهادته ويُحكَم ، ويُقَطَّع
على عدالته ويُخْتَم .

فأمّا ما نخلتنيهِ من الوصفِ الجميل ، ومنحتنيهِ من الغرَرِ والحجول ،
فلنما هي حُلاك ، أعزَّتْها أخاك ، وأوصافُك ، تبرَّعَ بها لإنصافك ، وسماتُك ،
تجافَتْ عنها مكرماتُك ، وقد تقلَّدتُها حليةَ جَمال ، ورفلتَ منها في حِلَّةِ
إجمال ، واعتقدتُها ذخيرةَ أيامٍ وليالٍ . والله تعالى يؤكِّد بيننا دواعي الوداد ،
ويجعلُ خُلُوتَنَا من عُدَدِ المعاد ، ويُعينُ على شكرِ بَرَكَ المَبْدَأِ المُعَادِ .

واجتليتُ منه الإشارةَ الكريمةَ في جهةِ فلان ، فمهدتُ له عندي كَنَفاً
رحيباً ، وبوأتُهُ لديَّ محلاً قريباً ، وشغلتُ لحظي برعاية أمره ، وبسطتُ
يدي في شدِّ أزره ؛ ومما أكَّدَ حقوقَهُ عليّ تشيُّعُهُ في علائِكَ ، وتحدُّثُهُ
بآلائِكَ ، وتقلُّبُهُ برهةً من الزمن في ظلِّ حَرَمِكَ وَفِنَائِكَ ، والله تعالى
يبقيك مؤثراً للحسنة ، محموداً بجميع الألسنة ، ولا يخليك من الشيمة الدمثة
والكلمة اللينة .

وله من أخرى : إذا عَدَدْتُ [٥٩هـ] أعزَّكَ الله - أعيانَ الزمان ، وأفاضلَ

الاخوان ، ثبت عليك خنصري ، وطمحت إليك بعصري ، وطرقت في
جوك ووقعت ، وانحططت في شعبك وربعت ، لأنك - والله ييقبك
- حامل آداب ومعارف ، ولابس من خلع الفضل مطارف ، ومتميز
بفضول عاسن منحت جمالها ، ومتفرد بخواص فضائل جمعت كمالها ،
لا أعلمني الله منك جملة فضل ، وزهرة نبيل ، وذخر وفاء ، وعلق
سناء ، بمنه .

وطلع علي خطابك مع فلان عبدك ، ولسان حمدك ، فأهب من
روح الأنس بك نسيماً ، وجدد عهداً سلفت ورسوماً ، وأجاني من رياض
برك نوراً عطيراً ، وسقاني من حياض ودك عذبا خصباً .
• فيا شيعي برونقه وربّي •

وأني إلي المذكور ما تنسمه من أرج نثائك ، واجتلاه من تبلج
إخائك ، فاتصل البر واتسق ، وتتابع الفضل على نسق ، ثم استطرد إلى شكر
ما أوليته من غر آياد ، وإجمال متماد ، واستفد في ذلك جهداً لسانه ،
وجرى في ميدانه ملء عيانه ، فأحمدت مقطعه ومترعه ، ووجدت العرف
واقعا فيه موقعه ، وأنت يسروك تؤكد فضلك عنده ، وتصل إجمالك
معه ، لا أخلاك الله من بث صنائع ، في أصناف مواقع ، وأشتات مواضع .
ومن أخرى له : كتبت وأنا في عقابل شكوى سد كتي بي منذ أشهر

١ م ط : سديك .

٢ عجز بيت لأبي تمام ، وصدره (الديوان ٣ : ٣٥٦) :

فيا تلج الفؤاد وكان رصفاً

سَدَكَ الغريم ، وعركني بأكف^١ آلامها وأيدي سقامها عَرَكَ الأديم ،
حتى لقد فَغَرَّتْ عليَّ فَاها المنون ، واستوت في اليأس منِّي الظنون ، إلا
أنه تعالى بلطفه مَنَّ بالاقالة والإرجاء ، ونقلني عن جهة اليأس إلى جانب
الرجاء ، له الحمد^١ متواتراً . والشكر^٢ أولاً وآخرأ ، وهو المسؤول^٣ ، عزَّ
وجهه ، أن يملك^٢ أطول الأعمار ، وَيَزُوِي عنك مكروه الأقدار ، بمنه ٥

وكان خطابك قد وافى في عفوانها ، وصدر نَزَوَانِها ، فخفف من أوصالها ،
وخلع بعض أثوابها ، وكأنما ورد عائداً مُلْطِفاً ، أو وفد زائراً مُتَحَفَاً ،
وَرُمْتُ المراجعة فلم تساعدني يدٌ ، ولا نهض بي جَلَدٌ ، ولما نصوت بُرْدَ
الاعتلال ، وَشِمْتُ بَرَقَ الإبلال^٢ ، وَجَبَ إنهاء العنبر المعترض ، وتعين
قضاء الحق المفترض . وأما شكري لما تضمنته الكتاب الكريم من لطائف
البرِّ والثناء ، ونتائج الفضل والثناء ، فمسحوب الأذيال ، في طريق الاحتفال ،
مأخوذ الأنفاس ، من زهر الرملة الميعاس^٤ ، ويعلم الله تعالى المطلع على
خواطر الضمير ، وهواجس الصدور ، استنامتي إلى كرم نواحيك ، وثقتي
بشرف مناحيك ، واغباطي بما أحكم بيننا من نظام التألف ، ورَفِيعَ لنا من
أعلام التعارف ؛ واجتلبت من مخم الكتاب سلام الوزير الكاتب نائراً درره ،

١ زاد في د : تعالى .

٢ م : يملكك .

٣ م : الاجلال .

٤ الميعاس : الأرض التي توطأ ، وفي القول إشارة إلى بيت أبي تمام (الديوان ٢ : ٢٢٤) :

بكر إذا اجتست أراك وميضها نور الأقاح برملة ميعاس

ويروى : نور الأقاحي في ثرى ميعاس .

وراقم خبره ، ولك الفضلُ في إبلاغه من تحيتي ما يُضاهي تنفُسَ الأزهار ،
في وجوه الأسفار .

وكتب معنياً بأحد الأدباء الشعراء : لئن كانت الأيام - أعزك الله - قد
قلَّصَتْ أذيالَ أحوالك ، وسلَّطَتْ هجيرَها على بَرْدِ ظلالك ، وكدَّرتْ
بأفداءِ صرُوفها صفو زُلالك ، فما استلانتْ نَبْعَكَ ، ولا أحالتْ عن
عادةِ الجميلِ طَبْعَكَ ، ولا عَفَتْ في منازلِ السَّامِ والثناءِ رَبْعَكَ ، فقد
يجري الجوادُ وهو منكوب ، ويتجملُ^١ الحرُّ وبه ندوب ، والله تعالى
يجبرُ الصَّدْعَ ، ويُجَمِّلُ الصُّنْعَ ، بعزته .

ويتأدَّى من يد فلان ، وفي علمك ما دُهيي به وطنه من خطوب الزمن ،
وضروب المحن ، وتقلب عبَادِ الوثن ، ودفعته الضرورةُ إلى استرقاد الأحرار ،
والتكسُّب بالأشعار ، وهو ممن يتصرَّفُ في الصناعة بلسانٍ صنع ، ويأوي
فيها إلى طَبْعٍ غير طَبْع ، وله في قبول عفو المنيل إجمالٌ ، وعنده في شكر
العُرف المختصر احتفال .

ولما عرف ما بيننا من عهد لا يفارقُ نصابه كَرَمٌ ، ولا يلحقُ شبابهُ
هَرَمٌ ، اتخذ خطابي هذا عنوانَ شعره ، ولسانَ أمره ، ودليلاً على موضعه ،
ومشيراً إلى مقصده ومتزعه ، وأنت بِسِرِّكَ تصدِّقُ أمله ، وتبيِّضُ وجْهَ
[١٦٠] الصنِيعَةِ قِبَلَهُ .

وله من أخرى في مثله : العهدُ وإنْ قَدُمَتْ أحكامه ، وسلفت^٢ أيامه ،

١ م : ويحتمل .

٢ م : واسلفت ؛ س : واستلفت .

إذا استجدَّ عادٌ جديداً ، ونشأ حميداً ، لاسيما إذا غُرس في تربة وفاء ،
وسُقِيَ بنطفة صفاء ، وتردَّدَ في نِصابِ كرم ، وتشبَّثَ بأطنابِ ذمم ؛
وكان بين سلفنا ما لا يُنسى ماضيه ، وإن خَلَّتْ لِياليه ، ولا يُهَجَّرُ حَسَنُهُ ،
وإن بَعُدَ زَمَنُهُ ، وإنَّهُ لِمَسْطُورٌ في صحيفة تذكُّري ، وملحوظٌ بعين
تصوُّري ، ولئن لم يجمعنا مكانٌ ، ولا سَلَفٌ للمداخلة عنوان ، فإن ذلك
غيرُ قادحٍ في الضمير ، ولا مكدرٌ من العذب النмир .

وموصلُهُ فلان ، نشأةُ نعمتك ، توسِّمَ رعايتك لها فسألها ، وتخيَّلَ
تحفُّيكَ بنواحيها فرغب فيها ، وما أَجَبَتْهُ إِلَيْهَا إلا وقد علمت أنك
تُسَفِّعُ شَفِيعَهَا ، وتؤثِّرُ تَرْفِيعَهَا ، وبوروده عليك تجتلي وَجْهَ مترعه ومذهبه ،
وتقفُ^١ على جليَّةِ أَمَلِهِ ومطلبه ، وأنت بفضلِكَ تصدِّقُ تخيلَتَهُ ، وتراعي
وسيلته ، وتتجملُ معه ، وتضعُ العُرفَ موضعه ، مقتضياً بذلك من شكري
أبرَعَهُ ، ومن ذكري أَطْيَبَهُ وَأَضْوَعَهُ .

ومن أخرى في مثله : أمّا وَكَنَفُكَ وَسَاعٌ ، وشرفُكَ يَقَاعٌ ،
والتحدُّثُ بتدقيق أدبك ونشبك إجماع ، فلا غَرَوُ أن تُقَصِّدَ بِتَحَفِ القصيد ،
وتُطَوِّى نحوكَ صُحُفُ البید ، ويجري من يعتمدك في مضمار تأميك إلى
الأمر البعيد ، لا سِيَّما مَنْ قد اعتمدك ، فأَحْمَدُكَ وانتقلك ، كفلان ، فإنه
رنع في برك ، واكتحل برهةً بِبِشْرِكَ ، واشتمل بضاني عطاك ، وكرع
في صافي نطاك ، فهو إذا عَدَّ غُرَّرَ العصر ولمع الدهر ، بدأ بذكرك
وختَمَ ، وطار في جوِّكَ وَجَسَمَ ، وله في نشر المحاسن والفضائل لسانٌ^٢
ذَرَبٌ ، وعنده في شكرِ الصنائع والودائع مقامٌ^٣ درب ، ولما عضَّه العُسرُ ،

١ في النسخ : يجتلي . . . ويقف .

٢ مقام : سقطت من م .

ومسَّهُ الضَّرَّ ، وجب أن يتَّجَعَ جَنَابُكَ ، ويستمطرَ سَحَابُكَ ، ويؤمَّ
فَنَاءَكَ ، ويَجْبُرَ ثَنَاءَكَ ، وهو بانتحاءك مسرورٌ ، وبين يديه من رجائك
نُورٌ ، وقد سفر له قناعُ السَّفرِ ، عن أسيرةِ الظفرِ ، وجَلَّيْتَ عليه صورةُ الأملِ ،
في معارضِ النصِّ والزَّمَلِ ، فما أجْدَرُهُ بأن يجدَ ظِلَّكَ مَجْسَجاً ، وعطك
منبجاً^١ ، ويخني رُبَاكَ غَضَّةَ النُّورِ ولُزْزَمَ ، ويشني عن مشرَبِ نَدَاكَ
حامدَ الوَرْدِ والصَّدَرِ ؛ لا زال مقرُّكَ معتمدَ الزَّوَارِ ، ومترعَ الأجرارِ ،
وَمُحَصَّبَ جَمَارِ الأشعارِ .

وله من أخرى في مثل ذلك : كتبتُ عن كلالِ ذهنٍ ، واتصالِ وهنٍ ،
وركودِ خَلَدٍ ، وفورِ جلدٍ ، لترددي في أذيالِ العلةِ التي عرفتَ صفتها ،
واجتليتَ من خطابي المتقدمِ صورتها ، ولا مزيدَ على ما عندي من الإجمالِ
لذكركَ ، والاحتفالِ في شكركَ ، والتسحبِ^٢ على حواشي مجدكَ ، والانحطاطِ
في غَوْرِكَ ونَجْدِكَ .

ومُوصِلُهُ فلانٌ ، لم يتَّفِقْ له في غير الجهةِ الحالية بك أَمَلٌ ، ولا اعتلق
به في سواها عَمَلٌ ، فحنَّ إلى ما عهده فيها من حُسْنِ رَائِكَ ، وكرِّمِ
اعتنائِكَ ، ورَّحِبْ جَنَابَكَ وَخِصْبَ فِينَاكَ ، واستنهضْ مخاطبتي لتبُوَّتِهِ
تحت ظلكِ كَنَفَا ، وتؤكد له سبباً مُؤْتَنَفَا .

١ إشارة إلى قول البحري (ديوانه : ٤٠٥) :

لا أنسين زماً لديك مهذباً وظلال عيش كان عندك سجع
في نعمة أوطئتها وأقمت في أفيائها فكأنني في منج

٢ م ط س : والشعب ؛ د : والشغب .

وله من أخرى : كتبت وربحانُ العهدِ يَندَى بمائه ، ويتأوّدُ في غُلّوائِهِ ، لم يلمَّ به مع القدمِ ذبولٌ ، ولا انسحب عليه للزمنِ ذبولٌ ، وكيف لا يرف ورقهُ ، ويم عبَقُهُ ، وفي روضِ وفائِكَ يرتعُ أسحاراً وأصلاً ، ومن ثَغَبٍ صفايِكَ يشربُ عِلَلاً ونَهلاً ، ولذلك ما يقعُ الإعتابُ بالخطابِ ، ويُجَنَزَى بتناجي القلوبِ وتصافي الغيوبِ عن الكتابِ ، والله يُبقي ما بيننا معقوداً بنوايبِ النجومِ ، محجوباً عن كُلفَةِ العبوسِ والوجومِ .

وفلان لم يجدْ من ذلك الأفقِ بدَلاً ، ولا غرس في سواه أملاً ، ولا ألقى^٢ في تربةٍ غيره ثرى ولا بللاً ، فعاد إليه بحمدٍ عهدُهُ ، وبذمٍ ما لقي بعده ، وسألني مخاطبتك بهذه الحروفِ ، ايتريدَ بها من رأيك الشريفِ وفضلك المعروفِ .

وله في مثله إلى الفقيه أبي القاسم ابن المناصف^٣ بقرطبة : أما وأحاديثُ فضلكَ صحيحةُ الإسنادِ ، وأدلةُ سرّوكَ مَزَلَّةُ العنادِ ، ومُطالبُ علمك وفهمك ساطعةُ الأنوارِ [٦٠ أ] ومناهجُ هديكَ وسعبك واضحةُ الصوى والمنارِ ، فلا عَجَبَ أن تحومَ على شرعةٍ مداخلتك حوائمَ الألبابِ ، وتُنْتَهزَ في التماسِ مواصلتك فُرَصَ الدّواعي والأسبابِ . ولم أزلُ أولعُ برائقِ صفاتك ، وألتمسُ سببَ معرفتك ، حرصاً على التّجملِ بخلّاتِكَ ، ورغبةً في التيمُّنِ بصلّتك ، لأنك - والله يبقيك - أحقُّ من احتذِي على

١ الثغب : الغدير .

٢ ط م د : ألقى .

٣ بنو المناصف كثيرون ترجم لبعضهم ابن الأبار في التكملة وابن سعيد في المغرب ، ولم أجد من بينهم من كنيته أبو القاسم .

مثاله، واقتُدي بصالح أعماله، واستفيت آثار البر من مواقع خطاه، وانتُسخت^١
 أخبار الزهد والقصد من صحائف هداه، وأحرى بمن اتَّخذك صاحباً، وسلك
 من سبلك أثراً لاحقاً، أن يأمن في جدد مسالكك العثار، ويَعْدَمَ في
 جوارك^٢ نَقْعَ الفتن المثار، والله يبقيك لأشتات الفضائل نظاماً، وفي كل
 صالحة إماماً، ويوسع النعمة بك وفيك سُبوغاً وتاماً .

ولما اتفق شخصٌ فلان إلى الحضرة، وعلمتُ أنَّ انجذابه إلى جنباتك،
 ووعيتُ عنه جملاً حسناً من صفاتك، رأيتُ أن أصحبه خطاباً، وأمدُّ^٣
 في ساحة الانتظام بك أطناباً، حرصاً على أن يتأكّد في ذات الله إخاؤنا،
 وتتفق في سبُل مَرْضَاتِهِ وطرق طاعته أخاؤنا، وحمّلتُهُ مع ذلك من
 لطائم الحمد، ونخائل الود، ما إذا أعرّته ناظري تأملك، وصادق
 تخيلك، علمت به خلوص ضميري، وصفاء نميري، وسلامة عهودي،
 ودماثة نهامي ونجودي .

وهذا الرجل يشكر إجمالك معه شُكْرَ رَوْضِ الحزن، لعارفة
 الزمن، ويودُّ أن يستظهر على ذلك بكلّ لسان، ويستنجز فيه كلَّ نامٍ ودان^٤،
 وقد جاريته في مضمار شكرك طلقاً، وسعيتُ معه في ميدان الثناء عليك
 خيباً وعَنَقاً، فبيني وبينه من شاربك القُرْبى، ما يقتضي أن آخذ من مشاركتك
 له بالقسم الأوفى والسَّهْمِ الأعلى، وقد عرفت ما مُني به من عضّ الزمان.
 ومَسَّ الحرمان، ورأى أن يصرف وجهه همته إلى تلك الحضرة ليدرك
 بها أملاً، ويعلق من أعمالها عملاً، ومَعْوَلُهُ في موارده ومصادره عليك،

١ د : وانتسخت .

٢ خ : بهامش ط : جوارك .

٣ م : ودان .

ونظره في مطامع أغراضه والحاظه إليك، وأنت بمجدك تسدّد سَهْمَهُ،
وتؤيّد عَزْمَهُ، متممًا يَدَكَ البيضاء، ومُتَّبِعًا دَلْوَكَ الرِّشَاءِ^١.

وله في مثله إلى الفقيه القاضي بها : إن كانت المداخلةُ بيننا لم يفتح^٢ لها
بابٌ، ولا عُلِّقَتْ بها أسبابٌ، ولا رُمِيَ لنا في مُحَصِّبِهَا جِمارٌ، ولا
عَطِفَ بنا نحو كعبتها اعتمادٌ، فقد جمعنا في مُعَرِّفِ المعرفةِ مواقفٌ،
وَضَمَمْنَا من معالم العلم معاهدٌ ومآلفٌ، ووشجت بيننا من أواصرِ الأدبِ
أنسابٌ، وضربت علينا في مدارجِ الطلبِ قبابٌ، ولا غرو من تداني القلوبِ
على تنائي الدِّيارِ، واتلافِ النفوسِ مع اختلافِ النِّجارِ، فقد يتعارفُ الأندادُ
على البعادِ، ويتناكرُ الأضدادُ مع قُربِ السَّوادِ والوسادِ^٣، وربما أُلِفَ
تَشَاكُلُ الشَّيْمِ والأخلاقِ، بين مستوطنِ الشامِ وساكنِ العراقِ، ودأباً
حنَّ زهرُ القَوْرِ إلى نسيمِ نجدٍ، وامترجَ عنبرُ الشَّحْرِ بمسكِ الهندِ. على أني
لا أدعي رُتْبَتَكَ في فنونِ العلمِ والآدابِ، ولا أتعاطى صِحْبَكَ إلا
بشرطِ الانقيادِ والإصحابِ، ومن يضاهي محلَّ الفرقِ، بمنبتِ الفرقِ،
أويشبه رتبةَ التقليدِ، بدرجةِ النظرِ والتوليدِ، أو يقرنُ^٤ بين الالتباسِ والبيانِ،
ويعارضُ قوَّةَ القياسِ بضعفِ الاستحسانِ؟! لكنني وإن لم أعدَّ في رعيك،
ولا أضيفَ مَبْرَمِي إلى سَحْبِكَ، فعندي من بضائعِ الكَلَمِ ما يَنْفَقُ في

١ من قول قيس بن الخطيم : (الديوان : ٤) :

إذا ما اصطبحت أربعاً خط مئزري واتبعت دلوئي في السماح رشاهها

٢ م ط : يفرج ، س : ييوج .

٣ السواد - بكسر السين - السرار ؛ وقيل لابنة الخس : ما أغراك بميدك ؟ قالت : طول السواد

وقرب الوساد (الحيوان ١ : ١٦٩) .

٤ م ط د س : يفرق .

سُوقَكَ ، ولديّ من سوامي الهم ما يَتَّبِقُ بِسُوقِكَ ، ولعلّ بعض
 كلامي يسجدُ في ذراك ، ويحظى برضاكَ ، ويصادفُ عندك رأياً جميلاً ،
 ويستوقفُ لحظك ولوقليلاً ، بقيتَ حليّةً للدهرِ فائقةً ، وغرةً في وجه الزهر
 رائقة .

ولما علم فلان ، أنّ القيمَ عندك بحسب الإنسان ، وأعلى قدر تصرّف
 اليد واللسان ، وأنّ أحظى ما قرّع به بابك . ورُفِعَ له أحجابك ، رقعةً
 تشيرُ بها إلى علمٍ وأدب ، ولا يُخِلُّ بوجهها وشمُ ندى ، استنهضني شفيعاً ،
 فأجبتُه سريعاً ، حرصاً على المداخلة أسيماً غفلاً ، والمواصلة أفتح غفلاً ،
 ورغبةً في مشاركة الرجل المذكور ولو بشفاعَةِ الكلام ، وسفارة الأقلام ،
 فبينى وبينه نسبٌ موصول ، وثرى مبلول ، وآصرة رَحِم ، وعاطفة سَهم .

وكان له بتلك الحضرة النيرة بعدك فيما سلف ظهور ، وتصرّف [٦١ أ]
 مشهور ، ثم أَلَقَتْ عليه العطلة ثِقْلَ جرائها . وَجَرَتْ به ملءَ عنانها ،
 حتى انتسفت ما كان بيده . وحلّت جميع عَقْدَه ؛ وقد دفعته الأيام إلى جميل
 نظرك ، وطيب مكسرك ؛ وهو بكرم الصنعة خَلِيقٌ ، ولحمل المنزِ مطبق ،
 وغرضه أن يُصَرِّفَ في بعض وجوه العمل ، ويختبر حاله في الشدِّ والزَّمَلِ^٢ ،
 وأنت بمجدك تفرضُ له من شَرَفِ عنايتك نصيباً ، وتوليهِ من رعايتك وجهاً
 خصيباً ؛ وما أسديتَ إليه فلي فيه مَفْخَرٌ ، وهو عند الله مُدْخَرٌ ، واللهُ
 يبيحكَ للحسنات تُعْرِسُ بأبكارها ، والمآثرات تَحْلُدُ كَرَمَ آثارها ، بمنه .
 وله من أخرى يشفع لبعض^٣ الشعراء : لا غرو أن يقصدك - أثّل اللهُ

١ م : بمرضاكَ .

٢ الزمل : نوع من العدو ؛ وفي ط : الرمل . وهو أيضاً نوع من العدو .

٣ م ط س : إلى بعض .

سُودَدَكَ - مُهْدِي حَمْدٍ ، ومقتضي رِفْدٍ ، ويلمَّ بك مستوجبٌ معروف ،
ومُعَانِي صُرُوف ، فقديمًا غُشِيَتْ منازلُ الكرماء ، وثَبَّتْ فضائل العلماء ،
وَهَزَّتْ أعطافُ الكبراء ، بنغم الثناء والإطراء ، وقد أصغى إلى الأشعار ،
جِلَّةُ الأخيار ، وأثابَ على المديح ، مَنْ بَعُدَ عن التجريح . ومثلُكَ سلك
تلك السبيلَ ، وآثرَ الجميلَ ، ورأى التأميلَ .

وموصلُهُ - وصل الله اعتلامك ، وحرس أرجاعك - فلان ، وهو
ممن اضطره كَلَبُ الحرمان ، ونُوبُ الزمان ، إلى اعتماد الكرام واسترفاد
الأعيان ، وله من صناعة القريض ، وبضاعة التفريض ، حظٌ موفور ، وعنده
لأَوْجِه الصنائع إذا برقعها الكفور ، ظهورٌ وسفور ، وقد قصد تلك الجهة
فيما سلف متجعًا ، وارتفع من أفاويق درّها جرْعًا ، وما عدم منك تنويلاً ،
ورأيًا جميلًا ، لكنَّ العود أحمدُ ، وربُّ العرفِ أوجب وأوكد ، ولا يذهبُ
العرفُ بين الله والناس^١ ، وليس ممن يسألُ شَطَطًا ، ويتعسفُ غلطًا ،
وإنه ليتبلَّغ بالنسيم ، ويستنجز الوعدَ بالتسليم ، وحَسْبُهُ ما يَرَقَعُ^٢ ،
جانبَ خلّته ، وينفعُ بعضَ غُلَّتِهِ ، وأنت بفضلِكَ تُشْفِقُ لما مُنِيَ به
من الاغتراب والاضطراب ، وتحافظ على ما قبلَهُ من الوسائل والأسباب .

١ من قول بشار (ديوانه : ١٥) :

بسقط الطير حيث يتثر الحب وتغشى منازل الكرماء

٢ ثبت : مدحت ونالها الثناء .

٣ من قول الخطيئة :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس

٤ ط م د : يرمع .

وله من أخرى إلى الفقيه أبي الحسن ابن الأخضر^١ : إذا كان عهد الإخاء ممّا رقمته^٢ يدُ الطلب ، في صفحة الأدب ، لم يَنْسَخْ له الدهرُ حُكْمًا . ولا أحالَ الزمنُ منه رَسْمًا ، بل يتجدّدُ على تقادم الأحقاب ، ويردّدُ أبدأً في عصر الشباب ، وإنما هو في الحقيقة نَسَبٌ لا يخفى . ورحمٌ لا يحفُّ له ثرى ، وذمامٌ تُشْنَى عليه الخناصر ، والتحامٌ تُشِيرُ إليه الأواصر ، فالأديبُ صِنُوُ الأديب ، وكفى بتمازج القلوب . وفي علمك ما سَلَفَ بيننا من العهد ، المزري حُسْنُهُ بزمِنِ الورد ، سقاء الله صَوَّبَ العهاد ، ولا زال مُخَضَّرٌ المراد ، فما كان إلا غُرَّةٌ انْتَهَزَتْ من تَهاتِفٍ^٣ البيض الغرائر ، ولمعةٌ كأنما اقتبست في تضاحكِ الترائب تحت سود الغدائر .

ولما علم فلان . حليفُ شكرِكَ ، وأليفُ بِرِّكَ ، ما بيننا من المناسبِ الروحانية ، والمذاهب الأدبية ، استنهضني لشكر ما خَصَصْتَهُ له من تقريب محلٍّ ، وتحقيق كَلٍّ ، فنهضتُ في ذلك نهوضَ المبدي المعيد ، واحتيتُ برداءِ الثناء عليك في المحفل المشهود ، وسرّني كونُ هذا الفتي الدميثِ الخليفة ، السديدِ الطريقة ، من أنشاء تخريجك وتفهمك ، وأغصانِ تثقيفك وتقويمك . فإنه ممن يتصورُ مقدارَ ما تُسدي إليه ، وبقي بصَوْنٍ ما تُودِعُهُ لديه ، وليس كلُّ من أوليَ جميلًا يشكُرُ ، ولا كلُّ شجرٍ وإن سَقِيَ بِشُمير ، وأنت بِسَرِّوكَ توسعُ قريحته ذكاء ، وصحيفته جلاء ، حتى يخلص خلوصَ

١ هو علي بن عبد الرحمن بن مهدي التنوخي من أهل اشبيلية (- ٥١٤ هـ) ، كان من أهل المعرفة بالآداب واللغة حافظاً لها (الصلة : ٤٠٤) .

٢ م : رقمته .

٣ م ط : تهاتِف ؛ س : تهالتف ، وهي غير واضحة تماماً في م .

٤ لعل الصواب : وصفته .

الذهب ، ويتخصّص بحلّة الأدب ، مُحَرِّزاً في ذلك ذكراً يَشِيْعُ خبره ،
ويفوحُ عنبره^١ ، والله يُبْقِيكَ لهذا الشأنِ تَذِيْعُ أسرارهِ ، وترفعُ منارَهُ ،
بغرته .

وله من أخرى عنايةً بأحد الأدباء الشعراء : مَنْ دَفَعْتَهُ الأيام -
أعزَّكَ الله - إلى القلبِ في الآطوار ، والتكسب بالأشعار ، لم يَخْفَ عليه
مواضع الأحرار ، في النجودِ والأغوار . على أنْ رَسَمَ الشعر قد درس
أو كاد ، ومرتاد البرِّ قد عَدِمَ المراد والمراد^٢ ، إلا أنْ صاحب هذا
الشأن لا بد أن يتصرف ، أنجح أو أخفق ، ويتسوق^٣ كسد أو نفق .

وممن دخل ذلك الصقع^٤ فأحمدَهُ ، وتخليل يُمنّ معاودته [٦١ ب]
فاعتمده ، فلان ، وله في صنعة القريضِ باع^٥ ، وبشكر ما يوالاه اضطلاع ،
وبين فكبه لسان^٦ كشقة مبرد ، أو ظبّة حسام فرد ، ولما كنت - أعزَّكَ
الله - مقدّماً في أعلام مصرك ، وأعيان عصرك ، وعلم ما بيننا من سهم
الوداد ، وكرم الاعتداد ، سألتني مخاطبتك راغباً في أن تسدّ له هنالك غرضاً ،
وتسهّلَ من حياضِ أمله فُرْضاً^٧ ، وترفعَ له في سبيل التزكية مناراً ، وتقلّده
من صوغِ التحلية طَوْقاً وسواراً ، فأجبتُهُ لما يمتُّ به إليّ من وكيدِ ذمام ،

١ د : المرام .

٢ م س : وتسوق ؛ ط : وسوق .

٣ م ط : الصنع .

٤ د : شدقيه .

٥ فرضاً : سقطت من ط م س .

وحميدٍ للام ، والثقة بتزول رغبتى لديك على طَرَفِ ثَمَام^١ ، وشرفِ
اهتمام . وأنت بسرّوك تُدنيه من كَتَفَيَّ قبولك وإقبالك ، ولا تُخلّيه
من الأنسِ بتهمّك واهتباك ، حتى يصدر وهجيره شُكْرُ إجمالك ،
ونشر صنيعه من جاهك أو مالك ، ان شاء الله .

وله من أخرى في مثله : مَن عَهْدَ - أعزّك الله - أنسَ فِئائك ،
وحُسْنَ اعتنائك ، وألفَ برّدَ أفيائك ، ولينَ أرجائك ، لم يجسه
عنك سَكَنٌ ولا وطن ، ولا لذّة له في غير حجرك وظلك وسَنٌ ،
فَمُوَلِّي الجميل محبوبٌ ، ومكان الأنسِ مطلوب ، والنفوس على علمك
تلتبس الرجحان^٢ ، وتعتمد الفضل حيث كان .

وفلان ، مَن قيّده إحسانك ، واستعبده امتنانك ، فهو لا يَعْدِلُ
بك أحداً ، ولا يحلُّ عن عصمة تأمليك يداً ، فإذا بَعُدَ عن جنابك لم
يَسْغُ له قرار ، ولا اطمأنت به دار ، وقد بعثه صدق الانقطاع إليك على
حَسَمِ العَلَقِ الموجبة لبعده عن ظلّ جناحك ، وأنسِ التماحك ، ولم
يَبْقَ له في غير مكانك سَبَبٌ^٣ يَجْذِبُهُ ، ولا أَمَلٌ يصدقه أو يكذبه ، وأنت
بمجدك توالي اصطناعه ، وتراعي انقطاعه ، وتلحظ بعينِ تهّمك
ضياعه .

١ العرب تقول للشيء الذي لا يعسر تناوله هو على طرف الثمام ، والثمام نبت لا يطول ولهذا
لا يشق تناوله ؛ وفي النسخ : تمام .

٢ م : الرهان .

٣ د : سبب .

وله فصل من جواب مخاطب به بعض الأدباء الشعراء : وردتني لك
قطعتان من القريض ، كقطع الروض الأريض ، أو نغم معيّد والغريض ،
تبسمتا عن ثغر وفاء ، وأهدتا إلي روح شفاء ، فأشعلت بذكر هممك مجمرأ ،
ووضعت عليه من ثنائي ندأ وعبرأ ، ورأيت ما ذكرته من إزماعك على
الرحيل ، واستجماعك لركوب ظهري السيل ، فاسترجعت بذكر البين ،
ما وهبت من أنس السعدين ، والله يرد ذلك الصعب ذلولاً ، والحزن
سهولاً ، ولا يعدمك ممن ترجوه ترحيلاً وتسهيلاً .

وله أيضاً من جواب على كتاب في مثله : تكلفت المراجعة وحسني
القرينة مثموداً ، وفي جوّ الذهن ركوداً وجموداً ، وبين أثناء الضمائر خطوب
مؤول ، وفي صفائح الخواطر ثلوم^١ وفلول ، وما قصدت معارضة التبريز
بالتقصير ، ولا حاولت مناهضة الخطو الواسع بالباع القصير ، وإني لمن
ينصف ويعترف ، ويرى مدى السابق فيقف ، ولست ممن يجهل فضل
ما بين النبع والغرب ، ويذهل عن فرق ما بين الشبه والذهب ، على
أن عذري في الصناعة مقبول ، وذنب في ساحة القريض محمول ، فأنني لم
أقرع له باباً ، ولا شددت به عصاباً ، وإنما يعدّ من أهله ، من سلك
مضائق سبله ، ويكتتب في فرسانه ، من تصرف في ميدانه .

ومن رسائله في التعزيات

نسخة رقعة كتب بها إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني^١ يعزيه عن أخيه :

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدي^٢
كن المعزّي لا المعزّي به إن كان لا بدّ من الواحد

إذا لم يكن بدّ من تجرّع الحمام ، وتشئت النظام ، وانصداع شمل
الكرام ، فمن الاتفاق السعيد ، والقدر الحميد ، أن يرث أعمار البيّنة الكريمة
مُشيدٌ علاها ، وتسلم من القلادة وسطاها ، فمدار الكفاية على مُعلّاه ،
وفخار الحلبة بِمُحَرِّزِ مداها . وفي هذه النبذة إشارة إلى مَنْ قَرَطَ من
الإخوة الفضلاء ، ودرج من السّادة النّجباء ، فإنهم وإن كانوا في رتبة الفضل
صلوراً ، وغدوا في سماء النبل بدوراً ، فإن شمس علائك أهرّ أضواء
وأزهر أنواراً ، وظلّ جنابك على بنهم ومُخلفيهم أُنْدَى آصالاً وأبرد
أسحاراً [١٦٢] .

ونعي إليّ - أوشك الله سلوانك ، ولا أخل من شخصك الكريم
مكانك - الوزير أبو فلان - برّد الله ثراه وأكرم مثواه - فكأنما طعن ناعيه
في كبدي ، وظعن باكيه بنخيرة خلّدي ، لا جرم أني دُفِعتُ إلى غمرة من

١ هو الحسن بن عمر الهوزني الأشبيلي (٤٣٥ - ٥١٢) وقد مرّ التعريف به فيما تقدّم ص: ٢٩١ .

٢ البيّتان لأبي فراس الحمداني ، ديوانه : ٧١ واليتيمة : ١ ٥٢٣ في تمزية سيف الدولة ،
وقد وردا في القسم الثالث : ٢٢٥ ونسبا في محاضرات الأدباء لأبي نواس ، وذلك تصحيف .

التلذذ لو صدِّم بها النجمُ الحار ، أو دُهِمَ بمثلها الحزمُ الحار ، ثم ثابت
إليَّ نفسي وقد وقَّذَها الجزعُ ، وعَضَّها الوجعُ ، فأطلتُ الاسترجاعَ ،
وجمعتُ الجَلَدَ الشَّعاعَ ، وما أنا عند الله أحتسبه جِمَاعَ فضائل ، وجمال
محافل ، وحديقةَ مكارم صَوَّحَتْ ، وصحيفةَ محاسن دَرَسَتْ وامْتَحَتْ ،
وما اقتصرتُ من رسم التعزية المألوفِ ، على القليل المحنوف ، إلا لعلمي
بأن المعزِّي لا يوردُ عليك غريباً ، ولا يُسَمِّعُكَ من موعظة عجيبة ، فبك
يَقْتَنِدِي اللبيبُ ، وعلى مثالكَ يَحْتَنِدِي الأديبُ ، وإلى غرضِكَ في كلِّ
موطنٍ يَرْمِي المصيبُ ، وفي تجافي الأقدار عن حَوَائِكِ ، وسقوطِها
دونَ فِتائِكَ ، ما يدعو إلى حُسْنِ العزاءِ ، ويهونُ جلائلَ الأرزاءِ ، لا
صَدَعَ الله جَمْعُكَ ، ولا قرَعَ نبأُ المكروه سمعَكَ ، بعزَّتِهِ .

وله من أخرى في مثله : وردني - أعزَّكَ الله ، وأشعرك الصبرَ لما قضاه
- خطابُكَ الخطير ، فاستقبلني أوَّلُهُ ببشرٍ وسيم ، وبرٍّ جسيم ، وتلقاني
آخره بوجهٍ شتيم ، ورزءٍ أليم ، فيا قُرْبَ ما انصرفتُ عن نهجِ الاستبشارِ ،
إلى سَمْتِ الاعتبارِ والاستعبارِ ، وانقلبتُ من مطالعةِ صفحةِ العهدِ
الواضحة ، إلى ملاحظةِ صورةِ الوجد الكالحة ، فما وقع سانحُ البشري ،
حتى أطاره بارحُ المنعَى ولا افتر ثَغَرُ النُعْمَى ، حتى اكفهرَ وَجْهُ البوسَى ،
بما ختمت به الكتاب الكريم ، وكان أحقَّ بالتقديم ، من ذكرِ وفاةِ الحبيبِ
الأديب ، أخيك ، ومحلَّ صِنوِي ، كان - رحمه الله ، وألحفهُ رضاه -
فياله رزءاً ، حَمَلَنِي عبثاً ، ومصاباً ، جرَّعَنِي صاباً ، وعند الله أحتسبه
جُمْلَةً عَفافٍ ، وبقيةَ أَشْرَافٍ .

ومما أوقد لوعتي ، وأكدَ روعتي ، أنْ دَرَجَ وللشباب عليه سرِّبال ،

وللأَمَلِ في تراخي مُدَّتِهِ مَجَالٌ ، فاعْبَاطُ النُفُوسِ أَنْجَعُ^١ ، وَبَغَتْ المَقَادِيرُ
أَوْجَعَ^٢ وَأَشْنَعَ ، وَهِيَ الآجَالُ : فَمَعْمَرٌ إِلَى أَقْصَاهَا ، وَمُخْتَصِرٌ^٣ دُونَ مَدَاهَا ،
وَلَا يَزَالُ الْمُؤَجَّلُ تُنْجِيْفُ نَوَاحِيهِ ، وَتُخْتِطِفُ أَدَانِيهِ ، وَيُفْجِعُ بِأَحْبَابِهِ ،
وَيَرْوِعُ بِأَتْرَابِهِ ، حَتَّى يَكُونَ هُوَ لِلْغُرُضِ الْمَصَابِ ، وَالْمَحَلِّ الْمَتَابِ ،
وَالسَّوَادِ الْمَخْتَرَمِ ، وَالْخِيَالِ الْمُسْتَقْدَمِ . فَمَنْ تَصَوَّرَ الدُّنْيَا تَصَوُّرَكَ ، وَأَوْسَعَهَا
تَدَبُّرَكَ ، لَمْ يَرَعْهُ هَاجِمٌ كَرِبٍ وَإِنْ كَلَّحَ وَجَلَحَ ، وَلَا هَزَّةٌ وَاقِعٌ
خُطْبٍ وَإِنْ طَمَحَ وَجَمَحَ ، وَلَعَلِمِي بِمَضَاءِ جَنَانِكَ ، عَلَى مَصَادِرَةِ زَمَانِكَ ،
وَاتَّسَعَ صَدْرُكَ ، لِمَضَايِقَةِ دَهْرِكَ ، سَلَكَتُ فِي التَّعْزِيَةِ مَسْلَكَ التَّخْفِيفِ ،
وَاقْتَصَرْتُ مِنْ مَعَانِي التَّسْلِيَةِ عَلَى الْبَسِيرِ الْلطِيفِ ، وَلَوْ شَهِدْتُ لِحِمْلَتِكَ عَنْكَ
بَعْضَ الْأَنْرَاحِ ، وَشَارَكَتُ فِي زِيَارَةِ الْغَدُوِّ وَالرَّوَّاحِ ، وَاللَّهُ يَعُوضُكَ الْعِزَاءَ
الْجَمِيلَ ، وَيُضْفِي عَلَى سَاقَتِهِ^٤ - جَبْرَهَا اللَّهُ - ظِلَّكَ الظَّلِيلَ ، وَيَدِيمُ
لِمَتَاعِكَ يَمْنٌ بَقِيَ مَعَكَ مِنْ أَخٍ كَرِيمٍ ، وَقَرِيبٍ حَمِيمٍ ، بَعِزَّتِهِ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى فِي مِثْلِهِ : مِحْنُ الدُّنْيَا - وَسَعَ اللَّهُ لَاحْتِمَالَهَا ذَرْعَكَ ،
وَأَنْتَسَرَ فِي إِحْيَاشِهَا رَبْعَكَ - ضُرُوبٌ ، وَلِسَانُ الْعِيْرِ بِهَا خُطْبٌ ، وَنَوَائِبُهَا
أَطْوَارٌ وَفَنُونٌ ، وَمَصَائِبُهَا أَبْكَارٌ وَعُؤُونٌ ، وَالْمَرْءُ غَرَضٌ لِأَخْيَافِ سِهَامِهَا .
وَمَعْرُضٌ لِاخْتِلَافِ أَحْكَامِهَا ، فَإِنْ أَخْطَأَهَا مِنْهَا صَائِبُ الْحَمَامِ ، وَتَخَطَّاهَا
وَائِبُ الْإِخْتِرَامِ ، رَشَقَتْنَاهُ بِنَبْلِ أَرْزَائِهَا ، وَطَرَقَتْنَاهُ بِمُعْضَلِ أَدَوَائِهَا ،

١ م س د ط : أجمع .

٢ د ط : أبشع ، س : أشنع وأوجع .

٣ ط م د س : ومختصر .

٤ الساق : مؤخرة الجيش ، والمقصود هنا - فيما يبدو - من خلفهم الفقيد بعد موته من
أبناء يحتاجون إلى رعاية . وانظر ما تقدم ص : ١٢٠ .

وَعَرَقَتْهُ بِعُصْلِ أَنْبَايَا ، وَأَشْرَقَتْهُ بِمُرِّ شَرَابِيَا ، وَأَوْدَعَتْهُ مِنْ صَنُوفِ
التَّصَارِيفِ آلاماً^١ وَأَوْصَاباً ، وَجَرَعَتْهُ مِنْ فِرَاقِ الْأَحِبَّةِ صَبْراً وَصَاباً ؛ فَمَنْ
فَهَمَ مَعَانِي صُرُوفِهَا فَهَمَّكَ^٢ ، وَعَجَمَ عُودَ خَطُوبِهَا^٣ عَجَمَكَ^٤ ، لَمْ
يَتَضَعُ مِنْهُ لَصْدَمَتَهَا^٥ جَلْدٌ ، وَلَا تَرَوَّعَ لَهُ عِنْدَ ظِلْمَتِهَا خَلْدٌ ، وَلَا
شَقَّتْ لِيَصْبِرَهُ فِي مَاتَمِهَا^٦ جُيُوبٌ ، وَلَا طَارَ بَقْلُهُ فِي مَلَا حِمَا وَجِيبٌ ، بَلْ
وَجَدَتْهُ مُشْتَبِعٌ الْجَنَانِ ، ثَابِتَ الْأَرْكَانِ ، مَنَهْلُ الْحَيَيْنِ ، مُشْرِقُ الْيَقِينِ ، مُتَسَمِّعٌ
الْجَوَانِبِ ، لَزْجَامِ النَّوَابِ ، مُسْتَقِلُّ الْكَاهِلِ ، بِأَعْيَاءِ النَّوَازِلِ .

فَلَنْ نَفَذَ الْقَدْرُ بَوَاقِيَهُ مِنْ كُنْتَ تَأْنِسُ^٦ بِحَيَاتِهَا ، وَتَتَيْمَّنُّ^٧ عَلَى الْقُرْبِ
وَالْبَعْدِ بَيْنَ صَلَاتِهَا وَصَلَاتِهَا ، وَتَضَاعَفَ الْوَجْدُ بِمَا افْتَرَقَ مِنْ فِرْقَةِ الْمُنُونِ ،
وَحِرْقَةِ [٦٢ ب] التَّوَيِّ الشَّطُونِ ، وَانْتِظَمَ مِنْ شَحْطِ الْمَزَارِ ، وَنَفُوذِ حَتْمِ
الْمَقْدَارِ ، فَمَنْ تَجَلَّدَكَ لِتَحَامُلِ الْخَطِيئِينَ مُحْتَمِلٌ ، وَلِتَصْبِرَكَ فِي سُومِ الْخَطِيئِينَ
تَصَرُّفٌ وَعَمَلٌ ، وَبِحَسَمِ عَظِيمِ الْمَصَابِ ، وَكِرَمِ الْإِحْسَابِ ، يَكُونُ حُسْنُ
الثَّوَابِ ، وَيُؤْمِنُ الْمَلَأَبُ ، فَلِلرَّزَايَا قِيمٌ وَأَثْمَانٌ ، وَلِلْحَسَنَاتِ فِي مُوَازِنَتِهَا^٧
خُفُوفٌ وَرَجَحَانٌ ، فَلَا تَمَكَّنْ مِنْ يَدِ الْخَزَعِ مَقَادَكَ ، وَلَا تُسْكِنِ
زُفْرَةَ الْأَسَفِ فُؤَادَكَ ، وَاعْتَصِمْ عِنْدَ الصَّلَامَةِ الْأُولَى بِعُرْوَةِ الصَّبْرِ

١ ط س : آمالاً .

٢ م : خطبها .

٣ م ط س : لصدمةها .

٤ م : لعبرة نوائها ، س : مآتمها .

٥ الشيخ : الشجاع لأن قلبه لا يخذله .

٦ زاد في ط د : به .

٧ ط م س : موازنها .

الوثقى ، وتجنب ما يقدح في كرم النصاب ، ويقبح عند فوي الألباب ،
واحتسب فقيدتك - قدس الله روحها ، وأنس ضريحها - حديقة أنس ،
نُقِلَتْ إلى جنة قدس ، وذخيرة إيمان ، ضمنت أكرم صوان ، ولا
تذهب نفسك حشرات ، ولا يتدارك نفسك زفرات :

فقد فارق الناس الأجرة قبلنا وأعيا دواء الموت كل طيب^١

وإذا كنا أهداف المنايا ، وأخلاف الرزايا ، وأبناء الأحلام ، وأنداء
الغمام ، فأني معنى في الجزع على من فرط ، والتوجع لمن شحط ،
ونحن عن قريب نقدم على من تقدم ونلحق بمن سبق .

وهذه جملة من شعره

خاطبه بعض الأدباء والشعراء بنظم ونثر ، فراجع بقوله من جملة
أبيات^٢ :

لئن راق مرأى^٣ للحسان ومسمع لحسناؤك الغراء أبهى وأمتع
عروس^٤ جلاها مطلع الفكر فانتنت إليها النجوم الزاهرات تطلع
زفت بها بكرأ تأرج طيبها وما طيبها إلا الثناء المضوع

١ البيت للمنتبي ، ديوانه : ٣١٥ .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة : ٣ : ٣٩٤ - ٣٩٥ والمطرب : ١٩٠ .

٣ ط م : معنى .

٤ القلائد والخريدة : تزوع .

لها من طرازِ الحُسْنِ وشي مهلهل^١ تبغيت منها متعة اللحظ فانزوت
لئن لم تجدْ فقدأ لمثلي عاجلاً فلو نك ذاك الحكمَ منها فأنه
ولي همةٌ لو طاول الدهرُ حُكْمَها لكنتُ بفتوى الجود في ذاك أقطع
ومن صيغة الاحسان تاج مرصع
وقالت أدون المهر يُبغى تمتع
فما لكمُ عن قيمة البُضْعِ مترع
تضاء لعمري عادل لیس يُدْفَعُ
لكنتُ بفتوى الجود في ذاك أقطع

وخاطبه أيضاً بعض أدباء العصر بشعر ، فراجع به قوله^٢ :

سلام كَعَرَفِ الْمَسْكِ أَوْ عَبَقِ النَّدِّ على مَنْ غدا بِالْفَضْلِ فَذَا بِلَانِدٍ
سلام كَأَنْفَاسِ الْأَحْبَةِ مَوْهِنًا سَرَتْ بِشِذَاهَا الْعَبْرِيَّ صَبَاً نَجِدَ
سلام كَلَيْمَاصِ الْغَزَالَةِ بِالضَحَى إلى الروضة الغناء غبَّ الحيا العِدَّ
على من تحدَّاني بمعجز شعره فأعجزَ أدنى عَقْوِهِ مَتَهَى جِهْدِي^٣
غزائي من حَوْكِ اللِّسَانِ بِلَأْمَةٍ مضاعفة التَّأْلِيفِ مُحْكَمَةِ السَّرْدِ
دلاصٍ من النظم البديعِ حصينةٍ تردُّ سنانَ النِّقْدِ مُنْتَلَمَ الْخَدِّ
عليها من الإحسانِ والحُسْنِ رَوْنَقٍ كما ديسَ مَتْنُ السِّيفِ مِنْ صَدَا الْغَمْدِ
وفيها على الطبعِ الكريمِ دلالة كما افترَّ ضوءُ السَّقَطِ مِنْ كَرَمِ الزُّنْدِ
إذا خفَّ منها جانبُ الهزلِ كَفَّةً ووقَّرَ مِنْ أَعْطَافِهِ ثِقَلُ الْجَدِّ
أبا عامرٍ لا زال رَبْعُكَ عامراً بوفدِ الثناء الحرِّ والسُّوددِ الرِّغْدِ

١ د والقلائد والخريدة والمطرب : مهلل .

٢ انظر القلائد : ١١١ والخريدة ٣ : ٣٩٥ .

٣ د م س وأصل ط : جدي .

٤ الخريدة : حباتي .

لقد سُمِّتِي في حَوْمَةِ القَوْلِ خُطَّةً
 زَفَقْتَ هَدِيّاً مِنْ ثَنَائِكَ حُرَّةً
 عَقِيلَةً مَجْدٍ أَتَلَعَ الفَخْرُ^١ جِيدَهَا
 وَكَلَّفَنِي أَنْ أَسْتَقِلَّ بِحَقِّهَا
 فَلَمْ أَرَ بَرّاً أُرْتَضِيهِ لِقَدْرِهَا
 فَعُذِرْتُ فَمَا عَذْرِي بِمُحْتَجِبِ السَّنَا
 فَإِنْ كُنْتُ قَدْ أَحْجَمْتُ عَنْكَ مَقْصِراً
 دَلَفْتُ لَهَا رَأْسِي حَيَا مِنْ المَجْدِ^٢ [١٦٣]
 يَقْصُرُ مَلِكُ الْأَرْضِ عَنْ مَهْرٍ مَا عِنْدِي
 فَأَغْنَاهُ ذَلِكَ الْخَلْتُ عَنْ حِلْيَةِ الْعَقْدِ
 وَهِيَهَاتُ مِنْ إِدْرَاكِ أَيْسَرِهِ وَحَدِي
 سِوَى الْوَدِّ مَحْمُولاً عَلَى كَاهِلِ الْحَمْدِ
 وَلَا وَجْهَهُ عِنْدَ الْجَلَاءِ بِمُسْوَدِّ
 فَلَا غُرُورَ فِي الْإِحْجَامِ عَنْ أَسَدٍ وَرَدِ

وكتب إليه أيضاً الأديب أبو عامر الذي ذكره بشعر أوله :

أَعِدُّهَا عَلَيْنَا أَيُّهَا النَّدَسُ الْحَبِيرُ هَدِيَّ قَوَافِ مِسْكَ صَفَحَتِهَا الْخَبِيرُ

فأجابه الوزير أبو القاسم بقوله^٣ :

أَمَا وَنَسِيمِ الرُّوضِ طَابَ بِهِ فَجَرٌ^٤ وَهَبَ لَهُ مِنْ كُلِّ زَاهِرَةٍ نَشْرٌ
 تَجَافَى^٥ لَهُ عَنْ سِيرَةٍ زَهَرُ الرَّبِّي وَلَمْ يَدِرْ أَنَّ السَّرَّ فِي طَيْتِهِ جَهْرٌ
 فَنِي كُلِّ سَهْبٍ^٦ مِنْ أَحَادِيثِ طَيْبِهِ نَمَاتُمْ^٧ لَمْ يَعْلَقْ بِحَامِلِهَا وَزُرٌ

١ مضمن من شعر أبي تمام ، وصدر البيت : أتاني مع الركبان ظن ظننته (ديوان أبي تمام ٢ :

١١٥) ، وعند هذا البيت ينتهي ما ورد من القصيدة في القلائد والخريدة .

٢ د : المجد .

٣ القلائد : ١١٢ والخريدة ٣ : ٢٩٦ والمغرب ١ : ٣٤١ والمطرب : ١٩٠ .

٤ المطرب : طاب له نشر .

٥ المغرب والقلائد والخريدة : تجامى ، المطرب : يحامي .

٦ المغرب والقلائد والخريدة والمطرب : نشر .

٧ المطرب : سر .

لقد فغمتني من ثنائك نفحة
تضوع منها العنبرُ الوردُ^١ فأنثت
سرى الكبرُ في نفسي بها ولربما
وشيب^٢ بها معنى من الراح مطرب^٣
أبا عامرٍ أنصف أخاك فإنه
أمثلك يبغي في سمائي كوكباً
ويلتمس الحصباء في ثغب^٤ الحصى
عجت لمن يهوى من الصفرِ تومة
تطأبتها مردودةً اللحظ برزة
هي الثيب استعصت علي وإنما
فلونكتها عذراء لم يعد وجهها
بدلت لها نقداً من الدرّ غالباً
ولني لصب بالتلاقي وإنما
أذوب حياء من زيارة صاحب
قوله : « ففي كل سهب من أحاديث طيبه » كقول أبي المغيرة ابن حزم^٥ :

١ المطرب : الند .

٢ المطرب : صرامي ؛ المغرب : ضرائبها .

٣ ط : وشتت ؛ د : وشتت ؛ م والقلائد والحريدة : وشتت . . . مطرباً .

٤ الثغب : ما بقي من الماء في بطن الوادي ؛ المطرب والقلائد والحريدة : ثغب .

٥ هذا البيت نهاية القصيدة في المصادر المذكورة .

٦ ط م س : ولا .

٧ القسم الأول : ١٧٩ .

وَرَتَّتْ بِالْحَاطِ تَدِيرُ كَوْوَسَهَا فِينَا فَتَشْرِبَهَا حَلَالًا مَسْكِرًا

وقوله : « أملكك بيني » ... البيت ، كقول الآخر ^١ :

أعندك الشمسُ تسري في مطالعها وأنت مشغولُ الألحاظ^٢ بالقمرِ [٦٣ب]

وأراهُ عَكْسَ قولِ حبيب ^٣ :

إذا الشمس لم تغربُ فلا طَلَعَ البدرُ

وقال أبو الطيب ^٤ :

خُذْ ما تراه وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ

انتهى ما أثبتته من كلام الوزير أبي القاسم ، وهو أبهى من النجوم وأبهى ،
وأسرى من النسيم وأسير ، وكنتُ جديرًا باستقصاء أخباره ، وحמיד آثاره ،
لا سيما ومزاره كَثْبٌ ، وبينِي وبينه من ذمام الأدب . والترام الطلب ،
سبب ونسب ، ولكنَّ النوائب زاحمت ضماثري . وضَرَبْتُ وجوهَ
خواطري ، فما دفع إليَّ عَفْوَاً تَلْقِيته وَوَعَيْتُهُ ، وما كانت فيه أدنى كلفة
رجوته وأرجيته ، ولا بأس من الزيادة إن انتهجت سبيل ، والله نظرٌ جميل ،
وفيه مطعم وتأميل .

١ هو أبو تمام ، ديوانه ٤ : ٤٦٤

٢ الديوان : الاحشاء .

٣ ديوان أبي تمام ٤ : ٥٦٨ صدر البيت : « وقالت أتنى البدر قلت تجلداً » .

٤ د : تشرق .

٥ ديوان المتنبي : ٣٣٠ .

فصل في ذكر ذي الوزارتين الكاتب أبي القاسم

محمد بن عبد الغفور^١ صاحب المعتمد^٢

وكانا قبل تمكن السلطان ، رضيعي لبان ، أمهما الكأس ، وفرسي رهان ، ميدانها الأنس ، فلما أفضى الأمر إليه ، وأديرت رحي التدبير عليه ، أراحه تِلاعه ، وعَصَبَ به خِلاقه وإجماعه . وتوفي ذو الوزارتين في عنفوان شباب ذلك الملك ، وهو منه بمكان الوساطة من السلك ، فقال المعتمد فيه من جملة أبيات يرثيه^٣ :

أبا قاسم قد كنتَ دنيا صحبتها قليلاً ، كذا الدنيا قليل متاعها

وقد وجدت لأبي القاسم شعراً إن لا يكن شديد المتن ، أزور الركن ، فإنه مليح الاطراد ، سَلِسُ القياد ، يقربُ من متناوله ، ويدلُ على قائله ، ولم يقعُ إليَّ وقتَ تحريري هذه النسخة شيء من نثره ؛ وفيما

١ له ترجمة في المطمح : ٢٩ والمغرب ١ : ٢٣٦ والخريدة ٣ : ٤٣٧ والنفع ٣ : ٥٥٢ (نقلا عن المطمح) . وهو جد صاحب «إحكام صنعة الكلام» (تحقيق د. رضوان الداية، بيروت) .

٢ قد أشار صاحب إحكام صنعة الكلام الى جانب من هذه العلاقة (ص ١٩٧) وأورد لجنده بيتين طيرهما للمعتمد حين كان المعتمد ما يزال يلقب بالظافر ، وهما :

ظفرت بالأعداء يا ظافر ونلت مجداً نوره باهر
فمنك الباغي والمبتغي عصب جراز وندي غامر

ففك المعتمد المسمى .

٣ انظر إحكام صنعة الكلام : ١٩٨ .

أثبت هنا من مقطوعات شعره ، شاهد صادق على ما أجريت من ذكره .

فمن شعره يخاطب أحد أعيان بني الدب^١ :

يا وزيراً تغزو له الوزراءُ	ضاق ذَرْعِي وبانَ مني العزاءُ
أمنَ الحقِّ أن أكونَ سقيماً	لستُ أرجى وفي يدك الشفاءُ
يا كبيرِي وسيدي وظهيري	كُنْ نصيري على أناسٍ أساعوا
قد توقفتُ في الشهادةِ حتى	حرَّم اليأسُ ما أحلَّ الرجاءُ
ولقد تعلَّمتُ مَحْضَ ودادي	وثنائي ، وقلَّ فيك الثناءُ
ولكم سائلٍ أطلَّ سؤالي	هل على الأرضِ مَنْ لديه وفاءُ
فجعلتُ الجوابَ منه مقالي	ليس يَخْفَى على العيونِ ذُكاءُ
إن جهلتَ الوفاءَ في أهلِ حمصٍ	فبنو الدبِّ سادةٌ زعماءُ
فيهمُ عفةٌ وفيهم وفاءٌ	ولهم ذمةٌ وفيهم حياءُ
وزراءُ أكابرُ كرماءُ	علماءُ أفاضلُ حلماءُ
أيُّ قومٍ وأيُّ أعلامٍ مجدٍ	أنجبتهم إلى العلا آباءُ
يفخر الدهرُ منهمُ بأناسٍ	ليس إلا لهمُ يدٌ بيضاء [٦٤ أ]
مَنْ يجارِ الوزيرَ أعني أبا مرٍ	وان في الفضلِ طال منه العناءُ
من يجاريه في متانةِ دينٍ	وعليه من الحياءِ رداءُ
أورثَ المجدَ والمكارمَ نجلاً	منه هامتْ بمثلهِ العليا

١ هذا المخاطب هو الوزير أبو مروان ابن الدب كانت له منية بعدوة اشبيلية ، وكان صهره هو الوزير الفقيه أبو أيوب ابن أبي أمية (انظر المطمح : ٢٨ - ٢٩ والنفع ٣ : ٥٥٠) .

فَاتَ أَهْلَ الزَّيْمَانِ فَضْلاً وَمَجْداً وَذُكَاءً وَأَيْنَ مِنْهُ الذُّكَاءُ
 أَلْعَبَ مَهْذَباً لَوْذَعِبَ لِلْمَرْوَعَاتِ فِي يَدَيْهِ لَوَاءُ
 وَإِذَا مَا اعْتَرَى لِأَكْرَمِ خَالٍ وَقَفَ الْفَضْلُ عَنْدهُ وَالسَّاءُ
 وَلَعَمْرُ الْعَلَا وَسُمْرَا الْعَوَالِي إِنَّهُ خَيْرٌ مِنْ تُظِيلِ السَّمَاءِ
 يَا عِمَادِي وَمَنْ عَلَيْهِ اعْتِمَادِي عَشْرُ كَمَا شَتَّ مُدْرِكاً مَا تَشَاءُ
 وَلَنْ كَانَتْ النُّفُوسُ فِدَائِي إِنْ نَفْسِي لِمَثَلِكُمْ لِفِدَاءِ

في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد الغفور^١ ،
 ابن ذي الوزارتين أبي القاسم المذكور ،
 واجتلاب قطع من شعره ، ولع من نثره

وأبو محمد هذا في وقتنا عارض^٢ إذا جمع استوشلت البحار ، ونجم^٣
 إذا طلع تضاءلت الشمس والأقمار ، وهو أحد^٤ من آوى من الحساب
 باشيلية إلى ثَبَجٍ عظيم^٥ ، ومشي من الأدب على مَنهَجٍ قويم ، سابق^٦

١ م : العليل ومن .

٢ قال صاحب المغرب (١ : ٢٣٦) « ذكره الحباري فقال : قطع الله لسان الفتح صاحب
 القلائد ، فإنه شرع في دمه ، بما ليس هو من أهله ، والله ما أبصرت حينئذ شخصاً أحق بفضله
 منه . . . » وسأله الفتح فيه (القلائد : ٦٠) : فإنه بادي الموج ، وعمر المنهج ، له
 ألفاظ متعمدة ، وأغراض غير متوقدة . . . وربما ندرت في نثره ألفاظ سهلة الغرض ، مستنبلة
 الغرض وهذا الذي يقوله ابن خاقان ذو حظ كبير من الحقيقة ، ويتبين ذلك من قراءة
 رسائله فإن الغموض - بسبب التقعر - يرين على صفحاتها ، وانظر أيضاً في ترجمته :
 الحريرة ٣ : ٢٩ ، ونقل عن أبي العباس قوله إن ابن عبد الغفور كان كاتباً بمراكش سنة ٥٣١ .

٣ ونجم . . . عظيم : سقط من م س .

لا يُمْسَحُ وجهه إلا بهيادبِ الغيوم ، وصارمٌ لا يحلى غمده إلا بأفراد
النجوم ؛ وكان نشأ بين يدي أبيه من دولة المعتمد ، بحيث يفىء عليه ظلالها ،
ويتشوفُ إليه قبولها وإقبالها ، وانشقت تلك السماء قبل أن ينوبَ متابَ
سلفه في سرُجها ، ويحلَّ بيتَ شرفه من أبرجِها ، والله هو ، فلئن كان
نبا به الأوان ، وضاقَ عنه السلطان ، فلقد نهض به جنانٌ يتدفقُ بالغرائب ،
ولسانٌ يقرى شَبَا النوائب ، وإحسانٌ يملأ أفاصي المشرقِ والمغرب .
وقد أخرجتُ من غرائب نظمه ونثره ما يُخجلُ الحدود ، ويعطلُ
السوالف الغيد .

فصول من كلامه في أوصاف شتى

له من رقعة خاطب بها بعضَ أهلِ عصره ، وافتتحها بهذين البيتين^١ :

لولا عدى غاظوا الصديقَ قَـ بِنَقِيهِمْ عني الكتابةُ
لم أوذِ سَمْعَكَ بالهُرَا ولا انحرَفْتُ عن المهابة

لعمرى - وإن كان نفى^٢ منفيًا ، وتفرَّع^٣ صديقًا حفيًا - لرب
أعجمَ ضَجِيرَ فأفصحَ ، وأجذَمَ عُيْرَ^٤ ففدحَ ؛ وإن لم يُستألفًا بعدَ

١ وردت الرسالة في المطاء الجزيل : ٣٢ .

٢ د : وإن كان لعمرى بقي .

٣ ط م : وتفرع .

٤ د : غير ؛ ط م س : عمر .

الإفصاح ، وما شقَّ من كُلِّفة^١ التحاملِ في الاقتداح ، لم يؤمَّنَّا على ذكرِ
 ميت ، وإحراقِ بيت ؛ فله من احتال لتخلصه^٢ ، ولم يُعْجَبْ بتخصُّصه ،
 ودفع بيد جلدِه ، في صدر حُسَّده . وفي هذه الجملة بلاغٌ لو ارتضيت^٣
 بها مُتَنَقِّصاً . ولم يرني^٤ بالاختصار عليها^٥ متخرِّصاً ، في الكتابة متلخصاً ،
 إذ لعله ممَّن يظنُّ الإيجازَ حَصَراً وانقطاعاً ، ولا يعتقدُ الإجادةَ مع الاسهابِ
 شيئاً موجوداً ولا مستطاعاً . لا جرمَ أَنِّي بحكمِ هذه التقيَّةِ سأطيل قصصاً ،
 وأتطلبُ فيما لم يَطْرُقْ من القولِ قنصاً ، ليعلمَ من نافٍ^٦ ، ومن جلفِ
 جافٍ ، بل من نزرٍ حقيرٍ خافٍ ، أتتني من كتابٍ وقته ، وإن رَغِمَ أنْفُ
 مَقَّتِه ، والله ما عرفتهُ إلى اليوم ، ولعلي سأعثر عليه في النوم ،
 فأعرفه : مِنْ أَرَعَنَ ناقصَ الوزنِ والصرفِ فأصرفه ، بسمَةِ من الهونِ
 تشغله بنفسه ، وتُخجله^٧ في رَمْسِه ، والله يفنيه ، [٦٤ ب] ولا
 يعرفنيه ، ويزنهُ عن شخصه الوَضِرِ الدَّنِيسِ عائرٍ سهامي ، ومن عِرْضِه
 القذِرِ النجسِ طاهرٍ كلامي .

وكأني بفارس هذه الصناعة ، ومالك أزمَّةِ البلاغة والبراعة ، قد
 سمع هذري ، وضحك من ضَجْري ، وعجَّبَ كريمة ودَّه ،

١ العطاء الجزيل : كلمة .

٢ د : بتخلصه .

٣ العطاء الجزيل : أرضيت .

٤ م : ترني .

٥ العطاء الجزيل : عليه .

٦ أي الذي نفى عنه القدرة على الكتابة .

٧ م : وتحجبه .

وعقيلة عهده ، من خاطب ، يستخف^١ مخاطب ، في ليل من الجهل
 خاطب ، لم يأت خيطنتها من بابها ، ولا رفق في طلابها ، وهيهات لمرتقب
 الشعري ، من ملابسة الكرى ، ولمثل أمل في ذلك السماء ، من تقصير في
 الاحتفاء ، ولكن صدر التحبير ، بما يشتمل على الضمير ، فمضى سمح
 لغيره بمكانه ، فقد ضرم فجاء قبل أوانه ، وكلف نضجاً ولات حين
 إتيانه^٢ ، وسأمرها من جميل الثناء مهراً تشمت زهراً ، وتختمه نجوماً
 زهراً ، وترده كثرأ ، وتحمده عيناً وأثراً ، وتحمل^٣ من بهائه تاجاً
 تنو الشمس لضباته ، وتفرق في لجة لألانه ، فيكون بدعاً من المهور ،
 ويفخر دهره على سائر الدهور ، بمقتضى ما التزمت شروط الوفاء فيه ،
 وحرمت من غدر بني الأيام صيحة مبانیه ، ولو اكتفيت بما مضى عليه
 سلفنا الكريم ، وتبع ولم ترم مركزها منه أعظمهم البالية الرميم ، من
 صفاء ود^٤ يعدي الحار فضلاً عن البنين ، ووفاء عقد يشقي النار عن أن تحرق
 بالطبع أو بالماسة عدد سنين ، أحرزت من الفضل نصاباً تجب فيه الزكاة ،
 وحيث من الفصل قصاباً لا تتركها الكفاة ، ولا تبلغها العفاة ، على أنه
 لا شيء أغرب من عقل يمتار مما في يديه ، ولا يحتاج إلى صدقة عليه ، ولا
 من فضل يتجاوز غلوة سهم ، فضلاً عن غاية شهيم .

وكنتم قد استغنيت بما أصلوا ، ولم أقطع بهذا الاستئناف ما وصلوا ،
 إلا أني وجدت نسب أدبه قد كل ، ورسم سبيه قد اضمحل ، والكلالة

١ الطاء الجزيل : من خاطب سخط .

٢ ط م د س : إتيانه .

٣ الطاء الجزيل : وتحمل .

في الآداب ، أمس^١ منها في الأنساب ، فاعتمدت بهذه النامة سداد خلل ،
وعماره طلل ؛ وشائع مجده كان أولى بهذه الرتبة من التهمم ، وأهدى
إلى سنن الفضل والتكرم ، إذ كان أفسح^٢ في القول طلقاً ، وأحسن في
در كليمه العذب سرّداً ونسقاً ، فكيف تزلّ لي عن صهوة الانتداء ،
وتوفر عليّ خطة الاقتداء ، هذا إذا قدرت ، وما أراها إلا كأختها قد تعذّرت^٣ ،
ليس إلا لمكاني^٤ من الحرمان والحمول ، وكلّ عذرٍ يُدفع به في نحر هذا
الصدق فغير مقبول .

وقد حطبتُ وخطبتُ ، وسببتُ بل ضربت ، ونكأبتُ حتى كتبت .
ولو خططتُ في صفحة البدر ، بأنجلي العشر ، أو في غرة الشمس ، بالمعهودة
الخمس ، وصفتُ لفظاً للرقعتين ، محاسن الحديدين ، لقييل رمى الغرض
فكاد ، ولو نسج على منوال فلان وفلان ؛ لأجاد ، وفلان إذا نقل الأقاويل
توسّط ، وإذا رُفِعَ إلى فطرته القطيرة تورّط ، فان رأى أن يراجع بالقبول ،
وبما لديه من الرأي الحسن الجميل ، بشرط العلول عن التفريط المخجل ،
واللفظ المشترك المحتمل ، واعتماد تجريحي في الصناعة بمجرد التبصير ، وتزيره
خطوه الوَسّاع فيها عن معارضة خطوي القصير ، دلّ على موضعي^٥ من
إيثاره ، وطار اسمي الواقع بيؤمن جواره ، عمّر الله ربّعه بالتأميل ،

١ المطاء الجزيل : أفصح .

٢ م : غدرت .

٣ المطاء الجزيل : بمكاني .

٤ المطاء الجزيل : أو فلان .

٥ المطاء الجزيل : ولي على موضوعين .

وَسَمِعَهُ^١ بِالتَّكْرِيمِ وَالتَّجِيلِ ، وَصَدَأُ^٢ هَذَا الزَّمَانِ مُعْنِدٍ كُلَّ عَقْلٍ ، وَفِي
مَا أُنَوَّكَفُ^٣ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ مِدْوَسُ^٤ إِمْتِهَانٍ وَصَقْلٍ ، وَأَزَالُ^٥ جَاهِلَ
شَبَحِي^٦ لَمَّا عَلَيْهِ مِنَ الْأَقْدَاءِ ، حَتَّى أَجْتَلِي صُورَةَ حَقِيقَتِهِ فِي رَوْنَقِ الْجَلَاءِ ،
وَحَبْذَا تَعَجَّلِيهِ قَبْلَ اسْتِيلَاءِ^٧ الْعُجْبِ الْقَبِيحِ ، وَتَكَانِفِ حُجُبِ الْغَيِّ عَلَى
مَتْنِ الصَّفِيحِ^٨ ، فَيَعَزَّ صِقَالُهُ^٩ ، وَيُعْجِزُ انْتِقَالُهُ ، فَرَأَيْكَ فِي ذَلِكَ مُسَدِّدًا
إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

فَتَخَلَّفَ الْمُخَاطَبُ^٧ عَنِ الْمَجَابَةِ ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَانِيَةً بِمُخَاطَبٍ قَالَ فِيهِ :

وَكُنْتُ أَعْتَقِدُ أَنَّهُ — أَعَزَّهُ اللَّهُ — بِجَوَابِهِ لَا يَبْخُلُ عَلَيَّ ، وَقَدْ بَسَطْتُ
لِنَيْلِي بِهِ الْأَمَلَ يَدِيَّ ، وَمَدَدْتُ لِاجْتِلَاءِ السَّرُورِ عَيْنِيَّ ، وَحَتَّى الْآنَ فَلَمْ
يَرْتَدْ طَرَفِي الشَّيْقُ لِي^{١٠} ، بَلْ قَبِدْتُ بِشَطُورٍ ، تَشَوُّفًا إِلَى بِهِجَةِ تِلْكَ السُّطُورِ ،
فَمَا ظَنَنِي بِصَفْرِ الْيَدَيْنِ مِنَ الْأَمَلِ ، نَاطِرًا إِلَى [١٦٥] أَحَدِ الشَّقِيَيْنِ كَالْمُخْتَبِلِ ،
بَلْ مَا ظَنَنِي بِقَوْمٍ يُكْثِرُونَ عَنْهُ السُّؤَالَ ، وَيَضْرِبُونَ فِيهِ الْأَمْثَالَ ، يُوَدُّونَ
لَوْ قَعَدَتْ تَحْتَ الرِّيْبَةِ مِنْ تَأَخُّرِ الْجَوَابِ ، وَأَطَاعَ دَاعِيَ الظَّنِّ فِي قَطْعِ رَحِيمِ
الْآدَابِ ، لَشَدَّ مَا قَدَحُوا زَنْدَ الْوَحْشَةِ فَصَادَفُوهُ — وَالْحَمْدُ لِلَّهِ — جِدًّا
شَحَاحٍ ، وَأَوْكَبُوا لِنَارِ الْفُرْقَةِ فَلَمْ يَسْتَضِيْثُوا مِنْهَا بِمَصْبَاحٍ ، وَظَنُّوا أَنَّهُ قَدْ

١ العطاء الجزيل : وصار .

٢ د ولا زال ؛ م ط : ولا أزال .

٣ كذا يمكن أن تقرأ في العطاء الجزيل . وفي ط : يستحي .

٤ ط م د س : الاستيلاء .

٥ ط م د س : عن .

٦ ط س : الصفح .

٧ ط م س : المخاطبة .

وَرَدَ مِنْ جَوَابِ كَرِيمٍ فَكَتَمْتُهُ كَتَمَ الْأَرْضِ ، وَلَمْ أَهْشُ لِنَافِلَةِ الشُّكْرِ عَلَيْهِ فَضْلاً عَنْ الْفَرَضِ ، وَهِيَهَاتَ لَوَجْهِ الصُّبْحِ الْمُبْرِجِ مِنْ كَتَمٍ ، وَلَنْسِيمِ زَهْرِهِ الْمُنَارِجِ مِنْ خَتَمٍ ، غَيْرُ كَلِمَةِ الْعَذْبِ ، بَلْ لَوْلَاهُ الرُّطْبُ ، يَجْهَلُ لِلْخُمُولِ سُرَاهُ ، فَلَا يَفْضُلُ عَنْ سِتْرِ الرَّاحِ سِنَاهُ ، وَلَا يَحْمِلُ مُثْقَلَاتِ الرِّيحِ مِنْ طِيبِ شِدَاهُ ، فَلِيَحْيَتَنَا مِنْهُ بِقِطْفٍ يُجَنِّينَا ثَمَرَ السُّرُورِ ، وَيُعْفِينَا مِنْ وَصْمَةِ التَّقْصِيرِ بِنَا وَالْقُصُورِ ، فَمَا زِلْتُ — أَرَاهُ اللَّهُ مَا تَمَنَاهُ — أَكْرَمَ بَنِي الْأَيَّامِ عَهْداً ، وَأَحْكَمَهُمْ عَقْداً ، وَأَبْعَدَهُمْ مِنَ الْآفَاتِ وَدَاً ، وَأَحْمَدَهُمْ قَرِيباً حَمِيداً وَبُعْداً ، وَأَصْعَبَهُمْ عَلَى الزَّمَانِ الْغَادِرِ مَرَاماً ، وَأَشَدَّهُمْ أَنْفَةً وَعِرَاماً ، مِنْ أَنْ يَنْقَادَ طَوْعَ زَمَامِهِ ، وَيَتَصَرَّفَ — وَقَدْ جِئْتُ خَاطِبَ وَدِّهِ فِي تَضَرُّعٍ أَنْفِي بَدَمٍ — عَلَى أَحْكَامِهِ ، لَا هُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْهُ — صَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ عَنْهُ — سَرّاً عَلَى مَا عَهْدُهُ مِنْ تَأْخُرِ كَلِمِي ، وَتَعَثُّرِ قَلَمِي ، وَاسْتَعْجَامِ بَنَانِي ، وَقِيَامِ ظِلِّ الْبَلَادَةِ دُونَ إِحْسَانِي ؛ فَهَلْ شَعَرَ أَنَّ قَدْ نَبَلَ النَّاسُ ، وَظَهَرَ النَّسْنَسُ ، وَكَلَّمَ الرَّمْلُ الْهَزَجَ ، وَسَبَّطَ غَيْرُ مَا شَيْءٍ فَا مَتَرَجٌ ! ! وَلِذَلِكَ مَا أَقْدَمَ بِي قَدَمُ الْإِعْجَابِ ، وَاسْتَوْذَنْ لِي عَلَى دَوْلَةِ الْكِتَابَةِ بَعْدَ طَوْلِ حِجَابِ ، فَافْتَتَحْتُ مَطَالَعَةَ حَضْرَتِهِ الْبَهِيَّةِ ، أُرَانِي بِنَيْلِ هَذِهِ الرُّتْبَةِ الْعَلِيَّةِ لِلنَّجْمِ رَاكِباً ، وَالسَّعْدِ مَوَاكِباً ، وَإِنْ كُنْتُ مَتَكَاتِباً لَا كَاتِباً ، وَقَاعِداً حِينَ تَطَارَدَ فُرْسَانُ الْكِتَابَةِ لَا جَائِئاً مَعَهُمْ وَلَا ذَاهِباً ، مَا ضَرَّهُ لَوْ قَارَضَنِي عَلَى الْجِدِّ وَلَوْ هَازِلًا ، وَسَابَقَنِي إِلَى غَايَةِ الْوَدِّ وَأَنَا الرَّاكِبُ الْمُنْبَتُّ فَيَسْبِقُ مُسْتَرِيحاً نَازِلًا ، بَلْ مَا ضَرَّهُ لَوْ فَتَقَى لَهَاتِي وَقَدْ هَمَّتْ ، وَسَدَّدَ سَهَامَ كَلِمَاتِي وَقَدْ أَلَمَّتْ ، بِمَكُونِ الدَّرِّ ، مِنْ أَلْفَاظِهِ الْغَرِّ ، وَمُخْجَلِ الزَّهْرِ ، مِنْ حِكْمِهِ الزَّهْرِ ، فَيُدْنِي مِنْ ذِي حَرَصٍ عَلَيْهِ

١ لا كاتباً : سقط في م س .

أمله^١ ، وبعث جذله^٢ ، ويكون جمال^٣ إصابته له ؛ فلم حرمني جوابه^٤ ،
وتغافل عني^٥ وقد قرعت^٦ بيد الثقة^٧ بابه^٨ ، ألا سلّم للأيام ، في إحالتها طباع^٩
الكرام ، وأنشد :

ومن صحب الدنيا طويلاً تقلّبت^{١٠} على عينه حتى يرى صدقها كذباً^{١١}

كلاً^{١٢} ، لا أسلم لها فيه ، ولا أوجدها^{١٣} السبيل إلى شين^{١٤} معاليه ، ولو
ضاعت هذه الثانية^{١٥} ضياع سراج في شمس ، ولقيت^{١٦} من إعراضه عنها ما
لقيت^{١٧} أختها بالأمس ، فليصل^{١٨} من^{١٩} وصله ، وليعذر^{٢٠} في الاقتضاء من^{٢١}
مطله^{٢٢} ، ولو غيره عاملي مثل هذا الاتزواء ، وقابلي بأيسر كبير وجفاء
لنظرت إلى كلمة أبي الطيب^{٢٣} :

لا تحسبوا ربّكم ولا طلّله^{٢٤} أوّل^{٢٥} حي فراقكم^{٢٦} قتله^{٢٧}
فكنت أقول :

لا تحسبوا قولكم ولا عمّمة^{٢٨} أوّل^{٢٩} ركن^{٣٠} بناصل^{٣١} هدمه^{٣٢}

وربّ كاتب أثقف مبان^{٣٣} ، وأشرف أبيات معان^{٣٤} ؛ ولكنه عيني التي
بها أبصر^{٣٥} ، وعصّدي التي بها أنصر^{٣٦} ، فمن ذا الذي يعتمد بسوء بصّره^{٣٧} ،

١ البيت المتنبي : ديوانه : ٢١٨ .

٢ س : أوجد لها .

٣ ديوان المتنبي : ٢٣٤ .

٤ س د ط : عمله .

ويقلع^١ نابه^٢ حين يجني عليه أو ظفروه^٣ .

وله من رقعة : توفي الصبر فهششت لأقامة زسم العزاء ، ثم تذكرت فتأخرت ، وأن نفسي - فاديتته - عيرتني ترك المقال ، وقالت : أين ما ذخرت لهذه الحال ؟ فقلت : أحسن الله عزاء من بكاه ، وأرضى بقبض ذلك الظل من اشتكاه ، حتى يهدي إليه غفراناً ، يلحقه رضواناً ، ويحفه روحاً شهيداً وريحاناً ، ليعلم المالك - رحمه الله - حيث تصفو العقول ، وتنسى الحسائف السالفة والذخول ، أن الباقي بعده قد عطف على الأول <عطفاً> ، وإلى ما يقربه إلى الله زلني ، فأهدي سنًا المغفرة ، إلى عظامه النخرة ، وكره الشّمات ، ولم يحقد على من مات ، وإن كانت العرب قد هجت قتلها ، وشمّت على مرّ الدهور بموت عيّاها . قال الحصين بهجو من قتله^٣ .

• [٦٥ ب] فلما علمت أنني قد قتله •

وقال غيره يشمت :

وان بقاء المرء بعد عذوه ولو ساعة من عمره لكثير

١ م ط : ويقتلع ، والتاء غير معجمة .

٢ ط : نظفر ، وفوقها « كذا » .

٣ الحصين بن الحمام المري ، هو الذي يقول لما أكثر القتل في بني صرمة بن مرة وحلفائهم يوم دارة موضوع :

نفلق هاماً من رجال أعزة علينا وهم كانوا أعق وأظلماً

أما قوله « فلما علمت أنني قد قتله » فانه صدر بيت للقتال الكلابي ، وعجزه « ندمت عليه أي ساعة مندم » (ديوان القتال : ٨٩) .

وقال حبيب^١ :

يا أسدَ الموتِ تَخَلَّصْتَهُ من بين لحبيّ أسدِ القاصرة^٢

وقال أبو الطيب^٣ :

قالوا لنا : ماتَ اسحقُ فقلت لهم : هذا الدواءُ الذي يشفي من الحمى

والله يعمرّ السيد حتى يرثَ أولياءهُ وأعداءه ، ويقتضي على الأيام
علاءه وسناؤه ، فليس لهذه المدّة منتهى ، ولا يبلغ منها مدى .

ومن أخرى : وإنما هو دأبُ فلكيّ ، وجريّ سُلَيْكيّ ، يتأكّد وينتصل ،
وتولّد أسبابهُ فلا تَقْنَى ولا تنفصل ، قال الأول^٤ :

فيوماً على سِرْبِ نقيّ جلوده ويوماً على بيدانةٍ أمّ تولبٍ

• وتلك المني لو أننا نستطيعها^٥ •

وأنا أقول : فيوماً في سوق فليق ، ويوماً في طحن دقيق ، ويوماً أقتاتُ
فيه بسختٍ^٦ السويق ، ويوماً أقطعهُ على الربق ، ويوماً في شهيّق ، ويوماً

١ ديوانه ٤ : ٣٦٢ في هجاء عياش بن لهيعة .

٢ القاصرة : موضع على الطريق بين مكة ومصر .

٣ ديوان المتنبي : ٢٢١ .

٤ هو امرؤ القيس ، انظر ديوانه : ٤٩ .

٥ البيدانة : الاثنان التي تمشي في البيد ولا تقرب الناس ، التولب : الولد الصغير .

٦ فيه اشارة إلى قول البحري : « مَي النفس في أسماء لو تستطيعها » (الديوان : ١٢٩٦) .

٧ السخت والسختيت : دقاق السويق ؛ ط د : بسخت ؛ م س : بحت .

بالحامدة ويوماً بالسليق ، سبعة القاب ، لسبعة تأكل شِلْوَ الأحقاب ،
تَسْعُ جميع الشهر ، وتجري كالروح في هذا الدهر ، فأنا آلمُ من السليم
بوجهه ، وأشغلُ بهذا الكدِّ منه بأشجعه ، حتى آوي إلى عجز . لنوبها
الترادفة مَنْ يجوز^١ ، آونة تَطْلُبُ بميت^٢ سور ، وآونة بينان جسور^٣ .
وما في إناء رزقها المكسور ، مِنْ بِلالة سور^٤ ، ولم يبقَ على هذا القياس
بعد مَغْرَمِ الثُّغورِ والدروب ، إِلَّا أَنْ تُشَمَّرُ عن ساقٍ للحروب ، وإنما
عليهنَّ جرُّ الذبول ، وعلينا إجراء الحيول ، فان رأى — أعزّه الله — أن
يُعْفيها ويكفيها ، فلها أمثال^٥ ، في ربّات الحجال ، وفي ذوي اليسار من الرجال .
وقد تقدم أمرُ الأمير باعفاء النساء ، بيمين فالقوادم فالخساء ، فما شأن هذه
المرأة تُخَصُّ بالغرامة ، وتستثنى بهذه الحضرة من الكرامة ؟ أفترأها التي
دلّت على ضيف لوط ، فتُسْعَطَ من قاتلِ الظلم هذا السَّعوط ؟ كلاً ولكنّها
أمّ كاتب هذه الرقعة التي لو فُسِّرَتْ لفصحاء يونان ، لعضوا من حسرة
التقصير عنها البنان .

وله من أخرى : جُعِلْتُ فداك ، هل ظفّرتَ بمطلوبٍ يداك ؟ كلاً
ولكنك رأيتَ سراياً ، فحسبتهُ سراياً ، وَغَرَّتْكَ دُمَاةٌ ، تحنها غَثَاةٌ ،

١ ط د س : يجوز .

٢ م : ميت .

٣ ط : بلقيان جبور .

٤ سور : مخففة من سور أي بقية .

٥ د : امتثال .

٦ من قول زهير (ديوانه : ٥٦) :

عفت من آل فاطمة الجواه فيمن فالقوادم فالخساء

وسكون^١ ، لا يصلح إلى جانبه ركون^٢ ، وبحكم الرغبة والحرص ، كانت فراستك في ذلك اللص^٣ ، وإلا فصمت عبي^٤ ، لا يذهب على المعنى^٥ ، ودمع^٦ فاجر ، لا تروى منه المحاجر : وإذا قد نبأ حدّ عتابك من قرع^٧ ذلك الحجر الصلد ، كما أعيأ قبل ذلك على ذي ميرة^٨ جلد^٩ ، فمن العناء^{١٠} معاناته^{١١} ، ومن الدناءة قرْبُه ومداثاته^{١٢} ، فاستشعر اليأس^{١٣} منه ، واصرف عينان التريب والعذل^{١٤} عنه ، فانما هو كذئب في ثلّة^{١٥} ، بأرض مدّلة^{١٦} ، في ليلة بعيدة مسافة^{١٧} الصباح ، قعيدة روعات الصراخ والنباح ، يتملأ^{١٨} من دماثها ، ويهزأ هذا الخبيث^{١٩} من ثغائها^{٢٠} ، بل هو أعق^{٢١} من ضب^{٢٢} حرب^{٢٣} ، في جُحر^{٢٤} خرب^{٢٥} ، يخاف على حرشائه من الحرش^{٢٦} ، ولا يعتصم من أعدائه كمعرب^{٢٧} الحرش^{٢٨} ، فهو إلى عقوقه^{٢٩} أنزق^{٣٠} من ذي خرق^{٣١} ، وقع في حباله^{٣٢} ثم ابن^{٣٣} ، أحسن^{٣٤} الله فيه العزاء حيتاً^{٣٥} ، وطوى بيد السلو^{٣٦} لهجي بشكايته طيباً ،

١ ط د : قراع .

٢ م س : المعنى .

٣ في النسخ : لمسافة .

٤ في النسخ : يتملاء .

٥ في النسخ : الحبيب .

٦ م : بكائها ؛ س : بقائها ؛ ط د : بغائها .

٧ الحرشاء : النقرة من الحرب ، ولعلها « الحرشاء » أي الجلد ، الحرش : الحك والقشر ،

والحرش أيضاً صيد الضب .

٨ د : بعرب ؛ ط م س : لعرب .

٩ الحرش : الغض والحدش .

١٠ م : عقوبة .

١١ م : حباله أبق .

حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواه أصدق من نار القرم في الصدق ، وأبصر في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

وله من أخرى : وصل جوابك فشفي غليلاً ، وبرّد غليلاً ، ونسم من رَوْحِ الظَّفَرِ بالأمل نفساً بليلاً ، وما كان لشرب وداك العذب أن يستحيل صاباً ، ولا لمحل مجدك الموفي على الشهب أن ينحط نصاباً ، ولا لوفاء منك رسا ثبيراً ، أن يذهب مع الرياح هباءً مستطيراً ؛ عقدة ودك أحصف ، وحجاب مجدك أضفى من أن يُسترقّ وأكثف ، بقيت لغماء تجليها ، ونعماء توليها ، وعلياء تنافس فيها^١ ، وإن أتبع سيدي قرّس البرّ بي لحامها ، وقرع عارض المسرة تكاتفها والثامها ، فقد أمكن من الإحضار ، وروى ظيما آمالي بمنهل القطار [١٦٦] .

وله من أخرى : من الأمور الشائعة ، والمعاني المتفقة الواقعة ، ما يُعدّل له في الكتب عن قصد السبيل ، ويؤخذ في أساليب التطويل ، وشعاب التمثيل أو التعليل ، فيقوم عذر الكاتب ، ويرجى الفلاح للمكاتب ؛ كالرأي المستحكم مني في جانبك - أعزك الله - دون سبب أحكمه ، وأرب قضى لمّا عن فأبرمه ، ولكن فطرة في الميلاد ، وحكمة من خلاقي العباد ، خفيت عن أذهان منّا حداد ، وضرب بيتنا وبين سرّها المكثوم بسدّ بل بعدة أسداد ، فمنا - معشر الانس - من يجيب المارّ الأجنبيّ لسلامه ، ويبغض البارّ الحفيّ من أخواله وأعمامه ، وربما زاد سوء المقدار ، في

١ ط : بغيت ؛ د : بقية ، وسقطت اللفظة من م س .

٢ ط : فيه .

ذميم هذا الاختيار ، فهجر أحد أبويه أو كليهما ، وقد علم أن طاب الجنة تحت قدميهما ، فقضاه النوع البهيمي بققر أثر مريضه ، وقد غني عن رضاعها ، وزاد على خطوة باعها ، وتبرأ منه الجنس الإنسي بموجب عقله ، ومقتضى دليلي برهانه عن الله تعالى ونقله ، فلا هو من البشر في شكر المحسن إليه ، ولا من البقر في إلف القائم ولا من الشجر ، بل هو أفسى من الحجر ، ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَنْ يَشْتَقُّ فَيُخْرِجُهُ مِنْهُ الْمَاءُ ﴾ (البقرة : ٧٤) فيكون باذن الله مورداً ، وتلطف منه الأجزاء فيكحل إثمداً .

وقد لعمرى منيت بهذا النوع من الولد ، وكذبت به أبرح كد ، واشتغال نفسي بقسوه ، بعد حنوه ، ويبعده بعد طول دتوه ، مزج شكيتي ، بالبسط لأمنييتي ، حتى هرفت بمالم أعقده عليه نيتي ، ولا قصدته في هذا المقام برويتي : كالمارف : « أصبحوا الركب اغبقوا الركب »^١ ، والمارفة : « زوجوني زوجوني »^٢ .

• إن اللسان على الفؤاد دليل •

والله^٣ يحسن فيه الغزاء حياءً ، ويطوي بيد السلو نهجي بهذه الشكاية طياً ، حتى أنساه ، ولا أعرفه حين أراه ، وفراستي في سواه ، أصدق من نار الفرس في الصدق ، وأبصر في ظلمة الاشتباه من طالع الأفق .

١ فيه إشارة إلى النمر بن تولب ، فقد كبر حتى خرف وأهتر فجعل يقول : أصبحوا الركب (الشعر والشعراء : ٢٢٧ والخزانة ١ : ١٥٦) .

٢ فيه أيضاً إشارة إلى قصة امرأة جعلت تردد هذا القول عندما خرفت وأهترت .

٣ من هنا حتى آخر هذا الفصل مكرر ، انظر ما سبق ص : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

وفي فصل منها : وإذا اتفق من المشاكاة ما صدّرنا الكتاب به ، ومن المماثلة ما قد ائتملت نفوسنا بسببه - وهي كما قال عليه السلام : «أجنادٌ مجتدة» - فمن حقنا أن نأتمل ولا نختلف ، ونتعاون أعضاء وآراء ، وأقوالاً وأفعالاً ، ونطيب نفوساً ، ونستوي في حُسن العشرة أقداماً ورؤوساً ، فنصرف على الأيام جمالَ أنبائها ، ونرسم في جريدة وفائها ، ونسربل من الحمد لبُوساً ، ونقمع من استيلاء الدمِ معرة وبُوساً .

ومن أخرى : من طال - أعزك الله - أمد ارتياده ، ودوم به جناح جِده واجتهاده ، في طلبِ كريم الأخلاق ، ثم قدر له ^١ به تلاقٍ ، فما أحراه وقد وجده ، أن يشدَّ على عِلْقٍ منه يده ، حتى إذا اعتمد اختياره ، وأحمدَ في كلِّ الضرائب آثاره ، شدَّ عليه بالعَشْرِ ، وسجد له سجدة الشكر ، وصان منه بعدُ نِعمة ^٢ تاج ، وفارج رتاج ، فأسكنه في جَفْنٍ ناظرٍ كريم ، ورباً به عن جَفْنٍ مُتَّخِذٍ من الأديم .

وأنت حقيقةً ذلك العِلْقُ الشريف المشدود عليه ، ومجازاً شبه العصبِ المشرَّفِ ^٣ المشار إليه ، مَنْ أَحْرَزَكَ أَغْنَيْتَهُ ، أو هَزَكَ شَقَيْتَهُ ، أو استكفأك خَطْباً مستليماً كَفَيْتَهُ ، ولتناهي ودادي فيك ، وتشيعي الشائع لمعاليك ، أقنصرُ معك على لقيةٍ في العام ، وأعتدها في سَنَيِ الإنعام .

١ له : لم ترد في ط م .

٢ د : وصان منه يمينه ؛ ط د : بعد نعمة ؛ س : تنميته ؛ وفوقها «كذا» في النسخ .

٣ في النسخ : أشبه العصب المشرف .

٤ د : واعتقدها من .

وفي فصل منها: وإنما يثابر على عمارة ما غرس، ويرجع في الإقامة على ما أسس، من استراب ببحث التربة التي احتلها بغيره، واختطها لوقاية نفسه، وأما من أحمد نراه، فقد طابت يقظته وكراه؛ على أن لقاء سيدي ومشافهته، ومحدثته ومفاكهته، كان أحب إلي، وأمتع لمسمي، وأجلب لقرّة عيني، ولكنني مشغول بيومي، مدفوع إلى تقوية قومي: وأحارب خيلاً من فوارسها الدهر^١، ولا عدة إلا التجلّد والصبر

قد عدت أعزى من نواة، وكنت أكسى من قطاة، فإذا لقيت ذا هيئة خجلت خجل بخرء [٦٦ ب] اضطرت إلى سرار، وفوها همّت بافترار، ووزير بل أمير دفع بعد ركوب الفاره إلى ركوب حمار.

ومن أخرى^٢: ربما كان من اللطاف ما لا سبب له، إلا تنفيق كتب كاسدة، وتسويق سلع^٣ فاسدة، لأنّ المُلطِّف أحوج بسوء عشرة إلى تقويم، أو غلظ قشرة إلى ترقيق أديم، ولا أن الشيء^٤ المهدى يُسَمِّن ولا يغني من جوع، فيمنع^٥ بالفرح له أو الترح عليه غناً^٦ من الهجوع،

١ س م : تقوية .

٢ صدر بيت للمتنبي، وعجزه : « وحيداً وما قولي كذا ومعي الصبر » .

٣ وردت في المعطاء الجزيل : ه وتكرر بعضها فيه ص : ٩٧ .

٤ م ط س : أهل اللطاف .

٥ س م ط والمعطاء الجزيل : كنية .

٦ م س ط والمعطاء الجزيل : شعرة .

٧ الشيء : سقطت من المعطاء الجزيل .

٨ المعطاء الجزيل : فيمنع .

٩ ط : سيباً .

لَاهُمْ إِلَّا أَنْ يَكُونَ طُلُوعُ ذَلِكَ الشَّيْءِ النَّزْرِ، مِنْ وَدُودٍ بَرٍّ، أَوْ مَوْدُودٍ رَفِيعِ الْقَدْرِ، فَهُوَ أَوفَرُ مَا يُقْنَى^١، وَأَبْعَدُ مَا يُتَمَنَّى.

وفي فصل منها : فالمودات ، ما خَلَّتْ من تَهَادٍ مُكَرَّرَةٍ^٢ ، كطبيخ خلا^٣ من اللحم يُدْعَى مَزُورَةً^٤ ، والمهدَى بين يدي هذه الأحرف عدد^٥ كذا من سفرجل ، وتصحيفه عندي سفرجل ، وإذا سفر عن ثغره جل^٦ ، فالظفر بطارقِ الهم^٧ مجل^٨ ، يشبه صُورَ العذارى ضَمَّتْ بالعبير^٩ ، وثديهن بالتقيس^{١٠} والتقدير ، كأنما لبستُ من الحرير سَرَقًا ، أو شكتُ بألوانها وجدًا قد برَّح بها وأرقًا ، بل كأنما سرقتُ الثدي طَوابعَ مسكِ أَحَمَّ ، ضَمَّتْ عليه جوانحها إذ^{١١} خافت الذَّمَّ^{١٢} ، أقداحَ غَرَبٍ^{١٣} ، عَلَّتْ بماءٍ ذَهَبٍ . طُبِعَ من العنبر^{١٤} نواها ، وناب عن شذاها الفائح للشَّربِ ساطع شذاها ، وربما^{١٥}

١ م ط س : مما يتقنى ؛ د : يعنى ؛ والتصويب عن العطاء الجزيل .

٢ د : مكدره .

٣ العطاء الجزيل : خلا .

٤ المزورة : نوع من الحساء دون لحم .

٥ العطاء الجزيل : عدة .

٦ ط د : خل .

٧ ط د : مغل .

٨ م ط : بالعنبر .

٩ د : بالتقيس ؛ ط م س : بالتعنين .

١٠ العطاء الجزيل : ثم .

١١ م ط : الدم .

١٢ ط : أفراح عرب .

١٣ العطاء الجزيل : العبير .

١٤ العطاء الجزيل : ولربما .

فصلت شهياً التفاح ، وفكت بأدواء المعد فتكة السفاح ، وإن فاكهة تشبه الثدي ، وتشترك في بعض صفاتها الهدي ، بلحديرة بأن يحفظها عناقاً ، ولا يعدل بالواحدة منها عناقاً^١ ، بل يجعل فدية قضمها أن تُشدّ وثاقاً ، وتضرب أعناقاً . وإن حملك من نفسي لحصيب جناب الصفاء ، نقي جلاب الوفاء ، فصيح طير الثناء ، نصيح جيب الصناعة والولاء ، وداداً لا يُبلغ مداه ، ولا تويس هواجر البعد ثراه ، والله يلحفه من التمهيد ظلالاً ، ويزيد يانع روضه نضرةً وجمالاً ، حتى لا تكري عيون أزهاره ، ولا تعيا ألسنة أطياره ، ولا يعزى من ورق عوده ، ولا تخشى من حل نظام عقوده .

وفي فصل : وعذب شيم ، لو أنطقها الله لقلت : معشر الأنيس على شفا ، لن تجلوا في غيري مُرْتَشَفاً ، فردوا نيمراً سائغاً ، وتفيأوا ظلاً سابقاً .

وعرضت عليه رسالة أبي عمر الباجي وأبي القاسم بن الجلد المتقدمين في صفة المطر بعد القحط ، فعارضهما برقعة قال فيها^٢ :

ولله جلّت عظمته أوامر تحيل المنيرة عن طباعها ، وتسلب^٣ من حصي المعزاء فضل شعاعها ، وترد^٤ في خلف تمرية حلب^٤ ارضاعها ، لا

١ العطاء الجزيل : تحفظها . . . تمل . . . م ط : عماقاً .

٢ وردت في العطاء الجزيل : ٩٧ ، ١٢٩ ؛ وانظر ما تقدم : ٢٨٩ .

٣ العطاء الجزيل : وتسلب .

٤ في النسخ : من خلف الممرية جلب ؛ م : بحلب .

تُلْحَقُ بسوابق الرهان ، في مبادي الأذهان ، ولا تُدْرِكُ بقداح القمار ،
من معليات الأبصار ، تُطْلِعُ المِنَحَ من ثنياتِ المحن ، وتُخَوِّلُ العاجزَ
الزمن ، مُنْفِساتٍ الزَّمنِ ، وقد تَذْهَبُ بما تهب ، وتُغَيِّرُ على ما به تَغَيِّرُ^١ ،
حكمةٌ بهرتْ حقيقتها زواهرَ الأفكار ، وغمرت دقيقتها^٢ زواخيرَ بحارِ
الاعتبار ، له الخلقُ والأمر ، وبيده النفع والضرر ؛ وإنَّ أحقَّ النعمِ بشكرٍ
لا تَنْضَبُ مُدودُه ، وحمدٌ تتجاوزُ حدَّ المجهودِ حدوده ، نعمى أحييت
بالسُّقيا أرضاً مواتاً ، وأنشَرتْ بِدَرٍّ الحيا أملاً رفاتاً ؛ وقد غَبَطَ طيرُ الماءِ
ضِيَابَ اليهماء ، وحجب كاسفُ الرجاءِ نِيراتِ النعماء ، وشابت مفارقُ
الرياضِ ، وغاضَتِ مُفْعَماتُ الحياضِ ، واقشعرتِ الرِّبى ، وحلَّتْ نبتُ
الحاجِرِ عَقْدَ الحبِّ ، وباتت أزهارُ الغيطانِ ، عليلاً الأجنان ، تستسقي
نجومَ السماء ، وتتوسَّلُ بالشَّبهِ إلى ذوات الأنواء ، فعندما أُمستِ البسيطة
على شفا ، وأجْبَلَّ^٣ المحتفرُ ولم يجدْ مُرْتَشِفاً ، أرسلَ الله تلكَ النعمةَ ، بين
يدي الرحمة ، ريحاً لينةً هُبُوبِ النسيم ، في الروضِ الحشيم ، شديدةَ حفزِ
الغمام ، لتدارِكُ ما في الكمام ، فنسجتْ بِإِذْنِهِ مِلاءَها ، ورمتْ أُمُراسَها
وَدَلَاءَها ، فلما لَمَّتْ قَرَعَها^٤ ، وَوَصَلَتْ بِقُدْرَةِ الخلاقِ قِطْعَها ، سفحتْ
عيونُ تلكَ النجوم ، بمكنهزِّ الغيوم ، رحمةً لعليلِ النبات ، ورقَّةً لأليلِ
المُهَجَّاتِ ، فَتَنُمُ وَشَيُّ التَّلَاعِ ، بيدِ لطيفةِ [١٦٧] صنَّاعٍ ، ورصَّعِ

١ المطاء الجزيل : من منفسات .

٢ في النسخ : تعير ؛ تغير : تفيد وتمنح .

٣ ط م د : رقيقتها .

٤ المطاء الجزيل : الدجى .

٥ ط م د س : وأخيل .

٦ م ط س : ألقت قرعها ؛ د : فرعها .

تيجان^١ الأكام ، ينطَفِ الغمام السَّجَام ، فاهتزت القطاريَّةُ لذلك القطار ،
واشتملت على مُحسنِّها من الأوطار ، وضحكَ ثَغَرُ الروضِ بعد عبوس ،
ونُقِلَ إلى سَعَةِ الرحمة من ضَنْكِ البؤس ، وسحبتْ فواحقُ الأنهارِ مِذائِبَها ،
ونشرتْ عرائسُ الأزهارِ ذوائِبَها ، ناظمةٌ من لآلِءِ الطلِّ عقودَها ، ماثلةٌ^٢
لبَنِّها^٣ من جوهره الرائق وجيدَها^٤ ، تفوحُ مجامرُ أزهارها ، وتلوحُ خفيَّاتُ
أسرارِها ، في مرائي أنوارها^٥ ، فترمي الذاهلَ بريَّها ، وتحيي النائمَ وما
حيَّاه ، مؤذنةٌ بأدراكها ، على لسانِ مِسْكها في ساحةٍ مَدَاكها ، وقام
من مترنِّمٍ^٦ الأطيَّارِ ، على منابرِ الأشجار ، خطيبٌ يتلو ما حَبَّرَ من الثناء ،
على سابغِ النعماء ، وسانعِ رحيقِ الآلاء . فيا لها نعمةٌ ما أحسنَ موقعَها ، ورحمةٌ
ما ألطفَ محلَّها من النفوسِ وموضعِها ، لقد برَّدَتِ حرَّ الأكبادِ ، وشفَّتْ
غليلَ القلوبِ الصَّوَاد ، وفديتْ بنفائسِ النفوسِ^٧ والأولاد ، نفَّستْ خناقَ
الآمالِ ، وحلَّتْ عِقَالِ^٨ الإقبالِ ، وكادت تُجْري الأرواحَ في الرَّمَمِ
البوالي ، والحمد لله كما حضَّ عليه منتهى الحمد ، ومَبْلَغِ الوُسْعِ والجهد ،
وما لا يحصره العدَدُ ، وما شاء تعالى من شيءٍ^٩ بعد .

١ ط م : ماثلة .

٢ المطاء الجزيل : ليتها .

٣ ط : وتجيدها ، س : ونجيدها .

٤ ط م د س : استارها .

٥ ط م د س : سر .

٦ المطاء الجزيل : ومحبي .

٧ المطاء الجزيل : عقل .

٨ شيء : سقطت من المطاء الجزيل .

ووصف له أحد إخوانه امرأة ومدحها وحضه على أن ينكحها ، وكان
لذلك الصديق امرأة سوداء ، فكتب إليه ابن عبد الغفور^١ :

بينما كنتُ ناظراً في المرأة من شعر أحم^٢ ، ورأس أجم^٣ ، لا أخافُ
معه الدم^٤ ، إذ تقدّم رسولك إليّ ، بخطب بنت فلان عليّ ، ويرغب^٥ منها
في سعة مال ، وبراعة جمال ، ويُقسِمُ أنها لبنة^٦ بازوج بريكة^٧ ، لا
تُخْرِجُهُ عند النوم إلى أريكة ، ولو يُسْرَتْ - وعياداً بالله - لهذا النكاح ،
لرُزِقَتْ^٨ قبل الولد منها^٩ آلة النطاح ، ولا حاجة لي بعد الدّعة والسكون ،
إلى حرب زبون^{١٠} ، وقيراع بالقرون ، ولو حملتُ إليّ تاج كسرى وكنوز
قارون . فاطلب لهذه السلعة المباركة مشرياً غيري ، ولا تسوقها^{١١} ولا في
النوم على أبري ، وابتعنها ولو بأرض الأمان لنفسك ، وأضيف^{١٢} عاجتها
النفيس إلى أبوس عرسك ، ولا عذر لها في النشوز والإعراض ، فانما
حسن السوادُ الخالك بالبياض ، والله بمدك بقرنين قبل الحين^{١٣} ،
ويصنع لك صنعين^{١٤} ويبلين ، فيسقطك بهذا النكاح الثاني كما أسقطك^{١٥}
بالأول^{١٦} للدين^{١٧} .

١ وردت في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٢ العطاء : ورغب .

٣ م ط س : ولو رزقت .

٤ العطاء : منها قبل الولد .

٥ ط والعطاء : تشوقها .

٦ م : وأضعف .

٧ في النسخ : بالدين .

ومن أخرى : بلغني من ثناء الوزير الجليل ، النّقابِ العلامة النبيل ،
سيدي وسيد أهل مصره ، بل وقته وأعصار خالية قبل عصره ، ما
فَقَمَ أنوفَ النجوم ، وأرغمَ معطس حاسديّ بمذلةِ الوجوم ، وإنما
يُخفي من رهين شكره ، ومعظم شأنه الرفيع وقدره ، على سهم ذرّبه ، أو سهم
قد درّبه ، أو تلميذ أدبه وعلمه ، فكان له الفضلُ الأكملُ بأن كلمته ،
فكانه - أعزه الله ، بحكم جلاله - أميرٌ شهيدٌ لنفسه فتوقّف بين حدّ القبول ،
وبين ما في ردّ شهادته من خوف الحبول^٢ ، و به من كَلَمَ مكلوم الهاجس ،
مكلوم السّيّات والمعاجيس ، قد صَحَّت فيه الدعوى لصاحب ، ومُحِتِ
الشبهة في سبّقه بأوضح لاحِب ، أي خَلَلِ سدّ ، وأي سَلَبِ استردّ ،
لا بل أي خطبٍ درأ ، ووطبٍ ملأ ؟ ! فإذا قد اعترضَ على ما قد انحلّ^٣
من الإحسان . مقدور الحرمان ، فإذا في حيرتي به حسرتي ، وفي الفقرة
الطالعة فاقرتي ، وفي حظّي لها حظّي ، ولا فائدة لهذه الأسجاع . سوى
تحريك أشجانٍ وتوليدٍ أوجاعٍ ، فإن رأى - أعزه الله - أن أنبذها بالعرء ،
وأطلقَ منها داعية الضراء ، فقد وافق إرادتي . واختار لي أجندى من
مكنوب إجادتي ، والله يُقَدِّرُ الوزيرَ الجليل - سيدي وسيد أهل عصره -
حتى يُشكِّي من شكّا ، كما لم يزل يرق لمن بكى ، ويصيح للمكروب
إذا شكّا ، بعزته .

١ م : رهون .

٢ ط : اكمله .

٣ م ط : الحبول .

٤ كما : سقطت من ط .

وكان الوزير أبو الحسين بن سراج^١ قد خاطب بعض أهل العصر برقة يشفع لرجل يعرف بالزرزير يقول في فصل منها :

كُتِبَتْ أَحْرُفِي هَذِهِ ، وَالْوَدُّ صَقِيلُ الْوِذَائِلِ ، مَطْلُولُ الْخِمَائِلِ ،
جَمِيلُ الْبِكْرِ [٦٧ ب] وَالْأَصَائِلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ أَزْهَارَهُ وَضَوْحاً
وَأَطْيَارَهُ صِدُوحاً ، وَظَبَاءَهُ تِيَامناً وَسُنُوحاً ، بِمَنِّهِ .

ويصل به - وَصَلَ اللَّهُ عِلْوَكْ ، وَكَبَتْ عِدْوَكْ - شخص من الطيور
يُعرَفُ بالزرزير ، أقام لدينا أيام التحسير ، وزمان التبليغ بالشكير^٢ ، فلما
وافى ريشه ، وَتَبَّتْ بِأَفْرَاحِهِ عُشُوشُهُ ، أَزْمَعَ عَنَّا قُطُوعاً ، وعلى ذلك
الأفق اللدن^٣ تدلياً ووقوعاً ، رجاء أن يلقي في تلك البساتين معمر^٤ ،
وعلى تلك الغصون حباً وثمرأ ، وأنت يجميل تَنَاتِيكَ ، وكرم معاليك تصنع
له هنالك وكوناً ، وتستمتع من نغم شكره على ذلك أغاريد ولحونا ، دون أن
يلتقط في فنائك حبة^٥ ، أو يسترط من مائك غبة^٦ :

وإذا امرؤ أهدى إليك صنيعاً من جأه فكأنها من ماله .

وانتهت هذه الرقة إلى الوزير أبي القاسم ابن الجحد^٦ فعارضها برسالة قال
فيها :

١ قد مر التعريف به في القسم الأول ص : ٨٢١ .

٢ التحسير : إلقاء الريش العتيق ؛ الشكير : صغار الريش .

٣ ط : اللدين .

٤ المعمر : المنزل ، وقيل هو اسم موضع في قول الراجز « يا لك من قبرة بمعر » .

٥ البيت لأبي تمام من أبيات كتب بها إلى إسحاق بن أبي ربي كاتب أبي دلف ، ديوانه ٣ :

٦٠ وتام المتون ٣٦٤ ، ٣٦٦ .

٦ مرت ترجته في هذا القسم ، ص ٢٨٥ :

حَسُنْتَ لك يَا سَيِّدِي أبا الحسین ضرائبُ الأيام ، وتشوَّفتُ نَحْوَكْ
غرائبُ الكلام ، واهترَّتْ مكاتبتك أعطافُ الأقلام ، وجادت على حملِكْ
الطافُ الغمام ، وأشادت بفضلك ونبلك أصنافُ الأنام ، فان كان روضُ
العهد - أعزَّكَ الله - لم يُصِبهُ من تعهدنا طَلَّ ولا وابل ، ولا سَجَعَتْ
على أَيْكِهِ وُرُقٌ ولا بلابل ، فان أزهاره على شِرْبِ الصفاءِ نابتة ، وأشجاره
في ثَرْبِ الوفاءِ راسخةٌ ثابتة ، وقد آن الآن لِعُقْمِ شَجَرِهِ أن تُطْلِعَ من
الثمرِ ألواناً ، ولِعُجْمِ طَيْرِهِ أن تُسمعَ من النغمِ ألحاناً ، بما سَقَطَ
إليّ ، ووقع عليّ ، من طائرٍ شهِيءٍ الصغير ، مَبْنِيٍّ الاسمِ على التَّصْغِيرِ ،
فلأنه رجَّعَ بذكرك حيناً ، وابتدعَ في توبَةٍ شُكْرَكَ تلحيناً ، وحركَ من
شوقي إليك سكوناً ، ودمتَ في قلبي لودِّكَ وُكُوناً ، ثم أسمعني أثناءَ ترنمه
كلاماً وصف به نفسه ، لو تَغَنَّتْ^١ به الورقاء ، لأذنتُ^٢ له العنقاء ، أو
ناح بمثله الحمام ، لبكى لِشَجْوِهِ الغمام ، أو سمعه قيسُ بنُ عاصمٍ في
ناديه ، وبين أعاديه ، لحلَّ الزَّمْعِ^٣ حُبَّاهُ ، واستردَّ الطربُ صباه ،
فتلقيتُ فَضْلَ صاحِبِهِ بالتسليم ، واعترفتُ بسبقه اعترافَ الخبيرِ العليم .

وبعدُ فلإني أعودُ إلى ذكر ذلك الحيوانِ الغرَّيدِ ، والشيطانِ المريدِ فأقول :
لئن سَمَّيَ بالزريرِ ، لقد صَغُرَ للتكبيرِ ، كما قيل « حَرِيقِص »^٤ ، وَسَقَطَهُ

١ م ط س : تيقنت .

٢ ط : لأدانت .

٣ الزمع : القلق .

٤ فيه إشارة إلى قصة أوردتها القالي في أماليه (١ : ٦٥) وهي أن الأصمعي وقف على غلام
من بني أمد اسمه حريقيص فقال له : أما كفى أهلك أن يسموك حرقوصاً حتى حرقوا اسمك ؟
فقال : إن السقط ليحرق الحرجة .

يحرقُ الحَرَجَ ، و « دويبة »^١ وهي تلتهمُ الأرواحُ والمهج ، ومعلومُ أن هذا الطائرَ الصافرَ يفوقُ جميعَ الطيورِ في فهمِ التلقينِ ، وحُسنِ اليقينِ ، فإذا علَّمُ الكلامَ لهجَ بالتسيحِ ، ولم ينطقْ لسانُهُ بالقبيحِ ، ثم تراه يقوم كالنصيحِ ، ويدعو إلى الخيرِ بلسانٍ فصيحٍ ، فمن أحبَّ الاعتاظَ ، لقي منه قُسرًا إيادٍ بعكاظٍ ، أو مال إلى سماعِ البسيطِ والشديدِ ، وجَدَ عنده نُخبَ الموصليِّ للرشدِ ، فطوراً يبيكُك بأشجى من مراني أربد^٢ ، وحيناً يسليكَ بأحلى من أغاني مَعَبَدٍ ، فسبحانَ مَنْ جَعَلَهُ هادياً خطيباً ، وشادياً مطرباً مطيباً^٣ .

ولما طار ببلاد الغربِ ووقع ، ورزقا^٤ في أكنافها وصَمَعَ ، وعانَ ما اتَّفَقَ فيها هذا العامَ من عَدَمِ الزيتونِ ، في تلكِ البطونِ والمتونِ ، أزمَعَ عنها فِراراً ، ولم يجدْ بها قراراً ، لأن هذا الثمرَ بهذا الأفقِ هو قَوَامُ مَعاشِهِ ، ومِلاكُ انتعاشِهِ ، إليه يقطعُ ، وعليه يقعُ ، كما يقعُ على العسلِ الذبابُ ، وتقطعُ إلى العرَادِ الضُّبابُ^٥ ، فاستخفَّهُ هائجُ التذكارِ ، نحو تلكِ الأوكارِ ، حيث يكسِي ريشهُ حريراً ، ويحتشي جوفهُ بريراً ، ويحتشي قراحاً

١ وردت دويبة مصفرةً للتعظيم في قول ليبي :

وكل أناس سوف تدخل بينهم دويبة تصفر منها الأنامل

٢ يعني مراني ليبي في أربد أخيه .

٣ مطيباً : سقطت من م س .

٤ م ط د س : ورقا (ورقي) .

٥ فيه إشارة إلى قول الراجز في الضب :

لا يشتهي أن يردا

إلا عراداً عردا

والمرادة : شجرة صلبة العود .

نميراً ، ويغتدي على رهنه أميراً . فخذهُ إليك ، نازلاً لديك ، مائلاً بين
يديك ، يترنمُ بالشاءِ ، ترتنمُ الذبابُ في الروضةِ الغناءِ ، وقد هزَّ
قوادمَ الجناح ، لعادة الاستمناح ، وحبرَ من لُمعِ الأسجاعِ ، ما يصلحُ
للانتجاع ، واثقاً بأنَّ ذلك القُطرَ الناصرَ ستَنفَحُهُ حدائقُهُ ، ولا تلفحه
ودائقُهُ ، لا سيما وفضلُكَ دليلُهُ إلى ترعِ رياضه ، وفرضِ حياضه ،
مع أنه لا يَعدَمُ في جنبك حبّاً ثيراً ، وخصباً كثيراً ، وعشاً وثيراً :
[١٦٨] .

فلذا ما أراد كنتَ رشاءً وإذا ما أراد كنتَ قلبياً

والله تعالى يكفيه ، فيما ينويه ، شرَّ الجوارح ، وبقية سُؤمِ الجاهِ
والبارح ، بمنته .

وبعد هذا الهزلِ العجَاب ، جدُّ كالظلامِ المنجَاب ، وبروزِ صَفْحَةِ
الشمسِ من الحجاب ، أخطبُ به من رسائلِك بكَراً ، أجعلُ نَقْدَها
شُكْراً ، وأبذلُ بها لها من ودِّي مَهْراً ، وأمتّعُ بها لحظي دَهْراً ، فإن
فَرَجَتِ لِحْطَتِي باباً ، ووصلتُ في مواصِلتي أسباباً ، جدَّدتِ للعهدِ شباباً ،
واستوجبتِ من الحمدِ محضاً لُباباً . واقرأ على سيدي سلاماً أعطرَ من مِسْكِ
دارين ، وأكثرَ من رَمَلِ يبرين ، بحبيبه مع العشيِّ شروقاً ، ومع النجمِ
طروقاً ، والسلامُ المعادِ الموصولُ ، ما عَصَدَتِ القُروعُ الأصولُ ، وألِفَتِ
الجفونَ النُصُولُ ، على سيدي ، ورحمة الله .

١ ط س : وصلت .

وله ^١ من أخرى : إنَّ عجباً برُّ الوزير بالزعانف والزرارير ، وحَظْرُهُ ^٢
 على قَلْبٍ يكاد من الشوق إليه يطير ، ومن الظمأ يتشكَّى قُطْعاً ويستطير ،
 وإنه مع عَرَضِهِ على نارِ الحفَاءِ غُدُوًّا ، ونبوُّ مضجعِ الاحتفَاءِ به هُدُوًّا ،
 ووصمةِ التقصيرِ في جزائه ، وممارسةِ جرْعِ أرزائه واخترائه ، إن لهيجَ
 فبذكره ، أو هزَجَ فبأفانين شكره ؛ فكيف به لو ضاحكٌ مِن خفيِّ برِّه
 فَرَضَ شُوبوبٍ شَنَّانٍ ^٣ ، غَمَرَهُ بنوبِ عزاليه نَوَعِ الإنسان ؟ !

ثم نبدأ من شأن الحيوان بزرزور ، لا يَعْرِفُ حقاً من زور ، مشهورٍ
 في الطير بالضرَع ، كثيرِ العاديَةِ قليلِ الوَرَع ، كأنما رَهْطُهُ عبيدٌ للبلابل ،
 ولغَطُهُ وَقَعُ الحصى المتقابل ، وفي غيره من ذوات الريش ، النازحة بكلِّ
 ضراءٍ وعريش ، أنجبُ منه على اللغْنِ ^٤ ، وأحسنُ تصريفَ لسلنٍ وذقنٍ ،
 كَبَبَتْهَا لا تلعنُ في عوبصِ اللغَى ، وشقننٍ ، يثير اللوعةَ بالرنين ،
 كأنما عَامَسَتْهُ عند التلقين الرِّاء ، وداخلتهُ بعد الظَّفَرِ بها امتراء ، فاستظهرها
 بالنكير ، استظهار قيسٍ بَكِيرٍ ، وبُهْمَةٍ في المِصَاعِ بَكْرِيرٍ ؛ وَوَرَقِ
 كالقَيان ، خضبت أرجلُها بالعقيان ، فوارت لآلِءَ في الأجياد ، وزبرجداً
 أنعلتْ به حوافرَ الأجياد ، تستر بورقِ الغصون ، وتشهرُ بِحُرْقِ الوجَدِ

١ الضمير هنا يعود - على الأرجح - إلى ابن عبد الغفور لا إلى ابن الجد صاحب الرسالة السابقة
 وعلى ذلك تعد الرسائل التالية حتى آخر الترجمة لابن عبد الغفور .

٢ د م ط س : وخطره .

٣ القطع : انقطاع ماء البشر في القيظ ؛ وأقطمت السماء إذا انقطع مطرها .

٤ الشان : البارد ؛ ط م د س : شان .

٥ ط م د س : عمر .

٦ اللغن : أن يتكلم المرء بكلام خاص .

المصون، وَيَصْقَعُ مشتاقها كالخطيب، ويقعُ على قاسٍ من الأيكِ ورطيب،
 فيلينُ لشجوهٍ ويميد، ويكاد ينوب^١ له العميد؛ وربُّ عصفورٍ، صقَرَ
 لذاتِ سفور، فحكّتْ نقرَ الزير، وبعثتْ العينَ على الدمعِ الغزير، وبلبلِ
 حرَّكَ بلابلِ واقداثٍ، وشكَّ القلوبَ بمقابلِ نافذاتٍ^٢، وكاننَّ من غردٍ،
 حرَّ أن قلباً أوصردٍ، يفوت مدى العدِّ، ويملاً ديار معدٍّ، ولوتقصيننا لما أحصيننا،
 ونضب^٣ عِدُّ الكلامِ على ثرارته، وعصب ريقُ الأقلامِ على غزارته،
 فلتسهب بما تشهدُ لفضله رجاحُ الألباب، ولتغرب من مُدركِ ثمره بلبابِ
 اللباب، حتى تُبِيرَ على الغريض، ينسَقِ كالأغريض، وتدلَّ بِسِرِّ
 التعريض، على سرِّ الأضرِب والأعريض، على أني قد تُحُوميتُ وما
 تُوغيتُ، أي كآني من الحقارة أُلغيت، ولا نعيم لعين الوهم^٤ وقد وضحتْ
 شاكلةً اليقين للمتوهم، وسأطفَلُ^٥ على السمع، وأبذلُ مَذْخُور الدمع،
 فأبثُ شجوناً، وأنبذُ نَبْذَ النواةِ مجوناً، فلا أرقُ البهارة، ولا أخفِضُ
 الجهارة^٦، ولا أصفُ أزاهر، ولا أنعتُ القمرَ الزاهر، بل أنذبُ ربوعاً،
 وأحرزُ العمرَ أسبوعاً :

١ ط: يدب .

٢ نافذات : سقطت في م س .

٣ ونضب : سقطت من ط س .

٤ ط م د س : والمزب .

٥ نعيم عين : كرامتها وقرتها ؛ س ط : نقيم ؛ م د : نعيم .

٦ م د : شاغلة ؛ ط : شاغلت .

٧ يعني « سأطفل » .

٨ البهارة : عظم الجسم ، وأرق البهارة نسبها إلى الرقة (أو إلى الدقة) ، والجهارة : ارتفاع الصوت أو حسن المنظر .

وأبكي على فقد الدراهم إذ لها أبا قاسم غيري من الناس يُكرّمُ

وما سَلَفَ للأدب مع الذهب إخاء ، ولا هاله منه انتخاء ، هذا خالد
موجود ، لا يلحقُ جوهره بِيُود ، وذلك قد راب منه الشحوب ، وأخلق
ذيلُ عُمُرِهِ المسحوب ، فيا لمياه أسجاع هذا الثَقَابُ تَطَرَّدُ لغير حائِم ،
ولأجناء ثمرٍ منها مع ذوات الثَقَابِ تَتَهَدَّلُ على غير طاعم ، ولعرانس
نَوْرَها تضاحكُ ثغراً عابساً ، وتستدرُّ جليداً يابساً ، تَبْرَجُ وليس من فِعْلٍ
النَّوَارِ ، وتَأْرَجُ لأنفٍ لا يعرف فَضْلَ الصَّوَارِ ، وتعاظمُ على أكفائها ،
وتسرعُ إلى ما دون الحضيض لانكفائها ، وحسبك من نهودها ليهودها ،
وشرودها تعرُّني أذيال برودها ، فَعَلَّةٌ والله يُنْكِرُهَا الشرف ، ويتنبَّلُ
عنها المُنْصَرَفُ ، فلتحدث العلياء منها مَتَاباً ، ولتكتفِ بِقَرَعِ هذه
العصا^٢ عتاباً . فشدَّ ما منحت البرَّ عقوقاً ، ومنعت التشيع لها حقوقاً .

طلعت - أعزَّكَ الله - بهذه الشكاية مستريحاً ، ومثلتُ لها قلباً قريحاً ، وهو
بحكم جلالها يودعها من الكتمان ضريحاً ، ويُرْضِعُهَا من أخلاف التجاوز
عضواً صريحاً ، فَيَسِّرُهُ اللهُ لبرِّ حرٍّ ، وجعله بنجوةٍ من كلِّ ضرٍّ .

وله من رقعة شفاعاة للزريزر^٣ المذكور : لله قُطْرٌ باهى بك على الأقطار ،
واستغنى بِخِضَلِ ظِلِّكَ عن صوب القطار ، أذكرَ نعيم الجنان بِنَضْرَتِهِ ،
وسكَّنَ نافر الجنان بلألاء زهرته ، أيَّ مُحَسَّبِ أنيسٍ وطيرٍ ، ومائعٍ

١ في الأصول : السوار ، والصوار : وعاء المسك .

٢ في النسخ : هذا المص .

٣ ط : للزريزر .

من النعم زخارٍ من الخير ، وأدأ لقاطعٍ ، قُطِعَ به مع الفجر الساطع ،
 وبجي^١ خلّص من بحرٍ لُجِّي ، فاهتاج طربَ الجذل النجِّي ، لهُفأ^٢ يُعْثِرُهُ
 في البيت على الجنِّي ، سَبَحَ قُبَّحَ للشرب الصُّبَح ، وَصَدَحَ ففدح لهم من
 نار النمي^٣ ما قَدَح ، ولربما نطقَ بالتوحيد ، ويمجدُ عن سَجْدَةِ الشُّكْرِ
 كلَّ حميد ، ويزج ويسنح^٤ ، وإلى رهطين من الطير ينجح^٥ ، مَرَّهوب الصَّقْع
 في الدبار ، ومحبوبُ السَّجْع بأعالي الأشجار ، يُمْتَنِعُ بشتى أفانين ،
 ويُخْجِلُ البلبِلَ والشفانين .

وفي فصل منها : حتى اشتد منه الفَقَار ، واسودَّ فَرَعُهُ والمنقار ، ولم
 يكن^٦ به إلى العولِ افتقار ، فنهضَ وكسب ، وأعربَ عن نجرته وانتسب ،
 وأخذَ بالطباع في التوليد ، وصدحَ غرداً بيتَ الوليد^٧ ، إلا ما غيرَ منه وأحال ،
 ولا يعرف الممكنَ ولا المحال :

لك الله عُشّاً غص^٨ ليلاً بأفرخٍ بعلبائِ فرعِ الأثلةِ المتهدلِ
 فيا للعجب العجيب ، ولسانِ هذا الزرزور النجيب ، أنطقَه فضلُ
 الوزير بلسانٍ ، نَقَلَهُ من نَوْعِ الزراير إلى نوعِ الإنسان ، فشكرو شعر^٩ ،

١ م : رجي ؛ ط : رجا .

٢ م ط د س : لهفي .

٣ ويسنح : بياض في م ط س .

٤ ينجح : بياض في م ط س ، وفي د : ينح .

٥ يعني البحري ، ولكن البيت التالي لم يرد في ديوانه ، لأن الكاتب ربما غير فيه ، حسب قوله .

٦ م ط د س : غير .

٧ م ط د س : وسمر .

حتى غلا مِرْجَلُ أَشْرِهِ واستعر ، وأخذ عن وكنيه في الرحيل ، وباع
مُبْرَماً من العيش بسحيل ، فرشقَ السّماح من جسمه بسهم ، وسبق الرياحَ
عن عزمه بمثل الوهم ، فما احتلّ من الجانب الغربي شرفاً ، حتى اعتقدَ
إلى الجانب^١ المرضي مُنْصَرَفاً ، وشُغِلَ عن النظر في عطفه ، بالنظر في
أسرارِ كَفْيِهِ ، يا له من عازمٍ ، خوافي عادتْ باللائمةِ على القوادم ،
يتمنّى لفرغته بالندم ، أن يُخْضَبَ من أوداجه بدم ، لأنه سَقَطَ من شَجَرِ
زيتونه ، بعقم بطونه ، في هذا العام ومنونه ، على خالياتٍ من الميبرِ ،
موحشاتٍ مثلِ جَوْفِ العَيْرِ . ولما نشر جناحاً للإياب وخفت ، وتنفسَ
الصعداءَ والتفت ، أشفقتُ منه لغريبٍ غريب ، وصعدتُ فيه وصوبتُ
نَظَرَ المستثيب ، فشفت له بهذا الكتاب ، بقيه^٢ من السيّد الأوحده حرّاً
العتاب ، وقد تقلّدهُ تيممةً تكفيه اختطافَ الجوارح في الهواء ، وتثنيه عن
إطاعة البوارح في الالتواء ، وهو بمجده الصميم ، وبرّه العيم ، يشفع ويرفع
ويسوّغه قراحاً وقرواحاً^٣ ، ليمرح في هذه مراحاً ، وينال من هذه الرّبي
مغدى^٤ ومراحاً ، ولو اقتصر من مذنبٍ على مُقْتَضَى المتاب ، لَغْنِيَّ عند
سيده عن شفاعَةِ الكتاب .

وفي فصل منها: ولو صَرَفْتُ فيها الأنفاسَ كلاماً ، والأشجارَ أقلاماً ،

١ ط د : الجانب .

٢ م ط س : لقيه (اقرأ : لقيه) .

٣ القراح : الأرض المخلصة لزراع أو لغرس ، والقرواح : الفضاء من الأرض التي ليس بها شجرة .

٤ ط : مغراً ؛ م س : صغراً ؛ د : ممزاً (اقرأ : مقراً) ولفظه « الربى » زائدة إذ الإشارة بقوله « هذه . . . » إلى القراح والقرواح .

والبسيطة قرطاساً ، والدجنّة أنقاساً ، لرأيتني مقصراً لم أبلغ ما أريد ، وكنت أسألُ عوناً واستزید ، وبودّني لتناهي المحبة والولاء ، واعترافي بالأيادي الجسيمة والآلاء ، لو أضحي مكانَ كتابي ، فأسعدَ بالفود عليه ، وأخترمَ من حَيْفِ الزمن الغشومَ بالمثلِ بين يديه ، ولكنه قد حيل بين عبيده البائسِ وبين مُرادِهِ ، وشُغِلَ بقوتِ يومِهِ لنفسه الشقيّة وأولادِهِ ، فتأخّرَ عن حضرته السنيّة تأخّرَ الكسيرِ ، ونظرَ إلى سنا حوزته البهيّة نظراً الأسيرِ .

وله من أخرى : مثلك مَنْ لم يَعْدِلْ [به] شُحُّ التجارة ، عن كَرَمِ الوزارة ، ولا شَرَّه المكسب ، عن شَرَفِ المنتسبِ ، فرأى الخطيرَ بعينِ نزاهة نفسه حقيراً ، والجليلَ [٦٩ أ] بحكم جلالته متسبهاً فتيلاً ، ولم أوقظك بهذا التنبيه من سِنَةٍ ، ولا نفسي عن إباءِ المنية بالعاجزة الزمينة ، وقد أوفيتُ رسولك الميزانَ حتى رضي ، وإنه لمحضُ النصيحة فليحظْ عندك فيمن حظي ، بصّرنا الله الرشدَ فيمن بصّره ^٣ ، وحسبَ إلينا تجنّبُ ما مَقَّتَهُ من الشحِّ وحَفَظَهُ .

وفي فصل من أخرى : وردَ لسبدي أيُّ كتابٍ ، بل أيُّ قِطْفٍ من ثمراتِ الألباب ، حيّاً به على البعاد ، وبرّدَ غُلَّةَ قلوبِ صواد ، فهجرنا له الزُّلالَ ، وحسبناه السلسيلَ الحلال ، ودرّدره من كاتبٍ أقسمَ بالطور ، لقيّدَ عينيَّ بشطور ، تشوقاً إلى بهجة تلك السطور ^٤ ، وفيها من شغفٍ بها أقول :

١ م : نظير .

٢ م س : نفسه ؛ ط د : فبه .

٣ في النسخ : أبصرنا ... أبصره .

٤ انظر هذه العبارة ص : ٢٢٠ س : ١٠ .

سطوراً أفادت كلَّ خالٍ بوجنةٍ ، كما خَطَقَتْ منها لماها المباسمُ

سَحَبَتْ ذَيْلاً على بلاغة سَحَبَانٍ ، وسرتُ ليلاً فيا فَوْحَ ما بين قرطبة
وبغدان ، ولولا ودٌّ يمدُّ بتشوقٍ إليه النَّفْسُ ، وَوَجْدٌ يمنعُ ثرى ما بيني وبينه
أن يَتَبَسَّ ١ ، لما ناضلتُ فائزاً ٢ كَلِمِهِ بمعراض ، ولا ضاهيتُ جواهره
الحالدة بأعراض ، والله يَصِلُهُ في الأحفاد ، ويحرسُهُ في حوادث الآباد ،
ويعمرُ بيشره بَشْرَةَ الحمد ٣ ، وَيَعْلَمُ به مجاهلُ الأجياد .

وفي فصل منها : شفع الله تلك الغزوة الميمونة بغزوات ، وكتب لنا
في ساحات أعدائه عدَّةَ مواطىءٍ وعدوات ، حتى يُحَرِّزَ أسيراً ذا التاج ،
ويفرج عن شخصه مُغْلَقَ الرتاج ، ونؤوبَ بغير رضى الكندي ٤ ، بل على
وصف النابغة سمي الجعدي ٥ ، راضين عن كلِّ عقيلة ، نيرة أسيرة القسمات ٦
صقيلة ، كريمة مثل الديمة ، تفرى دمعاً على الأجفان ، وتُخْفِي ترائب
كترائب الجفان ، صُقِلَتْ بالنعيم ، وصافح عنهنَّ الصفيح كلُّ بطريقٍ
زعيم ، ان اضْطُفِفَتْ لم تجيء بِفَسْلٍ ، وتُنَجِّبُ بإذن الله في النَّسْلِ ،
كعلي بن الحسين وسالم ، والمعتصم ٧ المشهور العين في المكارم ، وغيرهم

١ ييس الثرى كناية عن العداوة والجفاء ، ومنه قول جرير :

فلا تؤيسوا بيني وبينكم الثرى فان الذي بيني وبينكم مثرى

٢ د : قائد

٣ م ط س : الحياء

٤ يشير يرضى الكندي إلى قول امرئ القيس :

وقد طوفت في الآفاق حتى رخصت من الغنيمة بالاياب

٥ م : أسير القصة ؛ ط د : أسر .

٦ ذكر هؤلاء لأنهم أبناء إمام ، وقد أنجبوا بولادتهم .

من أمير وخليفة ، وذي منزلة في الفضل مُنِيْفَةً ، وربّ فخور مختال ،
يدفعُ في هذا بيتٍ القتال^١ :

أما الإمامُ فلا يدعوني ولَدًا إذا ترامى بنو الإِمانِ بالعارِ
وليس كما زعم ، من عارٍ ، لابسٍ ثوبَ الكِبَرِ المستعار :

لا تُزَرِّنْ بفتى من أن تكون له أمٌ من الروم أو سوداءُ دعجاءُ
فلنما أمّهاتُ الناسِ أوعيةٌ مستودعاتٌ وللأبناءِ آباء

ما كلُّ الحرائر ، بياراتٍ^٢ من الجرائر ، ولا كلُّ الإمامِ بمخلاتٍ
في^٣ الانتماء ، وإني مع ذلك لأتوفرُّ على الرَّهْطِ ، ولا أرغبُ في رقيٍّ عنه
ولا هبطٍ ، وأنشيد :

لإني على شغفتي بما في خُمُرِها لأعفُ عمّا في سراويلاتها^٤
والله يصرفُ المعترِضاتِ دونَ الواجباتِ ، ويسمعُ عنّا الخيرَ في المحيا
والممات .

١ م ط : البيت .

٢ دهوان القتال : ٥٣ - ٥٥ وروايته :

أنا ابن أسماء أعمامي لها وأبي إذا ترامى بنو الاموان بالعار

أما الاماء فما يدعوني ولدا إذا تحدث عن نقضي وإمراري

والبيت كما ورد في الذخيرة هو رواية سيبويه ٢ : ٩٨ وشرح المفصلية : ٤١٢ . واللسان

والتاج (أما) .

٣ غ بهامش ط : بسالمات من .

٤ غ بهامش ط : بقاصرات عن .

٥ دهوان المتنبي : ١٧١ .

وفي فصل : وما زلتُ معتزياً إلى أدبه ونسبه ، منفقاً من غَرْبٍ ١ كَلِمَةٍ
الرائق وذهبه ، مقرّاً بفضلِهِ ، معترفاً بتبريز خَصْلِهِ ٢ ، مرتسماً في جريدة
من أدبِهِ ودربِهِ ، وأرهفه وذربِهِ ، ولقنّه وعلّمه ، وكان له الفضلُ الأكلُ
بأنْ كَلِمَةٍ ٣ : فليصلْ منّي ولداً ثانياً ، وليجبرْ كسيراً وانياً ، وليأسْ
بالكلام العذب ، بل اللؤلؤ الرطب ، كلّمأ دامياً ، أصابَ والعدارُ مُبْقِلُ ،
وما أجلبَ والشيبُ عليّ مشتمل . وليمنْ على وليّه ، وغذيّ وسَمِيهِ ،
برقعة يضمنها وجهَ الحيلة ، في مُداخلة تلك الدولة الجليّة ، أيد الله
سلطانها ، ووطّد أركانها ، لينبني على ما أسّسَ ، ويحتني من ثمر النجاح ٤
ما رَشَحَ وغَرَسَ .

وله من أخرى : ما ظنّهُ بعليل ذِلَّةٌ ٥ وقِلَّةٌ ، وهما أشدّ مرض
وعِلَّةٌ ، علِمَ دأؤه ودواؤه ، وتعذّرَ برؤؤه وشفاؤه ، وقد أوجبَ النظرُ
الطبيّ والقياسُ الصناعيُّ إذا علِمَ الداءُ ووُجِدَ الدواء ، ولم تعترضْ منية
أنْ يكون الشفاء ، فهو بحكم وصَبِهِ ، وتقطّع أسبابَ الفرجِ به ، أنزقُ
من فعل مخفور ٦ ، أو ذئبٍ محصور ، قد ثقل على ذويه ، وأبغضه مُحِبِهِ

١ م ط : عرب ؛ د : عذب ؛ والغرب : الفضة ، وقيل الذهب . والغرب في بيت الأمتى
« تراموا به غرباً أو نصاراً » تعني الفضة .

٢ م ط : حصله .

٣ انظر عبارة مشابهة في ما تقدم ص : ٣٤٦ س : ٥ .

٤ م ط : الجناح .

٥ م س : دولة ؛ ط : دلة .

٦ د : من أن .

٧ م ط س : محل مخفور .

فضلاً عن مُجْتَوِيهِ ، ولم ألْجُ بِذِكْرِ قَلْتِ عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَلَا خَشِيتُ مَعَ الْقُنُوعِ مِنْ إِمْلَاقٍ ، فَأَنَا رَأْسُ الْأَغْنِيَاءِ ، وَعِنْدِي مِنْ كَيْمِيَّاتِهِ فَوْقَ الْكَيْمِيَّاءِ ،
وَفِي ذَلِكَ قُلْتُ : [٦٩ ب]

عَيَّرَنِي بِفَقَارٍ عَاطِلٍ حَلَيْتَ جِيداً بِدَمْعٍ سَجَمًا
بِفَمِي عِزَّةٌ نَفْسٍ لُكْتُهَا مَلَأَتْ مِنْيَ بَطْنًا وَفَمَا

وَجَعَلْتُ مُدَّةَ بَابِ صَلَافِي بِكُتْبِهِ ، ضَرْباً مِنَ النَّظَرِ لِقَلْبِهِ ، وَلِقَلْبِي
الْمُنْقَطِعِ الْقَرِينَ فِي حَبِّهِ ، إِذْ كُنْتُ لَا أَخْلِي أَجُوبَتَهَا مِنْ صَحِيحِ الشَّكَايَةِ ،
وَلَا أَقْتَصِرُ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ سَقِيمِ الْحِكَايَةِ ، فَأَكُونُ قَدْ صَدَعْتُ صَمِيمَهُ
بِتَعْدِيدِ أَلْفَاهِ ، وَبِتُ غَرِيمِهِ بِمَا عَسَى أَنْ يَتَكَلَّفَهُ مِنَ السَّعْيِ وَيَتَوَلَّاهُ .

وله من أخرى : جَاثَرَ فِي حُكْمِ الثَّقَةِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ أَنْ تُرْجَى الْمَمْنَعَاتُ ،
وَتُتَرَقَّبَ بِطُلُوعِهَا السَّاعَاتُ ، مَعَ اسْتِيلَاءِ الْيَأْسِ عَلَى النَّفْسِ ، كَعَقْدِ
هَذَا الْمَيْبَعِ ، الَّذِي عَقَدَ الصَّيْفَ بِالرَّبِيعِ ، فَكَأَنَّمَا وَقَفَ الزَّمَانُ فَلَا جَزْؤُهُ
الْوَاقِعُ وَقَعَ ، وَلَا مَاضِيهِ انْقَطَعَ ، وَلَا مُتَنَظَّرُهُ أَطْلَعَ ، وَإِنَّمَا هُوَ جِزْءٌ دَائِمٌ ،
وَنَفُوسٌ عَلَى الْوَرْدِ حَوَائِمُ ، وَعَهْدِي بِعِزَّةِ الْفَقِيهِ مُظْلَعٌ بِشَائِرٍ ، فَلَا
يَذْكُرُ الْمَثَلَ السَّائِرَ :

وَحَتَّى يُوَوِّبَ الْقَارِظَانِ كِلَاهُمَا وَيُنْشِرَ فِي الْمَوْتِ كَلِيبٌ لَوَائِلُ^٢

١ م ط د س : يتمد يدك .

٢ البيت لأبي ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ١٤٧ ، والمثل الذي يشير إليه هو « حتى
يؤرب القارظان » ، انظر القسم الأول : ٧١٦ .

وفي فصل من أخرى : سألتُ الفقيه - أعزّه الله - حاجةً منذ عامين ،
وأخرى مذ شهرين ، ولم تكونا كبيرتين ، وفي كليهما نقضَ من ودّي اليدين ،
فليت شعري على أيّ ودٍ بعد ودّي يشدهُما ، أو إلى أيّ عقْدٍ مِثْلٍ وثيقٍ
عقدي يمدُّهُما ، تالله ليدْفَعَنَّ من بني الأيام ، إلى لئامٍ غيرِ كرامٍ ،
أغرَّ من السَّرابِ ، وأغدر من الذُّبابِ ، وأعقَّ من الضُّبابِ^١ ، وأوهى
حبلاً من مضْمحلِّ الضُّبابِ ، وسأله ثلاثةً والثالثةُ الصادقةُ ، فان قضاها
شكرتهُ ما ذرَّتْ شارقةُ ، وإن أباهها فخيْلُ عتابي إليه ساريةُ طارقة .

وفي فصل من أخرى : أنا في فرطِ برِّي بالوزير الجليل - صنع الله له
كلَّ صنْعٍ جميلٍ - إذا رماني ببهيٍّ شَخْصِه الطريقُ ، عَصَبَ من استحيائه
بفني الريقُ ، فلم أكدُ في التسليمِ عليه أينُ ، وجَعَلْتُ معرّضاتُ حاجاتي
إليه تَفَرِّقُ وتَبِينُ ، حتى كاذبي ما بتُّ لها أرقاً ، ولا طويتُ بها كشحاً
مُحْتَرَقاً . وكيف لا أستحييه - أعزّه الله - وإنما ألقاه باسِطَ راحةٍ ،
أوسائلَ لإراحةٍ ؟ ولولا بَشَرٌ له يؤنِسُ ، وتَهْلِلُ من وصمةِ
الودِّ يَعْصُمُ ويؤيسُ ، لما انبسطُ عليه في أمرٍ ، ولومستِي مُهِمَّةُ بالدعِ
من جمرٍ ، وكنتُ قد أعددتُ لِسَعَةِ كرمه أربعَ حوائجٍ ، ولعلها عند حرصه
على الفضلِ أربعُ نتائجٍ ، سلاهيْبَ أو مراييعٍ^٢ ، أشباهها للجري بنابيعٍ ، وتَأَمَّتْ
بعدُ بهذا المنظوم وجِعاً ، وإن كنتُ متصرفاً لا مضطجِعاً ، ولو سريتُ من

١ انظر في هذه الأمثال : الدرة الفاخرة : ٣٢٢ ، ٣٢١ ، ٣٠٦ .

٢ د : وأنا .

٣ السلاهيْب : الطوال من الخيل ؛ المراييع : جمع مرباع وهي الناقة ومعها ولدها وهو ربيع .

٤ م ط : أشباهها ، س : لشبا يجمعها ؛ د : أشبالها .

الصحةِ بدليل ، لاهتدبتُ إلى ما يليق^١ بقدره السامي الجليل .

ومن أخرى : فما ظنّه^٢ بأمد يومٍ^٣ يُشيبُ الوليدَ ، ويستخفُّ الحليمَ
الجليدَ ، ولعمري لئن جعل الولدانَ من جهةٍ شيئاً ، ليردَّنَّ الشيخَ اليقنَ
من أخرى قشياً .

ومن المنظوم الذي ذكر فيها :

يا حَبْنًا قصدُ الوزرِ	ر وان تُكَلِّفَ في المجيرِ
ذكرى له ظِلٌ يرفُ	وَيَشْرُهُ ماء نَمِرِ
نفسى القداءُ لنفسه	من كلِّ دائرةٍ تلورُ
شَهْمٌ حوى قَصَبَ العلا	دونَ الورىِ بيها وخيرِ
وأقامها بيرة	أَمْضَى من السيفِ الطريرِ
يَهْتِي الأميرَ حُصُولُهُ	منه على العَلِقِ الخطيرِ
فَعَلَيْهِ واقيةٌ تردُّ	قنا ^٤ اللهازمِ تستطيرِ
يا سامياً وهو الصغيرِ	ر بعزمة الرجل الكبيرِ
مهلاً فَضَحَتْ معاشرأ	خاتوا الأمانة في الدهورِ
وبنيت ما هلموا فهل	خجلوا لذلك في القبورِ

١ م ط س : ملحق .

٢ م ط : نكته .

٣ زاد في م : ليله .

٤ م : تزور .

٥ م : بنهى .

٦ هذه قراءة خ بهامش ط ؛ م س : فنى .

وعليك من كَلَفَ بما يسديه رأبك أو ينير
عدد^١ النجوم نَحْيَةً ولربما قل^٢ الكثير

واه من أخرى : يا سيدي الذي به أفاخر الشرفاء ، وأكاثر منهم العدد^٣
الجم واللّقاء ، فمن أنوف تَسْعَطُ بالرَّغام ، ومن ألوف تَسْقُطُ كحروف
الإدغام ، بلغني من ثنائك عليّ ما به أهرف ، وبالتقصير في جميعه أعرّف ،
ما يزيد^٤ منه [١٧٠ أ] التّشترُ على مِسْك دارين ، ويقلُّ عليه الشكر عدد^٥
رَمَل يبرين : لله فضل نَزَهَ ذلك المنطق الشريف عن^٦ القَدَح ، واستعمله
فيما استولى عليه الشَّخْ ، من التقرّظ والمدح ، لقد البسني من السُّرور بتكرُّمِهِ
أضغمتي جلباب ، وكاد يطفئ المشيب في تضرُّمه بكر ماء الشباب ، لم تُدْنِه
الفضائل من الحسد ، فشهدنا له فيها بقوة المسد ، ولولا أن أكون مَادِحَ
نفسه لقلت : شَتَّانَ بين مُنْصَفٍ وَمُتَعَسِّفٍ ، وطالع من بين^٧ الكلام
وَمُنْكَسِفٍ ؛ وقد لعمرى كنت مضطراً ، وكدت أحكم لنفسي على
معاصريها طُرّاً ، وذلك بحكم معاشره قَوْمٍ ، يستعذبون في جَنَب الغض^٨
من كلمي مرّ عضّ اللوم ، أيقاظ هم أم رقود ؟ أم ليس بين الشَّبه
والذَّهَب نقود ؟ فيا مطلعي بِقُرّة عَيْنٍ ، لا منصفٍ لتعيّن دين ، درّ درّ
علائك حتى تصبح لك الجوزاء داراً ، وتسحب بها البدر إزاراً ، وتعقد

١ ط م د س : عد .

٢ ط س م : عل .

٣ د : نير .

٤ م : ومتأسف .

٥ ط د س : بمنصفي .

٦ م : وتسحب بهذا البدر .

عليك الشمس^١ أزراراً^٢ ، فتفوق محلاً^٣ وتهول مقداراً .

وأنفذته من كتاب ، غبَّ قصد الخجل المرتاب ، بنفسه فآديته ،
لينظر حين مشافهته ، كيف عمل^٤ آلتها^٥ ، في شكر موالاتها ، فكان من
الشقاء ، ما تعذر من محبوب اللقاء ؛ وحملت^٦ المتطبِّب أبا فلان ، كريمة
رهنطه ، النَّابِه الذِّكر في أعلام سينطه ، زعيم يهود ، المسودَّ فيهم
المسود ، بحكم التوقُّف عن الملة الخنيفة ، والتردُّد في المذاهب
الأخبارية ، وطويته على كليم جاش به صدر مكلوم ، وهاجس بمقارعة
أقران^٧ الهموم ، مصدوع مثلوم ، وأريد^٨ تحقيق كيفية حسنه ، بالنظر
في مرآة ذهنه الصقيلة ، وتعلم كية وزنه ، بسجية إربه الراجحة
الثقيلة ، فان كلفت^٩ بعد هذا به العيون ، ولم يشل منه الجرم الموزون ،
فببُسن^{١٠} الاقتداء به ، والاهتداء بنجم أدبه ، لا زال علماً نهدي بمناره ،
ونعشو إلى ضوء ناره ، والسلام عليه ما تلات^{١١} الفور ، وصر^{١٢} العصفور ،
نحية تراحمها في سمنه تحيات السُّعود ، وتملأ رَحْب رُبْعِه بإنجاز
مودود منها وموعود .

وله من أخرى : أطال الله بقاء الفقيه الخليل ما زخرت أودية الكلام ،
وانتشرت أودية الغمام ، وصرت في القراطيس الأقلام ، وسرت إلى
النائمين الأحلام ، ولو علمت مزيداً له في البقاء ، ومحلاً فوق أرفع الكواكب

١ ط م : ازارا .

٢ ط م س : الاتهاد .

٣ د : أقدار .

٤ في النسخ : فيمن .

٥ الفور : الطباء ، يقال : لا أقل ذلك ما لآلات الفور ، أي بصيصت بأذناها ، أي لا أقله أبداً .

في الارتقاء ، سألته ضارعاً إلى الخالق ، ولو قُرنت الإجابة فيه بالتردي من حالي ، بادرتُ ذلك غيرَ رعديد ، وأقدمتُ منه على الخطب الشديد ، والله ينيرُ منارَ الأيام ، وينسخُ باثبات^١ عينه آثارَ اللثام . وإن العاقلَ والمتعاقل^٢ لينضحُ بِصُبابَةِ صَبْرِهِ ، حرّاً لا عجزَ لهمّ المعترضِ في صدره ، فربما أدق له ذلك نازح مني ، وأثمر أحلى من ضربِ العسلِ جنى ؛ وقد آثرتُ هذا النوعَ من المعاشرة ، وانتبذتُ بحمد الله من كلِّ نَزَقٍ ومعاصرة^٣ ، مشبهاً بهما وإن كنت عن توقيهما^٤ بمغزل ، كما أُلقيتَ الجمجمةَ البيضاءَ ثالثةً^٥ أثافي المتزل ، فدُعيتُ أنفيةً^٦ ، وكم باتت بطارقها المستطعم حقيةً^٧ ، فصبرتُ عن^٨ اقتضائه موعودَه ، وَحَمَيْتُ لإرضائه كاذبَ طيفي المشفق أن يعودَه ، مبالغةً في أدبٍ لا تُنصِفُه الأيام ، ولا تُسَعِفُه في أربٍ وقد جدَّ به الهيام^٩ ؛ وإني إلى لقائه — أعزّه الله — لأشوقُ من الساجعةِ ، وَمَنْ لِيذاتِ الأرقِ براحةِ الحاجةِ ؟ ! ولو شاء لأغني بأيسرِ إيماء ، وأدال من غِلْظَةِ^٩ الحرّةِ برقةِ الإمامِ ؛ والآن حين فَعَمَ الماءُ الحوضَ ،

١ د : بايات .

٢ ط : والمتعلق ، م : والمتعالي .

٣ ط م : ومعاشرة .

٤ ط د : توقيهما

٥ ط م س : ثابتة (م : في) .

٦ ط م د س : خفية .

٧ د : حل .

٨ م : الحمام ، س ط : الحمام .

٩ ط د م س : غلظة .

وغمر التربة وشمل الروض ، ومشيتُ على قدميَّ الأُميالَ ، ودُسْتُ^١
والله بهما ماءَ المني السَّيَّالَ ، وليت يبيعي صيدح^٢ ، قضَى عني دُبناً فُدَحَ ،
ولكن شَقَعَ خُمُولَ العطلة ، بِخَجَلِ الرحلة ، فَقَبِضَ لي إصرانَ ،
وخصِصْتُ بالشَّقْوَةِ من بين الأقرانَ ، وقد كان وعد في حالي بِجَمِيلِ نَقْطَرِ ،
ولما طال عليَّ أمد ذلك الوعدِ المنتظر ، رأيتُ أن أذكُر :

ولاني لأدري^٣ كيف أرضى وأقضي ولكنه الحرمان يُقضي بأن ألحى [٧٠ب]
وأصرفُ عن وِرْدٍ وقد غمَرَ الندى خفيفَ عِذارٍ والهبتةُ الألحى
ومن عَجَبٍ أن يُفطما كلَّ نَحْتِ^٤ وأمنعَ للقرصِ الذي فأنني الملحا

وليس - أعزّه الله - قرصَ بُرٍّ ولا شعير ، فأنّه قد يكونُ مَرْتَعَ
بعير ، ومستوقدَ سعير ، إنما عني أَرِيضَةٌ ضيقةٌ الساحة ، تكادُ
تُشتمَلُ بظلِّ الراحة ، وتُلغى في كُسُورِ المساحة ، ضَعُفْتُ عن
عمارتها ، وطمس الكلاء عَمِينَ أمارتها ، فلولا ضِدُّها من جَنَّةِ جارٍ ،
خيثِ الطُّعْمَةِ لثيمِ النِّجارِ ، جَرى له بالحرّاة قَدَرُ جارٍ ، فمَنى صَدِقتُ
له صَفْحَةً أرضٍ صَقَلَهَا ، ولو اشتكت إليه نُبوُّ المتزلِّ لنقلها ، لأصبحتُ
هذه اليابسة ضالَّةً أنشدُها في القرى ، ولو وقع منها اليأسُ لانقطع
مني القَرَا^٥ .

١ م ط : وجت .

٢ صيدح : ناقة ذي الرمة ، وبمعها يعني التخلي عن شيء عزيز .

٣ م ط د س : لا أدري .

٤ النخلة : البقر العوامل أو الحمير أو الرقيق .

٥ القرا : الظهر .

كَبْتُ وَإِنَّمَا يَكْتُبُ الْخَلِيُّ ، وَلَا يَحْسُ غَيْرَ عَوِيلِهِ الشَّعْبِيُّ ، وَمَنْ لَا يَمْلِكُ لِحَدِّهِ زَمَامًا ، فَأَحْرَى بَأَنْ تَصِيرَ يَدَاهُ الْبَاطِشَتَانِ أَكْمَامًا ، وَكَأَنِّي بِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ - قَدْ قَالَ : بَلْ تَنْفَعُ الْأَكَامُ وَتَضُرُّ ، وَيُطْرَدُ بِهَا الْحَرُّ وَالْقَرُّ ، وَإِنَّمَا أَرَدْتُ الْأَهَمَّ وَالْأَعَمَّ ، وَمَا يَنْفِي الْغَمَّ ، وَيَحْزُرُ الْمَعْنَى الْأَتَمَّ ، لَا قَرَأَ صَابِرَتُهُ حَتَّى انْضَرَمَ وَتَوَلَّى ، وَلَا حَرًّا مَا أَرِمَ عِنْدِي ذَبَابَهُ وَلَا تَغْنَى ، لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَأْلَفُ مَنَازِلَ أَهْلِ التَّرَفِ ، وَيَحُومُ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ صَنُوفٍ مَا كَلَّ وَضُرُوبٍ طُرَفَ ، وَإِنَّمَا لَانْتُكَ بِسَبَّاسٍ وَحَشِيشٍ ، مُؤْتَمِدٍ بِزَيْتٍ مُبَارَكٍ وَمِلْحٍ جَرِيشٍ ، فَمَا ضَجَرَ مِنْهَا لَغْدَدَةً ، وَلَا جَاءَ نَطَاسِيًّا شَاكِيًّا بِرَدَّةٍ ، فَمَنْ حَيْثُ صَعَّ اعْتِرَاضُهُ ، لَمْ يَحُلْ بِإِصَابَةِ الشَّاكِلَةِ مِقْرَاضُهُ ، وَكُنْتُ أَجْدَعُ^١ هَذَا الْمَقَالَ لَوْ لَمْ أَخَفْ عَلَيْهِ تَطْوِيلًا ، وَإِنْ تَطَارَدَ لِي مَا أَمِلْتُ مِنْهُ شَيْئًا قَلِيلًا ، فَسَوْفَ أَعِدُّ فِي الْبُلْغَاءِ ، وَأَحْسِنُ سَجْعَ خَوَاتِ الْأَطْوَاقِ بَعْدَ الرَّغَاءِ .

وَلَهُ مِنْ أُخْرَى : يَبْنِي وَيَبْنِي الْفَقِيهَ النَّبِيَّ^٢ - صَنَعَ اللَّهُ لَهُ كُلَّ مَا يَشْتَهِيهِ - مَا لَا زِيَادَةَ لَتَنْمِيقِ الْبَيَانِ فِيهِ ، مِنْ وَدِّ مَضَى عَلَيْهِ الْأَسْلَافُ ، وَلَمْ يَعْتَرِضْ فِيهِ عَلَى مَنْ تَخَلَّفُوا بِنَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ التَّدَانِي خِلَافَ ، إِذِ السَّبَبُ فِي فَسَادِ أَكْثَرِ الْأَشْيَاءِ دَنُوٌّ وَامْتِرَاجٌ ، وَلَمْ يَجْنِ عَلَى الصَّعْدَةِ أَنْ تَبِيَّتَ طُعْمَةُ النَّارِ إِلَّا الزَّجَاجُ ، كَبْكَبِ الرَّاحِ ، أَمِنَتْ حَوْلًا مُجَرَّمًا مِنْ عَابِ التَّخْلِيلِ ، حَتَّى مُنِيَّتْ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ بِأَشَامِ خَلِيلٍ ، فَجَرَى لَهَا مَقْلُورُ التَّلَاقِ ، بِكَرَاهَةِ

١ ط : لقردة ؛ م س : لغرده .

٢ م ط س : أجرة .

٣ النبى : سقطت من ط م .

مَذَاقٌ ، وشراسة أخلاق ، وإنهما بلا مَيِّنٍ ، لمن عُنْصُرَيْنِ كَرِيمَيْنِ ،
 سلالة غمام ، وسلافة مُدام ، وأي شيءٍ اصطحب إلا انتحب ؟! الراحةُ
 - أعزَّكَ الله - في الانفراد ، ولا بدَّ من الإصدار للنوي الإبراد ، فاحمد
 الله على نوع من الوداد ، غريب الميلاد ، كأنما أصبح حبساً^١ على الأبناء ،
 واستمر من الوفاء به على مثال حال البناء ، فما تغيَّرت له حركة قط ،
 وأنَّى ذلك ولا يُرفَّع ولا يُحطَّ ، بل تُجدَّدُ نَضَارَتُهُ ، وتؤكدُ - وقد
 أجدبَ ثرى كلِّ ودٍ - غَضَارَتُهُ ، فما شئت لِرَوْحِ ذلك العلاء من شذاً
 ذكي ، وعَرَفٍ من زهر^٢ الثناء مسكبي ، تندى بذكره ألدُّ الشفاه ، وتحترم
 من الخلف الأفواه^٣ .

ومنهم ذو الوزارين أبو بكر محمد بن عمار^٤

وكان غربي المطلع ، شلبي المقطع ، شنبوسي^٥ المصيف والمريع ، إلا أن

١ ط م : حمياً .

٢ ط م د : زهو ، وسقطت من س .

٣ عند نهاية هذا الفصل في ط بخط مختلف ، ما يفيد سقوط ترجمة الوزير أبي أيوب سليمان

ابن أبي مدينة وأبي الحسين القرشي العامري ؛ ولا وجود لهاتين الترجمتين في فهرس الذخيرة .

٤ ترجمته في وفيات الأعيان ٤ : ٤٢٥ والخريدة ٢ : ٧١ وبغية الملتصق رقم : ٢٢٧ والمغرب

١ : ٣٨٩ والقلائد : ٨٣ والحلة السراء ٢ : ١٣١ والمطرب : ١٦٩ والمعجب : ١٦٩

ورايات المبرزين : ٢٥ وأعمال الأعلام : ١٦٠ والنفع : ١ : ٦٥٢ (نقلا عن القلائد)

وانظر صفحات أخرى متفرقة ، والوافي ٤ : ٢٢٩ وجبر الذهبي ٣ : ٢٨٨ والشذرات

٣ : ٣٥٦ وللككتور صلاح خالص مؤلف عنه جمع فيه شعره (بغداد ١٩٥٧) وللأستاذ

ثروت أباطه كتيب عنه (في سلسلة اقرأ) .

٥ ط م : شنبوسي .

شعره غرب وشرق ، وأشام في نغم الحداة وعلى السنة الرواة وأعرق ،
لا جرم فإنه كان شاعراً لا يجارى ، وساحراً لا يبارى ، إذا مدح استنزل
العُصم ، وإن هجا أسمع الصم ، وإن تغزل ، ولا سيما في المذترين من
العلماء ، أسمع سحراً لا يعرفه البيان ، وكيف لا يُرغب في شعره ،
ويُتناقَسُ فيما ينفث به من سحره ، وهو يضرب في أنواع الإبداع بأعلى
السهام ، ويأخذ من التوليد والاختراع بأوفر الأقسام ، وقد أثبت منه في
هذا الديوان ، ما يشتمل على غرائب الحُسن والإحسان ، وأدرجت في
أثناء مقطوعات أشعاره ، نكثاً ولُمعاً من نواذر أخباره ، وذكرت آخر
أمره مع المعتمد ومباشرة قتله [١٧١] له بيده ، وأجريت شرح صفة
الحال ، من المبدأ إلى المال .

وكان قد نشأ والشعر بأفقنا أنفق ما عُمِدَت سوقه ، وأعمر ما كانت
إلى الجاه والمال طريقه ، فاتخذهُ مُدَّةً صناعته ، ثم خلع بعد طاعته ،
رغبة عن نِحْلَةٍ سؤددها سؤال ، وأجودها كذبٌ ومحال ، وكان أبو
بكرٍ من نقائذ البوس ، ونوافض الجَدِّ البييس ، أحد من امترى أخلاف
الحرمان ، وقاسى شدائد الزمان ، وبات بين الدكة والدكان ، واستحلّس
دهليز فلان وأبي فلان ، جرّت على رأسه من ذلك أحوال ، دلّت على أن
الدنيا لإدبار وإقبال ، وأن عيش المرء فيها تهاويل وأهوال .

بلغني عنه أنه لزته إحدى لياليه التَّكِرَات ، في أيامه المنكرات ، إلى
انتجاع بعض أعيان شِلْب ، أحد من طُرِفَتْ عنه أعينُ النّوب ،

وَسَعِدَ بِمَا كَانَ ابْنُ عِمَارٍ شَقِيًّا بِهِ مِنَ الْأَدَبِ ، فَاعْتَمَدَهُ بِأَيَّاتِ عَمَلِهَا عَلَى سَبِيلٍ قَدْ تَنَكَّرَتْ لَهُ وَتَنَكَّرَ لَهَا ، وَبَنَفْسٍ لَوْلَا نَفَاسُهَا لَقَتَلَهَا ، وَاتَّقَى أَنْ قَصِدَهُ بِهَا يَوْمَئِذٍ حِينَ جَنَحَتْ ذِكَاؤُ ، وَصَبَّغَتْ الْغَيْطَانُ لَوْنَهَا السَّمَاءُ ، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ النَّهَارِ إِلَّا تَلْعَةُ عَلِيلٍ ، وَبُلْعَةُ ابْنِ سَبِيلٍ ، أَضْيَقُ مِنْ عُذْرِ الْجَبَانِ فِي الْفِرَارِ ، وَأَقْصَرُ مِمَّا بَيْنَ الْحَيَةِ وَالْعَذَارِ ، فَلَمَّا أَنْشَدَهُ قِطْعَةَ شَعْرِهِ ، وَهَمَّتْكَ لَهُ الْحِجَابُ سَاعَتِذٍ عَنْ وَجْهِ عُذْرِهِ ، أَسْرَّ إِلَى غَلَامِهِ بِكَلَامٍ قَصِيرٍ ، فَغَاب عَنْهُ غَيْرُ كَبِيرٍ ، ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ فِي يَدِهِ مِخْلَافَةٌ شَعِيرٌ^١ ، وَقَالَ لَهُ : خُذْ مَا حَضَرَ ، وَأَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عُنْدِي . فَجَاشَتْ نَفْسُ ابْنِ عِمَارٍ جَيْشَةً أَذْهَلَتْهُ عَنْ اسْمِهِ ، وَكَادَتْ تَسِيلُ عَرَقًا عَلَى جِسْمِهِ ، وَهُمْ بِصَرْفِ نَائِلِهِ النَّزْرِ إِلَيْهِ ، فَفَكَّرَ فِي مُهَيِّزٍ كَانَ يَرْكَبُ عَلَيْهِ ، فَاحْتَمَلَ الْغَضَاظَةَ فِي قَبُولِ ذَلِكَ النَّيْلِ ، رَاجِعًا بِالْمَلَامَةِ عَلَى هُجُومِ اللَّيْلِ ، مُحْتَجًّا بِكُلِّ بَيْتٍ كَانَ حَقِيقَةً^٢ فِي إِثَارِ الْخَلِيلِ ، وَقَامَ يَخْدُ الْأَرْضَ بِرَجْلِهِ ، وَيُدْمِي بِالْعَضْ يَدِيهِ . فَلَمَّا صَارَ ابْنُ عِمَارٍ إِلَى الْحَالِ الَّتِي وَسَّوَسَتْ لِلْعَصْفُورِ بِصَيْدِ الْعُقَابِ ، وَسَوَّلَتْ لِلْكَبِيرِ ارْتِجَاعَ الشَّبَابِ ، هَجَمَ عَلَى مَتَرٍ ذَلِكَ الرَّجُلِ ، وَقَدْ صَارَتْ إِلَيْهِ أَعْنَاقُ الدُّوَلِ ، وَغَصَّتْ الْأَرْضُ حَوَالِيَهُ بِالْخَلِيلِ وَالْخَوَلِ ، فَقَامَ يَفْدِيهِ بِمَالِهِ ، وَيَحْسِبُهُ يَوْمَئِذٍ خَطَرَةً بِيَالِهِ ، أَوْ خُلُوعَةً بِطَيْفِ خِيَالِهِ ، فَذَكَرَهُ ذَلِكَ الزَّمَانُ ، وَقَرَّرَهُ عَلَى مَا كَانَ ، وَالرَّجُلُ يُتَلَاثِي بَيْنَ الْوَجَلِ وَالْحَيَاءِ ، وَيَتَمَنَّى لَوْ ابْتَغَى نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ ، وَلَمْ يَرْمِهِ أَبُو بَكْرٍ ، حَتَّى أَخْرَجَ إِلَيْهِ قِطْعَةَ الشَّعْرِ ، فَبَرِئَ إِلَيْهِ ابْنُ عِمَارٍ مِنْ تِلْكَ الدَّنِيَّةِ ، وَأَعْطَاهُ مَخْلَافَةً مَمْلُوءَةً بِبُرَاهِمٍ قَاسِمِيَّةٍ ، وَقَالَ لَهُ : لَوْلَا حُرْمَتُكَ

١ د : من شعير .

٢ د : يحفظه .

لأَوْجَعْتُكَ أَدْبًا ، ولو ملأتَ تلكَ أَمْسٍ بُرًّا ، لملأتَ لكَ اليومَ هذهَ نبرًا .
فسبحان من لا مُنَازِعَ له في خَلْقِهِ ، ولا عِترَاضَ عليه في قِسْمَةِ رِزْقِهِ ، له
النِّعْمَةُ السَّابِغَةُ ، والحِجَّةُ البَالِغَةُ .

ثم لحظ ابنَ عَمَّارٍ الاقبالَ ، وحالتَ به الحالَ ، وقُلِّدَ الأعمالَ
السلطانيةَ فأنهَمَ فيها وأنجَدَ ، وقام بأعبائها وقعدَ ، ثم لحق آخرَ عمره ،
وبين يَدَيَّ إدبارِ أَمْرِهِ ، بشفرِ سَرَقُوسْطَةَ بعدَ خروجه من مرسيةٍ - في
خبرِ سيأتي ذكره - ولم يزل بذلك الثغرَ يترددُ ، وفسادُ حالِهِ عندَ المعتمدِ
يتزايدُ ، إلى أن كان من خبره ما كانَ ، حسبما يأتي به الشرح والتبيان .

وأوَّلُ تعلُّقِهِ بالمعتمدِ كانَ حينَ وجَّهه لحربِ شِلْبِ أبوه المعتضدَ ،
فترع ابنُ عَمَّارٍ إليه ، وبلغ من المترلة لديه ، أنْ غَلَبَ عليه ، وبعد انتبازه
شلبَ ، وفراغِهِ من تلكَ الحربِ ، صَحِبَ بِهِ بحضرةٍ لِشَيْبِلِيَّةٍ ،
وأحضره معه مجالسَ أنْسِيهِ ، إلى أن أَوْجَسَ خِيفَةً في نفسه من أبيه المعتضدِ ،
ففرَّ عن البلدِ ، ولحق بشرق الأندلسِ ، وتمكَّنَ بها من المؤتمنِ يوسف بن
أحمد بن هود ، فخطبَ المعتمدَ بهذا القصيدِ الفريدِ^١ ، وقد أثبتُ أكثرُهُ
لاشتماله على البدائع ، فإنه من كلامه الرائقِ الرائعِ^٢ ، وأوله^٣ :

١ علق ابن الأبار (الخلة ٢ : ١٤٨) حل هذا بقوله : « ومن فاحش الغلط قول ابن بسام
ان ابن عمار قال هذه القصيدة لما خاف من المعتضد لغلبته حل ابنه المعتضد » ، لأن هذا كان
قبل ٤٦٠ أو ٤٥٠ بينما تولى المؤتمن في جمادى الأولى سنة ٤٧٤ .

٢ الرائع : سقطت من ط م س .

٣ انظر ابن خلكان ٤ : ٤٢٦ والخريدة ٢ : ٧٣ والوافي ٤ : ٥٤ والمجب ١٧٠ : ١٧٠ والنفع
١ : ١٩ وصلاح خالص : ٢٠٩ - ٢١٩ ومعاهد التنصيص ٣ : ٧٥ والثريشي ٣ : ١٧٥ .

عليّ وإلا ما نباح الحمامِ
وعني أثار الرعد صرخة طالب
وما لبست زهر النجوم حدادها
وهل شقت هوج الرياح جيوبها
خفوا بي إن لم تهدأوا كلّ سايح
من العاسات الدهم إلا التفاتة
طوى بي عرض اليد فوق قوائم
وخاض بي الظلماء حتى حسبته
ألا قاتل الله الجياد فأنها
أشلب ولا تنساب عبرة مشفق
كساها الحيا برد الشباب فأنها
ذكرت بها عهد الصبا فكأنما
ليالي لا ألوي على رشد لائم
أنال سهادي عن جفون^٣ نواعس
وليل^٤ لنا بالسد بين معاطف

وفي وإلا ما بكاء الغنائم^١
لثاري وهز البرق صفحة صارم
لغيري ولا قامت له في مآتم [٧١ ب]
لغيري أو حنت حنين الروائم
لريح الصبا في إثره أنف راغم
إلى غرة أهدت له ثغر باسم
توهمتني^٢ منهن فوق قوائم
له مربوط بين النجوم العوام
نأت بي عن أرض العلا والمكارم
وحمص ولا تعتاد زفرة نادم
« بلاد بها عى الشباب تلامي »
قدحت بنار الشوق بين الحيازم
عناني ، ولا أثنيه عن غي هائم
وأجني عذاب من غصون نواعم
من النهر ينساب انسياب الأرقام

١ الوفيات والحريدة والمعاهد :

علي وإلا ما بكاء الغنائم وفي وإلا فيم نوح الحمام

٢ الحريدة : توهمتني .

٣ الوفيات والحريدة : من عيون .

٤ الحريدة : وقوم (اقرأ : ويوم) .

بَحِثْ اتَّخَذْنَا الرُّوضَ جَاراً تَزُورُنَا
 يَلْتَفِتُنَا أَنْفَاسُهُ فَرْدُهَا
 تَسِيرُ إِلَيْنَا ثُمَّ عَنَّا كَأَنَّهَا
 سَقَتْنَا بِهَا الشَّمْسُ النُّجُومَ وَمَنْ بَدَتْ
 وَبِتْنَا بِلَا وَاشٍ يُحَسُّ كَأَنَّمَا
 هُوَ الْعَيْشُ لَأَمَّا أَشْتَكِيهِ مِنَ السُّرَى
 وَصَحْبَةِ قَوْمٍ لَمْ يَهْتَدِ بِطَبَاعِهِمْ
 صَعَالِكَ هَامُوا بِالْفَلَاقِ فَتَدْرَعُوا
 زِدَامِي وَمَا غَيْرُ السُّيُوفِ أَزَاهِرِي
 هَدَايَاهُ فِي أَيْدِي الرِّيَّاحِ النَّوَامِ
 بِأَعْطَرِ أَنْفَاسٍ وَأَذْكَى لِنَامِ
 حَوَاسِدُ تَمْشِي بَيْنَنَا بِالنِّعَامِ
 لَهُ الشَّمْسُ فِي قِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ فَاحِمِ
 حَكَلْنَا مَكَانَ السَّرِّ مِنْ صَدْرِ كَاتِمِ
 إِلَى كُلِّ ثَغْرِ أَهْلِ مِثْلِ طَامِمِ
 لِقَاءُ أَدِيبٍ أَوْ نَوَادِرُ عَالِمِ
 جُلُودَ الْأَقَاعِي تَحْتَ بَيْضِ النِّعَامِ
 لَدَيْهِمْ وَمَا غَيْرُ الْغُمُودِ كَنَائِمِ

يجري ابنُ عمَّارٍ في أكثر ما له من الأشعار جرِّيَ الجموح ، ولا يقنع
 بالكناية عن مذهبه إلا بالتصريح ، لأنه كان — سمح الله له — مع ما
 مكن في^٢ دهره من تدبير الاقليم ، او انبسطت بنائه في التأخير والتقديم ،
 واجترأ على الأيام ، واقتاد من الجماهير العظام ، زير قيان وغلمان ، وصريع^٣
 راح وريحان ، أمته — زعموا — كان بين شرب كاس ، وشم آس ،
 وجذله في نصب حباله ، لغزال أو غزالة ، ترى ذلك كثيراً في أشعاره ،
 وتسمعه أثناء أخباره ، حتى ثل ذلك عرشه ، وأوهن بطشه ، وطأطأ من
 سموه ، وساقه صاغراً إلى يد عدوه ، ألا تراه كلما نظم أو نثر ، < تغنى > بالنأي^٤

١ خالص : مناس .

٢ ط م : من .

٣ ط س : وصريع .

٤ ط س : بالثاني .

والوتر ، ونحلى بالحسن والخور^١ ، وعاب على أهل سرقسطة وأنكر^٢ ، من
هيات الثغور ما عرف^٣ ، ووصفهم بما وصف ، كأنه لم يسمع قول الأول :
ومن تكن الحضارة^٤ أعجبت^٥ه فأبى رجال^٦ بادية ترانا^٧

ولا قول أبي العلاء^٨ :

من كل^٩ أروع^{١٠} لم تأثر^{١١} ضمائر^{١٢}ه^{١٣} للشم^{١٤} خد^{١٥} ولا تقبيل^{١٦} ذي^{١٧} أشتر^{١٨} [١٧٢]
لكن يقبل^{١٩} فوه^{٢٠} ميسمعي^{٢١} فرس^{٢٢} مقابل^{٢٣} الخلق^{٢٤} بين الشمس^{٢٥} والقمر^{٢٦}

إلى غير ذلك مما هو أوضح^{٢٧} ، من أن يشرح^{٢٨} ، في أكثر الأشعار ؛ وما
ينقضي عجي من ابن عمار أن ينكر^{٢٩} تلك الهيئة^{٣٠} ، على أهل ثغر^{٣١} ، أبناء^{٣٢} قتل^{٣٣}
وبقايا أسر^{٣٤} ، قلما خلوا^{٣٥} من هبة^{٣٦} من النصارى^{٣٧} ، إذ مسافة^{٣٨} ما بينهم أقصر^{٣٩}
من إبهام^{٤٠} الحبارى^{٤١} ، وبلدهم^{٤٢} مجر^{٤٣} عواليهم^{٤٤} ، وموقد^{٤٥} صاليهم^{٤٦} ، ومخفت^{٤٧}
أعلامهم^{٤٨} ، وذرية^{٤٩} سهامهم^{٥٠} .

وفي هذه القصيدة يقول :

وما حال^{٥١} من^{٥٢} خللى^{٥٣} بلاد^{٥٤} أعارب^{٥٥} وألقت^{٥٦} به^{٥٧} الأقدار^{٥٨} أرض^{٥٩} أعاجم^{٦٠}

١ م ط س : بالجن والخور .

٢ ط : وأكثر .

٣ بحاشية ط هنا تعليق بخط مختلف منقول من القلائد .

٤ هو القطامي ، انظر ديوانه : ٧٦ .

٥ شروح السقط : ١٤٤ .

٦ خالص : وما حال من ربه أرض أعارب .

يَقْبَحُ لِي قَوْمٌ مَقَامِي عِنْدَهُمْ^١
يَقُولُونَ لِي دَعْ أَيْدِيَ الْعَيْسِ لَهَا
فَدَبِثَهُمْ لَمْ يَبْعَثُوا حِرْصَ عَاجِزٍ
وَلَكِنَّهَا الْأَيَّامُ غَيْرُ حَوَافِلٍ
وَإِنِّي لَأَدْعُو لَوْ دَعَوْتُ لَسَامِعٍ
أُرِيدُ حَيَاةَ الْبَيْنِ ، وَالْبَيْنُ قَاتِلِي
وَنَبُثْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ تَغَيَّرُوا
لَقَدْ عَتَبُوا ظِلْمًا عَلَى غَيْرِ عَانِبٍ^٢
وَلَوْ أَنَّ عَفْوًا مِنْ هُنَالِكَ زَارَنِي
أَجْرُ ذِيُولِ اللَّيْلِ سَابِغَةَ الدَّجَى
فَأُورِدُ وَدِّي صَافِيًا كُلَّ شَامٍ^٣
وَأَغْضِي لِمَنْ يَلْقَى بَوَاجِهُ مُكَارِهِ
وَمَا هُوَ إِلَّا لَثْمٌ كَفُّ مُحَمَّدٍ
إِنْ اتَّفَقْتُ لِي فَالْعَلُو مُسَاعِدِي^٤
وَأَيُّ حَيَاءٍ طَيْبُهُ أَيُّ سَوْرَةٍ
وَفِيهَا يَقُولُ :

وَقَدْ رَسَقْتُ رِجْلَ السَّرَى فِي الْأَدَاهِمِ
تُودِّي إِلَى أَيْدِي الْمُلُوكِ الْخَضَارِمِ
وَلَا نَبَّهُوا إِذْ نَبَّهُوا طَرَفَ نَائِمٍ
بِأَرْبِ أَرِيبٍ أَوْ حَزَامَةِ حَازِمٍ
مَجِيبٍ وَأَشْكُو^٥ لَوْ شَكُوتُ لِرَاحِمٍ
وَأَرْجُو انتِصَارَ الدَّهْرِ ، وَالدَّهْرُ ظَالِمِي
وَذَمُّوا الرِّضَى مِنْ عَهْدِي الْمُتَقَادِمِ
عَلَيْهِمْ وَلَا مَوَا ضَلَّةً غَيْرَ لَائِمٍ
لَزَرْتُ وَمَا عَدَّوُ الزَّمَانِ بِدَائِمٍ
وَأَرْكَبُ ظَهَرَ الْعِزِّ صَعْبَ الشَّكَايِمِ
وَأَلْبَسُ حَمْدِي صَافِيًا كُلَّ شَائِمٍ
حَيَاءً فَأَلْقَاهُ بِوَجْهِ مَكَارِمِ
وَتَمَكِّنُ كَفِّي مِنْ نَوَاصِي الْمَظَالِمِ
عَلَى كُلِّ حَالٍ وَالزَّمَانُ مُسَالِمِي
كَمَا كَمَنْتُ فِي الرُّوضِ دُهُمُ الْأَرَاقِمِ

١ خالص : بينهم .

٢ خالص : وإني لأشكر .

٣ خالص : سخطوا . . . سخط .

٤ خالص : شارب .

٥ خالص : موافقي .

له هزة في الجود معتضدية
 إذا نَشَرَتْ لحمٌ بذكرها فخرها
 أبي أن يراه الله غير مقلد
 ومن مثل عباد ومن مثل قومه
 الكِنِيّ بالتسليم منهم إلى فقي
 إذا ركبوا فانظروا أول طاعن
 أغر^٣ مكن في القلوب محبب
 تبوا من لحم وناهيك مقعداً
 أبا القاسم أقبلها إليك فلأما
 عملة عذراً فلأنك جملة
 أنا العبد في ثوب الخضوع لو أنني
 وما عز في الدنيا مراد لمجدب
 ولكن ذاك الظل أندى غضارة
 ولاني إذا أنصفت بعدك خادم
 لعمرى لقد أفحمت كل مفاخير
 أنازعه فيك الثناء فيثنى
 تراك تنسمت الذي قد أذعته

تهز إلى التشنيت شمل الدراهم
 طوت طيء من خجلة ذكر حاتم
 حمالة سيف أو حمالة غارم
 ليوث حروب أو بلور مواسم
 تهادى به جرد العتاق الصلادم
 وإن نزلوا فارصده آخر طاعم
 إليها عظيم في نفوس الأعظم
 مكان رسول الله من آل هاشم
 ثناؤك مسكي والقواني لطائمي
 من الفضل لم أستوفها بنراجم [٧٢ب]
 أرى البدر تاجي والنجوم خواتمي
 ولا اعتاص في الآفاق ورد لحائم
 لصاح وذاك البرق أشفى لثائم
 لدهرى وكان الدهر عندك خادمي
 لما فيك من تلك السجايا الكرائم
 كآني نازعت الكؤوس منادمي
 فأرضاك أم غابت عليك مقادمي

١ خالص : منهم بالسلام .

٢ ورد في الرواي الرندي : ١٠٢ .

٣ م ط : أغر .

٤ خالص : طلاب لما جد .

٥ م : الأيام .

٦ د : مفارمي .

ولا غرو أن حيثك بالطيب روضة^١ سَمَحَتْ لها بالعارض المتراكم

قال ابن بسّام : أما معاني هذه^١ القصيدة فمحنة سلوكية ، ومُضغّة^٢ مملوكة ، قد كثر تجاذبُ الشعراء أهدابها ، وقرعوا بابها ، حتى صارت كالجمل المذلّل ، والمتهبّع من السبل . فمن سلك من أهل أفقنا هذا السنن^٣ ، أبو الأصمغ عيسى بن الحسن^٤ ، من شعر كتب به من سجن ابن أبي عامر ، يقول فيه :

وإن سمعت أذنك للورق رنة^٥ فحزني ييكها وفرطُ تفجئي
وإن هطلت يوماً على الأرض مزنة^٦ فلي سمحت بالدمع في كل مربع

وهو شعر ضعيف ، بين التكليف .

وقال يوسف بن هارون الرمادي :

على كعدي تهبي السحاب وتذرف^٧ ومن شجني تبكي الحمام وتهتف^٨

١ د : أول هذه .

٢ د : السبل .

٣ أحد شعراء الدولة العامية ، باطن عبد الله بن المنصور ، فلما ضرب أبوه عنقه سجن أبا الأصمغ هذا ، وهو يشكو في شعره طول سجنه بقوله :

ليت شعري كيف البلاد وكيف الناس والوحش والسما والماء

طال عهدي عن كل ذلك وليس لي ونهاري في مقلتي سواء

انظر المغرب ١ : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٤ المطمح : ٧٣ .

وما أحسن قول أبي الوليد بن زيدون من قصيدة قد تقدمت ، أولها ١ :

ألم يأن أن تبكي الغمامُ على مثلي ويطلبَ ثأري البرقُ مُنْصَلَّتَ النصل
ولما قتل الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن إبراهيم ٢ بمدينة الأشبونة ،
رفع الله منازلَه ، وقتلَ قاتِلَه ، قال بعضُ أهلِ العصرِ فيه يرثيه :

عَلَيْكَ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ تَبْكِي الْغَمَامُ وَفِيكَ إِذَا نَاحَتْ تَنُوحُ الْحَمَامُ
فَلَا يَأْمِنُوا رَعْدَ السَّمَاءِ وَبَرْقَهُ فَمَا هِيَ إِلَّا أَنْصَلُ وَغَمَاغِمُ
وَقُلَّ لِنَعِشٍ سَارِ سِلْوُكَ فِيهِ أَنْ يَرَى لَبْنِي نَعِشٍ عَلَيْكَ مَا تَمُ
وَأَنْ تَلْبِسَ الزُّهْرُ النُّجُومَ حُلْدَادَهَا عَلَيْكَ وَتَبْكِيكَ الْعَلَا وَالْمَكَارِمُ
وَتَنْتَثِرَ الْجُوزَاءُ مِنْ نَظْمِ عَقْدِهَا وَتَسْقُطَ مِنْ كَفِّ الثَّرِيَّا الْخَوَاتِمُ

وقول ابن عمار : « لريح الصَّبَا في إثره أنفٌ راغم » هو أيضاً من
متداولات المعاني ، منها قولُ محمد بن هاني ٣ :

وَأَجَلٌ عِلِمِ الْبَرْقِ فِيهَا أَنَهَا مَرَّتْ بِحَاشِيَتِهِ وَهِيَ ظَنُونُ
وقال المعري ٤ :

ولما لم يسابقهنَّ شيءٌ من الأشياءِ سابَقُنَّ الظَّلَلا

١ ديوان ابن زيدون : ٢٦١ ، والذخيرة ١ : ٣٥١ .

٢ ذكره ابن بسام في القسم الثالث : ٨٦٣ ، وذكر أن الذين قتلوه هم آل أخطل ، وأورد
لأبي عامر الأصبلي قصيدة في رثائه : ٨٦٦ .

٣ ديوان ابن هاني : ١٧٥ .

٤ شروح السقط : ٤٦ .

٥ شروح السقط : من الحيوان .

وقوله : « من العاسات الدهنم . . . » كقول ابن نباتة يصفُ فرساً
أغرَّ عجَّلَ الأربع^١ :

وكأنما لطمَ الصبحُ جبينه فاقصص منه فخاضَ في أحشائه

على أن ابن الرومي قرَّبَ له مَرَمَاه ، وإن كان في غير معناه ، حيث
يقول في صفة الشُّمُول^٢ : [١٧٣]

أخذت من رؤوس قومٍ كرامٍ ثارها عند أرجلِ الأعلاجِ

وقوله : « تسيرُ إلينا ثم عنا » . . . البيت ، ينظر من طرف خفي^٣ ، إلى
قول الرضي^٤ :

وأمسَ الریحُ كالغیری تجاذبنا على الكتيبِ فضولَ الریطِ واللممِ

والذي عوَّل عليه الرضي قولُ ابنِ المعتز^٥ :

والریحُ تجذبُ أطرافَ الردامِ كما أفضى الشفیقُ إلى تنبیهِ وسنانِ

وبهذا ألمَّ ابنُ نباتة في قوله^٥ :

إذا ما الصبحُ أسفرَ نبهتني جنوبٌ مسها مسُ الشفیقِ

١ البيتة ٣ : ٣٩٢ وابن خلكان ٣ : ١٩٠ ورض الحجب ١ : ٨٦ .

٢ ديوان ابن الرومي : ٤٩٠ ورض الحجب : ١٥٠ .

٣ ديوان الرضي : ٢٧٤ والذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٤ الذخيرة ١ : ٣٦٥ .

٥ البيتة ٣ : ٣٩٤ .

وقوله : « وتمكينُ كفتي من نواصي المظالم » مختصَّبٌ من قول أبي
الطيب^١ :

كَانَ رَحِيلِي كَانَ مِنْ كَفِّ طَاهِرٍ فَأَثْبَتَ كُورِي فِي ظَهْوَرِ^٢ الْمَوَاهِبِ

وقوله : « وأيُّ حياءٍ طيِّبه أي سورة » كقول الآخر :

لَا تَفَرِّتْكَ هَذِهِ الْأَوْجُهُ الْغُرُ فَيَا رَبَّ حَيَّةٍ فِي رِيَاضِ

وقوله : « إذا ركبوا فانظره أولَ طاعن » ... البيت ، معنى قديم ،
وأول من أثاره ، ورفع مناره ، عنبرةٌ بقوله^٣ :

يَخْبِرُكَ مِنْ شَهِيدِ الْوَقَائِعِ أَنْتَنِي أَغْشَى الْوَغَى وَأَعْفُ^٤ عِنْدَ الْمَغْنَمِ

ولما قتلَ عليُّ بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، عمرو بن ود^٥ يوم
الأحزاب وسقط وانكشف ، قال^٦ :

وَعَفْتُ عَنْ أَثْوَابِهِ وَلَوْ أَنِّي كُنْتُ الْمُقْطَرِ^٧ بِزِّي أَثْوَابِي

وقال أبو تمام^٧ :

١ ديوان المتنبي : ٢١٠ .

٢ ط م : أكف .

٣ ديوان عنبرة : ٢٠٩ .

٤ م ط : أد .

٥ عيون الأثر ٢ : ٦١ .

٦ د : المقنطر .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧١ .

إنَّ الأسودَ أسودَ الغابِ همتها يومَ الكربةِ في الملوبِ لا السلبِ

وقال المعري^١ :

أدنى الفوارسِ من يُغيرُ لمغمٍ فاجعلْ مُغارَكَ للمكارمِ تُكْرَمِ

والتناسبُ في الألفاظِ والمعاني حيلٌ يتصل ولا يتفصل ، وإنما نلّمعُ منها باليسير اللطيف ، وقد اندرج منها جملةٌ وافرة في تضاعيف هذا التصنيف .

وقال ابن عمار من قصيدة في المعتضدِ عبّادٍ أولها^٢ :

أشأقك برقٌ أم جفاك حبيبٌ فليلك فضا فضاضُ الرداءِ رحيبُ

يقول فيها :

إلى الله أشكو أنْ مالِكٍ في دمي	شريكٌ وما لي في هواك نصيبُ
أتلّرين منْ كلّفت عينيكَ قتلهُ	وقلت : فني لا يستفيدُ غريبُ
ستنصره من مهرة الخيل ترنمي	بأعلام نصرٍ في الوغى وتؤوبُ
تساموا بلخمٍ فاستهلّت سماؤهمْ	بغيمٍ منها ذائبٌ ومذيبُ
بدورٌ ولكنّ السماء محاربٌ	وأشدُّ ولكنّ العرين حروبُ
مزحتُ فأنّي يا ابنة القيل لم أكنْ	لأفشي سرّاً صمّتهُ قلوبُ
سأشهد ^٣ قومي أن طرفك من دمي	بريءٌ وإن كان الفتور يريبُ

١ شروح السقط : ٣٢٧ .

٢ خالص : ٢٠٥ ورفع الحب : ١ : ٦١ .

٣ د : فأشهد .

وكيف أرى في الغدر نهجاً لسالك
فنى نسخ العذر اقتضاء وفاته
أغر ينير الملك منه بكوكب
وعهدي بالسلك الوفي قريب
فلا تحكي أن الوفاء غريب
له في سماء المشكلات ثوب [٧٣ب]

وله فيه من أخرى^١ :

أدير الزجاجة فالنسيم قد انبرى
والصبح قد أهدى لنا كافوره
والروض كالخسنا كساه زهره
أو كالغلام زها بوردي رياضه
روض كان النهر فيه معصم
ونهره ربيع الصبا فتظنه
عباد المخضر نائل كفه
قد أح زندي المجد لا ينفك من
يختال إذ يهب الخريدة كاعبا
أيقنت أني من ذراه بجنة
وعلمت حقاً أن ربي مخصب
من لا توازنه الجبال إذا احتى

والنجم قد صرّف العنان عن السرى
لما استردّ الليل منّا العنبرا
وشياً وقلّده نداءً جوهرها
خجلاً وتاه بأسهن معذراً
صافٍ أطلّ على رداء أخضرا
سيف ابن عباد يبدد عسكرا
والجو قد لبس الرداء الأغبرا
نار الوغى إلّا إلى نار القرى
والطرف أجرد والحسام بجوهرها
لما سقاني من نداء الكوثر
لما سألت به الغمام الممطرا
من لا تسابقه الرياح إذا جرى

١ م : وقال أيضاً ، وانظر هذه القصيدة في القلائد : ٩٦ والمعجب : ١٧٣ والنفع : ١ : ٦٥٥

٣ : ١٩٤ والخريدة ٢ : ٧٢ والواني ٤ : ٢٣٠ والوفيات ٤ : ٤٢٦ وخالص : ١٨٩

ورايات المبرزين : ٥٥ (٢٦ غ) والزيجان ١ : ١٥٦ ب ورض الحجب ١ : ١٧٣ .

٢ ط م د : منها .

٣ ط د س : جداً .

ماضٍ وصدرُ الرمح يَكْنَهُمُ والظبا
لا خلق أقرأ^١ من شفارِ حسامِهِ
السيفُ أصدق^٢ من زيادٍ خطبةً
وللبكها كالروضِ زارته الصبا
نَمَقَّتْهَا وشياً بذكركَ مَذْهَباً
من ذا يَنافَحُنِي وَذَكَرُكَ مَنَدَلٌ
فلئن وجدتَ نسيمَ حمديّ عاطرأ
تنبو، وأيدي الخيل تعرُّ في البرى
إن كنتَ شَبَّهْتَ المواكبَ أسطرا
في الحربِ إن كانتَ يمينُكَ منبرا
وحنا عليها الطلُّ حتى نورأ
وفتقنُها مسكاً بحمدك أذفرا
أوردنُهُ من نارِ فكري جمرأ
فلقد وجدتُ نسيمَ بركٍ أعطرا

قوله : « لا خلق أقرأ من شفار حسامه » . . . البيت ، كأنه من قول
محمد بن هاني^٣ :

ولم أرَ أنفَذَ من كُتُبِهِ إِذَا جُعِلَ السيفُ حيثُ القلمُ

وذكر أن المعتمد^٤ أقام برهةً بقرطبة يرفعُ بعضَ الأمور السلطانية فشم
طَلَقَهُ ، وتذكَّرَ على عادته خُلُقَهُ ، ودعته دواعي نفسه ، إلى قبته وكأسه ،
فاستشار يومئذٍ ابنَ عمار ، وكان خاطبه في ذلك بشعر^٥ ، وظنَّ عنده أهبةً ،

١ الخريدة : أفرى (والملاقة واضحة بين « اقرأ » والأسطر) .

٢ القلائد : أفصح .

٣ ديوان ابن هاني : ٢٨١ .

٤ بعض هذا النص في الحلة ٢ : ١٣٢ .

٥ قال ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٣٢) : وسرى إلى ابن عمار أن المعتمد كتب من قرطبة
إلى بعض كرائمه شعراً يعتذر فيه من الحاق بها ، آخره : إن شاء ربي أو شاء ابن عمار ؛
فأجابه ابن عمار بهذه الأبيات : « مولاي عندي لما تهوى ... » ، وذلك ما حكاه أبو الطاهر
التميمي السرقسطي في ديوان شعر ابن عمار من جمعه ؛ وانظر خالص : ٢٣٦ .

إذ كانت عليه منه بعضُ الرقبة ، فوجده أهتك سراً ، وأقلّ عن اللذات صبراً ، وأشار عليه بتعطيل الثغر ، وإضاعة الأمر ، وجاوبه على ذلك بهذا الشعر :

مولاي عندي لما نهوى مساعدة	كما تتابعَ خَطْفُ البارِقِ الساري
إن شئتَ في البحر فاركبْ ظهرَ ساجدة	أو شئتَ في البرِّ فاركبْ ظهرَ طيار
حتى تحلَّ وحفظُ الله يكلؤنا	رحابَ قصرِكَ واتركني إلى داري
وقبل خلعِ نجادِ السيفِ فاسعِ إلى	ذاتِ الوشاحِ وخذْ للحبِّ بالثار
ضمّاً ولئماً يغنيَ الحلْيُ بينكما	كما تجاوبُ أطيّارُ بأسحارِ [١٧٤]

ومعنى البيت الرابع من هذه القطعة ينظر إلى قول عبد المحسن الصوري وأنشد الأبيات لحسنها :

أفدي الذي زارني بالسيف مشتملاً	ولحظ عينيه أمضَى من مضاربه
فما خلعت نجادي في العناق له	حتى كساني نجاداً من ذوائبه
وكان أسعدنا في نيلِ بُغْيَتِهِ	من كان في الحبِّ أشقانا بصاحبه

وقال ابن عمّار للمعتضد^١ :

الكأسُ ظامئةٌ إلى بمنّاكا	والروضُ مرتاحٌ إلى لقباكا
والدهرُ جارٍ في عنانِكَ لم تقُلْ	هاتِ المنى إلا أجابَ بهاكا
فأدرُ بأفاقِ الزجاجِ ^٢ كواكباً	تخذتُ أكفَّ سقّاتها أفلاكا

١ خ بهامش ط : للمعتد : وانظر الحريدة ٢ : ٧٧ وخالص : ٢٠١ .

٢ الحريدة : بأفاق السرور .

راحاً إذا هبَّ النسيم حَسَبَتْهَا مسروقةً الأنفاس من رِيَاكَ
 في مجلسٍ بسط الربيع بساطه زهراً ورقرقه عليك أَرَاكَ
 سقط الندى فيه سقوطَ ندا كما وجَلَّتْ عليه الشمس مثل سَنَاكَ
 يسري على ریحانه نَفْس الصَّبَا سَحَرَا فيوهم أنه ذَكَرَاكَ
 ردُّ موردٍ اللذاتِ عذبا صافيا فلقد وردت المجد قبل كَذَاكَ

قال ابن بسّام وأخبرني الحكيم النديم أبو بكر ابن الاشيلي ، قال :
 حضرت مجلس أنس مع أبي بكر بن عمار بقصر الرشيد بن المعتمد ، فلما
 دارت الكأس ، وتمكّن الأنس ، وغنّيته أصواتاً ، وذهب به الطرب كلَّ
 مَذْهَب ، قال ابن عمار ارتجالاً^٢ :

ما ضرَّ أن قيل إسحاق ومُوصِلُهُ ها أنتَ أنتَ وذِي حمص وإسحاقُ
 أنت الرشيد ودَع من قد سمعت به وإن تشابهَ أخلاقُ وأعراقُ
 لله درك دَارِكُهَا مشعشةً واحفز بِسَاقِيكَ ما قامت بنا ساقُ

وقال في المعتمد في حين نزوله بعض الحصون^٣ :

على اليُمنِ والطائرِ السَّانِحِ نَزَلْتَ وَغَبِرَكَ للبارحِ
 وما اهتجت إلا وقد هيَّجَتْكَ دواعٍ إلى البلد النازِحِ
 وإلا فكم خف من خف جهلاً^٤ فما هزَّ من حلمك الراجِحِ

١ نداكا : لا وجه للشبهة هنا ، ولعل الصواب « نداكا » .

٢ خالص : ٢٣٣ .

٣ خالص : ٢٢٥ .

٤ اضطرب هذا الشعر في م فجاء : « وإلا فكم خف جهلا من خف » .

تطلبُ حقوقَكَ لا لائمٌ فقد بينَ الصبحُ للآمع
ومن يعترضُكَ بأوداجِهِ فكِلُهُ إلى سَعْدِكَ الذابح
وكم يزجرونَ وكم ينصحونَ فما يقبلونَ منَ الناصح
وما كان أنصفَهُمْ لو رموا زنادَ الوغى ليدِ القادح
ولا عجبٌ لثبوتِ القلاعِ على بأسِكَ الهادمِ الناطح
فلولا امتناعُ الفتاةِ الكتابِ لما كملتَ لذَّةُ الناكحِ [٧٤ب]
خلعتَ الكرى في طلابِ العلا على نائمٍ دونها طافح
هنيئاً فانتَ مليكُ الملوكِ فقد صرَّحَ الجدُّ للمازح
وما أخرتني عنكَ النجومُ يا غرةَ القمرِ اللائح
ولا النهرُ لم يشنني عن ورودِ ندى بحركِ الزَّاحِرِ الطافح

وهذا البيت الأخير ، كأنه إلى بيت المتنبي يشير^١ :

قواصدُ كافورٍ توارِكُ غيره ومن قصدُ البحرِ استقلَّ السواقيا

وقوله : « ومن يعترضُكَ بأوداجِهِ » من قول الآخر في سعدٍ ، حاجبِ
ابن خاقان^٢ :

يا حاجبَ الوزراءِ إنك عندهم سعدٌ ولكن أنت سعدُ الذابحِ^٣

١ ط د م س : فيا .

٢ ديوان المتنبي : ٤٤٠ .

٣ د : ركب .

٤ هو البحري ، انظر ديوانه : ٤٦٢ .

٥ بعد هذا البيت يبدأ غرم في م س .

وفيه أيضاً يقول البحري^١ :

سمّاه سعداً للتفاؤل باسمه حقاً^٢ لقد ألفاه سعدَ الذابحِ

والمعريّ القائل ما هو شبيه به ، وإن كان في غير مذهبه^٣ :

يا سعدَ أخيةِ الذين تحمّلوا لما ركبِ دعيتِ سعدَ المركبِ

وقوله : « زناد الوغى ليد القادح ، وقد بيّن الصبح للآمح ، من
المثلين المضروبين وهو قولهم : « قد بيّن الصبح لذي عينين^٤ » و « أعطِ القوس
باريها^٥ » .

وقوله : « فلولاً امتناع الفتاة الكعاب^٦ » . . . البيت ، كقول كشاجم :

لولا اطرادُ الصيّدِ لم تك لذّة فطاردي لي بالوصالِ قليلاً^٧

وأصلُ هذا المعنى المثلُ السائرُ : « تمنّئي أشهى لك^٨ » .

١ ديوان البحري : ٤٧٦٣ .

٢ الديوان : ظن أن يحيا به ، معري .

٣ شروح السقط : ١١٢٦ .

٤ المثل في فصل المقال : ٦١ والميداني ٢ : ٣١ والمسكري ٢ : ١٢٥ .

٥ فصل المقال : ٢٩٨ والميداني ١ : ٣١٣ والمسكري ١ : ٥٠ والفاخر : ٢٤٦ .

٦ انظر جمع الجواهر : ٦٥ وزهر الآداب : ١١ وتمام المتون : ٣٩٩ .

٧ الميداني ١ : ٧٤ .

ما وُجد له من شعره في النسب وما يناسبه

قال في غلام من عبيد ابن هود^١ :

وأحور^٢ من ظباء الروم عاط بسالفتيه من دمعي فريد
نبيل الخلق جاني الخلق عبد^٣ هو المولى ونحن له عبيد
بكيت^٤ وقد دنا ونأى رضاه وقد يبكي من الطرب الجليد^٥
قسا قلباً وسن^٦ عليه درعاً فباطنه وظاهره حديد
وإن^٧ فني نملكه بنقد^٨ وأحرز رقه^٩ لفني سعيد

وَسَجَنَ الْمُؤْتَمَنُ يَوْمًا هَذَا الْغَلَامَ لِبَعْضِ الْأَمْرِ فَتَخَلَّفَ ابْنُ جِمَارٍ عَنْ
الرُّكُوبِ لِلْقَصْرِ ، وَكَتَبَ إِلَيْهِ :

أنا المطبق المسجون لا من سَجَنَتَهُ وأطبقتَه فانظر لعبدك أودع
حرام^١ حرام^٢ أن تراني عين من^٣ تراه فان شئت ارتجاعي فارجع
ويا حسن حال الود إن سمحت يد^٤ ولقبت^٥ فيها بالشفيع المشفع

ففضحك المؤتمن وأخرج ذلك الغلام .

١ انظر قلائد المعيان : ٩٤ والمطرب : ١٧٢ وخالص : ٢٩٩ والنفع : ٣ : ٢٢٨ والوادي

للرندي : ٧٦ والمسلك السهل : ٤٣٦ .

٢ خ بهامش ط : وأغيد .

٣ مضمّن صدره : « فقالوا قد جرعت فقلت كلا » (أمالي القاضي ١ : ٤٩ وروايته :

وهل يبكي) وانظر النسيبة ١ : ٣٢٥ .

٤ النفع : وأحرز حسنه .

٥ خالص : ٣٠٠ .

وساير ابنُ عمَّار في بعض الأسفار غلامين من بني جهور ، أحدهما أشقر والآخر عذاره أخضر ، فكان يميلُ بحديثه من ظهر دابته إلى الذي وصف منهما في هذه القطعة ، وهي من ملحہ النادرة ، وغرائب السائرة ^١ :

تعلقتهُ جهنوري^٢ النجار حلوَ اللمى جوهرى الثنايا
من النقر البيض جروا الزمان رفاق الحواشي كرام السجايا [١٧٥]
ولا غرو أن تغرب الشارقات ونقى محاسنها بالعشايا
ولا وصل إلا جمان الحديث نساقطه من ظهور المطايا
شتت المثلث للزعفران وميلت إلى خضرة في التفايا^٣

ومعنى البيت الثالث منها من مشهور المعاني ، ومنها قول الطليق المرواني^٤ :

وإذا ما غربت في فيه تركت في الخلد منه شققا

ومعنى البيت الرابع يشبه قول البحري ، ويتعلق به خبر حكاة الصولي

١ نفع الطيب ٣ : ٣٢٦ وعالمص : ٢٥٤ ، والقصة والأبيات في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٤٠) .

٢ ط د : جوهرى .

٣ المثلث : عند الاندلسيين أنواع من الأطعمة يطلق عليها هذا الاسم منها المجبنة المثلثة ، والمثلث من رؤوس الخس (كتاب الطبخ : ٢٠١ ، ٢٢٢ ومعجم دوزي) وألوانها تضرب للصفرة لأن الزعفران يدخل في تركيبها ؛ والتفايا : من بسائط الأطعمة ، تحضر من لحم الضأن الفتي مضافاً إليه ملح ولفل وكزبرة يابسة . . . (كتاب الطبخ : ٨٥ - ٨٨) والخضراء منها يضاف إليها ماء الكزبرة الرطبة .

٤ انظر نفع الطيب ٣ : ١٩٧ وقد وردت أبيات الطليق في القسم الأول من الذخيرة : ٥٦٥ .

عن يحيى ابنه ، قال ^١ : لما ابتدأ أبي بعمل قصيدته في أبي الصقر ويهجو أحمد
ابن صالح ، التي أولها :

أَمِنْ أَجْلِ أَنْ أَقْوَى الْغُيُورُ فَوَاسِطُهُ

قلتُ له : لم ركبت هذه القافية الصعبة مع رجلٍ لا حظاً لك معه ؟ اركب
قافيةً سهلة ، فقال : لعمرى إن الكلام في القوافي السهلة أمكنُّ ، إلا أن
الحاذق لا يعملُ إلا جيّداً في أي شيءٍ أخذ ، ثم رأيتُه قال في نسيبها :
ولمّا التقينا واللّوى موعدٌ لنا تعجّبَ رائِي الدرّ حسناً ولاقطه
فمن لؤلؤٍ تجلوه عند ابتسامها ومن لؤلؤٍ عند الحديث تساقطه
فطابت نفسي وقلت : ليقُلْ بعد هذا ما أراد ، فقد أجاد وزاد .

وشبيه بهذا قول بعضهم ^٢ :

كَلَّمَتْنِي فَقُلْتُ : دُرٌّ سَقِيطٌ فتأملتُ عقدَها هل تنائرُ
وازدهاها تبسمٌ فأرتني نظمَ دُرٌّ من التبسمِ آخر

وقال ابن عمار في مثل ما تقدّم من صفته لأهل العذار ^٣ :

١ أخبار البحري : ١٢١ - ١٢٢ وديوان البحري : ١٢٢٩ .

٢ ورد البيتان في الحلة السراء : ٢٦٠ وكتاب التشبيهات : ١٤٤ والمساك ١١ : ١٧٤
والمرقص والمطرب : ١٦ والدرّة المضيئة ٦ : ٥٧٦ ورفع الحجب ١ : ١٢٤ . وينبأ
للمصنفين أو لابن فرج ، وقال المقرئ في النفع ١ : ٦٤ إن صاحب المطمح نسبهما للمصنفين ،
ولكنهما لم يردا في المطمح .

٣ قلائد المعيان : ٩٦ والنفع ١ : ٦٥٣ ، ٣ : ٣٢٨ وخالص : ٢٩٧ وبدائع البدائع : ٣٧٢
والريحان ١ : ١٥٦ ب .

وَهَوَيْتُهُ يَسْفِي الْمُدَامَ كَأَنَّهُ
مَتَارِجُ الْحَرَكَاتِ تَنْدَى رِيحُهُ^١
يَسْفِي بِكَأْسٍ فِي أَنَامِلِ سَوْسَنِ
عَنَّا بِكَأْسِكَ قَدْ كَفَتْنَا مَقْلَةً^٢
يَا حَامِلَ السِّيفِ الطَّوِيلِ الْمُرْتَدَى^٣
إِيَّاكَ إِيَّاكَ الْوَغَى^٤ مِنْ فَارَسٍ
جَهَنَّمِ وَإِنْ حَسَرَ اللَّثَامَ فَإِنَّمَا
سَلِمَ فَقَدْ قَصَفَ الْقَنَا غُصْنُ النِّقَا

قَمَرٌ يَدُورُ بِكُوكَبٍ فِي مَجْلِسِ
كَالْغُصْنِ هَزَّتُهُ الصَّبَا بِتَنْفُسِ
وَيَدِيرُ أُخْرَى مِنْ مَحَاجِرِ نَرْجِسِ
حُورَاءُ قَائِمَةٌ بِسُكْرِ الْمَجْلِسِ
وَمَصْرُوفُ الْفَرَسِ الْقَصِيرِ الْمَحْبِسِ
خَشَنَ الْقِنَاعِ عَلَى عَذَارِ أَمْلَسِ
رَفَعَ الظَّلَامَ عَنِ النَّهَارِ الْمَشْمَسِ
وَسَطًا بَلِيْثَ الْغَابِ ظِيُّ الْمَكْنَسِ

ومعنى البيت الرابع منها كقول ذي الوزارتين ابن الحضرمي^٤ ، في رثاء غلام
وسيم وكان اسمه فعال ، كان المتوكل يهواه ، ومات الغلام فرثاه ، فقال :

أَوْدَى فَعَالٌ فَلَهْفِي لَهُ وَلَهْفِي عَلَيْهِ^٥
غَالَتُهُ أَيْدِي الْمَنَابَا وَكُنْ فِي مَقْلَتِهِ
وَكَانَ يَسْفِي النَّدَامَى بِطَرْفِهِ وَيَدِيهِ
غُصْنٌ ذَوِي وَهْلَالٍ جَارَ الْكَسُوفِ عَلَيْهِ

١ النفع : متناوح . . . يندى عطفه .

٢ غ بهامش ط : نجاده (بخط مغاير لخط الأصل) .

٣ النفع : إياك بادرة الوغى .

٤ هو أبو الوليد ابن الحضرمي ، وزير للمتوكل بن الأفلح صاحب بطليوس ، فداخلة تبه
وعجب وتجبر ، كرهه من أجلها أصحاب الدولة فمزله المتوكل (المغرب ١ : ٣٦٥ والنفع

٣ : ٤٥٠ والشريشي ٤ : ١٢٤ . وفيه ثلاثة من الأبيات التي وردت هنا) .

٥ غ بهامش ط : وشوقي إليه .

وقال ابن عمار :

غزا القلوبَ غزالٌ حجّتْ إليه العيونُ
قد خُطّ في الخلدِ نونٌ وآخرُ الحسنِ نون

وكان له غلام وسيم يميل إليه ، فعتب في بعض الأمر عليه ، وزال عنه
إلى دار الوزير أبي المطرف ابن الدبّاغ^١ ، فشفع له أبوالمطرف برقعة وصلها
ذلك الغلام ، فكذب ابن عمار إلى الوزير المذكور^٢ : [٧٥ ب]

قرأتُ كتابك مستشفِعاً لوجه أبي الحسن من رده
ومن قبل فضي ختم الكتاب قرأتُ الشفاعة في خده^٣

وقال من قصيدة^٤ :

قالوا : أضرب بك الهوى فأجبتهم
قلبي مو اختار السقام لجسمه
من قدّ قلبي إذ تشي قدّه
أم من طوى الصبح المنير نقابه
يا حبّذاه وحبّذا إضراره
زيتاً فخلّوه وما يختاره
وأقام عنري إذ أطلّ عذاره
وأحاط بالليل البهيم خماره

منها :

١ وردت ترجمته في القسم الثالث : ٢٥١ .

٢ النفع ٤ : ٧٣ ، ٣٠٦ وخالص : ٢٤٤ .

٣ هنا ينتهي السقط في م نس .

٤ المعجب : ١٧١ والقلائد : ٨٦ وخالص : ٢٢٠ .

عَبَّرْتُمُونِي بِالتَّحْوِيلِ وَإِنَّمَا شَرَّفُ الْمَهْنَدِ أَنْ تَرُقَّ شِفَارُهُ
فَوَحُّسْنِهِ لَقَدْ ابْتَدَيْتُ لَوْصَفَهُ بِالْبُخْلِ لَوْلَا أَنْ حَمَصَا دَارُهُ
بَلَدٌ مَنَى أَذْكَرُهُ نَهَجٌ^٢ لَوْعَنِي وَإِذَا قَدَحْتَ الزُّنْدَ طَارَ شِرَارُهُ

ومن مقطوعاته الاخوانيات

اجتاز على بني عبد العزيز بيلنسية ، وكانوا يضمرون عداوته ، فأخرجوا
إليه ضيافات ، وتخلَّفوا عن لقائه ، وناب في ذلك عنهم أقوامٌ عوامٌ ، فكتب
إليهم^٣ :

تَناهَيْتُمْ فِي بَرْنَا لَوْ سَمَحْتُمْ بوجهٍ صديقٍ في اللقاء وسيمٍ
وسلستُمْ راحَ البِشَاشَةِ بَيْنَنَا فَمَا ضَرَّ لَوْ سَاعَدْتُمْ بَنَدِيمٍ
سَأَلْتُمْسُ الْعَدُوَّ الْجَمِيلَ عَنِ الْعَلَا وَأَحْتَالُ لِلْمَجْدِ^٤ احْتِيَالُ كَرِيمٍ
وَأُنِّي عَلَى رَوْضِ الطَّلَاقِ بِالْجَنَى وَإِنْ لَمْ أَفُزْ مِنْ طَيْبِهِ^٥ بَنَسِيمٍ
ضَنْتُمْ^٦ بِأَعْلَاقِ^٦ الرِّجَالِ عَلَى النُّوَى فَلَمْ^٧ تَصِلُونَا مِنْهُمْ^٧ بِزَعِيمٍ

١ القلائد : انتدبت .

٢ القلائد : هيج .

٣ القلائد : ٩٠ والخريدة ٢ : ٨١ والخلة ٢ : ١٤٥ وخالص : ٢٧٨ .

٤ القلائد والخريدة والخلة : لفضل .

٥ م : بالحيا . . . القلائد والخريدة والخلة : من نشره .

٦ الخلة : بخلم بأعيان .

٧ ط م : ولم .

واستهدى منه بعضُ إخوانِهِ خمرأً، فبعثَ بها مع تفاحتين ورمّانيتين
وكتب مع ذلك^١ :

خُذْهُمَا مِثْلَ مَا اسْتَهْدَيْتُمُوهَا عروساً لا تُزَفُّ. إلى اللّامِ
ودونكمُ بها ثديي فتاةٍ أضفتُ إليهما خُددَي غلامِ

وأهدى إلى ذي الوزارتين ابن لبون تفاحاً وإجاصاً ، وكتب معهما^٢ :

خُذْهُمَا كما سَفرْتَ إِلَيْكَ خُدودُ أو أوجَسْتَ في راحتيكَ نهودُ
حذراً من التَفَاحِ نَشْراً^٣ بينها ولها بأغصانِ الجنانِ عقود
وشففتُ بالإجاصِ قصداً إنّه شكلُ الجمالِ وحدُهُ المَحْدودِ
عذراً إِلَيْكَ فإنما هي أوجهُ بيضُ تقابلها عيونُ سود
إيهٍ وعندي من فراقك لوعةٌ بعزى إليها ثابتٌ ويزيد
أفطرتُ من صومي بغيرتك الي كانت هلالاً كان عنه العيدُ
لله ليلتنا التي من أجلها هذا الزمانِ بمثله محسود

وكتب إليه ابن لبون بهذه الأبيات^٤ :

خُتِمَتِ بعصركَ أعْصُرِ الأجوادِ وَعَنَتِ لذكركَ النُّسُنُ الورادِ
وسبقتُ أملاكَ الزمانِ إلى مدى ضلّوه حتى كنتَ أنتَ الهادي

١ خالص : ٢٦٤ .

٢ خالص : ٢٦٣ .

٣ م ط س : نثراً .

٤ وقع البيت في م س وهامش ط .

٥ القلائد : ٩٣ .

وغدت أكثرهم حسوداً في العلا
 وبدا بفضلك نقص كل معاند
 وقفت بمغناك العيون فقابلت^١
 وأنتك وافدة الركاب فقابلت
 وصدرن قد حملن عنك عوارفاً
 فضل أرانا جود حاتم طي
 إيه أبا بكر أتظلم ساحتي
 عجباً لو عدك كيف تُمنسكه يد
 وكسب جودك كيف لم تسمح به
 إني لمعتد إخوانك موثلي
 وأصول منك على الزمان بمنصل
 فسقى ديارك نائياً أو دانياً
 ولئن رحلت لقد حلت بمنزل

فأجابه ابن عمار بهذه القصيدة الفريدة التي برز فيها، وأحسن ما شاء
 في ألفاظها ومعانيها ، وأولها :

عطلت من حاتي السروج جيادي وسلبت أعناق الرجال صعادي
 وثبت عزمي عن مسير هزني سعدي إليه وحشي إسعادي

١ القلائد : فلاحظت .

٢ خ بهامش ط : ولاح بدر .

٣ القلائد وخ بهامش ط : ونجمة .

٤ القلائد : دانياً أو نائياً .

٥ القلائد : ٩٣ وخالص : ٢٧٢ .

وَسَلَّكْتُ مِنْ ثَوْبِ المَرْوَةِ والوفا ثوبِي^١ وحُلْتُ^٢ على بني عبَّاد
 إنْ لم أَحِلِّكَ من فَوَادِي مِثْلًا^٣ يُنْبِئُكَ أَنْكَ مالِكٌ لِقِيَادِي
 وَأَخْصَّ جَانِبَكَ الرَفِيعَ بِخِدْمَةٍ أَسْقِيكَ صَفْوَ أَجْتَةٍ وَأَعَادِ^٤
 وَأَرِدْ بِذِكْرِكَ مِنْ ثَنَائِي رَوْضَةً غَنَاءَ حَالِيَةِ بِنُورٍ وَدَادِي
 حَتَّى تَبَيَّنَ أَنْ غَرَسَكَ قَدْ دَنَا يَجْنَى وَزَرَعَكَ قَدْ أُنَى لِحَصَادِ

قال ابن بسام : وكان هذه الأقسام التي جرت على لسانه وحلف بها
 أجبت عنه ، فإنه لم يرجع إلى إشبيلية بعد من سفرته تلك لشيء صفا له ،
 ولا رفا^٥ لابن عبَّاد ولا وفى له .

وذكرت بهذه الأقسام - إذ الشيء بالشيء يُذكر ، إذا كان من واديه
 أو تعلق بالفاظه ومعانيه - خبراً نقلته من خط الوزير أبي عامر ابن مسلمة ،
 في كتابه المترجم : « الحديقة » قال : كنا يوماً في مجلس أنس مع أبي جعفر
 ابن الأبار ، فغنتي بشعر الأشر في التحريض على معاوية ، حيث يقول^٦ :

بَقِيْتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ عَنْ الْعَلَا وَلَقِيتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عُبُوسِ
 إنْ لم أَشْنُ عَلَى ابْنِ هَنْدٍ غَارَةً لم تَحُلْ يوماً مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ

١ القلائد : نفسي .

٢ د : وصلت .

٣ هذا البيت والذان بعده من هامش ط .

٤ رفا : تخفف من رفاً بمعنى حبابه ورفق به ؛ ط م د س : وفا .

٥ انظر البيتين في الإصابة ٦ : ١٦٢ والحماسية رقم : ٢٥ (شرح المزدوقي : ١٤٩) .

٦ الحماسة : ابن حرب .

قال أبو عامر: فسألت ابن الأبار الردَّ عليه، والانضمام على السلامة من ذكر أحدٍ ، حميةً للأُموية وولاءٌ^١ إلى الحربية ، فقال على الارتجال ، وقد أخذت منه الجريال :

غادرتُ عرضي عُرْضةً وأبجتهُ وثُركتُ نهب نفائسٍ ونفوسٍ
وقذفتُ أمَّ المؤمنين تمرّداً وكفرتُ من حربٍ بكلِّ رئيسٍ
إن لم نصبّحكم بكلِّ مصمِّمٍ وبكلِّ ذِمِّرٍ في اللبوس عبوسٍ
خيلٍ كأمثالِ الأجادلِ فوقها ليس غطارفُ عامدون لليس^٢ [٧٦ب]
فلذا كسوناكم حِداد مآتمٍ أبنا بصافيةٍ الأديم عروسٍ
نسقيكم خمر الردى بصوارمٍ ونُعَلُّ من خمر المتى بكؤوسٍ

قال أبو عامر : وقد سلّم ابنُ الأبار لتلك الطائفة المردود عليها ، وتخلّص الطفّ تخلّص ، على أن الاشتَر ما سلم ولا كرم .

قال ابن بسّام : والذي وصف الوزيرُ أبو عامر من الحميّة للأُموية ، وولائه لآل الحربية صحيح ، لأن جدّهم الأول أبان بن عبيد المعروف بالشرح^٣ مولى لمعاوية بن أبي سفيان ، أهديَ إليه من سبي البربر^٤ ، وأبان بن عبيد هو الداخل مع عبد الرحمن بن معاوية ، فأنزله بربض الرصافة من حضرة قرطبة ، وتلك التزل دورٌ يتوارثها بنو مسلمة من تاريخ دخول عبد الرحمن إلى وقتنا هذا ، فلها بأيديهم نيفٌ على أربعمئة سنة .

١ ط د م : ولواء .

٢ اليس : جمع أليس وهو الشجاع الذي لا يبالى الحرب .

٣ د : بالشرح ؛ م : بالشرح .

٤ نقل ابن سعيد هذا في المغرب ١ : ٩٧ .

وفي هذه القصيدة يقول ابن عمار :

يا سيدي وأنا الذي ناديتُهُ
أعطاك فضلَ الإبتداء ولو جرى
لله درُّ عقيلةٍ أبرزتها
فرعاءُ عاطرةُ النواشب واللمى
وصلتُ^١ إليّ مع المساءِ فعارضتُ
خطُّ من النظمِ البديعِ أفادني
يفدي الصحيفة ناظري فيباضها
أهدى تحيتك الزكية طيبها
وشيَّ سَخَتْ يَدُكَ الصَّنَاعُ برقمه
ولقد تعيَّنَ لو أعانتُ قدرةً
لكن عجزتُ فما استقلَّ بنشائي
عُذْرًا ففبك لكلِّ طالبِ حُجَّةٍ
بك فاخر القلمُ القصيرُ فطاوُلَ^٢ الـ
فَلَكَ الفصاحةُ أو لسيفك كلُّما
ثبيتُ عليك حلَى الوزارة مثلما
وتتوجت منك القيادة بالذي
أنت الحلال الحلو رقَّ طبيعة^٣

لرضيَّ فلبى منك خير منادي
ظلمُ لأنكر أن تكونَ البادي
من خِدرِ فكرك في حلِّ الإنشاد
غَيْدَاءُ حاليةُ الطلى والمادي
صلةَ الحبيب أتي بلا ميعاد
حظَّ الكرام وخُطَّةُ الأجماد
بياضه وسوادها بسوادٍ
كافور قرطاس ومسك ملد^٤
فكسوتنيه مُذهَّباً بأيادي
حَسَنَ الجزاء بها وهزَّ النادي
ماءُ الفرات ولا ثرى بغداد
خَصَمُ ألدُّ ووجهُ عُذْرِ بادي
رُمَحَ الطويلِ كتابةً بطراد
استمطيتَ متني منبرٍ وجواد
حمل الحسام عليه نبي نجاد
ترك الرياسة مهنة القواد
وصفا مزاجاً كالسحاب الغادي

١ غ بهامش ط : خلصت .

٢ ورد في الرايات : ٥٦ .

٣ هذا البيت والذي قبله من هامش ط .

٤ هذا البيت وخمسة أبيات بعده من هامش ط .

امن معشر تشرف الأذوا بهم
جلوا فحلوا في الأنام مكانة^١
أفديك من حر^٢ تعبد بره
ولقد ظفرت من اقتبالك بالمى
وأرحت من تعبي بهلك في ندى
وشددت منك يدي بعلق مضنة
يتعللون^٣ من الوفاء بعلنة
جمخوا إلى ظلمي فسست جماحهم
واستبطنوا حقدأ وبين جوانحي
ولكم دعي في الإخاء أعرته^٤
حتى إذا رفض الوفاء رفضته^٥
لا ذنب لي في طرد سائمة الهوى
أنا قد رضيتك فارضتي وأعدتي
إني لمن إن دعوت^٦ لنصرة
أذكيت دونك للعدا حدق القنا
صلي أصلك وصل فديتك بي أصل^٧
ولئن بدرت إلى رضاي فربما
وعلى تظاهرها الضمان بقلنة^٨ الـ

كشرف الأيام بالأعياد
مكانة الآلاف في الأعداد
شكري وقل له الفدا والقادي
وبلغت أقصى غايي ومرادي
ظل ونمت على وثير مهاد^١
ونفضتها بزعانف أنكاد
ضحك الطيب لها مع العواد
ولقيت شدته^٢ بلين قياد
طبع يسل سخائم الأحقاد
جذب ابن سفيان بضيع زياد
واعترضت منه بطيب الميلاد
منه على السرح الويل الصادي
إن كنت محتاجاً إلى الإعداد
يوماً بساطي حجة وجلاد [٧٧أ]
وخصمت عنك بالسُن الأغماد
بك واعتمدني اتخذك عمادي
وافيتني لرضاك بالمرصاد
أعداء ثم بكثرة الحساد

١ هذا البيت من هامش ط .

٢ خالص : متعلين .

٣ م س : شدتهم (وكذلك عند خالص) .

٤ م ط س : دعاك .

إليه . وقلت إلى الوفاء محرّكاً
 وزعمت تُظلم ساحة ما بيننا
 كلاً فما التسوية من خلقي ولا
 وهل التوت بهواك إلا لقية
 أخطرتها وأكرّ بعد إلى التي
 لا بدّ من ذاك السفار وان عدت
 سقرّ إذا استبعدته فسأمتطي
 خذها نتيجة منكر لودادها
 حذراً من الردّ المخل فلها
 إليه . فما خطرت بعطف جماد
 ظلماً وصبح العدل عندي بادي
 ليّ الجميل بعادة من عادي
 أحلى لعيني من لذيد رقاد
 يدعو المطي لها ويشلو الحادي
 عنه الليالي لمنّ عوادي
 حرصي ، وأجعل من ثنائك زادي
 برّم بها قال لها متفادي
 بعث^٢ الزيوف إلى يدّي نقاد

وكان بينه وبين حسام الدولة أبي مروان بن رزين تمكّن أنس^١ ، فاتفق
 أن اجتاز على مقربة من بلده ، ولم يلتقيا ، فعتب ابن رزين عليه ، فكتب
 ابن عمار إليه^٣ :

لقاؤك النّجح لو أعقبته^٤ سفري
 وقصرك^٥ البيت لو أنّي قصدت به
 لم ثنّ عنك عياني سلوة^٥ خطرت
 ووجهك الصبح لو أقبلته نظري
 حجّتي ويمتاك منه موضع الحجر
 على فؤادي ولا سمعي ولا بصري

١ هذا البيت مقدم عن موضعه عند خالص .

٢ خالص : فإنما أهدي .

٣ خالص : ٢٩٢ .

٤ ط د س م : أعفيته .

٥ س : وقصدك .

لكن عَدَّتْني عَنْكُمْ حَجَلَةٌ عَرَضَتْ كفايَ العَذَرَ فيها بيتٌ معتذر
« لو اختصرتم من الإحسان زُرْتكمُ والعذبُ يُهْجَرُ للإفراطِ في الخصر »^١

وما قيل في العجزِ عن الشكر ، بكثرة البرِّ ، أحسنُ من بيت المعري
هذا ، وقد تضمنه ابنُ عَمَّارٍ أحسنَ تضمين .

ونزل ابنُ عَمَّارٍ في بعضِ حركاته بحصنِ شقورة ، وانقبضوا عن
لقائه استيحاشاً منه ، فكتب إليهم^٢ :

أإخواننا هل حالَ من دوننا أمرُ تراءى لكم أم وحشةٌ جرَّها الدهرُ
بختامٍ بَلَقِمانا وكان نزولنا على جَفْوَةٍ منكم وإن عَظُمَ البرُّ
وما هو إلا مقطعُ كهوائكم عَصِيبٌ وخلقٌ مثلُ منزلكم وعر
ثقوا بي إذا عنَّ اللقاء فما اعتزى إلى شيمتي غدرٌ ولا بيدي سحر

وكتب منه إلى أبي الفضل بن حسداي^٣ يصفُ حصنَ شقورة وحصانته^٤ :

أدركَ أخاكَ ولو بقافيةٍ كالطَّلِّ يوقظُ نائمَ الزَّهرِ
فلقد تقاذفتِ الركابُ به في غيرِ مَوَامةٍ ولا بحرِ
طفحتُ صحابتهُ بلا سِنَّةٍ وتمايلتُ سُكراً بلا خمرِ [٧٧ ب]

١ انظر شروح السقط : ١٢٠ .

٢ خالص : ٢٩٥ .

٣ ترجمته في القسم الثالث : ٤٥٩ .

٤ القلائد : ٩٢ وخالص : ٣٠٢ .

٥ م ط س : طفقت .

ومنها في صفة الحصن :

وحشٌ تناكرتِ الوجوهُ به حتى استربتُ بصفحةِ البدر
متجبرٌ سالَ الوقارُ على عطفه من كِبَرٍ ومن كِبَرٍ
عالٍ كأن الجنَّ إذ مرَدَتْ جعلتهُ مِرْقاةً إلى السرِّ

وكتب في ذلك إلى ابن المطرِّز^١ :

تراءَ لعيني إن أردت مبرِّقي وسبَّبَ إلى الحُسْنَى ولو بقسيمٍ
فما شَمَّ عَرَفُ المسكِ دون تنشُّقٍ ولا اهترَّ عطفُ الغصنِ دون نسيمٍ

وكان في ضيافة المعتصم صاحب المرية ، بالمنية الصمادحية ، فلما أزمع
على الرحيل استسرحه^٢ بهذه الأبيات :

يا واثقاً وصلَ السَّماحَ الجَوْدَ^٣ في فضلِ السَّماحِ
ومطابقاً يأتي وجوهَ الجِدِّ من طُرُقِ المِزاجِ
أسرَفْتُ في برِّ الضيافِ فجَدُّ قليلاً بالسَّراحِ

فأجابه المعتصم^٤ :

يا فاضلاً في شكرِهِ أَصِلْ المِساءَ مع الصِّباحِ
هلا رَفَقْتُ بمهجتي عند التكلُّمِ بالسَّراحِ
إنَّ السَّماحَ بمثلِكُم والله ليس من السَّماحِ

١ ط م س : إلى المطرِّز ؛ وسيرد « ابن المطرِّز » ص : ٤١١ ؛ وانظر خالص : ٣٠٤ .

٢ القلائد : ٥٠ وخالص : ٢٦٥ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

٣ المغرب والحلة : فضح السحاب ؛ المغرب : الجون .

٤ القلائد : ٥١ والحلة ٢ : ٨٥ والمغرب ٢ : ١٩٨ .

فلما أُرِيعَ على الرحيل ، وشرع في سلوك السبيل ، وحضر المعتصم
لوداعه ، أنشده ابن عمار جواباً على أبياته الثلاثة ^١ :

وخطُّكَ أم روضُ الربيعِ المنمقِ	ألفظُكَ أم كأسُ الرحيقِ المعتقِ
بروقُ على جيدِ العروسِ المطوقِ	ونظْمُكَ أم سلكُ من الدرِّ ناصعِ
شممتُ ^٢ بها عَرَفَ النسيمِ المخلِّقِ	بعثتُ بها يا قطعةَ الزوضِ قطعةَ
بعثتُ بها الجوزاءَ في صفحِ مُهرَقِ	ثلاثةَ أبياتٍ وهيهاتِ إنما
وكيف يكونُ السَّحرُ في لفظِ متَّقِ ^٣	هي السَّحرُ أسرى في النفوسِ من الهوى
بأبطالها والخيلُ بالخيلِ تلتقي	أمتعصماً بالله والحربُ ترتجي
لأفترقُ من ذكرِ النوى والتفرقِ	دعني المطايا للرحيلِ ولإني
جيبُكَ شمسِي والمريّةُ مشرقِ	ولإني إذا غرِبتُ عنك فلأنما

وكتب إليه المعتصم يوماً بنثر وشعر يقول فيه ^٤ :

وطولُ اختياري صاحباً بعد صاحبِ	وزهدني في الناسِ معرفتي بهم
مبادية إلا ساعني في العواقبِ	فلم تُرني الأيامُ خيلاً تُسرني
من الدهرِ إلا كان إحدى المصائبِ	ولا قلتُ أرجوهُ لدفعِ ملمةٍ

فأجابه ابن عمار بقوله ^٥ :

١ القلائد : ٨٦ والمطرب : ١٧٣ وخالص : ٢٩٧ .

٢ م ط : بعثت .

٣ ط والقلائد : منطق .

٤ القلائد : وإن .

٥ القلائد : ٤٩ والخريدة : ٨٣ وابن خلكان : ٥ : ٤٠ والخلة : ٢ : ٨٤ والمغرب : ٢ : ١٩٧ .

٦ القلائد : ٥٠ والخريدة : ٢ : ٨٤ وخالص : ٢٦٩ .

فديتك لا ترهّد^١ وثم^٢ بقية^٣
وأبقى على الخُلصان^٤ إن^٥ لديهم^٦
تكتفتي بالنثر^١ والنظم عاتياً^٢
وقد كان لي لو شئت رد^٣ وإنما
ولا بد^٤ من شكوى ولو بتنفس^٥
كتبت^٦ على رسمي وبعد نسيئة^١
ثلاثة^٢ أبيات^٣ وهيهات^٤ إنما
وكيف بلذ العيش^٥ من^٦ عتب^١ سيّد^٢
وقبل^٣ جرّت^٤ عن بعض^٥ كتي^٦ جفوة^١
سلكت^٢ سبيلي للزيارة^٣ إثرها^٤
وما كتبت^٥ مرثداً ولكن لنفحة^٦
ولو لمعت^١ لي من سمائك^٢ برقة^٣
فقبلت^٤ من يمينك^٥ أعذب^٦ مورد^١
وأبت^٢ خفيف^٣ الظهر^٤ إلا^٥ من النوى^٦
سواك^١ يعني قول^٢ الوشاة^٣ من العدا

سترغب فيها عنلوقع^١ التجارب^٢ [١٧٨]
على البدء^٣ كرات^٤ بحسن^٥ العواقب^٦
وسقت^١ علي^٢ القول^٣ من كل^٤ جانب^٥
أجرّ^٦ لساني ذكر^١ تلك^٢ المواهب^٣
يسكن^٤ من^٥ حرّ^٦ الحشا^١ والثرائب^٢
قرأت^٣ جوابي من سطور^٤ المواكب^٥
بعثت^٦ إلى^١ حربي^٢ ثلاث^٣ كتاب^٤
وما لذّتي يوماً على عتب^٥ صاحب^٦
ألحّثت^١ على وجهي بغمز^٢ الحواجب^٣
فقابلت^٤ دفعاً^٥ في صلور^٦ الركائب^١
تعودت^٢ من ريمان^٣ تلك^٤ الضرائب^٥
ركبت^٦ إلى^١ مغناك^٢ هوج^٣ الجنايب^٤
وقضيت^٥ من لقياك^٦ أوكد^١ واجب^٢
وخلّيت^٣ للعاني^٤ ثقال^٥ الحقايب^٦
وغيرك^١ يقضي بالظنون^٢ الكواذب^٣

١ القلائد وخ بهامش ط : جاهداً (بغير خط الأصل) .

٢ القلائد وخ بهامش ط : بعض (بخط مختلف) .

٣ الحريرة : يخفف ؛ القلائد : يبرد .

٤ ط م س : لغمز .

٥ القلائد : قبلها .

٦ الحريرة : فصادفت .

تلخيص التعريف بآخر أمره وكيفية مقتله

كان حب الرياسة في رأسه يدور، وأما افتراؤه بمصرية فمشهور، وأفضت الحال بالرشيد هنالك إلى الاعتقال، بأيدي نصارى الافرنجة، في جملة من المال كانوا أكثروا بها، فحبسوا الرشيد بسببها، إلى أن افتكته أبوه المعتمد في خبر طويل، وابن عمار صاحب ذلك الرعيل^٢، والمعلوم في المعلوم من أمره والمجهول، وفساد حاله عند المعتمد يتزايد، وتدابره يتساند. وفي أثناء ما وقع من تدبير تلك الأمور، ونجوم ذلك الاستبحاش والتغيير، خاطبه المعتمد عاتباً متمثلاً بهذين البيتين^٣، وكان قد خرج عنه :

تغير لي في من يتغير حارثُ وكلُّ خليلٍ غيَّرتُهُ الحوادثُ
أحارثُ إنْ شوركُ فيك فطالما نعمنا وما بيني وبينك ثالثُ
فأجابه ابن عمار بقوله^٤ :

١ نقله ابن الأبار في الحلة ٢ : ١٤٤ .

٢ الحلة (٢ : ١٤٤) : الرحيل ، وذلك تغيير من المحقق ، ليطابق ما اقترحه ابن عمار من خروج إلى شرق الأندلس مع الرشيد بجيش اشبيل للاستيلاء على مرسية (وفي أصل الحلة : الرحيل) .

٣ هما لاهرايم بن العباس الصولي قالهما لما انحرف عنه ابن الزيات ، وكان الحارث بن بسخر صديقاً له ، فهجره فيمن هجره من إخوانه (الأغاني ١٠ : ٤٥ وديوان العباس : ١٨٢) وقيل إن البيتين لإسحاق بن ابراهيم الموصل .

٤ الحلة ٢ : ١٤٣ وخالص : ٢٨٤ وتمام المتون : ٣٠٨ .

لك المثل الأعلى وما أنا حارثُ
ولا شاركتك الشمسُ فيَّ وإنه
فديتك ما للبشر لم يسر برقه
أظن الذي بيني وبينك أذهبت
تنكرت لا أني لفضلك ناكر
ولكن ظنون ساعدتها نمام
أبعد مَضَتْ خمس وعشرون حجة
مضت لم ترَب مني أمور شوائب
حللت يداً بي هكذا وتركني
وهل أنا إلا عبد طاعتك التي
أعبد نظراً لا توهن الرأي إنه
ستذكرني إن بان جبلي وأصبحت
وتطلبني إن غاب للرأي حاضر
أعوذ بعهد نطته بك أن تُرى

ولا أنا ممن غيرته الحوادث
لينأى بحظي منك ثانٍ وثالث
ولا نفحت تلك السجايا إدمان
حلاوته عني الرجال الأخاب
لدي ولا أني لعهدك ناكت
كما ساعدت مثنى الثاني الثالث
تجافت بناتلك الخطوب الكوارث [٧٨ب]
ولا تليبت مني مساع خباث
نهاباً وللأيام أيد عواث
إذا مت عنها قام بعدي وارث
قدماً نبا^٢ هاف وأدرك راث
تث^٣ بكفئك الجبال الرثاث
وقد غاب مني للخواطر باعث
تحل عراه العاقدات التواف

قوله : « قدماً نبا هاف وأدرك راث » معنى مشهور ، القول فيه كثير ،
ومن أشهره قول عبيد :

١ الحلة : صوت .

٢ الحلة : أبعد انقضا خمس وعشرين .

٣ الحلة : كبا ؛ ط م د س : بنا .

٤ د : تمر .

٥ ليس لعبيد ، وإنما هو لعدي بن زيد ، ديوانه : ٧٠ .

قد يدركُ المبطلُ من خطئه والخير قد يسبقُ جهنمَ الحريصُ

وقال القطامي^١ :

قد يدركُ المتأنِّي بعضَ حاجته وقد يكونُ مع المستعجلِ الزَّلَلُ

ولما سمعه أعرابي قال : هذا ضَبَطَ الناس . هلاً قال بعد هذا :

وربما ضرَّ بعضَ الناس بطشُهُمُ وكان خيراً لهم لو أنَّهُم عجلوا

وفي أثناء تلك الحال ، التي أفضت بالرشيد إلى الاعتقال ، كتب إلى المعتمد بهذه الأبيات^٢ :

أصدقُ ظنِّي أم أصبحُ إلى صحي	وأمضي عزيبي أم أعوجُ مع الركبِ
إذا انقدتُ في رأيي مشيتُ مع الهوى	وإنْ أتَعَقَّبَهُ نكصتُ على عقبي
ولأنِّي لثنيبي إليك مودَّةٌ	بغيرها ما قد تعرَّضَ من ذنب
فما أعجبَ ^٣ الأيام في ما قضت به	تُرِينِي بَعْدِي عنك آتسَ من قربي
أخافُك للحقِّ الذي لك في دمي	وأرجوك للحبِّ الذي لك في قلبي

وهذا البيت على سهولة مبناه^٤ ، من أحسن ما قيل في معناه ، ويمثله

١ ديوان القطامي : ٢٥ وتمام المتن : ٥٦ .

٢ الحلة ٢ : ١٣٥ وديوان المعتمد : ٥١ ؛ وعند الفتح في القلائد : ٩٠ - ٩١ أبيات اختلطت بها بمض هذه ، كتبها ابن عمار إلى المعتمد ، وانظر خالص : ٢٧٩ .

٣ الحلة : أغرب .

٤ نقل التليق في الحلة ٢ : ١٣٦ .

٥ د : مبتناه ؛ ط : معناه .

فلتنخدعِ الألبابُ ، وتستعطفِ الأعداءُ للأجباب^١ ، إلا أن^٢ المصراع الأول كأنه شيء تكهنته^٣ من شانه ، وطيرة^٤ ألقاها الله تعالى على لسانه ، وصدق كان له في عنقه ربتى^٥ ، وفي دمه حق^٦ ، احتال له فئاله ، والمرءُ يعجزُ لا المحالة . وفيها يقول :

وكم قد فترت^٧ يمتاك بي من ضريبةٍ ولا بد^٨ ما بيني وبينك من ثنا
ولا بد^٩ يوماً أن يُقتل من غربي يطبقها ما بين شرقٍ إلى غرب^{١٠}
وأعلمُ أن العفو منك سجيّةٌ فلم يبق إلا أن تخفّف من عتب
فلي حسنات^{١١} لو أمت^{١٢} ببعضها إلى الدهر لم يرتع^{١٣} لثابتة^{١٤} سربي
فأجابه المعتمد بقوله^{١٥} :

تقدّم^{١٦} إلى ما اعتدت عندي من الرحب متى تلقني تلق الذي قد بَلَوْتَهُ
ورِدْ تَلَقَّكَ العُتْبَى حجاباً عن العتب صفوحاً عن الجاني رؤوفاً على الصحب
سأوليك منّي ما عهدت من الرضى وأصْفَحُ عمّاً كان إن كان من ذنب
فما أشعر الرحمن^{١٧} قلبي قسوةً ولا صار نسيان الأذمة^{١٨} من شعبي [١٧٩]
تكلّفْتُهُ أبني به لك سلوةً فليس يجيدُ الشعر مشتركُ اللب

١ د : للأصحاب .

٢ الحلة : ولا غرو .

٣ هذا البيت ورد في ط م س ، وذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٣٧) أن أبا الطاهر التميمي أورد هذا البيت زيادة على ما أورده ابن بسام في روايته .

٤ الحلة ٢ : ١٣٦ وديوان المعتمد : ٥٢ ؛ والرد الذي أورده الفتح في القلائد يتضمن أبياتاً على الروي نفسه ، لكنها غير هذه .

فلم يزد جواب المعتمد هذا إلاَّ توحّشاً ونفاراً، وتوقفاً عن اللحاق به
وازوراراً ، والله درّ أبي الطيّب في قوله ^١ :

إذا ساء فعلُ المرءِ ساءت ظنونُهُ وصدق ما يعتادهُ من توهمِ
وعادى محبّه لقولِ عدائه وأصبح في ليلٍ من الشكِّ مظلمِ

ونقله المتنبي من قول أعرابي :

أسأت إليّ فاستوحشتَ مني ولو أحسنتَ ما استبعدت عني
أسأت فساء ظنُّك بي بلحاجاً وما أولى المسيء بسوءِ ظنِّ

وقول المعتمد : « تكلفته أبغي به لك سلوة » ، صدق فيما وصف ،
وزاد على التكلف .

وقول ابن عمار : « فلي حسنات لو أمتُ ببعضها ، إلى الدهر » مما
ردّد لفظه ومعناه ، وأصله فيما أراه من قول الفيلسوف : « قد تكلمتُ
بكلامٍ لو مدّح به الدهرُ لما دارت عليّ صروفه » ، وأخذه الناجم ^٢ فقال ^٣ :
ولي في أحمدٍ أملٌ بعيدٌ ومعنى حين أنشدهُ ظريفُ
مدائحُ لو مدحتُ بها الليالي لما دارت عليّ لها صروف

وقال المتنبي ^٤ :

١ ديوان المتنبي : ٤٥٦ .

٢ م ط س : الناظم .

٣ زهر الآداب : ٦٣٣ وذهب الحصري إلى أن الناجم أخذه من قول بشار بن المهدي : « لقد مدحته

بشعر لو قلت مثله في الدهر لما خيف صرفه على حر » .

٤ ديوان المتنبي : ٣٧ .

في فيلقٍ من حديدٍ لو رميت به^١ صرف الزمان لما دارت دوائرُهُ

وكانت حالُ ابنِ عمار ، حين تردّد بتلك الأقطار من بلد بني هود ،
قد تمكن منهم بالمؤمن ، إلا أن بني عبد العزيز كانوا يُشْرِقُونَهُ بِريقه ،
ويوعثون عليه السَّهْل من طريقه ، ويبلغُهُ عنهم ما تتوقّد له ضلوعه ،
وتسكبُ منه دموعُهُ . بلغه عنه^٢ وعن ابن طاهر أنهما ندّرا فيه بسبب
خاتميين كان المؤمن ختمه بأحدهما ، والآخر اذفونش بن فرذلند ، فكتب
ابن عمار إلى ابن عبد العزيز^٣ :

قل للوزير وليس رأيَ وزير أن يُتَّبَعَ التَّنْذِيرَ بالتَّنْذِيرِ^٤
إنَّ الوزارةَ مذ لبستَ رداءها^٥ وقفْ على التَّغْيِيرِ والتَّزْوِيرِ^٦
وأرى الفكاكةَ جُلَّ ما تأتي به رحماك في التعجيز والتصدير
بلغتْ دُعَابَتُكَ التي أهدَيْتَها في خاتم التَّأْمِينِ والتَّأْمِيرِ^٧
وأظنّها للطاهري^٧ فإن تكنْ فجديرةُ التَّقْدِيسِ والتَّطْهِيرِ

١ الديوان : لو قذفت به .

٢ يعني ابن عبد العزيز ، ولم يصرح بذكره فيما سبق .

٣ الحلة ٢ : ١٤١ والقلائد : ٦٤ وخالص : ٢٩٣ .

٤ القلائد : التزوير بالتبذير .

٥ الحلة : لو سلكت سبيلها .

٦ د : والتدوير ؛ الحلة والقلائد : التمزير والتوقيف .

٧ يعني أبا عبد الرحمن ابن طاهر ، وكان مشهوراً بنوادره ، كما وضع ابن بسام في ترجمته
في القسم الثالث : ٢٦ - ٢٧ .

فرسا رهان أنما فتجاريا بالقول في التقديم والتأخير^١
 وإذا سلكت سبيله فحقيقة^٢ كمي تتبع التصفير بالتصفير
 وأرى بلنسية^٣ وأنت قدارها^٤ سيناها التدمير من تدمير

وفي بني عبد العزيز أيضاً يقول مغرباً بهم ، خاطباً لنفسه ، ونخلها ابن
 المطرز الشاعر^٥ :

بَشْرُ^٦ بلنسية^٧ وكانت جنة^٨ أن قد تدلّت في سواء النار^٩
 جازوا^{١٠} بني عبد العزيز فلأنهم جرّوا إليكم أسوأ الأقدار
 ثوروا بهم متأولين وقتلوا ملكاً يقوم على العدو بثار
 هذا محمد^{١١} أو فهذا أحمد^{١٢} وكلاهما أهل لتلك الدار [٧٩ب]
 جاء الوزير بها يكشف ذيله^{١٣} عن سوءة سوى وعار عار
 وأوى لينصر من نبا المثوى به ودهاه خذلان^{١٤} من الأنصار^{١٥}

١ في الحلة :

ولعل يوماً أن يصير نعت في طينة التقديم والتأخير
 وفي القلائد : أن يصير نقشه .

٢ قدار : عاقر الناقة ؛ وفي د : مدارها .

٣ كان ابن عمار شديد التنقص للوزير أبي بكر أحمد بن محمد بن عبد العزيز ، ويقال إنه نظم
 هذه الأبيات حين غدره ابن عبد العزيز في حصن جملة (Jumilla) من أعمال مرسية
 (انظر الحلة ٢ : ١٥٥ وديوان المعتمد : ٧١) .

٤ الحلة : خبر .

٥ د : سواد القار .

٦ ط د س : جاروا .

٧ ط م د س : ذيلها .

٨ البيت من هامش ط ، وهو والأبيات المزيدة هنا من تقييد معلق آخر عدا الناسخ .

نكت اليمين وحاد عن سنن التقى
ما كنتم إلا كأمة صالح
هذا وخصكم بأشام طائر
بر اليمين ولم يعرض نفسه
لا بد من مسح الجبين فلانما
هيهات يطعمع بالنجاة لطالب
كيف التفلت بالخديعة من يدي
رجل تطعمته الزمان فجاءه
سلس القياد إلى الجميل وإن يهج
طبن بأعراض الأمور مجرب
ماض إذا برزت إليه مصمم
ما زال مذ عقدت يده إزاره
كشاف مظلمة وسائس أمة
عجباً لأشمط راضع ندي الوغى
شراب أكواس المدام وتارة
جرار أذبال القنا ظنوا به
وكانتكم بنجومه ورجومه
وأنا النصيح فإن قبلتم فاتركوا
قوموا إلى الدار الحبيبة فانهبوا

وقضى على الإقبال بالادبار
فرماكم من طاهر بقدر
ورمى دياركم بالأم جار
ونفوسكم بمصارع الفجار
لطمته غدراً غير ذات سوار
ساع إذا ونت الكواكب سار
رجل الحقيقة من بني عمار
طرقين في الإحلاء والامرار
فدع العنان لهبة التيار
فطن لأسرار المكابد دار
حول إذا التفت عليه مدار
فسما فأدرك خمسة الأشبار
نقاع أهل زمانه ضرار
منه ، وطود في القنا الخطار
شراب أكواس الدّم الموّار
قد زاركم في الجحفل الجرار
تهوي إليكم من سماء غبار
آثارها خبراً من الأخبار
تلك الذخائر من خبايا الدار

١ هذا البيت والذي يليه من هامش ط .

٢ هذا البيت والذي بعده من هامش ط .

٣ زيادة من هامش ط .

وتعوضوا من صفرة خبيثة بأغرّ وهّاحِ الجبين نضار

ولما سمع المعتمد هذا القصيد ، وقرع سمّعه فخارُ ابنِ عمار ، قال
هذه الأبيات ، وهي من مליح التعريض ، ومقلوبِ التقريض^١ ، وأضافها
إلى بيت ابنِ عمار حيث قال عن نفسه :

كيف التفلّت بالخديعة من بدّي رجلِ الحقيقة من بني عمارِ

فقال المعتمد^٢ :

الأكثرين مسوداً ومملكاً	ومتوجّجاً في سالفِ الأعصار
المكثرين من الكباء لنارهم	لا يوقدون بغيره للساري
والمؤثرين على العيال بزادهم	والضارين لهامة الجبار
الناهضين من المهود إلى العلا	والمنهضين الغار بعد الغار
إن كوثروا كانوا الحصى أوفوخروا	فمن الأكاسر من بني الأحرار
يضحي مؤملهم يؤمل سببه	وبيت جارهم عزيز الجار
تبكي عليهم شنبوس بعبرة	كأنيها المتدافع إلتبار
يبكي بها القصر المنيف ثلاث	شرفاته في خضرة الأشجار
ما ضاحكته الشمس إلا خلته	نضحت جوانبه بماء نضار
يا شمس ذاك القصر كيف تخلّصت	فيه إلبك طوارق الأقدار [١٨٠]
لما تنلّك شعوب حتى جاوزت	غلب الرجال وسامي الأسوار
كم كان من أسد هناك خادر	لك حارس بأسنة وشفار

١ ط د : التقريض .

٢ الحلة ٢ : ١٥٦ وديوان المعتمد : ٧٢ .

من قومك الزهر الوجوه إذا الوغي كست الوجوه الغر ثوب القار
من كل أشوس خائض في لجة نحو الكماة بشعلة من نار
لما نماهم للعلا عمارهم تركوا العداة قصيرة الاعمار

وشنبوس^١ التي ذكر هي اسم قرية ببادية شلب ، كانت مقر سلف
ابن عمار .

وقوله : « يا شمس ذاك القصر » كانت والددة ابن عمار — زعموا —
تدعى بشمس مصغرة .

فلما بلغ ابن عمار شعر المعتمد هذا ، وقد بلغ من التدبير^٢ فيه الغاية ،
وتجاوز من الطَّنَز عليه النهاية ، قُلَّ حَدُّ صَبْرِهِ ، ولم يَشْكُ أَنَّهُ من
شعره ، فشاعت في الناس أشعار ، عَزِيَّتْ إلى ابن عمار ، في القدح في
المعتمد وآله وذويه وعياله ، منها قصيدة^٣ أولها^٤ :

ألا حيّ بالغرب حيّا حِلّالا أناخوا جِمالًا وحازوا جَمالًا
وعرّج بيومين أمّ القرى ونَمَّ فَعَسَى أن تراها خيالًا
لتسأل عن ساكنيها الرّماد ولم تر للنار فيها اشتعالًا
وبَعْدَهُ ما أضربت^٥ عنه ، رغبةً بكتابي عن الشَّيْنِ ، وبِنَفْسِي أن

١ ط م د : وشنبوش .

٢ ط م س : التدبير .

٣ الحلة ٢ : ١٥٧٦ والخريدة ٢ : ٧١ والريحان ١ : ١٥٦ ب والوفيات ٤ : ٤٢٨

والوافي ٤ : ٢٣٠ .

٤ د : أضرب .

أكون أحدَ الهاجيينِ ، فقد قالوا : الراوية أحدُ الشائمين .

وقوله : « وعرجُ بيومين » هي أيضاً اسمُ قريةٍ بقطر لإشبيلية كانت أوليةً بني عبّاد منها .

فلما قرّعتِ الأسماعُ تلكَ الأشعارَ^١ ، ونُسِبتْ لابنِ عمّار ، اشتدَّ حنقُ المعتمدِ عليه ، ونفوذُ المقلوبِ يتسبّبُ لموته على يديه ، فلم يزل المعتمدُ يرتصدُّ فيه الغوائل ، وينصبُّ له الحبال ، إلى أن لاح لابنُ عمّار عند ساحبِ شقورة برقٌ خلّب ، وكان قد تجاوز بطمعه في الرئاسة طمعَ أشعب ، فسوّلَ للمؤمن ابنِ هود امتطاءً صهونها ، وسهّلَ له تسنّمَ ذروتها ، وإنما أراد أن يخدعه كما خدع ابنُ عبّاد ، فدُفِعَ في صدره ، وحقَّ به سيءٌ مُكْرِه ، فلما طرق إليه ولحقَّ بحصنه ، لم يلبث أن حصل في سجنه ، غلراً به ، فجعل ابنُ عمّار يلاطفه ويسترحم ، وينشدهُ اللهَ في حقنِ الدم ، ووعدَه في نفسه وضمينَ له أموالاً ، فلم يُصْغِرْ إليه وشدَّ صفاده اعتقالاً ، وطبّرَ إلى المعتمدِ بالخبر . واتفق أن اجتاز الوزير أبو جعفر ابن جرج^٢ بذلك الأفق ، وابنُ عمّار في المطلق ، فخطابه بهذه الأبيات^٣ :

كأنّي أراكَ أبا جعفرٍ تقولُ وتبسمُ نحوي مشيراً
سفرتُ ليرجعَ هذا معي وزيراً فلم أرَ إلا أسيراً

١ ذكر ابن الأبار (الحلة ٢ : ١٥٧) أن ابن عبد العزيز دس إلى مرسية نبيلاً من يهود الشرق ليلايس ابن عمار ويروي ما يقوله من أشعار ، وأن هذا اليهودي هو الذي حصل على هذه القصيدة وطار بها إلى ابن عبد العزيز ، فطيرها هذا مدرجة طي كتابه إلى المعتمد .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٤٤٨ .

٣ خالص : ٣٠١ .

وهل يملكُ المرءُ من أمره قبلاً فينفذه أم دبيراً
هو القدر الحتم يُعني الفتى وإن كان بالدهرِ طباً بصيراً

واتفق أيضاً وقت القبضِ عليه يومئذٍ دخولُ المعتمدِ حصنَ بيّاسةٍ ،
وتطارحُ أهلها عليه ، وحصول تلك الجهة في يديه ، ورأيت رقعةً صدرت
عنه في ذلك إلى أحد بنيهِ ، وذكر الخائن^١ ابن عمّار في فصلٍ منها قال فيه :

كتابي يوم كذا ، وفي أمسه ورد كتابُ المأمون أخيك من داخل حصن
بيّاسةٍ ، وأنَّ أهلها لما بلغهم تأهّبوا لمحاصرتهم ، واحتفالي لمنازلتهم ، وعلموا
أنَّ تدبيرهم قد اضمحلَّ في أيديهم ، وأنَّ صريحهم قد خرّسَ عن إجابة
داعيهم ، وتيقنوا أنّي إذا نويتُ مضيت ، وإذا لمحتُ حجّجتُ ، خامرهم
الفرعُ ، وضاق بهم المتسعُ ، ومشى بعضهم إلى بعضٍ يتشاورون كيف
المصنعُ ، وأين المنزعُ ، فلم يروا لأنفسهم طريقاً أنجي ، ولا مهرباً أجدي [٨٠ب]
بالخلاصِ وأحجى ، من الترامي عليّ ، والاستسلام إليّ ، فبادروا
نحوي رجالاً وركباناً ، وتسربّوا قبلي زرافاتٍ ووحداناً ، ولم أريدُ حضرةَ
قرطبةَ إلّا وقد لحقَ بها منهم أفواجٌ ، وسالتُ بمن وراءهم أباطحُ وفجاج ،
كلٌّ يستعطفُ ويستترلُ ، ويسألُ لمن وراءه عفواً يعمّ ويشمل ، فأقبلتُ
وقبلت ، وعذرتُ واغفرت ، وبالغتُ في تأنيسهم ، وتطيبب نفوسهم ،
والحمدُ لله على ما مَنَّ وتطوّلَ ، وأنعم وأفضل .

ووافي هذا الصنعَ الجميلَ ، والفتحَ الجليلَ ، آخرُ تقدّمه خطّاً ،

١ ط : الخيان .

٢ د : الصنع .

وكان له - ونعم ما كان - فَرَطًا ، وذلك بقبضِ عتادِ الدولة أبي محمد ابن سهيل^١ على الغادرِ الملحدِ ابنِ عَمَّار ، قطع الله به وبمن أوى^٢ إليه وآل بكلِّ مَنْ سعى سَعْيَهُ أَوْزَعَ مترعه مآله ، بجبالٍ نصبناها له هنالك حتى عَلِقَتْهُ ، وغوائلَ أَرَصَدْنَاهَا حتى أَوْبَقَتْهُ ، وتلك عادةُ الله الحسنى عندنا ، في من غمطَ نعمتنا ونكثَ عهدنا ، فله الحمد دائماً والشكر واصباً .

قال ابن بسام : وكان القبض على ابن عَمَّار بشقورة يوم الجمعة لستَ بقين لربيع الآخر سنة سبع وسبعين ، وورد على المعتمد غيرُ ما خطاب في معناه وَوَجَّهَ الشفاعة فيه ، وَجَبَرِ صَدْعِهِ وتلافيه ، فسَدَّ بابَ الشفاعة في ذلك ، وشدَّ صفادَه هنالك . وممن كان شفع له يومئذ ذو الوزارتين ابن محفور صاحبُ شاطبة ، بخطابٍ مشهورٍ معروف ، ورأيت عليه الجواب من إنشاء أبي الوليد ابن طريف^٣ ، قال فيه :

وقفتُ على الإشارةِ الموضوعة من قِبَلِكَ على أخلصِ وجوه
السَّلامَةِ ، المستنام فيها إلى شَرَفِ عَتَدِكَ وصفاءِ مُعْتَقَدِكَ أَكْرَمَ

١ لم أجد تعريفاً به ، ولكن يبدو من سياق الأحداث أنه كان صاحب حصن شقورة ، حيث تم القبض على ابن عمار . وقد قص لسان الدين كيف احتال صاحب هذا الحصن على ابن عمار وجعل البلد بيده بالسان ، وطلب منه الصعود بنفسه لمباشرة قصبته ، فأسرع لذلك في طائفة يسيرة من الرجال فلما تحصل في القصبة وثب به صاحب الحصن وكيله وأودعه المطبق (أحوال الأعلام : ١٦٠) .

٢ د : أووا .

٣ ذكره في النسخ ٣ : ٢٢٩ وأورد له أبياتاً في زوال دولة المعتمد ، وانظر الذخيرة ١ :

٨١٨ - ٨٢١ .

استنامة ، في الشفاعة في من أساء لنفسه حظ الاختيار ، وسبب لها سبب النكبة والعثار ، بغمطه لعظيم النعمة ، وقطعه للعلاق العيصمة ، وتخبطه في ستن غيه واستهدافه ، وتجاوزة في ارتكاب الجرائم وإسرافه ، حتى لم يدع للصالح موضعاً ، وخرق ستر الإبقاء بينه وبين مولى النعمة عنده فلم يترك فيه مرقعاً ، وقد كان قبل استثناء دائه^١ ، وكشفه لصفحة المعاندة وإيدائه ، عذره في جميع جناياته مقبول ، وجانب الصفح له معرض مبدول ، لكن غيرته الغواية ، عن طريق الهداية ، فاستمر على ضلاله ، وزاغ عن ستن اعتداله ، وأظهر المناقضة ، وتعرض - بزعمه - إلى المساورة والمعارضة ، فلم يزل يريغ الغوائل ، وينصب الحبال ، ويركب في العناد أصعب المراكب ، ويذهب منه في أوعر المذاهب ، حتى عاقبته تلك الأشرار التي نصبها ، ونشبت به مساوى المقدمات التي جرأ وسببها ، فذاق وبال فعله ﴿ ولا يحق المكر السيء إلا بأهله ﴾ (فاطر : ٤٣) ولم يحصل في الأنشطة التي تورطها ، والمنحسة التي اشتملت عليه وتوسطها ، إلا وجه العفو له قد أظلم ، وباب الشفاعة فيه قد أبهم ، ومن تأمل أفعاله الذميمة ، ومذاهبه اللثيمة ، رأى أن الصفح عنه بعيد ، والإبقاء عليه داء حاضر عتيد ؛ ومثلك في رجاحة ميزانه ، ومعرفة بآبناء زمانه ، لم يجهل بداية حاله من القل والضعة ، وارتقاء منها إلى الرفعة والسعة ، وإنشاله من ذل الحمول ، إلى العز العريض الطويل ، وتسويغه عقائل الأموال ، وجلال الأحوال .

وفي فصل منها : فوق المناضلة الدولة نبالة ، وأعمل في مكابدها

جَهْدَهُ واحتياله ، ثم لم يقتصر على ذلك ، بل تجاوزَه إلى إطلاقِ لسانِهِ
بالذمِّ الذي صدر عن لُؤْمِ نجارِهِ ، والطَّعنِ الشاهدِ ببحثِ طويئِهِ
وإضماره ، ومن جهلِ مقدارِ تلكِ النعمةِ التي كان سَوْغَهَا أَوْلَا ، أخْلِقْ
به أنْ لا يعرفَ مقدارَ العفوِ عنه آخرأ ، ومن فسدَ هذا الفسادَ كيف
يُرْجى استصلاحُهُ ؟ ومن استبطنَ مثلَ غلِّهِ كيف يؤمِّلُ فلاحَهُ ،
ومنْ لكَ بسلامَةِ الأديمِ النَّغِيلِ ، وصفاءِ القلبِ الدَّغْلِ ؟ ! وعلى ذلك
فلا أعتقدُ عليكِ [٨١ أ] فيما عرضتَ به مِن وجهِ الشفاعةِ غيرِ الجميلِ ،
ولا أتعدِّي فيه حُسْنَ التَّأويلِ ، ولو اِوْفَدَتْ شفاعتكِ في غيرِ هذا الأمرِ
الذي سبق فيه السيفُ العذلَ ، وأبطلَ غافلُ الأقدارِ فيه الألفاظَ والحيلَ ،
لَتَلَقَّيْتِ بالإجمالِ ، وقوبِلْتِ ببالغِ المبرَّةِ والاهتيالِ .

ما أخرجته من سري نظمه وجزل مقاله مدة اعتقاله

من ذلك أبيات خاطب بها صاحب المريّة يقول فيها ٢ :

أصبحت في السوقِ ينادى على رأسي بأنواعٍ من المالِ
فهل فنيّ يبتاعني ماجدٌ أخدمه مدّةً إمهالي
تالله لا جار على نقدهِ مَنْ ضمّني بالثمنِ الغالي

١ ط د م س : ولقد .

٢ القلائد : ٩٢ والموجب : ١٨٣ وخالص : ٣٠٥ .

أَرْبَعُ بِهَا مَوْلَايَ مِنْ صَفْقَةٍ فِي سِلْعَةٍ مِنْ بَرَكَ الْعَالِي^١

وَكُتِبَ أَيْضاً إِلَى الْمُعْتَمَدِ^٢ :

نَفْسِي تَحْنُ إِلَى فُسْدَاءِ	تَفْدِيكَ نَفْسِي مِنْ شَرَاءِ
فَاسْبِقْ بِنَقْدِكَ وَعَنْدَهُمْ	مُسْتَرَحْصاً لِي بِالْغَلَاءِ
ثُمَّ امْضِ فِيَّ عَلَى اخْتِيَا	رِكَ مِنْ فَنَاءٍ أَوْ بَقَاءِ
وَاللَّهِ مَا أُدْرِي إِذَا	قَالُوا : غَدَاً يَوْمَ الْلِقَاءِ
مَا أَقْتُلُ الْحَالِينَ لِي	إِنْ كَانَ خَوْفِي أَوْ حَيَاثِي

وَكُتِبَ إِلَيْهِ أَيْضاً^٣ :

سَجَايَاكَ إِنْ عَافَيْتَ أُنْدَى وَأَسْمَحُ	وَعَذْرَكَ إِنْ عَاقَبْتَ أَجْلَى وَأَوْضَحُ
وَإِنْ كَانَ بَيْنَ الْخَطِئَيْنِ مَرْيَّةٌ	فَأَنْتَ إِلَى الْأَدْنَى مِنَ اللَّهِ أَجْنَحُ
حَنَانِيكَ فِي أَخْذِي بِرَأْيِكَ لَا تُطِيعُ	عِدَايَ ° وَلَوْ أَثْنَوْا عَلَيَّ وَأَفْصَحُوا
فَلَنْ رَجَائِي أَنْ عِنْدَكَ غَيْرُ مَا	يَخْوِضُ عِدْوِي الْيَوْمَ فِيهِ وَيَمْرَحُ
وَلَمْ لَا وَقَدْ أَسْلَفْتُ وَدَّآ وَخِدْمَةً	يَكْرَهُانَ فِي لَيْلِ الْخَطَايَا فَيُصْنَعُ
وَهَبْنِي قَدْ أَعْقَبْتَ أَعْمَالَ مُفْسِدٍ	أَمَّا تَفْسُدُ الْأَعْمَالَ ثَمَّتْ تَصْلَحُ

١ ط د م س : ترك ؛ د : المال .

٢ الحلقة ٢ : ١٥٤ وخالص : ٣٠٦ .

٣ الحلقة ٢ : ١٥٣ - ١٥٤ والقلائد : ٩٨ والمعجب : ١٨٥ وأعمال الاعلام : ١٦١

والنفع ٥ : ١٨٢ وخالص : ٣١٩ والريحان ١ : ١٥٧ أ وتمام المتن : ٩٢ .

٤ المعجب : وأسبج .

٥ القلائد : عدائي ؛ الحلقة : وشلي .

أَقْلَنِي لِمَا بَيْنِي وَبَيْنَكَ مِنْ رَضَى
وَعَفْ عَلَى آثَارِ جُرْمٍ سَلَكْتُهُ
وَلَا تَلْتَفْتُ رَأْيِ الْوَشَاةِ وَقَوْلِهِمْ
سَيَأْتِيكَ فِي أَمْرِي حَدِيثٌ وَقَدْ أَتَى
تَحْيِيلَتُهُمْ لَا دَرَءَ لَهِ دَرُّهُمْ
وَقَالُوا : سَيَجْزِيهِ فُلَانٌ بِذَنْبِهِ
أَلَا إِنَّ بَطْشاً لِلْمُؤَيَّدِ يَرْتَمِي
وَمَاذَا عَمِيَ الْوَاشُونَ أَنْ يَتْرَبِلُوا
نَعَمْ لِي ذَنْبٌ غَيْرُ أَنْ لَحْلَمَهُ
سَلَامٌ عَلَيْهِ كَيْفَ دَارَ بِهِ الْهَوَى
وَيَهْنِيهِ إِنَّ مَتَّ السُّلُوْ فَلَإِنِّي
وَبَيْنَ ضُلُوعِي مِنْ هَوَاهُ تَمِيمَةٌ

لَهُ نَحْوُ رُوحِ اللَّهِ بَابٌ مُفْتَحٌ
بِهَيْئَةِ رَحْمِي مِنْكَ تَمْحُو وَتَصْفَحُ
فَكُلُّ لِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَرْشَحُ
بِرَأْيٍ^١ بَنِي عَبْدِ الْعَزِيزِ مُوْشَحُ
أَشَارُوا تَجَاهِي بِالشَّمَاتِ وَصَرَحُوا
فَقُلْتُ : وَقَدْ يَعْفُو فُلَانٌ وَيَصْفَحُ
وَلَكِنْ حُلْمًا لِلْمُؤَيَّدِ يَرْجِعُ
سِوَى أَنْ ذَنْبِي ثَابِتٌ^٢ مُتَصَحِّحُ
صِفَاةٌ يَزُلُ الذَّنْبُ عَنْهَا فَيَصْفَحُ^٣
إِلَيَّ^٤ فَيَدْنُو أَوْ عَلَيَّ^٥ فَيَتَرَحَّ
أَمُوتُ وَلِي شَوْقٌ إِلَيْهِ مَبْرَحُ
سَتَنْفَعُ^٦ لَوْ أَنَّ الْحِمَامَ يُجَلِّحُ^٧

١ س و الحلة : وتمصح .

٢ الحلة والقلائد والمعجب : بزور .

٣ القلائد والمعجب : بفعله .

٤ القلائد : يتقى .

٥ ط : أرجح .

٦ المعجب وخ بهامش ط : واضح .

٧ الحلة : فيفصح ؛ م ط س : فيمرح .

٨ م ط س : علي .

٩ النفع : تشفع .

١٠ القلائد : مجلح .

قال ابن بسام^١ : بلغني أنّه لما وصلت هذه القصيدة إلى المعتمد جعل من بحضورته [٨١ ب] من أعداء ابن عمّار ينتقدونه ، ويطلبون به عيباً لو يجلونه ، فجعلوا يقولون : أيّ معنى أراد ، ما قال شيئاً ولا كاد ، فقال لهم المعتمد : مهما سلّبه الله من المروة والوفاء ، فلم يسلبه الشعر ، إنّما كلّب بيتَ الهذلي^٢ فأحسن ، وهو قوله :

وإذا النيةُ أنشبتْ أظفارها ألقيتْ كلَّ تيممةٍ لا تنفعُ

فسكتَ القوم في ناديبهم ، وسُقِطَ في أيديهم . غير أنّ أبا سالم العراقي جعل يتمضّعُ بقوله : « يكرّان في ليل الخطايا » وقال : ما معناه ؟ وهلاًّ بدّل هذا اللفظ بسواه ؟ فقال له المعتمد ، وأراه طنّزَ عليه ، وأشار بالتقصير إليه : أبا سالم ، أنزله^٣ ، وإن استطعت بفضلِكَ فأبْدِلْهُ ! فأحجم وتلعثم ، ولم يتأخر ولا تقدّم . وكذلك قوله : « فماذا عسى الواشون أن يتزيّدوا » ، وهو لفظ المجنون^٤ :

وماذا عسى الواشون أن يتحدّثوا سوى أن يقولوا إنني لكٍ عاشقُ

وإن كان المعنى مختلفاً فحذو اللفظ واحد .

ولحق بشقورة بعد القبض على ابن عمّار يزيدُ بن المعتمد الملقّب بالراضي ،

١ انظر المعجب : ١٨٦ .

٢ يعني أبا ذؤيب الهذلي ، ديوان الهذليين ١ : ٨ .

٣ ط س : أزلّه .

٤ ديوان المجنون : ٢٠٣ .

فكتب إليه ابن عمار^١ :

قالوا أتى الراضي فقلتُ لعلها
فألّ جرى فعسى المؤيدُ واهباً^٢
قالوا نعم ، فوضعتُ خدي في الثرى
شكراً له وتبسمناً بينيه
يا أيها الراضي وإن لم يلقي
من صفحة الراضي بما أدره
هَبَكَ احتجبت لوجه عذريين
بذلُ الشفاعة أيُّ عذري فيه
خفف على يدك الكريمة أسطراً^٣
في من أسرت فتشني تفديه

ثم صدر^٤ عن شقورة ، وجاء به إلى قرطبة يوم الجمعة السادس من رجب من العام ، وقد برز الناسُ لدخولِ الراضي ، وابنُ عمار في ذلك الحفل ، في قيوده ، على دابة هجينة ، حاسراً في ثوبٍ خلّق بين عِدليّ تيسر ، عظة لمن اعتبر مجاري الليالي والأيام ، ولعبها بالأنام ، فكم دخل قرطبة قبل في أبهة الرؤساء ، يسحب ذيل الكبرياء ، فسبحان من يَبْسُطُ للمحسن والمسيء عدله ، ولا تدم العزة إلا له .

حدثني الوزير أبو عمر الفرضي كاتبُ حشَم المتوكل أنه شهد دخول ابنِ عمار يومئذ قرطبة ، فلم يَرَّ زعيماً من زعماء البلد ، ولا عظيماً من أهل دولة المعتمد ، إلاّ وهو يمسحُ عطفه ، ويمشي بين يديه أو خلفه ، توقفاً

١ القلائد : ٨٦ والحلة ٢ : ١٥١ وخالص : ٣٠٨ والريحان ١ : ١٥٧ .

٢ القلائد والحلة : واهباً .

٣ القلائد والحلة : سهل . . . أحرفاً .

٤ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ وأصوال الاعلام : ١٦١ .

لكرته ، واستدفاعاً لمضرته ، فقد كان أكثرهم لا يشك أن غضب المعتمد عليه ، نارٌ يطفئها نظره إليه ، وتيارٌ يكفه مثله بين يديه ، فقد كان من قلبه بمكان ، ومن إثارٍ قربه في شان .

وأخبرني الوزير المذكور أن ابن عمّار كان يباهي يومئذ بدلته وقلته ، عدد آسره الراضي وعدته ، ويقاوم بهوانيه وامتهانه بأسه وشدته ، حتى كأنه أحدُ خدّمه ، أو بعضُ حشمه . قال : وكب في أثناء ذلك إلى المأمون بهذه القصيدة الفريدة ، وهي من حرّ النظام ، وجزل الكلام ، وأولها :

هَلَا سَأَلْتَ شَفَاعَةَ الْمَأْمُونِ	أَوْ قُلْتَ مَا فِي نَفْسِهِ يَكْفِينِي
مَا ضَرَّ لَوْ نَبَّهْتَهُ بِتَحِيَّةٍ	يَسْرِي النَّسِيمُ بِهَا عَلَى دَارِينِ
وَهَزَزْتَ مِنْهُ فَقَدْ يَقْلَبُ سَيْفَهُ	يَوْمَ الْجَلَادِ الْحَيْنَ بَعْدَ الْحَيْنِ [١٨٢]
مَا لِي أَتَبُّهُ نَازِراً لَمْ يَغْفُ عَنْ	حَفَظِيهِ مِنْ دُنْيَا وَلَا مِنْ دِينِ
وَأَمْزُ مِنْ عِطْفِ ثَنَاهِ عَطْفَهُ	حَتَّى خَشِيتُ عَلَيْهِ قَرْطَ الْإِينِ
بِيَدِي مِنَ الْمَأْمُونِ أَوْثَقُ عَصْمَةٍ	لَوْ أَنَّ أَمْرِي فِي يَدِ الْمَأْمُونِ
أَمْرِي إِلَى مَوْلَى ^٢ إِلَيْهِ أَمْرُهُ	وَكِفَاكَ ^٣ مِنْ فَوْقِ كِفَاكَ ^٣ وَدُونِ
حَيْثُ اسْتَوَى الْخَصِمَانِ حَقّاً وَالتَّقَى	عَزَّ الْغَنَى بِذِلَّةِ الْمُسْكِينِ
مَلِكٌ طَوَى سِرَّ الْمَهَابَةِ شَخْصُهُ	لَوْلَا أَسْرَةُ ^٤ وَجْهِهِ الْمَيْمُونِ

١ الحلة ٢ : ١٥١ وتام المتن : ٣٦٣ وخالص : ٣١٣ .

٢ الحلة : ملك .

٣ الحلة : وكفاه . . . كفاه .

٤ د : التقى .

جَبَلٌ سَمَا بِذَوَابِتِهِ إِلَى الْعَلَا
 مَتَوَقِّدُ الْجَنَابَاتِ كُلُّلَ دَوَّحِهِ
 ذَلَّتْ لِأَيْدِي الْمَجْتَنِينَ قُطُوفُهُ
 وَنَأَى لِأَبْصَارِ الْعَصَاةِ فَإِنَّمَا
 بَحْرٌ إِذَا رَكِبَ الْعَفَاةُ سَكُونُهُ
 وَإِذَا طَمَى لِلذَّنْبِ لَمْ يَسْمَعْ بِهِ
 كَمْ أَسْكَبَ الْعَذَابُ الْفِرَاتِ عَلَى فَمِي
 وَالْيَوْمَ قَدْ أَصْبَحْتُ فِي غَمَرَاتِهِ
 بَعْدَتْ سَوَاحِلُهُ عَلَيَّ وَأَدْرَكْتُ
 لَا شَكَّ فِي أَنِّي غَرِيقُ عُبَابِهِ
 يَا فَتْحُ جَرِّدْهَا عَنَايَةَ فَارِسٍ
 مُتَقَدِّمٌ مِنْ جَدَّةٍ ١ بَكْتِيَّةٍ
 وَاقْرُنْ شِفَاعَتَكَ الْكَرِيمَةَ عِنْدَهُ
 فِي شِكَاةٍ مِنْ هَيْبَةٍ وَسَكِينَةٍ
 فَأَبُوكَ مَنْ تَغْشَى الْمُلُوكُ بِسَاطَهُ
 مَا يَعْزِضُ الْجَبَّارُ مِنْهُ لِحَاجَةٍ
 يَا فَتْحُ إِنْ نَازَلْتَهُ مُسْتَرْتَلًا ٢

وَرَسَا بِهَضْبَتِهِ عَلَى التَّمَكِينِ
 بَحْنِي ٣ وَفُجِّرَ صَفْحُهُ ١ بَعْيُونِ
 وَدَنَا إِلَيْهِمْ مِنْ ظِلَالِ غُصُونِ
 يَتَوَهَّمُونَ نَعِيمَهُ بِظُنُونِ
 وَهَبَ الْغَنَى فِي عَزَّةٍ ٢ وَسَكُونِ
 إِلَّا الدِّعَاءُ يُعَانِ بِالتَّأْمِينِ
 وَرَمَى يَدِي بِاللُّؤْلُؤِ الْمَكُونِ
 إِنْ لَمْ تُغْثِنِي رَحْمَةً ٣ تَنْجِينِي
 أُمُوجُهُ ٤ فَتَلَاعَبْتُ بِسُفِينِي
 إِنْ لَمْ يَمْدَدْ الْفَتْحُ لِي يَمِينِ
 بَطَلَ عَلَى حَرْبِ الْوَلِيِّ ٥ أَمِينِ
 مُسْتَظْهِرٍ مِنْ لَفْظِهِ بِمَكِينِ
 بِتَوَاضُعٍ عَنْ عَزَّةٍ لَا هُونِ
 وَبِضَجَّةٍ مِنْ رَحْمَةٍ وَحْنِينِ
 شَوْسًا فَمَا يَرْمُونَهُ بَعْيُونِ
 إِلَّا بَرَفَعُ يَدِي وَوَضْعُ جَبِينِ
 فَاهْتَأَّ بِفَتْحٍ مِنْ رِضَاهِ مَبِينِ

١ د : صفحه .

٢ م ط : غرة .

٣ الحلة : درب على نصر الولي .

٤ د : حده .

٥ ط م : لدفع .

وليخلصنَّ إليك من أعلاقه^١ عِلْقٌ يَشُدُّ عَلَيْكَ^٢ كَفَّضَيْنِ

وكان قد كتب أيضاً يومئذ^٣ إلى الرشيد بهذا القصيد، وهو من قصائده
الحرّة وقلائده المبرّرة^٤ :

قل لبرقِ الغمامِ مِطْوٍ ^٥ البريد	قاصداً بالسلام قصرَ الرشيدِ
فتقلَّبَ في جَوْهٍ كَفْوَادي	وتناثرَ في صَحْنِهِ كالفريدِ
وانجذبَ ^٦ في صلاصِلِ الرعدِ تحكي	صَجَّتِي في سلاسلِ وقودي
فجزاك الإله من ملكٍ حرّاً	بقاءَ التمكينِ والتمهيدِ ^٧
من مطيعٍ عهد ^٨ الوفاءِ مطاعٍ	وودودٍ على التَّوَى مودودِ [٨٢ب]
كنت أشدو عليك يا دوحةَ المج	دِ ويا روضةَ التَّدَى والجودِ
إذ جناحي نَدِ بظلكَ طَلَّقَ	ولساني رطب على التغريدِ
وأنا اليوم تحت ظلِّ عُنُقَابٍ	لِقُوَّةٍ مُخَوِّتٍ ^٩ الجناحِ صيودِ

١ الخلة : أنفاله .

٢ الخلة : عليه .

٣ يومئذ : سقطت في م .

٤ د : المنيرة ؛ ط س : المنيرة ؛ م : المشيرة ؛ وانظر أبياتاً من القصيدة في الخلة ٢ : ١٥٢

وهي عند خالص : ٣٠٩ .

٥ مطو البريد : صاحبه ؛ وفي م ط : مظهر البريد ؛ الخلة : ظاهر بريدي .

٦ الخلة : وانتخب ، وفوق اللفظة في م : كذا ، ولعل الصواب : وانحدر .

٧ بعده في الخلة بيتان متصلان به وهما :

فإذا ما اجتلاك أو قال ماذا قلت إني رسول بعض البعيد

بعض من أبعدته عنك الليالي فاجتني طاعة المحب البعيد

٨ ط : عبد .

٩ في النسخ : محوة ؛ والمخوت التي إذا خاتت أي انقضت سمع لجناحها دوي .

اتَّعِيهَا بِنَاطِرٍ خَافِقٍ لِّلْهِ
 غَيْرِ أَنِّي سَاصِطُفِي لَكَ جَهْدِي
 فِي قَلِيلٍ مِنَ الْقَوَافِي كَثِيرٍ
 كَلِمَاتٍ كَانَهَا الدَّرُّ نَظْمًا
 أَنْتَ بَدْرُ النُّجُومِ تَحْتَ سَنَا الشَّمِ
 أَنْتَ رِيحَانَةُ الْعَلَّابِنِيِّ عَبَّأَ
 أَنْتَ لِمَا عَرَضْتُمْ دُرَّةَ التَّأَ
 وَإِذَا مَا مَدِحْتُمْ نَكْتَتَهُ الْخَطَّ
 وَإِذَا مَا رَكِبْتُمُ الْخَيْلَ صَدَّرَ الْجِيَدِ
 أَنْتَ فِيهِمْ إِنْ يُعْتَمُوا لَيْلَةَ الْقَدَرِ
 فَهَنِيئًا أَبَا الْحُسَيْنِ خِلَالُ
 وَشُفُوفٌ عَلَى الْجَمِيعِ بِسْنٍ
 وَهَنِيئًا مِنَ الْمُؤَيَّدِ حَظٌّ
 لَكَ فِي نَفْسِهِ الْعَزِيزَةِ حَبٌّ
 وَعَلَى لَحْظِهِ التَّزْيِيهِ طُلُوعٌ
 وَإِذَا مَا شَدَا بِذِكْرِكَ شَادٍ
 فَعَلَامَ السَّرَى بِصَبْحِ رِضَاهِ
 وَإِلَى أَيْنَ فِي الشَّفِيعِ إِذَا مَا
 بَقِيَ نَازِحِ الْمَكَانِ مُطِيلِ

ظِ مَرُوعٍ وَخَاطِرٍ مَرْوُودٍ^١
 مِنْ ثَنَا طَيْبٍ وَذِكْرِ حَمِيدٍ
 وَذَلُولٍ مِنَ الْمَعَانِي شُرُودٍ
 طَوَّقَتْ مِنْكَ أَيَّ طَوْقٍ وَجِيدٍ
 سِ اتَّكَمَ عَلَى سَمَاءِ السَّعُودِ
 دِ السَّادَةِ الْكِرَامِ الصَّيْدِ
 جِ فَرَنْدُ الْحَسَامِ وَسَطَى الْفَرِيدِ
 بَةِ قَصِّ الْحَدِيثِ بَيْتِ الْقَصِيدِ
 شِ عَيْنِ اللَّوَاءِ قَلْبِ الْحَدِيدِ
 وَإِذَا يُصْبِحُونَ يَوْمَ الْعِيدِ
 وَصَفَاتُ جَلَّتْ عَنْ التَّحْدِيدِ
 وَسَنَاءٌ إِلَى سَنَا مَمْدُودِ
 لَا مَزِيدٌ عَلَيْهِ لِلْمُسْتَرِيدِ
 شَابَ فِيهِ حِلَاوَةُ التَّوْحِيدِ
 كَطُلُوعِ الْبَشِيرِ بِالتَّأْيِيدِ
 قَالَ أَحْسَنْتَ هَزَّةَ الْمُسْتَعِيدِ
 مَعَ سَنَا وَجْهِكَ الْأَغْرُ السَّعِيدِ
 لَمْ أَلْذُ مِنْكَ عِنْدَهُ بِالرَّشِيدِ
 غَائِبِ الشَّخْصِ ذِي اعْتِنَاءٍ عَتِيدِ

١ مَرْوُود : مَذْهُور .

٢ د : بَمِنْ .

مشفق يستجيب لي من قريب وأنا أستغيثه من بعيد
لو أطلت عليّ رحمة عينه ١ انجلت شدتي وذاب حديدي

قال ابن بسام : فصلرت هذه الأشعار ، يومئذٍ عن ابن عمار ، وهو في قيود الحديد ، وقالها على البديهة والارتجال ، في تلك الحال ، من شدة الاعتقال ، وباليناجيه البلبال ، قد تيقن أنه لا يُفلت ، ولا ينظر إلا إلى عدو يشمت ، والموت يلاحظه من حيث لا يتلفت^١ ، إذ كان المعتمد قد أحضره في تلك الحال غير ما مرة بين يديه ، ويعدد ذنوبه عليه ، ولو قال كل قصيد ورواه حولاً كاملاً ، في أمن ودعة ، وفرط شهوة أو شدة حمية وعصبية ، لما زاد على ما أجاد ، فكانت هذه القصائد القلائد ، مع ما تشتمل من البدائع الروائع ، رقى لم تنفع ، ووسائل لم تنجع ، وإذا سبق القدر ، فلا ورد ولا صدر . [٨٣ أ] .

أخبرت عمن صحب الراضي في وجهته يومئذٍ من شقورة وكان ممن رقب على ابن عمار ، فجعل يكلأه في طريقه ، خوفاً على نفسه ومراعاةً أيضاً لسالف حقوقه ، فلما انتهى^٢ إلى قرطبة وسلم للقصر ، دعي ذلك الرجل مع أصحابه بعد العصر ، في سلاح شاك وتعبئة ظاهرة ليصحبوه إلى اشبيلية ، فبينما هم عند باب السدة ينتظرون إلى أن يسلم إليهم ابن عمار ، وقد انسلخ النهار ، إذ أوجسوا نبأه ، فإذا المعتمد قد خرج والشمع بين يديه

١ في النسخ : يلتفت ، وإنما نثر قول تميم بن جميل السدوسي (الوافي للرندي : ٢٠) :

أرى الموت بين السيف والنطم كامناً يلاحظني من حيث ما أتلفت

٢ قارن بالحلة ٢ : ١٥٨ .

وخدمه^١ حواله ، وابن عمار بينهما^٢ على بغل يزأن به ويتضحكن ،
فأعربت حاله يومئذ بمباديها ، على^٣ سوء العاقبة فيها .

وحدثني أبو بكر الخولاني المنجم قال^٤ : لما وصل المعتمد إلى اشبيلية من
وجهته تلك ، سجن ابن عمار داخل القصر على قُرب منه ، وأحضره
مراراً بين يديه ، يعدّد ذنوبه عليه ، فبقي مدةً كذلك ، في سجنه هنالك ،
لا يتنفس ولا يتحرك إلا تحت سَمْعٍ وعَيْنٍ ، فاستدعى يوماً سحاةً ودواةً
فَبُعِثَ إليه بِزَوْجٍ كَاغِدٍ ، فكتب إلى المعتمد شعراً استرحمه فيه ، فعطف
عليه ، وأحضره ليلته تلك ، ووعدّه بالعفو عنه ، فخاطب ابن عمار من
حينه الرشيد بذلك ، فلمح تلك المخاطبة عيسى بن الأَعلم^٥ وزيره يومئذ ،
فتمدّث بالأمر ، وذاع السرّ ، وانتهى الخبر إلى الوزير أبي بكر بن زيدون
صاحب الدولة وقتّه^٥ ، وعداوتُه لابن عمار أوضح من أن تُشرح ،
فَدَمَغَتْهُ من ذلك دامغة ، وبات بليلة النابغة ، وتخلّف عن الركوب إلى
القصر صبيحة الغد ، حتى ورده رسول المعتمد ، وحَدَس^٦ أن مجلس
سِرّه مع ابن عمار وَصَلَ إليه ، واستفهمه فوجد نصّ المجلس عنده ،

١ الحلة : وحرمه .

٢ الحلة : عن .

٣ انظر الحلة ٢ : ١٥٩ .

٤ هو عيسى بن يوسف بن سليمان الشتمري ، ولد أبي الحجاج الأَعلم اللغوي المشهور ، روى
عن أبيه واختص بعبيد الله بن المعتمد حتى استوزره ونال معه دنيا عريضة (الذيل والتكملة
٥ : ١٥٥ والتكملة : ٤٠٩) .

٥ د : في وقته .

٦ ط : وحَدَس إليه .

فازداد حنقاً على ابن عمّار الحائن ، وحرّك ضِغْنَه الساكن ، فقال لأحدِ الصقالب : سل ابنَ عمّار كيف وَجَدَ السَّيْلَ ، مع عظيم التّريبِ ، إلى إفشاءٍ ما أخذت معه فيه ^١ ، فلما سأله أنكر ، قال المعتمد : فما أراد بالكاغدِ الذي طلب ؟ قال : إنه أخبر انه كتب إليك فيه بشعر ، قال : هو في ورقة مفردة ، فما فعل بالأخرى من الزَّوْجِ الكاغد المبعوث به إليه ؟ قال : كتب فيه مسوّدَة ذلك الشعر ، قال المعتمد : خُذْها منه لأقيفَ على ذلك ؛ فلما لم يجد بُدّاً من النطقِ بالصدق ، رجع إلى الحقّ ، وقال : إني خاطبت الرشيد بما وعدني به مولانا من العفو ، فاتقد ^٢ المعتمد ، وقام من قوّره كما كان ، وأخذ طبرزيّاً ^٣ ، وجاء إلى موضع ابن عمار الذي كان فيه مسجوناً ، ودخل إليه ، ففرغ - كما كان في قيوده - إلى تقبيل رجله ، فضربه به ، ثم أمر بأن يتمّ عليه ، وأخرج ووري في قيوده ، خارجاً باب القصر المبارك المعروف في اشيلية بباب النخيل ، فمضى رحمه الله على هذا السبيل . واتفق بأن وقع حَقَرٌ بموضع رمسه من ذلك المكان ، لبنيانٍ عَرَضَ فيه بعد نيّف على عشرين سنة من مقتله ، فأخبرني مَنْ شهد لإخراج جمجمته وأعظّم ساقيه بِكَبَلِهِ وهي رميم ، « وعند الله تجتمع الخصوم » ^٤ . وما وقفت في

١ الحلة : معه البارحة فيه .

٢ ط : فالتقد ؛ د : فانقد .

٣ اضطربت كتابة اللفظة في ط م س (ط : طبر بزيراً ، وفوقها : كذا) .

٤ بحاشية ط شعر بخط الأصل وهو :

أما والله إن الظلم لوم وما زال المي هو الظلوم
إلى ديان رب العرش نمضي وعند الله تجتمع الخصوم

قلت : والبيتان لأبي العتاهية وقد مر تخريج الثاني منهما :

تأبين ابن عمار على شعير لأحد من أهل العصر ، غير بيت مفردٍ شهد أن^١
المعتمدَ بأمر قتله بيده ، وهو لعبد الجليل حيث يقول^٢ :

عجباً لمن أبكيه ملء مدامعي وأقول لاشأت يمين القاتلِ

وكان عبد الجليل متعصباً لابن عمار ، مائلاً إليه بطبعه ، إذ كان الذي
جذب بفضبعه ، ونوهَ بذكره ، ونفقَ من شعره ، وعرفه بالمعتمد حتى
استخلصه لنفسه ، وأحضرهُ مجالس أنسيه .

ويتعلّق بهذا القتل الشنيع ، خبرٌ غريب المسموع ، في ذلك الأوان ،
وحديثٌ ظريفٌ من الحداث^٣ ، أخبرتُ به عن غير واحد من وزراء المعتمد ،
وذلك أنه لما مضت لقتل ابن عمار أيام ، حضروا مع المعتمد في مجلس
أنس ، فلما طابت الأنفس ، وأخذت [٨٣ ب] منهم حمياً الأكوس ،
وارتاح المعتمد وهزَّ عطفه ، وبدأ على قسماته عطفه ، سُئِلَ عن هذا
الخبر المستظرف ، الذي كانوا سمعوه من بعض السلف ، وأقسموا عليه
بتخليد ملكه في أن يحديثهم بحديث كان إليه ينسب ، وقالوا : هو من فم
مولانا أطيّب ، فقال لهم كلاماً معناه لعل هذا الاستخبار عن شأن ابن عمار ،
قالوا : أجل ، وطفقوا يقدّونه بالأنفس ، وأكثروا في وداده من شرب
الأكوس ، فأخبرهم أنه كان أيام مقامه بشلب ، قد غلب ابن عمار على
نفسه ، وأخذ بمجامع أنسيه ، فأمره وأخذ عليه — إذا دعا أصحابه — أن
يكون أولَ داخلٍ وآخرَ خارج ، ليأنس به ويتمتع بأدبه ، فيجده ينفرُ

١ الحلة ٢ : ١٦٠ .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٦١ .

نِفَارَ الشَّارِدِ ، وَبِتَسَلُّلٍ مِنْ مَجْلِسِهِ تَسَلَّلَ الطَّرِيدَةُ مِنْ يَدِ الصَّائِدِ ؛ فَلَمَّا أَبَى إِلَّا اطْرَاداً عَنْ أَصْلِهِ ، وَطَالَ ذَلِكَ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلِهِ ، تَقَدَّمَ إِلَى أَصْحَابِ سُدَّتِهِ لِيَاةً فِي تَرْقُبِهِ ، وَمَنْعِهِ مِنْ مَذْهَبِهِ ، وَأَنْذَرُ وَتَهَدَّدَ ، وَأَقَامَ فِي ذَلِكَ وَأَقْعَدَ ، وَقَامَ ابْنُ عِمَارٍ كَعَادَتِهِ ، فَلَمْ يَحْفَلِ الْمُعْتَمِدُ لَيْلَتَهُ بِمَكَانِهِ ، لَمَّا كَانَ قَدَّمَ فِي شَانِهِ ؛ فَلَمَّا انْقَضَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ، التَّمَسَّهُ فَفَقَدَهُ ، وَطَلَبَهُ مُنْتَهَى جَهْدِهِ فَمَا وَجَدَهُ ، وَأَحْضَرَ مَنْ كَانَ أَوْصَى فِيهِ إِلَيْهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَمْ تَقَعْ لَهُ عَيْنٌ عَلَيْهِ ، فَرَاوَهُ أَمْرُهُ ، وَخَفِيَ عَنْهُ سِرُّهُ ، فَشَهَرَ فِيمَا بَلَغَنِي سَيْفُهُ وَأَخَذَ الشَّمْعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجَعَلَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ يَحْسِبُهُ وَلَا يَحْسِبُهُ ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى بَعْضِ الدِّهَالِيزِ إِذَا بِحَصِيرٍ مَطْوِيٍّ ، وَابْنِ عِمَارٍ فِيهِ أَغْمَضُ مِنْ سِرِّ خَفِيِّ ، عَرِيَانٌ كَالْأَفْعَوَانِ ، فَأَمَرَ بِحَمْلِهِ ، وَهُوَ قَدْ تَعَجَّبَ مِنْ فَعْلِهِ ، فَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالْمُعْتَمِدِ الْمَجْلِسَ ، جَعَلَ يَبْسُطُ جَانِبَ ابْنِ عِمَارٍ وَيُوثِّسُ ، وَابْنُ عِمَارٍ يَبْكِي فَيُضْحِكُ ، وَيَشْكُو فَيُشْكِكُ ، فَلَمَّا سَكَنَ قَلِيلاً ، وَأَفْرَخَ رَوْعُهُ ، وَرَقَأَ دَمْعُهُ ، سَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ فَأَخْبَرَ أَنَّهُ كَلَّمَا كَانَتْ تَأْخُذُ مِنْهُ الشُّمُولُ سَمِعَ ١ كَأَنَّ قَائِلاً يَقُولُ : يَا مَسْكِينُ ، هَذَا يَقْتُلُكَ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ ، كَلَاماً هَذَا مَعْنَاهُ ، فَلَا يَزَالُ يَطْلُبُ الْآنَسَ بَوَسْعِهِ فَيَبْعُدُ عَلَيْهِ ذَلِكَ وَيَمْتَنِعُ ، حَتَّى يَصْنَعَ مَا يَصْنَعُ ، إِلَى أَنْ كَانَ لَهُ مَعَهُ الَّذِي قُدِّرَ .

وَمِنْ مَقَالِهِ فِي أَثْنَاءِ اعْتِقَالِهِ هَذِهِ الْقِطْعَةُ الْبَدِيعَةُ ٢ :

يَقُولُ قَوْمٌ إِنَّ الْمُؤَيَّدَ قَدْ أَحَالَ فِي فِدَيْتِي عَلَى نَقْدِهِ

١ د : يسمع .

٢ ذَكَرَ ابْنُ قَاسِمٍ الشُّلْبِيّ الَّذِي أَخَذَتْ عَنْهُ أَكْثَرُ أَخْبَارِ ابْنِ عِمَارٍ أَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ وَجَدَتْ فِي قِرَابِ ابْنِ عِمَارٍ بَعْدَ قَتْلِهِ (الْحُلَّةُ ٣ : ١٦٠) ؛ وَانْظُرِ الْأَبْيَاتَ عِنْدَ خَالِصٍ : ٣١٧ .

يا قوم^١ ماذا الشراء^٢ ثانية
أوحشني والسماح^٣ عادته
الحمد لله إن يكن^٤ حرجاً
وحيلة إن وصلت^٥ حضرته
لو ساءحوا في الفرد^٦ أرمقه
يا رب^٧ بشر^٨ برحمة^٩ وحيأ

تري لمعني^{١٠} يريب^{١١} من عنده ١٩
سماحه^{١٢} بالغلاء^{١٣} في عبده
فليس في مثله^{١٤} سوى حمده
جعلتها^{١٥} رغبة^{١٦} إلى جنده
من طرفه^{١٧} لم أخفه^{١٨} من غمده
يؤنس^{١٩} من برقه^{٢٠} ومن رعه

ومنهم الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي^٢

وهو أيضاً من شلب ، ومن ذلك الأفق طلعت^١ نجوم^٢ الكلام ، فأضاءت
البلاد ، ونشأت غيوم^٣ الثار^٤ والنظام ، فطبقت^٥ الهضاب^٦ والوهاد ، إلا أن
حساناً^٧ هذا وصاحبيه أبوي بكر : ابن عمار وابن الملح كانوا هنالك رؤساء
الأمّة ، ورؤوس إجماع الأئمة ، ونجمت^٨ دولة^٩ المعتمد ابن عباد بتلك البلاد
وهم أغصان^{١٠} دوحه^{١١} ، وأخذان^{١٢} غدوة^{١٣} إلى طلب^{١٤} العلم^{١٥} وروحة^{١٦} ، يتدارسون

١ الخلة : فقلت .

٢ الخلة : مثلها .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٨٥ والمسالك ١١ : ٤٢٨ (وفيه نقل عن الذخيرة) ورايات المبرزين :

٢٧ (غ) والخريدة ٢ : ١٩١ ، ٣ : ٥٨٨ (ط . تونس) والنفح ٤ : ٣٠٧ ؛ ولغة

« حسان » سقطت من م س ط .

٤ في الأصول : حسان ؛ وقد اضطرب الاسم فجاء حيناً مصروفاً وحيناً ممنوعاً من الصرف ،

وهذا جائز فيه ، لأنه إن كان من « حسن » كان مصروفاً لأصالة النون فيه ، وإن كان من

« حس » كان ممنوعاً من الصرف لأن النون فيه زائدة ؛ ولكني أجريت ما جاء في هذا النص على

سياق واحد ، أي اعتبرته مصروفاً .

آياتِهِ ، ويتبارُونَ^١ إلى أبعد غاياته ، ولكل دليل في السَّنا مشتهر ، وسبيل إلى العلياء مختصر . ونهض تصريف المقدار منهم باين عمار ، فشبَّ عن طَرَقِهِ ، بالحمل وأوقِه^٢ ، وبلغ المبلغ الذي استغنى باشتهاره عن تكراره ، وتبعه هذان في الانقطاع إلى الدولة ، بحسبان كل بيضاء شحمة^٣ ، ويتخيَّلان كل ضوء نجمة ، والله في بريته أقدار يُخْضِيها ، ومن مشيته أسرار يتفرَّد بها فيخفيها ، فلم يحصل إلا على لبس ما خلع [١٨٤] والارتسام حيث أشار ووضع ، فأما ابن الملح فإنه تفرَّ نفرة الأنف ، وفرَّ فِرارَ الحنقِ الأسيف ، مؤثراً للانزواء ، على الاستخفاء ، مكثفاً بالدُّون ، من التصرف على الهون ، وكانت له خلال ذلك مَدَائِحُ يَهْدِيها ، وَرَحَلٌ إلى الحضرة يحمل على نفسه الأبيَّة فيها ، فيطرأ جديداً ، ويصادف عهداً بها بعيداً ، فيؤوبُ ضَخَمَ العياب ، محمود المقام والإياب . وأما حسان هذا فَصَدَقَ الحملة ، ولزم الحملة ، مغتبطاً^٤ بما خُوِّلَ ، جاعلاً نفسه حيث جُعِلَ ، ورضي من ابن عمار بوطن عَقِيْبِهِ ، ولزوم مركبه ، وابن عمار يرعاه لمكانه ، ويخاف انتباه المعتمد لشانه ، حتى زاحمه أخيراً بالأديب أبي محمد عبد الجليل ، فأقرَّ له بالفرق ، وأخذ منهما جميعاً قصباتِ السبق . وكان ابن عمار بعد ذلك كله

١ م : ويتبادرون .

٢ الأرق : الثقل .

٣ ناظر إلى قول الشاعر :

وكنا حسبان كل بيضاء شحمة عشية لاقينا جذام وحميرا

وهو من المثل : ما كل بيضاء شحمة (الميداني ٢ : ١٦٩ والمسكري ٢ : ٢٨٧ تحقيق أبو

الفضل ، وانظر ما تقدم ص : ١١٤) .

٤ مغتبطاً : سقطت من م .

كلّما مرّ ذكرُ عبد الجليل ألقى بيديه ^١ ، وشهد له بالفضل عليه ، وليست الحظوظُ بالأقدار ، ولا الأمورُ على الاختيار . ولما أنشأ المعتمدُ لابنه الفتح ، دولته بقرطبة المتقدّمة الشرح ، أصبح به حسّاناً هذا كاتبُ سرّه ، وصاحبُ أكثرِ أمره . وقد أخذتُ من شعره أعدلَ شاهدٍ على ما أُجريتُ من ذكره .

جملة من شعره في المدح وما يتصل به

له من قصيدة في المعتمد أولها :

أضاءَ بك الأفقُ الذي كان أظلماً	وقد لحّت في الإكليل بدراً متمّماً
على أيّ وجهٍ لم يُشعشعْ طلاقه	وفي أيّ ثغرٍ لم ينورْ تبسماً
وقد صغت من ذاك المحيّا وحُسنه	صباحاً ومن تلك الخلائق أنجماً
إذا غبت عن أرضٍ تمثّل أهلها	« عسى وطنٌ يدنو بهم ولعلّما » ^٢

ومنها :

ألا قلّ لأربابِ المخاضِ أهملوا	فظلّ ابنِ عبّادٍ عليهنّ أينما
فهل تقتدي الأعلامُ فيك بحارها	لتحظى ببعثِ السّلمِ منك فتسلما
مع الله يمضو ^٣ إن مضوا مع غيره	ولله أخرى أن يقلّ ويغنما
وليدت مع الإقدام في ساعةٍ معاً	فقدّاك في الهيجاء كوّنك توأما

١ م : بيده .

٢ صدر بيت لأبي تمام (ديوانه ٣ : ٢٢٢) وعجزه : وأن تعشب الأيام فيهم قريباً .

٣ يقال في مضارع مضى : يمضي ويمضو .

والله عاداتٌ لديك جميلةٌ بُفَيْدِكَ أرباً حيثُ نحسبُ علقماً
 ولو جَبَلِيّ طيَّ رَمِيَتْ بفرقةٍ لجاءَ أجا سلمي إلَيْكَ مسلماً
 لذاك ابنُ عَمَّارٍ نثي أذفونشَ طائِعاً بِسَعْدِكَ حتَّى لو أَمَرْتُ لأسلماً
 ولم يُبَيِّقِ روميّاً بفضلِكَ مشركاً وإنْ أشركوا بالله عيسى بن مريمَا
 تَفَاءَلَتْ بِاسْمِ الْفَتْحِ^١ لما لَقِيْتَهُ لَنَفْتَحَ أُمراً خاله^٢ النَّاسُ مبهما
 تَلَاقِيْتُمَا لِلسَّعْدِ بدرأ وكوكبا أباً لا يُبَارَى في المكارِمِ وابنما
 ومنها :

أراهُ وأرجوه وأنشرُ فَضْلَهُ فيملاً مني العينَ والكفَّ والنمما

ومعنى هذا البيت الأخير كقول ابن شَرَف^٣ :

سَلْ عَنْهُ وانطقْ به وانظرْ إليه تجدْ ملءَ السَّمْعِ والأفواهِ والمقلِ

وإلى هذا المعنى أيضاً ينظر قولُ الحسن^٤ : على رأي بعض من فسَّرَ وهو :

• أَلَا فَاسْقِنِي خمرًا وقلْ لي هي الخمرُ •

وقوله : « ولم يبق روميّاً بفضلِكَ مشركاً » كقول محمد بن هاني^٥ :

١ ط م د س : تَفَاءَلَتْ بِالْفَتْحِ اسم الفتح .

٢ ط د : داله ؛ م س : دله .

٣ يرد مع أبيات أخرى له في القسم الرابع من الذخيرة (الورقة : ٩٠) .

٤ يعني أبانواس ، ديوانه : ٢٧٣ ، وعجز البيت : « ولا تسقني سراً إذا أمكن الجهر » .

٥ ديوان ابن هاني : ١٧ .

لم يشركوا في أنه خيرُ الوري ولذي البريةِ عندهمُ شركاءُ [٨٤ ب]

وله من أخرى فيه ، أولها ١ :

من استطال بغير السيفِ لم يَطلِ	ولم يخبُ من نجاحِ سائلِ الأسَلِ
أعدتكَ ^٢ صَحْبَتُكَ الأرماحَ شيمتها	فانفذ نفوذَ القنا في الأمرِ واعتدل
وإنْ أتتكَ أمورٌ لم تُعِدْ لها	فانهضْ برأيك بين الرَيْثِ والعجل
أقدمْ على عَجَلٍ وارغبْ على زهد	واغلظْ على رقة واسفرْ على خجل ^٣
حاز المؤيدُ ممّا قلتُ أفضلَه	وزاد للفرق بين القولِ والعمل

وهذا البيت الأخير مما بعدَ شأوهُ ، وفات سرّوهُ ، وتجاوز أكثر
الحدِّ عقّوهُ .

مَلِكٌ تَوَاصَلَهُ الدُّنْيَا ويهجرها	سَرّاً وَيَلْبِسُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْحُلُلِ
لَا تَحْمَدُنْ زُهْدَ مَنْ لَمْ يُعْطَرْ غَيْبَتُهُ ^٤	لَعَلَّةٍ غَضٌّ مِنْ جَفْنِيهِ ذُو الْحَوَلِ
وَكَمْ لَهُ سُنَّةٌ ضَاءَ الزَّمَانُ بِهَا	ضَوْءاً بِلَا لَهَبٍ كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ
تُعْطِي الْهَوَاءَ وَمَتْنُ الْأَرْضِ غَرْثَهُ	نُوراً وَتَوَرَّأَ عِطَاءُ الشَّمْسِ فِي الْحَمْلِ

وهذا البيت لحسان من حسنات شعره ، وأبين آياتِ ذكره ، فيه توليدٌ ،
شَهِدَ أَنَّهُ شَاعِرٌ مُجِيدٌ :

١ منها أبيات في المغرب والمسالك والرايات .

٢ ط م د : أغرتك ؛ س : أعزتك .

٣ في الأصول : واغلظ على رقة وارغب على زهد ، والتصويب من المغرب .

٤ الرايات : قدرته .

تَنَاهُ عِفَّتُهُ عَنْ أَمْرِ بَطْشَتِهِ . فالمشتري عنده قاضٍ على زحل
وهذا البيت أيضاً من ملبح المنظوم ، وله اختصاصٌ "حَسَنٌ" بأحكام
النجوم ؛ ومنها :

يَطْنُوِي عَلَى نُورِ إِيْمَانٍ جَوَانِحَهُ فالنفسُ من كوكبٍ والجسم من رجل
لَمْ يَتَّقْ يَوْمًا وَلَا أَحْلُولَ لِمُسْطَرِّ وإنما هو بين الصَّابِ والعسل
جَرَّ الذِّبُولَ وَلَكِنْ مِنْ جَحَافِلِهِ على القِتَادِ وَلَكِنْ مِنْ شِبَا الْأَسْلِ

وهذا البيت أيضاً مما برز في لفظه ومعناه ، وأراده كثير من الشعراء
فأعياه :

فَلَمْ يَطًّا غَيَّرَ مَا نَحْكِي شِمَائِلُهُ مع الجزالةِ من سَهْلٍ ومن جَبَلٍ
جَلَالَةُ أَدْخَلَتْ أَمْلَاكَ أُنْدَلُسِ تحت الخنَاعةِ والإِحْجَامِ والفِشْلِ
كَأَنَّ مُلْكَكَ أَسْنَى مِنْ مَمَالِكِهِمْ وَأَنَّ دَوْلَتَكَ الْعُلْيَا عَلَى الدُّوَلِ
لَمَّا دَعَا الْغَادِرُ الْمَضْعُوفُ قَالَ لَهُ أَخُوهُ عَنْكَ : أَخِي لَا تَبْكُ فِي طَلْلِ
صَفَحْتَ عَنْهُ لَأَمَالٍ لَهُ سَلَفَتْ وَرَبَّمَا كُرْهُ التَّفْصِيلِ لِلْجَمَلِ
قَدْ يَدْخُلُ الْمُسْلِمُ الْمَخْطِي الْجَنَانَ غَدًا بِنَيْتِي أُرْتَجِي الْغَفْرَانَ لَا عَمَلِي

وهذا البيت مما خلص فيه بقبينه ، وَحَسُنَتْ بِخَالِقِهِ ظَنُونُهُ ، وَعَسَى
اللهُ أَنْ يَلْقِيَهُ مَا لَهَا ، فَرَبٌّ مَرْحُومٌ بِكَلِمَةٍ قَالَهَا .

وما أحسنَ أيضاً ما أنشدته للحسن بن رشيْق ١ ، وقد مُنِّحَ من التوفيق

لسلوك هذه الطريق :

إذا أتى الله يومَ الحشرِ في ظللِ
وحاسبَ الخلقَ مَنْ أَحصى بقدرته
ولم أجدْ في كتابي غيرَ سِتَّةِ
رجوتُ رحمةَ رَبِّي وهي واسعةٌ
وجيءَ بالأممِ الماضينَ والرُّسلِ
أنفاسَهُمْ وتوفاهُمْ إلى أجلِ
تسوعني وعسى الاسلامُ يسلمُ لي
ورحمةُ الله لي أرجى من العملِ [١٨٥]

وفي هذه القصيدة يقول^١ حسان :

لولا الكتابُ لم تنظم مواكبها
من كلِّ مُعْتَقِلٍ بالبأسِ مَخْطِطِ
يقودهم من بني قحطانَ ذو بدعِ
ينبيك سؤدَدُهُ عن صَيْدِ معشره
لا تعجبَنَّك عُلْيَا لا قديمَ لها
بيضُ^٢ يمانون إن سَلُّوا بمانيةً
وكم جَلَّوْا بالندى من ليلِ مُفْتَقِرِ
إذ كلُّ نابتةٍ شوكٌ بلا ثَمَرِ
طلبتُ مثلَهُمْ في غيرِ حَيْثُهمُ
ما زال يندى على كَفِّي بنائيلهِ
مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ أَنِي نظمتُ لها
شكراً ذكرتُ به من جودِهِ سَرَفاً

نَظَّمِ العُقودِ لكانَ^٢ الدهرُ ذا عطلِ
للعزمِ ، مدَّرِعٍ للحمزِ مشتملِ
من الندى والمعالى لا من النحلِ
فليس يُزْرِي أخيرُ المجدِ بالأولِ
ولا تَحُلُ غُرَّةٌ ما ابيضُ بالكفلِ
لم يُعرفِ السيفُ في الهيجا من الرجلِ
كأنَّه دَمْعَةٌ في جَفَنٍ مكتحلِ
وكلُّ طائِرةٍ شَوْرٌ بلا عسلِ
فلم أجدُ غُرَرَ الأفراسِ في الأبلِ
حتى مسحتُ على عينيَّ من بللِ
شكراً جعلتُ قوافيه من القبلِ
كأنه مُفَرَّغٌ في قالبِ العذلِ

١ م : يقول فيها .

٢ س : وكان .

لعلَّ عذري في ذا الغزو قد عُرِفَتْ أسرارُهُ بلسانِ صادقٍ مَدَلٍ
وما الحروبُ ومثلي أنْ يشاهدَها وإنما أنا حَسَّانٌ وأنتَ علي

قال ابن بسّام : وأظنُّ حَسَّاناً هذا لم يكنْ له علمٌ بالسَّير ، ولا
تصرفٌ بعلمِ الخبر ، وقد رأيتُ جماعةً من أهلِ الأدبِ ينسبون حَسَّانَ
ابن ثابتٍ رحمه الله إلى الجبن ، ويخرجونه من أهلِ الضربِ والطعن ، يحتجّون
في ذلك بعوده عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في مغازيه وسراياه ،
وينشدون له في ذلك شعراً أظنهم نخلوه إياه ، وهي هذه الأبيات على رواية
بعض الرواة^١ :

أيها الفارسُ المشيخُ المَطيْرُ إنَّ قلبي من السلاحِ يطيرُ
ليس لي قوّةٌ على رَهَجِ الخيْلِ ل إذا ثَوَّرَ الغُبَارَ مثيرُ
أنا في ذا وعند ذاك بليدٌ وليبٌ في غيره نحريرُ

ولا أمتري أنها منحولةٌ إليه ، ومفتعلةٌ عليه ؛ وبلغ من حججهم على
ذلك حديثه في شأن اليهوديِّ يوم الأحزاب^٢ المطيفِ بالأطَمِ الذي كان النبيُّ
صلى الله عليه وسلم ، أحرز فيه النساء والأبناء ، وإن حساناً حضَّ صفيةَ
بنت عبد المطلب على قَتْلِهِ وأخذ سلاحه ، ويقولون لم تَكُنْ به قوّةٌ
على سلبه ، فضلاً عن حربهِ ، وذهب عليهم أن حساناً ، رحمه الله ، كان

١ لم ترد هذه الأبيات في ديوان حسان .

٢ انظر هذا الخبر في السيرة ٢ : ٢٢٨ والإصابة ٢ : ٨ وفيه قول حسان عندما حفته صفية
على قتل اليهودي : « يفتخر الله لك يا ابنة عبد المطلب ، والله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا »
وقوله بعد أن قتله وحرسته على سلبه : « ما لي بسلبه من حاجة . . . » .

قد أصيب في بعض حروبهم في الجاهلية ، فقطع أكحله ، وفي ذلك يقول ^١ :

• وخان قراع يدي الأكحل •

ومن أدل شيء على ذلك أنه هاجى في الجاهلية والإسلام أكثر من ثمانين شاعراً ، لم يصفه أحد بالجن ولا غيره به ، ولم يكن شيء يتعابرون به أشد . ولحسن أيام مشهورة ، ومواطن في الحروب مذكورة ، وكان ممن له كنيستان في السلم والحرب ، كما كان الأبطال تفعل على عهده ، كان يكنى في السلم بأبي الوليد ، وفي الحرب بأبي نعامة ^٢ .

وقد أولع ابن المصيصي [٨٥ ب] بهذا المعنى فأعاده وأبداه ، وألحمه وأسده ، وأعجبه ما اتفق له منه ، حتى أخرجه إلى ما كان في مندوحة عنه ، والشعر ميدان ربما دعا الأرن إلى المراح ، وأخرج السابق إلى الجماح ، فقال من قصيدة يمدح بها المعتمد ، وذكر نفسه وابن عمّار :

كأن أبا بكرٍ أبو بكر الرضى وحسانٌ حسانٌ وأنتَ محمدٌ ^٣

فأراد أن يُعرب فأعجم ، وأحب أن يضيء فأظلم ، ونعوذ بالله من الخلط في القول ، ونبرأ إليه من القوة والحول .

١ ديوانه ١ : ٤٣٢ وصدر البيت : « أضر بجسمي مر الدهور » .

٢ كان حسان يكنى أبا الوليد - وهي الأشهر - وأبا المضرب وأبا الحسام وأبا عبد الرحمن ؛ ولم أجد أحداً ذكر له كنية في الحرب ؛ وأبو نعامة كنية قطري بن الفجاءة ، ولا مانع من أن يتكنى بها غير واحد من الناس .

٣ إزاء البيت بهامش ط تعليق بخط الأصل ، وهو : يا مصيصي لقد أفرطت ، وفي قبيح القول تورطت ، وفي التأدب فرطت .

وقول ابن المصيصي : « مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ » ... البيت كقول ابن عبدون :
 بَلِّغْ سَلامَ فَمِي يَدَيَّ مَلِكٍ غَابَ الْمَلُوكُ عَنِ الْعَلَا وَشَهِدَ
 وَكَوَّرَهُ ابْنُ عَبْدِونٍ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ ، فَقَالَ :
 وَبَلِّغْ عَنِ فَمِي يَدَهُ سَلاماً كَمَا أَدْنَى الْأَزَاهِيرَ الرَّبابُ
 وقول حسان : « وَيَلْبِسُ تَقْوَى اللَّهِ فِي الْحَلَلِ » لفظ أبي الطيب :
 • وَكَسَانِي الدَّرْعَ فِي الْحَلَلِ •

وقوله : « لَا تَحْمَدُنْ زَهْدَ مَنْ لَمْ يُعْطَ رَغْبَتُهُ » ... البيت ، معنى
 قد أَكْثَرَ النَّاسُ فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ لِحَسَانِ فَضْلٍ بَزِيَادَةِ التَّشْبِيهِ ؛ وَمَنْ مَشْهُورُهُ
 قول حبيب ^٢ :
 إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَزْهَدْ وَقَدْ صُبِّغَتْ لَهُ بَعْضُفُهَا الدُّنْيَا فَلَيْسَ بِزَاهِدٍ
 وقد أَحْسَنَ فِيهِ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ ^٣ :
 وَالظُّلْمُ فِي خُلُقِ النَّفُوسِ فَإِنْ تَجَدَّدَا عَفَّةً فَلَعَلَّةً لَا يَظْلَمُ
 وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ عَصْرِي :
 تَوَرَّعُوا بَيْنَ لَا عِزٍّ وَلَا ظَفَرٍ وَأَكْثَرُ الضَّعْفِ مُحْسَبٌ عَلَى الْوَرَعِ

١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ وأول البيت : جاد الأمير به لي في مواهبه ، فزاتها ...

٢ ديوان أبي تمام ٢ : ٧٣ .

٣ ديوان المتنبي : ٢١٩ .

٤ د : لا عزوا ولا ظفروا ؛ م س ط : ولا ظفروا .

وقوله : « كالشمس في الطقل » معنى بين النقصان ، قصير الباع في مدى الإحسان . وفيه نقد أعرب عنه بعض أهل زماننا ، ومن في طبقة ديواننا . وهو أبو حاتم الحجاري^١ ، وزاد فيه بقوله :

فكفى من الدينار صُفْرة وجهه الشمس صفرتها من أجل زوالها
وقد نقله بعض أهل عصري إلى النسيب ، فقال :

يَعْيُونَهَا عِنْدِي لَصْفَرَةٍ وَجْهَهَا فَقُلْتُ الْمَرْقَلِيَّاتُ^٢ أَوْجْهَهَا صَفْرُ

وقوله للمعتمد : « فلم يظأ غير ما تحكي شمائله » . . . البيت ، أرى حسناً مما بلّغ فيه سبْرُهُ ، وَوَقَعَ طَيْرُهُ . هذا يظأ المعتمد فليت شعري ما يظأ غيره ؟ !

وقوله : « من كل معتقل بالأس مخترط » . . . البيت من التقسيم^٣ المليح في القريض : الذي كثيراً ما يتفق في هذه العروض ، وهو شبيه بقول أبي سعد المخزومي^٤ :

وما يريدون لولا الحين من رجل بالليل مدّرع بالجر مكتحل
وشبيه أيضاً بقول أبي تمام^٥ :

١ ترجمته في القسم الثالث : ٦٥٢ .

٢ المرقليات : الدناير .

٣ المعتمد . . . التقسيم : سقط من م .

٤ السط : ٧٦٦ وزهر الآداب : ٣٣٠ والمختار : ٨٠ ، وديوان أبي سعد : ٥٢ .

٥ في النسخ : الجبن ، وهو ما في زهر الآداب أيضاً .

٦ ديوان أبي تمام ١ : ٦٣ .

تدبيرٌ معتمٍمٌ ، بالله منتقمٌ في الله مرتقبٌ ، الله مرتقبٌ^١

إلى غير ذلك ممَّا لا يُحصى ، والإحاطة لله تعالى .

وقال حسَّان من قصيدةٍ أولها^٢ :

وياضَ أباديكَ تحكي الصفاحُ	ومثلَ نفاذكَ تحنو الرماحُ [١٨٦]
وأنبَتَ ^٣ الحربُ شوكَ القتادِ	وفتَحَ ^٤ الوردُ فيها الجراحُ
وكم لك في السلم وجهٌ حيٌّ	وكم لك في الحرب وجهٌ وقاح
فما غيرُ أصلك عودٌ نضارٌ	ولا غيرُ لَحْمِكَ حيٌّ لقاحٌ
فجودك صِرْفٌ عداهُ المزاجُ	وطبعك جدٌ عداهُ المزاجُ
فلو كان خَيْمُكَ من ماءٍ كرمٍ	لما شابهُ فيك ماءٌ قراحُ
ألم ترَ غادِرَ أسطبةٍ ^٥	حوَى الخُسْرَ صَفْقَتَهُ لا الرباحُ
سيدعى براقشَ أصحابه ^٥	فقد دلَّ منه عليهم نُباحُ
فداسوا على قِصْدِ الذابلاتِ	تبكي دماءٌ عليها الصفاحُ
وغشى الحمامُ برقصِ الرؤوسِ	ولذَّ اغتباقُ وطابَ اصطباحُ
أبْحَفَى عُلَاكَ على ذي جفونٍ	ويطمعُ يبدو إليه الصباحُ
ولما زَجَرْتُ بذكركَ شعري	تبينَ يَنْشَالُ فيها المراحُ

١ الديوان : لله مرتقب في الله مرتقب .

٢ منها أبيات في المسالك وبينان في تمام المتن : ٢٩٠ .

٣ م س ط : فانبئت .

٤ اسطبة أو اصطبة (Estepa) على بعد ٢٣ كم إلى الشرق من أشونة (Osuna) وتقع

ضمن ولاية اشبيلية (الروض رقم : ١٨) .

٥ فيه إشارة إلى المثل : « على أهلها دلت براقش » .

ولولا أياديك خابت يدي
برقة معناه يسري كلامي
وجدتُ معاليك أصلاً لشعري
لك الفضل أن طاب شكري ونشري
ولم يور من زندي فكري اقتداح
إذا الخصر رقَّ يجول الوشاح
وهل نُظِمَ الدر لولا النصاح^١
بطيب الرياض تفوح الرياح

وله فيه^٢ أيضاً من قصيدة^٣ :

ليس العلا إلاً على كرم
من لحم أصلك يا مملوك أم
كأسُ المسرة^٤ قد سكوت بها
شيد في الوغى لك منزلاً خشناً^٥
ودع الرياض لمن يلد بها
أذكي من الآسِ النضير قناً
إنَّ النطاح من الورى خلق^٦
أيقوم خطاً ما له سَطْحُ
في الخط تبتك أيها الرمح
والحد يلزمني متى أصحو
لا يهلك الديباج والصرح
ما إن لغير مكارم نفع
وأنم من ورد الربى جرح
حتى الكواكب بينها النطح

قال أبو الحسن : وهذه المقطوعة له من التحريض الحسن ، لولا اعتراض
المقادير أن تمر^٦ بأذن .

١ النصاح : السلك يخاط به .

٢ فيه : سقطت من م س .

٣ وردت الأبيات في المسالك ، وانظر الغيث ٢ : ٦٠ .

٤ م : المضرة .

٥ المسالك : حسناً .

٦ م ط : ثم .

وقال فيه من أخرى^١ :

غنى الحمام ولو رأيَ نَاحا وأعارني نحوَ الحبيبِ جَناحا
ونعم كلانا فاقدُ محبوبه^٢ قَلِقٌ ، ولكني كتمتُ وباحا

ومنها :

ثم انفى ليعلني ريقاً ومَن^٣ قد مات سكرأ كيف يشربُ راحا
فعمفتُ عن رشفي مُدامَ رضابه وجنيتُ من وجناتِهِ التفاحا
وثلاثة خالطتُهَا بثلاثة^٤ ما ينشقُّ منه المتيمُّ فاحا
المسكُ والشعرَ المملُخَ والدُّجى والوجهَ والكافورَ والإصباحا [٨٦ب]
ليس الملاحه في الوجوه نروفي يوماً إذا الأخلاقُ كُنَّ قباحا
سبحانَ مَنْ خَصَّ المؤيدَ بالعلا كلاً وعمَّ بحبه الأرواحا
ملأتُ بطاعته القلوبَ أناته^٥ أضعافَ ما ملأتُ لهُاهُ الراحا
يا أهلَ قرطبة اغرفوا من بحره فلطالما خضخضتم الضحَضاحا
هل لي إلى الشعراء من ذنبٍ سوى سبقي إلى عليائك المداحا
ومناذبِ ناءٍ حذرتُ أناته^٦ ما غرَّني أمّا أقي وانزاحا
لا تأمننْ مكرَ العدوِّ لبعده إنَّ امرأَ القيسِ اشتكى الطمّاحا^٧

قال ابن بسّام : وخبر الطمّاحِ على ما ذكره الرواة : رجلٌ من بني

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٠ .

٢ المسالك : نحو الديار .

٣ ورد هذا البيت في النفع ٤ : ٣٠٧ .

٤ م س : ذكره .

أسد كان امرؤ القيس قتل أخاه ، فلماً توجه إلى أرض الروم مع صاحبه عمرو بن قميئة الذي يقول فيه ^١ :

• بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونه •

ووصل إلى قيصر وأكرمه ، ووجه معه جيشاً فيه أبناء الملوك ، فلما فصل أتى الطمّاحُ فوشى ^٢ به إلى قيصر ، وقال : إنه أعرابيٌّ عاهر يشبُّ بابتك في شعره ، ويشهرها عند العرب ، فبعث إليه قيصرُ بحلّةٍ منسوجةٍ بالذهب مسمومة ، وقال : إني أرسلتُ إليك بحلّتي تكرمةً ، فالبسها باليُمْنِ والبركة ، فسُرَّ بذلك ولبسها ، فأسرع إليه السم ، وسقط جلده ، ولذلك سُمّيَ ذا القروح ، وقال في ذلك ^٣ :

لقد طمع الطمّاحُ من بُعدِ أرضه ليُلْبِسني من دائِه ما تلبّسوا
ولو أنها نفسي تموتُ جميعةً ولكنها نفسٌ تساقطُ أنفسا
وقد كرّر معني هذا البيت وأوجزه بقوله ^٤ :

• وإن كنتِ قد أزمعتِ قتلي فأجملي •

أي اقتليني جملةً ولا تنوعيه . وإلى هذا المعنى ينظر من طرف مريب ،

١ ديوان امرئ القيس : ٦٥ ، وعجز البيت « وأيقن أنا لاحقان بقيصر » .

٢ في النسخ : يوشى .

٣ ديوان امرئ القيس : ١٠٨ ، ١٠٧ .

٤ ديوانه : ١٢ و صدر البيت : « فأظلم مهلاً بعض هذا التدلل » .

قولُ عبدة بن الطيب^١ :

فما كان قيسٌ مُلكهُ مُلكَ واحدٍ ولكنّه بنيانُ قومٍ تهما

هذا على تفسير مَنْ جَعَلَ مُلكهُ مُلكَ جميعٍ من اتبعه وعاش
في رِفْدِهِ ، كما قال الآخر :

ولكنّ الرزية فَقْدُ قَرْمٍ يموتُ لموته خلقٌ كثيرٌ^٢

وأبينُ منه وأولى بقولِ امرئ القيس قولُ المجنون^٣ :

وعروة مات موتاً مستريحاً وها أنا ميتٌ في كلِّ يومٍ

لا بلْ أَشْبَهُهُمْ عِنْدِي بقولِ امرئ القيس ذي القروح ، قولُ قيس
ابن الذريح^٤ :

تساقطُ نفسي حينَ ألقاكِ أنفساً يَرِدُنَ فما يَصْدُرُنَ إلا صواديا

وتمام الحديث عن امرئ القيس أنه رأى هنالك حين احتضِرَ قبرَ امرأة
من بناتِ الملوك ، في سَفْحِ جبلٍ يقال له عسيب ، وأخبر بقصتها فقال^٥ :

١ انظر البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣ ، ٣ : ١٨٨ وعميون الأخبار ١ : ٢٨٧ والحماسية رقم :
٢٦٣ والأغاني ١٠ : ٢٠٢ .

٢ ورد البيت للمليل بن الدهقانة التغلبي في الحماسة البصرية ١ : ٢١٢ ومعجم المرزباني : ٤٤٥
ونسب في الأمالي ١ : ٢٧٢ لأعرابية ، وفي البيان والتبيين ٢ : ٣٥٣ ورد البيت التالي دون نسبة :

إذا ما مات مثلي مات شيء يموت بموته بشر كثير

٣ ديوان المجنون : ٢٥٦ .

٤ الأغاني ٩ : ٢٠٠ .

٥ ديوان امرئ القيس : ٣٥٧ ومادة « عسيب » في معجم ياقوت .

أجارتنا إنا غريانِ ها هنا وكلُّ غريبٍ للغريبِ نسيب
ومات فدفن إلى جنب^١ تلك المرأة . وروي^٢ أن امرأ القيس دفن بأنقرة
الروم ، وأنهم اتخذوا صورته كما يفعلون بمن يعظمونه . وحدث المأمون أنه
مرَّ بأنقرة ورأى صورةَ امرئ القيس قال : فلذا رجلٌ مَكَلَّثَمُ الوجه ،
يريد مستديره ؛ وقيل المدفون بعسيب صخر أخو الخنساء^٣ ، وهو القاتل :
• ولاني مقيمٌ ما أقام عسيب •

رجع :

وقال حسان بن المصيصي^٤ :

روضُ الشبابِ تناوبتْ أزهارُهُ وليَّ بنفسجِهْ وجاءَ بهارُهُ [٨٧ أ]
ودَّ المها^٥ لو أنَّ أسودَ لحظه^٦ أضحى خضاباً حين شابَ عذاره
قد كان يعجبهنَّ خِفَّةُ حلْمِه فالآن ساءَ الغانياتِ وقاره
تركَ الذي اشتملَ الكتيبَ لإزارها منه الذي اشتملَ العفافَ لإزاره

ومنها :

إنني على هذا لأسمعُ بالصبا فيسرتني ممن صَبَا^٧ أخباره

١ م : جانب .

٢ انظر هذا الخبر في معجم ما استمع ١ : ٢٠٤ (مادة : أنقرة) .

٣ معجم ما استمع ٣ : ٩٤٣ وابن خلكان ٦ : ٣٤ .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٠ - ٤٣١ .

٥ د : امرؤ .

٦ ط م : لحظه .

٧ المسالك : فيسرتني متحلاً .

وأَمِيلُ نحوَ الروضِ فارقهُ الحيا
وَكأَنَّمَا خدُّ الحبيبِ شقيقُهُ
فكَأَنَّنِي ممَّا ظمئتُ وشاحُهُ
جِنًّا فدمعُ إثره نُواره
خجلانَ أو وَجْهُ المحبِّ عواره
وَكأَنَّنِي ممَّا شَرقتُ سواره

ومنها في المدح :

هو أَعرفُ الكرماءِ ، إن سَمَّيْتَهُمُ
لَا تَعْدِلْنَهُ عَلَى إِهَانِهِ اللّٰهِي
لَا تَغْتَرَّرْ بِالْبَشْرِ مِنْ سَطَوَاتِهِ
يَأْبَى لِمَوْلَايَ الْهَوَانَ وَظَلَمَهُ
لَا يَسْتَطِيعُ النِّكَسُ يَنْطِقُ بِاسْمِهِ
قُلْ لِلْمُؤَيَّدِ إِذْ تَقَبَّلَهُ ابْنَهُ
يَحْكِيكَ فِي شَأْوِ الْعَلَاءِ وَإِنَّمَا
إِنْ تُمَضِّيه رَحْمًا فَأَنْتَ وَشَيْجُهُ

وقال يداعبُ ابنَ جمهور^١ :

شكوت إليه بفرطِ الدَّنْفِ
وقال الشهود على المدَّعي
فأنكرَ من علَّتي ما عَرَفَ
وأَمَّا أَنَا فعليَّ الحلف

١ لم يرد البيت في م ط س ، وقصة عرار التي أرادت زوج أبيه إهانة فامتص أبوه لذلك ،
تحدث عنها الحماسية :

أرادت عراراً بالهوان ومن يرد عراراً لمعري بالهوان فقد ظلم
٢ انظر الخريدة ٣ : ٥٨٨ والمسلك السهل : ٤٣٥ ووردت الأبيات في زاد المسافر : ١٤١
والوافي للرندي : ٣٠ والنفع ٣ : ٣٨٢ منسوبة لأبي عبد الله محمد بن الفراء الأحمي ، وفيها
زيادة على ما هنا ، واختلاف في الختام .

فجئنا ابنَ جمهورٍ المرتضى فقيهَ الملاحِ وقاضيَ الكلَف^١
وكان بصيراً بنكم الملاحِ ويعلم^٢ من أين أكلَ الكتف
فأومى إلى الخلد أن يجتنى وأومى إلى الرقيق أن يرتشف
وقال له جاهداً في انتصافي دعوا يا مخانيثُ هذا الصلف
كذا تقتلون مشاهيرنا إذا مات هذا فأين الخلف ؟ !

وأرى حسناً أراد أن يسلكَ من هذه السبيل ، مَسْلُكَ ابنِ معمرٍ
جميل ، في قصيدته حيث يقول^٣ :

وقلتُ لها : اعتديتِ بغيرِ جُرمٍ وغبُ الظلمِ مرتعهُ وبيل^٤

فجاء بين الشعرين ما بين الشاعرين ، وبين القطعتين ما بين الزمانين ؛
على أنَّ محاسنَ حسانٍ كثيرة ، وحسناته مشهورة ، وإنَّما ألمتُ منها بقليل ،
لزهدى في التطويل .

١ روايته في زاد المسافر والوافي والنفع : فجئنا إلى الحكم الألمي شيخ المجون وقاضي الظرف .

٢ م س : يعلم .

٣ ديوان جميل : ١٦٤ .

٤ الديوان : فقلت له قتلت .

٥ د : وخيم .

ومنهم الوزير اتفقيه أبو بكر بن الملح^١

قال ابن بسّام : وأبو بكر ، -فرد من أفرادِ العصر ، وهو من بيت أصالة ، وبجوحة جلاله ، وفارسُ ميداني الزهد والبطالة ، وشاعرُ ناد ، وخطيبُ أعواد ، غبّر صدرأ من زمانه لا يحفلُ بعاذل ، ولا يُصغي في الفتوةِ إلى قولِ قائل ، وكان في ذلك أحسنَ من التوريد في الخدّ ، وبمكان الحلمة من النهد ، والدينُ في أثناء [٨٧ ب] تلك الوهلة ، وبين خصاصات تلك الغفلة ، يستطيلُ غَيْبَتُهُ ، وينتظرُ أَوْبَتُهُ ، فلما أقصرَ باطله ، وأسمعه عذّاله وعواذله ، تلقّاه باليمين ، واشتراه بالثمنِ الثمين ، فأصبح سجيرةً عَنزرةٍ ومنبر ، وأمسى سَميرَ مصحفٍ ودقتر ، وفي ذلك يقول من أبيات :

وكنْتُ فتي الكاسِ عهدَ الشبابِ فصيّرنِي الشيبُ شيخَ الدعاءِ

ومُدَّ لأبي بكر هذا في العمر وعاش إلى وقت تحريري هذا المجموع سنة خمسماية ، وتوفي رحمه الله في شهر رمضان منها ؛ وقد أثبتُ من شعره ما يملأ الأسماع بياناً . ويبهز الطباع حسناً وإحساناً .

١ هو أبو بكر محمد بن اسحاق اللخمي من أهل شلب يعرف بابن الملح وابن الملاح ، كان له ابنان هما أبو القاسم أحمد وأبو محمد عبد الملك وقد رويَا عنه . (انظر ترجمته في الذيل والتكملة ١١٨ : ٦ والتكملة : ٤١٤ والمغرب ١ : ٣٨٣ والرايات : ٢٧ (غ) والقلائد : ١٨٧ والنفع ٤ : ٧٠ ، ١٤٨ ، ٢٦٣ ، ٣ : ٤٦٦) ؛ وفي ترجمة ابنه عبد الملك انظر الذيل والتكملة ٥ : ٣٢ والتكملة رقم : ١٧٠٥ وأما في ترجمة ابنه أحمد فانظر الذيل والتكملة ١ : ٤٠٠ والتكملة : ٥١ ، وكان أحمد هذا ريان من الأدب شاعراً ، ولي الصلاة والخطبة بجامع بلده زماناً ، وعن أحمد وعبد الملك يروي أبو بكر ابن خير ، وقد مر لأحمد هذا شعر في النفع ٤ : ٧١ والمغرب ١ : ٣٨٤ وفي أخباره ما يشير إلى أنه انقلب بعد العفة إلى الانحلال وتزوج امرأة كانت ترقص في الأعراس باشبيلية .

ما أخرجته من شعره في النسيب وما يناسبه

قال ١ :

حَسِبَ القومُ أني عنكَ سالي أنت تدري سريري ٢ ما أبالي
قمرِي أنت كلَّ حينٍ ٣ وبدري فمتى كنتَ قبلَ هذا هلالي
أنت كالشمسِ لم تَغَيَّرْ ٤ ولكن حُجِيتَ ليلها حِذارَ المللِ
ما مللنا فكان ذا غَيْرَ أنا قد حسبناه من صروف الليالي

وقال ٥ :

ظبي بموجِ الهوى بناظره حتى إذا ما رنا ٦ به انبعثا
مبتدع البخلِ ٧ لا كفاءَ له يعدُّ شكوى صبايَ رفا
أنكرَ سُقْمِي وما قصدتُ له وما تعرَّضتُ للهوى عبثا
أقسمَ في الحبِّ أن أموتَ به فما قضى بِرَّه ٨ ولا حتثا

وقال :

حبيبِ إلينا أنْ نراكَ على طيبِ حراماً بشربِ الراح من كلِّ تأنيبِ
تُكسِّبُكَ الصهباءُ فَضْلَ خلائقِ وعندك فَضْلٌ آخرُ غيرُ مكسوبِ

١ منها ثلاثة أبيات في الحريدة ٣ : ٤٦٧ والقلائد : ١٨٨. (وبيتان في المغرب ١ : ٣٨٤) .

٢ أصل ط والقلائد : صباي؛ الحريدة والمغرب : قضيتي .

٣ المغرب : كل يوم .

٤ القلائد : لم تغب لي .

٥ انظر القلائد والحريدة .

٦ القلائد والحريدة : رمى .

٧ القلائد والحريدة : الخلق .

ومن قصائد ابن الملح المطولات^١ في المدح

قال من قصيدة في المعتمد أولها^٢ :

سَكَنَ اشْتِياقُكَ ما عدا عمًّا بدا
لم يُطْفِئَ وَجْدُكَ إِنَّمَا هي شِعْلَةٌ
والعَضْبُ يَسْتَرُهُ القِرَابُ وربما
والروضُ يبعثُ بالنسيم كأنما
سكرانُ من ماءِ النِّعَمِ وكلَّما
يأوي إلى زَهْرٍ كانَ عِيونُهُ
زَهْرٌ يفوحُ به اخضرارُ نباتِهِ^٣
وبييت في فتنٍ توهَّم ظِلَّهُ
قد خَفَّ^٤ موقعُهُ لديه وربَّما
أعلى محلَّ الشعر أنَّ قصائدي
خَطَبَتُهُ تَرَكِبُ بطنَ كَفِّي منبراً
أثقلتُ أعناقَ المآربِ لؤلؤاً

أرَوَيْتَ أم خَمَتِ الخطوبُ الوردا
كالسيفِ جَرَدَهُ المقام وأغمدنا
خَشْنَتُ مضاربه الرقاقُ من الصدا
أهداه يضربُ لاصطباحك موعدا
غَنَاهُ طائرُهُ وأطربَ ردُّدا
رُقْبَاءُ تقعد للأحبة مَرَصدا
كالزُّهْرِ أسرجها الظلام وأوقدا
بالصُّبح في عَيْنِ القَرارةِ^٥ مرودا
سمع النسيم بعطفه فتأودا
جَعَلْتَ مديحك بالمعاني مقصدا [١٨٨]
وَدَعَتِكَ تعمُرُ ظَهْرَ كَفِّكَ مسجدا
وملأتَ آفاقَ البصائر إثمدا

١ د ط : المطولة .

٢ منها ستة أبيات في كل من الحريدة والقلائد والريحان ١ : ١٥٧ / أ وأربعة في المغرب .

٣ المغرب : بناته .

٤ ط د : فتن .

٥ القلائد والحريدة : يسمي ويصبح في القَرارة .

٦ ط د س : حف .

كم قد ركبْتُ إليكَ كاهلَ همةٍ كادتُ تغالطُ في أخيهِ الفرقدا
أبغنيَ لديكَ العيشَ أخضرَ يانعاً فأجوبُ جنحَ الليلِ أسفَعَ أسودا
يقظانَ تحسبني الكواكبُ ناظرًا فيها يراقبُ للغزاةِ مولدا
وإذا تكتنَّفني النهارُ لبستهُ وهجاً لفوحاً أو سراباً مزبدا
رطب الجوانح في اليبابِ كأنما اس تهديتُ في الماء الخفي الهدهدا

قال ابن بسام : لو قطع المفازة التي اهتدى فيها أصحابُ رسول الله ،
صلى الله عليه وسلم ، بيت الضليل حيث يقول :

تيممتِ العينَ التي عند ضارجٍ بغيءٍ عليها الظلُّ عَرَمَضُها طامي¹

ما زاد على ما وصَفَ ، فكيف في رُقعةٍ من الأرض مساحتها يومان ،
لراكبٍ أتان ، أكثر بلادِ الله ماءً ، وأرطبها هواء ، إلاَّ أَنَّهُ والله قال
فأجاد ، وخيَّلَ فسحر وزاد . وليس هذا البيت في شعر امرئ القيس في
أكثر الروايات . وفي العرب عشرة رجال يسمون كلهم بامرئ القيس .

وروى ابن الكلبي قال : جاء قوم إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فضلُّوا
في طريقهم ووقفوا على غير ماء ، فمكثوا ثلاثاً لا يقدرون على الماء ، فجعل
رجلٌ منهم يستدري² فروعَ السَّمَرِ والطلح ، فبينما هم كذلك إذ أقبل رجل
راكبٌ على بغير ، فأنشد بعضُ القوم بيتَ امرئ القيس المتقدم الذكر ،
فقال الراكب : ما كذب ، هذا والله ضارجٌ عندكم ، وأشار إليه ، فأتوه ،

١ انظر مادة « ضارج » في معجم ما استعجم والروض المطار .

٢ م : يستدر ؛ ط : يستدير ؛ د : يستدر .

فإذا ماء غَدَقٌ قد غَطَّاهُ العَرَمَضُ ، والظلُّ بغيءٌ عليه ، فشربوا منه وارتووا . فلمَّا بلغوا النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم ، وأخبروه القصة ، قال لهم : ذلك رجلٌ مذكورٌ في الدنيا شريفٌ فيها . خاملٌ في الأخرى منمسيٌ فيها ، يجيء يومَ القيامة معه لواءُ الشعراء إلى النار .

وقال ابنُ الملح من أخرى في المعتضد بالله :

نشرتُ للحمدِ طيباً عن شَذَا نَفَسٍ	بعثتُهُ عن ضميرٍ غيرِ مُتَّهَمٍ
فتورَّتْ بالقوافي روضةٌ أنْفُ	في تربةِ العقلِ تُسْقَى وابلَ النعم
ليَ الثوابُ فلم أرجعْ لمشكلةٍ	عن اليقين ولم أعكُفْ على صنم
لي همةٌ ما يزالُ الدهرُ يطلبُها	وما تزالُ من التأملِ في حرَم
وما تحمَّلتُها في ظهرٍ فاحشةٍ	ولا وقفتُ بها في برزخِ التهم
ما لي وللناسِ عَمَّتْ لي منابثهم	تباينَ اللبسِ بين الآسِ والسَّلَم
تمزَّقتْ بردةُ الإنصافِ بينهم	في منكبي ولم تُضَفِّطْ بمزدحم
ليُقصِرَ الدهرُ خصمي لستُ مكرثاً	من الحصوم وفي بيتِ الندى حكى

وله فيه من أخرى :

قد صيرتُ في أخرى المقاصدِ فأنصرف	وشرعتُ في شتى المواردِ فاصدُرُ [٨٨ب]
واخترتُ لهذا الدرَّ أجباد العلاء	يزدُنْ فحُسْنُ الجيدِ زينُ الجوهرِ
واشهدُ صروفَ الدهرِ تظفرُ عندها	بالظافرِ ابنُ أبي الكرامِ وتنصرُ
فصغيرُ مرأى العينِ عن بُعدِ المدى	كالنجمِ أصغرُهُ تنائي المنظرِ

١ د : حروب ؛ ط م س : ضروب .

٢ م ط د س : يظفر .

وهذا كقول المعري^١ :

والنجم تستصغرُ الأبصارُ صورته^٢ والذنبُ للطَّرفِ لا للنجم في الصَّغرِ

وقال منها :

حازَ السَّاءَ^٣ وما أَسْنُ وإتْما
من معشرٍ يُنْسِي ويصبحُ طفلهم
أَلِفُوا مُضَاجَعَةَ الظُّبَا بمهودهم
فلتَحْفَظِ الأَيَّامُ منهمُ عَصَبَةً
ثَبَتُوا عَلَى الأَصْلِ القَدِيمِ فَأَثَبُوا
وَبَنَوْا عَلَى السَّعْيِ الجَمِيلِ فَبَيَّنُوا
ولتَحْفَظِ الأَيَّامُ سَالِفَ أُمَّةٍ
بَقِيَ الثَّنَاءُ عَلَيْهِمْ فَكَأَنَّمَا

نَمَتِ القُرُوعُ بِطِيبِ ماءِ العنصرِ
من حَبٍّ [. . .]^٤ العَلَا في معشرٍ
وولوا مَطَاوِلَةَ الوَشِيحِ الأَسْمَرِ
سَكَنَتْ بِأَرْجَاءِ الوَغَى والمنِيرِ
نَسَبَ الكَوَاكِبِ فِي قِبَالِ حَمِيرِ
أَنَّ المَكَارِمَ فِي تَرَاثِ المِثَرِ
مَلَأَتْ مَفَاخِرُهُمْ فُرُوجَ الأعْصَرِ
رَكَبُوا المُنَابِرَ فِي بَطُونِ المَقْبَرِ

ومنها :

أَهْدَى إِلَيْكَ الودَّ عَبْدٌ يَدْعِي
طَابَتْ مَوَارِدُهُ لَدَيْكَ كَأَنَّمَا
وَسَمَا يَبْلُغُهُ إِلَيْكَ كَأَنَّمَا

شَرْفًا بَصْهَرٍ فِي بَنَاتِ المَحْبَرِ
وَقَفَتْ رَكَائِبُهُ بِرَيْفِ الكَوْثَرِ
قَطَعَ المَرَاحِلَ فِي بَرُوجِ المِشْثَرِ

١ شروح السقط : ١٦٣ .

٢ د : رؤيته ، وهي رواية البطليوسي .

٣ م ط س : حان النساء ؛ د : حاق .

٤ بياض في ط م س ؛ وفي د : أنهار ، ولا معنى له .

نقل الوداد على قطار قصائد
يحملن طيب الحمد فيك كأنما
رتعت زماناً في جَنابِ الدفر
ينشرن بالفلوات طيب العنبر
وله فيه من أخرى :

ضمانك ملء الأرض كالأخذ باليد
لذلك يبدو الموتُ ناراً ولُجّةً
لذلك مادتُ بالرماح صِعادُها
يهزُّ بها أعطافه كلُّ باسلٍ
على شُرْبٍ لو سايرتها خُطوبُها
يصلن السرى والماءُ غوراً^٢ كأنما
لذلك هوّلُ الأمرِ بالغدِ في الغدِ
على صفحتي صمصاميك الواقد الندي
وليس ليوهني في الكعوب بمبيد
رحيب ذراعٍ أو طويلٍ مُقلد
عرّضن عليها من وجوه التجلد
حَمَلْن عصا موسى على كلِّ جلمد
ومنها :

له جدولٌ من صارمٍ مُتَسَلِّلٍ
هناك ربيعٌ للسيوفِ مُرَجَّسٍ^٣
إلى غُصْنٍ من ذابلٍ متأوِّدٍ
قريبٌ أوّانٍ من ربيعٍ مورّدٍ

وهذا كقول أبي العلاء^٤ :

روض المتايا على أن الدماء بها وإن تخالفن أبدالاً من الزهر

وقال ابن شهيد من شعر قد تقدم^٥ : [٨٩ أ] :

١ د م : الوافر .

٢ ط : غرو ؛ س : غرق .

٣ شروح السقط : ١٥٨ .

٤ ديوان ابن شهيد : ١٠٨ والذخيرة ١ : ٢٨٩ .

فذا جدول^١ في الغمدِ تسقى به المنى وذا غصن^٢ في الكف^٣ يُجتنى فيثمر

وقال المتنبي^١ :

أأخلع^٢ المجدَ عن كِثْفي وأطلبه وأتركُ الغيثَ في غمدي وأنتجعُ

وقال ابن الملح من أخرى :

أوطأنَ في ظُبّةِ الحسامِ توسدي ولإليكَ من نارِ الحياءِ بوجنتي
ولكم لقيتُ الهمَّ يملأُ أرضه^١ وتركتُ ذاك الجيـشَ نهياً للظبا
حتى إذا رمتِ الليالي جانبي خَطَمَتِ بجبلِ الشيبِ أنفَ شبيبة
لو كنتُ أقدرَ قادرٍ لم أجزها^٢ إني لأقبضُ في مراجعها يدي
وأرد^٣ عزمي والحقيقةَ مطلبي أناضاحكُ للدهْرِ ضحكةَ شامتِ
قصِدَ الزمانُ الآملينَ بحربه^٤ وعلمتُ أني إنْ أصِلْ بمحمد
الله أكبرُ لو قضى لخليفة^٥ ومزجَنَ كأسِي في لُهاةِ الأرقمِ
وهجأَ تحفُ به عيونُ المرزمِ بأحمَ طامي اللجّتينِ عرمرمِ
مُتخاذلَ الأنصارِ مطلولِ الدمِ من كلِّ ناحيةٍ بكلِّ الأسهمِ
قد كان قبلَ صروفها لم يخطمِ إني لأزهدُ في عقابِ المجرمِ
ولو احتديتُ بها فروعَ الأنجمِ وأبيعُ حظي والكريمةَ مغنمي
إنْ كان يعبسُ للندى المتبسمِ وأتيتُ في الغمّراتِ أوّلَ مقدمِ
أنفُذْ على ضيقِ المكرِّ وأسلمِ بمزيةِ العِلْمِ الذي لم يُعلمِ

١ ديوان المتنبي : ٣٠٢ والذخيرة ١ : ٢٨٨ .

٢ الديوان : الطرح .

٣ ط : وأرود (اقرأ : وأزود) .

لرؤوا حديث النفس غير مرجح
يا أيها البشر المتزّه جملة
خذ بالندى والبأس أعدل وجهة
واحطم عداك مكابداً ومكابداً
واقنع بعذر من قناك^١ فإنه
بيدك صعدته ، وكل قبيلة

وله من أخرى في المعتضد بالله :

سروا تحت ليل في الظلام بهم
تواصوا بأعمال الشقاوة بينهم
مقامة شرب ما قضا حق مجلس
ولا وجدوا برّد السرور كأنما
مذاهب سوء غيرت من معاشير
نحاموا بلاداً مزقتهم كأنما
سروا تحت أطراف الرماح كأنها
ومالوا على حدّ السيوف كأنما
كأن المنايا الحمر دانت نفوسهم

وتيقنوا التزليل غير مرجح
للمجد قبل إشارة التكلم
وافرض ليومك بالمآثر واقسم
وانأز بسيفك للقنا المتحطم
نبأ لرمح ربيعة بن مكدم
جشم وكل الأرض وادي الأخرم^٢

مكلل آفاق كليل نجوم
وعاذوا بشيطان هناك رجيم
ولا فرحوا في سكرهم بنديم
أدبرت على الأقوام كأس حميم
نفوساً فلم تسلم لها يحسوم
مضت في رباها عاصف بشيم [٨٩ب]
شياطين ضلّت تحت رصد نجوم
تميل إلى آذانهم بنميم
فحلّت على عسبر حلول غريم

١ ط د : فتاك .

٢ في يوم الكديد بارز ربيعة بن مكدم عدداً من الفرسان تواتروا لمبارزته ، وحمى الظمينة ،
فلما ذهب دريد بن الصمة ليرى ما حدث ووجد ربيعة حديث السن ، أعطاه ربحاً وعاد عنه
دريد وادعى لأصحابه أن ربيعة انتزع منه الرمح ؛ وفي ذلك اليوم يقول ربيعة :
إن كان ينفعك اليقين فسائلي عني الظمينة يوم وادي الأخرم
(انظر العقد ٥ : ١٧١) .

ومنها :

ألا فاحطبوها للعقول فلإنها
ولا تبخسوها في المهور فلإنها

وقال من أخرى أيضاً :

كم قصير أنس لهن في مطالعته
فمن مغمّن بالحنّ المني غرد
وغافل بالصبا عن قطع مدته
حتى إذا جئت آمالي تحرف لي
إذا الهوى فاض طوفاناً ركبته له
لولا الحياء وقد شبت معاركة

قد عاد والعهد دان موحش الطلل
وشارب بين طاسات الهوى ثمل
قد راش أجنحة الأيام بالجدل
خطب دفعت به في غرة الأمل
فلك العزاء ولم آوي إلى جبل
لقد كشفت لثام الصبر عن بطل

ومنها :

ضاق الزمان بما حطمت من قضب
لا تغمد البيض إلا في ضرائبها
رواق ملكك بالأسياف ذو طنب
وباب حربك مفتوح لقارعه
كأنه بكم والله يكلدكم
لو كانت الشمس من خدام دولتكم

في رعينهن وما قصدت من أسل
حتى لقد عادت الأعماد للقلل
وبرد مجدك بالأرماح ذو خمل
عن قسور أهلت الشدقين ذي عصل
يقضي على الدهر أو يختار للدول
والعدل ما العدل لم تبرح من الحمل

١ ط : نبات .

قال ابن بسّام : ولم أسمع بمثل هذا البيت لمن سبق ، فإن كان اتباعاً فما أحسن ما أرق ، وإن يكن اختراعاً فما أولى وأخلق .

وفي هذه القصيدة يقول :

كم حُطِئْتُ من ضياعٍ في الأنام وكم وصلتمُ من شتيتٍ غيرِ متصلٍ
بِسُنَّةِ كسنانِ الرمحِ ماضيةً ومَذْهَبِ كفتاةِ الرمحِ معتدلٍ
مَدَحْتَكُمْ حيثُ لا فخرٌ أزيدكمُ فقد كحلتُ عيوناً جَمَّةَ الكحلِ

كما أن هذا البيت أشار فيه أبو بكر إلى التقصير ، فلعله أراد أن يجعله في شعره تيمناً من الفتور ، وأحسنُ مما انتحاه ، قولُ بعضهم في معناه :

لم أفِدِكَ المديحَ إلا لنفسي ليس للسيفِ إربةٌ في الصِّقالِ

وقال ابن الملح :

لا حدّاً للوجدِ إلاّ أنت عارفُهُ كأنّ قلبكَ للأشواقِ ميزانُ
ولا صِباةَ إلاّ أنت واسِعُهَا كأنّ صَدْرَكَ للأشجانِ ميدانُ [١٩٠]

ومنها ١ :

سِرْنَا نراقبُ إعلانَ الصباحِ بنا كأننا في ضميرِ الليلِ كتمانُ

وهذا كقول صاحب بن عباد :

• كأنّي سِرّ والظلامُ ضميرُ •

١ ومنها : سقطت من م س .

وقال أبو الطيب^١ :

• سرّيت وكنت السرّ والليل كاتمه •

وقال أبو الوليد بن زيدون^٢ :

سِرَّانٍ فِي خَاطِرِ الظُّلَمَاءِ يَكْتُمُنَا حَتَّى يَكَادَ لِسَانُ الصُّبْحِ يَفْشِينَا

وفيهما يقول ابن الملح في المدح :

هو المَقِيرُ العَلا وَالْحَلِيلُ سَارِحَةٌ	وَاللَّابِسُ الْحَمْدَ وَالصَّمْصَامُ عَرِيَانُ
وَالْمَبْصُرُ الرُّشْدَ فِي أَقْصَى مَطَالِبِهِ	وَالنَّاسُ مِنْ فِتْنَةِ الْأَهْوَاءِ عَمِيَانُ
تَاهَتْ بِمَجْدِكَ قَحْطَانُ وَعَدْنَانُ	وَقَدْ تَخَاضَعَ يُونَانُ وَسَاسَانُ
وَسَارَ ذِكْرُكَ وَالْأَفْوَاهُ تَنْقُلُهُ	حَتَّى تَطَارَحَ فِيهِ الْإِنْسُ وَالْحَانُ
وَشَكَتْ فِي الْعَصْرِ أَقْوَامٌ فَقُلْتُ لَهُمْ	فَلَانُ فِي ثِقَلَتَيْهَا لَا سَلِيمَانُ
ذَكَّيْتَ جُودَكَ حَرْبًا وَالْعَدَا جَزَرُ	وَسَيَفُكُ النَّارُ وَالْأَطْيَارُ ضَبِقَانُ
هَمَى عَلَيْهَا مِنَ الْمَوْتِ الرُّعَافُ حَيًّا	مُجَلِّجِيلٌ بِصَلِيلِ الْبَيْضِ حَنَانُ
وَمَاجَ فِيهِ وَرِيحُ الْبَاسِ تَنْسُجُهُ	جَيْشٌ هُوَ الْيَمُّ وَالْأَسْيَافُ خُلُجَانُ
وَاللِّدْمَاءِ غَدِيرٌ فَوْقَ ضَفَّتَيْهِ	لِلجَيْشِ دَوْحٌ وَسُمْرُ الْخَطِّ أَغْصَانُ

وله من أخرى يصف حَلْبَةَ الْحَلِيل :

خَوَافِقُ قَدْ رِيشتُ بِأَجْنَحَةِ الْهُدَى فطارتُ بِبَحْرِ الرُّومِ كُلِّ مَطَارِ
فَهْنٌ بِشَدِّ الْجُرِيِّ عِقْبَانُ شَاهِقٍ وَهْنٌ بِالْحَانَ الصَّهِيلِ قِمَارِ

١ ديوان المتنبي : ٢٤٨ وصدر البيت : « وكنت إذا يمت أرضاً بعيدة » .

٢ ديوان ابن زيدون : ١٤٦ والذخيرة ١ : ٣٦١ .

بكل مباهٍ بالسَّلاحِ كأنما
 مهنٌ لدنياه يظن^١ حياته
 تسنم جدران المكاره فانتهى
 سقى من قلب الحرب أشجار مفخر
 يجر من الخطي فضل لزار
 إذا لم يمت في الله دار بوار
 مآثر لم تحجب له بجدار
 تدلّت له من ساعة بشمار

ومنها :

فمن سابح وَرْدٍ تجلبب خلقه
 وأبلق كالريم المدمى مُفضض
 وأشهب تجلوه المعاني كأنما
 وأشقر نوري بهب كأنه
 وأدهم كالليل البهيم تعلقت
 إذا ما علاه راكب فكأنه
 بلبته خيط المجرة فصلت
 سفينة بر سخرت غير أنها
 تطأطأ من عون الطباع بحاذق
 له خلق لولا توارد غيره
 بنسج^٢ دم قبل التاج ممار
 تحال بشقيه مسال نصار
 تزين منه زندها بسوار
 وقد قدحت الحرب ميقبس نار
 به تحت كم الفجر كف نهار
 بفرته تحت المطالب سار
 له موهناً أوساطه بدراري
 تجوب من الإلهاب لج غبار [٩٠ب]
 وتهنأ من لون الأديم بقار
 على عتقه لم ينحرف لنفار

ومن الحسن في تشبيه الخيل بالبحر ، قول بعض أهل العصر ، وهو
 الأديب أبو بكر ابن العطار اليابسي^٣ ، من شعر أنشدنيه لنفسه بيطائيوس

١ م د ط س : يظن .

٢ بنسج : سقطت من م س .

٣ هو محمد بن العطار اليابسي نسبة إلى جزيرة يابسة ، انظر المغرب ، ٢ : ٧٠ والمسالك

١١ : ٤٥٨ والنفع ٤ : ١٠ وله ترجمة في القسم الرابع من الذخيرة .

سنة ست وثمانين^١ :

والجيشُ قد جعلتْ أبطالهُ مرحاً تختالُ عن خيلامِ السبقِ العتيقِ
إذا تسعّرتِ الهيجاءُ أحمدها ما في معاطفها من نُدوةِ العرقِ
هيّ البحورُ ولكنْ في كواثبها^٢ عند الكربة منجاةٌ من الغرقِ

والشيء يذكر بالشيء إذا ناسبه أو قاربه ؛ كان للمتوكل فرسٌ أخضر
أغرَّ محجلٌ^٣ ، وعلى كفه ستُّ نقطٍ بيض ، فتناغمتْ لمةٌ من الشعراء يومئذ
بيطليوس في صفته ، فكلُّ جهد جهده ، وبذل ما عنده ، فما سبق إلى
الغاية ، ولا أخذ الراية إلا النحلي^٤ ، على أنه كان مزججى البضاعة ، في هذه
الصناعة ، فقال^٥ :

حمل البدرَ جوادٌ سابحٌ تقفُ الريحُ لأدنى مهلهِ
لبسَ الليلَ قميصاً سابغاً فالثريا نُقْطٌ في كفلهِ
وكانَ الصبحُ قد خاضَ به فبدا تحجيلة من بللهِ
كلُّ مطلوبٍ وإن طالتْ به رجُلُهُ ، من أجله في أجله

بيته الثاني أراه أخذ^٦ من قولِ ابن صاحب الاسفيري^٧ معناه :

١ منها بيتان في المغرب ٢ : ٤٧٠ .

٢ ط : كواثبها ؛ د : كواثبها .

٣ بدائع البدائ : ٢٦٩ والنفع ٣ : ٣٣٣ والشريشي ٣ : ١٥٤ .

٤ البدائع والنفع : ركب البدر جواداً سابحاً .

٥ البدائع والنفع : خيضر .

٦ ط د م س : أخذه .

٧ هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح . وقد وردت ترجمته في القسم الأول : ٧٧٠ .

لبسَ الظلامَ أديمُهُ فبدا لنا من بين عينيه منا جَوَزا ئيه

والثالث نبّه عليه ابن نباتة بيته ^١ :

وكانتما لطمَ الصباحُ جبينَهُ فافتصرَ منه فخاضَ في أحشائه

وما أراه نقل إلا لفظ ابن شهيد ومعناه ، من جملة قصيد له قد أنشدناه ،
وهو قوله ^٢ :

• وكانما خاضَ الصباحُ فجاءَ مبيضَ القوائمِ •

وقال فيه أبو بكر الداني ^٣ :

لله طيرُفٌ جالِ بابنِ محمدٍ فحوتُ به حَوَباؤُهُ التأميلا
لما رأى أنَّ الظلامَ أديمُهُ أهدى لأربعةِ الهدى تحجيلا
وكانتما في الردف منه مباسمٌ تبغي هناكَ لوجهه تقيلا

ولأبي عبد الله بن عبد البرّ الشنبري فيه جملة أبيات ^٤ :

فعلى المحيّا كوكبٌ متلألئٌ وعلى القطاةِ بناتٌ نَعَشٍ تسطعُ
وكانتما عُمَرُ على صَهَوَاتِهِ قمرٌ تسيرُ به الرياحُ الأربعُ

١ قد مر البيت ص : ٣٧٩ من هذا القسم .

٢ مر في القسم الأول : ٢٠١ وانظر ديوانه : ١٥٧ .

٣ بدائع البدائه : ٢٧٠ والنفع ٣ : ٢٣٣ .

٤ البدائع والنفع : يا ابن محمد .

٥ ورد البيت الثاني في البدائع والنفع .

ولم يحضرني من شعر أهل العصر في وصف هذا الطَّرف إلا ما أثبتُّ،
وكانت لهم عندي في صِفَتِهِ عِدَّةُ مقطوعات وجملةُ أبياتٍ ، سقطت من
ذكرِي ، وطارت من شَرَكِ صدرِي ، وتعلَّقَ بحفظي أشعارُ لمن تقدَّمهم
من أهلِ هذا الأفق، ممن تقدَّم زمانه ، وشُهِرَ لإحسانهُ بالقول ، في صفة
الحيل ، رأيت إثباتها ، إذ لها موقع بهذا الموضع

قال يوسف بن هارون الرمادي^١ : [١٩١] .

وأبْلَقَ من شرطِ الطَّرادِ^٢ لزيتهِ وإخوانِ^٣ ميدانِ ويومِ قتالِ
فخَضِرَتْهُ ثَلثٌ وثلاثاءُ شُهْبَةً^٤ فأخْضَرُ قُدَّامِ وأشهبُ تالِ
له لَهَبٌ من دُهْمَةٍ فيه شُهْبَةٌ^٥ كعامِ صُدودِ فيه يومُ وصلِ
تدرَّعَ بَدْرَ التِّيمِ حُسْنًا وبهجةً^٦ فالنِّزَمِ^٦ في حيزومه بهلالِ

وقال أبو عامر بن عبدوس في صفة أشهب ، حاشا عرفه كان أحمر :

يا حُسْنَ هذا الجوادِ حينَ بدا في شَيْتَةٍ لم تكنْ للذي بَلَقِ
قام عليه النهارُ مدَّعيًا فاعترفتْ عَرَفَهُ يدُ الشفقِ

١ كتاب التشبيهات : ١٩٣ .

٢ التشبيهات : الكمي .

٣ التشبيهات : وإحراز .

٤ التشبيهات : لبب من شهبة بين دهمة .

٥ التشبيهات : نوراً وظلمة .

٦ التشبيهات : ولبيب .

وقال أبو بكر بن حجاج^١ :

وأشهبَ صافي بياضِ الأديم
كبدرِ سماءٍ بدا زاهراً
له شَيْبَةٌ زانها عَرْفُهُ
وقد مُسَّ في شفقٍ طرفه

وقال ابن فتوح :

طِرْفُ يَفُوتُ الطَّرْفَ شَأْوَ عَدُوهُ
يبدي سوادَ الليل في إدباره
متبخراً نهباً كأنَّ لجامه
عَقَدَ الجيادَ بشأوه وجرى على
ذَرَعَتْ مَتْنِ الأَرْضِ منه بذارع^٢
تعباً الرياحُ وراءَهُ في لأيه
ويضيقُ وَسْعُ الأرضِ عند مجالهِ
ويريكَ وَجْهَ الصُّبْحِ في إقبالهِ
إكليلُ كسرى لاحَ فوق قذالهِ
عِرْقٍ نماه عُلّاً إلى عُقَّالهِ
كادت تكونُ الأرضُ من أمياله
ويكلُّ شأوَ الدهرِ دونَ كلالهِ

وقال الرمادي :

ومعارضٍ للريح في حركاتهِ
ذو منظر حَسَنٍ تَضَمَّنَ مَخْبِراً
حَسُنَتْ به الحركاتُ والمعشوقُ لا
حَطَمَتْ حوافِرُهُ السَّلامَ صلابَةً
لولا اللجامُ لجالَ كلَّ مجالٍ
حَسناً وكان لزيئةٍ و قتالٍ
يصبي لغيرِ براعةٍ ودلالٍ
فكانه من أوجهِ البُخَّالِ

١ هو أبو بكر عبد الله بن حجاج الغافقي، من شعراء المعتضد، هجر إلى شيبيلية إلى الجزيرة الخضراء و مدح صاحبها محمد بن القاسم بن حمود . وقد لقيه الحميدي في حدود ٤٣٠ (انظر الجذوة : ٢٤٣ والنبية رقم : ٩١٩ والمغرب ١ : ٢٦٠ والنفع ٣ : ٣٨٥) .
٢ د : بأذرع .

وهذا كقول حبيب^١ :

أَيَقَنْتَ^٢ إِنْ لَمْ تَشَبَّتْ أَنْ حَافِرَهُ مِنْ صَخْرٍ تَلَمَّرَ أَوْ مِنْ وَجْهِ عِثْمَانِ^٣

وأخذه البحرِيّ فقال^٤ :

مَا إِنْ يَعَافُ قَذَى وَلَوْ أوردتهُ يَوْمًا خَلَائِقَ حَمْدِيهِ الْأَحُولِ

وقال القسطلي^٥ :

سامي التليلِ كَانَ عِقْدَ عذاره فِي رَأْسِ غَصْنِ البَانَةِ المِيَادِ
يُهْدَى بِمَثَلِ الْفَرْقَدِينَ وَنَابَ عَنْ رَعْيِ السَّمَكِ بِقَلْبِهِ الْوَقَادِ
فَكَأَنَّمَا أَطَأُ الْأَبَاطِحَ وَالرَّبَى بِعَقَابِ شَاهِقَةٍ وَحِجَةِ وَادِي [٩١ب]
وَكأنه مِنْ نَحْتِ سُوْطِي خَارِجًا فِي الرَّوْعِ شَعْلَةُ قَادِحٍ بَزْنَادِ

وقال يحيى بن هذيل^٦ :

فِي خُضْرَةٍ مَفْتَرَةٍ فِي غُرَّةٍ كَالضَّبْحِ كَشَفَ عَنْهُ لَيْلُ النِّيلِ
يَمْشِي الْعِرْضَنَةَ فَهُوَ يَحْكِي بِالطَّلَى كَيْفَ الصَّدُودُ عَنْ الْحَبِيبِ فَيَقْبِلُ

١ ديوان أبي تمام ٤ : ٤٣٤ وأخبار أبي تمام : ٦٨ .

٢ الديوان : حلفت .

٣ هو عثمان بن إدريس الشامي (أو السامي) .

٤ ديوان البحرِيّ : ١٧٤٥ وأخبار أبي تمام : ٧٠ .

٥ من ملحقات الديوان : ٥٤٣ عن الذخيرة ، وانظر الشريشي ٣ : ١٥٤ .

٦ عن يحيى بن هذيل (- ٣٨٩) انظر كتاب التشبيهات ص ٣٣٦ - ٣٣٨ حيث ورد ذكر القطع

الكثيرة التي ضمنها ذلك الكتاب من شعره مع نبذة عن حياته وذكر لمصادر ترجمته .

وقال أبو تمام بن رباح^١ من أهل عصرنا :

وأقْبَ تنقَدُ البروقُ إذا جرى من غيظها حسداً بأن لم تَلْحَقِ
مَلَكَ الرِّيحِ قوائِمُ فجري بها فيكادُ يأخذُ مغرباً في مشرق

وقال فيه^٢ :

وتحَيَّ رِيحٌ تسبقُ الرِّيحَ إنْ جَرَّتْ وما خلتُ أن الرِّيحَ ذاتُ قوائِمِ
لها في المدى سَبَقٌ إلى كلِّ غايةٍ كأنَّ لها فيه نفوذَ عزائمِ
وهمةَ نفسٍ نَزَّهَتْها عن الوجي فيا عجباً حتى العلا في البهائمِ

رجع :

بقية ملح ابن الملح

له من قصيدة عتاب قال فيها :

لقد ظلمتني أمةٌ ما خَمَشَتْها بلحظ وقد عمَّتْ حشايَ ندوبا
توهَّمَتْهمُ سلماً فسَوَّلْتُ ظاهراً وشبَّوا على ظهر المغيبِ حروبا
وثقتُ بهم في الثَّابِتِ فأخلفوا وكانوا إلى جَنبِ الخطوبِ خطوبا
فكم صاحب منهم يبيتُ بقلبه بعيداً ويغدو باللسانِ قريبا
إذا لاحَ خيرٌ ذادني عن حياضه كما ذادتِ الزَّجَرُ العرامسَ نيبا
وإنْ عنَّ شرٌّ قادني نحو ضنكةٍ جنياً وأنَّى لي أقادُ جنيا

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ والبيتان في الشريشي ٢ : ١٥٤ .

٢ انظر الشريشي أيضاً .

وآخر قد فاجأته الودّ أولاً
سريتُ له من حُسْنِ ظنّي بطالعٍ
وكنْتُ إذا بَلَّ الودادَ بلفظةٍ
جفاني ولكني أهبُّ بعشرني
وآخر لم أسأل به مَنْ ولا ابنُ مَنْ
نشرتُ له بُردَ الإخاءِ كأنما
وكنْتُ إذا رثْتُ من الودّ بُردَةً
سقى كأسَ حِقْدٍ فوق لحقِ نيمَةٍ
فماذا يرى العبدان في ذنبِ أمةٍ
ومن ينكرُ الشكوى إلى الله منهم
سأغفرُ لا عجزاً ولكن سجيّةً

بديهة ساعٍ ماجدٍ وأديبا
أمنتُ له حتى المماتِ غروباً
أدرْتُ عليه بالمحبة كوباً
شمالاً إذا هبَّ الصديقُ جنوباً
فلستُ لما يُرتابُ منه طلبوا
خضبتُ بها في العارضين مشياً
عليه صرفتُ الإهتبالَ قشياً
تشقُّ قلوباً لا تشق جيوباً
رأتُ حسناتي في الوفاء ذنوباً
وقد ملأوا الصدرَ الرحيبَ وجيباً
نمتني نجياً أو ورثتُ نجيباً

ومن شعره في الأوصاف

قال يصف سوار فضة مذهباً ، وأخبر عنه :

أنا من الفضة البيضاء خالصة
لكن دهنني خطوطٌ غيرت جسدي [١٩٢]
علّمتُ عضي بما أحوي فأحسدني
جرّيتُ الوشاحَ فهذي صفرةُ الحسد

وقال في شَمَامَةِ فِضَّةٍ مُنَيَّلَةٍ ١ :

١ م : مثيلة ؛ أما المثيلة فقد شرحت في القسم الثالث : ٤٣٢ (حاشية : ٣) ومناها مرصع
أو مزخرف .

أنا المدارةُ بين الكأسِ والطبقِ والمستعارةُ للأَنافِ والحدَقِ
أكونُ للوردِ والخيري آونةً ونارةً لغصونِ الآسِ والحبقِ
لولا صيانةُ^١ جسمي عن مجاذبةِ لثارتِ الحربِ بين النورِ والورقِ
خفتُ الزمانَ على تغييرِ عهدتها ففي إهابي آثارُ من الحرقِ
كأنني نقطةٌ في الصحو صافيةٌ قد غيّرتُ بعضَ لوني خضرةُ الورقِ^٢

وكان^٣ في بعض قصور المعتمد باشيلية في من جملة التصاوير صورةً
من خالص اللجين على صورة الفيل . وهو الذي يقول فيه عبد الجليل :

ويُفْرِغُ فيه مثل النصلِ بدعٌ من الأفيالِ لا يشكو ملالا
رعى رَطْبَ اللجين فجاء صلدأ وقاحاً قلماً يَغشى هزالا

فجلس المعتمد يوماً على البحيرة والماءُ يسيل^٤ ، من فم ذلك الفيل .
وقد أوقدتُ شمعتان من جانبيه . ومعه ابنُ الملح ، فقال في ذلك عدة مقطوعات
منها قوله :

كأنما النارُ عند الشمعتين سنا والماءُ من نُفْدِ الأنبوبِ ينسكبُ^٥
غمامةٌ نحت جنحَ الليلِ هامةٌ في جانبيها جناحُ^٦ البرقِ يضطرب

١ ط م د س : صباية .

٢ الورق : موضعها بياض في ط م س .

٣ انظر نفح الطيب ٤ : ٢٦٣ وبدائع البدائع : ٣٧٣ .

٤ النفح والبدائع : يجري .

٥ النفح والبدائع : منسكب .

٦ النفح والبدائع : حفاف .

وقال في ذلك :

ومِشْعَلَيْنِ من الأضواء قد قرنا بالماء والماءُ بالدولابِ متزوفُ
لاحا لعيني كالنجمين بينهما خطُّ المجرَّةِ ممدودٌ ومعطوف

وقال فيه :

وأنبوبِ ماءٍ بين نارين ضُمنا هوى لكؤوسِ الراحِ تحت الغياهِبِ
كانَ اندفاعُ الماءِ بالماءِ حيَّةٌ يحركُها بالليلِ لمعُ الحياهِبِ

وقال فيه :

كان سراجي شربهم في التظاهما وأنبوبَ ماءٍ الحوضِ^٢ في سيلانهِ
كريمٌ تولَّى كِبَرَهُ من كليهما لثيمانِ في إنفاقهِ يعدلانه
إذا هزَّهُ للجود بُردُ سماحةٍ أصراً على تربيهِ يحرقانه

في ذكر الأديب أبي محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى^٣

شمس الزمان وبلده، وسرُّ الإحسانِ وجهه، ومستودعُ البيانِ ومستقرُّه،

١ النفع والبدائع: في الماء .

٢ النفع والبدائع: الفيل .

٣ ترجمته في بغية الملتبس رقم : ١١٠١ والمطرب : ١١٨ والقلائد : ٢٤٢ والخريدة : ٢ :

٩٥ والموجب : ١٥٩ والنفع : ١ : ٦٥٧ (نقلا عن القلائد) ومواطن أخرى متفرقة .

والمساك : ١١ : ٢١٩ والسلفي : ١٩ ومواطن مختلفة في بدائع البدائع، ورايات المبرزين

٧٧ (غ) .

آخرُ مَنْ أفرغ في وقتنا فنونَ المقال^١ ، في قوالبِ السحرِ الحلال ، وقيدِ شوارِدِ الألباب ، بأرقٍّ من مُلَحِّ العتاب ، وأروق من غَفَلاتِ الشباب ، وكورةُ تَدْمِيرِ أفقه الذي منه طلع ، وعارضُهُ الذي فيه لمع ، ولما ذكرته في هذا القسمِ الغربيِّ مع أهلِ إشبيلية لأنها بيتُ شرفه المشهور ، ومسقط عيشِهِ المشكور . طرأ عليها منتحلاً للطلُّب ، وقد شدا طرفاً من الأدب ، وكان الاستاذ أبو الحجاج الأعلام^٢ يومئذٍ زعيمَ البلد ، وأستاذَ وَلَدِ المعتمد ، فعوَّل عليه من رحلته . وانقطع إليه بتفصيله وجملته ، وكانت له في أثناء ذلك همّةٌ تَرامى به إلى العلا ، ترامى السَّيْلُ من أعالي الرُّبى ، وكان بين الاستاذين أبي الحجاج وأبي مروان بن سراج^٣ ما يكون بين فحلين في هَجَمَةٍ ، وزعيمين [٩٢ ب] من أُمَّة ، فاتفق أن كتب ابنُ سراجٍ إلى المعتمد بشعرٍ بائٍ من شطرِ الوافر يمدحه فيه ، وكأنه - زعموا - عَرَضَ بِقِرْنِهِ ومُباريه ، وأَعْلِمَ بذلك الأعلام ، فصمت عن جوابه وأحجم ، وولَّاهَا عبدَ الحليل فأطلَّعَهُ في أفقها قمرأ . ونَبَهَ منه لحربها عمرأ^٤ ، فقال قصيدته البائية التي أولَّها :

١ م د س : المال .

٢ أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى المعروف بالأعلام الشتمري (٤١٠ - ٤٧٦) كان عالماً بالعربية واللغة ومعاني الأشعار ، وكف بصره آخر عمره (انظر ابن خلكان ٧ : ٨١ والصلة : ٦٤٣ ومعجم الأدباء ٢٠ : ٦٠ ونكت الحميان : ٣١٣) .

٣ أبو مروان ابن سراج : له ترجمة في القسم الأول من الذخيرة : ٨٠٨ وفيه فصل من أشعار رثي بها ، وانظر صورة من هذه الخصومة بينه وبين الأعلام حول الرسالة الرشيدية في إحكام صنعة الكلام : ٦٨ .

٤ فيه إشارة إلى قول بشار (ديوانه : ٢١٧ جمع الملوي) :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمرأ ثم ثم

• هوى بين النجوم له قباب •

ومع أنها ليست لاحقةً بعيون شعره ، لما سمعها ابنُ عمارٍ خادمُ الدولة يومئذٍ طار بذكره ، وأجنأه ثمارها ، وباهى به أقمارها ، وخلع عليه أصائلها وأسحارها ، ووافق من المعتمد ناقدًا بصيرًا ، وعاشقًا قديرًا ، فأغلى بتلك الأعلاق ، وأقام له الدنيا على ساق ، وقصر عبد الجليل على هواه ، فلم يرحل إلى ملكٍ سواه .

وكانت له كلَّ عامٍ رحلة ، يتعهّد فيها بلده وأهله ، فحدثني غيرُ واحد أنه اجتاز بالمرية ، في بعض رحلته الشرقية ، وملكها يومئذٍ قبلةُ الأمال ، وقطب رحي الأمال ، ومرمى جمار المدائح ، أبو يحيى ابن صمادح ، فاهترَّ لعبد الجليل واستدعاه ، وعرض له بحملة وافرة من عرضِ دنياه ، فلم يعرّج على صفده ، وبادر العيد — وكان قريباً — بالارتحال عن بلده ، وقال في ارتجال^١ :

دنا العيدُ لو تدنو لنا كعبةُ المنى وركنُ المعالي من ذؤابة يعربِ
فيا أسفا^٢ للشعر تُرمتى جماره ويا بُعد ما بيني وبين المحصبِ

ولما ابتدأت الفتنة بالمعتمد ، بادر الخروج عن البلد ، فلم يُخْنِ عنه نفاره وأدركه مقداره ، على قربٍ من مُرسية ، لقي قطعةً من خيل النصارى فتورط فيهم ، وقضى الله له بالشهادة على أيديهم .

١ القلائد : ٢٤٤ والمطرب : ١٢١ والخريدة ٢ : ١٠٢ .

٢ الخريدة : فيا ويلنا .

وذكرت بمقتل عبد الجليل - رحمه الله - ومقرّه أعجوبة من الزمان ،
وحديثاً ظريفاً من الحدّثان : كان بحضرة إشبيلية أيام ماجت بها على المعتمد
الفتنة^١ ، ودارت عليه^٢ رحي المحنة . أبو القاسم ابن مرزقان^٣ ، من شعراء
الدولة ، ونبهاء أهل الحضرة ، مِمَّنْ مَتَّ إليها بقديم جوار ، لا يبارع
أشعار ، وأدلّ عليها باسم مرزُقانيه ، لا بفضل بيانه ، وكان في بني عبّاد
عُجِبَ بكثرة عددهم ، وعصبية لأهل بلدهم ، وكان أبو القاسم هذا حلّو
الحوار ، نادر الأخبار ، وكان به على ذلك توهمٌ يُخْرِجُهُ إلى جبن الفرار
السُّلَمي^٤ ، وغفلةٌ تشهدُ عليه بلوثة أبي حيّة النمري^٥ ، وكان هو وعبد
الجليل من بين سائر أهل القريضة ، في طرفي نقيض ، هذا يتعصّبُ لسلطانهِ
بهواه . وعبد الجليل يقفو الصواب^٥ بزعمه ويتحرّاه ، فكانا ربّما اجتماعاً
فيكونُ بينهما بَوْنٌ بعيد ، وشقاقٌ شديد : فأما عبد الجليل فقد ذكرتُ
الخبر عمّا فعَل ، وشرحتُ كيف قُتِل . وأما أبو القاسم هذا فإنه غرّةُ
القتال فأقدم عليه ، وهيّت له القتلُ فبرز إليه ، على حالٍ لو تخيّل بها
المجدُ بلحده ، وفي يومٍ لو رآه دون الماء لما وردّه ، فأدركه سرعانُ الرّجالة

١ م : عليهم .

٢ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم ص : ٥٢٠ .

٣ هو حيّان بن الحكم السلمي (انظر حماسة البحّري : ٦٥ وحماسة الخالديين ١ : ١٤٢
والعيون ١ : ١٦٤ والحيوان ٤ : ١٨٥) .

٤ اسمه الهيثم بن الربيع (ترجمته في الشعر والشعراء : ٦٥٨ والأغاني ١٦ : ٢٣٦ وطبقات
ابن المعتز : ١٤٣ والخزانة ٤ : ٢٨٣ والسمط : ٢٤٤ وقد جمع شعره رحيم صخي
التويلي - مجلة المورد (١٩٧٥) المجلد الرابع - العدد الأول : ١٣١ - ١٥٢) .

٥ م : على الصواب (اقرأ : يقف على الصواب) .

فهبروه بالسيف ، وجرّعه^١ أكثره ما كان له من الخنوف ، فصار حديثهما عجباً من الخبر عجباً ، ومثلاً في تصرفِ القدر مضروباً ، كلاهما أنهب نفسه^٢ الأقتال ، وذاق منيته^٣ على يدي من خال .

ولابن مرزقان هذا أخبار طريفة ، ونوادر في الشعر معروفة ، ونأخذ فيما بعد بطرف مستطرف منها ، ان شاء الله .

وقد أثبت هنا من شعر عبد الجليل في مدحِه الفائقة ، وأوصافه الرائقة ، ما يشهد أنه سابقُ الحَلَبَةِ ، وصدْرُ الرتبة ، وضاق ذرعُ هذا المجموع ، عن تضمين ما له من البديع ، فجمعت شعره على حروف المعجم في تصنيف ترجمته بـ « كتاب الاكليل المشتمل على شعر^٢ عبد الجليل » وكذلك فعلتُ في سائر أعيان الوزراء الكتاب ، لم يتسع لاستيفاء محاسنهم هذا الكتاب ، فجمعت في تأليفِ ترجمته^٢ بـ « سلك الجواهر [٩٣ أ] من نوادر تروسيل ابن طاهر » وفي تصنيف رابع^٣ وسمّته^٢ بـ « كتاب الاعتماد على ما صحَّ من أشعار المعتمد بن عباد » وفي كتاب خامس ترجمته بـ « نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار » . ولبعض الناس إلى كلام بعض صغوا ، وذلك الكلام عند آخرين - على جنودِه - لغوا ، وإنما كان ذلك لتباين النحائر ، واختلاف الغرائز . فاستوفيت في هذه التواليف لكل^٢ فرقة مرادها ، وخلصت لها موادّها ، إن شاء الله .

١ م : وجروه .

٢ على حروف . . . شعر : سقط من م .

٣ كذا ، وهو ثالث بحسب ما عده في هذه الفقرة ، إلا أن يكون قد عد الذخيرة ضمناً .

ما أخرجته من شعر عبد الجليل في شتى الفنون
من ذلك ما له في الرثاء والتأبين

من ذلك قصيدته^١ في الأستاذ أبي الحجاج يوسف بن عيسى المعروف
بالأعلم ، أولها :

سَبَقَ الفناءُ فما يدومُ بقاءُ تَفنى النجومُ وتسقطُ البيضاءُ

يقول فيها^٢ :

نَفسي وحسِّي إنْ وصفتُهما معاً	آلٌ يذوبُ وصخرةٌ خلقتُ ^٣
لو تعلمُ الأَجبالُ كيفَ مآلها	علمي لما امتسكتُ لها أرجاء
إنا لنعلمُ ما يراد بنا فلمُ	تعيَا القلوبُ وتُغلبَ الأهواء
طيفُ المنايا في أساليبِ المني	وعلى طريقِ الصِّحةِ الأدواء
بتعاقبِ الأضدادِ مما قد ترى	جُلِبَتِ عليكِ الحكمةُ الشِّعَاء
ماذا على ابنِ الموتِ من إِبصاره	ولقائِهِ هل عَقَّتِ الأبناءُ ^٤
أبغرنِّي أن يستطيلَ بيَ المدى	وأني ببحثٍ توأمتِ الغبراء

١ م : قصيدة .

٢ يقول فيها : سقط من م .

٣ خلقت : مصتة ملاء .

٤ م : لما أمت .

٥ د : عفت الأبناء .

لم ينكرُ الإنسانُ ما هو ثابتٌ في طَبَعِهِ لو صحَّتِ الآراءُ
ونظيرُ موتِ المرءِ بعدَ حياته أن تستوي مِن جنسه الأعضاء
دَيفٌ يَبْكِي للصحيحِ وإنما أمواتنا لو تشعروا الأحياءُ
وسواءٌ أن تجلِيَ اللحاظُ من القذى أو تنتَضِيَ من شَخْصِها الحَوْباءُ
ما النفسُ إلا شِعلَةٌ سقطتْ إلى حيثُ استقلَّ بها الثرى والماءُ
حتى إذا خلصتْ تعودُ كما بدت ومن الخلاصِ مشقَّةٌ وعناءُ

قال ابن بسّام : لعلَّ عبد الجليل اكتسب في هذا البيت والذي قبله من العمل^١ بحقيقة النفس ما جهله في وصفه لما قبل أنها « آلٌ يذوب » وما أعجب أيضاً قوله عن جسمه بأنَّه صخرةٌ خلقاء ، اللهم إلاَّ إن كان عني بذلك رأسه لأنه كان يلقَّبُ بالدَّمَغَةُ^٢ . وذهب هنا من صفة النفس إلى مذهب كلامي^٣ ، كقول بعض أهل بلدنا ، وهو أبو عامر ابن سوار^٤ الشنتريني ، من جملة أبيات :

يا لقومي دفنوني ومَضَوْا وَبَنَوْا في الطينِ فوقِ ما بَنَوْا
ليت شعري إذ رأوني ميتاً وبكوني أيَّ جزأيَّ بكوا
أنتَعَوْا جسمي فقد صار إلى مركزِ التعفينِ أم نفسي نَعَوْا
كَيْفَ يَنْعَوْنَ نفوساً لم تزلْ قائماتٍ بحضيضٍ وبحجْوِ
ما أراهم ندبوا فيَّ سوى فُرْقَةٍ التَّأليفِ إن كانوا دروا

١ كذا في النسخ ، وأظن صوابه : « العلم » .

٢ لعل لهذا اللقب صلة بقولهم : « الدامغة » وهي الشجة التي تبلغ الدماغ ، وإن كنت أرجح أن اللقب يشير إلى ضخامة رأس عبد الجليل وأنه لذلك نُبِذَ عامي .

٣ ط د : نوار .

٤ د : التعيين .

ه ط م س : كان .

وهذا معنى فلسفيّ ، قلّما عرّج عليه عربيّ ، وإنما فزع إليه المحدثون من الشعراء ، حين [٩٣ ب] ضاق عنهم منهج الصواب ، وعدموا رونقَ كلامِ الأعراب ، فاستراحوا إلى هذا الهذيان استراح الجبان إلى تنقص أقرانه ، واستجادة سيفه وسانه ؛ وقد قال بعضُ أهلِ النقد إنه عيبٌ في الشعر والنثر أن يأتي الشاعر أو الكاتب بكلمةٍ من كلام الأطباء ، أو بألفاظ الفلاسفة القدماء ؛ وإنّي لأعجبُ من أبي الطيب ، على سعة نفسه ، وذكاء قَبَسِه ، فإنه أطال قرعَ هذا الباب ، والتمرّسَ بهذه الأسباب ، وكذلك المعريّ : كثرُ به انتزاعه ، وطال إليه إيضاعه ، حتى قال فيه أعداؤه وأشباعه ، وحسبك من شرِّ سماعه ، وإلى الله مآله ، وعليه سؤاله .

وإنما سلك عبد الجليل في هذا المعنى سبيل القائل حيث يقول :

يا سالكاً موثلاً ^١ يكلمنا	عرّجُ أخْبَرَكْ خالِصَ الفائدة
جِسْمُكَ وَالنَّفْسُ خُلْتَا عَرْضِي	وكلُّ خَلٍّ خَلَّتْهُ قَائِدُ ^٢
وَالنَّفْسُ تَلْقَى الْخُلُودَ إِنْ خَلَصَتْ	وَالْجِسْمُ لَا بَاقِيًا وَلَا خَالِد

وقال المتنبي^٣ :

تَخَالَفَ النَّاسُ حَتَّى لَا اتَّفَاقَ لَهُمْ	إِلَّا عَلَى شَجَبٍ وَالْخُلْفُ فِي الشَّجَبِ
فَقِيلَ تَخْلُصُ نَفْسُ الْمَرءِ سَالِمَةً	وَقِيلَ تَشْرِكُ جِسْمَ الْمَرءِ فِي الْعَطَبِ

وقال :

١ ط م : منزلاً (دون اعجام) .

٢ ط د م س : فائد .

٣ . هذه القطع في ديوان المتنبي : ٤٢٦ ، ٢٢٦ ، ٤٧٨ ، ٥٧٣ - ٥٧٤ .

إلفُ هذا الهواءِ أوقع في الأذُنِ فُسِرَ أنَّ الحِمَامَ مُرٌّ المذاقِ
والأسي قبل فُرْقَةِ الروحِ عجزٌ والأسي لا يكونُ بعدَ الفراقِ

وقال :

تمتّع من سهادٍ أو رقادٍ ولا تأملُ كَرَى تحتَ الرجامِ
فإن لثالثِ الحالين معنىً سوى معنى انتباهكِ والمنامِ

وقال :

تبخلُ أيدينا بأرواحنا على زمانٍ هنَّ من كَسْبِه
فهذه الأرواحُ من جَوِّه وهذه الأجسامُ من تربيهِ
يموتُ راعي الضأن في جهله ميتة جالينوسَ في طبهِ
وربما زاد على عُمره وزادَ في الأمنِ على سُرْبِه

ولنما نقل أبو الطيب هذا المعنى من قول أبي غسان المتطرب^١ :

حُكِّمُ كَأْسِ المنونِ أن يتساوى في حماها الغبيُّ والألمعيُّ
ويحلُّ البليدُ تحت ثرى الأثر ضرَّ كما حلَّ تحتها اللوذعيُّ
أصبحت رمةً ترايل^٢ عنها فضلها الجوهرى والعرضيُّ

١ لعل الصواب ابن غسان ؛ وقد ساء الشعالي (اليتيمة ٣ : ٤٢٨) أبا الحسن ابن غسان البصري الشاعر الطبيب ، وذكر أنه ورد الأهواز مع الشمرء ومدح عاملها ، وذكره التوحيدي باسم «ابن غسان» في الامتاع ٢ : ١٦٩ وحكى أنه غرق نفسه لأسباب تجمعت عليه من فقر وجرب وعشق ؛ وترجم له القفطي (تاريخ الحكماء : ٤٠٢) وذكر أنه كان يخدم بصناعته ملوك بني يويه .

٢ م ط : أصحا . . . يزایل .

وتلاشي كيانها الحَيَوَانِي^١ وأودى^٢ تقويمها المنطقي

وهذا كلامٌ من الإلحاد ، على غاية الاضمحلال والقساد ، فليس تساوي
الناس في الموت والفناء ، حجةً في عدم البقاء ، والمراتب في دار الجزاء .

ومن شعر أبي العلاء ، في هذه الأثناء ، التي ولع بها أيضاً وشغف ،
وصرف كلامه فيها فتصرف ، قوله ^٣ :

والنفسُ أَرْضِيَّةٌ في قول^٣ طائفةٍ وعند قومٍ ترقى في السمواتِ
وكونُها في طريقِ الجسمِ أحوَجُها إلى ملابسٍ عَنَتُها وأقواتِ

وقال ^٤ :

وأوصالُ جسمٍ للترابِ مآلُها ولم يدرِ دارِ أين تذهبُ روحُها

وقال ^٥ :

والروحُ تنأى ولا يدرى بموضعها وفي الترابِ لعمرى يرفت الجسدُ

[وقال ^٦ :

١ ط م د س : وأردى .

٢ الزوميات : ٥٥ ب (نسخة ليدن رقم : ٩٠٦) ١٤ : ١٤٨ - ١٤٩ (ط . هندية) .

٣ الزوميات : والروح . . . في رأي .

٤ الزوميات : ٦٦ ب ، ١٤ : ١٧٨ .

٥ الزوميات : ٨٧ أ ، ١٤ : ١٩٧ .

٦ الزوميات : ٩٠ أ ، ١٤ : ٢٠٠ .

والعيشُ كالماءِ يغشاهُ حوائطنا
ومدُّ وقِيٍّ مثلُ القَصْرِ غايتهُ
فصاحرون وقومٌ إثرهم وردوا [١٩٤]
وفي الهلاكِ تساوى الدَّر والبرد

وقال ١ :

أما الصحابُ فقد مرّوا وما عادوا
سيران ٢ ضدّ أن من روح ومن جسد
وبيننا في لقاءِ الموتِ ميعادُ
هذا هبوطٌ وهذا فيه إصعاد

وقال ٣ :

وفكري سلّ حبّ المالِ مني
ستضرّني الحوادثُ في نظيري
ووجدني بالحياةِ أطالَ شعفي
فتمحقني ولا يزدادُ ٤ شعفي

رجعت إلى ما قطعت من قصيدة عبد الجليل .

وفيها يقول :

كذبتُ حياةَ المرءِ عند وجودها
لله أيُّ غنيمةٍ غنيمَ الردى
ومن الفجائعِ غارةٌ شعواء
فإذا البريّةُ كلّها دهماء
لنواصتِ الغبراءُ والخضرَاءُ
أن لا يدومَ بحاله الدأماء
وجِدَ الحمامُ ومنه كان الداءُ
من كان غرّةً جنسه حتى احمأ
جبلٌ تقوّضَ لو تشخّصَ عظمه
ومغيبُ ما قد غاضَ منه شاهدُ

١ اللزوميات : ٩١ ، أ ، ١٠٣ : ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٢ ط م د س : شيطان .

٣ اللزوميات : ١٨٩ ب ، ٢٠٤ : ٩٧ .

٤ اللزوميات : ولا أزداد .

أكبرتُ نَعْيَ جلالِهِ فنَفِيتُهُ
مات ابنُ عيسى مَنْ يَقولُ به عسى

وهو الجليّةُ ما عليه خفاء
شفقاً وليس مع الحمام رجاء

ومنها :

أفلا حَمَمَتُهُ فضائلُ موفورةٌ
وأذمّةٌ في سرِّ لحمٍ طالما
شهِروا سلاحَ الدَمْعِ خَلَفَ سريره
رُحْنَا به بل بالسيادةِ والعلا
نطأ القلوبَ على سوامِ سبيله
أخذَ الأسمى فيه البرودَ بشاره^١
حتى إذا بلغوا به ملحودةً
ضرب الهدى في لحدِهِ بيمينه
وأظْلَمَ التزليلُ يتلو نفسه
مستصبحاً أعمالَهُ متأنساً
ولربما استخلصتَ منا أنفساً
وهناك لو كُشِفَ الغطاءُ لناظري
في الحبِّ إذ يحوي سميكَ أسوةً
يا تَرْبَةَ استبقي سناءً ، ويا فلا
اللهَ فيّ وفي جوانحِ رطبةٍ
أبنيه نحن وأنتمُ شرعٌ به

وجلالةٌ تغنو لها العظماء
خَدَمَتْ رعايةَ حقّها الأمراء
إذ لم يكنُ للباترات غناء
والشمسُ نجمٌ والنهارُ مساء
فالسيرُ مهلٌ والعتارُ ولاء
مما جناهُ الزَّهْوُ والخيلاء
قمنا به لو أنّه الجوزاء
فتناولتُهُ عَرَصَةً فيحاء
بتلاوةٍ لم يؤنّها القراء
بزواهيرٍ هي والنجومُ سواء
ملأتْ ضريحَكَ والصدورُ جلاء
حول القلبِ حديقةً غناء
لو حُمِّ منك وقد حُجِيتَ لقاء
لا تَلَحَّحْنُكَ^٢ جريمةً شعاء
لم تخلُ من شفقاتها الأعداء
وعلى المصابِ بفقدِهِ شركاء

١ بشاره : سقطت من م س .

٢ ط م س : مناه (دون اعجام في ط وفوقها كذا) ويا قل ؛ د : لا تخلقك .

هزّوا قوادمكم إلى عليائه
أماً وقد شبهتُ ماثلاً رَسْمِهِ
واعجبْ لذلك الخطَّ في صفحِ الثرى
أننى وسعتَ وأنت مضجعُ واحدٍ
يا زائريه تكحلوا بصعيدِهِ
فغَرَّتْ له فاها الجدالة^٢ فانطوى
قَسَمَ الأناثُ تراثَ علمك فاستوى
كنّا عبيدَكَ في اعتقاد نفوسنا
يا مُلبَسَ النُّعمى يجرُّ ذيلها
وبكتُ عليك الشمسُ حقَّ بكائها
خُذْها علالةً خاطرٍ دلّهتَهُ
قامتُ تناوحُ فيك كلَّ قصيدة

قد رَشَحَتْ أبناءها الفتخاء [٩٤ ب]
سطرا فمَّ الحكمة الغراء
أنْ حاز علماً ما له إحصاء
مَنْ هذه الآفاقُ مِنْهُ ملاء
كُحِلُ البصائرِ تلکمُ البوغاء^١
في طيها الإسهابُ والإيماء
في نَيْلِهِ البُعْداءُ والقرباء
إذ في اعتقادك أننا أبناء
لبستُ ثراكَ غمامةً وطفاء
أن كان قد تتفاقد النظراء^٣
من حيثُ ينشطُ جاءهُ الإعياء
تَقَفَّتْها وقناتها زوراءُ

أنشدتها على توالي الانتخاب ، حسبما صنعتها في أكثر أشعار هذا الكتاب .

قوله : « أيقرنى أن يستطيلَ بى المدى » . . . البيت ، يلح من بعض
الوجوه ، وإن لم يشبهه كل التشبيه ، قول أبي العلاء^٤ :

وقبيحُ بنا وإن قدّمَ العهدُ هوانُ الآباء والأجدادِ

١ البوغاء : التراب عامة ، أو التراب الهابي في الهواء .

٢ الجدالة : الأرض .

٣ د : القرناء .

٤ شروح السقط : ٩٧٥ .

وأبو العلاء إنما ذهب إلى قول أبي الطيب^١ :

يدفنُ بعضنا بعضاً ويمشي أواخرنا على هامِ الأولي

وقوله : « وسواء أن تجلى اللحاظ » ... البيت ، كقول التهامي^٢ :

واستلَّ من أترابه ولِداته كالمقلة استلَّت من الأشفار

إلا أنَّ عبد الجليل قد نفخ فيه روحاً ، وسلك به مسلكاً مليحاً ، وولَّد له إحساناً صريحاً .

وأما قوله : « أكبرتُ نَعْمِي جلاله » ... البيت ، فقلَّ أحدٌ من الشعراء ال بيتاً في الرثاء ، إلا ولهذا المعنى أشار ، وحواليه دار ، لأنَّه من متداولات المعاني ، قال صريع الغواني^٣ :

تأملُ أيها الناعي المشيد أحقَّ أنه أودى يزيدُ
أتدري من نعت وكيف فاهتُ به شفتاك كان بها الصعيد

وقال أبو الطيب^٤ :

طوى الجزيرةَ حتى جامعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ

١ ديوان المتنبي : ٢٥٧ .

٢ ديوان التهامي : ٥٣ .

٣ ديوان مسلم بن الوليد : ١٤٧ ورجع ابن خلكان ٦ : ٢٣٨ أن الشعر لمبداه بن أيوب التيمي .

٤ الديوان : تأمل .

٥ ديوان المتنبي : ٤٢٣ .

وقال أبو إسحاق بن معلّى من أهل عصرنا^١ :

وتلجج الناعي به فسألتُهُ عن ذا الحديث لعله يرتابُ

وقال أبو الحسن ابن الجلد^٢ :

تصامتُ عنها مستريحاً إلى المني وقلتُ عساها في الأحاديثِ بهتانُ

وقال أيضاً بعض أهل عصرنا^٣ :

ونبتّهي ناعٍ مع الصبح كلّما تشاغلّت عنه عنّ لي وعناني [١٩٥]
أغمضُ أجفاني كأنّي نائمٌ وقد بلّغتِ الأحشاءُ في الخفقانِ

ولبعضهم أيضاً في قريب منه وإن لم يكن به :

أيحي وما أدعوك إلاّ تلعّة^٤ نغالط فيك النفس حيناً من الدهرِ
وإنّا لندرى أنّه لا يخبينا ولكنّ تخلّينا الجواب فما ندرى

وقوله : « شهرُوا سلاحَ الدمع » . . . البيت ، كقول أبي الطيّب^٥ :

• يبكي^٦ ومن شرّ السلاحِ الأدمعُ •

١ ترجمته في القسم الثالث : ٨٤٠ وانظر البيت : ٨٤٤ .

٢ سيرد البيت في هذا القسم : وانظر الثالث : ٨٤٩ .

٣ هو الأعمى التطيلي ، انظر ديوانه : ٢٢٨ وستأتي ترجمته في هذا القسم : ٧٢٨

٤ ط م : لطة .

٥ ديوان المتنبي : ٥٠٨ و صدره : يا أيّ الوحيد وجيّه متكاثّر .

٦ ط د م س : أبكي .

وقوله ^١ : « والشمس نجم » ... البيت ، معنى أحسن فيه وإن لم يكن
اخترع ، فقد أحسن وأبدع حيث اتبع .

وقوله : « نطأ القلوب » ... البيت ، من قول التهامي ^٢ :

كَأَنَّ وَخَذَ مَطَايَاهُمْ إِذَا وَخَذَتْ
يَطْأَنَّ فِي حُرٍّ وَجْهِي أَوْ عَلَى بَصْرِي

وقوله : « أخذ الأسى فيه البرود » ... البيت ، نبّهه عليه ابن الرومي
بقوله ^٣ :

أَخَذْتُ مِنْ رُؤُوسِ قَوْمٍ كَرَامٍ ثَارَهَا عِنْدَ أَرْجُلِ الْأَعْلَاجِ

وقوله : « يا تربة استبقي » ... البيت ، من قول المعري ^٤ :

فِيَا قَبْرُ وَاهٍ مِنْ تَرَابِكَ لَيْسَ عَلَيْهِ وَآهٍ * مِنْ جَنَادِكَ الْخُسْنِ
لَأَطْبِقَتْ لِطَبَاقِ الْمَحَارَةِ فَاحْتَفَظْ بِلَوْلُؤَةِ الْمَجْدِ الْحَقِيقَةِ بِالْحَزَنِ

وقوله : « أنى وسعت وأنت مضجعٌ واحد » ... البيت ، كقول
أشجع السلمي ^٥ :

١ وقوله : سقطت من ط م .

٢ لم يرد في ديوانه .

٣ مر قبلا ص : ٣٧٩ مع تخريجه .

٤ شروح السقط : ٩٣٨ - ٩٣٩ .

٥ ط د م : واهاً ... وآها .

٦ أمالي القاضي ٢ : ١١٥ والحماسية رقم : ٢٨٠ (شرح المزدوقي) وزهر الآداب : ٧٩٤

والسمط : ٧٤٥ ووفيات الأعيان ٤ : ٨٩ .

فأصبحَ في لحدٍ من الأرض ميتاً^١ وكان به حياً^٢ تضيقُ الصحاحُ

وأجمع أئمة الأدباء^٣ ، أنه لا فرق بين المدح والثناء ، إلا أن يقال :
أودى وعُدِمَ به كيت وكيت وشبهه ، مما يُعْلِمُ أن المدوح ميت ،
هذا إذا كان المؤنّ ملكاً أو ذا صيت وقدر ، كقول النابغة في حصن بن
حذيفة بن بدر^٤ :

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم فكيف بحصن والجبال جنوح

وألفاظ النساء ، أشجى في باب الرثاء ، من كثير من الشعراء ، لما
ركب في طباعهن من الحور والملع ، وألفاظ الناس مبنية على كثرة التفعج
كما قال جيب^٥ :

لولا التفعجُ لادّعى هضب^٦ الحمى وصفاً المشقرّ أنه محزون

ولذلك عرّوا المراثي من ألفاظ النسب ، وجرت بذلك سنة البعدي
والقريب ، على قديم الزمان ، إلا ابن مقبل فإنه قال في رثائه لعثمان بن عفان
رضي الله عنه^٧ :

١ الأما لي : وكانت له حياً .

٢ متابع للعمدة ٢ : ١٤٧ .

٣ ديوان النابغة : ٢١٣ والعمدة ٤ ط د : حصن بن بدر ٤ م : حصن والفاظه بدر .

٤ قارن بالعمدة ٢ : ١٥٣ .

٥ ديوان أبي تمام ٣ : ٣٢٤ والعمدة .

٦ ط د م : حصب .

٧ ديوان تميم بن أبي بن مقبل : ١١ ومطلع القصيدة :

عفا بطحان من قریش فیثرب فملقي الرجال من منى فالحصب
وهذا الذي أورده ابن بسام هو ما جاء به ابن رشيق في العمدة ٢ : ٢٥٢ .

ولم تنسني قتلى قريش ظمائناً تحملن حتى كادت الشمس تغرب
ودريد في تأبين أخيه ، تنزّل أيضاً فيه ^١ ، والشاذ لا يلتفت إليه ، ولا
يعوّل عليه .

ومن أشد ^٢ الرثاء صعوبة على الشعراء ، تأبين الأطفال والنساء ، ألا
تري أبا الطيب - وهو الذي قال ، فأصاحت الأيام والليال ، قد عابوا قوله
في رثائه أم سيف الدولة :

سلامُ الله خالقنا حنوط على الوجه المكفن بالجمال

وقالوا : ما له ولهذه العجوز يصف جمالها ؟؟ وتعصّب له بعضهم وقال :
إنها استعارة ، فقيل : إنها استعارة حداد في عرس ^٣ ، وكذلك قوله في أخته :

ولا ذكرتُ جميلاً من فعائلها ^٤ إلا بكيتُ ولا ودّ بلا سبب [٩٥ب]

ولولا الإطالة ، وأنها تُفضي إلى الملالة ، لزدنا ، فلنرجع إلى ما وعدنا

١ مطلع قصيدة دريد في رثاء أخيه :

أرث جديد الحبل من أم معبد بعاقبة وأخلفت كل مومع

٢ الممدّة ٢ : ١٥٤ .

٣ هو قول الصاحب بن عباد في رسالته : ٢٣٣ .

٤ الديوان : صئانمها .

ومن شعر عبد الجليل في المدح ، وهو فيه فائز القدح

قال من قصيدة في المعتمد بالله ، أولها ١ :

بيني وبين الليالي همة جَلَلُ
سرابُ كلِّ يَبَابٍ عندها شَنَبُ
من أين أُنْخَسُ لا في ساعدي قصر
ذنبِي إلى الدهر إن أبدى تَعْنَتُهُ ٢
يا طالبَ الوفْرِ إني قمت أطلبها
لا كان للعيش فضل لا يجود به
لكن بَحَلْتُ بأنفاسٍ مَهْدَبَةٍ
إذا مَدَحْتُ قُحِّي نَحْمٍ وسِيدَهَا
وإن وصفتُ فكالْيَوْمِ الذي عرفت
وقد دَلَفْتَ إليهم تحتَ خَافِقَةٍ
فراعهم منكَ وَصَّاحُ الجِيبِ وعن
وحيثُ أَسَمِعْتَ ما أَسَمِعْتَ من كَلَمٍ
وكَلِمًا نَفَحَتْ رِيحُ الهَلْدَى خَمَدَتُ

لوناها البدرُ لاستخذي له زُحَلُ
وَهَوَلُ ٣ كلِّ ظلامٍ عندها كحل
عن المساعي ولا في مقولي خَطَلُ
ذنبُ الحسام إذا ما أحجمَ البطل
علياءَ تَغْنَى بها الأسماعُ والمقل
يكفي المَهْتَدَ من أسلابه الخلل
تروي العقولَ وهنُ الجمرُ والشَّعَلُ
عن الأثامِ وعمّا زخرفوا شُغْلُ
بكَ الفرنجةُ فيه كُنْهَ ما جهلوا
قلبُ الضلالةِ منها خائفٌ وجل
نشر الحسام يكونُ الرعبَ والوهل
تَمَثَّلَتْ لهمُ الأعرابُ والرُّعْلُ ٤
ذَمَّاهُمُ ٥ وسيوفَ الهند تشتعَلُ

١ بعض أبياتها في القلائد والخريدة والبغية والمساك والرايات .

٢ الرايات : ودجن .

٣ الرايات : والخريدة فلتكره سجيته .

٤ م ط د : والوهل .

٥ م ط س : ذمَّاهم .

جيش فوارسه^١ بيض كأنصله وخيله كالقنا عسالة^٢ ذُبُل
يمشي على الأرض منهم كل ذي مرح كأنما النيه في أعطافه كسل

ومنها :

أشباه ما اعتقلوه من ذوابلهم فالحرب جاهلة^٣ من منهم الأسَلُ
لولا اعتراضك سدّ آيين أعينهم لكان يَغرقُ فيها السهل والجبل
أنسيتهما النظرَ الشزَرَ الذي عهدت فكل عين بها من دهشة قبل
ترسلوا آلَ عبادٍ فربّما لم يدرك الوصف ما تأتون والمثل
إذا أسرتم فما في أسركم قنطُ وإن عفوتم فما في عفوكم خلل
يقبل الغل مرتاحاً أسيركم فهو البشير له أن تسحب الحلل

قوله : « ذنب الحسام إذا ما أحجم البطل » ، أشار إلى قول حبيب^٤ :

وقد يكهم السيفُ المسمى منية وقد يرجعُ المرءُ المظفرُ خائبا
فأفة^٥ ذا أن لا يصادف مضرباً وآفة^٦ ذا أن لا يصادف ضارباً

وأخذه البحري فقال^٧ :

وعذرتُ سيفي في نبو غِزاره إني ضربتُ فلم أقع بالمضرب
ونعم ما نقله بعض أهل عصرنا ، وهو أبو الفضل ابن شرف ، وزاد

١ جيش فوارسه : موضعها بياض في ط س .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ١٤٨ .

٣ ديوان البحري : ٢٨٣ .

فيه حسن النقل وبراعة التشبيه فقال ^١ :

تقلدني الليالي وهي مدبرةٌ كأني صارمٌ في كفٍّ منهزمٍ

وقال ابن عبد الصمد السرقسطي ^٢ : [١٩٦]

ذلٌّ في ذا الزمانِ نظمي ونثري ذلَّةَ السيفِ في يمينِ الجبانِ

وإن كان أبو الطيب سلك سبيلها ، وكان في حسن مذهبه دليلها ، حيث يقول ^٣ :

أتى الزمانَ بنوه في شبيبته فسرَّهمُ وأتيناهُ على الهرمِ

وقال أبو تمام ^٤ :

نظرتُ في السَّيرِ اللَّائِي مَضَتْ فإذا وجدتها * أكلتُ باكورةَ الأممِ

فجمع ابنُ شرفِ المعنيين . واتخذ طريقاً معلماً بين الطريقين ، وأجاد المعري في هذا المعنى ما أراد وزاد ، حيث يقول ^٥ :

تمتَّعَ أبكارُ الزمانِ بأيديهِ وجثنا بوهنٍ بعدما خَرِفَ الدهرُ

١ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٢ الذخيرة ٣ : ٨١٢ .

٣ ديوان المتنبي : ٥١٣ .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٢ .

٥ الديوان : أيامه .

٦ اللزوميات : ١٠٩ / ١٤٩ : ٢٤٧ .

فلبت الفتى كالبدر جُدّد عمره يعودُ هلالاً كلما فنيَ الشهر

وقال ٢ :

كأنما الخيرُ ماءٌ كان واردهُ أهلُ العصورِ وما أبْقَوْا سوى العَكرِ

وقال ابن شماخ ٣ من أهل عصرنا :

صفا للأُلى قبلي أتوا درّ دَهْرِهِمْ فلم يصفُ لي مذ جئتُ بعدهم عمرُ
فجاءوا إلى الدنيا وعصرُهُمْ ضحىً وجئتُ وعصري من تأخره عصر

وقال أبو جعفر المحدث من أهل عصرنا ٤ :

لقي الناس قبلنا غُرّةَ الدهرِ ولم نلقَ منه إلا الذُنابِ

وقال عبد الجليل من قصيدة في ابن عمار :

قتلتُ بني الأيامِ خُبراً فباطني مشيبٌ وما يبدو عليّ شبابُ
ولما رأيتُ الزورَ في الناس فاشياً تخيّل لي أن الشبابَ خضابُ
وآليتُ لولا مَلِكُ نَحْمٍ محمد لما كان ملك في الأنامِ لبابُ
ولولا ابنُ عَمّارٍ وفاضلٌ سعيه لأصبح رُبْعُ المجدِ وهو خرابُ
وما كان يؤتى المجد من حيث يبتغى ولا كان يُدْرَى للحوادث بابُ

١ ط م د س : كالغجر .

٢ الزوميات ١٣٧ / ١ : ٣١٥ .

٣ أبو مروان عبد الملك بن شماخ ، وردت ترجمته في القسم الأول : ٨٢٧ .

٤ ترجمة أبي جعفر المحدث في القسم الأول ص : ٩٠٥ وقد ورد البيت هناك .

ولا أحرقت أرض العدو صواعق
وما كان هارون أصح وزارة
بعيد الرضى في النصيح ما كان راضياً
نهوض ولو أن الأسنّة مركب
مضى مثلما يمضي القضاء وهزه
كما اقترنت بالبدر شمس منيرة
فكأيلته صاع المودة وافيأ
ومن كأبي بكرٍ لبكرٍ مكارم
أنافت به فوق السماكين همة
فلفظته يوم المهابة خطبة
له سنّة في الجدل والهزل مثلما

ولا مطّرت أرض العفاة سحاب
لموسى ، وهل دون السحاب حجاب
لو أن له السبع الشداد قباب
ورود ولو أن الحمام شراب
همام يهز الجيش وهو مضاب
له عن سناها في الخطوب مناب
وكلّ مثيب بالوفاء مثاب
لها من ثنائي حلية وملاب
أناف عليها عنصر ونصاب
ولحظته يوم اللقاء ضراب [٩٦ب]
تدار كؤوس أو تدق حراب

ومنها في وصف كلامه :

رقيق كما غنت حمامة أبكة

وجزل كما شقّ الهواء عقاب

وله من أخرى :

أطلت في الدهر تصعيدي وتصويبي
وربّ أخرج لا يهندي إلى فمه
وأفني أدب باد فضيلته
كفى من اللحظ أني لا أنافس في
وقد أرى صوراً في الناس مائلة

ودهر ذي اللب مضمار التجارب
أصاب غرة مأمول ومرغوب
من حيث يشفع لي قد صار يغري بي
حظي ومخبرتي تكفي وتجريبي
أشيمها بين تحقيق وتكذيب

١ انظر الذخيرة ، القسم الأول : ١٤ .

لما ملأتُ يدي منهم لأخبرهم
بيضٌ وجوهمهم ، سودٌ ضمائرهم
الصدقُ أولى بمن يُبدي ضغينتهُ
نفضتُ كفتي بأشباهِ الياسيب
فما حصَلتُ على عُرْبٍ ولا نوب
لا نجعلُ الصدقَ في نعتِ الأصاحب

ومن المدح :

في حسن رأي عبيد الله لي عيوض^١
وإن صحبتُ فتأملي لغرتهِ
بذلك الوجه تجلّ كلُّ غاشيةِ
عاد المصلّي بوضّاحِ أسيرتهُ^٢
فاستقبلت قبلةُ الإسلامِ بدرَ علا^٣
وغرةً تطلبُ الآمال قبلتها
أدنى المؤيد إذ شطّت منازلها
كالطّرفِ والقلبِ فيما بين ذلك وذا

وفضلهُ بدّل من كلِّ مطلوب
وذِكْرُهُ خَيْرُ مألوفٍ ومصحوب
عن ناظرٍ بوجوه اللوم محسوب
تنبيك عن خلدٍ بالفهم مشوب
يُمنّي له البدر نجماً غير محسوب
بين المحارب طراً والمحارب
فضلاً بفضلٍ وتهذيباً وتهذيب
مسرّى الضمير وتبعيداً كتقريب

يتطرف هذا ، وإن لم يكن به ، قول ابن الرومي^٤ :

كضميرِ الفؤاد يلتهمُ الدُّنيا ونحوه دفناً^٥ حيزوم

ومنها :

فبتُّ من وصفه في غايةِ قَدَفٍ
كأنني واجدٌ من عَرَفٍ سودده
والطبعُ ينجدني والفكرُ يسري بي
ريحُ القميصِ سرّت في نفس يعقوب

١ م : عرض ؛ وسقطت هـ لي هـ منها ومن ط .

٢ زهر الآداب : ٣٩٢ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٤٧ .

٣ م ط د : دفناً .

وإنه من أخرى^١ :

يعزُّ على العلياء أني خاملٌ وإن أبصرت مني خمودَ شهابٍ
وحيثُ يرى زَندُ النجاةِ واريأ فثمَّ يرى زَندُ السعادةِ كإبي

ألمَّ في هذا بقول أبي الطيب^٢ :

وما الجمعُ بين الماءِ والنارِ في يدي بأصعبَ من أن أجمع الوفَرَ^٣ والفهما

بل إلى قول الآخر أشار ، وحواليه دار ، وهو :

إذا جمعت بين امرأين صناعةً فأجبت أن تدري الذي هو أحقُّ
فحيثُ يكونُ الجهلُ فالرزقُ واسعٌ وحيثُ يكونُ النبيلُ فالرزقُ ضيقٌ

وفي هذه القصيدة يقول عبد الحليل : [١٩٧]

وإني لفي دهرٍ فرائسُ أسدِه سدَى عبثتُ فيه نيوبُ كلابِ
أنحى على الأيامِ غرٌّ مناقبي وقد بذتُ شأوي شأوَ كلِّ نقابِ
ويركبنِي رسمُ الخمولِ وقد غدت خصالُ العلا والمجدِ طوعَ ركابي

١ انظر الفيت ٢ : ٧٤ والشريشي ٢ : ١٣٩ .

٢ ديوان المتنبي : ١٦٢ .

٣ الديوان : الجد .

٤ الشعر لأبي إسحاق الصابي ، انظر اليتيمة ٢ : ٢٩٣ ومعجم الأدباء ٢ : ٨٥ - ٨٦ وبهجة

المجالس ١ : ١٩٤ .

٥ اليتيمة والمعجم : النقص ؛ بهجة المجالس : النول .

٦ اليتيمة والمعجم : الفضل ؛ بهجة المجالس : الخلق .

سأرقى بهمائي قصارى مراتبي
لتعلم أطراف الأسنة أنني
وتشهد أطراف اليراعات أنني
وليس نديمي غير أبيض صارم
مضمخة لا بالخلوق أناملي
ولكن بنفع بخجيل الروض زاهراً

ومنها ٢ :

ومن لم يخضب رُمحه في عداته
ومن لم يحل السيف من بهم العدا
إذا ورق الفولاذ ٣ هز تساقطت
ومن يتخذ غير الحسام غالباً
ومن غرة من ذا الأنام تبسم

وله من أخرى أولها :

لولا تبسم ذاك الظلم والبرد
بل لا أطيعك في غصن أھيم به
وأي بي وبصبري عن جفون رشا
بعدي على اللوم قلبي وهي تؤله

وإن كان أدناها يطبل طلابي
كفيل بها عند الصدا بشراب
بهن مصيب فصل كل خطاب
وليس سميري غير شخص كتاب
مزعفرة لا بالعير حوابي
ولكن بدعس في كل ورقاب

تساوت به في الحي ذات خضاب
تحلى بخزي في الحياة وعاب
ثمار حنوف أو ثمار رغب
فما هو إلا وارد بسراب
فبالعقل قد أضحي أحق مصاب

قبلت نصحك إلا في هوى الغيد
كأنه نابت في طي معتدي
غوامض السحر لا يفتن في العقد
كما تضر كميًا شكة الزرد

١ د : كتابي .

٢ ومنها : سقطت من م .

٣ م د : الفلاذ .

وهذا من قول أبي الطيب :

بنو كعب وما أشرت فيها^٢ يدٌ لم يُدْمها إلا السَّوارُ
لها^٣ من قَطْعِهِ ألمٌ ونقصٌ وفيها من جلالته افتخار

ومن قصيدة عبد الجليل حيث يقول :

قل للرشيد وقد هبَّتْ نوافحها أسرفت يا ديمةَ المعروف فاقتصد
أشكو إليك الندى من حيث أحمده لو فاضَ فيضاً عليَّ البحرُ لم يزد

قال ابن بسّام : وأخبرني من لا أَرُدُّ خبره أنه دخل على عبد الجليل يوماً
وقد تطاول حتى كاد يمسُّ رأسُهُ السماء ، فقال له : قد أتيت [بيت] فلم
أَزِدْ^٤ ، وما أحسب حُسْنَهُ لأحد ، وأنشد هذا البيت ، قال الحاكمي ،
فقلت له : فأين أنت من قول أبي عبادة^٥ :

تنصَّبَ البرقُ مختالاً فقلتُ له لو جُدَّتْ جودَ بني يزداد لم تزدِ

قال : فبدا عبوسه ، وتضاءل حتى كدتُ أدوسه ، وقال : كسرتني
والله ، لو خطر هذا على بالي ما قلت [٩٧ ب] ذلك .

وفيها يقول :

١ ديوان المتنبي : ٣٩٧ .

٢ الديوان : فيهم .

٣ الديوان : بها .

٤ م س : هل أتيت فلم يزد .

٥ ديوان البحراني : ٦٥٩ .

يا قاتلَ الشكرِ بالإحسانِ يعمره
عجبتُ من كَرَمٍ في راحتِكَ بدا
جادتِ سحابُكَ إذ جادتِ على أُملي
أثريتُ عندَكَ^١ من جاهٍ ومن نسبٍ
يا واحداً تقتضي الآؤهُ جملاً
للناسِ بعدَكَ في العُلَيَا منازلُهُمُ
يُدْعَى^٢ الرشيدَ ولم تعدم به صفة
لك الرشادةُ أخلاقاً وتسميةً
أيُّ الفضائلِ تَسْتَوْفِيهِ مكتهلاً
بادهنتي بأَيادي لا يقومُ بها
عاد الزمانُ بما أوليتني غُصْناً
ما عذر طبعي أنْ ينبو وما تركتُ

مهلاً أما لقتيلِ الجودِ من قودِ
إشراقه كيف لم يُعزَّزْ إلى الفند
فقال أشياعها جادتْ على بلد
حتى وجدتُ الغنى في همتي ويدي
بَرَحَتْ بي وبنظم الشكلِ فاثتد
والواحدُ الفردُ يحوي مبدأ العدد
يا مَنْ هو الفصلُ بين الغيِّ والرشد
مثل البسالة إذ تُعزَى إلى الأسد
وذا شبابُكَ قد أربى على الأمد
ما في لساني من قصدٍ ومن لدد
غضاً فقامتْ مقام الطائرِ الفرد
به أياديك من أمتٍ ومن أودِ

وله من أخرى في المعتمد أولها :

قالوا صحا وأدال الغيَّ بالرشدِ
لئن صحوتُ فغن كَرِهٍ وقد علموا
لم يقصد الدهرُ إصلاحِي ولي مثلُ^٣

من لي بذاك الصِّبَا في ذلك الفَنَدِ
بأيّ علقٍ من الدنيا فتحتُ يدي^٤
في الغصن تذهبُ عنه صورةُ^٥ الغيدِ

١ س : يغمره .

٢ ط د : عبدك .

٣ م س : تدعو .

٤ د : فقامت فيه .

٥ وقمت لفظة « ومنها » في ط بعد هذا البيت .

٦ م س : سورة .

ومنها :

طوى الزمانُ ليليَّاتٍ نعمتُ بها
وقاتل الله أدوارَ السنين فكم
لم يرسم الشيبُ في فوديَّ خطَّته^١
ضيفُ الوقارِ أفدنا منه تكرمةً
وأسرُّ الخطَّ لا تبدو فضيلته
للدهرِ عندي بنات^٢ من تجاربه
الحرُّ يرزأُ إلَّا فضلَ شيمته
وما الغنى في يدٍ مملوءةٍ عَرْضاً
أو في رجاءِ ابنِ عبادٍ وقد رَغبتُ
استوثق الناسُ مما في أكفهم^٣
ولا يرى العَقْدُ إلَّا في أذمتِه
بقيةُ الفضلِ في دنيا قد ارتضعت
مستجمعُ الفكرِ لا ينحو^٤ معاندُه
إذا استخفت حلومُ القومِ وقرها
يكفي المؤيدَ في الأعداء أن^٥ له

رنا بعينِ الرضى منها ولم يكد
مزجن بالسمِّ ما احلولى من الشهدِ
إلَّا ترحَّلتِ اللذاتُ من خلدي
بما تثقف^٦ من أمتٍ ومن أود
بغيرِ أزرق كالنبراسِ - متقد
أولى وأجدرُ بي من بيضها الخرد
وإن تقلَّب بين البؤسِ والنكد
لكنه في وفورِ العزمِ والجلد
أيدي الملوك عن الإفضال والصَّفد
وربما نفثوا بخلاً على العَقْد
وما حوته يداه غيرُ منقَد
ورحمة الله في سلطانه النكد
على بوائده من آرائه بددٍ [٩٨]
يقظانُ يسئى إليهم سعيَّ متد
عيناً من الله لا تغنى^٦ من الرصد

١ م : قطعتة .

٢ ط د : فما تثقف .

٣ ط د : نبات .

٤ سقط هذا البيت واثنان بعده من م .

٥ ط س : ينجو .

٦ م : لا تغنى .

تلقى به صيلٌ أصلالٍ وآيتهُ
وما تمرُّ بأدهى من ليوثٍ وغى
يجرُّ من شجر الحطبي غابته
أن تستين عليه قشرةُ الزرد
يتبعن منه أباناً وافر اللبد
وذاك ما لم تسعه عزمةُ الأسد

ومنها :

جاريتمُ الدهرَ في مضمار حلتبها
لكن تحيتها قدماً وقد شهدت
لحمُ ابن يعربٍ أولى أن يضاف إلى
أنت الجميع وأنت الفرد قد علموا
جرباً سواءً إلى أقصى من الأمد
« يا دار ميةً بالعلياء فالسند »^١
سواء معتضد فيكم ومعتمد
سريرة لم تكن في واحد العدد

ومنها :

يا أشبه الناسِ آداباً بما لك من
من أين لي قدّمٌ في الفضلِ سابقةً
هذا الأتيُّ لذاك المزنِ منتسبٌ
أرسلتها في سماءِ المجد طائفةً
تُصنحي النهى أبداً من حيث تسكرها
لو أن لقمان يُعطى عمرها بك لم
طبعها ولك التبرُّ الذي طُبعتْ
جمال وجهٍ تحدثني وفضل يد
لو أن طبعي في واديك لم يرد^٢
عاري الأديم من الأقداء والزبد
عن غير جهدٍ وفيها متعةُ الأبد
وتسمع^٣ اللحظة صوتَ البلبل الفرد
يُخنن عليها الذي أخنى على لبد
منه فأسلمتها في كفٍ متعقد

وله وقد توقف مرتبه عند العامل :

١ لم يرد هذا البيت في م س .

٢ ط د : يزد .

٣ م س : وتشيع .

الستمُ معشرَ الأملاكِ طائفةُ
فان نقصتمُ أناساً من نوالكمُ
لكمُ خَلِقْنَا ولم نُخْلَقْ لأنفسنا
يا صاحبَ المجدِ إن المجدَ سائمةٌ
خُلِدَتْني بما شئتَ من غراءَ شاردةٍ
واعذرْ بتقصيره مَنْ لا يزالُ له
لا يدركُ القوتَ مما أنتَ واهبهُ
وليسَ للشعرِ إلاَّ خاطرٌ يقظٌ
وما المدايحُ إلاَّ بالملوكِ وهل

تقضي بتخليدِها هذي الأناشيدُ
فحقٌ منكمُ لأهلِ الشعرِ تزويدُ
فلئنما نحنُ نحميدُ وتمجيدُ
تضلُّ إن لم يكنْ^١ بالشعرِ تقييدُ
يصغي الأصمُ إليها وهو مفلودُ
في ساقِ الرزقِ إرقالُ وتوخيدُ
حتى يطولَ من العمالِ تنكيدُ
يهزُّ منكُ ترفيهُ وتأيدُ
بيدي سنا العقْدِ إلاَّ النحرَ والجليدُ

وهذا كقول أبي الطيب^٢ :

• وفي عتقِ الحسناءِ يُسْتَحْسَنُ العقدُ •

وله من أخرى إذ جاز المعتمدُ البحرَ إلى أميرِ المسلمين وناصر الدين ،
أولها^٣ :

عزمٌ تجرَّدُ^٤ فيه النصرُ والظفرُ وفكرةٌ خمدتُ من تحتها الفكرُ
وقال فيها^٥ :

١ م : يحق .

٢ ديوانه : ١٩٤ ، وصدر البيت : وأصبح شعري منهما في مكانه .

٣ منها سبعة أبيات في المطرب : ١١٩ ، وبيت في الخريدة ٢ : ٩٥ وسبعة في الخريدة ٢ :

١٠١ وثلاثة عشر بيتاً في الساك ١١ : ٢٧١ .

٤ م : تجدد .

٥ وقال فيها : لم يرد في م .

ركبت في الله حتى البحر حين^١ طما
 طيرف^٢ يزل^٣ عليه سرج^٤ فارسه
 كأن^٥ راكبه في متن^٦ ذي لبد^٧
 حملت نفسك فيه فوق^٨ داهية^٩
 عذرت^{١٠} لو أنه ميدان^{١١} معركة^{١٢}
 في حيث^{١٣} للكر^{١٤} والإقدام^{١٥} مضطرب^{١٦}
 عساك خلت^{١٧} حجاب^{١٨} الماء^{١٩} من زرد^{٢٠}
 أو قلت^{٢١} في الموج^{٢٢} خرصان^{٢٣} معرضة^{٢٤}
 هي البسالة^{٢٥} إلا^{٢٦} أنها سرف^{٢٧}
 لا تحمل^{٢٨} الدين^{٢٩} والدنيا^{٣٠} على خطر^{٣١}
 إن كان^{٣٢} ثوبك^{٣٣} مختصاً^{٣٤} بلبسه^{٣٥}
 هلاً^{٣٦} رحمت^{٣٧} نفوساً^{٣٨} حام^{٣٩} حائمها^{٤٠}
 وعاد^{٤١} أجبت^{٤٢}ها من كان^{٤٣} أشجعها^{٤٤}
 إنا لفي^{٤٥} حمص^{٤٦} نستقري^{٤٧} محضرها^{٤٨}
 لا نحسن^{٤٩} الظن^{٥٠} إشفاقاً^{٥١} وقد ضمنت^{٥٢}
 كأنما^{٥٣} النهر^{٥٤} لما سرت^{٥٥} سار^{٥٦} إلى
 كأنما^{٥٧} قمت^{٥٨} بالجدوى^{٥٩} تساجله^{٦٠}

أذيه^١ وبسوط^٢ الريح^٣ ينحصر^٤ [٩٨ب]
 وليس^٥ مما تضم^٦ الحزم^٧ والعذر^٨
 غضبان^٩ تقدح^{١٠} من أنفاسه^{١١} الشرر^{١٢}
 دهباء^{١٣} لا ملجأ^{١٤} منها^{١٥} ولا وزر^{١٦}
 يسموله^{١٧} رهج^{١٨} في الجو^{١٩} منتشر^{٢٠}
 وحيث^{٢١} تملك^{٢٢} ما تأتي^{٢٣} وما تذر^{٢٤}
 تعود^{٢٥} الخوض^{٢٦} فيه طيرفك^{٢٧} الأثير^{٢٨}
 تحارب^{٢٩} الجيش^{٣٠} أو مصقولة^{٣١} بئر^{٣٢}
 تنفي^{٣٣} الحذار^{٣٤} ، ومما^{٣٥} يؤثر^{٣٦} الحذر^{٣٧}
 وليس^{٣٨} يُحمد^{٣٩} في أمثالك^{٤٠} الغرر^{٤١}
 فقد^{٤٢} تعلق^{٤٣} من أذياله^{٤٤} البشر^{٤٥}
 عليك^{٤٦} واستولت^{٤٧} الأشواق^{٤٨} والذكر^{٤٩}
 شحاً^{٥٠} عليك^{٥١} وأحيا^{٥٢} ليله^{٥٣} السهر^{٥٤}
 وللقلوب^{٥٥} بذاك^{٥٦} اللج^{٥٧} مُحْتَضَر^{٥٨}
 لنا^{٥٩} مساعيك^{٦٠} أن^{٦١} يعنو^{٦٢} لك^{٦٣} القدر^{٦٤}
 ذاك^{٦٥} المجاز^{٦٦} فأجرى^{٦٧} فلكك^{٦٨} النهر^{٦٩}
 فناله^{٧٠} دهش^{٧١} أو ناب^{٧٢} حصر^{٧٣}

١ م : حيث .

٢ لعلها : ينحصر .

٣ ط د : الملح . . . معوضة ؛ م : قرصان .

٤ ط : محاطرنا .

٥ ط : الدهر .

٦ ط د : وارتابه (اقرأ : وارتابه) .

أحاط جودك بالدنيا فليس له
وما حسب بأن الكلَّ يحملُهُ
لم تننِ عنك يداً أرجاءُ ضفتيه
تواصلُ اللحظَ حسرى من هنا وهنا
فصرت فوق دفاعِ الله تهصرُهُ
كأنما كان عيناً^٢ أنت ناظرها
إلا المحيطَ مثال^١ حين يُعتبر
بعض^٣ ، ولا كاملاً يحويه مختصر
إلاً^٤ ومَدَّتْ يداً^١ أرجاؤه الآخر
وليس غيرَ الدعاءِ الجِصُّ والحجر
براحةِ البرِّ والتقوى فينهصر^٢
وكلُّ شطِءٍ بأشخاصِ الورى شفرُ

وهذا قول أبي الحسن السلامي ، وقد دخل مع بعض إخوانه دجلة ،
فقال^٥ :

وميدانٍ تجولُ به خيولُ تقودُ الدارعين وما تقادُ
ركبتُ به إلى اللذاتِ طِرْفاً له جسمٌ وليس له فؤاد
جرى فظننتُ أن الأرضَ وجهُ ودجلة ناظرٌ وهو السَّواد

وعبد الجليل أيضاً الذي يقول في صفة الأسطول^٦ :

يا حُسْنَهُ يوماً شهدتُ زفافها بنتَ الفضاءِ إلى الخليجِ الأزرقِ
ورقاءُ كانتُ أَيْكَةً فتصوّرتُ لك كيف شئتَ من الحمامِ الأورقِ

١ م : وجدت بها ؛ س : وهدت بها ؛ ط د و المسالك : ومدت به ، والتصويب عن المطرب
والخريدة .

٢ هذا البيت والذي يليه في الفَيْث ٢ : ١٦٠ ، والأخير في مختارات ابن الصيرفي : ١٢٤ .

٣ المطرب والخريدة والصيرفي : كأنما البحر عين .

٤ اليتيمة ٢ : ٦ قال : وركب في صباه سمارية ، ولم يكن رأى دجلة قبل ذلك ؛ وابن
خلكان ٤ : ٤٠٤ .

٥ الذي : زيادة من م س .

٦ نفح الطيب ٤ : ٥٩ - ٦٠ والمسالك ١١ : ٢٢ .

حيثُ الغرابُ يجرُ شملةً عَجَبِيهِ
من كلِّ لابسَةِ الشبابِ ملاءةً
شهدتُ لهنَّ العينُ^٢ أنَّ شواهِناً
من كلِّ ناشرةٍ قوادمَ أفتَحِ
زارتُ زئيرَ الأسدِ وهي صوامتُ
ومجادفٍ تحكي أرقامَ ربوةٍ
والماءُ في شكلِ الهوامِ فلا ترى
وكأنَّه من عزَّةٍ لم يَنسَقِ^١ [١٩٩]

حَسَبَ اقتدارِ الصَّانعِ المتأثِّقِ
أَسماؤُها فتصَحَّفُ^٣ في المنطقِ
وعلى معاطفها فِراةٌ شوذِّقُ^٤
وزحفن زَحَفَ مراكِبٍ في مَأزِقِ
نزلت لتكرِعَ في غديرٍ مُتَّاقِ
في شكلها إلا جوارحَ تلتقي

ومن البديع في وصف الأسطول قول محمد بن هانيء الأندلسي من جملة قصيدته ، قال فيه^٥ :

قبابٌ كما تُرَخِّي القبابُ على المها
أنافت بها أطامُها^٦ وسما بها
من الطير إلا أنهم جوارحُ
إذا زفرت غيظاً ترامت بمارجٍ

ولكن من ضُمَّت عليه أسودُ
بناءً على غير العرامِ مشيد
وليس لها إلا النفوسَ مصيد
كما شبَّ من نارِ الجحيم وقود

١ ط د : يعتق .

٢ النفع : لها الأعيان .

٣ ط د : فتصحفت .

٤ الشوذق والسوذق - بالشين والسين - الشاهين ، و«فراة» في النسخ قد وردت «وهادة» ، وتصحيحها على التقدير ، لا أنها قراءة دقيقة .

٥ لم يرد البيت في م س .

٦ م س : قصيدة قال فيها ؛ وانظر ديوان ابن هانيء : ٥٧ وزهر الآداب : ١٠٠١ .

٧ الديوان : أعلامها ، وما هنا موافق لزهر الآداب .

وقال عليّ بن محمد الإباضيّ بصف أسطول القائم من كلمة يقول فيها^١ :

لو رام يركبها القطا لم يركب	بترزّل الملاح منه ذؤابة
للسّمع إلاّ أنّه لم يشهب	وكأنّما رام استراقه مقعد
ركبوا جوانبها بأعنف مركب	وكأنّما جنّ ابن داود هم
من سجنه انصلت انصلات الكوكب	من كلّ مسجور الحريق إذا انبرى
صبح يكرّ على ظلام غيب	عريان يقدمه الدخان كأنّه
لحق المطالب فائتات المهرب	ولواحق مثل الأهلّة جنح
ويجنّ فيعلّ الطائر المتقلب	يذهبن فيما بينهنّ لطفة
حتى تقعن ببرد ماء المشرب	كنضانصر الحيات رحنّ لواغباً
شاور الرياح لها ولما تعب	شرعوا جوانبها مجادف أتعب
طوراً وتجمع اجتماع الربرب	تنضاع من كشب كما نفر القطا
ليل يقرب عقرباً من عقرب	والبحر يجمع بينها فكأنه

رجع :

١ من هذه القصيدة ثمانية وعشرون بيتاً في زهر الآداب : ١٠٠٣ ورفع الحجب ١ : ١٤١ .

وثمانية عشر بيتاً في النفع ٤ : ٥٧ - ٥٨ وبعضها في المقتضب من تحفة القادام : ١٢٢

ومنها بيتان في الحلة ١ : ٢٨٥ .

٢ النفع : مسجون ٤ م س : مزجور .

٣ زهر : الظلام الغيب .

٤ زهر : لواغباً .

٥ زهر : ببرك ماء الميزب .

٦ ط : نوابها .

وقال عبد الجليل من قصيدة أولها^١ :

محلُّ ألبس الدنيا جمالاً وإنْ فَضَحَ المقاصِرَ والحللاً
بناه كما بنى العلياء بانٍ يَشِيدُ مآثراً وَيُبِيدُ مالا

ومنها في وصف القصر :

ولزاهي الكمالُ سناً وحسناً كما وَسِيعَ الجلالةَ والكمالا
يحاطُ بشكليه عرضاً وطولاً ولكنْ لا يُحاطُ^٢ به جمالا
تواصلتِ المحاسنُ فيه شتى فوفدُ اللحظِ ينتقلُ انتقالاً [٩٩ ب]
وقورٌ مثلُ ركنِ الطودِ ثَبَتٌ ومُختالٌ من الحُسْنِ^٣ اختيالاً
تدافعَ منْ جَوَانِبيهِ اثتلافاً فكاد المستينُ يقولُ مالا
فلو أدتوا حرامَ السَّحْرِ منه لأضحى يعبدُ السَّحَرَ الحللاً
سماءُ ترتمي بعُبابٍ بحرٍ كأنَّ بها إكاماً أو تلالاً
فقد كاد اللبيبُ يُهالُ^٤ منه ويحسبُ أنْ بحرَ الجوّ سالا
فما أبقي شهاباً لم يصبَ ولا شمساً تنيرُ ولا هلالاً
وللبهو البهيّ سماءُ نورٍ تمثّلَ شكلها حلقاً دِخالاً^٥
مزخرقةٌ كأنَّ الوشي ألقى عليها من طرائقه خيالاً

١ منها أبيات في المسالك ١١ : ٢٢٢ - ٢٢٣ والنفع ٤ : ٢٦٣ وانتظر ما مر منها في القمم

الثالث ٧٦٦ - ٧٦٧ .

٢ م : يحيط .

٣ المسالك : من الأنس .

٤ م س والمسالك : تبر .

٥ م س : يهاب .

٦ م س : خلقاً دبالاً ؛ المسالك : خلقاً وحالا .

وما خلتُ الهواءَ يكونُ روضاً
بلى حققتُ أنَّ النارَ كانتُ
فلم أعْدِلْ بِجماده مذاباً
وكلَّ مصوِّرٍ حيَّ جمادٍ
له عملٌ وليس له حراكٌ
ولا سقفاً يكونُ كذلكُ ألا
له ظنراً وعصره زلالاً
ولم أنكرُ لِنَدْوَتِهِ^١ اشتعلاً
تبيّنَ فيه زهواً أو دلالاً
وافهامٌ وما^٢ أدنى مقالا

ومنها :

ويُفرغُ فيه مثلَ النصلِ بدعٌ
رعى رطبَ اللجين فجاء صلدًا
كأنَّ به على الحيوانِ عتباً
وأوصى بالرياحينِ اغتراساً
وكان الغرسُ والاثمارُ وقفاً
وقامتْ يومَ قمنا منشداتٍ
من الأفيالِ لا يشكو ملالاً^٣
وقاحاً قلتما يخشى هزالاً
فلم يرفعْ لرؤيتها^٤ قدالاً
همامٌ طالما اغترس الرجالا
لمن جعل الندى والوعدَ حالاً
فغضتْ من رويتنا^٥ ارتجالاً

ومنها :

براعةُ مصنعٍ جُلِبَتْ فاضحت
فكم طلب العويصرَ فما تأبى
ولكنَّ المؤيدَ عزّاً وصفاً
براعةُ منطقي منها مثالا
وكم قلبَ العيانَ فما استحالاً
وأعيتني حقيقتهُ منالاً

١ م : لذويته ؛ س : لذويته .

٢ ط د : فما .

٣ انظر ما تقدم ص : ٤٧٢ .

٤ المسالك : فلم ترفع لرؤيته .

٥ ط د س : رويتها .

إذا استوضحته أبصرت دهرأ
 أقام لها معاليها^٢ شموساً
 وآراء^٣ ينتجها رزاناً
 وفيه أناة^٤ مقتدر^٥ حلیم
 ويبطش^٦ بطشة^٧ تنجي الأعادي
 من البيض الذين إذا تولوا
 وبيننا نجلي منهم بدوراً
 تألق وجهه وزكت^٨ نهاه^٩
 وما يوم^{١٠} العروبة يوم سر
 عجزنا أن نحقق منه وصفاً
 يعارضه بكل^{١١} سبيل مجد
 ولما لم يطق^{١٢} يثني صباه
 وكاد يكونه^{١٣} حتى تراه
 وأبتهجتنا طلوعهما بدست
 فلم أر^{١٤} قبله بدرأ^{١٥} كساه

لو أن^{١٦} الدهر لم ينسخ^{١٧} فعلا
 ومد^{١٨} لنا مساعيه^{١٩} ظللاً
 فيرسلهن^{٢٠} أقداراً عجلاً
 تكاد تفر^{٢١} بالأسد^{٢٢} النملأ
 أكفهم^{٢٣} وما حملوا اعتقلاً
 صنيعاً لم تجد^{٢٤} فيهم شمالاً
 إذا بهم^{٢٥} قد اعترضوا جبلاً
 فقلت مثاله^{٢٦} محق^{٢٧} الضلالا [١٠٠ أ]
 لقد نطق الزمان^{٢٨} به^{٢٩} فقالا
 وما عجز^{٣٠} الرشيد^{٣١} له امثالاً
 فتحسبه^{٣٢} ينافسه^{٣٣} خللاً
 أحال^{٣٤} على شمائله^{٣٥} اكتهالا
 يجاذبه^{٣٦} ولا يقوى^{٣٧} انفصالاً
 طلوع^{٣٨} الأصل^{٣٩} والفرع^{٤٠} اتصالاً
 جوار^{٤١} الشمس^{٤٢} تماً^{٤٣} واكتمالاً^{٤٤}

١ المسالك : مقالا .

٢ م س : لنا معاليه .

٣ م : تقرب الأسد .

٤ م س : وذكت بها .

٥ د : عز ، ط : عن ؛ م : عن ، والتصويب عن المسالك .

٦ م س : بها .

٧ م س : واكتهالا .

وفيهما يقول :

أتتك على خلائقها جيادي ^١	وإن كان الضياعُ لها شكالا ^٢
وما يبيلك ذهنٌ أحودي ^٣	إذا أصبحتَ جدّاً تفالي ^٤
تراحمتِ المومُ خلالَ صدري	فما تركتِ لأنفاسي مجالا
وما خلّتِ النسيمَ يكون ثِقلا ^٥	ولا نَفحاتِهِ تأتي وبالا
كأنّني كلما استنشقتُ منه	أردُّ به إلى كبدي نصالا ^٦
وكيف يصحُّ ذو قلبٍ أبي ^٧	إذا كان الإباءُ له نكالا
مضى ماءُ الشبية في الأمانِي	ومن ولّى فما يرجو اقتبالا
وكنتم خيرَ مَنْ يَرْجى فما لي	وجدتُ يقينَ آمالي محالا
ولم أحملُ ودادكمُ ادِّعاءً	ولا أظهرتُ مدحكمُ انتحالا

احتذى عبد الجليل فيما وصف به الرشيد من تقيّله^٨ لمذهب^٩ أبيه قول
الخنساء^٧ ، وقد قيل لها مدحتُ أخاكِ حتى هجوتِ^٨ أباكِ ، فقالت :

١ م س : خلائقها جياد .

٢ مر البيت في الذخيرة ١ : ٨٢ .

٣ م : حدّاً نفالا ؛ س : حدّاً ثقالا .

٤ المسالك : أردد منه للكبد النصلا .

٥ س م د : تقبله .

٦ س م : لمذاهب .

٧ أبيات الخنساء في زهر الآداب : ٩٢٥ وآمالِي المرتضى ١ : ٩٨ وحمامة ابن الشجري :

١٠٤ والأول في الخزانة ٣ : ٢٧٧ وأنيس الجلساء : ٤٣ .

٨ آمالي المرتضى : هجنت .

جاری أباه فأقبلا وهما يتعاوران ملاءة الحُضُر
 حتى إذا جدَّ الجراءُ وقد ساوى^١ هناك العذرَ بالعذرِ
 وعلا هتافُ الناسُ أيهما قال المجيبُ هناك لا أدري
 برقت^٢ صحيفةُ وجهِ والدِهِ ومضى على غُلوائه يجري
 أولى فأولى أنْ يساويهُ لولا جلالُ السنِّ والكبر
 وهما كأنهما وقد برزا صقرانِ قد حطَّتا إلى وكر

وقيل لأبي عبيدة^٣ : ليس هذا في مجموع شعر الخنساء ، فقال : العامةُ
 أسقطُ من أن يجادَ عليها بمثل هذا .

وقد أحسن البحري حيث يقول^٤ :

جدُّ كجدِّ أبي سعيد إنَّه تركَ السماك كأنه لم يشرفِ
 قاسمتهُ أخلاقهُ وهي الردى للمعتدي ، وهي الندى للمعتفي
 فإذا جرى في غابةٍ وجريتَ في أخرى التقى شأوا كما في المنصف

وقول الخنساء : « يتعاوران ملاءة الحضر » أبدع استعارة ، وأنصع
 عبارة . وقال عدي بن الرقاع^٥ : [١٠٠ ب] .

١ ط د : سارت ؛ م س : صارت ؛ أمالي المرتضى : لزت هناك .

٢ أمالي المرتضى : برزت .

٣ س م : لأبي عبيد الله .

٤ متابع لزهر الآداب : ٩٢٦ وانظر ديوان البحري : ١٤٢١ وأنيس الحلساء : ٤٣ .

٥ زهر الآداب : ٩٢٦ والمختار : ٢٦٣ والطرائف الأدبية : ٩٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

يتعاوران من الغبار ملاءةً غرباء محكمةً هما نسجاها
تُطوى إذا وردا مكاناً جاسياً وإذا السنايكُ أسهلتُ نشرها

وإلى هذا أشار حبيب بقوله ^١ :

يثيرُ عجاجةً في كلِّ ثغرٍ يهيمُ بها عديُّ بن الرقاعِ

وأول من نظر إلى هذا المعنى شاعر من بني عقيل فقال من جملة أبيات ^٢ :

قفارٌ مَرَوْرَاتٌ يحارُ بها القطا ويمشي بها الجأبان يقتربان ^٣
يثيران من نسجِ الغبار عليهما قميصين أسمالاً ويرتديان

وقد عبد الجليل : « يثير مآثراً ويبيد مالا » ، سمّاه بعضُ أهلِ
النقد معاقدة ، وهو أن يشترط الشاعرُ شروطاً في معان يريد التوفيق بينها ،
فيعقد لكلِّ صنف منها ما يشاكله ويمثله . ومن عجيب ذلك قول جنوب
أخت عمرو ذي الكلب ^٤ :

فأقسمتُ يا عمرو لو نبّهاك إذا نبّها منك داءٌ عضّالاً

١ زهر الآداب : ٩٢٦ وديوان أبي تمام ٢ : ٣٣٧ .

٢ زهر الآداب : ٩٢٦ - ٩٢٧ وأنيس الجلساء : ٤٣ .

٣ زهر الآداب : يقتربان .

٤ ديوان الهذليين ٢ : ٥٨٣ وحسانة ابن الشجري : ٨٣ والحسانة البصرية ١ : ٢٢٥

وزهر الآداب : ٧٩٥ والخزانة ٤ : ٣٥٣ وبلاغات النساء : ١٧٣ وحسانة البحرني :

٢٧٣ وأمالى المرتضى ٢ : ٢٤٣ وكتاب الصناعتين : ١٤٢ ، وقد أورد ابن رشيق هذا

الشعر في العمدة ٢ : ٣١ (تحقيق محي الدين عبد الحميد) في باب التسهيم أو ما يسميه

قدامة « التوشيح » ويسميه ابن وكيع « المطمع » ولم أعرّض من سمّاه « معاقدة » .

إذا نبتها لبت عريسة مُفبتاً مفيداً^١ نفوساً ومالا

فعاقدت بين مفبت ومفيد^٢ .

وقال المجنون^٣ :

وأدنتني حتى إذا ما سبيتني بقول يحل العصم سهل الأباطح
تجافيت عني حين لا لي حيلة وخليت ما خليت بين الجوانح

فعاقد بين قوله : « أدنتني » و « تجافيت عني » حيث تشابها رسماً
وشكلاً ، وعاقد أيضاً بقوله : « وخليت ما خليت » وبقوله : « يحل العصم
سهل الأباطح » .

وإلى هذا أشار العباس بن الأحنف بقوله^٤ :

أشكو الذين أذاقوني مودتهم حتى إذا أيقظوني في الهوى رقدوا

ومن ملبح هذا لبعض أهل أفقنا قول يحيى بن هذيل القرطبي^٥ :

لما وضعتُ على قلبي يدي بيدي وصحتُ في الليلة الظلماء واكبدي
ضجبتُ كواكبُ ليلي في مطالعها وذابتِ الصخرةُ الصماء من جلدي

١ م : عريسة . . . مفيداً .

٢ م : ومفيد .

٣ ديوان المجنون : ٩٤ والزهرة : ٤٧ والمقد : ٣٧٨ .

٤ ديوان العباس : ٨٤ والمقد : ٣٧٨ .

٥ الذخيرة : ٣ : ٣٤٧ .

فعاقد بين قوله : « يدي بيدي » و « ذابت الصخرة الصماء من جلدي » ،
وذكر أن المتنبي أنشد من شعر أهل الأندلس ، حتى أنشد هذين البيتين ،
فقال : هذا أشعر القوم .

ولما سمع المعتمد بن عباد قصيدة عبد الجليل هذه ووعاها ، سرت في
نفسه حميةً ، وكانت سبباً لصلّة من كان يباه من الشعراء ، غير أنّه وفي
لعبد الجليل في الجباء .

وكنت يوماً بدار أبي بكر الخولاني المنجم ، فاتفق أن دخل علينا
عبد الجليل وفي كفه صلة المعتمد من ضرب السكة لديه ، قيمتها ثلاثة آلاف
درهم ، فرفع إليه إثر ذلك قصيدته التي أولها^١ :

ما الشعر مرتجلاً أو غير مرتجل	ببالغ كنه ذاك السؤدد الجلل
بأي لفظ أحلّي ^٢ منك ذا شيم	لولا حلاها لكان الدهر ذا عطل
لا حلّة الشمس مما قد أحاوله ^٣	ولا نظام النجوم الزهر من عملي
وسائلين أجداً في مباحثي	خذاحديثي عن الأملاك والدول [١٠١]
جيش المؤيد يقضي من خلائقه	أنّ الملوك له ضرب من الخول
فالفرق ^٤ بينهما في كل معلّوة	كالفرق يوجد بين النقص والكمال
سل المكارم عنه كيف تعلّمه ^٤	أو لا فسّل شفرات البيض والأسل

١ انظر المسالك ١١ : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٢ ط : أحبي .

٣ م س : والفرق .

٤ ط د : المكاره .

أحدٌ من ذهنه في كلِّ معضلة
وارى البصيرة لا تزري الأناةُ به
لذلك الحلم في الإعداء قد علموا
صاحي النهى عربدت فيهم مكايده
يخبرنا^١ كلما حكنا مدائحه
لله آذارٌ من شهرٍ سموت به
ما بين نورِ جبينٍ منك^٢ مؤتلقٍ
ونائلٍ أسديّ النوم طوع يدي
فديتُ موسومةً^٣ باليمنِ مدَّ بها
لشمتها فرشفتُ الغزَّ ممتزجاً

إذا تعثر في المسألة الذبل
ولا تعودُ عليه آفةُ العجل
فتكَّ يَسُدُّ طريقَ الأمن بالوجل
فطار عنهم خُمَارُ السُّكْرِ والشمل
والصبحُ عُرْيَانُ مستغنٍ عن الحلل
حتى لقيتَ عليه الشمسَ في الحمل
وبين فضلِ طباعٍ منه معتدل
يسطو على القِرْنِ أو يسطو على البخل
فكان تقييلها أسنى النهى قبلى
فيه الغنى وأخذتُ الرِّيَّ في النهل^٤

وقال عبد الجليل أيضاً من قصيدة في المعتمد ، أولها ٥ :

أربع [الندى] تهيم [به]^٦ وتصوب
ومغنى العلا نأوي له ونثوبُ
بحيثُ استقلَّ المجد فوق سريره
وقام لسانُ المجد وهو خطيب
سقاك غمامٌ مثلُ ودِّي ضاحكٌ^٧
كأنَّ سماءَ^٥ الصَّحْوِ منه تذوبُ

١ ط م : يخبرنا ؛ د : فخبرنا ؛ المسالك : يخبرنا .

٢ ط م د س : منه .

٣ ط م د س : مرسومة .

٤ إلى هنا تنتهي الترجمة في ط د ، وما تبقى تنفرد به م س ؛ ولهذا سيجد القارئ أن النص قد يحمي قلقاً في بعض المواضع .

٥ منها أبيات في المسالك : ٢٢٤ .

٦ ما بين معقنين زيادة من المسالك .

٧ هذه هي قراءة س والمسالك ؛ وفي م : سمي .

ولا فاءَ ظلُّ العيشِ وهو مقلَّصٌ^١
ولا آلَ مزوراً عليك غُدَيَّةٌ^٢
ولا انفكَّ للخطيِّ حولك هزَّةٌ^٣
لقد رُقَّتْ حتى قبلَ إنَّكَ رحمةٌ^٤
كأنَّكَ بيتٌ نادرٌ وأكفَّهم
طلعتَ كريهانَ الشيبةِ روقةً

ومنها يخاطب الربيع :

أراق على عطفيه منه طلاوةً
إذا رَسَبَتْ يوماً حُلَاهُ فإِنَّمَا
مدى الدهرِ ملتاحُ الجيينِ مهيبٌ
سِمَاكُ العلا في متدَاكِ رسوبِ

ومنها :

فيا أيها القصر المبارك لا تزلْ
ويا أيها الملكُ المؤيدُ دُمُ به
أَمِمْ فيه سَرَحَ اللحظِ من طَرْفِ باسلِ
ستظَّأره أمُ النجومِ تحلُّهُ^٥
وأنتَ جديدهُ الحلتينِ قشيبِ
ليُتَرَعَّ كُوبٌ أو يثَّارَ عكوبِ^٦
مراد الوغى في ناظره عشيبِ
لها كوكبٌ لا حان منه غروبِ

١ س : ضافيه .

٢ صورة اللفظة في م : مويه ، وسقطت من س .

٣ س : حكمة .

٤ يريد بحبيب الشاعر أبا تمام .

٥ العكوب : الغبار .

٦ س : تحاله .

محيطٌ بما أحبت من كل صورة
ومن حبك دون السموك كأنها
إلى طررٍ تحكي أصائل ملكه^٢
ومن مرمرٍ أحذاه رونقه المها
وبحري عليه للرياحين فينة
لئن كان مكظوماً كغيطك إنه
أرى حورَ الأحداقِ أروونقِ الطلى
أجلٌ إنما يجتابُ منك بشاشة^٣
وإلا فمن آدابك الزهرِ يجتلي
كما ضاع من أهدابِ ثوبك نشره^٤
وكلُّ هواءٍ تحت ظلك سَجَسَجَ
إليك أشارت أعين وأنامل^٤
كأنك من طبع الحياة مركَّب^٤
ملك كما تهواه أمّا دِلاصُه^٤
موقرُ أعطافِ السيادة لم يزل^٤
إذا ضاق في الهيجا مَجَرَّ سنانِه

ومنها :

تروقك حتى شكلهن قريب^١
أفاريدُ رَوْضِ الحزنِ وهو مضيب
تكادُ بأنداءِ التضار تصوب
فأخطأ فيه اللحظ وهو مصيب
كيمناك مخضرُ البرودِ لحوب
كعرضك مصقولُ الأديمِ خشيب^٢
طلاه ففيه للعقول خلوب
لها جيئة من فوقه وذهب
فرنداً له درٌّ عليه رطيب
وكلُّ صعيدٍ مسَّ وطوك طيب
وكلُّ مكانٍ في ذراك خصيب
وفيك أجيلت السنَّ وقلوب
فأنت إلى كلِّ النفوسِ حبيب
فغاور ، وأمّا بُرْدُه فمنيّب
بأفئدة الأعداء منه وجيب
فان مناطَ السيفِ منه رحيب

١ المساك : مريب .

٢ المساك : ملكه .

٣ خشيب : صقيل كالسيف .

٤ المساك : من كل القلوب .

لهم حارك^١ للملك ثم حنيفه^٢ ١
 وكانوا عليه في الزمان فوارساً
 وسنة^٣ مجد من نعيم وشدة
 ليخضب^٤ منها اليوم والأفق أشيب^٥
 سما كاهل^٦ منه وسال^٧ سيب^٨
 علتته^٩ وشبان^{١٠} تروق وشيب
 على الدهر منها محكة^{١١} وقطوب
 وينصل^{١٢} ثوب الليل وهو خضيب^{١٣}

ومنها في صفة بنية :

فغور^{١٤} على المجد التليد ضواحك^{١٥}
 تفرق عنه الملك واهتر^{١٦} عطفه^{١٧}
 مشابه لا تخطي علاك سهامها^{١٨}
 تملأ^{١٩} أثناء النداء مهابة^{٢٠}
 ويهنيك عيد^{٢١} للصيام ذخرت^{٢٢}
 وعيد^{٢٣} عليه منك رسم^{٢٤} طلاقة^{٢٥}
 خلعت^{٢٦} عليه من بهائك حلة^{٢٧}
 ونمت^{٢٨} عليه من مديحك فوحة^{٢٩}
 وأيد^{٣٠} إلى المجد التليد تصوب^{٣١}
 كما اهتر^{٣٢} مخشوب^{٣٣} الغرار قضيب^{٣٤}
 فتهدوي إلى أغراضها فتصيب^{٣٥}
 وتبسم عنها الحرب وهو قطوب^{٣٦}
 كفيل^{٣٧} بأن^{٣٨} الله عنه مشيب^{٣٩}
 كأوب^{٤٠} حبيب^{٤١} طال منه مغيب^{٤٢}
 كما عصفرت^{٤٣} فوق العروس جيوب^{٤٤}
 كما مسحت^{٤٥} فوق الرياض جنوب^{٤٦}

١ يعني أصلح مائله ؛ وهذه قراءة محتملة لهذا الشطر لا نقطع بصحتها .

٢ فليخضب ؛ س : فليخضب .

٣ م : مصيب .

الوزير الأديب أبو القاسم بن مرزقان^١

هو أكثر القوم قولاً وإصابة ، فأنه بوقت^٢ في إصابة الأغراض ، وكلامه سهل قريب . فمما أخرجت من شعره في أصناف شتى قوله في وصف شمعة ، بحكمة الصنعة ، على صورة مدينة ، أهديت إلى المعتمد على الله بالمحذدة^٣ :

مدينة ^٤ في شمعة صوّرت	قامت حُماة فوق أسوارها
وما رأينا قبلها روضة ^٥	تتقد النار بنوارها ^٦
تُصَيِّرُ الليلَ نهاراً إذا	ما أقبلت ترفل ^٧ في نارها
كأنها بعض الأيادي التي	نحت الدجى تسري بأنوارها
من ملك معتمد ماجد ^٨	بلادُهُ أوطانُ زوارها
أكف ذات الشعر تغنى به	وشعره حلّ لأشعارها

وأصبح^٩ المعتمد على الله على حال راحته في القصر المبارك ، ودخل إليه

١ ذكره في المغرب ١ : ٢٦١ والنفع ٣ : ٢٦٤ ، ٦١٤ ، ٤ : ١٢٤ وبدائع البدائع : ١١٤ ،

٣٦٦ وانظر قصة له فيما تقدم ص : ٤٧٦ - ٤٧٧ وهذه الترجمة لا تفي بما وعد به ابن بسام من نوادره ، ولعلها زيدت من بعده ، وقد سقطت من ط د .

٢ الأبيات في المغرب والنفع ٤ : ١٢٤ ما عدا الأخير .

٣ هذه هي القراءة في المغرب والنفع ؛ وأما في م فقد تقرأ « بفزادها » وفي س : بموادها ، وهو غير منسجم مع القافية .

٤ المغرب : تضحك .

٥ المغرب : أصبحت .

٦ انظر النفع ٣ : ٦١٤ وبدائع البدائع : ١١٤ .

الرشيد ابنه ، فتبادل الأتس معه ، ثم أمر بإحضار من جرت عادته بمشاهدة المجلس الكريم من الأصحاب ، فحضرُوا ، فقال لهم المعتمد بعد كلام حذفناه للاختصار طلباً للمعنى : قلت البارحة بيتَ شعر وهو :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ^١

وذلك أنَّ المعتمد على الله قد أمر بصناعة غزالين من ذهب، فصنعا معاً من سبعمئة مثقال خالصة ، فأهدى أحدهما إلى الرشيد ابنه ، والآخر إلى السيدة العروس بنت ابن مجاهد ، فقال في ذلك البيت المذكور ، وأحب أن يُذَيَّلَ ، فذيل هذا البيت ممن حضر هذا المجلس ذلك اليوم وممن لم يحضره ، منهم أبو القاسم ابن مرزقان ، وأصاب الغرض ، فقال :

بعثنا بالغزالِ إلى الغزالِ	وبالشمسِ المنيرة للهِلالِ
فذا سَكَنِي أَسْكَنُهُ فَوَادِي	وذا نَجَلِي أَقْلَدُهُ الْمَعَالِي
شَغَلْتُ بذا وذا خَلَدِي وَنَفْسِي	وَلَكِنِّي بِذَاكَ رَخِيٌّ بِالْ
زَفَقْتُ إِلَى يَدِيهِ زَمَامَ مَلِكٍ	مَحَلَّتِي بِالصَّوَارِمِ وَالْعَوَالِي
فَقَامَ يُقَرِّئُ عَيْنِي فِي مَضَاءٍ	وَيَسْلُكُ مَسْلَكِي فِي كُلِّ حَالِ
فَدَمُنَا لِلْعَلَامِ وَدَامَ فِينَا	فَانَا لِلْكَفَاحِ ^٢ وَلِلتَّرَالِ

ورفع أبو القاسم ابن مرزقان قطعة شعر في ذلك أيضاً وهي :

عاطني القهوةَ مثلَ الجَلْتَنَارِ حَمَلَتْهَا أَكُوسٌ مثلَ البَهَارِ

١ النفع والبذائع : والشمس ... بالهِلال .

٢ النفع والبذائع : للساح .

وأدرها بين زمر عبي	واسقي ود كبير بكار
ملك إن قلت من رب العلا	فإليه كل مخلوق أشار
لحمي ماجد معتمد	كل عسر حين تلقاه يسار
ما دجا ليل على أمليه	كل ليل بأياده نهار
بين كفيه وفي ناديه	ظبية ريقها صرغ العقار
عجي منها وهذا أسد	كيف لا تبعد عنه بنفار
أنست من أنها مرسله	باتصال الوصل من أشرف دار
ولها عد إلى غرتها	أنهم قد صوروها من نضار
في قدود ^٢ تنهادى وبها	سترى في حرم ذات الفقار
لا عدت موضع لوي وددي	فلقد تنهض في خير سفار ^٣

١ م س : تلقاهم .

٢ م س : حدود .

٣ س : سفار .

فهرس المحتويات

٥	مقدمة التحقيق
١١	فصل في ذكر الأعيان المشاهير بحضرة إشبيلية
١٣	فصل في ذكر أبي القاسم محمد بن عباد
٢٣	فصل في ذكر المعتضد بالله عباد بن أبي القاسم
٢٩	جملة من أشعاره
٣٣	جملة من حروبه مع المظفر وغيره
٤١	فصل في ذكر المعتمد على الله محمد بن عباد
٤٣	جملة من شعره في النسيب
٤٦	مقطوعاته السلطانية
٤٩	ذكر الخبر عن حديثه بمالقه وانصرافه مغلولا
٥١	[شعره في الدفاع عن ابن زيدون]
٥٢	[شعره بعد تضعيع بنيانه]
٥٤	[استطراد بذكر أبي دلالة]
٥٦	رجع إلى شعر المعتمد
٦١	[نقل المؤلف عن نظم السلوك لابن اللبابة]
٦٧	عود إلى شعر المعتمد
٧٧	مما قيل فيه بعد خلعه
٨١	باب يشتمل على طائفة من الوزراء والأعيان بدولة بني عباد
٨١	فصل في ذكر الفقيه أبي حفص عمر بن الحسن الهوزني

٨٩	من شعره يحض على الجهاد
٩٤	فصل في ذكر القاضي أبي الوليد الباجي
٩٨	أشعاره في أوصاف شتى
١٠٥	الوزير أبو عامر بن مسلمة
١٠٦	جملة من شعره
١١٢	الوزير أبو الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم
١١٣	فصول له من مقامة
١١٨	[رقعة له عن المعتضد]
١٢٠	جملة من شعره
١٢٤	الأديب أبو الوليد اسماعيل بن محمد الملقب بحبيب
١٢٥	فصل من نثره
١٢٧	[رسالة ابن برد في تفضيل الورد]
١٣٠	رسالة حبيب في مناقضتها
١٣٢	من شعر أبي الوليد
١٣٥	الأديب أبو جعفر أحمد بن الأبار
١٣٥	شعره في أوصاف شتى
١٣٦	[استطراد بأشعار الحب العفيف]
١٤١	[أشعار في العفاف للأندلسيين]
١٤٤	[أشعار في الحب الماخن]
١٥٠	ومن مجون ابن الأبار
١٥١	[استطراد متفرع عنه]
١٥٥	سائر أشعار ابن الأبار
١٥٧	من قصائده الطويلة في المدح

- ١٥٨ الأديب أبو الحسن علي بن حصن الاشبيلي
١٦٠ جملة من أشعاره
١٦٦ من قصائده المطولة في المدح
١٦٨ [استطراد بالأشعار في الحرباء]
١٧٠ [عود إلى شعر ابن حصن]
١٨٦ الوزير الكاتب أبو عمر بن الباجي
١٨٧ جملة من رسائله
١٩٧ جملة من شعره
٢٠٠ في ذكر الأديب أبي الحسن ابن الاستنجي
٢٠٢ [أشعار له ولمعاصريه في المعتضد]
فصل يشتمل على مقطوعات أبيات لجماعة كانوا بعصر المعتضد
٢٠٦ مأخوذة من كتاب الحديقة لابن مسامة
٢٠٦ أبو الأصبع ابن عبد العزيز
٢٠٩ أبو الأصبع ابن سعيد
٢١٠ أبو إسحاق ابن خيرة الصباغ
٢١٢ أبو بكر ابن نصر الإشبيلي
٢١٢ محمد بن ديسم الإشبيلي
٢١٣ أحمد بن محمد البلعي الإشبيلي
٢١٥ أبو بكر ابن القوطية
٢١٨ الوزير أبو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي
٢١٩ محمد بن مروان بن زهر
٢١٩ عبد الملك بن محمد بن مروان
٢٢٠ أبو العلاء بن زهر

- ٢٢١ جملة من مقطوعاته الاخوانيات
- ٢٢٣ [استطراد في الالتفات]
- ٢٢٧ [بين ابن زهر والمعتد]
- ٢٢٨ [بين ابن زهر وابن عبدون]
- ٢٢٩ شعره في النسب
- ٢٣٢ الوزير الفقيه أبو عبيد البكري
- ٢٣٣ فصل في أخبار البكرين
- ٢٣٥ [فصل في نثر أبي عبيد]
- ٢٣٧ [جملة من شعره]
- ٢٣٩ في ذكر ذي الوزارتين أبي بكر ابن القصيرة
- ٢٤١ جملة من إنشاءاته السلطانيات
- ٢٤٤ [أشعار في يوم الزلافة]
- ٢٤٨ [شيء عن ملوك الطوائف واستخذائهم لاذفونش]
- ٢٥٠ [التخييل والإيهام في الشعر]
- ٢٥٢ [رقاع تصوّر مدى استخذاء ملوك الطوائف]
- ٢٥٧ فصول من ترسيل ابن القصيرة
- ٢٦٨ ذكر الخبر عن قرطبة بين ابن ذي النون والمعتد
- ٢٧٣ [عود إلى رسائل ابن القصيرة]
- ٢٨٥ الوزير الفقيه أبو القاسم ابن الجحد
- ٢٨٦ جملة من رسائله
- ٣١٤ من رسائله في التعزيات
- ٣١٨ جملة من شعره
- ٣٢٣ فصل في ذكر ذي الوزارتين أبي القاسم ابن عبد الغفور

٣٢٥	في ذكر الكاتب أبي محمد عبد الغفور
٣٢٦	فصول من كلامه
٣٤٧	[رسالة أبي الحسين ابن سراج في الزريزير]
٣٤٧	[رسالة أبي القاسم ابن الجلد في الموضوع نفسه]
٣٥١	[رسائل أبي محمد عبد الغفور]
٣٦٨	ذو الوزارتين أبو بكر ابن عمار
٣٨٨	شعره في النسب
٣٩٣	من مقطوعاته الاخوانيات
٤٠٥	تلخيص التعريف بآخر أمره
٤١٩	نظمه مدة اعتقاله
٤٢٨	[قصة الاعتقال والقتل]
٤٣٢	[ومن مقاله أثناء اعتقاله]
٤٣٣	الوزير الكاتب أبو الوليد حسان بن المصيصي
٤٣٥	جملة من شعره في المدح
٤٤٠	[استطراد بذكر حسان بن ثابت]
٤٤٦	[خبر الطماح وامرئ القيس]
٤٤٩	[رجع إلى شعر حسان]
٤٥٢	الوزير الفقيه أبو بكر ابن الملح
٤٥٤	من قصائد ابن الملح المطولات
٤٦٥	[استطراد في أوصاف الخيل]
٤٧٠	بقية ملح ابن الملح
٤٧١	من شعره في الأوصاف
٤٧٣	الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى

٤٧٨	شعره في الرثاء والتأبين
٤٨٠	[أشعار فلسفية]
٤٨٣	عود إلى قصيدة عبد الجليل
٤٨٩	[استطراد في الرثاء]
٤٩١	من شعر عبد الجليل في المدح
٥٠٦	[استطراد في وصف الأسطول]
٥٠٨	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥١٣	[استطراد بذكر المعاقدة]
٥١٥	[عود إلى شعر عبد الجليل]
٥٢٠	الوزير الأديب أبو القاسم ابن مرزقان

الذخيرة في محاسن أهل الجبيلة

تأليف

أبي الحسن علي بن بسام الشبنتري (١٥٤٢)

تحقيق
الدكتور احسان عباس

دار الثقافة
بيروت - لبنان

١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة

٠٢

فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن ذي الوزارتين المشرف أبي مروان بن عبد العزيز^١ وإثبات جملة من نظمه ونثره

وبنو عبد العزيز يعرفون ببني المرخي^٢ . نسبهم في اللحم . وهم جملة
فضل . وبيتة^٣ نبل . وعلم وفهم . وفيهم يقول الوزير أبو محمد بن عبدون

١ هو محمد بن عبد الملك بن عبدالعزيز بن محمد بن الحسين بن كليل اللخمي الاشبيلي المعروف بابن
المرخي أخذ عن أبي الوليد العتيبي وأبي عبيد البكري وأبي الحسين ابن سراج وأبي علي الفسائي
وسكن قرطبة . واختص بأميرها المرابطي محمد بن الحاج داود اللمتوني . فلما توفي يوسف
ابن تاشفين سنة ٥٠٠ هـ رفض ابن الحاج أن يبايع علي بن يوسف وأخاذه الملائ من أهل قرطبة .
ثم إن ابن الحاج نكب وفسد تدبيره . فهرب أبو بكر ابن المرخي إلى شرق الأندلس ، حتى إذا
رضي أمير المسلمين علي ابن الحاج عاد ابن المرخي إلى صحبته عندما ولي فاس وغيرها من
أعمال المغرب ثم سرقسطة وبلنسية عندما وليهما . وظل في صحبته حتى قتل سنة ٥٠٨ هـ
بمعركة البورت (ومنها الباب) . وبأخرة من عمره ، جلس يقرئ الناس الكتب الأدبية ،
وكان مقرباً إلى الممتونيين . ينتفع به الناس لحسن وساطته لديهم . وكان محدثاً متقناً ضابطاً
حسن الخط . واستكتبه علي بن يوسف مع أبي عبد الله بن أبي الخصال . وروى عنه ابنه الوزير
أبو الحكم وغيره . وتوفي سنة ٥٣٦ هـ وقال العماد سنة ٥٤٠ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة وشهد جنازته
وألي قرطبة الزبير بن عمر اللمتوني . (انظر المغرب ١ : ٣٠٧ والصلة : ٥٥٥ والذيل والتكملة
٦ : ٥٠٤ ومعجم الصديقي : ١٣٢ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والبهية رقم : ٢٠١ والمطرب :
٢٠٨ والقلائد : ١٦٣ والنقيح ٣ : ٥٥٨ : ٥٧٠) ولا بد من التفرقة بين بني عبد العزيز
هؤلاء وبني عبد العزيز الذي كانوا ببلنسية وكانوا خصوصاً لابن عمار ومنهم أيضاً أبو بكر ابن
عبد العزيز وقد ترجم له ابن بسام في القسم الثالث : ٤٠ وكانت وفاته سنة ٤٥٦ هـ .
٢ قال ابن دحية (المطرب : ٢٠٨) صوابه عند أهل النحو بفتح الغاء . وقواه هذا يؤمى
إلى أنه كان ينطق بكسرهما « المرخي » عند العامة .
٣ د : ومنبت ؛ ط : وثبتة (اقرأ : وبيتة) .

من جملة أبيات خاطيهم بها بقرطبة^١ :

بني عبد العزيز لئن سلوتم^٢ فما أنا عن علائكم^٣ بسال^٤
وما عهدي بناسٍ أيّ ناسٍ تواصوا بالمكانم والمعال
وليثار الغريب على سواه وإن لم يشر^٥ من جاهٍ ومال
بحور بلاغة ونجوم عز^٦ وأطواد^٧ رواس من جلال
سلام^٨ يملأ المدون طيباً على تلك السجايا والكمال
فكم كافور أيام خلطنا . ولم تظلم^٩ بمسك من ليال

ومن جواب أبي بكر له :

أمالك رِقْ أبكاري المعاني وربّ السبق في يوم الرهان
وفائت كل منطق بلغي^{١٠} بطول الباع واليد واللسان
بدأت وكان منك الفضل عوداً^{١١} فمن عذراء تردف بالعوان
فجاء الشعر متسقاً حُده^{١٢} كما اتسقت حلّى السيف اليماني
تقاصر دونك البلغاء حظاً^{١٣} كما قصر السماع عن^{١٤} العيان
لئن أهدت بدائع كل^{١٥} حسن^{١٦} فمهديها غريب في الزمان
غريب سيادة غربي أفق^{١٧} وقد عرّضت إليه المشرقان^{١٨} [١٠١ب]

١ م س : من قرطبة .

٢ م س : علائكم : ط : علائكم .

٣ م س : يوشر .

٤ م س : على .

٥ د : له المشرقان : ط : له المشرقان .

وأبو بكر في وقتنا هذا مهبط صَبَا البراعة وجَنُوبِهَا . ومنتهى بعيدِ هذه الصناعة وقريبها . وكان جدُّه^١ صَدَرَ الفتنه الناشئة في آخر دولة بني عامر قد انزوى بضبعة له بمدينة شذونة^٢ أحدِ أقاليم القطر الغربي من الأندلس حيث ظنَّ أنه يخفى على الدليل مناره^٣ . وتلفَّع برمادِ الحمول ناره ، وتأبى الزَّهْرَةُ إلا مروفاً من الكمامة . والشمسُ إلا شروقاً تحت الغمامة . فاهتدى له أحدُ أمراء البرابرة^٤ المتغلبِ — كان يومئذٍ — على مدينة قرمونة وذواتها من أقطار الجزيرة . فاستخلصه لنفسه . وغلب عليه أهلَ جنسه . فلم يزل يقتدحُ بزنده . ويلقي إليه بمقاليد حَلَّةٍ وَعَقْدَةٍ^٥ . ونشأ ابنه أبو مروان المذكور في حِجْرٍ دولتهم . فحمى حماها . ودارت عليه رحاها . إلى أن انتحأها من قَدَرِ الله تعالى على يدي عبَّادٍ^٦ ما انتحأها . فلم يجدْ أبو مروان بُدْأً من لزوم طاعته . والدخول في جماعته . فأقام باشيلية بقيَّة أيامِ المعتضد وصدرأ من دولة المعتمد . يتبرَّضُ جَمِيمِهَا . ويتزوَّدُ نَسِيمِهَا . إلى أن أنشأ المعتمد لابنه الفتح دولته بقرطبة — حسبما نوميء^٧ إلى خبرها بالشرح —

١ يعني عبد العزيز بن محمد .

٢ تذكر المصادر أن أبا بكر بن عبد العزيز شراني الأصل أي من قرية شرانة إحدى قرى شريش بولاية شذونة .

٣ م س : أحد من البرابر .

٤ فلم يزل . . . وعقده : سقط من م س .

٥ أبو : سقطت من م .

٦ استولى عباد على قرمونة سنة ٤٥٩ من يد المستظهر عزيز بن محمد البرزالي (ابن عذاري ٣ :

٣١٢) وفي م : على يد ابن عباد .

٧ م س : سنوميء .

فانتقى لها^١ من حَمَلَةِ السيوفِ والأقلامِ ، مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ ظَنُّهُ من الأعيانِ والأعلامِ ، فكان أبو مروان عَلمَ بُرْدَها ، ووسطى عَقْدَها ، ومالكَ زَمَامَتِي عَقَوِيها وجهدَها .

ونشأ ابنه أبو بكر هذا في حجرها . وبين سِمَاكها ونَسَرها ، طِفْلٌ دَقَعَ في صَدْرِ الكهولِ . وَغِيْرُ بَهْرٍ أَلْبَابَ ذَوِي التَّجَرِبَةِ والتَّحْصِيلِ . وبُخْلِ المَأْمُونِ بِهِ بُخْلُ الحَازِمِ بِسَرِهِ . وَشَدٌّ عَلَيْهِ شَدُّ يَدِ الضَّئِنِ^٢ عَلَى وَقَرِهِ . فلما انقضت تلك الدولة . أَخْلَدَ إلى العُطْلَةِ . وَتَمَيَّزَ من الجُمْلَةِ . متلفعاً بالحياءِ . مستحليماً للوفاءِ . وقد لحظته اليومَ هذه الدولة^٣ في وقتنا . فَأَخَذَ من حَبْلِهَا بِطَرَفٍ . وتولَّى من ظِلِّهَا إلى كَتَفٍ . ولم يحضرني وقتُ تَحْوِيرِي هذه النسخة من نظمه الفائقة دُرْرُهُ . ولا من نثره الرائقة أحجاليه وغرره . لما أُجريت من ذكره ، إلا ما لا يكاد يفي بقدره ، وفيما أثبتُ من ذلك دليلٌ وبرهان يريك الفرق بينه وبين سواه . إن شاء الله .

جملة ما وقع إلي من نثره

مع ما ينخرط في سلك ذلك من شعره

كنت بحضرة قرطبة أوَّلَ سفري إليها سنة أربع وتسعين . فدخل عندي هلال بن الأديب ، وقرع سمعي من شعر أبي بكر هذا بكلِّ حَسَنِ غريب .

١ م س : فانتقله .

٢ م س : البطش .

٣ تلك الدولة : سقط من م س .

٤ م س : إلى وقت .

فكُتبت معه رقعةٌ أخطبُ فيها وده . وأستجلبُ ما عنده . أقول في فصل منها :

كلّ يبلغ^١ - أعزّك الله - من حسناتِ نبلك وفضلك . ومعلّواتِ
حسبك ونسبك . ما يُحدّثُ إليك طرباً في الموتان . فضلاً عن الحيوان .
وما زلتُ أسمعُ فأنطلق . وأستشعرُ فاستبصر . وأحنُّ إلى مفاتحة الخطاب .
وقلّما يقعُ إلّا بأسباب . إذ الدخولُ لا يكونُ إلّا على باب . وعندهم -
على علمك - أنّ الهجومَ عليه . دون سبب يدعوا إليه . نوعٌ من الجفاء . وضربٌ
من مفارقة الحياء . ولا يستجيزُهُ إلّا مَنْ كان عن الأدب بمنزل . وللأمورِ
غيرَ محصّل . ومع هذا فإن الزمانَ شأنُهُ البخلُ إذا استعطي . والمطلُّ إذا
اقتضي . وربّ مرغوب فيه لا يَنفُقُ . ومجروصٍ عليه^٢ قد سُدَّتْ
دونه الطرق . ومذ^٣ دخلتُ الحضرة . في هذه السفرة . تحدّثُ بلقائك .
لأكتبَ اسمي في ديوان أوليائك . فارتقتُ ذلك ارتقابَ الصائمِ للهِلال .
إلى أن كتبتُ هذه الأحرفَ مع صديقنا أبي الحسن الفاضل دلال . فلك الفضلُ
بمالك من شرفٍ خيم . ومحتدٍ كريم . في الغضِّ على ما تراه من زيوف .
والمراجعة إن تأتتْ^٤ عنها ولو بقليل حروف . فهذا الخطاب . الذي قرعت
به هذا الباب من مواصلتك . وجعلته سلباً إلى مخاطبتك . أس^٥ يقومُ عليه

١ م : يبلغه .

٢ عليه دون سبب ومجروص عليه : سقط من م س .

٣ م س : وقد .

٤ تأتت : سقطت من م .

٥ م س : أمر يقوم .

بنیان. و غرس^١ ستلتف^٢ فوقه أفنان. وهمس^٣ سيكون بعده إعلان. ثم ختمت
الرقعة بهذه الأبيات^٤ :

أبا بكر ^٥ المجتبي للأدب	رفيع ^٦ العماد قريع ^٧ الحسب
أيلحن ^٨ فيك الزمان ^٩ الخوون	ويُعرب ^{١٠} عنك لسان ^{١١} العرب [١٠٢]
وتعدل في الفهم ^{١٢} بالحاضرين	لديهم وما النبع ^{١٣} مثل الغرب
أراك بعين ^{١٤} أراهم بها	إذا فأرى الدر ^{١٥} كالمخشب
لقد كان جيل ^{١٦} ^{١٧} الوري أدهماً	بقرطبة ^{١٨} عجمها ^{١٩} والعرب ^{٢٠}
إلى أن تبسم ^{٢١} عنك الزمان ^{٢٢}	فأسفر ^{٢٣} عن واضح ^{٢٤} ذي شنب
فجئت ^{٢٥} كما شئت ^{٢٦} ذا ميقول ^{٢٧}	يفلل ^{٢٨} حداه ^{٢٩} بيض ^{٣٠} القُصْب
فوا ^{٣١} حزننا ^{٣٢} لزناد ^{٣٣} كبا ^{٣٤}	وروض ^{٣٥} ذوى وزلال ^{٣٦} نضب
وما كان جيلك ^{٣٧} هذا الأنام ^{٣٨}	ولا لك في أفقيهم ^{٣٩} من أرب
وطبعتك ^{٤٠} ينفث ^{٤١} عن لؤلؤ ^{٤٢}	تنظمه ^{٤٣} في نحور ^{٤٤} الكتب
فأين ^{٤٥} العميد ^{٤٦} وعبد ^{٤٧} الحميد	وما حويا ^{٤٨} من خطير ^{٤٩} الخطب
وَأين ^{٥٠} البديع ^{٥١} وشمس ^{٥٢} المعالي	بديعك ^{٥٣} مد ^{٥٤} عليهم ^{٥٥} طنب
ولما سمعت ^{٥٦} هلالاً ^{٥٧} يُعيد ^{٥٨}	قوافي ^{٥٩} لؤلؤك ^{٦٠} المنتخب

١. انظر نفح الطيب ٣ : ٥٨ .

٢. د ط : وتعدم ريعهم .

٣. م س : حبل .

٤. ط : أعجم لا عرب . م س : عجم لا عرب .

٥. ط : كتب ؛ س : كبت .

٦. م س : فطيمك .

٧. ط د : الحميد .

شَقَقْتُ بِهَا لَوْ وَقَّتْ ذِمَّتِي بَوَاجِبِهَا إِذَا عَلَيْهَا وَجَبَ
وَخَامَرَنِي حُبُّ سَمِي لَهَا كَأَنِّي خَلَوْتُ بَيْنَ الْعُنبِ
فَقُلْتُ جَرِيرٌ يَجِدُ الْقَرِيضَ وَالْآنَ جَادَ بِحُوكِ الْخُطْبِ
وَقَرِطَةُ بُدِّلَتْ بِالْعِرَاقِ أَمْ الْأَرْضُ تَحْمِلُنَا مِنْ كُثْبِ
فَجَثَّتْ خَاطِبَ وَدٍّ فَلَا تَرَدُّ أَبَا بَكْرٍ مِنْ قَدْ خُطْبِ
وَلِنْ لَمْ يَكُنْ أَفْقُتْنَا وَاحِدًا فَيَنْظِمُنَا شَمْلُ هَذَا الْأَدَبِ

فراجعني أبو بكر برقة^١ قال فيها^٢ : وقفت - أعزك الله - من كتابك
الكريم . المضمن^٣ من البرِّ العميم . ما أيسره^٤ يُثْقِلُ الظهر . ويستنفد
الشكر . ويستعبدُ الحرَّ . ورأيتك - رأيت أملك - تخطبُ من مودتي ما ليس
بكفو لخطبتك . ولا بازاء جلاله ربتك^٥ . لكنه فضل ملكته زمامه .
وأعطيت مِقْوَدَةً^٦ وَخُطَامَهُ . ولا شك أن صديقنا أبا الحسن - أعزَّ كما
الله - أنطقه هواه . ونامت عن الخبرة^٧ عينُ رضاه . فسماع بالمعيدي لا
أن تراه . ولعمري لقد أخترتُ الجوابَ فَرَقًا من كشف السرِّ . وإرادة
التصادي^٨ في تدليس الأمر . ثم علمتُ أن فضلًا^٩ وُضِعَ في يدك^{١٠} ، وقصير

١ د : بمصعد . وسقطت اللفظة من م : وفي س : رقعة .

٢ ورد بمصعد في المغرب ١ : ٣٠٨ .

٣ المغرب : المهدي .

٤ المغرب : ولا بازاء رتبته

٥ م : عن الخبر .

عليك ، يوسفي في النقد طولا ، كما شرفني^١ في البدء قولا . وعند
اللقاء أنني عذري ، وأعرفك حقيقة قدري . إن شاء الله .

ثم أتبع النثر بهذا النظم :

أُمَحِّي معاهدَ رَسْمِ الأدبِ	ومبقي مشاهدَ فخرِ العربِ
ومن نَظَمِ الفضلِ نَظَمَ الجمانِ	ومن سَبَكَ الشعرَ سَبَكَ الذهبِ
بدأتَ فليكنَ منَ خاطِبِ	وأين الكفَى له إنْ خطبِ
أَتَحَلُّ يا بدرُ في أفقنا	ولما تحيَّيكَ ^٢ زُهرُ الشهبِ
ويَهترُ نصلك في غمدهم	ولما تُحَجِّبُكَ بيضُ القضبِ
فَمِنْ تلكَ جلاَسِكَ الواصلونَ	وَمِنْ هذه لك غيلُ أشبِ
تَناءَتِ عَلَيْنَا مَساعي العلا	وَرُقِيَّتْ مِنْهَا قِصِي الرتبِ
لك الفضلُ حرَّكتني للنهوضِ	نحوك ^٣ وهو بعيدُ الطلبِ
وَحَدَّثَتْ عَنِّي وهذا الحديثُ	يدخلُهُ صِدْقُهُ والكذبِ
فمَعذرةٌ إنْ بعضَ المقالِ ^٤	محضٌ وأَكْثَرُهُ مُؤْتَشَبِ
برئتُ إِلَيْكَ مِنَ الزائِفَيْنِ	نظمِ القريضِ ونثرِ الخطبِ
وعَمداً تَأَخَّرَ عَنْكَ الجوابُ	أَنْ لَمْ يَكُنْ قاضياً ما يَجِبُ
تَعَرَّضْتُ شَأوكَ يَوْمَ الجِزاءِ	فإِذْ لَمْ أَجِبْ تَهْجَهُ ^٥ لَمْ أَجِبْ
وأَقْدَمَنِي العَذْرُ والإِعْترافُ	فجاءتكَ تسجدُ أو تقربِ

١ م : شرفني .

٢ كذا وصوابه « تحيك » .

٣ م : يحوك .

٤ ط د : المال .

٥ ط : بهجة .

ولولا الحياءُ لقد كنتُ قبلُ
لأبقيتُ ذكري بما صُغنتُهُ
قوافٍ تعطلُ في وزنها
وإن تكُ أحمدَ هذا الزمانِ
أرغبُ من سيدي ما رغب [١٠٢ب]
بخطٍ على صفحات الكتب
« قرأتُ الكتابَ أبرَّ الكتبِ »^١
فأين عليّ لنا أو حلب

وقال يخاطب الوزير^٢ أبا محمد بن عبدون معذراً من تخلفه عن تشييعه^٣ :

في ذمّةِ الفضلِ^٤ والعلواءِ مرتحلُ
ضاءتْ به برهةً أرجاءُ قرطبةِ
يا قاطعاً أملاً قد كان واصلهُ
عذراً إلى المجد عني حينَ فارقي
قد كنتُ أضحيتهُ قلبي فأقعدني
صُبَّ أيها القطرُ موروداً شرائعه
إني لأحمدُ هذا الطرسَ تلمسه
والشمسُ تحسُدُ والخضراءُ موضعها
لا زعزعتك الليالي النكدُ يا جبلا
فارت صبري إذ فارقتُ موضعهُ
ثم استقلَّ فسدَّ البينُ مطلعهُ
ونائراً جدلاً قد كان جمعهُ
ذاك الجلالُ وأعبا أنْ أشيعهُ
ما كان أودعهُ عن أنْ أودعه
فقد ظمئتُ وعمَّ الريُّ موقعهُ
كفاه أو تجتلي عيناؤ مودعه
للفضلِ تعرفُ في الغبراءِ موضعه
لم ترجُ غيرُ الليالي أنْ تزعزعه

وله فصل^٥ من رقعة شفاعة: أحسنُ الصلّةِ — أعزّك الله — بينُ الأخوان

١ صدر بيت المتنبي . ديوانه : ٤٣١ وعجزه : « فسمعاً لأمر أمير العرب » .

٢ الوزير : سقطت من م س .

٣ القلائد : ١٦٤ والخريدة ٣ : ٤٣٣ والمطرب : ٢٠٨

٤ في المصادر : المجد .

٥ ط د : في فصل .

٦ ط م : حسن الصلّة . . . بين .

ما كان الفضل موجبها . والمجدُ مسببها . وطيبُ الخبرِ منشيها . وحُسْنُ
 الثناءِ ممهدُها وممطيها^١ : والوزيرُ أبو فلان - أبقاه الله - ممن يفتنُ في
 شكرك فيسحرُ المسامعَ . ويوقعُ ذكركَ في القلوبِ أكرمَ المواقعَ . حتى
 يستميل إلى مودَّتِكَ النفوسَ فتَنقَادُ سمحةَ القيادِ . ويهتفُ بالثناءِ عليك في
 المحافلِ فلا يخافُ المعارضةَ والعنادَ . وكان له من رأيك الجميلِ في سالفِ
 المدَّةِ^٢ . أشرفُ ذخيرةٍ وعدَّةٍ . فلما ملَّكَكَ الفضلُ أزيمةَ النقضِ والإمرارِ .
 ورتَّبَكَ في ديوانِ الإيرادِ والإصدارِ . علم^٣ أنه لا يسقطُ نجمهُ مع علوِّ نجمك .
 ولا تلدغُهُ عقاربُ الدهرِ وهو يرقبها باسمك . وأنت - دام عزُّك - تسعه
 بميسمِ إيجابك^٤ . وتقبيده بالإحسانِ في جانبك . وتطيعُ الكرمَ^٥ في رعاية
 نزاعه . ومحافظةِ تأمليه وانقطاعه . ومهما تعتمدُهُ به من مَبَرَّةٍ . وتُسديهِ
 إليه من عادةٍ مستمرة . فلنما تسقي غرسك . وتبني أسك .

وله من أخرى : أما الودَّ - أعزك الله - فمقيم . والعهدُ كريم . والإخاءُ
 مخيمٌ لا يريم : لكنني أخبرك عن حالٍ مختلَّةٍ . ونفسٍ معتلَّةٍ . وشغلٍ
 بك قد ضيَّقَ الصدرَ . وأظلمَ منيرَ الفكرِ . بما وقفتُ عليه من كتابك .
 واستطلعتهُ من خطابك . فتجرعتُ الكمدَ - علم الله - مرًّا المذاق^٦ .
 وشربتُ من كأسه المترعِ الدِّهاق . وعلمتُ أنه جنسٌ ذليل . ورهطٌ مخذول

١ م : منشأها . . . ومسطوها .

٢ م س : المودة .

٣ م : علم لنا .

٤ م : إلخافك ؛ س : إلخاف ؛ ط د : إلخافك .

٥ م : الدر (لعلها : الود) .

٦ م : من المراق .

وحزبٌ مفلولٌ^١ بل مقتول ، حيث لا ناصرَ فيُسْتَصْرَخُ . ولا فحْمٌ لِقَيْنٍ فيُنْفَخُ . ولا وَزَرَ إلا العَبْرَاتُ تُسْتَنْجَدُ ، والزفراتُ^٢ تستحثُ فتوقد . وقلَّ غناءٌ عنك دمعٌ تجريه ، أو حزنٌ تبديه ، أو صديقٌ^٣ لا يملكُ إلا التفجُّعُ . ولا يستطيعُ إلا التلهُّفُ والتوجُّعُ ، لكنه في الشرَّ خيار . وفي الأرض قرار ، وفي الناس منتجعٌ ومزْدَار . وإلى الله انقطاعٌ وفرار ؛ وصاحبُ الشرعِ عليه السلام قال^٤ : « لا تُلِثُوا بدارِ معجِزَةٍ » ؛ وقال الأول : « وإذا نبا بك منزلٌ فتحوَّلِ »^٥ . وأنت — ولا عتب — تقيمُ بذلك^٦ الإقليمَ ، مقامَ عَيْرِ الحَيِّ والوَتِيدِ^٧ . ولا تتعوَّضُ منه ببلد ، ولا من أهله^٨ بأحد ، حتى كأنك إنما تُشْفِقُ من خرابِ عامِرٍ ضَيَعِكَ . ودروسِ جديدي أَرْبُعِكَ ، ومعذرةٌ إليك من هذا الجفاء . فما يبعثُ إليه إلا حَنَقٌ يقوده شَفَقٌ ، وقلقٌ تذكِيه حُرَقٌ . [١٠٣ أ] وقد عرضتُ على عِدَّةٍ من إخواننا — أعزَّهم الله — شَخْصَ كتابك . فكلَّهم تألَّم بمصائبك^٩ . وتوجَّعَ

١ م س : وزفرات .

٢ م : صديق ؛ س : صديق .

٣ م س : يقول .

٤ في النسخ : تليثوا . . . م : المعجزة ؛ وفي اللسان (عجز) أنه من حديث عمر ، ومعناه لا تقيموا ببلدة تعجزون فيها عن الاكتساب والعيش . (والمعجزة بفتح الجيم وكسرهما) .

٥ التمثيل والمحاضرة : ٤٠٠

٦ ط د : ذلك .

٧ يريد مقام ذل . مشيراً إلى قول الشاعر :

ولا يقيم على ضيم يواد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
٨ ط د : أجله .

٩ م : لمصائبك .

لأوصالك . وارتعض لعثرة الأحرار التي لا تقال . ودولة الذلّ التي لا تذلّ^١ ،
جبر الله الكسر . وحكم على الدهر . وكشف الضرّ . ورزق فيما بقي
حُسْنِ التسليم والصبر .

قال ابن بسّام : وإنما امتنع أبو بكر في هذا الجواب على خطاب كان
شرح له فيه الأديب أبو جعفر الكفيف^٢ محنته مع مقاتل . غلام كان لابن
مطري أولاً . ثم لابن^٣ الأفطس . لتنازع وقع بينهما على بيت شعر ظهر
عليه فيه أبو جعفر . فحقد ذلك له . فبينما هو ماشياً فارغ القلب . آمن
السّرب . إذ اعترضه مقاتل في الطريق ، على مقربة من السوق . على هملاجه .
بين طوقه وتاجه . فجرى شوطه . وأخرج شوطه ، الذي كان يحث به
فرسه . وأمر سائسه بحبس يديه . وانحنى به عليه . قائلاً : لم تعرضت
بَطْشَتِي . ولم تخف سطوتي ؟ ! فلا النعمان بن بشير يوم الأخطل . ولا
الزبرقان بن بدر في مسألة جرّول . ولا المأمون بسطو بدعبل . وتالله لو كان
مقاتل كليب وائل . أو قيس بن عاصم . أو مُعَرِّقاً في بني هاشم ، لثنى
من عنانه . وقصّر من يده ولسانه . فكيف وهو مقسوم الولاء . معدوم
الآباء ! ! وإنما أقدره يومئذ الكبير . وأبطره الوفر . بعد الكُدَيْتِ في
الرفاق^٤ . والقصص في الأسواق . وتقلّ اللحم بالأسبونة من الدور

١ ط : تزال ، س : لا زال .

٢ انظر مقدمة ديوان الأعمى التطيلي : ح - ي .

٣ م : ليبي .

٤ س : فيينام .

٥ ط : سيبه ؛ س : منيه .

٦ س : في الرياق .

إلى ^١ الوضم ، فكيف لا ^٢ يُتَرَبَّصُ خروجُ الدجال ، أو ينزل المطرُ على هذه الحال ، أو تأخر القيامة ، ومقاتلٌ قد صار ^٣ قدامه ، يقتلُ الأحرار ، ولا قوَدَ ولا نار ^٤ ! ألا مُغيثاً ، ألا مَشِيئاً إلى الموت ^٥ حثيئاً ، ألا دعوة نوح ، من قلب قريح ^٦ !

ولأبي بكر أيضاً فصولٌ من جوابٍ عن أهلِ قرطبة على خطابٍ ورد من قِبَلِ المستعينِ بن هود قال فيه : وصل كتابك ، فوقفنا على جميع معانيه ، وأحطنا علماً بما فيه ، ورأينا ما تضمنته من المقال الذي لم يوفقه أعزّه الله - حقّ النظر ، ولا تدبره أحسن التدبر ، بل أطاع فيه سلطان هواه ، ودعاه الحرج ^٧ إليه فاستهواه ، ولو حكّم عادل النصفة ، وعصى أمر الأتفة ، لخاصم نفسه قبل أن يخاصم عنها ، وكان قبل أن يأخذ لها آخذاً منها ، ولعلم أن الحق ليس بأقوال تُسَطَّرُ ، ولا حُجَجٍ تُصَرَفُ عن طريقها وتغيّر ، والشيطان قد ينصب للعاقل أشراك الخدع ، ويروم أن يستنزل الحليم بأصناف الطمع ، فمن صرّفته عصمة الله انصرف ^٨ ، ومن وقفته خشيتُهُ أحجم ووقف .

وفي فصل منها : وقد كنت ^٩ خاطبتنا المرة بعد المرة ، وكاتبنا الكرة بعد

١ م س : إلى الضر من .

٢ لا : سقطت من م س ط .

٣ قد صار : سقط من م س .

٤ م : للمنية .

٥ م : الخروج .

٦ م : بحجج .

٧ ط : أنصف .

٨ وقد كنت : سقطت من م .

الكفرة ، تذكرُ أنك^١ قد حلتَ عن تلك البلاد يدك ، وأصفت^٢ في طاعة أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله - مُعْتَقِدَكَ ، ورأيتَ أنها^٣ أمانةٌ تؤديها ، إلى حافظها وراعيها ، وتسلمها إلى من يقومُ بحق الله - عزَّ اسمه - فيها ، إلا مواضعَ يسيرةٍ استثنيتها ، وأماكنَ قليلةٍ سميتها ، فما الذي نقلك عن هذا الرأي الحميد ، والمذهب السديد ، إلى التمسك بما قد بان لك وجهُ الخيرة في تركه ، وإرادة التملك بما لا قدرة لك على ملكه ؟ ! ولو كنت - أحسن الله توفيقك - ملياً بالدفاع ، قديراً على التحصن من أعداء [الله] الكفرة^٤ والامتناع ، لكنت معذوراً فيما ترغبه ، وجديراً أن يُخلّى بينك وبين ما تطلبه ، لكنَّ العجبَ كلَّ العجب أن يكونَ سعيك للكفار ، وتوفيرك للدمار . وكيف يسوغُ لك أن تحذّر من الله وأنت لا تحذره^٥ ، وتذكر به تعالى ثم لا تذكره^٦ ؟ ! ألسن تعلم أن النصارى - لعنهم الله - قد استولوا على ثغور المسلمين التي كانت بنظرك منوطةً ، وبمستقرّ قداميك^٧ مخلوطة ؟ فهل كانت لك طاقةٌ بمحاربتهم ، أو قوةٌ على مقارعتهم ، أو لإصراخ لمن استصرخك من قتيلٍ مستشهد ، أو أسيرٍ مضطهد ؟ !

وفي فصل منها : فحين وصلت دعوتهم لسامعها ، واتصلت مظلمتهم

١ تذكر أنك : سقطت من م .

٢ م : وأصفت .

٣ م : لنا .

٤ ملياً : سقطت من ط .

٥ د : الأعداء والكفرة : ط : الفكرة .

٦ زاد في م : العجب أن يكون .

٧ م : تحملك ؛ ط : قدمك .

برافعها ، وتعلقوا من أمير المسلمين وناصر الدين - أيده الله^١ - بالسبب المتين ، وأووا منه إلى الحصن الحصين ، أردت - والله يقيدك^٢ - أن تقطع منه^٣ حبالهم^٤ ، [١٠٣ ب] وتفرق اتصالهم ، وتذرههم^٥ بين أيدي^٦ الأسر والقتل نهاباً ، لا ترجو فيهم ثواباً ، ولا تخاف^٧ عقاباً . وهو - أيده الله - لم يبلغ بلادك ولا غيرها لمال^٨ يبتزه^٩ ، ولا لتملك يستفز^{١٠} ، وإنما بغيت^{١١} أن يجمع شيطان الشرك ، ويستنقذ المسلمين من الهلك^{١٢} ، ولما^{١٣} نرجوه من حسن إجابتك ، وإسراعك إلى داعي الحق وإجابتك ، خاطبنا أمير المسلمين - أيده الله - محيلين على ما تضمنه خطابك ، ووعاه كتابك ، مبهتين عنده عذرك فيما تضمنه من القول الذي لا تصح شواهد ، ولا ترتبط^{١٤} لتأمل معاقده ، وإنا لنخشى أن ينقض^{١٥} عن ذلك الثغر يده^{١٦} ، ويحل^{١٧} من عزمه^{١٨} فيه ما كان عقده^{١٩} ، فحيث لا ينفع النادم قرع^{٢٠} سنه ولو هتمها ، والعاض يده^{٢١} ولو كلمها ، وقد كان لك مندوحة^{٢٢}

١ م س : أدام الله تأييده .

٢ ط : يعيدك .

٣ منه : سقطت من م .

٤ أيدي : سقطت من م .

٥ م : يرجو . . . يخاف .

٦ م س : للملك ؛ وسقطت من ط .

٧ م : بغية .

٨ ط : وإنما .

٩ م : ترتبطه .

١٠ م س : لينقض .

١١ م : العزم .

في القول اللين ، والاحتجاج المبين ، عن ^١ الموافقة والمخالفة ، والمناظرة
بغير الحق والمكاشفة ، حتى انتهيت ^٢ إلى أن تقول إنه لك في من سلف
واعظ يزعمك ، أو زاجر يردك ، والله يعصمك من أن تختار اختيارهم ،
وتؤثر إيثارهم .

وفي فصل منها : وقبح بمن علم بما ^٣ عند الله علمك ، وفهم بما
لديه فهمك ، أن يزهد في الدنيا وهو يطعم منها في غير حاصل ، أو
يذم العاجلة وهو يعتد بعرض من أعراضها غير طائل ، ونرجو أن يكون
وراء هذا من ركوبك المثل ، ورجوعك إلى التي هي أولى ، وتكذيب
ما تلقى الوسوس ، وتجنه خادعات الهواجس ، ما يبقى به دينك نقياً
لا يتدنس ^٤ إزاره ، وذكرك جميلاً لا تقبح آثاره ، وهو الذي يشبه
مذهبك الكريم ، وآراء سلفك القديم ، الذي أنت متقيل حميد آثارهم ،
مستضيء بأنوارهم ، مشيد على ^٥ ما أسسوه من الأثر الصالح ، والعمل
الراجح . وما كان في هذا الكتاب من ^٦ مراجعة ، فيها موافقة ومنازعة ،
فإنما دعا إليها ما ننوي من النصيحة ، والموالات الصحيحة ، وقد يعاتب

١ م : على ؛ س : الهين على .

٢ م : انتهيت .

٣ م س : ما .

٤ ط د : تلقته .

٥ د : وتمته ؛ م س : وتلقه .

٦ م : يدنس .

٧ على : سقطت من ط د .

٨ الكتاب من : سقط من م س .

الشفيقُ فلا يُحْجَم ، ويقولُ الصديقُ فلا يَكْتَم ، وأنتَ تحملُ ذلكَ على سبيلهِ^١ الواضحة ، وطرائقهِ اللاتحة ، وتعلمُ أن أخاك من أرضاك باطنهُ ، وإن عصاك ظاهره وعالته^٢ .

وله من قصيدة^٣ في القاضي^٤ :

وكيف أجزتِ الحميَّ جَيْبُكَ عاطرُ
تجاوَبُ أفرادُ الحليِّ وساوساً
وكيف شقتِ الليلَ خَدُّكَ زاهرُ
وكيف استطعتِ السيرَ حِجْلُكَ مفعمُ
وَمُنْعَرَجُ الوادي ظباً وأسنةُ
وقد نصَّتِ* الجوزاءُ جيداً^٥ كأنه
تأرَّجَتِ المومة أنْ سرتِ وسطها
أقبلُ تَرَبَّ الأرضِ حتى كأنما
فما سجدَ الرهبانُ^٨ في كلِّ بيعةٍ
وَرَدْتُكَ فضفاضُ وعِقدُكَ صائحُ
عليك كما غنى الحمامُ النوائح
وجيدُكَ برَّاقُ وثغرُكَ واضح
وَرَدْتُكَ رجراجُ وحلْيُكَ قادح
ومنقطعُ البيداءِ حَبٌّ وكاشع
عيونُ إلى تلكِ الطروقِ لوايح
فكلُّ سبيلٍ جَزَتْ بالطيبِ فائح
تضمُّ ثناياكِ العذابِ^٧ الأباطح
كما أسجدتني أرضها والصحاصح

١ م : سبيله .

٢ م : وغالبه .

٣ م : ومن قصيدة له .

٤ انظر ديوان ابن زيدون : ٣٩٠ ، ٤٨٣ وقصيدة غائية لأبي المفيرة ابن حزم في القسم الأول :

١٧٦ فهذا كله نسق واحد من المعارضات ؛ ولم يتضح أي القضية يمدح ، ولعل هنا نقصاً

في النسخ .

٥ م : نصب .

٦ م ط : جيد .

٧ م : العراب .

٨ ط : البرهان .

ومنها في المدح :

فان ألك في سيدك راكضاً فاني للقاضي الأجل مادح
هو السبب المدني لسلوة وكفارة الآثام وهي فوادح
به تنهض الأيام في عواثر وتُسندركُ الآمال وهي نوازع [١٠٤]

قال ابن بسام^١ : قول أبي بكر : « أَقْبَلْ تُرْبَ الْأَرْضِ » ... البيت
مع الذي بعده ، من الوصف الغريب ، في توفية لإكرام ربع الحبيب : وأول
من بكى بالربع ووقف واستوقف ، الملك الضليل ، حيث يقول :

* قفا نبك من ذكرى حبيب ومترل *

ثم جاء أبو الطيب فترل وترجل ومشى في آثار الديار وقال^٢ :

نزلنا عن الأكوار نمشي كرامة لمن بان عنه أن نلسم بها ركبا
ثم جاء المعري فلم يقنع بهذه التوفية من الكرامة حتى خنع وسجد ،
وقال^٣ :

نحمة كسرى في السناء وتبع ليربّعك لا أرضي نحمة أربع
وأبو بكر إنما ألم بهذا المعنى .

ومحاسنه أكثر من أن تحصى ، ولم أحضر وقفي هذا إلا بقليلها^٤ ، ولا

١ نقل الصفدي جانباً كبيراً من هذا النص في الغيث ١ : ٦٧ وصرح أنه ينقل عن الذخيرة .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٨ .

٣ شروح السقط : ١٥٢٧ .

٤ ط د : بأقلها .

بأس من الزيادة - إن شاء الله - عند حصولها .

ومما سمحت^١ به الأيام ، وفازت به الأزلام ، من نثر أبي بكر المتدفق
عن بحر^٢ ، المزري بدر انتظم في لبّات الزهر ، رقعة يقول فيها :

مولاي وسيدي الأجل لا يزال بمعونة الله تخدمه الأوطار ، وتطيعه
الأنصار ، وتتنافس فيه الأقطار ، وتستأذنه في صوبها القطار ، فدعاؤه
متقبّلٌ مستجاب ، والغيمُ عند استصحابه منجاب ، وقد كان الغمام أسفً
ودُفْعُهُ ، ورجيَّ صدقه ، فصعد وتعلّى ، ثم دنا فتدلى ، فكاد من قام
بالراح^٣ يدفعه ، وانتظرت شأبيبه ودُفْعُهُ ، إلا أن تلك الدعوة رَدَّتْ
مَخِيلته جهاماً . وفرقت جمعه وكان لماما ، وعاد المحل يلتهمُ التهاماً ؛
فرققاً - رفق الله بك - فانّ الناس مُسْنِتُونَ . ولما لا يُرْضَى
من القولِ بسوء الظنِ مُبَيِّتُونَ ، وماذا عليه - أعزّه الله - في أن يُخْصِبَ
محله ، سقى الغيثُ بلداً يحلّه ، وتشبّعه حيث ارتحل ديمةً مدرار^٤ . وينزل
حيث ينزل النوار ، وننالُ من بركة دعائه نصيباً ، ولا نلقى منه يوماً عصيباً .
وإن دام دعاؤه في استصحاب الشمس ، فسيتركها خاوية كأن لم تغرب
بالأمس .

١ هذا مما زيد من بعد وقد انفردت به النسختان م س حتى آخر الترجمة .

٢ م س : بحره .

٣ م س : بالراجي ؛ وفيه إشارة إلى قول الشاعر يصف السحاب :

دان مسف فويق الأرض هيدبه يكاد يدفعه من قام بالراح

٤ من قول المتنبي (ديوانه : ٢٦٨) :

وإذا ارتحلت فشيمتك سلامة حيث اتجهت وديمة مدرار

وأخرى يقول فيها :

سقى بلداً أمست سليماً تخلُّهُ من المزن ما تَرَوِي به وتسيم^١

كيف لا أستسقي لثواه - أدام الله نعماءه - عزالي^٢ الغمام ، وأنثني
لعلياه حرَّ الكلام ، وأعيد^٣ النفس بمقدار سعيه ، وأنفي الأنس جملةً
من بعده ، وهو - أعزه الله - سرُّ الضمير ونجواه ، وذكر اللسان ودعواه ،
وشغل القلب والصدر ، والصديق الوفيُّ الذي بعُدَتْ أخلاقه عن
الغدر ، والواحد الذي يعدلُ الوفاً في جلالة القدر ، ويزيد على الأ[نام]
كما زادت على الليالي ليلةُ القدر ؛ ما هذا الاطراء ، والقول بالآراء ؟ !
تكفي شهادة الضمائر ، وتتناجي السرائر . ما أولاني بالنَّجْهِ ، وحثو التراب
< في > الوجه ! ! كيف وجد - أعزه الله - تلك البلاد الكريمة ؟
أظنه أكرم فاربط ، وانتاب^٤ فاغبط ، وحطَّ الرحل عند الملك الظاهر ،
المكنيَّ بأبي الطاهر ، فأنشد قول أبي تمام في عبد الله بن طاهر^٥ :

إذا ما امرؤ ألقى إليك برحله^٦ فقد طالبتَه بالنجاحِ مطالبُه

١ انظر الأغاني ٢ : ١٩٨ وأما القالي ١ : ٣٦

٢ م : عز ؛ س : عن (اقرأ : عين) .

٣ س : واعتد ؛ م : واعتد .

٤ م : بعدت عن الضمير الغدر .

٥ م س : الآراء (لعلها : الهراء) .

٦ م س : وارتاب .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٢٣٩ .

٨ الديوان : بريمك رحله .

وفي فصل منها : وماذا عليه لو عرف من شأنه بقضه^١ ، من عدة
النسيم اجتاز على أرضه ، فتنشق عرقه^٢ ، وتقبل عرقه :

يقبلُ الريح من صبابتهِ ما قبل الريح قبله أحدُ

ومنها : ولما علم أن تلك الحضرة مجرة العوالي^٣ ، بل مُستَقَرُّ المعالي ،
وَمُجَرِّى السوابق ، بل مَسْرَى البواشق ، أمَلَّها فأمَّها ، وقدم أرجاءها
فجاءها ، وغرضه أن يكون هنالك خادماً قائداً ، أو جامعَ قائداً ، وإذا
ظفرت يدها بجواد ، يحمله على جواد ، فقد أخصب مراده . وأكثب
مراده .

ومنها : وإن خفَّت بالمراجعة بالحالِ العلية وصلَّةُ الإجمالِ ، وخُنِمَتِ
بالحسنةِ الأعمالِ ، أسمعني الله عنك أنباء طيبة ، وأمطركَ من المعروف
ديمةً صبيبةً ، برحمته .

وأخرى يقول فيها :

ولاني واسماعيلَ يومَ وداعِهِ لكالغمدِ يومَ الرُّوعِ فارقهَ التَّصلِ^٤

لا بل كالجفنِ فارقهُ السَّوادَ ، والصدرِ بان عنه الفؤادَ ، هذا تعدادُ
يطول ، ودهرٌ بأحداثه يصول ، وعلى ما جرَّ من خطوبه ، وأعقبنا من

١ صورتها في م : يقضه .

٢ م : بحر المزالي .

٣ البيت لصريع الغواني ، ذيل ديوانه : ٣٣٢ والشعر والشمر : ٧١٣ .

عبوسه وقطوبه ، لنقریته صبراً یرده ، وجلدأ یده^١ ، وتحملأ یردعه^٢
ویصدّه^٣ ، فلا یجد لسهامه منفذاً . ولا یعرف للقدح فیها مأخذاً ، وإنّا
لنرضی بالقدر ، ونشربُ علی القذاة^٤ الكدر ، ولا تؤثر فینا لأواء^٥ ، ولا
تبلغُ منّا عزاء^٦ . أمّا وقد ذقنا طعمیه . وحلبنا شطریه ، وخطرنا قُطُریه .
وجربنا حالیه ، فما یحدثُ جدیداً ، ولا ینشیءُ شدیداً . وإن الله سبحانه
لیختار للعبد . ویهديه إذا استهداه للرشد . إذا انتهى به العسر ، طالعه
اليسر . ووافاه النصر .

ومنها : فذكرنا^٣ - أعزك الله - وطالعنا بأنبائك - أطابها الله - فانا
نرتقب أخبارك . ونستوضح آثارك . ونلاحظُ علی البعدِ دیارك :
كما نظرَ الأسیرُ إلى طلیقٍ یومُ بلادهُ لشهودِ عیدِ

ومن الحقّ أن تشدّ یدَ اغتباطك . وحبلَ ارتباطك ، بفلان ، فهو للصحة
ذاکرٌ . وبعهدك مكائر . ومن أعبائك فی تلك الرحلة معتذرٌ متّصل ،
وودّه وکیدٌ متّصل . وستفرح معه أياماً ، وترى الفضل إماماً ، والزمان
غلاماً ، إن شاء الله .

وأخرى افتتحها بهذين البيتين :

أخاطبَ ودّ^١ من أخٍ لكَ عنده إنابةٌ مخلوع العنان إذا لبى
تفياً إذا ما شئتَ ظلّ ضلوعه ظليلاً ورِدْ من ودّه شبماً عذبا

١ م : یردده . . . یده .

٢ م س : القدار .

٣ أهل الصواب : « ناذكرنا » .

٤ م س : طلوعه . . . أشتبأ .

وصلَ لسَيدي - وصله الله - تحيةً أهداها ، مقترنةً ببغيةٍ اهتداها ،
فلولا أنْ تموجَ الهواءُ ، لا ينقلُ^١ الأهواءُ ، لوافاهُ يحملُ من رَجْعِ السَّلامِ
أحفاهُ ، ولو صف ما نشأ له من الولوعِ ، < و > انتهى < حتى > هدَّ
الضلوع . فما غريبٌ أوحشهُ سلطانُهُ ، وجَعَتْ أوطانُهُ ، فباتَ يستهدي
البوارحَ نسيمها . شوقاً إلى وسيمها ، ويستكشفُ الرِّكبَ عن أنبائها ، كلفاً
بأحبائها :

بأشوقَ مني إلى حضرةٍ تخذتُ بساحتها موطناً

وأتمثلُ بما بين يديَّ من الأشواقِ ، إلى تلك الأخلاقِ ، فأقول : ما
غريب : نأى عنه هوَّى قريب . فكلَّما أمَّ بابه قطع < أسبابه > ،
أو همَّ أن يثني إليه عنانه . شغلت الأيامُ بنانه . فبات مُراقَ كأسِ الوَسَنِ ،
فضفاضَ رداءَ الحَزَنِ ، بأشوقَ مني إلى ذلك الخلقِ الكريمِ . فهل يسمح
به صرف الزمان اللثيم . وله الذم : ما وهبَ إلاَّ خلالَ ما انتهب ، ولا
أباح إلاَّ ريشما استباح . وإن تكنِ الأيَّامُ أتتْ دونَ لقائك . فانا أسأل
الله طولَ بقائك ، عسى أن يدنو بك داراً ، أو يدور بنا عليك مزاراً .

وله ٢ :

قد هزَّزناكَ في المكارم غُصْنا واستلمناكَ في النوايب ركنا
فوجدنا الزمانَ قد مالَ^٣ عطفاً وتأتَّى علاً وأشرقَ حسنا

١ م س : لا ينقل .

٢ وردت الأبيات في القلائد والخريدة والمطرب .

٣ في المصادر : لان .

فإذا ما سأله كان سمحاً وإذا ما هزرتَه كان لدنا
 مؤثراً أحسنَ الخلائقِ لا يَغُرُّ رِفُّ ضنَّا ولا يكذبُ ظنَّا
 أنت ماءُ الزمانِ أخصبَ واديهِ ٤ ورفَّتْ رياضُهُ وانتجعنا
 نزعَت بي^١ إلى ودادِكَ نفسٌ قلَّما استصحبَت سوى الفضلِ <خدنا>

في ذكر الوزير الكاتب أبي الحسين يوسف بن محمد بن الجلد^٢
 واجتلاب قطعة من نظمه ونثره^٣

قد قدَّمت ذكر بني الجلد^٤ ، وذكرتُ أنهم كانوا صدورَ رُتبٍ ،
 وبحورَ أدبٍ ، توارثوه نجيباً عن نجيبٍ ، كالرمح أنبوباً على أنبوبٍ ، مع
 اشتهارهم بصحبة السلطان ، وشرفهم على وجه الزمان . وأبو الحسين هذا
 كان من أسنى نجوم سَعْدِهِمْ ، وأسمى هضابِ مجدهم ، ولولا ما خلا به
 من معاقرة العُقارِ ، وتمسكَ بأسبابه من قضاء الأوطار : لملاً ذكره البلاد ،
 وطبَّقَ نظْمُهُ ونَثْرُهُ الهضابِ والوهاد . وقد استكتبه ذو الوزارتين أبو بكر
 ابن عمار أيام حربه بمرسية ، وله معه أخبار مذكورة ، وعنه رسائل مشهورة ،

١ بي : سقطت من م .

٢ كنيته في المغرب (١ : ٣٤٠) أبو الحسن ، وورد في مواضع أخرى من الذخيرة مرة أبو
 الحسين ومرة أبو الحسن ؛ وفي هذا الموضع من النسخة ط « أبو الحسن » ، وانظر ممالك
 الأبصار ١١ : ٤٣١ ؛ وسقطت لفظة « يوسف » من م س .

٣ م : نثره ونظمه .

٤ ذكر ابن سعيد (المغرب ١ : ٣٤٠) أن بيت بني الجلد بيت جليل ، وهم فهريون سكنوا ليلة
 وسادوا أيضاً بأشيلية . ثم ترجم لأربعة منهم ، ولكن ليس من السهل تبين صلة القرى
 بينهم . وقد مرت ترجمة أبي القاسم منهم في هذا القسم من الذخيرة : ٢٨٥ .

ولم أقع من كلامه وقت تحريري هذا التصنيف ، إلا على اليسير الطفيف ،
وفيما أثبت منه ما يقر له بالفضل ، ويرفع لواءه في النبيل .

جملة من نثره مع ما يتشبه به من شعره

له من رقعة خاطب بها من استنهضه إلى معارضة الحصري في قصائده
المعشرات^١ قال فيها :

يا سيدي^٢ - أبقاك الله شاحداً فكري . نافذاً ذكري ؛ من حقّ ذمتك ،
الذهاب مع وفقٍ همّتك . ولما أكملتُ رغبتك من كتبٍ معشرات^٣
الحصري . هبّ من خاطري النائمُ البكي ، فتظمتُ في معناها ، ما لا يُغني
من الصناعة مغناها ، فالدرُّ لا يُعارضُ بالمخشَلَب ، والبحرُ لا يناهضُ
بالمِذْنَب ، وإنما ذلك لما في طباعِ الإنسان ، من اتباعِ الإحسان ؛ مع أنّي
أردتُ أن أملأَ سمعَكَ . بصورةٍ حالي معك . واثت تعلمُ أنّي حين
تعرّضتُ ، وأوانَ ترَبّصتُ ، غريبٌ حبيب ، قليلٌ قليلٌ ، مريضٌ
الحنان ، مقروض اللسان ؛ فالشعرُ انما يحكهُ قلبٌ فارغ ، ولم يسبكه

١ المعشرات : قصائد تبدأ كل قصيدة منها من عشرة أبيات في موضوع من الموضوعات كالنسيب
أو مدح النـ و الزهد ، ومعشرات الحصري في النسيب ، وقد نشرت مع دراسة عن الحصري
قام الأستاذان محمد المرزوقي والجيلاني بن الحاج يحيى : ٢١٢ - ٢٤٠ (تونس ١٩٦٣)
وفي م : المعشرات .

٢ يا سيدي : سقطت من ط .

٣ م : معشر .

٤ م : ترصنت (اقرأ : تبرصت) .

لبُّ من ظلماء الشغلِ بازغ ، لم يكملْ خلقه ، ولم يروِ الصدورَ ودَقُّه ،
وجاءَ خِداجَ التاجِ ، أجاجَ المزاجِ . فإنْ نظرَ في هذي إليك ناظر ، وعطف
من عنانِ المناظرةِ بينها وبين تلك - على تباعدها - مناظرٍ ، فأطْلِعْهُ على
غَيْبِ حالي ، قبل أنْ تُطْلِعْهُ على عيبِ مقالي ، ليعلمَ أنها زبدةُ
الماءِ . وَعَصَاةُ الصخرةِ الصماءِ . والله المرجوُ للإدالةِ . والمدعوُ في الإقالةِ .

وله من أخرى خاطب بها عمته من ميورقة . عند تناثر عقد^١ رؤساء
الجزيرة :

يا مولاي وسيدي الذي أقرض برّة^٢ ، وألزم شكره^٣ ، ومَن لا زال
في أمان من الزمان . وسلامٍ من الليالي والأيام :

طوى الجزيرةَ حتى جاعني خبرٌ فرعتُ فيه بآمالي إلى الكذب^٤ [١٠٤ب]
حتى إذا لم يدع لي صدقه أملًا شرقتُ بالدمع حتى كاد يشرقُ بي

وإن عينا لم تَصُبْ بدمٍ بعد دمٍ لبخيلة ، وإن نفساً لم تَدُبْ على تلك
النازلة العظمى لَجَلَدَةٌ حَمَلَةٌ . لله تعالى التسليم فيما حلَّ وجلَّ . وفجعَ
وأوجعَ . وإن تكن تجافت عن النصير . ورتعت^٥ في العَرَضِ الخسيس .
فَخَطَبُهَا حقيرٌ . وَكَسَرُهَا مجبورٌ . عى أنها كيف تصرقتُ مشكلة ،

١ عقد : زيادة من م س .

٢ س : ذكره .

٣ لأبي الطيب : ديوانه : ٤٢٣ والخيرة ٢ : ٤٨٦ .

٤ م س : تصب دماً .

٥ م : وولعت .

٦ م : المجبور .

وعلى ما تُخِيلُ^١ مُذْهِلَةً، وَصَفَاتُكَ - أَعَزَّكَ اللهُ^٢ - أَصْلَبُ مِنْ أَنْ تُوَثِّرَ فِيهَا التَّوَازِلُ، وَأُثْبِتُ مِنْ أَنْ تُضَعِّضَ فِيهَا الرُّوَاجِفُ وَالزَّلَازِلُ، وَأَنَا حِينَ خَطَطْتُ هَذِهِ الْأَحْرَفَ عَلَى جَمْرِ الْأَسَى مُتَقَلِّبٌ، وَبَارْتِقَابٌ مَا خَصَّكُمْ^٣ - لَا زَالَ خَيْرًا - مُعَذِّبٌ، وَقَدْ أُوْدَعْتُ مُنَاوِلَهَا مِنْ خَبْرِي، وَحَمَلْتُهُ مِنْ عُجْرِي وَبُجْرِي، مَا لَكَ الطَّوْلُ فِي الْإِصْغَاءِ إِلَيْهِ، وَاسْتِيفَاءِ مَا لَدَيْهِ، ثُمَّ فِي مِرَاجِعِي بِمَا تَقَرَّرَتْ الْحَالُ عَلَيْهِ.

وختمها بهذه الأبيات^٤ :

كُتِبْتُ وَقَدْ غَالَتْ عِزَائِي أَشْجَانُ	وَقَدْ شَرِقَتْ بِالْدمِ أَجْفَانُ
وَقَدْ وَقَدْتَنِي نَبَأُ الْخُطْبِ لَمْ تَصْخُ	إِلَى مِثْلِهَا فِي سَالِفِ الدَّهْرِ آذَانُ ^٥
تَصَامَمْتُ عَنْهَا مَسْتَرْحًا إِلَى الْمَنَى	وَقُلْتُ عَسَاهَا فِي الْأَحَادِيثِ بَهْتَانُ ^٦
إِلَى أَنْ جَلَاهَا الصَّدْقُ عِنْدِي فَهَدَّنِي	وَأِنْ قَلِيلًا أَنْ تُضَعِّضَ أَرْكَانُ
كَذَا فَارَقْبُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَغْتَةً	فِيهِلِكَ شَيْطَانٌ وَيُهْتِكُ سُلْطَانُ
عِزَاءً وَأَنْى بِالْعِزَاءِ وَقَدْ هَوَتْ	كَمَا قَدْ ذَوَتْ فِيكُمْ نَجُومٌ وَأَغْصَانُ
وِغَاضَتْ بِحُورٍ ^٧ لِلْنَدَى وَتَقَلُّصَتْ	ظِلَالُ الْعَلَا وَانْهَدَّ لِلْمَجْدِ بَنِيَانُ

١ م : خيلت .

٢ م س : دام عزك .

٣ د : يخصكم .

٤ منها بيتان في كل من المغرب والمسالك .

٥ د : غرامي .

٦ سقط هذا البيت والذي بعده من م س .

٧ ورد البيت في القسم الثالث ٣ : ٨٤٩ وفي هذا القسم الثاني أيضاً : ٤٨٧ .

٨ م س : بحار .

لبان بما قد بان آمن^١ وإيمان^٢
 هم حسنوا بالدهر ظناً فخانهم
 ولولا الأُسى لم يبدُ في العيش عنده
 وكم قبلها من مثلها ثم بعدها
 وبين ضلوعي والجفون تنازع^٣
 ولا شك أني بين هاتين طائع^٤
 تقسم صبري والحوادث جمّة^٥
 لعلّ الليالي ، والليالي لواعب^٥
 وفي الغم ماء مانع من زيادة^٥
 فطوّلت في إرعاء سَمْعِكَ ساعة^٥
 وراجع ولو في صفحة الماء راقماً

وفضل وإفضال وحسن وإحسان
 وما الدهر إلا ناقض^٢ العهد خوآن
 وحسي ولم أبعد عليّ وعثمان
 وليس على دهر جنى^٢ ذلك عدوان
 على الرّسم من جسمي فسحب ونيران
 فيغريق طوفان^٢ ويحرق بركان
 ملوك وجيران وقوم وأوطان
 ستأتي التي فيها عن الغم سلوان
 وعند الذي يُهدي كتابي تبيان
 لتسمع ما شطّط به عنك أزمان
 وطالع فيكفيني من الطرس عنوان

وله من أخرى : يا سيدي الأجل ، وغمامي المستهل ، وكوكبي النير
 المطل ، ومن أبقاه الله في الشمل الأجمع ، والأمل الأمتع . أودنتُ
 بِمَقْدَمِكَ الميمون . المُقِرِّ للنفوس والعيون ، فارتحتُ ارتياح من أنشدتُ
 ضالّته ، وأعيدتُ عليه بعد السّقم صحته ، وقد كان من وردي اشتياقي
 إليك ، أن أقع بين يديك ، غير أنّ الوجل^٥ قيّد القدم ، فلم أجيد بُدأ
 من أن أستنب القلم ، ومثلك - دام عزك - شرّح لِعُدْرِ وليه صدرأ ،

١ م س : يمن .

٢ س م : ناكث .

٣ م ط : حتى (حنا) ؛ د س : حتى .

٤ م ط : زيارة .

٥ م : الوجد .

ولم يظنَّ بصفيةٍ فيما يقعُ من إخلالِهِ بِخلالِهِ وِجلالِهِ^١ غدرًا . ومع هذا فلو كنتُ على ثقةٍ من وجدانك بمكانك ، لمشيتُ ولو على شوكٍ [١٠٥ أ] القناد ، مجتنيًا من تلك الخلائقِ الناضرة^٢ العاطرة زَهَرَ الرَبِّي والوهاد ، وناقعًا من تلك السجايا الباهرة حرارةَ الجوانحِ والأكباد - لا زلت لأودائك أملا ، ولأوليائك فضلًا من الزمان كلاً^٣ .

ومن شعره^٤

أهدى الزمردَ مورقاً ^٥ ومنوراً	عجباً تطلَّعَ كلُّ لحظٍ أبصراً
فحسبتهُ من قلبه ومودتي	حجراً وريحاناً يرفُ معطراً
وَزَجَرْتُ منه بأنَّ قسوته انثتُ	ليناً كخدِّ منه رقٍّ وعذراً
قد كان سري فيه ممنوع الحمى	فاليومَ هُتِكَ كلُّ سرٍّ سُتِّرا
فلاخلعنُ ثوبَ الوقارِ عن الصبا	ولألبسنُ ثوبَ الهوى متبخترا
ولأشربنُ كأسَ الصباية علقماً	حتى أغاطي كأسَ وصلٍ سكرًا
ولئن كُتِمْتُ الحبَّ فيه صيانةً	وضنائةً فكفى بجسمي مخبرًا
وإذا سما بسمائه بدرُ الدجى	فعليه من قلبي السلامُ مكرراً

١ ط : من إخلاله بجلاله .

٢ س : الباصرة (اقرأ : الباهرة) .

٣ س : وكلاً

٤ انظر المسالك ١١ : ٣١ .

٥ المسالك : موقناً .

٦ م : على .

واستكتبه العامل ابن القروي^١ الإسلامي ، فغاب عنه أياماً يشرب النبيذ
فلامه على خلع عذاره ، في استهتاره ، وترك خدمته ، فكتب إليه أبو الحسين :
أَمْسِكْ عَنَّا نَكَ^٢ إِنْ رَكِبْتَ قَلِيلًا وَاسْمَعْ وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ طَوِيلًا
إِعْزَلْ وَوَلْ فِي حَدِيثِكَ آيَةٌ لَوْ أَنَّ قَوْمَكَ أَحْسَنُوا التَّأْوِيلًا
هَلَّا عَذَرْتَ عَلَى الْبَطَالَةِ أَهْلَهَا وَرَأَيْتَ رَأْيًا فِي الْمَدَامِ أَصِيلًا
هِيَ مَا عَلِمْتَ فَإِنْ عَرَّتْكَ^٣ جِهَالَةٌ فَاسْتَفْسِرْنِ مِنْ سِرِّهَا الْإِنْجِيلًا

وقال^٤ :

تَحَكَّمَتِ الْيَهُودُ عَلَى الْفُرُوجِ وَتَاهَتْ بِالْبَغَالِ وَبِالسُرُوجِ
وَقَامَتْ دَوْلَةُ الْأَنْدَالِ فِينَا وَصَارَ الْحُكْمُ فِينَا لِلْعُلُوجِ
فَقُلْ لِلْأَعْوَرِ الدِّجَالُ هَذَا زَمَانُكَ إِنْ عَزَمْتَ عَلَى الْخُرُوجِ

وله يخاطب بعض من نهض به زمانه لا إحسانه ، وكانت لداره بابان
إذا انتظير من الواحد طلوعه ، خرّج به من الثاني عدوله عن الفضل
ونزوعه ، وفي ذلك يقول أبو الحسين وقد اختلف إليه فلم يلقه ، ولا شام
يوماً برّقه :

يَا مَاجِدًا وَالزَّمَانَ عَدَلْ طَالَ اخْتِلَافِي لِسَاحَتِكَ
لَقَدْ رَأَيْتَ الْغَرِيبَ حَتَّى رَأَيْتَ شَعْرًا بِرَاحَتِكَ

١ ط : ابن القدوي .

٢ م س : عتابك .

٣ م ط د س : عدتك .

٤ المسالك ١١ : ٤٣١ - ٤٣٢

٥ م : شعري .

في ذكر الأديب أبي الحسن [غلام] البكري^١ وإببات جملة من محاسن شعره

وأبو الحسن في وقتنا بحرٌ من بحورِ الكلام ، قذفَ بدرُ النظام ، فقلَّده أعناقَ الأيام^٢ ، أسحرَ من أطواقِ الحمائم ، وأبهرَ من النجومِ العوالم ؛ من شعراءِ الدولة العبادية ، لم تكن له رحلةٌ لسواها^٣ ، ولا قدَّمَ في غير ذراها ، وكان أخيراً هو وعبد الجليل وأبو بكر الداني هقعةَ جوازها . ونَسَرَ سمائها ، وطبقَها التي قال بتفضيلها الإجماع ، وشهد لها [١٠٥ ب] العيانُ والسماع . ولما انجابت غيومُها ، وامَّحتْ نجومُها ، بخلعٍ صاحبها . خلَّعَ أبو الحسنِ صنعةَ الشعرِ خلَّعَ النجاد ، وتبرأ منها تبرؤ العبادية ؛ من دعوة زياد ، إلا إمامَ الطَّيِّفِ بِعَيْنِ الفَرِّقِ . والنضاتِ الدليلِ بيناتِ الطرق ، واشتمل عليه البكريون لِكَوْنِهِ إحدى ذُرَى بنيانهم . وأحدَ دعائمِ أركانهم . ولتحويله عليهم . وانقطاعه بالولاء اليهم ، فألحفوه نعماهم ، وأغْنَوْهُ عن سواهم .

وقد أثبتَ من شعره ما يقضي له بالفوق^٤ . ويخصهُ بِقَصَبَاتِ السَّبْقِ .

١ اسمه حكيم بن محمد : وله ترجمة في القلائد : ٢٩٠ (وانظر ص : ٢٤٢ وعنه النسخ ١ : ٦٥٧) والمغرب ١ : ٣٤٨ وبغية الملتصق رقم : ٦٩٢ والمساك ١١ : ٣٨١ ولقطة « غلام » موجودة في فهرسة الذخيرة ، وفي المصادر .

٢ ط د : الأنام .

٣ ط : سواها .

٤ م س : العباسية .

٥ م س : وإحدى .

٦ د م س : بالفرق .

جملة من شعره

له من نصيدة أولها ^١ :

ألاحت ولاظلماء من دونها سيدلُ عقيقةُ برقٍ مثلما انتضي النَّصلُ

يقول فيها ^٢ :

نَكِرْتُ الدُّنَا والأهل ^٣ فيها فليس لي
وأفردني صرفُ الزمان كأنني
فيا ليت شعري هل مُقامي لنبّةٍ
وسيرٍ يخلّي المرءَ منه قرينه ^٤
فكم من حبيبٍ كان روضةً ناظري ^٥
ضحى ظلُّه إذ كُوِّرَتْ لي شمسُه
غبرتُ وبادوا غيرَ أنْ تلبّئي
إذا كان عيش المرءِ أدهى من الردى

بها عَصَوَةٌ آوي إليها ولا أهلُ
طريراً من الهندي أخلّصه الصقلُ
تصيخُ لنجواها المطيعة والرحلُ
فريداً كما خلّى تريكتَه الرألُ
يرفُ ويندى بين أفنانها الوصلُ
فشخصُ نعيمي لا يقومُ له ظلُ
وراءَهُمُ عيشٌ يلدُ له القتلُ
فعائدة الأيامِ داهية خبل ^٦

١ انظر القلائد والمسالك وبغية الملتبس .

٢ يقول فيها : سقطت من م س .

٣ د والقلائد : والأرض .

٤ ط : يصيح ؛ والقلائد : تصيح بنجواها .

٥ القلائد : والرجل .

٦ القلائد : قريبه .

٧ القلائد : خاطري .

٨ القلائد : ختل .

وللناسِ هَمَّاتٌ تَبَحِّحُ^١ بالغنى^١
إذا قنع المضطرُّ كانت بكفه^٢
ومن راد^٣ لم يعدم^٤ من الله نجعة^٥
رأيتُ النهى في المرءِ فضلاً يشفه^٥
ومن ميَّزَ الدنيا بتمييزِ أهلها
فيا ليت علمي^٦ فيهم^٦ أنه عَمَى
وطئتُ من الأيامِ أحسنَ جانبِ^٧
ولكتُ من الأعداءِ شرَّيَ ضغينة^٧
وقارعتهم^٨ حتى فلتتُ شبَّاتهم^٨
ولكنَّ صرفَ الدهرِ قرينٌ إذ سطا

ومنها^٩ :

وان كان جمعاً ضمَّه اللومُ والبخلُ
مقاليدُ^٢ لم يَبْهَمَ لها أبداً قُفْلُ^٢
ففي كلِّ محلٍّ من غمَّامته وبَلُّ^٣
ولكنَّ مَنْ يَحْوِيهِ ليس له فضلُ
تبيِّنَ أنَّ العقلَ مثلُ اسمِهِ عقلُ
وحلمي الذي أشقى به أنه جهلُ
فهل لي منها حانب دَمِثٌ سَهْلُ^٤
لبستُ بها ماذيةً بجَّها النحلُ
بِسُورَةٍ عَزُّ لا يكفكفها الذَّلُ
يخرُّ حفافيه^٥ الفوارسُ والرجُلُ

حُبِيتُ كما ضمَّ المهندَ غِمدُه^١
وعَرِيتُ من مالي وما ملكتُ يدي

وقُبِدتُ مثلَ القَرَمِ يضغطه العقْلُ
كأنِّي منه مُحْرِمٌ ما له حلُّ

١ م د : تبجح : م : بالقنا : س : فالتقت .

٢ القلائد : مفاتيح .

٣ ط : داك : د : ذاك : م : أراد .

٤ م س : تحفة : ط : نعمة .

٥ د : يشيقه : ط : يشيفه .

٦ م : شعري .

٧ م : ولو كنت من . . . أسرى صعيقة : ط : طعيقة : د س : ظميقة .

٨ د : يجر حفافيه : ط : يجد حفافيه .

٩ ومنها : سقطت من م س .

أري أعين الأعداء بِشَرِّ طَلاَقَةٍ
فمن لي بأنّي في جناح غمامةٍ
وأوجهُ آمالي مُقَطَّبةٌ طُحْلُ
لها بارق نحو الأَجَبَةِ مِنْهَلُ

وله من قصيدة^١ في المعتمد^٢ :

مضيت كما يمضي الحسام المصمم
وأسفر من مراك صبح مَسْرَةٍ
تحف به الأجنادُ تخطرُ بالقنا
لك العزّاتُ النافذاتُ التي بها
سيعلم من ناواك أنك لا الذي
دع السيف يوهي ما بناه فإنما
لكيما يقرّ الشاغخون أنوفهم
أحلّك ربع الملك^٣ مجد مؤئل
لِتَرْبَأَ^٤ بك الأيام عن حدثانها
لربك يَخْذِي كل نِضْوٍ كأنها
ويوم كريعان الشباب شهدته

وأنت كما آب الحيا المتبسم^٥ [١٠٦]
تجلّى به قِطْع من الليل مظلم
فخلناك بدر التيم حَقَّتْهُ أنجم
رأينا قناة الدين كيف تقوم
يتخيم عن الحرب العوان ويتحجم
على السيف أن يبني بما هو يهدم
بأنّ علاكم للمعاطس مرغم
وسرو على مرّ الحديد قشع
فلنك في يَهْماء دهرك معلّم
قسي عليها من عَفَاتِكَ أسهم^٦
يقيناً ولم يطمع إليه التوهم

١ س م : قصيد .

٢ المسالك ١١ : ٣٨٢

٣ ط د : المتبسم .

٤ م : الأجياد .

٥ وقع هذا البيت رابعاً في م س .

٦ ط د : المجد .

٧ ط : لتقرأ (اقرأ : لتقرأ) .

٨ اقترن الشطر الثاني من هذا البيت بالشطر الأول من البيت السابق في م .

فما خلتُ أن البحر يحويه مجلسُ
لقد طَرَزْتَ نِعَمًا كَ بِمَنَةِ مَنْطِقِي
لَكَ الْخَيْرُ إِنَّ الْقَلْبَ وَاعٍ وَإِنَّمَا
وَلَوْلَا الْأَمْسَى مَا رَقَّ شَعْرُ مَهْلَهْلٍ

ولا يحتمي وَسَطَ الْبَنَدِيِّ يَلْمَلِمُ
فَرَاقُ بَهَا وَشِي الْقَرِيفِ الْمُسَهْمِ
يَبُوحُ بِمَا فِيهِ اللِّسَانُ الْمَتْرَجَمِ
وَلَا حَازَ سَبْقًا فِي الرِّثَاءِ مَتَمِّمِ

وله من أخرى^٢ :

إِذَا أَنْتَ عَايَنْتَ الْأَنَامَ وَدَهَرَهُمْ
تَأَهَّلَ قَلْبِي وَحْشَةً حَشَّتِ الْحَشَا
فَلَا جَبْرَةٌ^٣ إِلَّا لِإِرَاقَةٍ عِبْرَةٍ
هُمَا نَصَرَتَا مِنْ لَمْ تَوْيِدَهُ قُدْرَةٌ
تَدَرَّعْتُ قَلْبِي جَرَاءً وَحِزَامَةً
فَإِنْ خَدَعْتَ دُنْيَايَ مِنْي مُنْجِدًا
وَإِنْ أَفْتَقِدَ عِزِّي فَقَدْ أَطَا الْعَدَا
هَبِيتُ عَلَيْهِم بِالرَّدَى فَاطَرْتُهُمْ
عَلَّوْا وَهَوَّوْا مِنْ غَيْرِ نَفْعٍ كَأَنَّهُمْ
أَرَى النِّقْصَ عَارًا فِي الْجَوَارِحِ وَالنَّهْيَ

تَرَى نَقْدًا يَأْدُو لِغِيَرَتِهَا سِمْعُ
وَأَقْفَرُ مِنْ أَنْسٍ كَمَا أَقْفَرَ الرِّبْعُ
وَزَفْرَةٌ مَنْجُودٍ يَقُومُ لَهَا الضَّلْعُ
وَبِئْسَ النَّصِيرَانِ التَّنَفُّسُ وَالِدَمْعُ
وَمَنْ يَدَّرِعُ قَلْبًا يَهْنُ عِنْدَهُ الدَّرْعُ
فَإِنَّ سَرَابَ الْقَاعِ شَيْمَتُهُ الْخَدْعُ
بِأَحْمَصٍ ضَيْمِي مِثْلَمَا يُوْطَأُ الْفَقْعُ
كَأَنَّ نَفْحَتَ عَصْفَا مَوْوَبَةٍ مِسْعُ^٤
سَمَاءٌ وَلَا رَجْعٌ وَأَرْضٌ وَلَا صَدْعُ
فَمَا لِقَمِي أَخَذَ وَلَا لِيَدِي مَنَعُ

١ م س : فلولا .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ م س : خبرة .

٤ من قول الخليلي : « قد حال بين دريسيه مؤوبة ، مع . . . » والمؤوبة : ريح تجمي مع الليل والمسع : ريح الشمال .

أصونُ يبذل الجهد عِرْضي وإني
وأفتشُ أعضاءي مخافة أن يرى
وأصمتُ أفواه الرواة بمقول
وله من أخرى في المعتمد :

قرعت الصباصي بشعثِ النواصي
خميس يضاهي الحيا المكفهر^١
ودائيت حتى تغور الظبا
وخلقت قتلك لما عتا
تجاجزُ عنه^٢ العلا فركاً^٣
يراعيك مرتقباً مثل ما^٤
فخفّضت من طرفه إذ سما
وعاودت قرطبةً عند ما
ومنها^٥ :

فلو أن جدّي كودّي لكم
أليس ثنائي وسط الندي
لبوّاني الجدُّ أعلى الرتب
يجرُّ المفاول أن تختطب

١ ط د : ملح .

٢ في النسخ : قليل .

٣ د : بادي .

٤ م س : تحاد عنه ؛ ط د : تحاجر .

٥ ط د : بركا .

٦ ط د : كلما .

٧ ومنها : زيادة من م س .

أَلْظُ الرِّوَاةُ بِهِ فَازْدَهَتْ قَلَائِدُهُ فِي نَحْوِ الْكِتَابِ

وله في القاضي أبي عبد الله بن حمد بن يشفعُ لبني البكري :

بعدلك رشت جناح القضاء	وسرّبت حُكْمَكَ ثوب الضياء
وصارت خطاك على منهج	من القصد بين السنّ والسنا
ومدّت ظلالك نار الهجير	ودرت سماءك بالجرّياء
وقد كنت فيك سيما التقى	كما كمن العود تحت اللحاء
وما يُحمدُ الرَّعْيُ في كلِّ وادٍ	ولا يوجدُ الرّيُّ في كلِّ ماء
ختمت القضاء بحكم الإله	كختمه أحمد للأنباء
دُعيت بكنيته واسمه	فنور الهدى طيّ ذاك الدعاء
أهنيك لا بل أهني الورى	بأن فاز تقبهم بالهنياء
طلعت لهم وسط عبياء لا	ترى العين فيها سبيل اعتداء
ولحت منار هدى ناره	يؤرثها مذكوت السماء
فهديك شمس يطير الضلال	شعاعاً بأرجائها كالهباء
وسعيك في ذاته لم يزل	يبیح الجنّى في جذوع الأشاء
فحط أفرخاً ضمهم في يدك	حميم نوى في ربوع الفناء
أغاض الردى منه ماء الندى	وأخذ منه شهاب الذكاء
يضمكما مُنْتَمَى وائل	وقربُ النفوس أجلّ انتماء
وأكرم حيّ وفي رعى	أذمة ميسر كريم الإخاء

١ في هامش ط بخط الأصل : انظر هذا التمثيل البشيع ، فليته لم يمثل به .

همُ كبنيك فان تَحْنِيهِمْ^١ تَلْ من إهلك حُسْنُ الجزاءِ^١
 وتبدو مساميك وضاحّة^٢ تُعِيرُ الدجنة بِشَرِّ الضحَاءِ^٢
 وليستْ بِيَدْعٍ فكم مثلها صنعت وأوليت في الأولياءِ [١٠٧]
 وذلك أنك من أسرة^٣ مهذّبة كقداح السراءِ^٣
 نَضَتْ^٤ منك تغلب مشحودة^٤ مصمتة في المجنّ السواءِ
 فمن شام برّقتك لم يعتمد^٥ ثراك يذر بطيء النماءِ
 بعثت إليك بها راية^٦ تقود لواديك سرح الثناءِ
 ولم يأتك الشعر من بابه ولكنّه واثق بالوفاءِ

وله من أخرى يصف بعض المصانع^٦ السلطانية المعتمدية^٧ :

أقرن الغزالة أم معقل^٨ يكاد الحمادُ به يعقل^٨
 قرارة أنس تبين^٨ الظباء به والضراغة البسل
 تجرد أفواهها في الصفا سيوفاً بشمس الضحى تُصقل
 وليست سيوفاً ولكنّها لظامي الثرى منتهل سلسل

١ ط : العزاء .

٢ د : نشر الضياء .

٣ السراء : ضرب من شجر القسي ، الواحدة سراءة .

٤ ط د : قضت .

٥ سقط البيت من م س .

٦ م س : المصانع .

٧ انظر المسالك ١١ : ٣٨٣ .

٨ تبين : تقيم .

٩ ط د : بصافي ؛ د : الندى .

تشق^١ المياهَ بهنَّ المياهُ
محاسنُ للروضِ فيأضة^٢
ترضعُ أطفالَ أشجارها
يلي الخوضَ مذبذبهُ مثلما
تلفُ الثرى في برود الربيع
وفي صحنِ ساحته^٣ مجلسُ^٤
كأن تماثيلَ جذرانهِ
تبينُ بفصلِ الخطابِ الفصيح
وترنو وما راقها منظرُ^٥
تودُّ الكواكبُ لو أنهُ
ولو ظفرتُ بالمني لم تزلْ
كأنَّ أعاليه روضة^٦
ينمُّ سناهُ بأسرارهِ
ويجري عليه فرندُ^٧ الحبورِ
وتكرعُ في ماء لآلئهِ
فلو أنَّ زهرته للهجير

كما شقَّ في الأثمة المنصل
بها تضعُ الأرضُ ما تحمل
ضروعُ متاعبها الحفل
جنا^١ الردف واندمج الأبطل
إذا عزَّت الروضة الشمال
شروُدُ اللحاطِ به يُعقلُ^٢
على مَنْ يقابلها تُقبِلُ^٣
لديك وإن أخرسَ القول
وتُصغي وما رابها أزمَلُ^٤
لها يعتلي^٥ أو له تنزل
خفافيه تطلعُ أو تأفلُ^٦
ومرمرُ أسفله جدول
فتعلم عينك ما تجهل
فكلُّ كتيب به يَجْذَلُ^٧
ظماءُ العيون ولا تنهل
بدا^٨ ورْدُهُ وشدا البلبل

١ تشق : بياض في ط .

٢ جنا : مخفف جنا أي احدودب ومال ؛ وفي الأصل : جنى ؛ المسالك : جنا .

٣ المسالك : صفحته ؛ م س : صاحته ؛ ط : ساجته .

٤ ط د : تعقل .

٥ ط د : له تعتلي .

٦ ط : فريده .

٧ ط د : للنجوم ؛ م س : بقى .

وله من أخرى ، أولها :

شكري لنعماك شُكْرُ الرّوضِ للديمِ
أبتُ خِلَالُكَ إِلَّا كُلَّ مَكْرُمَةٍ
سَجِيَّةٍ فِي الْعَلَا شَابَتْ ذَوَائِبُهَا
جَيْشُ أَيْادِكَ الْحَسَنَى تَقْدُ لِحِبَا
تَهْزُمُ أَعْمَادِيكَ اللَّاتِي إِذَا فَحَصَتْ
وَالْقَوَا انْعَاشَكَ عِنْدَ الْعَثْرِ^٢ مِنْفَرِدَا
وَالْفُظْ جَنَاهُ^٣ وَإِنْ لَذَّتْ مَذَاقُهُ
كَمْ مِنْ سَرِيرَةٍ عَلَيَا بَتْ أَثَرُهَا^٤
وَمِنْ أَفَانِينَ صُنْعٍ كُلُّهَا نَعَمْ
مِنْ أَيِّ قَطْرٍ يَكْرُ الْخَطْبُ تَصَدَّمُهُ^٥

ومنها^٦ :

فاقطفْ بِأَيْدِي الْأَيْدِي رَوْضَةَ الْكَلَمِ
بَشَتْ^١ لَكَ الْحَمْدَ فِي عَرْبٍ وَفِي عَجَمٍ
وَهَمَّةٌ تُشَاثُ فِي تَرْبَةِ الْكَرَمِ [١٠٧ب]
وَاجْعَلْ سِلَاحَكَ مَا تُسَدِّدُهُ مِنْ نَعَمْ
عَنْهَا الْمَكَارِمُ لَمْ تَوْجِدْ مِنْ الْأَمَمِ
بَلَا أَخٍ كَانْفَرَادٍ الصَّارِمِ الْخَدَمِ
فَرَبَّمَا شَرِيقَ الْغَصَّانِ^٧ بِالشِّبَمِ^٨
لَكَ الْمُهَيْمَنُ بَيْنَ اللَّوْحِ وَالْقَلَمِ
لَدَيْكَ تَرْمِي الْقَذَى فِي أَعْيُنِ النِّقَمِ
وَإِنْ عَيَّرْتَكَ^٩ الْمَنَابِيَا الْحَمْرُ لَمْ تَخِمِ

لولاك لم تنتظم في السلك لؤلؤة ولا غدا الشعب منه جد ملتئم

١ ط د : بنت .

٢ د : الوفير ؛ ط : الور .

٣ م س : جفاد .

٤ ط د م : بالشيم ؛ س : بالشتم .

٥ د : بت أثرها ؛ س : بت لشرتها .

٦ د : فكر ؛ س : قصر .

٧ م : تصرفه .

٨ د : عتلك .

٩ ومنها : لا ترد في م س .

واليت^١ سعيك بالتقوى فشافه^٢
فمجتبيك كمرتاج^٣ رمى نظراً
ومجتويك كمغرور^٤ أجال^٥ يداً
دلائل^٦ الفضل في السادات واضحة
تبلى الليالي ولا تبلى عرائيكها
همي حياك فأحيا ميت كل ثرى
من لي بتأدية^٥ الشكر التي كتبت
حملتني منه ما لو حل^٦ في جبل
ما لي سوى العجز^٦ والتقصير من وزر

بين الملمات نَجَحُ الله من أمم
في ناضر من رياض الحزن مبتسم
في مُزبد من عُبَاب البحر ملتطم
منها الوفاء ومنها الرعي للذمم
وربما جدّدتها لبسة الكرم
ولاح برّقك وضاحاً لكل عم
جدواك أسطره في صفحتي عدي
لررض^٦ رضوى وآد^٦ الركن من لضم
فاعذر^٦ شكورك بعض العذر أو فلم

١ ط د س : وانيت .

٢ م س : فشافه .

٣ ط د : فمجتبيك : كمرتاج : بياض في ط ؛ د : كثرثار .

٤ م س : الدهر .

٥ د : بتأدية ؛ م ط : ببأدية .

٦ في النسخ : الفخر .

في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشتمري^١ وإبات جملة من نظمته ونثره^٢

وأبو الحسن غربي^٣ النشأة ، شتمري الأفق ، شاعر^٤ نائر ، وله من المعرفة بلسان العرب حظ وافر ، وكلامه في المماثلة والسجع ، جارٍ على الطبع . ذاهبٌ بين الجزالة والحلاوة ؛ من رجل شديد الحياء ، كثير الانقباض والانزواء . يرى الكتابة عليه من أشق الأشياء . لا لبو طبعٍ وقلّة أدب . بل لضعفٍ عصب ، فكان لا يكتب الرقعة إلا في مدّة . وكثير من الكتاب يشق عليه الكتاب ، لزمانة تكون في يده ، أو إفراطٍ ضعفٍ في خطه . وفيما أثبت هنا من نوعي كلامه ، في نثره ونظامه ، شاهدٌ على ما وصفته به ، ومنبه على فهمه وأدبه .

١ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٣٩٧ ورايات المبرزين : ٣٥ (غ) وذكر محقق المغرب أن له ترجمة في المسالك ٨ ، الورقة ٣٣٤ .

٢ م س : نثره ونظمه .

٣ م س : عربي .

٤ ط د : ومنا .

جملة من نثره

له من رقعة في استدعاء خلطة : المحاسن^١ - أعزك الله - على رُتب وأحوال ، وصُور وأشكال . فأحقها بالإعظام والإجلال ، ما كان منها في الخصال والحلال ، وما يتلى من آيات براعتك وفلك . ومعلّوات حسبك ونسبك . بعثت على التطارح عليك ، والحنين إليك ، وكم حننت إلى المخاطبة فملكني عنها ارتيادي لها سبباً^٢ يوطئ^٣ لها كنف^٤ [١٠٨ أ] القبول والارتضاء . إذ الهجوم عليها عندهم ضرب من الجفاء^٥ ، والحنين في خلال ذلك يتزايد ويتصاعد^٦ ، إلى أن بلغ بي غاية ملكتي عن التمالك ، وأمسكتني عن التماسك .

وفي فصل من أخرى : لو كان البدار^٧ إلى المخاطبة بحكم الاعتقاد ، وعلى حسب المحبة والوداد . لكنت أول من أعمل كلمته في مكاتبتك ، وأرسل قلمه لمخاطبتك^٨ . لكن المخاطبات بين الناس قلما تقع إلا بعلل وأسباب ، كالدخول قلما يكون إلا على باب^٩ .

١ م : سنى ؛ س : سنا .

٢ انظر ص : ٥٢٧ س ٦ - ٧ حيث كرر ابن بسام نفسه هذه العبارة .

٣ س : يتصاعد ويتزايد .

٤ م : البدر .

٥ م : بمخاطبتك .

٦ انظر أيضاً ص : ٥٢٧ س : ٦ .

ومن أخرى له^١ إلى الوزير الفقيه أبي الحسين ابن سراج : مثلك - أعزك الله - لا يُعْرَبُ عليه بمقال^٢ . ولا يُقَعَّقَعُ له باحتفال^٣ ، فإن العلوم الشريفة بأصلها ، والآداب الرفيعة بجملتها ، مشهورة بروايتك ، محصورة بدرايتك ، مخطوطة بحفظك لها^٤ . مَحْوَطة بإحاطتك بها . والبلاغة التي هي أفضل ثمراتها ، وأطيب طبياتها ، لا تعزى حقائقها إلا إليك ، ولا تُلَفَى^٥ معجزاتها إلاّ لديك ، ولا يُقْتَدَى في سُنَنِها إلاّ بك ، ولا يُعْتَرَفُ فيها بالعجز والتقصير إلاّ لك ، ولذلك^٦ أوجزت في كتابي هذا ، وتركتُ طريق^٧ السجع حياءً من التعرض لصناعةٍ قد انفردت أنت بفضلها ، وسبقت أهل الزمان في ميدانها ، وأخذت عليهم مسالكها ، وأحرزت شرف الدلالة^٨ في مجاهلها .

وله من أخرى : كلُّ فَعَالٍ يَقْصُرُ عَنْ فَعَالِكَ ، وكلُّ إجمالٍ يَنْزُرُ عِنْدَ^٩ إجمالِكَ ، وإنك فاضلٌ أَهْلُ زَمَانِكَ . ومقلةٌ عَيْنِ أَوَانِكَ ، فلو خاطبتُكَ بلسانِ الوائليِّ والإياديِّ^{١٠} مخاطبةً جريتُ معها طَلَقَ الجُمُوحِ ،

١ له : زيادة من م س .

٢ ط د : يعزب عليه مقال .

٣ م س : باحتمال

٤ لها : سقطت من م س .

٥ ط د س : تلقى .

٦ ولا يقتدي . . . ولذلك : سقطت من س م .

٧ م س : طريقة .

٨ س م : الأدلة ؛ د : الدالة .

٩ ط : عن ؛ د : عنه .

١٠ الوائلي : سحبان وائل ، والإيادي : قس بن ساعدة .

وهببتُ لها هُبُوبَ اليمانيةِ النفوحِ^١ ، وشحنتها بفصولِ الإِعظامِ والإِجلالِ ،
وبلغتُ بها غايةَ^٢ الاحتفالِ ، سعايةً في الوصولِ إلى قضاءِ حقِّكَ ، وعنايةً
بأداءِ الواجبِ المتعيّنِ لك ، لكنّني في ذلك كمن جال في مناكِبِ الأرضِ
يرومُ الإِحاطةَ بساحتها ، والوقوفَ على حقيقةِ مساحتها .

وإذا كان التّطويلُ ، لا يُبلِّغُ معه المأمولُ ، فالإِضرابُ^٣ أَجملُ ،
والخطابُ دونهُ أَسهلُ ؛ بهذهِ العينِ نظرتُ ، بعد ما صدرتُ ، ولذلك ما
قَصَرْتُ واختصرتُ ، فحبستُ العنانَ في أولِ الطَّلَقِ ، وصرفتُ العنايةَ
لها إلى الأحقِّ بها والأخْلَقِ ، وصرفتها إلى أن جمعتُ بين الاختصارِ والاعتذارِ ،
وتشفّعتُ بالاقترارِ إلى الاعتذارِ^٤ ، وإنَّ ذلك لما يجعلُ المَعذرةَ في حيزِ
الاعتذارِ . لا سيّما عند مَنْ أصلُهُ أَصلُكَ ، وفضْلُهُ فضلكَ ، ممّن إذا
تُشفّعَ إليه . ورُغِبَ فيما لديه . جاءتِ الشفاعةُ بينِ قرينتينِ : من شرفٍ
قديمٍ^٥ ، وسلفٍ كريمٍ ، ومعونتينِ : من سريرةٍ جميلةٍ ، ونخيزةٍ نبيلةٍ .

وفي فصلٍ له من أخرى : ومن الحقائقِ التي بَرِحَ فيها^٦ الخفاءُ ، واستوى
في علمها العلماءُ والجهلاءُ ، وأقرَّ لها الأعداءُ والأولياءُ^٧ ، أني متى أهَبْتُ
بك إلى الإِخاءِ . وهزئتُكَ بِوصفٍ ما أنا عليه في الخُلوصِ والصفاءِ ، فإنّما

١ النفوح : سقطت من س م .

٢ م س : أبعد غاية .

٣ ط : فالاضطراب .

٤ س : الاعتذار

٥ قديم : زيادة من س م .

٦ س : معها .

٧ س م : وأقر بها الأعداء كما أقر بها الأولياء .

أهبتُ بمن له في الكرم ، شهرةُ العَلَمِ ، وفي السؤدد ، منزلةُ الفَرْقَدِ ،
ويأبى - لا محالة ١ - ذلك الكرمُ الراسخُ ، والشرفُ المنيفُ الباذخُ ، إلاَّ
أن يبلّغاني من ودك أَمَلِي ، ويعطيني من جميلِ اعتقادك حتى أقولَ :
بِجَلِّي ، وينقلاني من الوقوف على فضلك بالأخبار ، إلى الوقوف عليه
بالاختبار ، فيصيرَ علمي بكَ علمين ، وبِقيني بكَ يقينين ، لا زال الزمانُ
يُبْدي من أسرارِ فضائلك ، ويُهدي من أزهارِ شمائلك ، ما يَصُورُ ٢
القلوبَ ٣ إليك ، ويطالبُ الألسنةَ بالدعاءِ لك والثناءِ عليك .

وله من رقعة عتاب : إِنَّا لله ، لقد غرقتُ من غِشِّكَ في بحرٍ عميق ٤ ،
وامتَحِنْتُ منكَ بعدوً في ثيابِ صديق ٥ :

ومن نكَدِ الدنيا على الحرِّ أن يرى عدوًّا له ما من صداقته بُدُ ٦

وقد كنتَ خاطبتك - لا مَسَّكَ خَطْبٌ ، ولا قُلَّ لكَ غَرْبٌ ، جارياً
- علم الله - إلى التحقيق ، آخذاً بما يلتزمهُ الصديقُ للصديق ، [١٠٨ ب]
غيرَ ملتفتٍ إلى تلك البوادرِ التي كانت الدعابةُ تجريها ، وإدلالُ الودادِ السببَ
فيها ، وما كان في كتابي شيءٌ يَتَّهمُهُ مَنْ أخلَصَ نيةً ، وأوى إلى حُسْنِ

١ ط د : ويأبى ذلك لا محالة .

٢ ط س : يصون .

٣ م : القلب .

٤ ط م س : غميق .

٥ من قول أبي نواس :

إذا امتحن الدنيا لبيب تكشفت له عن عدو في ثياب صديق

٦ لمنتبهي ، انظر دهبانة : ١٨٤ .

طوية ، اللهم إلا إن كان ما ضمنتُهُ من التبجيل ، قد حرّفتهُ عن الوجه الحميل ، وتأولتهُ أقبح التأويل .

قال ابن بسّام : ومما لوّح فيه بالعتاب ، وزخرف بالتصنع ظاهر الخطاب ، رقعةٌ خاطب بها مَنْ أحوجته الأيامُ إلى مصانعته ، وقد بدّت منه بوادٍ صوّب فيها وصعد ، وقام وقعد ، قال ٢ فيها :

معلومٌ — أعزك الله — أن لكلِّ مقامٍ مقالاً ، ولكلِّ ٣ حالٍ تناولاً وحوالاً ، وكما لا يصلحُ الإكثار في كلِّ خطاب ، فكذلك الاختصارُ لا يسوغُ في كلِّ كتاب ، وفي النفسِ كوامنٌ لا يمكنُ تبينها عليك ، وتقريرها لديك ، إلا بالتطويل ، وإن أصرّ إلى التثقيب ، وأنت بعُلاكَ تصرفُ إليها بالك . لما وهبَ لنا أيها العمادُ من عرفانِكَ ما وهبَ ، وسبّبَ من التعلّقِ بك ما سبّبَ ، رأيتني قد رقيتُ إلى جوار الأفلاك ، وجعلتُ الأخمصَ على ذروة السّمك ، لما رجوتُ من الاعتزاز بجانبك العزيز .

وفي فصل منها : ولاني بحمدِ الله لمئن إذا علّمَ أكرمٍ ، وإذا جُربَ قُرب ، وإذا خبرٍ ادّخِرَ ، أما الإكرام فلما أحمله من الأدب ، الذي به يرتقى إلى عليّات الرُتب ، وأما الادّخار فلا اعتدالي في أحوالي ، وثقة جعلها الله من خلالي ، وعندني من الآلات التي تبعثُ على اتخاذي واستعمالي :

١ ط م س : بوداد (واقراً : بوداد) .

٢ موضع قال : بياض في ط .

٣ م س : وان لكل .

٤ م : وحذالا ، س : وخلالا .

٥ ط د : أخبر .

أني أقولُ من الشعر أبدعهُ ، ومن النثر أرفعه ^١ ، وأنقدُ النقدَ الذي قلُّ من يجاريني فيه ، ويباريني ^٢ في التكلّم على معانيه ، وإن كان خطي لا يلحقُ بالخطوطِ القوية الكتابية فإن ضعفهُ لثيمتهُ على جيدٍ لفظي ، ونجاسةُ على ذكاءٍ فهمي واتساعٍ حفظي ؛ فمن المعلوم المعروف ، أن العلماء مخصوصون بضوالة الخطوطِ ولطافة الحروف ، فكلُّ ^٣ يشهدُ أنني أنهضُ إلى المطولات ، وأفتدُرُ على المخاطبات السلطانيات ، وما أنا ممّن يفتخر بخدمة الزمام ، ويجعلها ذريعةً ^٤ إلى الإكرام :

معاذٍ لاهي إنني وعشيرتي بنفسي^٥ عن ذاك المقامِ لراغبٍ

ولكنني أفتخرُ - عند الاضطرار إلى الافتخار - أني حاملُ رواياتٍ ، وحافظُ لغاتٍ ، وذو شمائلٍ تُنسبُ إلى مكرماتٍ ، وما تطارحتُ قطُّ على زاهدٍ فيّ ، ولا أظهرتُ حرصاً على غيرِ حريصٍ عليّ ، بل كنتُ أقابلُ الإباءَ بنظيره ، وأظهر الاستغناء بظهيره ، وأنشد :

ولستُ بساقطٍ في قِدرِ قومٍ وإن كرموا ، كما يقعُ الذبابُ ورائي مذهبٌ عن كلِّ ناءٍ بجانبه إذا عزَّ الذهابُ

ولست أضربَ المثلَ في سقوطي عليك ، وانجذابي إليك ، ولكنني أقول :

١ د : أسمعهُ ؛ ط : أبد (ثم بياض) .

٢ ط : ويماريني ؛ د : ويماريني .

٣ م س : وكل .

٤ ذريعة : سقطت من ط : وفي م : خريجة .

٥ م : ونفسي .

لإني أسقط^١ سقوطَ الطلّ على الرياض ، وأتزيّن^٢ بخدمتك تزيّنَ الجمالِ
بالبياض .

وله فصل في صفة القلم : بخطّ البراعة ، يُنالُ حظُّ البراعة ، وأفضلُ
أقلامِ الكتاب ، المنتخبة للكتاب ، ما لم يكن في طوله تعوّج ، ولا في صلابته
ترجّج^٣ ، وكانت خصوصيةُ العنصرِ الذي نماه ، وسجيّةُ المنبتِ الذي إليه
متماه ، قد أخذت به ما بين الدقّةِ المتناهية التي لا تُستَحَسَن^٤ ، والغِلَظِ
المفرطِ الذي يُستَحَسَن^٥ ، وأقرّنه^٦ على المقدارِ الذي لا يقعُ اختيارُ الكاتبِ
على سواه ، ولا يتعدّاهُ اقتراحهُ ولا يتخطّاهُ ، ثم انتحى برّيه^٧ ذو يمينٍ
رفيقة ، وسكّين رقيقة ، فأجاد الشق وأحكم القطّ ، وجاء به غير شاقّ
ولاعاق^٨ ، سَلَسَ الجريان إذا أُرْسِلَ ، موافقاً للبنانِ إذا أُعْمِلَ ، مُعْطِياً
لقيامه . غيرَ بخيلٍ بمداده . تتبّناهُ الأناملُ فترامهُ^٩ ، [١٠٩ أ] وتواصلُ
العمل به فلا تسأمهُ .

قال ابن بسّام : ومن البديع في وصف القلم ما حكاه العتّابي عن نفسه
قال : سألني الأصمعي فقال : أيُّ الأنايب أصلح للكتابة وعليها أصبر ؟
قلت : ما نَشِفَ بالهجير^{١٠} ماؤه^{١١} ، وسرّ^{١٢} عن تلويحه غشاؤه ، من التبريّةِ

١ إني أسقط : زيادة من م س .

٢ م س : وأقربه .

٣ ط : شان ولا عان .

٤ ط د : معط .

٥ زهر الآداب : ٦١٩ .

٦ م س : في الهجير .

٧ زهر : وصيره .

القشور ، الدرية الظهور ، الفضية الكسور ؛ قال : فأني نوع من البري
أكتب وأصوب ؟ قلت : البرية المستوية القط ، عن يمين سنّها بيرة تأمن
معها المجّة عند المطّ، الهواء في مشقّها فتيق ، والريح في جوفها خريق ،
والمداد في خرطومها رقيق . قال : فبقي الأصمعي شاخصاً إلي ضاحكاً لا يحير
مسألة ولا جواباً^١ :

وهذه أيضاً^٢ قطعة من شعره

قال يتغزل^٣ :

أملي من الدنيا تيسّرُ خَلْوَةٌ أبكي بها وأبثُ سرّاً هواكِ
حولي وحولك أعين ومسامعٌ أخفي الهوى عنهنّ عند لقاءك^٤
حذراً عليكِ فديت بي وخافةٌ أن يقصروك^٥ ويحبجوا مرآك^٦
لولا الخياءُ وأنّ تشيع سريري لثرت^٧ شمل الدمع حين أراكِ

ومن شعره الطيار الملبح ، المتناهي في خفة الروح . قوله^٨ :

١ لا يحير . . . جواباً : سقط من م س .

٢ أيضاً : سقطت من م س .

٣ انظر المغرب ١ : ٣٩٧ .

٤ المغرب : إذ ألقاك .

٥ س : يبصروك .

٦ ط د : مأواك .

٧ المغرب : بددت .

٨ البيتان في المغرب ، وقد وردا في الذخيرة ٣ : ٩٠ ونسبهما صاحب الذخيرة له هنالك أيضاً ،
وصرح ابن سعيد بأنهما قد ينسبان أيضاً لأبي محمد ابن سادة .

أَسْنَى لِبَالِي الدَّهْرَ عِنْدِي لَيْلَةٌ لَمْ أَخْلُ فِيهَا الْكَأْسَ مِنْ إِعْمَالٍ
فَرَّقْتُ فِيهَا بَيْنَ جُفْنِي وَالْكَرَى وَجَمَعْتُ بَيْنَ الْقُرْطِ وَالْخَلْخَالِ

وقوله :

لِلْحَسَنِ لِي خَلَقَ مِنْ أَهْوَى خِلَاتِقِهِ رَوْضَ بَيْتٍ بِسَيْفِ اللَّحْظِ مَحْمِيٍّ
فَالْجِدُّ سَوْسَنَةٌ وَالْعَيْنُ نَرْجَسَةٌ وَالْخَلْدُ وَرْدٌ وَذَاكَ الْخَالُ خَيْرِيٍّ

وقال :

لِلَّهِ مَا صَنَعَ الْحَيَاءُ بِصَفْحَةٍ لَمْ تُبْقِ عِنْدِي لِلتَّجَلُّدِ مَذْهَبًا
كَانَ الْبَيَاضُ بِهَا بَلْحِينًا خَالِصًا فَأَحَالَهُ فَعْدًا^١ بَلْحِينًا مُذْهَبًا

وقال :

أَبْدَى الْحَبِيبُ تَعْجِبًا مِنْ طَوْلِ مَكٍّ ثَ الْوَرْدِ عِنْدِي عِنْدَمَا أَهْدَاهُ^٢
لَمْ يَدْرِ أَنَّ دَوَامَهُ فِي مَتَرِي مِنْ أَجْلِ أَنْ^٣ مَدَامَعِي سَقِيَاهُ

وقال :

وَصَافِيَةٍ كَمَعْتَقَدِ الصَّدِيقِ لَهَا فِي الْكَأْسِ إِمَاضُ الْبُرُوقِ
كَأَنَّ بَكَاسَهَا مَا تَشْتَكِيهِ^١ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ مِنَ الْحَرِيقِ
إِذَا قَبَضَتْ يَدُ السَّاقِي عَلَيْهَا رَأَيْتَ لَهُ أَنْامِلَ^٢ مِنْ عَقِيقِ^٣
شَرِبْتُ وَصَاحِبِي عَذَبُ الثَّنَائِيَا يَحُلِّلُنِي مَاءَهُ عَلَى الرَّحِيقِ

١ د : فقدي .

٢ م س : تشهيه .

٣ ط : عقوق .

وقال :

وصهباء لم تُمسَسْ بنارٍ ولم تُذَلْ بِعَصْرِ ولم^١ توهن^٢ قواها^٣ بماءٍ
لحاني عليها مَنْ لَحَا فزجرتهُ وقلت له : مه^٤ لست من قُرْنائي
سأشربها ما سَوَّغَ الدهرُ شُرْبَهَا وعفُو إلهِ العالمين ورائي

ومما أبهم فيه ، وإنما يكني عن قَدَحٍ فخَّارٍ مزفت^٥ قد اتخذ للمشروب :

وخلٌ إذا قلَّ المحييون لم يزلْ إلى كلٍّ ما أَدْعُو إليه مجيبي
غدوتُ أحمَا التوفيقِ لما اتخذتهُ أديبَ السَّجَايا وفقَ كلٍّ أديب
تخيرتهُ من نَجْرِ آدمَ خالصاً فكان أخي في نَجْرِهِ ونسيبي [١٠٩ب]

وله يمازحُ بعضُ إخوانه :

خذْ ما أتاكَ من الزمانِ ولا تُطِلْ في إثرٍ ما قد فاتك البرَّحاءُ
ماذا ترى في فلذةٍ شرَّاشةٍ ورُقاقةٍ ورقيقةٍ^٥ صفراءُ
إن كان عندك ما ذكرنا كلُّهُ وبعثتُ فينا لم تَخَفْ إبطاءُ

وقال :

ألا يا خيرَ مَنْ يُبْغَى نداءه وَيُسْعَى نحو منزله ويُمشى
تحنُّ إلى بناتِ البحرِ نفسي وأكرهُ أن تموتَ لديَّ عطشى

١ ط د : ولا .

٢ اقرأ الألف الأخيرة من « قواها » بالقصر .

٣ مزفت : زيادة من م س .

٤ س م : بلدة .

٥ م : ورقيقة ؛ س : ورقيقة .

وله يفتخر من كلمة طويلة^١ :

خليليّ ليس المجدُّ إلّا للعالمِ
أحوالعلم حيث احتلّ أضجى مكرّماً
وذوالجهل معدود^٢، وإن كان سيّداً
ولاني لمن فاز بالعلم قدحهُ
ولي قلّمٌ قد شَرَّفَ الله شأنهُ
خليليّ ليس الخطُّ ما قد عَنَيْتُهُ
ولكنه لفظٌ إذا ما وشَيْتُهُ
بلى إن خطي فيه ضَعُفٌ وإنّما
إذا شئتُ نَرَأَ كنتُ أنثرَ نائِرِ

على كلِّ مجهولٍ من العلم قائمِ
ولا سيّما إن حلَّ بين الأكارمِ
طريقَ الكساءِ في مُهَمَّلَاتِ البهائمِ
وممن له فيه اشتهاً العالمِ
بصنعةٍ وشأءٍ على الماءِ راقمِ
وإن كنتُ مشغولاً به جدّ هائمِ
تخيّرَ فيه كلُّ واشٍ وواشمِ
أقامتُهُ ألفاظي مقامَ التّمامِ
وإن شئتُ نظماً كنتُ أنظّمَ ناظمِ

ومنها :

تكلّفني الحَوْبَاءُ لا درّ درّها^٣
تقولُ أحبُّ ذا قرْبى وصيلٌ ذا وسيلة
أما إنّي لو نلتُ أيسرَ نَزْرَةٍ^٤
فأهٍ^٥ لعصرٍ مثلِ أهليه جاهلِ

سماحَ البهاليلِ الكرامِ الخضارمِ
وقم بالحقوقِ الواجباتِ اللوازمِ
لكانت لكفّي بسطةً في المكارمِ
ودهرٍ لأبناءِ المروءةِ^٦ ظالمِ

١ منها أبيات ثلاثة في الغيث المسجّم ١ : ١٣٧ .

٢ هامش ط : معدوم .

٣ به : م تردد في ط ؛ د : عل .

٤ م س : لله درّها .

٥ الغيث : يسرة .

٦ الغيث : قائماً .

٧ م : المودة .

وله من أخرى يصف شروط المروعة ومكارم الأخلاق^١ :

أحب من الأقوام كل نجيب^٢ ولاني للنو علم صحيح يقينه^٣
ومن خلقتني أني إذا ما وجدته^٤ وإن نصيب الجار عند احتياجه
وإن بعد القوم ينزل صاحبي أهين له مالي وأحفظ ماله
وألقى الخطوب السود في الذب^٥ دونه وجدك لو كان الزمان مساعدني
لأنفستي جم الفضائل منعماً تجود يدي قبل السؤال وتمتري
لحا الله وهاباً بطيئاً حباؤه ولكن وهاباً يهب إلى الندى
يحاذر^٦ أحداث الليالي وقلثا ويرتاب^٦ بالأيام عند سكونها
وما الدهر في حال السكون بساكن لقد عاين الأيام من^٦ خاف غدرها

شريف زكي^٢ الوالدين حبيب بأن صديق الصدق غير غريب
شدت عليه منه كف رغب إلى العون في مالي لمثل^٣ نصيبي
ويأوي إلى ركني لمثل قريب وآتبه من برّي بكل عجب
لقاء أخي صدر لمن رحب وكان الذي في راحتي يفي بي
كثير إلى الفعل الجميل هبوبي [١١٠ أ]
طلوب الندى جدواي غير طلوب يجيء الذي يعطيه بعد لغوب
كما هب غضب في يمين ضروب خلا من توقيهن قلب لبيب
وما ارتاب بالأيام غير أريب ولكنه مستجمع لو ثوب
بعينتي بصير بالأمور طيب

١ منها ثلاثة أبيات في الفيت المسجم ٢ : ١٩٨ .

٢ ط د : محب .

٣ ط د : بمثل .

٤ م : مالي .

٥ الفيت : تحاذر : م : يحادث .

٦ الفيت : وترتاب .

وقال في مثل ذلك :

حبيبٌ إليَّ الدهرَ إعطاءُ سائلي	ولاكرامُ قُصَّادي وعونُ خليلي
أهزُّ طباعي بل طباعي تهزُّني	إلى الجودِ لا أرضى طباعَ بخيل
وراحَ كما افترَّ الصباحُ سباتها	لطارقِ ليلٍ ما عليَّ جليل
نضوتُ بها عنه جلايبَ ليلِهِ	فَعَوَّضَ من تعريسه بمقبل
وما زلتُ أسقيه وأشربُ فضلَهُ	وكأسُ الكريمِ الفضلِ ذاتُ فضول
إلى أن تنهى طيبَهُ ونعيمَهُ	ومالتُ به الصهباءُ كلَّ مميل
فوطأتُ مثنوى جنِّهِ وكَنَنَتُهُ	بضافٍ لِصِنْبَرِ الشتاءِ قتول
وقلتُ له لما تعاطمَ عندهُ	صنيعي به ، هذا أقلُّ قليل
حللتُ بنا ليلًا وقد قُسمَ القيرى	فلم يبقَ منه مَقْنَعٌ لأكيل
أقيمُ عندنا تستوفِ ما أنتَ أهْلُهُ	فأنتَ لدينا أهلُ كلِّ جميل
ولإني لمننٌ تعزِّيه كآبَهُ	إذا آذنتُ أضيافُهُ برحيل

وهذا من حرِّ الكلام ، وجَزَلِ النظام ، وسجِّية حاتمية ، وشنْشِنَةٍ
أعرابية ، وإنَّما احتذى أبو الحسن في هذا قول أبي عامر بن شهيد القرطبي
في أبيات ، وقد تقدَّم إنشادها ، أوَّلُها :

ولما رأيتُ الليلَ عَسْكَرَ قَرَّهُ وهبَّتْ له ريحانٍ تلتطمانِ

١ الذخيرة . القسم الأول : ٣١١ وديوان ابن شهيد : ١٦٣ وجواب « لما » قوله :
وفعت الساري الليل نارين فارتأى شعاعين تحت النجم يلتقيان
وسائر القصيدة في الخفاوة بالضعيف على نسق شبيه بما أقي به الشتمري .

فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد ابن عمه ، أبي حزم ، وإيراد بعض ما لهما من ملح النظم

وأبو الحكم^١ منهما في وقتنا شقيق الوفاء ، وخاتمة^٢ مَنْ حَمَلَ هذا الاسم من النجباء ، وكان نادرة الوقت لمن اتخذ الإحسان قبلةً ، وَحُجَّةً على من جعل النقصان جبلةً ، إذ عن كلّ قوسٍ من الفخر نزع^٣ ، وفي كلّ أفتٍ من علوّ القدر طلع ، أول ما نشأ بدرَ فلک ، ومسحة ملك ، وإكليلاً على جبين ملك ، قلّما عنّ لنظر إلا راقه ، ولا اختلج ذكره في قلب بشرٍ إلا شاقه ؛ وإياه يعني الوزير أبو الحسن بن سعيد البطليوسي [١١٠ ب] وقد غلب على لبّه ، وأخذ بمجامع قلبه ، عجباً منه أو عجباً به^٤ :

رأى صاحبي عمراً فكلفَ وَصَفَهُ^٥ وحمّلني من ذاك ما ليس في الطوقِ
فقلت له عمرو كعمرو فقال لي صدقت ولكن ذاك شبّ عن الطوقِ

وفيه أيضاً يقول الوزير أبو محمد بن عبدون من جملة أبيات^٦ :

١ ترجمة أبي الحكم عمرو بن مذحج بن حزم الاشبيلي في المغرب ١ : ٢٣٨ والمساك ١١ : ٤٣٢

وله شعر في النفع ٣ : ٤٧١ .

٢ نزع : سقطت من ط د .

٣ انظر نفع الطيب ١ : ٦٣٦ ، ٣ : ٤٧٠ والمغرب والمساك ؛ وفي س م أنه أبو الحسن

ابن السيد ، وهو خطأ ، لأن ابن السيد كنيته أبو محمد ، وأما ابن سعيد هذا فترجمته تجم

في هذا القسم من الذخيرة .

٤ نفع الطيب ٣ : ٤٧٠ .

يا عمرو رُدَّ على الصدورِ قلوبَها من غير تقطيعٍ ولا تحريقٍ
وَزُرِ الثريا وهي نحن بكوكبٍ لولا العقوقُ لقلتُ بالعقوقِ
وأدِرُ علينا من خلالِكَ أكوساً لم نألُ تسكرنا بغيرِ رحيقِ
رفيه أيضاً يقول أحدهما ^١ :

قل لعمرو بن مذحج خاب ما كنتُ أرتجي
شاربٌ من زبرجد ولميٍّ من بنفسج

فلما همَّ ليلُهُ بنهاره ، ودبَّ على سيفِ وجنته فرندُ عذاره ، راع المجدَّ
بحزمٍ وكرمٍ ^٢ ، ونبوةً ^٣ سيفٍ وقلمٍ ، ممَّنْ سارى نجومَ الليل : واحتلَّ ^٤ صهوات
الخليل ، وعلى ذلك كلُّه فلم ينسَ مكارمَ الأخلاق ، ولا خلا ذِكرُهُ ^٥ من
قلوب العشاق ؛ وله في الأدب سَبَقٌ سَلَفٍ ، ومنه بيتُ شرف ، وله شعرٌ
مطروح قلَّما يغبته البديع ، وقد أُتيتُ منه بفصول ، تشهد له بالفضل ^٥ .

١ نفع الطيب ٣ : ٧٠ ؛ والمساك ونسبهما العمري لابن عبدون .

٢ س ط د والمساك : بحر كرم ، وأثبت ما في المغرب .

٣ ط س : وأسوة ؛ والمساك : وأسرة .

٤ ط د : وأصل ، وبهاش ط : لعله : وأسهل ؛ المغرب : وتقلب في ؛ س
والمساك : وأمل .

٥ وفيه أيضاً يقول الوزير . . . بالفضل : سقط من م وحدها .

جملة من شعره في أوصاف شتى

كتب إليه الوزير أبو محمد عبدون أبيات قال فيها ^١ :

سلامٌ كما هبت من الحزنِ نفحةٌ تنفسَ قبل ^٢ الفجر في وجهها الزهرُ
من الوارف ^٣ الفينان وشت برودهُ ذراعٌ من الليث ، الثريا له شبرُ
وإلاَّ يدٌ حزيمة مذحجةٌ تقشع عنها مذحجٌ فانهمى عمرو
فجاد على تلك الأجارعِ والرَبى رواعدهُ وعدٌ وبارقهُ بشر
أبا حكمٍ أبلغ سلامٍ فمي بدّي أبي حسنٍ وارفٌ فكلتاها بحر
ولا تنسَ يمينك التي ^٤ هي والندى رضيعا لبان لا اللجين ولا التبر

فراجعهُ أبو الحكم بأبيات منها ^٥ :

أقَى النظم كالنظم الذي تردهي به عروسٌ من الجوزاء لأكليها لبدُرُ
تحت ^٦ لنا منه بخطك رقعةٌ هي الروضة الغناء كللها الزهر

١ النفع ٣ : ٤٧٠ - ٤٧١ .

٢ النفع : عند .

٣ ط : الوارف .

٤ م : الميث ؛ ط : ستر .

٥ ط د : وارفقي .

٦ م : ولا تنس لي تلك التي .

٧ انظر النفع ٣ : ٤٧١ والمساك ١١ : ٤٣٢ - ٤٣٣ والمغرب ١ : ٢٣٨ .

٨ ط م : تجلت .

تَحَيَّرَ ذَهْنِي فِي مَجَارِي صِفَاتِهِ فَلَمْ أَذَرِ شَعْرًا مَا بِهِ فَهْتَ أَمْ سَحَرِ
فَان قَلْتُ شَعْرًا فَالْقُلُوبُ شِعَارُهُ وَإِنْ قَلْتُ سَحْرًا فَهُوَ سَحْرًا وَلَا كُفَرِ
أَرَى الدَّهْرَ أَعْطَاكَ التَّقْدِيمَ فِي الْعَلَا وَإِنْ كَانَ قَدْ أَوْفَى أَخِيرًا بِكَ الدَّهْرِ
لَنْ حَازَتْ الدُّنْيَا بِكَ الْفَضْلَ آخِرًا فَفِي أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ يَنْبَلِجُ الْفَجْرِ
قول أبي محمد: «... أبلغ سلام فمي يدي» ... ، معنى قد كرره في
مواضع من شعره كقوله في المتوكل :

إِنْ كُنْتُ مِنْ أَصْلِي وَمِنْ عَصَبِي أَوْ كُنْتُ مِنْ فَرْعٍ نَائٍ وَمَسْجُدُ
بَلِّغْ سَلَامَ فَمِي بِيَدِي مَلِكٍ غَابَ الْمَلُوكُ عَنِ الْعَلَا وَشَهِدَا

وحسان بن المصيصي القائل من شعر قد تقدم إنشاده^٢ : [١١١]

مَنْ مَبْلَغُ يَدِهِ أَنِّي نَظَّمْتُ لَهَا شُكْرًا جَعَلْتُ قَوَافِيهِ مِنَ الْقَبْلِ
وقال أبو الحكم في صديق كان له به هوى يسمّى باسمه :

يَا مَنْ شُكَا فَشُكَا جِسْمِي بِشُكْوَاهِ اللَّهُ يَكْلَأُنِي فِيهِ وَيُرْعَاهُ
رَبَِّا ضَنِي جِسْدِي بِاللَّهِ صِلْ جِسْدِي وَخَلِّ عَنْهُ وَلَا تُلْمِمْ بِمَشْوَاهِ
عَمُرُو بِعَمُرِي وَلَكِنْ فِي مُحْتَمَلِ لَمْ تَجَشَّمْهُ مِنْ بَرَحٍ بِلَوَاهِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ حَتَّى السَّقَمُ نَافْسِي فِيهِ فَأَضْحَى كَمَا أَهْوَاهِ يَهْوَاهِ
عَيْنُ الْكَمَالِ أَصَابَتْنِي وَلِي كَبَدِ مَصْدُوعَةٌ فِيهِ إِنْ لَمْ يَدْفَعْ اللَّهُ

١ ورد البيت في هذا القسم : ٤٤٢ .

٢ انظر ما تقدم من : ٤٣٩ .

وله فيه وقد سقط عن دابته وَوُثِّتَ رجله ^١ :

لقد أسرعَ فيكَ العيونُ وإنما جميلُ دفاعِ الله عنكَ التَّائِمُ
وما أنت إلا البدرُ طارتُ بسرجه عقابُ لها الريحُ ^٢ الخريقُ قوادم
ولا غرواً أن طافتُ برجلِكَ وثأةٌ لها المجدُ خفَّاقَ الجناحينِ حائمٌ ^٣
فقد ترجفُ الأفلاكُ في دورانها وتنقضُ أعلامُ النجومِ العوام

وكتب إلى الوزير أبي محمد بن عبدون ^٤ :

زُرْنِي فديتُكَ يا زعيمَ الناسِ ل ترى بدوراً من كبارِ أناسِ
أنت الهزبرُ وهم جاذرُ جاسمِ قد خيموا من منزلي بكناسِ
من كلِّ مَنْ أثوابُهُ مَزْرُورَةٌ منه بغصنِ البانةِ الميَّاسِ
يا راضعاً دَرَّ المكارمِ قف بنا ما في وقوفك ساعةً من باسِ ^٥

وله في عمرو المتقدم الذكر :

يا عمروُ إنك لعبة من ^٦ سكرٍ فإذا مررت بسكرٍ فتذكرِ
ما شان وجهكَ نمشةً في صفحة فبذاك يوصفُ كلُّ بدرٍ أزهري
يحمُرُ أحياناً فأحسبُ أنه ورد ينقطُ صفحُهُ بالعنبرِ

١ انظر المغرب ١ : ٢٣٨

٢ ط د : الجو .

٣ ط د : قائم .

٤ المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٥ صدر بيت لأبي تمام رديوانه ٢ : ٢٤٢ (وعجزه : نقضي دمام الأربع الأدراس .

٦ ط : في .

أضمرتُ فيك صبايتي فوشى بها دمع فككتُ به صحيفة مضمِر
من ذا يفرِّقُ بيننا وجلالنا متكافئ في المتَّحى والعنصر

وكتب إلى الوزير أبي العلاء بن زهر :

يا من نضا العزمُ منه صارماً خَدَمَا توشَّحَ المرهفين السيفَ والقلما
افرش^١ بمغدىٍّ ومَسْرَى حُرّاً أوجهنّا وبعدها فانتعلُ أبصارنا أَدَمَا
وما بأنفسنا بخل عليك فقد سارتُ أمامك تعدو البعدَ والأَمَمَا
أبا العلاء ابنِ للعليا تشيد ما أضاع منه بنو التضييع فانهلما^٢
لا زال شَمْلُكَ في ورْدٍ وفي صدرٍ على اقتراحِ المعالي فيك منتظما

وله فيه ^٣ :

ضَعِ الرحلَ في حمصٍ بأيمنِ طائر ووالِ اصطناعَ الخير فيها وظاهر
فما هو إلا السَرُّو بين موارد تصاحبه طولُ المدى ومصادر [١١١ب]
لعمركُ العلاء لولا أبوها، وذكره^٤ لما شاقني برقُ بيسْرِقةٍ صادر
ولا بتُّ والظلماءُ إثمْدُ مقلتي يؤرّقها بيضُ النجومِ الزواهر
وهبتُ فؤادي للبشيرِ بأوبِهِ سليماً ولم أبخلُ عليه بناظري
وأصغرُ بموهوبٍ وإنْ جلَّ قدره يقضي به الأحرارُ حقَّ الأكابر
ولاني وإعظامي لسؤدده الذي يعظمه أهلُ النهى والبصائر
لألحى الليالي إنهنَّ قعدنَ بي

١ د : اسرف .

٢ لم يرد البيت في ط د .

٣ منها ثلاثة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٤ م : أبوه .

فلو نهضتُ بي قدرة لهرزتُ في
وما ليَ مركوب سوى رجليَ التي
غمام عدائي عن غمامٍ كلاهما
وله فيه :

متى تجتلي منك ابنَ زُهريَ نواظري
فقد دويتُ شوقاً إليك جوانحي
وأعجبُ مني كيف أصبحتُ جارَ من
وله ٢ :

قدمتَ علينا والزمانُ جديدُ
وعيشٍ^٣ العلا لولا مراتبك العلى
فيا ناهضاً والجِدُّ والجَدُّ صحبهُ
لقيتَ أميرَ المسلمين وظلُّهُ
فقمٌ بالمعالي واستقلَّ بملكها
ولو حوَّاني زهر فأنَّ وجوهكم
وله فيه ٤ :

١ ط د : وحباء .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع ٣ : ٤٧١ .

٣ النفع : وحق .

٤ منها بيتان في المغرب ١ : ٢٣٩ .

يا جالياً وجه السعادة^١ واضحا
صير مجنك صفحتي قبر الدجى
الله يعلم أن بين جوانحي
دم للعلاء أبا العلاء مصاحباً
ومقلباً طرف النباهة طامحا
وسينان رايتك السماك^٢ الراحا
قلبا إليك مدى الليالي جانحا
واقعد زمانك ساعدا لا جامحا

وله فيه وقد جاز البحر معه ، فقال^٣ :

يا ابن زهر طأ الثريا عبيراً
وتلق الهواء وهو طليق
ما ترى الريح كيف هبت رخاء
وضحت البحر هبة لك لما
غمرت غمرته من راحتك بحار
فريق اللجج منك حتى استطارت
جزه يا ابن الكرام أرضاً ذلولاً
وانتصر الحزم حيث كنت حساماً
وتفيا علاك ظلاً ظليلاً
وحصى اليد لؤلؤاً وعقيقاً
كمحيالك حين تلقى الصديقاً
لك بعد الهبوب ريحاً خريقاً
جسه سالكا عليه طريقاً
صاح من موجه^٤ الغريق الغريقاً
منه أحشاؤه فريقاً فريقاً
أوقدته إن شئت طرفاً عتيقاً [أ١١٢]
واصبح النجج حيث كنت رفيقاً
وتنشق ذكراك مسكاً فتيقاً

وكتب إلى أبي الوليد ابن عمه ، فقال^٤ :

إني لأعجب أن يدنو بنا وطن ولا يقضي من اللقيا لنا وطراً

١ م : السيادة .

٢ فقال : زيادة من م س ؛ وانظر المسالك ١١ : ٤٣٣ .

٣ المسالك ؛ من بعدها ؛ م ؛ وجهها .

٤ فقال : زيادة من م س ؛ ومنها بيتان في المسالك وثلاثة في النفع .

لا غرو أن بَعُدَتْ دارُ مصابِقَةٍ
فمحجَرُ العينِ لا يلقاهُ ناظرها
صبراً جميلاً وإن أبدى الزمانُ لنا
وِينْنا فِقْرٌ يجرى المزاحُ بها
نُراَ ونظماً من الآدابِ بينهما
سحرُ البلاغةِ منظومٌ ومُنْثَر

بيته الثالث من هذه يتطرق قول الآخر :

كم والدٍ يَحْرِمُ أولادَهُ وخيرُهُ يَحْطِي به الأبعدُ
كالعينِ لا تُبْصِرُ ما حولها ولحظُها يدركُ ما يبعد

وكقول الآخر أيضاً :

كسجاورِ العَيْنينِ لا يتلاقيا أبداً وبينهما قصيرُ جدارٍ^٢

ومن جواب أبي الوليد له^٣ :

لَبَيْكَ لَيْكَ أَنْتَ السَّمْعُ والبَصَرُ وإنْ أَتَتْ دونَكَ الأحداثُ والغَيْرُ
إِيهِ أبا حَكَمٍ فالودُ مُقْتَرَبٌ وإنْ تَبَاعَدَتْ الأشخاصُ والصورُ
لا عَتَبَ فالودُ يَمْحو ما أَتَيْتَ به حَسبي من الذنبِ تَجْنِيهِ وأَعْتَذِرُ
يَنبُو لِسَانِي عن عَتَبِ الصديقِ وما أَرَى بِغَيْرِيهِ لا عِيَّ ولا حَصَرُ

١ النفح : الحضرة .

٢ م : قصيد حداد .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٣ - ٤٣٤ .

ضئانةٌ بخليل^١ أنْ أفارقةُ
أراعَ مربكَ يا ابنَ العم أنْ درستْ
إنْ يرفعَ الدهرُ يوماً من خبيستهمْ
فالدهرُ كالبحرِ تطفو فوقه جيفُ

ما القوسُ إنْ لم يكنْ يوماً لها وتر
سُبُلُ الوفاءِ فلا عينٌ ولا أثر
وحطَّ منا ونحنُ الأنجمُ الزهر
وتستقرُّ بأقصى قعره الدرر

وقدم أبو الحكم من بعض أسفاره ، فكتبت إليه أنا بأبيات منها ^٢ :

يهي قدموكَ كلاً يا أبا الحكم
مذ غبت ما رتقت عيني إلى سنةٍ
إن كنت من تغلب في بيت سوددها
فلم يصيرنا تنائي النسبتين وقد
والعذر في زمنٍ أنْ جئت في أممٍ
لا الجليلُ جيلك فاعذرهم ولا تلم

يا دوحةَ العلم والآداب والحكم
يا عمرو إلا لكي ألقاك في الحلم
وكنت من مذحج في السؤدد العجم
رحنا نسيين في علم وفي فهم

في أبيات غير هذه ، وعانيت فيها بعض إخوانه ، فراجعت بأبيات منها
قوله ^٣ : [١١٢ ب]

يا مَنْ تناول حرَّ اللفظ من أممٍ
لو أنْ لفظك تُهديه إلى حجرٍ
هذي جوارحُ جسمي كلها أذنُ
حاشا لنبلك أنْ تخفى معالمه

بذي غرارين مثل الصارم الخدم
لما استجيز عليه الوصف بالصمم
مذ جاء منك بأذني لؤلؤ الكلم
وهنَّ أشهر من نارٍ على علم

١ م س والساك : بخليل .

٢ الساك ١١ : ٤٣٤ .

٣ المصدر نفسه .

٤ الساك : جاز .

إن كان للنبل عرينٌ تُدِلُّ به
 ارددُ أنوفَ الليالي وهي راغمةٌ
 من تغلب أنت في علياءٍ مركزها
 قومٌ أراد ابنُ هندٍ أن يضيئهم
 مآثرٌ قُسمت بين الورى وغدا
 رأيتُ نفثةً مصدورٍ بعثت بها
 لم تقض مني بالشكوى إلى طللٍ
 سافر بطرفٍ أو انظر هل ترى يقظاً
 حوادثٌ لم تزل بالحرِّ لاعة
 وبيننا قربةٌ ليست أواصرها
 حسناً فأنت به أبهى من الشمم
 ما لم تكن لك في الإذعان كالخدم
 فمن يباريك في مجدي وفي كرم
 فأوطأوا الرأس منه أخصم القدم
 للتغليين منها أوفر القسيم
 مني إلى متلطي الصدر محتدم
 ولم تبت عاكفاً مني على صنم
 يحل من طلب الأيام في حرم
 كما تلاعبت الأيسار بالزلم
 ما بين آدابنا مجفوة الرحم

ومن أبناء هذه القبيلة ، وشعراء هذه البيتة الأصيلة ،

ابن عمه أبو الوليد محمد بن يحيى بن حزم^٢

أحدُ أعيان أهل^٣ الأدب ، وأجلى الناس شعراً لا سيما إذا عاتب^٤
 أو عتب ، جعل هذا الغرض هجيراً ، فقلتما يتجاوزنه إلى سواه ، وكلما
 أبدأ فيه وأعاد ، أحسن ما شاء وأجاد ، وفي كل معنى يُحسِنُ ،

١ م س : بالمرء .

٢ انظر ترجمته في المغرب ١ : ٢٣٩ والمساك ١١ : ٤٣٤ ونفع الطيب ٣ : ٤٧٢ .

٣ أهل : سقطت من م .

٤ م : عاتب .

أكثر مما يمكن ، ولكن رأيت في باب العتاب يعلن بأمره ، ويُعَرَّبُ عن ذاتِ صدره ، وقد أجريتُ من شعره في هذا المعنى وسواه ، ما يصرِّح عن مغزاه ، ويشهد على بعد مداه .

جملة من شعره في أوصاف شتى في النسب وما يناسبه

قال ٢ :

أُنْجَزُ من دمي وأنتَ أَسْكَنُهُ ومن نارِ أحشائي ومنك ٣ لهيبها
وترغم أنَّ النفسَ غيرَكَ عَلَقْتُ وأنتَ ولا من ٤ عليك حبيبها
إذا طلعت شمس عليَّ بسلوةٍ أثار الهوى بين الضلوعِ غروبها

وهذا البيت الأخير ينظر إلى قول مجنون بني عامر ٥ :

نهاري نهار الناسِ حتى إذا دنا ليَّ الليلَ هزَّني إليك المضاجعُ

وقال أبو الوليد ٥ : [١١٣ أ] .

وطارحك الواشون عني سلوةً مغالطةً هيهات ذاك بعيدُ

١ م : جواب .

٢ الأبيات في التفتح ومنها اثنان في المسالك وفي معاهد التنصيص ١ : ٣٧٢ .

٣ التفتح : وأنت .

٤ ديوان المجنون : ١٨٥ .

٥ فيها ثلاثة أبيات في المسالك .

وكيف سلوي عن هواك وإنه
إذا ما ثناه الناسُ عنكِ لوتْ به
لي إن عرتني^٢ فترةُ الصبرِ هزني
لَيَبْلُغَ فؤادي وهو فيك^١ جديد
علائقُ حبِّ فيك ليس تبيد
تذكرُ أيامي بكم فأعود

وقال وهي من حسنات شعره ، وآيات ذكره^٣ :

وكم ليلةٍ ألطفتُ بالني	فقمْتُ أبادرُ إلفافها
بشمس ^٤ إذا ما تأملتُها	رددتْ على الشمسِ أوصافها
بفترةٍ ^٥ لحظٍ كأنَّ الكرى	أعانَ عليها وإنْ خافها
وإني وإنْ عففتها مُعلنًا	لأعذلُ في السرِّ مَنْ عافها
وهبتْ علينا صبا رطبةً	وقد عابثَ الطلُّ أعطافها
وقد بشها الروضُ هجر الحيا	فجرتْ على النورِ أطرافها ^٦
وحَيْلُ الظلامِ أمامَ الصباح	والركضُ قد ضمَّ أجوافها
وقد فضضَ الفجرُ أذيالها	وزادَ فذهبَ أعرافها
وكاثرتِ البدرِ شمسٌ بدت	فمدَّتْ على الأرضِ أكتافها
وغاضبتِ السَّحْبُ فيها الرياح	فصرَّتْ من الغيظِ أخلافها
وذكرني بإداراتِ الحمام	حمامٍ تنذبُ ألأفها

١ م : فيه .

٢ المسالك : علني .

٣ انظر المسالك ١١ : ٤٣٥ ومنها بيتان في المغرب .

٤ م : وشمس .

٥ ط : لعزة ؛ د : لغرة .

٦ سقط البيت من س م .

٧ ط د : الصبح .

وقال من أخرى^١ :

كم قلتُ فيكَ معرّضاً ومصرّحاً
ومنيّت من خلطائه بعصابة
هيهات لولا غنّج^٢ لحظ محمد
ولقد بعثت على السلو لو أنّ لي
فجعلت ثوب الصبر فيه بصيرة
ونبتت حلمي والتفت إلى الصبا
لله أيام على وادي القرى
إذ نجتني في ظله ثمّ رمّ المني
والشمس ترمق من محاجر أرمد
والراح تأخذ من معاطف أغيد
حتى إذا ضرب الظلام رواقه
ملنا نؤمل غير ذلك متزلاً
ويروم قول أبي الوليد وربّما
ثمّ احتللنا والوشاة بمعزل
والبدر يرميني بمقلة حاسد
حتى إذا نشر السرور بساطه
أهوى يقبل راحتي توددأ

أكذا علقت ضلالة بفلان
خلطت بها شُبّها من البهتان
ما كنت نُهزة أعين الغرلان
قلباً يطاوعني على السلوان
وثبت عن علم إليه عناني
ويد العفاف تضم من أرادني
سلفت لنا والدهر ذو ألوان
والطير ساجدة على الأغصان
والظل يركض في النسيم الوائي
أخذ الصبا من عطف غصن البان
وخشيت فيه طوارق الحدّثان
والراح تقصر خطوه^٣ فيداني
كتب مكانة لامه الواوان^٤ [١١٣ب]
وقد التقت في جفنه سينتان
لو يستطيع لكان حيث يراني
وطوى بساط شكيتي لأوان
ويشدّ عقد بنانه بيناني

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : غنّج فاتر لحظه .

٣ المسالك : خطونا .

٤ ورد البيت في القسم الأول : ٣٠٩ وروايته « كمت » .

ويقول إشفافاً عليَّ ورحمةً
هاك^١ اغتنمها من زمانك خلصة
تشفى غليلَ فؤادِكَ الهيمان
فلثمتُ فاه والتربّتُ عناقَه
وهدّ الوصالِ على قفا المهجران
ومرقتُ من ظنِّ الأعادي عفةً
والليلُ مشتملٌ على الكتمان

وقد كرر هذا المعنى في موضع آخر فقال ^٢ :

فاطلعْ طلوعَ الشمسِ أو معها
فبَدَّ^٣ السرورِ على قفا الحزنِ
في ساعةٍ سمحَ الزمانُ بها
فكأنما هي الذّةُ الوسنِ

وقال ^٤ :

وكم ليلةٍ كاد الهوى يستفزني
وفي ساعدي بدرٌ على غُصْنِ بانهٍ
وفي لحظهٍ كالسكرٍ لا مِينَ مدامةٍ
وقد سلبته الراحُ سَوْرَةَ كِبَرِهِ
وبين ضلوعي يعلمُ الله حاجةً
فلم يك إلا ما أباح لي التقى

ولا رقةً دون الأمانِي ولا سِتْرُ
يودُ مكاني بين لبّاتِهِ البدرِ
ولولا اعتراضُ الشكِّ قلتُ هو السكرُ
ومال على عطفِهِ وانقطع العنبرُ
طواها عفاي لا كما زعم الغدرُ
ولم يبق إلا أن تحلَّ لي الخمرُ

١ م : هات .

٢ هما في المسالك ١١ : ٤٣٦

٣ م : بيد .

٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

ه سقط البيت من س .

وله في مثله ^١ :

وكم ليلة ظافرت ^٢ في ظلّها المنى وقد طرّفت ^٣ من أعين الرقباء
وفي ساعدي حلّو الشمائل مترف ^٤ لعوبٌ بيّاسي تارة ^٥ ورجائي
أطارحه ^٦ حلّو العتاب وربّما تغاضب فاسترضيته ^٧ ببيكائي
وفي لفظه من سورة الكأس فرة ^٨ تمت ^٩ إلى الحافظه بولاء
وقد عابثته ^{١٠} الراح حتى رمّت به لقى ^{١١} بين نسي بردتي وردائي
على حاجة في النفس لو شئت نلتها ولكن حمّتي عفتي وحيائي

قوله : « وفي لفظه من سورة الكأس » . . . البيت ، مما فتن فيه أبو
الوليد فتنة لا يحسنها السامري ، بل سحر سحرأ لا تتعاطاه الحبال ولا العصي .

وقال من أخرى :

لاح العذار فلاح عندي فيه وسقى ومن عينيه ما يسقيه ^١
وقضى عليّ ومرّ يسحب ذيله أكذا سفكت دمي ولست تديه
وفجعت سادة مذحج بزعيمها وأمنت من أشباعه وذويه
هيهات لو ملك القضاء سبيلها لثنى عنان جماحه ^٢ ثانيه
لكن حمّاك الحسن من سطواتهم ومن الذي ترنو فلا تصبيه [١١٤]

١ انظر المسالك أيضاً .

٢ المسالك : ضافرت .

٣ م : وكم طرفت .

٤ س والمسالك : لحظه .

٥ سقط هذا البيت والذي يليه من س .

٦ ط د : حمامه .

ولقد أتاح لك الهوى من معشري
وهويته عذبَ الشمائلِ مرفأ^١
كالغُصْنِ غازلتِ الصبا أعطافه
أطوي الهوى شحاً عليه ورقة
يجني فأضمرُ هجره لا عن قلى
ولكم صدَدْتُ فعارضني سورة
كم ليلة ضمَّتْ عليه ساعدي
والبدْرُ من حسدٍ يجمجمُ قوله

وقال أبو الوليد من أخرى :

وَسَتَّ بهواهُ مقلتي ولساني
فلمّا تاهى الشوقُ واستحكم الهوى
نأى عن مكاني حين لا لي حياة
وصدَّ على عمْدٍ لبشرِك في دمي
ومن عَجَبَ أني إذا رُمْتُ سلوة
أبا قاسمٍ خذْها شكَايةً واجدٍ

وقال^٢ :

أساكنَ قلبي والمقامُ كما ترى^٣

ما لا يكادُ الدهرُ يطعمُ فيه
نشوانَ يعثرُ في فُضُولِ التيه
فتكادُ لمحةُ ناظري تنيه
والدهرُ ينشرُ منه ما أطويه
والحبُّ يغفرُ كلَّ ما يجنيه
من وَرْدٍ وجته وخمرة فيه
والمسكُ يأخذُ منه ما يعطيه
ما ضرَّ مَجْدُكَ لو شَرَكْتُكَ فيه

وأثْلَفْتُ فيه مهجتي وجناني
وقيل فلانُ طاعةُ فلان
وقد حلَّ من قلبي بكلِّ مكان
ولو ظفر الأعداءُ بي لبكاني
وجدتُ هواه أخذاً بعناني
كما وجد المقصوص للطَّيْران

لعلك تصغي ساعةً فأقول^٤

١ ط د م س : مترف .

٢ المغرب ١ : ٢٤٠ .

٣ المغرب : والجوار حفيظة .

٤ سقط البيت من ط

أعيذك من أقوال قوم وربما^١ فكم قمر غطى عليه أفول^٢
 وكم أمّلوا لا يُلغوا^٣ فيك خطّة^٤ وحاشاك منها والحديث يطول
 ومستكشف لم يدري ما بين أضلعي يعرض^٥ بي واللوم فيك ثقل
 فصكّت^٦ لساني يعلم الله سكتة لها في جتاني زفرة وعويل
 وسدّ طريق الحظ دمع كأنما تشحط من جفني فيه قتل

وهذا البيت مما أحسن فيه ، ولكن ابن الرومي زاد عليه بحسن الاستعارة
 والتشبيه ، وهو قوله * :

رسم الكرى بين الجفون محيل^٧ عفى عليه بكأ عليك طويل^٨
 يا نظرة ما أفسحت لحظاتها حتى تشحط بينهن قتل

ونسب هذين البيتين صاحب « العملة »^٩ لأبي نواس .

وقوله : « فصكّت لساني » البيت . . . ، يشبه قول حبيب^{١٠} :

ولّى وقد أفحم الخطي منطقة^{١١} بسكتة تحتها الأحشاء في صخب

وقال أبو الوليد من أخرى :

١ المغرب : مريبة .

٢ ط د : يبلغوا .

٣ المغرب : تعرض .

٤ المغرب : فشدت .

٥ البيتان لأبي نواس في ديوانه : ٣٨٨ ، وكذلك نسبهما له صاحب زهر الآداب : ٢٤١ .

٦ العملة ٢ : ١٢٠ .

٧ ديوان أبي تمام ١ : ٧٢ .

وكم معشرٍ لاموا عليك رددتهم
ومالوا إلى رَجْمِ الظنُونِ وبيننا
ولمّا بدتْ أشياءُ منكَ تَربيني
وشاركني فيكَ الذينَ علمتُهُمْ
تجافيتُ عن حظي لهم فيكَ عَنوةً
إذا عَرَضُوا أوليتُهُمْ فيكَ سَكَنَةً

وأكبادهمُ غيظاً عليّ تذوبُ
إذا ما خَلَوْنَا للعَفَافِ رقيب
وأكثرَ فيها مَخطيءُ ومصيب
ولم يكُ لي إلّا السلوُ طيب
وقد يتجافى الشيءُ وهو حبيب [١١٤ب]
ويَعْرِضُ دمعِي دونهم فيجيب

وقال ١ :

لما استمالك مَعَشَرٌ لم أرضَهُمْ
داريتُ دونَكَ مَهْجَتِي فتماسكتُ
فاذهبْ فغيرُ جِوانحي لكَ منزلُ

والقولُ فيكَ كما علمتَ كثيرُ
من بعدِ ما كادتُ إليكَ تطير
واسمعْ فغيرُ وفائكَ المشكور

وقال ٢ :

يقول وقد لنتُهُ في هوى
أنحسني ؟ قلتُ : لا والذي
فكيف وقد حلُّ ذاك الحمى ٢

فلانٍ وعَرَضْتُ شيئاً قليلاً
أحلَّكَ في الحبِّ مرعىً وبيلاً
وقد سلكَ الناسُ تلكَ السبيلاً

وقال :

١ الأبيات في المغرب ١ : ٢٤٠ والنفع ٣ : ٤٧٢ .

٢ الأبيات في النفع ٣ : ٤٧٢ .

٣ النفع : ذاك الجَناب .

٤ م س والنفع : ذاك .

أبلغ فلاناً وإن كنتُ الضنينَ به
 أني تركتُ الحمى عن غير مقليةٍ
 وصنتُ وجهَ عفافي عن تبدُّلهِ
 يا أملحِ الناسِ إلا ريبةً عرضتُ
 ما الذنبُ عندك إلا عفةٌ صرفتُ
 وباحثٍ عن غرامي فيك قلتُ له
 وبلي عليه وويحي من تبدُّلهِ

قولاً تطاير من أرجائه الشررُ
 لمعشرٍ وردوا قبلي وما صدروا
 حتى سلا القلبُ عنه وارعوى البصرُ
 تكادُ من ذكرها الأحشاءُ تنفطر
 يدُ الهوى عنك إلا ما جنى النظرُ
 عني إليك فلا عينٌ ولا أثرُ
 وظالما صُنَّتهُ لو ساعدَ القدرُ

ومن شعره في العتاب

قال من كلمة ٢ :

مقالٌ يطيرُ الجمرُ من جنابه
 أحينَ نبذتُ الناسَ إلا علالةً
 ودنتُ بما تهوى هدىً وضلالةً
 سرتُ لك في أقباءٍ ظليّ قولةً
 فهلاً على حالٍ وفيتَ لمن وقَّتْ ٣
 وحاشاك أنْ تُعزِّي إلى المجد خطه
 ولكن أبي إلا إليك التفاتةً

ومن تحت قلب عليك يذوبُ
 من الحسن يدعو ناظري فيجيب
 وما الناسُ إلا خطيٌّ ومصيب
 لها بين أحناءِ الضلوعِ ديب
 سجيتهُ حيثُ الوفاءُ غريب
 تجشَّمه داءٌ وأنت طيب
 فؤاد عليه من هواك رقيب

١ م س : وويل .

٢ بعض أبياتها في المساك ١١ : ٤٣٤ : ٤٣٧ ومنها بيت في المغرب .

٣ وقت : سقطت من م .

وود^١ وإن أخرتموه مقدّم
 وكم بيننا إن كنت تحفظ ما مضى
 وقد قام في وجه النسيم غزّيل
 وسدّ طريق الشمس بدر إذا بدا
 يدير علينا السحر ملء جفونه
 وتحت جناح الغيم أحشاء روضة
 وللزهر في ضمن الرياض تبسم^٢
 وقد شملتنا يعلم الله عفة^٣
 أمّا والذي أعطاك شاحخة العلا
 لقد علقت كفاك مني كوكبا
 حنّاتيك لا تحمده بعد توقّد
 وخذها وإن صدّت قليلا بوجهها
 وصدر وإن أخرجتموه رحيب
 إذ العيش غصّ والزمان قشيب
 تنازل عطفه صبا وجنوب
 أهلت عيون بالهوى وقلوب
 فكل بريء عند ذاك مريب
 بها لخفوق العاصفات ضروب
 والطير من فوق الغصون نجيب
 على ماترى والعاشقون ضروب [١١٥]
 فزل شباب عن مذك وشيب
 له في سماء المكربات ثقب
 فربّما علّ الطلوع غروب
 ففي صدرها شوقا إليك لبيب

قوله : « وقد قام في وجه النسيم غزّيل » من براعة الشعراء الحلوة ؛
 وأنشدت لأبي بكر بن سعيد البطلبيوسي^٢ :

عندي قطيع^٣ قهوة ومودتي وأبو الحسين

وقال أبو الوليد من أخرى^٤ :

١ س م وأصل ط : عل ؛ ط : الفلوع .
 ٢ هو أبو بكر عبد العزيز بن سعيد أحد بني القبطورة ، وسترّد ترجمته في هذا القسم : ٧٥٣ .
 ٣ القطيع : الزجاجة الصغيرة .
 ٤ منها أربعة أبيات في المسالك .

ولقد منحتك مهجتي لبصرة
فلو اطلعت على فؤادي لم تجد
وهوى لطيف الكشح ذا جبرية
كالغصن غازلت الصبا أعطافه
وكانما غمرا الكرى أجفانه
فكانما^١ لبس الملاحه حلة
يروى ترابك من مدامة ريقه
فلئن هممت فغير مشدود الحبي^٢
ولقد قنعت فلا قنعت بزورة^٣
فأبحت مراح اللهو مرتاد الهوى
لاحت لقلبي في إغائك أو عمي
إلا^٤ك فيه ما أجل وأعظما
إلا^٥ عليك فما أحن وأرحما
نشوان يعبث بالنفوس وربما
فتضرجت وجناته منها دما
ولقد خجلت لقولي فكانما^٦
وسواك يهلك لا سواي من الظما
ولئن عفت فغير ممنوع المي
ولقد نجوت فما نجوت مسلما
ومنعت طير الوجد أن يترنما

قوله : « يروى ترابك » ... البيت ، ذهب إلى قول الآخر :

أتمتع ريقك المعسول عني وأنت على التراب به تجود

إلا^١ أن هذا زاد عليه ، لبعض حاجته إليه ، ولكنه والله دعا الإحسان
فأسمع ، وجادت نفسه فأقنع ، حيث يقول بعده :

وأنت لو اقتصرت عليه جدنا^٢ ولكن قد علمنا ما تريد

١ المسالك : غمز ؛ م س ط : عمر .

٢ م س : وكانما ... وكانما .

٣ م ط د س : الحيا .

٤ د : ولقد قنعت بزورة من طيفه .

٥ م : حرقا .

وقوله : « ومنعت طيرَ الوجد أن يترنما » ، من لطيف الاشارة ، ومليح الاستعارة ، أوما به إلى الكتمان ، إيماءً يأخذ بمجامع البيان .

وقال من أخرى ! :

خذها أبا العباسِ قولَةَ مُخْلِصٍ	إن وافقتُ من مِسْمَعَيْكَ قبولاً
تطغى ويمنعها ^٢ الحياءُ وربَّما ^٣	مالَ العتابُ بها عليك قليلاً
واضيعتا للودَّ عند معاشرٍ	لا يهتدون إلى الوفاءِ سبيلاً
فارغبْ بنفسك عن معاريض العدا	لا زال دونك حدُّهم مفلولاً
وانظرْ فربما ضللتَ وكم فتى	لعبَ السَّرابُ بناظريه طويلاً
وأصيخُ فغيري من يسومك غيبه	وسوايَ من رضيَ الودادَ عليلاً
وارفقْ فثمَّ وإن صدرتْ ^٤ بقيَّةُ	تأبى على رغم السُّلُو رحيلاً [١١٥ب]
فلطالما أجريتَ أجفاني دماً	وملأتَ أضلاعي جوى وغليلاً

وله من أخرى إلى أبي الحكم ابن عمه^٥ :

أعمروُكم أطامنُها حياءَ فتطُنغيها معانبةُ الأمانِي
وإن وقفَ الغرامُ بها قليلاً فعذرُ أخيك في جفَّتِي فلان

١ منها أربعة أبيات في المسالك ١١ : ٤٣٧ .

٢ م س : تصني ويحفظها ؛ المسالك : ويحفظها .

٣ ط د : وإنما .

٤ ط د : فانظر .

٥ ط د : طولاً .

٦ م س : صدرت .

٧ منها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

أَتَنِي قَوْلُهُ هَجَمَتْ فَكَادَتْ
وَلَمْ أَرْتَبْ وَجَدِكَ غَيْرَ أَنِّي
أُأْرَحِلُ وَالنَّوَى قَدَفٌ وَرَحْلِي
أَمَّا رَأْيُ الْأَمِيرِ وَلَمْ أَرْجَمْ
يُعِينُ عَلَى الْمَكَارِمِ عَاشِقِيهَا
وَيَتَنِي الدَّهْرَ طَوْعَ يَدِي حَتَّى
وَلَوْ سَدَّ الْقَضَاءُ سَبِيلَ سَعْيِي

فأجابه أبو الحكم بأبيات منها :

أَمَّا وَعْقِيلَةُ لَكَ غَاظِلَتْنِي
لَقَدْ أَهْدَيْتَ لِي مِنْهَا عُرُوساً
جَلَّتْ مِنْ رَقَّةِ التَّعْرِيصِ صَحْفاً
وَأُخْشِي أَنْ أَكُونَ لَهَا ظَلُوماً
بِنَفْسِي أَنْتَ قَوْلُ النَّاسِ رِيحٌ
أَنَا لَكَ حَيْثُ كُنْتَ أَخٌ أَمِينٌ
الْأَلَيْتِ الْقَبُولَ غَدَتَ بِسَرَجِي
فَالْمَحَ مِنْكَ أَرُوعَ أَرْجِحاً

بِفُتْنِجِ السَّحَرِ مِنْ جَفَنِي فُلَانٍ
مُعَرَّسَهَا سَوِيدَاءُ الْجَنَانِ
أَرْقٌ مِنَ الْحَسَامِ الْهِنْدَوَانِي
إِذَا سَمَّيْتُهَا سَحَرَ الْبَيَانِ
يُوَافِقُ مِنْكَ رَكْنًا مِنْ أَبَانِ
إِذَا مَا خَانَ لِإِخْوَانِ الْعِيَانِ
إِلَى لَقِيَاكَ مَطْلَقَةَ الْعِنَانِ
تَبَوَّأَ ذِرْوَةَ الْحَسْبِ الْهَجَانِ

ولأبي الوليد إلى أبي بكر ابن عمه ١ :

١ أبو بكر محمد بن مذجع : أخو أبي الحكم عمرو ، انظر المغرب ١ : ٢٣٩ ونفع الطيب ٣ : ٤٧١ ؛ ومنها بيتان في المسالك : ٤٣٧ .

إليكَ وإن أصبحت عني بمزل
عتاباً كحدّ السيف إلا بقيّة^١
وأعدّته للدهر جنةً واثق^٢
وأرسلته سهماً سديداً على العدا
أريش^٣ ويبري أعظمي غير مقصر^٤
وأخفقَ ظنّي في هواك ولا أدري
عليك ولولاها لساءك ما يفري
فألفيتهُ سيفاً عليّ مع الدهر
فأخطأهم عمداً وعاج^٥ إلى نخري
فيا ليت شعري كم أريش^٦ وكم يبري

ومن جواب أبي بكر له^٧ :

ولمّا رأى حمصَ استخفّت بقدره
تحمّل عنها والبلاد عريضة^٨
فيا أيها المهدي إليّ صوارماً
أني الحقّ أن يحظى بقربك معشر^٩
على أنها كانت به ليلة القدر
كما سلّ من غمد الدجى صارم الفجر
من العتب يفري حدّ ما جئن الصبر [١١٦أ]
قليلو الحجى ليسوا بخل ولا خمر؟

ومنها^{١٠} :

ألنا من القوم الذين سمّوا^{١١} بنا
فكم جعلوا عبساً يطولُ عبوسها
إلى حيث لا تسري النجوم التي تسري
وكم صبّحوا بكراً براغبة البكر^{١٢}

وقال أبو الوليد من قصيدة^{١٣} :

١ المسالك : إل .

٢ س والمسالك : وعاد .

٣ منها بيتان في المسالك والنفع .

٤ ومنها : زيادة من م س .

٥ م : ملوا .

٦ البيتان في المسالك ١١ : ٤٣٧ - ٤٣٨

وإذا الزمانُ رمى إليك مسالماً وأمينتهُ فاحذروا من الإخوانِ
وسجيتي ما قد علمتَ وربّما صدىء الحسامُ من النجيعِ القاني

ومعنى البيت الأول كأنه يشير إلى ما قال الفقيه منصور^١ :

لو قيلَ لي خُذْ أماناً من حادثِ الأزمانِ
لما أخذتُ أماناً إلاّ من الإخوانِ

والبيت الثاني كقول ابن الملح من شعر وقد تقدّم^٢ :

والغضبُ يستره القرابُ وربّما خَشُنَتْ مضاربُهُ الرقاقُ من الصدا

ولأبي الوليد^٣ من قصيدة^٤ :

حيبٌ إليه الوردُ ، والمنهلُ الردى يسيرٌ عليه الخطبُ ، أهونهُ القتلُ
إذا نال غاياتِ المكارمِ والعلا فلا أسعدتْ سَعْدَى ولا أجملتْ جملُ

ومنها^٥ :

١ هو أبو الحسن منصور بن اسماعيل بن عمر التميمي المصري الضرير (- ٣٠٦) ،
وقد ذكرت ترجمته في القسم الأول : ٨٨٣ والمصادر ، ويمكن أن يضاف إليها معجم
الأدباء ١٩ : ١٨٥ والمغرب (قسم مصر) ١ : ٢٦٢ والمنتظم ٦ : ١٥٢ وحسن
المحاضرة ١ : ١٦٨ ومعجم المرزباني : ٢٨٠ وجمع الجواهر : ١٢٠ - ١٢٢ ولم يرد
البيتان في المصادر المذكورة هنا أو في القسم الأول .

٢ انظر ص : ٤٥٤ فيما تقدم .

٣ م س : ولأبي بكر .

٤ منها بيتان في المسالك .

٥ ومنها : لم ترد في م س .

نَبَذْتُ^١ إِلَيْكَ النَّاسَ لَا غَادِرَ لَهُمْ
وَنَكَبْتُ عَنْ قَوْمٍ مَضَوْا وَبُودَهُمْ
وَلَا طَالِبًا جَدُوكَ إِنَّ خَيْمَ الْمَحَلِّ
لَوْ أَنَّ ثَرَى رَجُلِي لِأَجْفَانِهِمْ كُحِّلَ

وهذا كقول بعض أهل عصري :

وَكَمْ رَافِعٍ لِي بِالْعِدَاوَةِ صَوْتُهُ
يُودُ لَوْ أَنِّي بَيْنَ أَضْلَاعِهِ قَلْبُ

ولأبي الوليد من مرثية^٢ :

بِأَيِّ مَقَالٍ مِنْ لِسَانِي أُرْتِيهِ
وَقَدْ جَلَّ رُزْنِي فِيهِ حَتَّى كَانَمَا
وَأَيُّ دُمُوعٍ مِنْ جَفُونِي أَبْكِيهِ
رَزَايَا جَمِيعِ النَّاسِ مَجْمُوعَةٌ فِيهِ

ومنها :

فَرَوْضُ سُرُورِي بَعْدِيَوْمِكَ قَدْ ذَوَى
وَلَوْ كُنْتُ أَدْرِي أَيْنَ ثَارِي نَلْتُهُ
وَعَارِضُ حُزْنِي فِيكَ حُلَّتْ عِزَالِيهِ
وَلَوْ حَلَّ مَا بَيْنَ الْكَوَاكِبِ جَانِيهِ

ومنها :

وَلِإِنْ كُنْتُ أُوتِيتَ السِّيَادَةَ نَاشِئًا
وَمَا بَاخْتِيَارِي عَشْتُ بَعْدَكَ سَاعَةً
فَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ مِنْ شَاءِ يُؤْتِيهِ
فَلِي أَجَلٌ يُفْنِي سَوَادِي وَأَفْنِيهِ^٣
فِيَا قَبْرَهُ مَاذَا تُجِنُّ مِنَ الْعَلَا
وَيَا يَوْمَهُ مَاذَا نَعِي فِيكَ نَاعِيهِ

وله مما كُتِبَ عَلَى قَوْسٍ وَأُخْبِرَ عَنْهَا :

١ ط د : تَبَدَّتْ .

٢ مِنْهَا بَيْتَانِ فِي الْمَغْرِبِ ١ : ٢٤٠ .

٣ الشطر الثاني من هذا البيت اقترن مع الشطر الأول من البيت السابق في ط د .

إِنَّا إِذَا رُفِعَتْ سَمَاءُ عِجَاجَةٍ والحربُ تَقَعْدُ بِالرِدَى وَتَقُومُ
وَتَمْرَدُ الْأَبْطَالُ فِي جَنَابَتِهَا والموتُ من فوق النفوسِ يَحُومُ
مَرَقَتْ لَهُم مَنَا الْحَتُوفُ كَأَنَّمَا نحنُ الْأَهْلَةُ وَالسَّهَامُ رَجُومُ
وَلَكُمْ دَمٍ عِزُّ الْقَضَاءِ وَرُودُهُ فَرَوَيْنَ مِنْهُ وَالْعَوَالِي هَيْبُ

في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي^١ والإثبات جملة من سري نظامه ، وحُرِّ كلامه

[١١٦ ب] وأبو بكر في وقتنا هذا على صغر سنه شهابُ فهم ونُبل
قلماً يخلو شعره من بديع ، وأخرجته فتنة طليطلة - جبرها الله - الآتي خبرها
في القسم الرابع من هذا المجموع ، ولمّا يسطع بعد ضوءُهُ ، ولا نشأ نوعه ،
فاحتلَّ اشبيلية ، فمن ثمَّ شرقَ وغربَ ، وأحزن ذكره في البلاد وأسهب ،
ولذلك نسقته في دورها ، وأثبتته أثناء حجولها وغرورها ، وقد أخرجت من شعره
ما يشهد بما أجريت من ذكره ، ويبرأ من الإطراء ، ويُري أنني ربما قصّرتُ
في الثناء .

١ أبو بكر يحيى بن محمد بن عبد الرحمن بن بقي (وعند السلفي يحيى بن حكيم بن بقي وعند ابن
الأبار يحيى بن أحمد) الشاعر الوشاح ، سرقطي النسب (وقيل طليطلي) اشبيلي الأدب ، سلوي النشأ ،
وادياشي الطب ، أي أن أصله من سرقطة (أو طليطلة) وتادب باشبيلية ، واكتسب المال
بمدينة سلا ، وتوفي بوادي آش سنة ٥٤٠ (أو ٥٤٥) ؛ قيل إن له ما ينيف على ثلاثة آلاف
موشحة ومثلها قصائد ومقطعات ، وله مدائح كثيرة في بني حشرة أحيان سلا (انظر ترجمته
في القلائد : ٢٧٩ وعنه وعن المطبع ترجمة منقولة في نفح الطيب ٤ : ٢٣٦ - ٢٤٠ ؛
ووفيات الأعيان ٦ : ٢٠٢ والسلفي : ٥٠ - ٥١ ومجموع الأدباء ٢٠ : ٢١ والمساك ١١ :
٢٨٠ والخريدة ٢ : ٣٠٨ ونفح الطيب ٢ : ٢٠٩ ، ٣٤٧ ، ٤٠٤ ، ٤٣٩ ، ٤٤٨ ،
٤ : ١٣ ، ١٥٥ ، والمطرب : ١٩٨ وله موشحات في دار الطراز وجيش التوشيح .)

جملة من شعره في أوصاف شتى

استهدى من بعض إخوانه أقلاماً ، فبعث إليه منها بثلاثٍ من القصب ،
وكتب معها إليه :

خُذْهَا إِلَيْكَ أبا بكرٍ العلا قصباً كأنما صاغها الصوّاعُ من ورقه^١
يُزْهِى بها الطرسُ حسناً ما نثرت بها مسك المدادِ على الكافور من ورقه^٢

فأجابه أبو بكر بأبيات منها قوله :

أرسلت نحوي ثلاثاً من قنأ سُلْبٍ منادة تطعنُ القرطاسَ في درّقه^١
فالحظّ ينكرها والخطّ يعرفها والرقّ يخدمها بالرقّ في عنقه

فكان بعض من حضر سماع شعره حسده عليه ، ونسب الانتحال
إليه ، فقال أبو بكر يخاطب صاحبه الأول من جملة أبيات :

وجاهلٍ نَسَبَ الدعوى إلى كلمي لماً رماهُ بنبلِ النبلِ في حدّقه^١
فقلتُ من حنقٍ لماً تعرّض لي من ذا الذي أخرج البربوعَ من نفقه^٢
ما ذمّ شعري وأيم الله لي قسمٌ إلا امرؤٌ ليست الأشعارُ من طرّقه^٣
الشعرُ يشهدُ أنني من كواكبه بل الصباحُ الذي يستنُّ في أفقه^٤

وله من كلمة في الوزير أبي العلاء^٥ :

١ لم يرد هذا البيت في ط د .

٢ يعني أبا العلاء ابن زهر ، الذي تقدمت ترجمته ص : ٢١٨ .

عَلَّقْنَهَا مِنْ رَبِّ رَبِّ الْعَفْرِ
لَا تَلْتَمِحْهَا رَبِّمَا سَلَبْتُ
وَإِذْ هَبْ بِشَأْنِكَ إِنَّ مَقَلَّتْهَا
سَلُ الْعَيُونِ فَقِيَّ أَصِيبَ بِهَا
هَنْ السُّيُوفِ مِنَ الرَّدَى طَبَعَتْ
لَكُنَّهَا عَرِيَّةُ النَّجْرِ^١
مِنْكَ الْفَوَادِ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي
سُقَيْتُ^٢ بِبَابِلَ قَهْوَةَ السَّحَرِ
مِثْلِي لِتَعْلَمَ صَحَّةَ الْأَمْرِ
تُبْرِي الْقُلُوبَ وَقَلَمًا تُبْرِي

ومن المدح :

مَنْ جَدُّهُ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ قَدْ
هُوَ آثَرُ النَّعْمِيِّ صَاحِبُهُ
وَإِسَاءُهُ حَتَّى مَاتَ مِنْ ظُلْمٍ
وَأَرَاكَ يَا زُهْرُ اقْتَدَيْتَ بِهِ
زُهْرُ الْكَوَاكِبِ كُلُّهَا شَهِدَتْ
ذَرَّ حَاتِمًا يَشْجِي بِكَعْبِكُمْ
وَإِفْخَرُ بِنَفْسِكَ لَسْتَ دُونَهُمْ
حَازَ النَّدَى بِالطُّيِّ وَالنَّشْرِ
بِالْمَاءِ فِي دَوِيَّةِ الْقَفْرِ
ثُمَّ انْطَوَى وَالْجُودَ فِي قَبْرِ
فِي صَبْرِهِ وَنَوَالِهِ الْغَمْرِ
أَنَّ السِّيَادَةَ فِي بَنِي زَهْرٍ
وَإِفْخَرُ بِدَعْمِي^٣ عَلَى عَمْرٍو
وَلَثْنُ سَكْتٍ^٤ فَخِيفَةَ الْكَبْرِ

وله من أخرى < فيه > :

إِفْخَرُ عَلَى النَّاسِ مِلَّةَ الْأَرْضِ مِنْ شَمَمٍ
هَلْ يَسْتَوِي النَّاسُ قَالُوا كُلَّنَا بَشَرٌ
الْعِزُّ أَقْمَسُ وَالْآبَاءُ أَنْجَادُ [١١٧]
فَالْمُنْدَلُ الرُّطْبُ وَالطَّرْفَاءُ أَعْوَادُ

١ بعد هذا البيت في م س : ومنها .

٢ سَقَيْتُ : سَقَطْتُ مِنْ ط د .

٣ دَعْمِي الَّذِي يَعْنِيهِ هُنَا مِنْ إِيَادِ قَبِيلَةِ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ وَهُوَ أَعْوَزُ زَهْرٍ الْقَدِيمِ (انظر كاسكل ١ : ١٧٤) .

٤ ط م س : سَكَنْتُ .

وهذا يشبه قول أبي الطيب^١ :

فان تفق الأنام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

وقال المصري :

أبا بكر أن أصبحت بعض ملوكهم فان الليالي بعضها ليلة القدر

ومنها :

يا زهر زهر زهر إياي لا كما زعت
حقاً سلكت إلينا كل موحشة
يجب فيها الصدى من ليس يسأله
ويتضب الماء وهو اللحم مورده
والمرؤ في الحرّة الرجاء قد حبيت
من شر ما طرّق الأقوام من نوب
يخرجن من جنت النع طائفة

زهر النجوم فما للصيد أنداد
تيهات ساكنها ظبي وفياد
ويقتل الجوع فيها من له زاد
[...] الرمل رملاً وهو أعقاد
كانهن من العشاق أكباد
وخبر ما ارتاده للنجع مرتاد
كانهن سقوط وهي أرناد

ومنها :

ولتوا جميعاً بما في الدهر من حسن لا عيب في القوم إلا أنهم بادوا

وهذا كقول أبي تمام حيث يقول^٢ :

١ ديوان المتنبي : ٢٥٨ .

٢ بياض في ط د س وموضعه كلمة غير واضحة في م ، ولعلها « ويحشد » .

٣ م س : كقول أبي حاتم من قصيدة : وانظر ديوان أبي تمام ١ : ١٩١ .

وما كان بين الهتضب فرق وبينهم سوى أنهم زالوا ولم يزل الهتضب

ولأبي بكر من قصيدة :

لم أعلم الشوق إلا من مطوقة
لا مثلها وسقيطُ الطل يضر بها
تذكرت ساق حر وهي تدبه
كأنهن بأعلى الدوح إذ سجت
والنجم منهزم أولى كتائبه
والروض يرشف ريق الطل عن ترف
دع المني ربما نلت بلا طلب
فهمت عنها الذي قالت ولم تب
في عاتقي حلّة من سندس اليمن
بالأخضرين من الظلماء والفنن
روم ترأطن بالألفاظ من قدن
والصبح يغسل ثوب الليل من درن
وليت لي مثله ممن يعذبني
وربما وقع الحرمان في المهن

ومنها في وصف طيرف :

لكن على سابع نهد مراكله
أقام في الحي أحوالا وآونة
فجاء إذ صنعوه وهو مضطرب
يهوي من الأرض أتى شاء راكبه
مؤلل الجبد والأرساغ والأذن
يسقي الخليطين من ماء ومن لبن
سامي التليل ممر الخلق كالشطن
وترك الربيع في الآري والرسن

قوله : « والصبح يغسل ما في الليل من درن » . يشبه قول بعض أهل
العصر : [١١٧ ب] .

شهم له نظرة في كل مشكلة يكاد يغسل ما في الطين من درن

وقلبه من قول المعري^١ :

فإن كان يكتبه كاتبٌ فقد سودَّ الصبحَ مما كتبُ

وقال أبو بكر من قصيدة :

أقبلتَ بالجيشِ ملبوماً كائبهُ كأنكَ البدرُ تحتَ العارضِ الهطيلِ
في قتيبةٍ كسيوفِ الهندِ أنحلَّهمُ حبُّ الصوارمِ والخطيئةِ الذبلِ
وتيسموا بعيونٍ غيرِ فاترةٍ من الأسنةِ لم تهجعِ مع المقلِ
إنْ لا تكنْ أعيناً نجلاً فانْ لها في أضلاعِ القومِ مثلَ الأعينِ النجلِ

وما أحسن ما أتى بهذا المعنى ، وإنما ذهب إلى قول^٢ أبي الطيب^٣ :

أثبتْ عَيْنَكَ في حشايَ جراحةٍ فتشابهَا كلتاها نجلاءُ

وقال :

• عليهنَّ من وقعِ السيوفِ حواجبُ •

ومن قصيدة أبي بكر :

تري السماءَ دخاناً مثلما خُلِقَتْ والأرضَ قد شرقتْ بالخيلِ والإبلِ

١ الزوميات ٤٧ / ١ : ١٢٦ .

٢ م س : ذهب بقول .

٣ ديوان المتنبّي : ١١٥ .

٤ الديوان : مثلت .

• وقال . . . حواجب : لم يرد في م س ؛ ولا يعرف إلى من يعود الضمير في « وقال » .

تمشي بها الخيل لا جُرْدٌ مطهَّمةٌ
من كل مضطمر الكشحين حافره
يا معشر الروم قد شالت نعماتكم
لم يَكْسُكُمْ من ثياب الخزي أسبعها
يا ويلكم معشراً بل ويل أمكم
مشي الكواعب في جلبي وفي خلل
أحق من مبسم الحساء بالقبل
إما من الحين أو من شدة الفشل
إلا اتقاؤكم للصدر بالكفل
فإنها وكدت للتكل والهبل

وهذا المعنى كثير ، ومنه قول أبي تمام ^١ :

لم تبقَ مشرقةٌ إلا وقد علمت
وأخذه أبو الطيب فقال ^٢ :

السبي ما نكحوا والقتل ما ولدوا
وقال محمد بن هاني ^٣ :

لو تعلم الروم ما لاقى بطارقها
وقال أبو بكر من قصيدة :

من لي به والوغى شهباء من أسل
يرزدي ويصرع أقواماً ، عيونهم
بكل غصن من الخطي معطف
في صهوة من أقب البطن منجرد
حمر من الرّوع لا حمر من الرمّد
بطائر من سنان ليس بالغرد

١ ديوان أبي تمام ٢ : ٢٠ وروايته « إن لم تنب » .

٢ ديوان المتنبي : ٣٠٣ .

٣ ديوان ابن هاني : ٤٦ .

٤ الديوان : لو كان للروم علم بالذي لقيت .

ومنها :

الدهرُ أخونُ من أن يستقيمَ لكم وإنما جاد عن كَرِهٍ ولم يكد
ومن تصنع يرجع بعد آونةٍ إلى الطباع رجوعَ العَيْرِ للوتد

وهذا المعنى مشهور ومنه قول الآخر^١ :

كلُّ امرئٍ راجعٌ يوماً لشيئته وإن تمتعَ أخلاقاً إلى حين

وقال آخر^٢ :

يا أيها المتحلِّي غيرَ شيئته إن التخلُّقَ يأتي دونه الخلقُ [١١٨]

وقال آخر^٣ :

ومن يتكلّف غيرَ ما في طباعه يدعُه ويغلبُه على النفسِ خيمُها

وقال الرضي^٤ :

١ م س : الأول ، والبيت الذي الاصبع العدواني ، المفضليات : ٣٢٣ وهجة المجالس : ٢ :

١١٣ .

٢ هجة المجالس : ٢ : ١١٣ وروايته :

ما ان تخلقت إلا شيئتي خلقاً إن الخلائق يأتي دونه الخلق
وسقط البيت من م .

٣ هو كثير غزاة ، انظر ديوانه : ١٤٨ وعيون الأخبار : ٢ : ٥ والشعر والشعراء : ٤٢٠
واللسان (خيم) وروايته :

ومن يبتدع ما ليس من سوس نفسه (من خيم نفسه) .

٤ الرضي : سقطت من م س ، وانظر ديوان الرضي : ١ : ٦٥٢

لَا تُبْدِينَ^١ لِي التَّكْلُفَ فِي الْهَوَىٰ فَضَحَّ التَّطَبُّعَ شِبَعَةُ الْمَطْبُوعِ

ولكن^٢ أبا بكر استولى على الأمد ، ونفث بالسكر في العقد ، بقوله :
« رجوع العبير للوتد » .

وله من قصيدة :

لَمْ أَنْسَ إِذْ وَدَّعْتُهُ وَقَدْ التَقْتُ مَنِي هُنَاكَ بِالْبُكَاءِ عَيْنَانِ
يَرْنُو بِنُجْجَةٍ إِلَيَّ وَرَبَّمَا قَرَعَ الْأَفَاحَ يَاسْمِينِ بَنَانِ

وهذا كقول الآخر^٣ ، ولكن^٤ أبا بكر نقص عنه^٥ :

وَأَسْبَلْتُ^٦ لَوْلَا مِنْ نَرْجِسٍ فَسَقَتْ وَرَدًا وَعَضَّتْ عَلَى الْعَنَابِ بِالْبَرْدِ

وقال من أخرى^٧ :

وَقَالُوا أَلَا تَبْكِي وَتَلِكِ مَطْبِئُهُمْ^٨ عَلَى السُّهْبِ يَحْمِلُنَ الْأَوَانِسَ^٩ كَالْدُمَى
لَنْ نَقُذْتُ^{١٠} مَنِي الدَّمُوعِ تَغَامَزُوا وَقَالُوا : سَلَا أَوْ لَمْ يَكُنْ قَبْلُ مَغْرَمَا
فَهَلَّا أَقَامُوا كَالْبُكَاءِ تَنْهَدِي إِذَا مَا بَكَى الْقَمَرِيُّ قَالُوا تَرْنَمَا

١ الديوان : هيهات لا تتكلفن لي الهوى .

٢ هو الواواء الدمشقي ، ديوانه : ٨٤ .

٣ ط : تقصر منه .

٤ الديوان : وأمطرت .

٥ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد والخريدة وبيتان في الرايات : ٤٩ (غ) وبيت واحد في المغرب .

٦ القلائد : الخرائد .

٧ ط م د س والقلائد : بعدت ، الرايات : إن بعدت .

وهذا من حجل الكلام وغرره ، وإن لا يكن اخترع ، فما أتقن ما
اتبع ! !

ومنها :

نأوا بصموت الحجل عاطرة الشدا مبتلة الأعطاف معسولة المي
ألا نظرة منها فتتفع غلة على كبدي ما أشبه الشوق بالظما
وله من قصيدة :

ولاني من الورق السواجع بالضحي ولكتني من بينها لم أطوق
وهذا كقول ابن حمديس الصقلي ، وهو أبرع وأجمع وأصنع ، إلا أن
أبا بكر قلبه على ما أراد ، ونقص منه فما أخل به ولا كاد^١ :
جناحي مبلول وجيدي مطوق^٢ وروضي مطلول^٣ فما لي لا أشدو
وله من قصيدة أيضاً^٤ :

أتى به الدهر فرداً في فضائله وفي الفرائد ما يربي على الحمل
يباض عرضي تحامي الدم جانبه^٥ ليس السواد بأبى منه في المقل
والبيت الأول منها كقول بعض أهل عصرنا :

١ ديوان ابن حمديس : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٢ د : مبلول ؛ ط : مطلول .

٣ أيضاً : سقطت من م س .

وقد تقتضي هذه المفردات معانٍ تقصّرُ عنها الجملُ

وله من قصيدة :

عندي حُشاشةٌ نفسٍ في سبيل ردى^١ إن شتتها اليومَ لم أمطل بها لِيغدي
وكيف أقوى على السلوانِ عنك^٢ وقد ربّيتُ حبكَ حتى شب في خلدي^٣
خُذْها وهاتِ ولا تمزجْ فتفسدها الماءُ في النار أصلٌ غيرُ مطرّد

وهذا كلام بديع ، ونظم شنيع .

وقال :

جربُ ولا تغتَرِرْ بمحمدةٍ قد يقتلُ [النورُ]^٤ وهو نفّاحُ

وقال :

ولقد وصفتُ لعاذلي من حسنه طرّفاً فودَّ بآته لم يَعدُلِ
وعصيتهُ فيما مضى من عهدنا وأنا الذي أعصيه في المستقبل

وله من قصيدة^٥ : [١١٨ ب]

١ أصل ط : هوى .

٢ عنك : سقطت من ط د .

٣ م س : كبد (ي) .

٤ ونظم شنيع : سقط من م س ، كما سقط البيت التالي أيضاً من م وحدها ؛ ط : شنيع .

٥ ما بين مقعنين لم يرد إلا في س .

٦ منها أربعة أبيات في كل من المغرب والقلائد ، وبيتان في الخريدة .

إذا ما غراب الليل مدَّ جناحا
تقلَّبتُ في طيِّ الجناحِ لعلَّني
إلى الله أشكوها نوىً أجنبيَّةً
سلا كلُّ مشتاقٍ برؤيةٍ إليه
إذا جاش صدرُ الأرضِ بي كنتُ منجداً
أكلُّ بني الآدابِ مثلي ضائعٌ
أم الظلمُ محمولٌ عليَّ لأنَّني
لعمري أليك الخير ما أمل الغنى
ولكنَّما أملتُه لصنيعةٍ
ستبكي قوافي الشعرِ ملءَ جفونها
ولا ذنبٌ لي عند الزمانِ علمتُه
توهَّمتُه عمرو بنَ هندٍ وخلتني

ومنها :

إليكَ ترامتُ بي قُلوصٌ كنبعةٍ
لعوبٌ إذا رَقَصُ السَّرابِ استفزَّها
تباري الصِّبَا في سيرها فكأنَّها
وما راعها إلاَّ الزَّمام تظنُّه

عليَّ وغطَّاني بريسِ قوادمٍ^١
أرى الصبحَ يبدو من خلالِ القوادمِ
لها من أبيها الدهرِ شيمةٌ ظالم
وكان عليَّ الشوقُ ضربةً لازم
وإن لم يحشُ بي كنتُ بين التهاثمِ
فأجعلَ ظلمي أسوَّةً في المظالمِ
طلبتُ العلا من قبل حلِّ التماثمِ
للين لبُوسٍ واحتفالِ مطاعمِ
أسرُّ بها نفسَ الصديقِ الملائمِ
على عربيٍّ ضاع بين أعاجمٍ^٢
سوى أني للشعرِ آخرُ ناظم
شقياً أتاهُ من وفودِ البراجمِ^٣

معطَّفة في دَفِّها والحيازمِ
يبيضُ الأداحي في النقا المتراكمِ
جبانٌ تولى في غبارِ الهزائمِ
إذا ما تلى حِجَّةً في المخاطمِ

١ سقط هذا البيت من ط د .

٢ المغرب : الأعاجم .

٣ يشير إلى المثل : « إن الشقي وافد البراجم » . (فصل المقال : ٤٥٤) والمسكري ١ :

(٨١) وكان عمرو بن هند قد آلى أن يحرق مائة من بني تميم ، ، فحرق تسعة وتسعين ووفى العدد برجل من البراجم أقبل على النار يظن أنه يجد عندها طعاماً .

وهذا كقول المعري^١ :

يحاذرنَ من وقعِ الأزمَةِ لا اهتدى مُخَبَّرُهَا أَنَّ الأزمَةَ أَصْلَالُ

وهذا كقول بعض أهل العصر^٢ :

تخشى الزمامَ فتنني جيدها فَرَقاً كَأَنَّهُ بَيْنَ ثَنِي حِيَةٍ ذَكْرِ

ومن قصيدة أبي بكر :

كَأَنِّي مِنَ الْبِدَاءِ أَطْوَى صَحِيفَةً
لِنَفْسِكَ أَكْرَمَتِي وَلَا لِمُعَاثِرِي
وَمَيِّزُكَ بِي مَيِّزُ الْكَمِيِّ بِسِيفِهِ
أَحْبَبَكَ لِلْعُلَيَّا غَضَبْتُكَ بَعْضَهَا
وَأِنْ كَانَ مِنْكَ الْوَدُّ فَيَتَأْخُذْتُهُ
وَأِنْ تَصْطَنِعْنِي تَصْطَنِعْ ذَا حُضَيْظَةٍ
لَهُ كَلِمَاتٌ كَالْقَلَائِدِ فِي الطَّلَى
يَشْقُ عَلَيْهِمَا تَرَكُ مَدْحِكَ ضَلَّةً
يَصُولُونَ مِنِّي بِالْمَهْنَدِ مَاضِياً

ومنها في المدح :

حمدتُ السُّرَى عِنْدَ الصَّبَاحِ بِمَاجِدٍ هُوَ الْمَاءُ يُعْطِي رَبَّهُ كُلَّ حَائِمٍ [١١٩أ]

١ شروح السقط : ١٢٥٧ .

٢ شروح السقط : من لدغ .

٣ هو الأعشى التعليلي ، انظر ديوانه : ٥١ .

رَحَسْبُكَ من قاضي الجماعة أنه
 به ثَبَتَ الإسلامُ في مستقرّه
 إذا مشقتْ بمناء في بطنٍ مُهْرَقٍ
 ولاحتْ سُلُورٌ كالشبابِ حَكِينٍ لي
 ومن لي بتقيلِ الحروفِ فلانها
 أقلُّ أيادي كُتُبِهِ ردُّ عسْكَرٍ
 ورثتِ العلا من تغلبِ ابنةِ وائلٍ
 وأنّى يجاريكم إلى المجدِ حاسدٌ
 وهذا بُجَيْرٌ وهو خيرٌ لداته
 ويا عجباً يُعزّى إلى الجودِ حاتمٌ
 بل المثلُ المضروبُ في الجودِ للذي
 أمانٌ لذعورٍ ومالٌ لعدامٍ
 وشُلٌّ فريقُ الكفرِ شُلٌّ النعائمِ
 تحجبُ نُوارُ الرّبي في الكرائمِ
 سلاسلُ أصداغِ الحدودِ النّواعمِ
 ثغورُ الدّمي إلّا ابيضاضَ المباسمِ
 وتأليفُ أشتاتٍ وسَلٌّ سخائمِ
 تلاًداً لها من عهدِها المتقدّامِ
 جهولٌ بأسرارِ العلا غيرُ عالمِ
 سوى شيسعٍ نعلٍ منكم لم يقاومُ
 وما هو منه في اللهى واللّهّازمِ
 يعودُ على أبناءِ كعبٍ وحاتمِ

وله من أخرى في الوزير أبي الحسين بن سراج :

تَشِفُّ وراءَ فطنَتِهِ المعاني
 وما طلب الكلامَ الحرَّ إلّا
 أقام العلمُ دهرأ ليس يبدو
 وكان الناس في ظُلُماتٍ جهلٍ
 شفيفَ الراح من خَلَفِ الزجاجِ
 أتى بين انفرادٍ وازدواجٍ
 لها منه سوى نَشَفِ خِداجٍ
 فما جليّتْ بغيرِ بني سراجِ

١ ط د : أنوار .

٢ يشير إلى قول مهلهل التغلبي، وقد قتل بجير بن الحارث بن عباد: « يؤشع نمل كليب » .

٣ ط د : المجد .

٤ ط : إلى .

٥ هذا البيت والذي يليه سقطا من م س .

وقال من قصيدة :

وبناتُ أعوج قد برّمنَ بصحبي ممتاً قطعنَ من اليبابِ المقفرِ
بيداءُ كالمحرومِ في أحواله لا ذا أنيلَ وهذه لم تعمر

أراه كأنَّ له في هذا بعضَ إلام ، بقول أبي تمام ^١ :

وإذا تأملتَ البلادَ وجدتها ^٢ تُشري كما تُشري الرجالُ وتعدمُ

ولمّا هذا أشار بعضُ أهلِ العصرِ بقوله :

حظاً من الدين والدنيا أصبتَ به كلٌّ يرزأُ حتى هذه البُقَعُ

ولأبي بكر من قصيد ^٣ :

من لم يعانقْ غزالاً في مغازلةٍ ما بين ممتنعٍ طوراً ومنفعلٍ
فما قضى من لباناتِ الصُّبا وطراً ولا تنزّه في روضٍ من الجذَلِ
وعاذلين رأوا أني على خطأ كما رأيتُ بأنَّ القومَ في خطلٍ
هل أنكروا غير تهيامي بغانيةٍ سكرى من الدلّ أو ألحاظها النجلِ
ما زال يحجبها الغيرانُ مذ نشأتُ لو غيرَها حجب الغيران لم أبُلِ [١١٩ب]
في كلّةٍ سيراءٍ تنقي نظري يا أيّها الناسُ حتى الظلمُ في الكللِ
من لي به حيثُ لا نخشى مراقبةً ولا نبيتُ من الواشي على وجلِ
في ليلةٍ لا يلي المربخُ مدتها ولا نقيمُ بها إلا على زحلِ

١ ديوان أبي تمام ٣ : ١٩٥ .

٢ الديوان : رأيها .

٣ م س : قصيدة .

أما الرياض^١ فقد أمهرتها قدحاً من المدام نكاحاً ليس فيه ولي
عقيقة في يدي سالت وأشربها لو شُعِشِعَتْ بسجايا الدهر لم تسيل
وله من أخرى :

كيف صبري على الكؤوس إذا ما عثر الروض في ذيول النسيم
وهذا من المقلوب : إنما يعثر النسيم في ذيول الروض . فإن ذهب به
أبو بكر مذهب الأخطل في قوله^٢ :

• أَوْ بَلَغَتْ سَوَاتِيهِمْ هَجَرُ •

وشبهه فأبو بكر ممتن لا يتهم أدبه . ولا يُعْجَمُ نبعه ولا غَرَبُهُ .

رجع :

وقال :

ورنا نرجس ^٣ الربى بعيون	وجلا الورد ^٤ عن محيّا وسيم
وبدا مِعْصَمُ الخليج فخطت	فوقه ^٥ الريح أسطراً من وشوم
سوف تدري الهموم ^٦ آية راح	أخذت من أرواحنا والجسوم
بنت دن رعت ^٧ ببيداء نفسي	فهي تعدو به كعدو الظليم
كرممت ^٨ في حداث غرسوها	لكرام فسميت بالكروم

١ م س : الليالي .

٢ ديوان الأخطل : ١١٠ وأول البيت : « على العيارات هداجون قد بلغت : نجران أو ... الخ

٣ م س : ريق .

٤ م س : كرامة .

طُفْتُ بِالْأَيْكِ فَاسْتَهَلَّتْ دُمُوعِي لِحَمَامٍ تَبْكِي فِرَاقَ حَمِيمٍ
تَتَغَنَّى الثَّقِيلَ حَتَّى كَانَ قَدْ نَشَرَ اللَّهُ مَعْبَدًا مِنْ رَمِيمٍ
عَجْمَةٌ أَعْرَبْتُ بِوَجْدٍ دَقِيقٍ وَكَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ

قال ابن بسّام : لو لم يتجاوز معبد الثقل إلى سواه ، لكان لأبي بكر ما
ادّعاه ، وقرب منه ما تكلفه وتعاطاه ، وأسحّر منه وأولى بالحكمة وفصل
الخطاب ، أبو العلاء حيث يقول ، يصف الأبل^١ :

كَانَ الْمَثَانِي وَالْمَثَالَتَ بِالضَّحَى تَجَاوَبُ فِي غَيْدٍ رُفِيعِنَ طَوَالِ^٢
كَانَ ثَقِيلًا أَوَّلًا تَزْدَهَى بِهِ ضُمَائِرُ قَوْمٍ فِي الْخُطُوبِ ثَقَالِ

ولعمري لو شبه سَجَّعَ الحمام ، بخفائف الغريض وأهزاج حكم الوادي
لكان أحسن عبارة وأفتق إشارة .

وأما قوله : « كَلَامٌ مُقَطَّعٌ مِنْ كَلُومٍ » فأشفي للقلوب من اعتلال النسيم ،
وأحلى على الأكباد من محاورة الطرف السقيم .

وفي هذه القصيدة يقول أبو بكر :

أَوْضَعْتُ بِي إِلَيْهِ وَجَنَاءُ حَرْفٍ أَكَلَتْهَا السَّفَارُ أَكَلَ الْقَضِيمِ
تَرَكْتُ الرِّيحَ خَلْفَهَا وَهِيَ حَيْرَى بَيْنَ إِيْضَاعِهَا وَبَيْنَ الرَّسِيمِ
ظَلْتُ أَطْوِي الْقَفَارَ مِنْهَا بِلَامٍ طَبَعَتْهَا بِالْمِيمِ بَعْدَ الْمِيمِ

١ شروح السقط : ١١٨٨

٢ الفيد : الطوال الأعناق من الأبل .

٣ م : إثر .

فَاتَتْهُ^١ وَالْمَرُوءُ^١ قَدْ نَالَ مِنْهَا فِيهِ تَخْطُو عَلَى وَظِيفٍ رَثِيمٍ
وَقَلِيلًا^٢ تَمْتَعَتْ^٢ فِي الْفِيَا فِي بِسْنَامٍ كَالْعَارِضِ الْمَرْكُومِ
فَانْخَنَّا إِلَى فِنَاءٍ^٣ جَوَادٍ مَالُهُ^٣ نُهْبَةٌ^٣ لِكُلِّ عَدِيمٍ^٣
فَاكَلْنَا لُهَا^٤ أَكَلًا^٤ الضُّوَارِي وَشَرَبْنَا [...] شَرَبَ الْمِيمِ

أما تشبيههم الخليج بالمعصم ، فطريق لم يبق له ستر محرم إلا هتك ، ولا فيه موضع قدم [١٢٠] إلا سلك ، فمن أشهره مناراً ، وأبهره أنواراً ، قول ابن عمار :

رَوْضٌ كَانَ^٥ النَّهْرَ فِيهِ مَعْصَمٌ^٥ صَافٍ أَطْلَ عَلَى رِْدَاءٍ أَخْضَرَا

وقوله : « فسميت بالكروم » يشبه لفظه لفظ بيت المعري ، وبينهما من البعد ، ما بين الدرة والحجر الصلد ، المعري أثبت فيه قدماً ، وأمس رحماً ، حيث يقول :

وَأَنْتَ أَبُوهَا إِنْ غَدَتْ كَرْمِيَّةٌ^٦ وَإِنْ سَكَنْتَ رَاءَ فَوَالِدِهَا الْكَرْمِ^٦

وذكرت بقوله : « بلام » ، طبعتها بالميم بعد الميم ، قول ابن الرومي في جهة أخرى :

١ ط د : والمرء والمرء : المجارة .

٢ هذا البيت والذي يليه لم يردا في م س .

٣ سقطت في ط ، وموضعها في د : « الماء » .

٤ انظر ما تقدم ص : ٣٨٢ .

٥ شروح السقط : ١١٥٠ .

٦ شروح السقط : كرم .

يا أخا النحر والمقدم فيه ليم تَرى اللام أدغمت في الميم

وكتب خلف الأحمر إلى بعض المؤدين :

أترك في الحلال مشقّ صادٍ وتأتي في الحرام مشقّ ميم

وذكر الثعالبي^٢ أنه كان للقاضي عليّ التنوخي غلامٌ وسيمٌ ، اسمه نسيم ، وكان يؤثره على سائر غلمانه ، ويخصّه بتقريبه واستخدامه ، فكتب إليه بعض إخوانه يداعبه :

هل عليّ لامه مُدغمٌ لا اضطرار الشعر في ميم نسيم

فوقع تحت : نعم وكيم لا ؟ !

وقال أبو بكر من قصيدة :

واحرّ قلبي من خليط زائل	صبري على آثاره سيزول
زمت له قلص يارين الصبا	ولربّما سبق الهبوب ذميل
هم فارقوك وحمّلك من الأمسى	ما ليس يحمل شامة وطفيل
زرعوا بقلبك حبة ، ونباته	برح الجوى ، لا لإذخر وجليل ^٣

١ ط : لم تر ؛ م س : لن ترى .

٢ اليتيمة ٢ : ٣٣٦

٣ في هذا البيت والذي قبله إشارة إلى قول بلال بن رباح مؤذن الرسول (ص) :

ألا ليت شعري هل أبين ليلة بوادٍ وحولي إذخر وجليل
وهل أردن يوماً مياه مجنة وهل يبدون لي شامة وطفيل
وشامة وطفيل : جبلان قرب مكة .

شيعتُهُمْ متوجَّهينَ وأدعني حدَّرَ الفراقِ سوافحٌ وهمول
ونظرتُ في تلك الحدوجِ وطيبها غزلانُ وجرةٌ أهيفٌ وكحيل

وقال من أخرى :

لا تحملني على التسويف في هبة فيلتقي فرحي فيها مع الأسفِ
ليس اعتذارك بالأشغالِ أقبلهُ فان شغلكَ بي أدنى إلى الشرفِ

وهذا كقول الأول^١ :

ولا تعتذرُ بالشغلِ يوماً فإنَّما تُنَاطُ بك الآمالُ ما اتصل الشغلُ

وقال أبو حاتم الحجاري^٢ :

إني لأعلم أن شغلك بالعلأ والمجد فاجعني من الأشغال

وقال أبو بكر من قصيدة^٣ :

عليك أبا عبد الإله خلعتها لها البدرُ طوقٌ والنجومُ دلائلُ
وما هي إلاَّ الدهرُ في طولِ عمرها وإن لم يكن فيها الضحى والأصائلُ

قال ابن بسام^٤ : ويا لهذا البيت ما أحسنَ مذهبَه، وأبدعَ متواه^٥.

١ انظر الإمتاع والمؤانسة ٣ : ٢٢٩ والبصائر ١/٢ : ١٥٩ وزهر الآداب : ٢٨٦ وريبع

الأبرار : ٢٥٨ ب (نسخة برنستون) .

٢ انظر الذخيرة ٣ : ٦٦٣ ؛ وسقط قول الحجاري من ط د .

٣ البيتان في تمام المتن : ٢٨٩ .

٤ قال ابن بسام : سقطت من ط د .

٥ ط د : متواه .

وَمُنْقَلَبَهُ ، إلا أنه أتى بالدهر مسلوب الضحى والأصائل ، فلم يزدْ على أن جلاه في أيّ عاطل ، لا بل أبرزه في مُسوحِ شوهاءٍ ثاكل ، ولبت شعري أيّ شيء أبقى للدهر المظلوم ، بعد ضحاه الناصعة الأديم ، وآصاله المعتلة النسيم ؟ هل بقي إلا ليله الأسود الجلباب [١٢٠ب] وهجير السائل اللعاب؟! ولو قال لمدوحه : « وتلك العلا فيها الضحى والأصائل »^١ لأبرز قصيدته رفاة البرود ، شفاة العقود ، ولأفاد ممدوحه بهذه الكلمة مدحاً لا يسعه المقال ، ولا تفي به القصائد الطوال .

وله من أخرى :

وما أكثرُ الأقوامِ إلّا ثعالبٌ تروغُ ولا يُحُلّي لديها بطائلِ
يردّونَ ذهني حائراً في طباعهمْ كأنهمْ من مُشكلاتِ المسائلِ
وأصغي إلى أقوالِهِمْ فتَربّيني صدورٌ لهمْ أقويّنَ مثلَ المنازلِ

وقال :

خُذْهَا على وجهِ الربيعِ المُخَصَّبِ لم يقضِ حقَّ الروضِ من لم يشربِ
هممي سماءُ علاٍّ وهمّي ماردٌ فارجمهُ من تلكِ الكؤوسِ بكوكبِ
والله ما أدري وإني واقفٌ للراحِ بين تحيرٍ وتعجبِ
أفضضت دنأ أم فككت الخدرَ عن بكريّ تجولُ مع المنى في ملعبِ
أخت الزمانِ تَكَسَّبَتْ^٢ من خلقه جهلَ المراهقِ واحتاكِ الأشيبِ

وله من أخرى :

١ قارن هذا بما اقترحه الصفدي من تغيير (تمام المتون : ٢٨٩ - ٢٩٠) .

٢ ط د : تكشفت .

مُسَوِّمةٌ تحكي سنايِكُها الصِّفَا
نَمَتْها إلى حُرٍّ كَرِيمٍ^١ صِفَاتُها
ومتنا :

دَخَلْتُ عليها خِيمةً شَرَفَاتُها
فَقَالَتْ : أَلَسَ^٢ قُلْتُ : بَلْ ذَوِصَرَامَةٍ
إِلَيْكَ شَفَقْتُ اللَّيْلَ كَالسَّيْلِ يَرْتَمِي
فَقَالَتْ : أَقِمْ^٣ عِنْدِي لِكَالْوَصْلِ كَامِلًا
ومن قوله^٤ :

عَاطِيَتُهُ وَاللَّيْلُ يَسْحَبُ ذَيْلَهُ
حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سِنَةُ الْكَرِيِّ
زَحْزَحَتْهُ^٥ عَنْ أَضْلَعِ تَشْتَاقِهِ
صَهْبَاءَ كَالْمَسْكِ الذَّكِيِّ^٦ لِنَاشِقِ
بَاعَدَتْهُ شَيْئًا ، وَكَانَ مَعَانِقِي
كِي لَا يَنَامُ عَلَى وَسَادِ خَافِقِ

١ س م : التجار .

٢ ط د : وأغادها ؛ م س : وأعهدا .

٣ م س : وأخطب .

٤ س م : أفق .

٥ انفردت س م بهذه المقطوعة ، وهي من قصيدة اشتهرت عند المشاركة ، ووجدت استحساناً ومعارضات ، ومنها بيت في القسم الأول من الذخيرة : ٨٢٢ وقد ذكرت بعض مصادرها هناك ويضاف إليها : الرايات : ٤٨ (غ) والمساك : ٢٨٠ ورفع الحجب : ١ : ٥٩ ومعاهد التنصيص : ٣ : ٨٠ والقلائد : ٢٧٩ ومطلعها في المقتضب من تحفة القادم : ٨٤ . وانظر أيضاً نفع الطيب : ٣ : ٢٠٩ والفيت : ١ : ١٨٦ والمسلك السهل : ٣٢٩ .

٦ في أكثر المصادر : الفتيق .

٧ في رواية : باعدته .

في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشتمري^١

قال ابن بسّام : وأبو الحسن هذا سهل الكلام ، بارع النظام ، ممّن اغترف من بحر الكلام بكلتا يديه ، وجذب ثوبَ البيان من كلا طرفيه ؛ جدّه^٢ لأمه أبو الحسن بن الاستجعي المتقدّم الذكر^٣ ، فأما سلفه^٤ من قبل أبيه فقد اتخذ لهم الزمان بُرَيْهَةً^٥ ، وهينمَ بأسمائهم هنيهة ، بشتُمريّة الغرب إلى أن نَبّه الدهرُ الغافلُ على^٦ أمرهم^٧ ، وأسكت من ذكرهم ، على يدي المعتضد عباد بن محمد مُخلي الأوطان ، وملحق الأقران بالأقران ؛ وقد ذكر ابن حيان ذلك ، وألمت أنا بطرف مما وقع لهم معه هنالك .

ومن شعرا أبي الحسن المعرب عن أدبه ، والشاهد لما وصفته به ، قوله :
يصف صدودَ غلامٍ كان له به كَلَفٌ^٨ :

عادتُ إلى أديانها هَيْفُ^٩ واطَّردَ الإسرافُ والحيْفُ

١ هو علي بن محمد بن سعيد بن هارون ، وقد كان أهله يحكمون في شتمرية الغرب حتى انتزعها منهم المعتضد بن عباد سنة ٤٤٤ (انظر الحلة السيرة ٢ : ١٧ - ٢٠ والمغرب ١ : ٣٩٥ والمساك ١١ : ٤٣٨) .

٢ انظر ص : ٢٠٠ من هذا القسم .

٣ ط د : عن .

٤ الحلة ٢ : ١٩ .

٥ من المثل : ذهبت هيف لأديانها (المسكري ١ : ٦٠ تحقيق أبو الفضل ، وفصل المقال :

٣١٣ والميداني ١ : ١٨٧) يضرب مثلا لركوب الرجل رأسه ، والهيْف : الريح الحارة ؛

الأديان : العادات .

وامتنع الأصْبغُ من وصلنا وزاد حتى امتنع الطيف
 شتمريُّ الأفقِ^١ غريبه وربما حَنَّ له الخيف
 ذو لحظةٍ إن لم تكن^٢ في الحشا ربحاً وإلا ففهي السيف
 وأنشدت له^٣ :

يا ليلةَ العيدِ عُدَّتِ ثانيةً وعاد إحسانك الذي أذكُرُ [أ١٢١]
 إذ أقبل الناسُ ينظرون إلى هلاكِ التَضَوِّ ناحلاً^٤ أصفر
 وفيهمُ من أحبَّه وأنا أنظره في السماءِ إذ ينظره
 فقلتُ لا مؤمناً بقولي بل معرّضاً للكلام لا أكثر
 أثرَ شهرِ الصيام فيك أبا حمدي قال لي وما أثر
 بل أثر اليوم في هلالكم هذا الذي لا يكادُ أن يظهر
 وقال^٥ :

وحديقةٍ شَرِقَتْ بغمر^٦ نيرها يحكي صفاءَ الجوّ صَفَوُ غديرها
 تُجْزِي المياهِ بها أسودٌ أَحْكِمَتْ من خالصِ العقيانِ في تصويرها
 وكأنها أسدُ الشرى في شكلها وكأنَّ وقع الماء صوتُ زئيرها

١ س م والحلة : القطر .

٢ انظر الحلة ٢ : ١٩

٣ في النسخ : ناحل .

٤ س م : انظر وهو في السماء ينظر .

٥ الحلة ٢ : ٢٠ والمسالك والمغرب .

٦ ط د : بغير ؛ الحلة : بعد ؛ وما أثبتته رواية م والمغرب ؛ وفي س : شربت بغمر .

وقال ^١ :

انظر إلى ثابتٍ على طِرفِهِ قد سلَّ سيفَ المنونِ من طِرفِهِ
وهزَّ من قدَّهِ لواءَ ردَى يُدْني الصحيحَ السليمَ من حَتَفِهِ
يطوفُ بالحجِّ ^٢ مِنْهُ بدر دجى على جوادٍ كالبرقِ في خَطَفِهِ
يكادُ من لينِهِ ونعمَتِهِ يُعَقِّدُ عَقَدَ العنانِ في نصفِهِ
فلا ترى غيرَ باهتٍ فَرَق بين يديه منّا ومن خلفِهِ
ومن مشيرٍ له باصْبَعِهِ ومعلنٍ بالسَّلامِ من كَفِّهِ

فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء ،

ممن نشأ في المدة ^٣ المؤرخة بحضرة بطليوس ،

وسائر بلاد البحر المحيط الرومي ^٤ ،

والأخذ بطرف من نوادر أخبارهم ، وشوارد أشعارهم .

قال ابن بسام : قد قدِّمت في صدر هذا القسم أنَّ هذا الجانب الغربي
من الجزيرة ، لأوَّل تلك الفتنة المبيدة ^٥ ، الواقعة بقرطبة في آخر دولة بني ^٦
عامر ، اشتمل على بيتي حسب : وجمهوري أدب : مملكتان من لحم ونجيب ،

١ منها أربعة أبيات في المسالك

٢ كذا في الأصول .

٣ المدة : سقطت من ط د .

٤ زاد في م س : والأندلس .

٥ م س : المنيعة .

٦ ط د س : ابن أبي .

فَوَقَدَ عَلَيْهِ لَدَلِك كُلُّ أَدِيبٍ ، وَاسْتَوْطَنَهُ كُلُّ أَعْرَاجٍ نَجِيبٍ . وَقد جُثْتُ بِجَمَلَةٍ
مَوْفُورَةٍ ، لَطَوَائِفَ كَثِيرَةٍ ، وَجَمَاعَةٍ أَعْدَادٍ ، كَانُوا بِدَوْلَةِ بَنِي عَبَادٍ ، مِنْ
أَرْبَابِ هَذَا الشَّانِ ، فَلَنَذْكُرَ الْآنَ مِنْ نَشْأٍ مِنْ أَرْبَابِ الْمَثُورِ وَالْمَنْظُومِ ، بِعَمْرِ
هَذَا الْإِقْلِيمِ ، وَلَنَقْدَمَ مِنْهُمْ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الزَّمَانِ .

وقاعدة بلاد هذا الساحل من الجانب الغربي بطليوس ، ورئيسها في أكثر
المدة المؤرخة — كان — .

المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الألفطس^١

أديب ملوك عصره غير مدافع ولا منازع ، وله التصنيف الرائق والتأليف
الفائق ، المترجم بـ « التذكرة » ، والمشتهر اسمه أيضاً بـ « كتاب المظفر »^٢ ، في خمسين
مجلدة ، يشتمل على علوم وفنون من مغاز وسيير ، ومثكل وخبر ، وجميع

١ جد بني الألفطس عبد الله بن محمد بن مسلمة — فيما يقول ابن حيان — من فحوص البلوط
وكان من أهل المعرفة والدعاه والسياسة ، استطاع أن يملك بلاد غرب الأندلس : بطليوس
وشترين والأشبونة وتوفي سنة ٤٣٧ هـ فخلفه ابنه محمد الملقب بالمظفر وكان أديباً
عالماً ، وأقام ملكاً عظيماً بالشر الحوفي ضامى فيه ابن عباد وابن ذي النون ، وكانت بين
هؤلاء حروب وغارات ، وقد كان محمد المظفر يدفع الاتاوة للأذفونش ، وبقي في حكمه
حتى سنة ٤٥٦ هـ (انظر البيان المغرب ٣ : ٢٣٦ والحلة ٢ : ٩٦ والمغرب ١ : ٣٦٤ والتكملة
٣٩٣) وفيه نقل عن الذخيرة) وأصالح الاعلام : ٢١٢ وصفحات متفرقة من نفع
الطيب وتاريخ ابن خلدون ٤ : ١٥٩ وابن الأثير ٩ : ٢٨٨ والمعجب : ١٢٧ وشرح
البسامة ودوزي Spanish Islam : ٦٣٤ وابن خلكان ٧ : ١٢٣) .

٢ المشهور فيه : « المظفري » وكذلك هو في التكملة ويقال إنه لم يستمن فيه بأحد من العلماء إلا
بكاتبه أبي عثمان سعيد بن خيرة (البيان المغرب ٣ : ٢٣٦) وفي م س : بكتاب ابن المظفر .

ما يختص^١ به علم الأدب ، أبقاه^١ في الناس خالداً . وليس بمعدود في الشعراء والكتاب ، فأفرد له فصلاً من هذا الكتاب ، ولو كان مجموعنا هذا في طبقات العلماء ، لكان قطبَ أفقه ، وغايةَ طَلِّقه . وكان ينكر الشعر على قائله في زمانه ، ويفيلُ رأيَ مَنْ ارْتسمَ في ديوانه ؛ حدثني من سمعه يقول : من لم يكن^٢ شعره [١٢١ ب] مثلَ شعر المتنبي أو شعر المعري فليسكت^٣ ، لا يرضى بدون ذلك .

وقد ذكر أبو مروان بن حيان خبره في جملة ما شرح من قصص ملوك الطوائف في ذلك الأوان ، وشرح كيف غرَّ سراًبهم^٤ ، وطَنَّ ذبابهم ، فقال^٥ : كان عبد الله بن مسلمة رجلاً من مكناسة ، وكان سابور العامري أحدُ صبيانِ فائقِ الخادم ، ففى الحكم ، قد انترى بيطليوس وثغر الغرب من عمل الحاجب ابن ميتويه^٦ ، فصجبه عبد الله وظاهره^٧ ، ورمى إليه بأمره ، فدبَّر أعماله وتزَيَّد في الغلبة عليه ، حتى صار كالمستبد^٨ به ، فلما هلك سابور ورث سلطانهُ بعده ، فاستولى على الأمور وتلقب بالمنصور ، ثم أفضى الأمرُ لابنه محمد وتلقب بالمظفر .

قال ابن حيان : ومن النادر الغريب انتماؤه في نجيب ، وبهذه النسبة مدحته الشعراءُ إلى آخرِ وقته^٩ ، منهم ابن شرف القيرواني حيث يقول^{١٠} :

١ م س : أبقاه الله .

٢ النص في الحلة ٢ : ٩٦ وانظر البيان المغرب ٣ : ٢٢٧ .

٣ ط م د س : مينويه .

٤ م س : وصاهره .

٥ انظر أبياتاً منها في المسالك ١١ : ٢٤٠ .

يا ملكاً أُنسَتْ نجيبٌ به تحسد قحطانَ عليه نزارُ
لولاك لم تشرفَ معدٌ بها جلَّ أبو ذرٌ فجَلَّتْ غفارُ

انتهى كلام ابن حيان .

قال ابنُ بسّام : وأوَّلُ قصيدة ابنِ شرف هذه في المظفر قوله ^١ :

زار وقد شمَّرَ فَضْلَ الإزارِ	جُنَحَ ظلامٍ جانحٍ للفرارِ
وروضةُ الأنجمِ قد صَوَّحَتْ	والفجرُ قد فَجَّرَ نَهْرَ النهارِ
قلت له : أهلاً بطيف دنا	من نازحِ الدارِ بعيدِ المزارِ ^٢
كيف خطوتَ الشرَّ ثم الشرى	وابنى هلالٍ والقنا والشِّقارِ
أصهوة الغبراء أم داحساً	ركبتَ حتى خُضَّتْ ذاك الغمارِ
وجئتَ بالخطارِ أم أعوجِ	جنيبةً معتدَّةً ^٣ للخطارِ
وهل تقلدتَ لدفعِ الردى	حمائلَ الصمصامِ أم ذي الفقارِ
وأنت زيدُ الخيلِ أم عامرٌ ^٤	ومالك بن الربيعِ أم ذو الحمارِ
فقال لا هذا ولا ذا ولا	بل كنتُ عنهم قمرأً في سرارِ

ومنها :

١ قوله : سقطت من م س .

٢ قبل هذا البيت في س م ط : ومنها .

٣ م س : معدة .

٤ المسالك : الأذى .

٥ عامر بن مالك أبو براء ملاعب الأتة أو عامر بن الطفيل .

٦ ذو الحمار : لقب عوف بن الربيع ذي الرمحين (التاج : خمر) ، وانظر فيما يلي (ص :

٦٤٦) تعليق ابن بسام فهو خطأ ، لأن الإشارة هنا إلى فارس لا إلى فرس .

سيري فلم نَقْدِفْكَ في مجهل
حيث علوق^٢ العلم مطلوبة^٣
خذها أبا بكر غريبة^٤
ليست من الشعر القصير الخطي
قدّمته قبل قدومي كما
ولا ضربنا بكِ ضَرْبَ القمار^١
يوافقُ السوقَ كرامُ التجار
سرى بها الودُّ إليكم وطار
ولا من المسروقِ والمستعار
قدّمَتِ الحُجَّاجُ رميَ الجمار

ومنها :

أقمتَ للعلم مناراً وما
فما نداماك سوى أهله
مَيِّزُكَ ميزانُ عقولِ الورى
تبدو لك الهجنةُ في لحظة
من لفظهم تعرّف ما هم وفي
فما رأيتك العينُ تصغي إلى
أظنُّ في الدنيا لعلَّ منار
وكلُّهم بين ندامى العقار
وفهمك العدلُ لكل عيار
وتعرفُ الأسنانَ قبل الفِرار
جحفلة العائِرِ يبدو العثار
مُحال^٣ عجلِ سامري الخوار^١ [١٢٢]

وكان ابن شرف كتب بهذه القصيدة من طليطلة إليه . فوصله بمائه مثقال
من ضرب السكّة لديه .

قوله : « زار وقد شمر فضل الإزار ، جنح ظلام » أشار إلى أنه زار
آخر الليل كما قال أبو تمام^٤ :

١ من قول أبي الطيب :

ضربنا بها التيه ضرب القمار فإما هذا وإما لذا

٢ ط د : علوم .

٣ في النسخ : مجال .

٤ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٥

زار الخيال له^١ لا بل أزاركه^٢ فكر^٣ إذا نام فكر^٤ الخلو لم ينم^٥
طبي^٦ تقنصته^٧ لما نصبت^٨ له في آخر الليل أشراكاً من الحلم

وقد عاب الآمدي هذا عليه فقال^٩ : وإذا زاره بالفكر فقد زار ، فلا
معنى للاستدراك ؛ ثم اعتذر له فقال : الاستدراك صحيح لأنه إذا قال زار
الخيال احتمل زيارة الاختيار ، من غير بعث^{١٠} باعث ، واحتمل وقوع الزيارة
عن حمل^{١١} حامل ، فأزال هو^{١٢} الإبهام بقوله : « لا بل أزاركه فكر » ؛
وقوله : « لم ينم » لم يرد حقيقة النوم بل كما يقال : لم ينم فلان^{١٣} عن هذا
الأمر . وقال : « آخر الليل » ولم يقل^{١٤} أوله ، لأنه أنبأ أنه يسهر ، وإنما يهوم^{١٥}
في آخره تهوياً فطرقة الخيال في ذلك الوقت ؛ وقيل وجه آخر ، وهو أن
الخيال لا يطرق في العادة إلا^{١٦} مع وفود النوم ، وهذا إنما يكون في آخر الليل
مع استمرار النوم وطول زمانه .

وقال أبو الطيب^{١٧} :

لا الحلم^{١٨} جاد به ولا بمثاله^{١٩} لولا ادكار^{٢٠} وداعه وزرياله^{٢١}
إن^{٢٢} المعبد لنا المنام^{٢٣} خياله^{٢٤} كانت إعادته^{٢٥} خيال^{٢٦} خياله

يقول : التمثيل والتخييل له في اليقظة إعادة خياله في المنام ، فكأن الخيال
الذي في النوم خيال^{٢٧} الخيال الذي تصور في اليقظة ؛ وأظهر من هذا قول أبي

١ الديوان : لها .

٢ الموازنة ٢ : ١٦٧ وفي النص اختلاف كثير .

٣ م س : هذا .

٤ ديوان المتنبي : ٢٧٤ .

تمام المتقدم^١ ، وإنما أخذه من قول جبران العود^٢ :

حييتُ طيفك من زورٍ ألم^٣ به حديثُ نفسك عنه وهو مشغولُ

فقوله : « وهو مشغول » أي لم يزر على الحقيقة ، فبنى حبيب من هذا
قوله : « وما زارك الخيال »^٤ ، وبنى من قوله : « حديث نفسك » قوله :
« ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال »^٥ .

وقال الكمي^٦ :

ولما انتهتُ وجدتُ الخيالَ أمانِيَّ نفسٍ وأفكارَها

وقد أعاد حبيب لفظ جبران العود فقال^٧ :

استرارته فكرتي في المنام فأتاني في خفية واكتنام
يا لها لذة تنزّهت الأر واح فيها سرّاً من الأجسام
محاسن لم يكن لنا فيه عيب غير أننا في دعوة الأحلام

١ المتقدم : سقطت من م س .

٢ - الموازنة ٢ : ١٦٨ وديوانه : ٥٥ وحماسة ابن الشجري : ١٧٧ .

٣ الموازنة : أهلاً بطيفك . . . أتاك به ؛ الديوان : سقياً لطيفك .

٤ ط م س : طيف الخيال ، وهو خطأ ، انظر التعليق التالي .

٥ الإشارة هنا إلى بيتين لأبي تمام حذفهما ابن بسام أو سقطا من النسخ ، وأوردهما الأملدي ،
وهما :

عادك الزور ليلة الرمل من رملة بين الحمى وبين المطالي

ثم فما زارك الخيال ولكنك بالفكر زرت طيف الخيال

٦ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوانه ١ : ٣٢٣

٧ الموازنة ٢ : ١٦٩ وديوان أبي تمام ٤ : ٢٦٢

وعيب عليه « دعوة الأحلام » ، لأنها من ألفاظ العوام ، وصفة طيف الخيال باب ممتد الأطناب ، لا يتسع له عرض هذا الكتاب .

وقول ابن شرف : « وأنت زيد الخيل أم عامر ... البيت ، أراه مما وهم فيه ، وذو الحمار فرس مالك بن نويرة ، حكاه المبرد^١ وأنشد قول جرير^٢ :
عتيبة والأحيمر وابن عمرو
وعتّاب وفارس ذي الحمار

جملة من نثر المتوكل وشعره^٣

من ذلك رقعة خاطب بها وزيره أبا الوليد بن الحضرمي^٤ وقد صرفه عن خدمته قال فيها : ولما رأيت الأمر قد ضاع والإدبار قد انتشر وذاع ، أشفقت من التلف ، وعدلت إلى ما يُعقِبُنَا - إن شاء الله - بالخلف ، وأقبلت أستدفعُ مواقع أنسي . وأشهد ما ضيّعتهُ بنفسي . فلم [١٢٢ ب] أر إلاّ لحجاً قد تورطتها ، وغمرات قد توسّطتها^٥ ، فشرمت عن الساق

١ انظر الكامل ٣ : ٤٠٠ وفرس مالك يعرف حقاً بذو الحمار ، ولكن ابن شرف لم يقع في الوهم ، كما ظن ابن بسام ، إذ أن « ذو الحمار » أيضاً لقب عوف بن الربيع ، كما تقدم ص : ٦٤٢ وكان يحارب في خمار امرأته ، فإذا سئل المطعون : من طعنك ؟ قال : ذو الحمار .
٢ ديوان جرير : ٨٥٥ .

٣ هو عمر بن مظفر محمد الذي حاصره المرابطون في بطليوس وقتل هو وابناه ذبحاً سنة ٤٨٧ .
(انظر الحلقة ٢ : ٩٦ والمعجب : ١٢٧ وأعمال الاعلام : ١٨٥ والقلائد : ٣٦ والمغرب : ١ : ٣٦٤ والفوات : ٣ : ١٥٥ والخريدة : ٣ : ٣٥٦ والنفع : ١ : ٦٦٣ « نقلا عن القلائد » .

٤ انظر التعريف به فيما تقدم ص : ٣٩١

٥ م س : غرقتها .

للتجتها ، وخدمت النفس بمهجتها^١ ، حتى خُضَّتُ البحر الذي أدخلني رأيتك^٢ ،
 ووطئت^٣ الساحل الذي كاد يحولُ بيني وبينه فعلك ، فنَنَفَسَكَ لَمْ ،
 وبسوء صنيعها أَلَمِمَ^٤ واعتصم^٥ ، وإن مَتَتَ بِجَمِيلِ اعتقاد ، ومحضِ وداد ،
 فأنا مَقَرُّ بِذِكْرِهِ^٦ ، معترف بقله وكُثْرِهِ^٧ ، لكنك كنتَ كالمثل السائر :
 « شوى أخوك حتى إذا أنْضَجَ رَمَدَ^٨ »^٩ حتى أطمعتَ فيَّ العدوَّ ، ولبستَ
 لأهلِ حضرتي الاستكبارَ والعنوّ . واستهنتَ بجيرانك ، وتوهَّمتَ أنَّ
 المروءةَ التَّرامُ زَهْوِكَ وتعظيمُ شأنك ، حتى أخرجتَ النفوسَ عليَّ^{١٠} وعليك^{١١} ،
 فانجذب مكرهه ذلك إليك ، ومع ذلك فليس لك عندي إلا حفظُ الحاشية ،
 وإكرامُ الغاشية .

واتصل بالمتوكل أيامَ سلطانه بيابرة^{١٢} أنه قد حَ فيه ، بمجلس المنصور
 يحيى أخيه^{١٣} ، فكتب إليه : كلُّ صديقٍ - أيدُّك الله - إذا خاطبَ صديقه ،

١ ط د : مهجتها .

٢ م : وواطيت ؛ س : وواطأت .

٣ م س : ألم .

٤ ط د : بغره ؛ وفي م س : مقر بذكره .

٥ د : بقلك وكثرك ؛ ط : بقله وكثرك .

٦ فصل المقال ١ : ٢٤٣ يضرب لمن يفسد اصطناعه بالمن .

٧ وطليك : سقطت من ط .

٨ ط د : بياورة (اقرأ : بياورة) ؛ وبيابرة (Evora) بلدة في جنوب البرتغال (الروض
 المطار ، الترجمة الفرنسية : ٢٣٩) .

٩ تولى يحيى الملك في بطليوس بعد أبيه المظفر سنة ٥٦٤ وتلقب بالمنصور ، أما المتوكل فأعطي
 بيابرة .

فأعربُ ما يُطَنَّبُ به عليه، ويسهبُ فيه لديه ^١ ، أن يقول: أنا كأخيك ،
 محبةً فيك ، فإذا كتبت إليك : فأني غريبة أوردُ عليك ؟ ونحن منتهى كُتُبِ
 المتخاطبين ^٢ ، وغاية آمال المتحابين ؟ ! غير أنه جرى في ناديك — لا زال
 معموراً بمعاليك — أنني أبيع ^٣ الأحرارَ والحرائرَ، وأستصغر المعاصي ^٤ والكبائرَ،
 واللهُ نَزَّهني عن هذا وأبعدني عنه، فلا قدرةَ لبشرٍ أن ينطه ^٥ بي ويدنيني منه.

ثم ختم الرقعة إليه بشعر أثبتناه : على ما ذكرناه : من رواية أشعارِ الحلقة
 والأعيان ، على قدم الزمان ، وهو ^٦ :

فما بالهُم ^٧ لا أنعمَ اللهُ بالهم	يُسيطون ^٨ بي ذمّاً وقد علموا فضلي
يسيئون في القولَ جهلاً وضلّةً	ولاني لأرجو أن يسوءهم ^٩ فعلي
طعامٌ لثامٌ أو ^{١٠} كرامٌ بزعمهم	سواسية ما أشبه الحولَ بالقبُل
لئن كان حقاً ما أذاعوا فلاخطت ^{١١}	إلى غايةِ العلياءِ من بعدها رجلي

١ م س : عليك . . . لديك .

٢ ط د س : المخاطبين .

٣ م : أني أسمع .

٤ ط د : الصغائر .

٥ ط : يلطه (اقرأ : يلطه) .

٦ الحلقة ٢ : ١٠٤ والفوات ٣ : ١٥٦ والقلائد : ٤٠ والخريدة ٣ : ٣٥٧

٧ م س : فما لهم .

٨ الحلقة : ينوطون .

٩ ط د : يسيئهم .

١٠ م س : طعام ليال أم .

١١ القلائد والخريدة والفوات : فلا مشت .

ولم ألقِ أضيافي بوجهٍ طلاقه
وكيف وراحي درسُ كلِّ غريبةٍ
ولي خلقتُ في السُّخْطِ كالشري طعمه
« وإني وإن كنتُ الأخيرَ زمانه »
وما أنا إلا البدرُ تنبجُ^١ نوره
فيا أيُّها الساقى أخاه على النوى
لنطفىء^٢ نارا أضرمتُ في نفوسنا
ألسْتُ الذي أصفاك قديماً وداده
وصيرك الذُّخْرَ الغيْطَ لدهره
وقد كنت تُشْكيني إذا جئتُ شاكباً

ولم أُنحِ العافين^١ في زمن المحل
وَوَرَدُ التقى شمي وحرب العدا نقلي
وعند الرضى أحلى جنى من جنى النحل
لآت بما أعيَا الصناديدَ من قبلي
كلابُ عِدَى تأوي اضطراباً إلى ظلي
كثوس القلى مهلاً رويدك بالعل^٢
فمثلي^٣ لا يُقلى ومثلك لا يقلى
وألقى إليك الأمرَ في الكثيرِ والقلى^٤
ومن لي ذخرأ غيرك اليوم لا من لي
فقل لي لمن أشكو صنيعك بي قل لي^٥

نفثتُ - أيدك الله - نفثةَ مصدر انتهى الجفاء به^٦ متناه ، وبلغ به
أقصى مداه ، فان ظهر زللٌ ففضلك في ستره على المعهود منك قديم الزمان ،
لا على المنفصل عنك الآن ، والله يقلبُ القلوب ، ويصلح العيوب ، ويبلّغنا
الأمَلَ والمرغوبَ .

وقد ذكر ابن حيان بعض ما كان شجر بين المتوكل وأخيه في ذلك الأوان

-
- ١ الفوات : ولم أسخ للعافين .
 - ٢ م س : تلمح .
 - ٣ م س : لتطفئ .
 - ٤ ط د : فمثلك .
 - ٥ م س : يغلى . . . يغلى .
 - ٦ انفردت م س بإيراد هذا البيت .
 - ٧ م س : به الجفاء .

فقال : وفي صَدْرِ سنة إحدى وستين ، نشأ من تلقاءِ ثغر غربيّ الأندلس
 المتغور عارضٌ هم ضاعف الإشفاق ، وأكده التوقع بانكشاف خبر الاختلاف
 الواقع بين أميريه : يحيى وعمر ابني المظفر بن الأفطس ، [١٢٣ أ] واهتدى
 الطاغيةُ اذفونش بن فردلند المتمرس^١ بجماعة ملوك الطوائف بالأندلس ، إلى
 شبّ نارِ الفتنة بينهما كياداً للمسلمين^٢ ، فبدأ بالاعتلال على يحيى صاحب
 بطليوس منهما ، يسومه الزيادة في مال جزيته التي كان فارق أباه الهالك
 عليها بوساطة^٣ المأمون بن ذي النون بينهما ، فانتقض على هذا الغلام لوهي
 في جبلته ، وطماعية في إتيانه من قبل أخيه ، فأظهر له يحيى العجز عن الزيادة
 في الجزية ، فجرت بينه وبين الطاغية في ذلك خطوبٌ اعتدى^٤ بها بلد بطليوس
 وثره ثغوراً ، فأقام يحيى منهما على ولاية المأمون بن ذي النون وحليفه
 ورائته^٥ عن أبيه المظفر ، ومال أخوه عمر إلى المعتضد ، وتأثت بين هذين
 الأخوين في أثناء ذلك هدنة على دخن ، لم يتم معها أنس ولا تمكّنت لهما
 طمأنينة ، وما زالت السعاية تقدح بينهما نارَ العداوة . حتى أورت نارَ فتنة
 ضرمت^٦ البلاد ، وأجاحت الرعية ، وثلمت ثغرها وضاعفت البلية ؛
 انتهى كلام بن حيان .

قال ابن بسام : ثم استوسق الأمر للمتوكل بموت يحيى أخيه^٧ ، وحصلت

١ ط د : المتورس

٢ م س : للإسلام

٣ م س : بوساطة .

٤ م س : اعتدى .

٥ م س : وارثه .

٦ س : أضرمت .

٧ ط د : أخيه يحيى .

له جميع بلاد أبيه ، واحتل حاضرة بطليوس ، وجعل ابنه العباس في يابورة^١ واتفق أن خرج طلحة بن عبيد الله^٢ مستوحشاً عنه لأمر بلغه عنه ، ولحق ببلد المعتمد . فكتب العباس إلى أبيه معتذراً عن فراره ، ويقسم أنه ما خرج إلا باختياره . فأخبرني الوزير الكاتب أبو المطرف بن الدباغ قال : إني لمسائر المتوكل خارج حضرته ، بطليوس ، حين ورود تلك الرقعة من ابنه العباس عليه . فبلغ منه الضجر متناه . وتجاوز مداه ، واستدعى وهو على ظهر دابته دواة^٣ ، ووقع في ظهر الرقعة يومئذ فصلاً قال فيه — دون عنوان ولا دعاء ولا سلام . وأنا أتعجب في كتبه تلك الفقار ، مع فرط الضجر^٤ — : قبولي لتصلك من ذنوبك موجب لجراءك عليها ، وعودتك إليها ، واتصل بي ما كان من قبلك في خروج طلحة بن عبيد الله عنك ، ولم تثبت في أمره . ولا تحققت صحيح خبره ، حتى قرأ بنفسه عن أهله ووطنه . والعجلة من الشيطان . ولا يحمد قبل النضح ببحران . وهو الذي أوجه إعجابك بأمرك . وانفرادك برأيك ، ومتى لم ترجع إلى ما وعدت به من نفسك ، وصدرت به كتبك فأنا المريح والله نفسي من شغبك . وإن تكن الأخرى فهو لك الخط الأوفى . فاختر لنفسك أي الأمرين ترى .

وأخبرني الوزير أبو طالب بن غانم قال : لا أنسى والله خط المتوكل بهذين

١ م س : يابورة .

٢ م س : عبيد الله (حيثما وقع)

٣ فصلاً قال . . . الضجر : سقط من م س .

٤ ط : عودت به نفسك .

البيتين في ورقة^١ بَقْلَةَ الكرنب^٢ وقد كتب إلي^٣ بهما من بعض البساتين^٤:

انهض^٥ أبا طالب إلينا واسقط سقوطَ الندى علينا
فنحن عقد^٦ بغير وسطى^٧ ما لم تكن^٨ حاضراً لدينا

في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن^٩ ،

واجتلاب جملة مما بلغني من ترسيله

وكان أبو عبد الله محمد بن أيمن بأفقنا أعجوبة الدهر ، وفريد العصر ،
وفارس ميدان النظم والنثر ، اشتهر في حَمَلَةِ الأقلام ، اشتهارَ البدر في
السماء ، وتلاعبَ بغرائب الكلام ، تلاعبَ الأفعال [١٢٣ ب] بالأسماء .
ولما صرف المتوكلُ ذا الوزارتين أبا الوليد بن الحضرمي عن خدمته ، وقبض
يَدَهُ عما كان يتصرف فيه من تدبير دولته ، لم يفوض^{١٠} بعده إلى وزير ،
ولا ألقى إلى أحد بأزمة ذلك التدبير ، غير أن أبا عبد الله بن أيمن هذا كان
من وزرائه ، وصُحْبَتُهُ بمتزلة الرقيب من الحبيب ، لا يحظى بِشَرِّ بنوالة ،

١ في ورقة : سقطت من م س .

٢ ط : يقلب الكرنب ؛ د : بقلة الكرنب ؛ وانظر الحلة ٢ : ١٠٧ .

٣ القلائد : ٦ ؛ والمغرب : ١ : ٣٦٥ وأصوال الاعلام : ١٨٥ والحلة ٢ : ١٠٧ والنفع : ١ : ٦٦٦ ، ٣ : ٣٢٩ ؛ ٤ : ١٥٥ ونسبهما في الموضع الثاني إلى المعتصم بن صمادح ، وانظر بدائع البدائه : ٣٧٤ والمقتطف : ٣٢ والفوات : ٣ : ١٥٦ وفيه أن الوزير هو أبو غانم وهو يخاطبه بقوله : انهض أبا غانم الخ .

٤ انظر ترجمته في المغرب : ١ : ٣٦٦ وذكر المحقق هناك أن له ترجمة في مسالك الأبصار ٨ : ٣٣٢ .

ولا يطمعُ أحدٌ معه في وصاله ؛ ولما احتلَّ الوزير الكاتب أبو المطرف^١ ابن
الدبَّاغَ حضرة بطليوس - جسبما سنشرحه^٢ - خاف ابنُ أيمن أن
يمحوَّ سناه ، ويستولي على مداه ، فاشتعلتُ بينهما نارٌ ملأ الآفاقَ شعاعُها ،
وأخذ بعنانِ السماء ارتفاعُها ، وأحسبُ ذلك كان سببَ ارتحال أبي المطرف
عن حضرتهُم ، وخروجهٍ من جملتهم ، وسأُتي بذكره في القسم الثالث من
هذا المجموع ، إن شاء الله .

وقد أخرجت من كلام ابن أيمن ما يأخذ من البلاغة باليمين ، ويشهد
له بالمكان المكين .

فصل من ترسيله

لما اشتدَّ يومئذ كَلَبُ الروم ، بهذا الإقليم ، على ما تقتضيه شهادةُ
المنثور والمنظوم ، بلسان من اندرج ذكره^٣ في هذا الديوان من كلِّ زعيم ،
استصرخَ ملوكُ الطوائف بأفئتنا أميرَ المسلمين وناصر الدين أبا يعقوب
يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، وقد أَلْقَوْا بأيديهم ، فكتب أبو عبد
الله بهذه الرسالة عن صاحبه ، وأراها كانت ثالثة المفاخرة ، أو ثانية
المداخلة^٤ ، وهي :

لما كان نورُ الهدى - أيدك الله - دليلك ، وسبيلُ الخير سبيلك ،

١ م س : أبو المظفر .

٢ ورد مشروحاً في القسم الثالث : ٢٥١ .

٣ عن صاحبه . . . المداخلة : سقط من م س .

ووضحت في الصّلاح معالِمك ، ووقفت^١ على الجهاد عزائمك ، وصحّ العلمُ بأنّك لدعوة الإسلام أعزُّ ناصر ، وعلى غزو الشّرك أقدر قادر ، وجبّ أن تُستدعى لما أعْضَلَ من الداء ، وتستغاث لما أحاط بالجزيرة من البلاء ، فقد كانت طوائفُ العدو المطيفةُ بها — أهلكهم الله — عند إفراط تسلّطها واعتدائها^٢ ، وشدة كَلَبها واستشرائها ، تُلَاطَفُ بالاحتياي ، وتُستنزَلُ بالأموال ، ويُخرَجُ لها عن كلِّ ذخيرة ، وتسترضى بكلِّ نفيسة خطيرة ، ولم يزلْ دأبُها التشطُّط والعناد ، ودأبُنَا الإذعان والانقياد ، حتّى استُصفيَ الطريفُ والتلاد ، وأتى على الظاهر والباطن النفاذ ، وأيقنوا الآن بضعف المنيّن ، وقويت أطماعُهُمْ في افتتاح المدن ، واضطربت في كلِّ جهة نارهم ، ورَويت من دماء المسلمين أسنَنُهُمْ وشفارهم ، ومن أخطأه القتلُ منهم فلأنما هم بأيديهم أسرى وسبايا ، يمتحنونهم بأنواع المحن والبلايا ، وقد همّموا بما أرادوه من التوثّب ، وأشرفوا على ما أمّلوه من التغلّب^٣ ، فيا لله ويا للمُسلمين !! أيسطو هكذا بالحقّ الافك ، ويغلب التوحيدَ الشّرك ، ويظهر على الإيمان الكفر ، ولا يكتنف هذه الملة النصرُ؟! ألا ناصرَ لهذا الدين المهتمّص ، ولا حاميَ لما استبيح من حِمَى الحرم!! وإنا لله على ما لحق عرشه من ثلّ ، وعزه من ذلّ ، فإنها الرزية التي ليس فيها عزاء ، والبلية التي ليس مثلها بلاء .

١ م س : ووقف .

٢ م : واغترابها

٣ قوله : ولم يزلْ دأبُها . . . من التغلب : انظر ما تقدم ص : ٢٤٨ - ٢٤٩ حيث

اقتبس ابن بسام كأنما هو من إنشائه .

٤ عرشه : يعني عرش الدين .

ومن قبل هذا ما كنتُ خاطبتك - أبتدك الله - بالنازلة في مدينة قورية - أعادها الله - وأنها مؤذنةٌ الجزيرةَ بالخلاء، ومن فيها من المسلمين بالخلاء، ثم ما زال ذلك التخاذلُ يتزايدُ، والتدابُرُ يتساندُ، حتى تخلصت القضية، وتُعجّلت البليّة، وحصلت في يد العدو - قصمه الله - مدينةٌ سرّته^١ وعليها قلعةٌ تجاوزت حدَّ القلاع، في الحصانة والامتناع، وهي من المدينة كنقطة الدائرة وواسطة القلادة، يدركها من جميع نواحيها، ويستوي [في]^٢ الاستضرار بها قاصيها وذانيها^٣؛ وما هو إلا نفسٌ خافت، ورمقٌ زاهق، إن لم تبادروا بجماعتكم عجالاً، وتداركوها رُكباناً ورجالاً، وتنفروا نحوها^٤ خفافاً وثقالاً. وما أحضركم على الجهاد بما في كتاب الله تعالى، فإنكم له أتلى، ولا أحرّضكم على [١٢٤ أ] التسرع إليه بما في حديث رسوله عليه السلام، فإنكم إلى معرفته أهدى.

وكتابي هذا جُملةٌ^٥ : الشيخُ الفقيه الواعظُ يفصلها، ومشتملٌ على نكتةٍ هو يوضحها ويبينها، فإنه لما توجه نحوك احتساباً، وتكلّف المشقة إليك طالباً ثواباً، عوّلتُ على بيانه، ووثقتُ في عرض الحال عليك بفصاحة لسانه؛ وأنت بفضلِكَ تستوعب ما يؤدّيه استيعاب المستوفي، وتصني

١ ذكرها الادريسي (نزهة المشتاق - قسم الأندلس والمغرب : ١٧٥ ، ١٩٦ تحقيق دوزي) وذكر أن بينها وبين شقورة مرحلتين كبيرتين، وأنها مدينة متوسطة القدر حسنة البقعة كثيرة الخصب.

٢ ط : ويستوي.

٣ قارن بما ورد ص : ٢٤٩.

٤ نحوها : زيادة من م س.

٥ ط ٥ : يحمله ؛ م س : حملة.

إلى ما يُنْهيه إصغاءَ الواعي ، وتجد منه مضضَ المرتض ، وتتحركُ له تحركَ
المرتض .

ثم لم يزل يستشري الداء، ويعمُّ أقطارَ الجزيرة البلاء، وأميرُ المسلمين وناصر
الدين - رحمه الله - مشغولٌ ببقيةِ حرب طوائف البرابرة المتغلبين - كانوا -
على أقطار العدو ، فلم يزل يَـمِيطُ أذاها ، ويضرحُ قذاها ، حتى سُلِكَ
سبيلُها ، وطاب مُسْتَقَرُّها وَمَقِيلُها . وكان من أشدِّ تلك الطوائف أبدأً ،
وأمتنَّها كيداً ، العزّ بن سقوت^٢ ، المتغلب - كان - على مدينة سبته وما والاها ،
فإنه جاهرَ بالخلاف سَماعاً وِعياناً ، وشغل أميرَ المسلمين - رحمه الله - عن
تلافي هذه الجزيرة زماناً ، إلى أن بلغ الكتابُ أَجَلَهُ ووقته ، وفُتِحَتْ على
يديهِ سبته ، حسبما نلخصُ الخبر عنها .

١ م س : سلكت .

٢ د م : سكات ، وهذا وجه من وجوه كتابة هذا الاسم (انظر الجذوة : ٢٣) وهو أيضاً
سكوت ، وسواجات ، وفي أخباره راجع البيان المغرب : ٢٥٠ وأعمال الاعلام : ١٤١
وروض القرطاس : ١٠٤ وابن خلدون ٦ : ١٨٤ ؛ وقد كان الحموديون استخلفوا على
سبته شخصاً اسمه رزق الله (أبو العطاف) فقتله سقوت سنة ٤٥٣ وحكم سبته وتسمى
« المنصور » وهو والد الحاجب العز ، الذي دخل المرابطون سبته في أيامه .

إيجاز الخبر عن فتح مدينة سبته وتلخيص التعريف بأولية أمرها^١

كان سقوت بن محمد المتغلب عليها قد جرى عليه سباء ، واستبد^٢ به
ولاء ، ففاز به^٣ قِدْحُ علي^٤ بن حمود أَيْسَامَ امترى أخلاقها ،
واعرورى شقاقها^٥ وخلافها ، ومن^٦ هالته طلع هلالاً وبدراً ، وبين باطله
وبطالته عتق خلاً وخمراً ، وعليه^٧ جيت رحاها ، وإليه كان مَجْرَاهَا
ومُرْسَاهَا ، حتى عُدَّتْ^٨ أيامه ، واشتهر مقامه^٩ ، وملأ أجزاء الزمان
وصدر الأوان بأسه وإقدامه^{١٠} . ولما أفنضت الدولة الحمودية إلى سِقْط
زندها ، ومنتهى جهدها ، يحيى بن علي - المتقدم الذكر - ألقى بمقاليد
سبته إلى هذه الأفعى الجارية ، والشعلة الوارية ، سقوت المذكور ، فأقام
به عمودها ، وأطعمه قائمها وحصيداًها ، وطلق لأول حينه يخلق ويفري ،
ويجر لأبعد شئونه ليسير ويسري^{١١} ، وقد كان يحيى بن علي^{١٢} أشرك معه في عمالتها
مولى^{١٣} آخر من مواليه يكنى أبا العطاء ، أخذ أجندال الطعان ، وكُفَاة
الأقران ، فأقاما بقبّة أيام يحيى بن علي^{١٤} يتجاذبان أهدابها ، ويتعاطيان

١ م س : أميرها .

٢ به : سقطت من ط د .

٣ م س : ثقافها .

٤ م س : وعنه .

٥ ط : غدث .

٦ وطلق . . . ويسري : سقط من ط د .

أقداحتها وأكوابها ، إلى أن وقع من مقتله ^١ سنة سبع وعشرين ما فرغنا من ذكره ، ونبّهنا على مستودع مستقره ؛ ولما أفضت دولة آل حمود إلى ابنه لإدريس بن يحيى بن علي سما سقوت بن محمد فأخذ بِلَقَم الطريق ، وطلع لمغبونه لإدريس من ثنايا العقوق ، وأول ما بدأ به من ذلك الفتك بشريكه الحاسر ، بحيلة خفية ، تمخّضت له بميتة ^٢ وحية ، في خبر طويل ، تركته تخفيفاً للتثقل ، فأصبح بعده سقوت بن محمد قد حلت شمسُ سُلْطَانِهِ بالحمل ، وقام وزنُ زمانِهِ فاعتدل ^٣ ، وتسمى لأوّل وقته يومئذٍ من الأسماء السلطانية بالمنصور المعان ، وقد عرض له ابن حيان ببعض أوابده ، وفصل بذكره سِلْكَ مُقَيّداتِهِ وشوارده ، وأنا أذكر من ذلك ما وفي به وُسْعي ، وكان من شَرَط جَمَعي .

قال ابن حيان ^٤ : وهذه نادرة من طخيات ^٥ هذه الفتنة ^٦ المييرة ، أن تخطّت أرضَ هذه الجزيرة ، إلى ما وراء بحرِها الزقّاقِي الذي كان منه دخول العرب أيام فتحهم لهذا الصُّنْع ، حاجتها ^٧ أسبابُ المنافسة الفادحة ، لامتعاض حسيب الأملّك النبيه الأبوة الشاخنة ، عبّاد ، من هضم جاره الخارجيّ سقوت

١ يعني مقتل يحيى الحمودي .

٢ م س : بموتة .

٣ م س : واعتدل .

٤ نقل بعض هذا النص في كتاب مفاخر البربر : ٤٥ مع بعض اختصار وتغيير في الترتيب

وخلط بكلام ابن بسام نفسه ، وانظر مخطوطة الرباط (رقم : 1275) ص : ٨٣ .

٥ ط : طخيات ؛ م : ضحية ؛ س : صخياء ؛ مفاخر : هيجان (وفي المخطوطة : طخليات) والطخية : الظلمة أو السحابة .

٦ زاد في المفاخر : البربرية .

٧ م س والمفاخر : حاجها .

مولى ابن ^١ حمود - بزعمه - الناهض الجَدُّ بأنقص ^٢ الخلال : من مَعَقَّةِ
المولى وَخْتَر الرقيق ^٣ واهتضام الحقوق ، والترقيَّ إلى أعلى مراتبُ السلطان ،
حتى تسمَّى بالمنصور المعان ، لقبين في قران ، أغمضَ له عليهما [١٢٤ ب]
الزمانُ ، فساءَ غلطُهُ في نفسه ، واضطره القدر أن تمرَّسَ بجاره ^٥ عبَّاد
صير في ^٦ الفتنة الذي لا ينأى على دمنه ، كان سبب ذلك باعتقال عبَّادٍ لرجلٍ
من تجارِ سَبْتَةِ في شيءٍ حضره بحضرته ، فاعتدى عليه سَقوت فاعتقل
له عدَّةَ تجارٍ ^٧ ، فنشأت لذلك بينهما ^٨ وحشةٌ سنة سبع وخمسين ،
امتطيا لها ظهر اللُّجَجِ ، على ما بينهما من التظام اللُّجَجِ ، فتهاقنا على القطيعة
واجتمعا على عقدٍ ^٩ البحر بينهما ، فتلفت فيه رؤوس أموالٍ ، وهلكت
من أجلها نفوسُ رجال ، يطول في صِفَتِها المقال ، إلى أن أكمل عبَّادٌ من
أسطولٍ أنشأه نحواً من ثمانين قطعة ، فأجراها إلى سبتة ، فخرج عليها ^{١٠} أسطولٌ
لسقوت ، فكان الظهورُ لابن عباد ، ثم افترقت الأساطيل بعد حروبٍ وسَفَكٍ

١ م س : آل .

٢ م : بأنقص ؛ س : فانقص .

٣ م س : وخبر الرقيق .

٤ م س : لأعل موارب (س : موازب)

٥ م س : يجاه .

٦ ط : صيفري ؛ م : صرقي .

٧ ط : رجال .

٨ م س : بينهما لذلك .

٩ ط د : عقل ؛ س : عقر .

١٠ م س : إليها .

دما ، وانقطع بحر الزقاق بينهما مدة^١ استهما اجتاراً^٢ منافعه فيها ، انتهى
ما نلخصته من كلامه .

قال ابن بسام : ثم غلظ أمر سقوت ، حتى أخاف^٣ القريب والنازح ، واقتاد
الحرون والجامح ، وانبثت سراياه في البحر والبر^٤ ، فأدرك المطلوب والطالب ،
وتصيد الطافي والراسب ، ونجم^٥ في ملتونة أمير المسلمين وناصر الدين أبو
يعقوب يوسف بن تاشفين ، رحمه الله ، فأحاطت دولته بالفرق ، إحاطة
القلادة بالعنق^٦ ، ودبت في ممالك العرب والعجم ، ديب البرء في السقم ،
وطفق يتبع آفاق جورهم^٧ بالعدل ، تتبع الديمة آثار المحل ، ويسبق قولهم^٨
بالعمل ، سبق السيف العدل ، وتجاروا إلى مصارعهم ، حتى لحق متبوعهم^٩
بتابعهم ، وانتظم دانيهم بشاسعهم ، ودارت النوبة على سقوت بن محمد ،
فتطرق^{١٠} أمير المسلمين - رحمه الله - بلدة للفراغ ممن شذ عنه من ذؤبان
زناة ، وقد التفؤوا بأحد محاش^{١١} الفتنة ، ووالوا إلى موضع يعرف باللمنة ،
فتزل بساحتهم أمير المسلمين ، سنة إحدى وسبعين ، على مقربة من بلاد
سقوت^{١٢} ، فهم بالانحياش إليه ، فقد كان آل وإيل عليه ، فنهاه حزبه
الذميم السعني ، وثناه ابنه الفائل الرأي ، فقد كان هذا الفتى على بعد

١ ط د م س : احترام .

٢ أخاف : سقطت من م س .

٣ من هنا يبدأ النقل في كتاب مفاخر البربر : ٥٤ ومخطوطة الرباط : ٨٧ .

٤ م س : بالفراق . . . بالأمناء .

٥ مفاخر والمخطوطة : فتطوف .

٦ م س : يلحق .

٧ زاد في المفاخر : تنضيفه لا من خلة ، وأراد أن يكثر به لا من قلة .

مراميه ، ولوذعية^١ - زعموا - كانت فيه ، يذهب مذهب الجبابرة من ملوك الطوائف عندنا ، من الإعراض عن العواقب ، وأخذ الشاهد عياراً على الغائب ، أين ما هو فيه ، لا يحفل بشيء يذره ولا يأتيه ، ووضحت لأمر المسلمين - رحمه الله - السبيل إلى حربه ، لما كان من نفاذه عن قُربيه ، وانتبأه لأوّل وهلة عن حربه ، فلما أوقع بأهل الدمنة ، رمى سقوت ابن محمد بأقماره ونجومه ، وأحله وجوه هيمته^٢ وهمومه ، والبلاد تنقاد لحكمه ، والمنابر تكاد تهل^٣ باسمه ، وسمع الرعية بمقدمه ، فانتالوا عليه انثيال الجياح على الوليمة ، وتباشروا به تباشّر البلد^٤ بالديمة ، وخرج سقوت بن محمد في عديده وعدّده ، للذب - زعم - عن رعيته وبلده ، وعساكر أمير المسلمين يومئذ على مقربة من مدينة طنجة ، وعليها من قبله ابنه المسمّى بضياء الدولة ، فلقى عساكر المرابطين وقد سالت بها سيولهم^٥ . وشارفها لواؤهم^٦ ورعيّهم^٧ ، فأقام بإزائهم يومين والأجل يُقحمهم . والخليل تسليمه ، إلى أن طحنته رحاهم . وسالت نفسه على أستانهم وظباهم ، يوم الكسوف الشمسي الكلي من العام المؤرخ ، ودخل المرابطون طنجة ذلك اليوم .

وأفضت الدولة البرغواطية إلى الحاجب العزّ ابنه ، شهاب أفلاكها ،

١ م س والمفاخر : هته .

٢ م : تهذ ؛ س : تده .

٣ زاد في المفاخر : التيهاء (وفي المخطوطة : التمية) .

٤ زاد في المفاخر : وأقسم أن لا يسمع قرع طلبه (طلبه ؟) في ملكه .

٥ يعني : وعلى طنجة من قبل سقوت . . .

٦ م : وطار بها ؛ س : وشان بها .

وخيرة أملاكها ، هبّ للأدب ربحاً ، ونفخت دولته في أهله روحاً ،
 أعرض^١ به الشعراء وأطالوا ، ووجدوا به السبيل إلى المقال فقالوا . وممن
 خيّم في ذراه ، ونال الخطّ الحسيم من دنياه ، الحصريّ الضريع ، فإن^٢
 له فيه^٣ ما أذهل الناظر عن الرقاد ، وأغنى المسافر عن الزاد ، والحاجب^٤
 يكحل عينيه بزينة دنياه ، ويفتق لهاته بمواهبه ولهاه ، وكان سهل الجانب
 للقصد ، طلق اليد بالمواهب الأفراد ؛ من رجل [١٢٥ أ] استعان بالشر ،
 وتهاون بالأمر ، لا يجي إلا من غلول ، ولا يجيش إلا إلى ابن سبيل ،
 لا سيما البحر فإنه أضرم لججّه ناراً ، ولقي ريجه إعصاراً ، أخذ كل^٥
 سفينة غضباً ، وأضاف إلى كل رعب رعباً ، فضجّت منه الأرض والسماء ،
 والتقت الشكوى عليه والدعاء ، وأذن الله للأمير المسلمين وناصر الدين
 - رحمه الله - فأناخ بعقوته ، وحكّم مداه بين ستاميه وذروتيه .

وكان من الاتفاق العجيب أن أنشأ المعتمد سفينة ضاهى بها مصانع الملوك
 القاهرين بعد العهد بمثلها : شدة أسر ، وسعة بطن ، وظهر ، كأنما
 بناها على الماء صرحاً ممرّداً ، وأخذ بها على الريح ميثاقاً مؤكداً ، ووجهها
 على مدينة طنجة لتمتار ، وقد أنجد أمر الله وغار . ولما رأى أمير المسلمين
 وناصر الدين - رحمه الله - تلك السفينة ، خاطب المعتمد في ذلك ، فشحت
 على سبته موتاً ذريعاً ، وأقيمت بإزاء أسوارها حصناً منيعاً . فلما كان يوم

١ مفاخر : أعوص .

٢ ط د : فبان .

٣ في النسخ : فيها .

٤ ط د : ومنعة .

٥ م س : إلى .

٦ م س : سورها .

الخميس من صفر سنة ست وسبعين ، قدّم أمير المسلمين لقتال سبتة أسطولا فخمًا ، رجم به مردّة عفاريتها رجماً ، ولقيه العزّ بن سقوت ببقية جمّة من أسطول طالما أوسع البلاد شرّاً ، وملأ قلوب أهلها ذعراً ، فكان لأوّل ذلك اليوم ظهور^١ على أسطول المرابطين حتى أخذ منه قطعة جليلة المقدار ، ظاهرة الحماة والأنصار ، فكان من إذلال الله للعزّ بن سقوت يومئذٍ أن بخل على أخذها^٢ ، وتكلّم بكلام أنكر عليه فيه ، وارتاعت محلة المرابطين لأخذ تلك القطعة ، حتى همّوا بالإحجام ، وقوّضوا بعض الخيام . وغضب أمير المسلمين وناصر الدين - رحمه الله - إحدى غضبته فكانت إياها ، وفغرت المنايا^٣ على سبتة فأها ، وتقدّمت تلك السفينة حتى أطلّت على أسوارها ، ورفعت صوتها ببوارها ، وأفضت بدولة صاحب سبتة إلى سوء قرارها ، ليلة الجمعة من صفر المؤرخ ، ولجأ العزّ بن سقوت في نقيير من أصحابه إلى البحر ، فهمّ بركوبه ، فأعوزوه الفرار ، ودقّع في صدره المقدار ، وكرّ راجعاً ، فدخل داراً تعرف بدار تنوير^٤ ، وبدر به جماعة من المرابطين ، فاقتحموا عليه بعد مرام بعيد ، وقاتل شديد ، حتى ضاق اضطرابه ، وفرّ عنه أصحابه ، ولما أحسّ بالشرّ دفع ذخائره كانت عنده إلى أحد من وفي له من رؤوس حماته ، فبلغني أنه عثّر عليها ووُجد فيها جوهر كثير ، ونشّب من نشب

١ م س والمفاخر : ظهر .

٢ ط : أخذها .

٣ ط د : المتية .

٤ م س : أظلت أسوارها ؛ ط د : طلّت على ...

٥ مفاخر : شوير (وفي المخطوطة : تنوير) .

٦ م س : دنائير .

الملوك^١ خطير ، ووُجِدَ في جملتها خاتم يحيى بن علي بن حمود . وخرج
العزّ بن سقوت حين وضع الفجر من ليلته تلك . فلقبه المعزّ ابن أمير
المسلمين^٢ - رحمهما الله - فجلّله الحسام ، وحكّم فيه الحمام ، تعالى من
لا يُردّ قضاؤه ، ولا تبید آلاؤه .

ومن ترسیل ابن أیمن أيضاً رقعة^٣ عن المتوكل إلى المعتمد في معنى خروج
أبي المطرف ابن الدبّاغ عنه^٤ إليه ، قال فيها : من تخیرك - أيدك الله^٥ -
على سواك : وأرادك^٦ وترك وطنه هجرة إلى ذراك ، وأسرع تلبية إلى
دواعي سرّوك وعلاك : فمجدك يقضي له - وإن أزعجته عنك بحكم
الاضطرار ، صروف الأقدار - أن تستمرّ عليه النعمى ، وتطرّد لديه^٧ العارفة
الحسنى ، وينتظم بدء الصنعة فيه بالعقبى ، فالفضل على علمك بتمامه ،
والطوّل باختتامه ، والبرّ بمقتضاه^٨ ، والمنّ بأخراه .

وهذه - أدام الله تأييدك - حال فلان ، فإنّه هجر إليك الورى ، وركب

١ م س : الملك .

٢ كان المعز ولي همد يوسف بن تاشفين ، لكنه توفي في حياة أبيه فقدم يوسف ابنه علياً
لولاية العهد ، وفي مفاخر البربر أن المعز طلب إلى ابن سقوت أن يعطيه المال فقال له :
« خازن أبليك كنت نجمع لك المال ؟ » فجلّله الحسام . . . الخ .

٣ ط د : ومن ذلك رقعة . . .

٤ عنه : زيادة من م س .

٥ م س : أدام الله تأييدك .

٦ وأرادك : سقطت من م س .

٧ م س : عليه .

٨ م س : بمقتضاه ؛ ط د : بمقتضاه .

نحوك أعناق الأمل والهوى ، وقد كان ظفراً بالحظ^١ من دنياه ، واعتلق منها السبب الذي لا تُنتَقَضُ مِرْرُهُ ولا تتكث^٢ قواه . إلا أن الزمان من بت^٣ العِصَم ، وإحالة النعم ، والقطع بذوي الآمال والهمم ، جارٍ في سنّته الدميم ، على القديم ، وحين جدّ به^٤ الجدّ العائر - أسعد الله جدودك ، وأدام تأييدك - في الانزعاج من جنابك ، ومفارقة النعمة من ملازمة ركابك ، وخِدْمَةِ بابك ، لحق بحضرتي - طاعتك - يعتقد - وحق [١٢٥ ب] ما اعتقده - أنه لم ينفصل عن جماعتك ، ولا تحوّل إلا إلى أعمالك ، ولا انتقل من يمينك إلا إلى شمالك ، وعنده تذكّر لجُسنِ معاهدِه لديك ، وطيب مشاهدِه بين العزيزتين يديك . ما ليس مثله إلا عند معتقد أيام الصبا ، ومستعيد عشيّات الحمى ، وأما شكرُه لِسِوَالفِ نعمك ، ونشرُه لمطاوي منازِعِكَ الحميلة وهِمَمِكَ ، وإشادتهُ بسنائك ، وإبداؤه وإعادتهُ في حُسْنِ آثارك وأنبائك ، فبِحَيْثُ لو جاز أن تُثَقِّلَدَ مقاومه في ذلك لعطَلتِ الحلّى ، أو تُتَوَرَّدَ لشفّت من الصّدَى ، أو تُتَرَشَّفَ لأغنت عن برد اللّمي ، أو تُقَطِّفَ لكفّت من يانع الجنى . ومن فارقك - أيّدك الله - وتحرقُه للبعد عنك تحرقُه ، وتحقُّقُه بالتشيع لك تحقِّقه . ففضلُكَ الباهرُ يَأْبَى أن تنقطع عنه عوارفُ الإجمالِ على النوى ، ولا سيّما

١ م : بالحظ فيه ؛ س : بالحد فيه .

٢ م س : ينتقض . . ينتكث .

٣ م س : الزمن من بت .

٤ م س : جذبه .

٥ م س : تحسين .

وقد وسدت مع القرب جوازي^١ آمالي^٢ أبردي^٣ ظلاله^٤ ، وأوردت على
الدنو^٥ ظامنة^٦ ذمامه^٧ النмир^٨ العذب^٩ من جمامه^{١٠} ، وقد كان لحقه^{١١} عند انزعاجه
عن حضرتك^{١٢} - والله حراستها^{١٣} ، ولك رئاستها^{١٤} - ما الفضل^{١٥} له متألم^{١٦} ، والمجد^{١٧}
منه متدمم^{١٨} ، ممّا أعلم^{١٩} - والله^{٢٠} - عليم^{٢١} اليقين^{٢٢} أن سيادتك^{٢٣} تأتي مسموعة^{٢٤} ،
ولا ترضى وقوعه^{٢٥} ، وإنما أتى ذلك التعدي^{٢٦} - لا محالة^{٢٧} - من جهة المتولّي^{٢٨} ،
لأن^{٢٩} قدّرك^{٣٠} - رفعه^{٣١} الله - متزّه^{٣٢} عن ارتجاع^{٣٣} موهوب^{٣٤} ولو عظم^{٣٥} ، ومعاملة
خادم^{٣٦} باستصفاء^{٣٧} مكسوب^{٣٨} وإن ظلم^{٣٩} ، وعند الوزير^{٤٠} الكاتب^{٤١} أبي طالب^{٤٢} من
بسّط^{٤٣} هذه النكتة^{٤٤} ما أنت^{٤٥} بمعاليك^{٤٦} تقتضيه^{٤٧} منه وتستوفيه^{٤٨} ، وتأتي متفضلاً^{٤٩} من
الإيجاب^{٥٠} فيه^{٥١} ، بما يليق^{٥٢} بسؤددك^{٥٣} الأثيل^{٥٤} ، وقُعدُك^{٥٥} الجليل^{٥٦} ، ومعتقدك^{٥٧}
الحسن^{٥٨} الجميل^{٥٩} ، واضعاً^{٦٠} بذلك^{٦١} عندي^{٦٢} يدأ^{٦٣} تشف^{٦٤} على متقدّم^{٦٥} أخواتها^{٦٦} ، وتهتف^{٦٧}
بالتعجيز^{٦٨} عن معارضتها^{٦٩} من جميع^{٧٠} جهاتها^{٧١} .

وله^١ : الفضل^٢ - لا زلت^٣ له أهلاً^٤ ، وبه أولى^٥ - عن شرف حامليه^٦ مُوضح^٧ ،
« وكل^٨ إناء^٩ بالذي فيه ينضح^{١٠} » : وورد كتابك^{١١} - لا زالت المسار^{١٢} تزدك^{١٣} ،
والأقدار^{١٤} تُسعّدك^{١٥} - بوصول^{١٦} فلان^{١٧} إلى حضرتك^{١٨} - ضاعف^{١٩} الله جلالها^{٢٠} ،
وبسط^{٢١} ظلالها^{٢٢} - ، وما كان من^{٢٣} أخذِه^{٢٤} عند مثوله^{٢٥} ، بكرم^{٢٦} فرعه^{٢٧} التابع^{٢٨}
لطيب^{٢٩} أصوله^{٣٠} ، في وصفي^{٣١} بما والله^{٣٢} قَطَعَنِي^{٣٣} على البعد^{٣٤} ، وقنّعي^{٣٥} حياء^{٣٦} من
المجد^{٣٧} ، فلاني^{٣٨} ما رأيت^{٣٩} مثله^{٤٠} سواه^{٤١} ، والله^{٤٢} يغفر^{٤٣} له ما أتاه^{٤٤} ، ذكر^{٤٥} الجود^{٤٦} والبحر^{٤٧} .

١ ط د : ظله ؛ وهذا من قول الشاعر :

إذا الأوطى توسد أبرديه خدود جوازي^١ بالرميل عين

٢ وله : سقطت من ط د ، واتصلت هذه الرسالة بما قبلها .

٣ م س : المرات .

٤ م س : بكرم طبعه .

٥ ط د : والمجد .

شاهد ، وأسهمَ في الفضل وربُّهُ واحد ، وإذ لا أستجيز موافقةَ جفائه ،
بالاعتراضِ على تقرُّبِته وثنائه ، فلا بدَّ أن أعتذر مما استكثر ، وأتذمَّم مما
استعظم ، وأقول : إني ما عدتُ في تلقيه ببعض حقوقه ، استرسالَ الصديق
مع صديقه ، ولو ذهبتُ إلى معارضةِ فضله ، وتوفيةِ واجبِ مثله ، لضعُفتُ
عن ذلك أسبابُ المقدرة ^١ ، ووضحتُ بوقوع العجزِ وجوهُ المعذرة ، وهو
وليُّ البرِّ والإجمالِ ، فيما عرضه وحسنه من الحال ، وهكذا مَنْ شَرَّفَ
اللهُ محتدَّةً ^٢ ، وأطاب ^٣ مشهده ، ومن زكا عُصْرَهُ ، وكرَّمْ مَحْضَرَهُ .

وذكرتُ في الكتابِ الكريمِ ، عقبَ هذا الفصل ، بل سابغِ الفضل ، أنَّ
ما نقله فلان المذكور إليك ، وأورد عني عليك . مما وافق مرادك ، وطابق
غرضك واعتقادك ، ولا غرو فاتفقُ المذاهبُ والآراءُ تبعاً لتمازج ^٤
النفوسِ والأهواءِ ، ونحن بحمدِ الله في الاتصالِ يدٌ وساعدٌ ، وفي الانتظامِ
جسمانِ والروحُ واحد .

وتقدَّمتُ كتبي إليك بما كان من تطرُّق خيلِ العدوِّ — بدِّدَها الله —
جهاتي ^٥ ، طاعتِكَ ، حتى كادت تتركها خلاء ، وتعيدها عفاءً ، وأنبأتك
أنَّ ذلك لا يثبتُ معه سلِّمٌ ، ولا يرقأُ عليه كَلَمٌ ، ولا يطيبُ معه مُعْتَقَدٌ ،

١ ط : المقدورة .

٢ م س : من شرف محتده وطاب .

٣ ط د : لتنازع .

٤ جهاتي : وضعها بياض في م س .

٥ ط د : وتوعدها .

ولا يصبرُ عليه أحدٌ ؛ والآن فقد ورد ما هو أشدُّ ، وطامع ما هو أشنعُ وأفظعُ ، وذلك ضَرْبُ الخيلِ من قبل فلان على تلك الجهات ، وبلوغها في النكايات أقصى الغايات ، فِعْلُ العدوِّ المحاربِ ، وعمَلُ الضدِّ المطالبِ ، لا يمرُّ بحصنٍ إلاَّ أناخَ بجياله ، وجدَّ في قتاله ، وهذه حالٌ ليس وراءها إلاَّ الاستئصالُ ، فمذهبُ القومِ في حَيْزِ الجلي^١ [١٢٦ أ] الظاهر ، وقد وضع الصبحُ لذي ناظر ، وأهلُ تلك الجهاتِ مظهرِو القلَقِ ، من اتصال هذا التطرُقِ^٢ ، مُعْلِنُو الشكوى ، بتجاوزِ هذه العدوى ، فكيف يسوغُ لي - وجهاتُهُمْ مباحةً^٣ ، وأحوالهم مُجْتاحَةً^٤ ، طَلَبُهُمْ بما تَعْرِفُهُ ، والاستعانةُ بهم على ما نكَلَّفُهُ ، أليس ذلك في حدِّ الامتناعِ ، وجانبِ الأمرِ غيرِ المستطاعِ ؟ !

فَصْلٌ في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون^٣ ، وسياقة فصول من غرائب نثره ونظمه .

وأبو محمد هذا في وقتنا سرُّ الدهرِ المكتوم ، وشرفُ فيهِرِ الحديثِ والقديم ،

١ م : الخلا .

٢ ط د : هذه الطرق .

٣ كان ابن بسام يعتقد أن المتميزين من كتاب عصره أربعة كلاءيان وفهريان ، فالكلاءيان هما ابن القصيرة وابن عبد الغفور ، والفهريان أبو القاسم ابن الجد وأبو محمد ابن عبدون ، (إحكام صنعة الكلام : ١١٠) وكانت صلة ابن بسام بابن عبدون وثيقة وقد صور اللقاء الأول بينهما في القسم الأول والثالث ١ : ١٤٤ : ٣٠ : ٤٩٨ (وانظر إحكام صنعة الكلام : ٢٦٠) ؛ كما أن ابن عبد الغفور سور علاقة ابن عبدون بأبيه (إحكام : ١٤٨) وكيف تصافيا بعد خصام ، وأبرز اعتداد ابن عبدون بنوع من النثر يقال له المبتدع (١٥٧) . ولابن عبدون ترجمة في القلائد : ١٤٥ والخريدة ٢ : ١٠٣ (وكناه مرة أبا بكر ومرة =

لسانُ صِدْقِهَا في الآخِرِينَ ، وقَمَرُ أَفْقِهَا الذي مَلَأَ الصُّدُورَ والْعُيُونَ ،
 وديوانُ عِلْمِهَا المَذَالِ والمَصُونِ ، ومَسْتَرَقُ كَلِمِهَا المَثُورِ والمُوزُونِ ، أعْجُوبَةُ
 اللَّيَالِي ، وذُرُوءُ المَعَالِي ، ذُو لِسَانٍ يَفْرِي ظِبَةَ السَّيْفِ ، وصَدْرُ يَسْعَ رَحْلَةِ
 الشِّتَاءِ والصَّيْفِ ، أَفْصَحُ مَنْ صَمِتَ ونَطَقَ ، وأَجْمَعُ مَنْ صَلَّى وسَبَقَ ، عَوَّلَ
 مِنْ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ عَلَى رَئِيسِ بِلَدِهِ المَتَوَكِّلِ ، فَعَلِيهِ نَثْرُ دَرَّةِ الثَّمِينِ ، وبِاسْمِهِ
 حَبْرٌ وَشَيْخَةُ المَصُونِ ، وَقَدْ رَحَلَ إِلَى المَعْتَمِدِ فَكَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ قَبُولًا ، وَلَا وَاقِفَ
 مِنْهُ رَأْيًا جَمِيلًا ، وَأَرَاهُ إِنَّمَا أَتَى مِنْ أَزْوَاجِ جَانِبِهِ ، وَبُعْدَ مَطَالِبِهِ ، فَلَمَّا
 صَمِتَ ذَكَرُ مَلُوكِ الطَّوَائِفِ بِالأَنْدَلُسِ ، طَوَى الشَّعْرَ عَلَى غَرَّةٍ^١ ، وَبَرَى
 مِنْ حُلُوهِ وَمِرَّةٍ ، إِلَّا نَفْثَةً مَصْدُورَ ، أَوْ الثَّفَاتَةَ مَذْعُورَ ، وَهُوَ اليَوْمَ يَبْلُدُ يَابِرَةَ
 يَرْتَشِفُ^٢ فَضْلَ ثَمَادِهِ ، وَيَأْكُلُ مِنْ بَقِيَّةِ زَادِهِ ؛ وَقَدْ أَثْبَتَ مِنْ نَظْمِهِ الرِّقِيقَةَ
 حَوَاشِيهِ ، الرَّائِقَةَ أَعْجَازُهُ وَهُوَادِيهِ ، وَنَثْرَهُ الْغَضَّةَ مَجَانِيهِ ، الْمُبَيَّضَةَ مَجَالِيهِ ،
 مَا يَشْهَدُ لَهُ بِالْفَضْلِ ، شَهَادَةُ الْبِرْهَانِ عَلَى الشَّكْلِ .

= أبا محمد) والمغرب ١ : ٣٧٤ والرايات : ٣٢ (غ) وبغية الملتبس رقم : ١٥٦٧ (وقال
 إنه كان في حدود الأربعمائة فوهم أو عني شخصاً آخر) وصلة الصلة : ٤٢ والتكملة : ٤٠٧
 (وذكر أن وفاته كانت بعد ٥٢٠) والمعجب : ١٢٨ ، ٢٢٨ ، (وأورد له رسالتين لم
 يوردهما ابن بسام) والمطرب : ١٢٧ ، ١٨٠ والفوات : ٢ : ٣٨٨ والزركشي : ٢٩٨ وأورد
 ابن بشكوال ترجمة في الصلة : ٣٦٩ لمن سماه عبد المجيد بن عبد الله بن عبد ربه الفهري
 وذكر أنه توفي سنة ٥٢٧ ؛ وانظر صفحات متفرقة من إحكام صنعة الكلام ومن نفح الطيب
 (وفي ج ١ : ٦٧٣ نقل لترجمة ابن عبدون عن القلائد) والريحان ١ : ٨١ - ٨٦ / أ .
 ١ الأصل في النثر أنه كدر الثوب ، يقال طويت الثوب على غره أي على كسره الأول .
 ٢ م : يرشف .

نسخة^١ له خاطب بها الوزير أبا^٢ القاسم بن الجلد يخطب فيها ودّه ،
ويستجلب ما عنده ، قال^٣ فيها : يا رايةَ مجدٍ رُفِعَتْ ، فان تلقيتها باليمين ،
وأعطيتها الثناءَ الثمين ، شددتُ عليها يدَ الضنين ، وشرّعةَ فضلٍ على
مائها ؛ أخلقُ وأحوم ، وبصفائها أجِدُهُ وأهيم ، وفي ابتغائها أقعدُ وأقوم ،
فلو وُصِّلَ رشائي بباع ، من رَجَعَ جوابٍ واجتماع ، لبردتُ غُلَّةُ ذلك
الاشتياقِ والالتباع ، وإن تعذّرَ لقاء ، فقد انتشر ثناء ، امتلأتِ الأرضُ
منه والسماءُ ، ووصفُ عزِّ الأوصافِ وغلبها ، وهزَّ الأعطافَ وجذبها ،
وذِكْرُ ملاءِ الآذانِ حُلبيّاً ، والآنافِ ريباً ، والآفواه أرباباً ، ونُبُلٌ جَلَّتْ
مطالعُهُ دياجي الأوهام ، وصقلتُ^٤ مواقعهُ صواديّ الأفهام ، ومجدُّ ردِّ
الليالي الدُّهْمَ زُهرآ ، والمساعي البُهْمَ غُرّاً ، فوددتُ أن أعار جناحيّ
طائرٍ ، فأكونَ لكعبةَ ذلك الجلالِ أوّلَ زائر ، فأقرنَ هناك حَجَّةَ بَعْمُرَةٍ ،
وأفوزَ من عمادي - وصل الله علوّهُ - بنظرةٍ ، توسّعُ عيني قُرّةً ، ووجهي
نَضْرَةً ، وأعشوا إلى ذلك الضياء ، وأرى محلي من تلك السماء ، والله دهرٌ
أطلعك أفقهُ ، ووقتٌ وسِعَكَ طَلَقُهُ ، ما أكرمَ طبيعتهُ ، وأضخَمَ دسيعتهُ ،
وأشرفَ في الأوقات خَيْمتهُ ، وأعبقَ في الآناف شيمتهُ ، وأرقَّ على
الأنفاسِ نسيمه ! وبحقِّك أقسم ، وألترمُ من ذلك ما ألترمُ ،

١ م س : نسخة رقمة .

٢ م س : أبو .

٣ قال : زيادة من م س .

٤ ط د : ثنائها .

٥ ط د : وبصفتها أحدو .

٦ م س : وروت ؛ وعلى هذه القراءة تكون « صوادي » بمعنى « عطاش » ؛ أما على القراءة
المثبتة فإن « الصوادي » تعني التي أصبحت صدمة تحتاج إلى صقل .

لقد أظهر بك شرفه^١ وبين^٢ ، وأخذ منك زخرفه^٣ وازين^٤ ؛ وجعلك
غرة^٥ بهيمه ، وغارة^٦ [١٢٦ ب] مليمه ، والحجة على خصوصه^٧ ،
وأبدى سرّاً طالما كتمه وأخفاه ، وشرح معنى شدة ما أبهمه وعمّاه ، فلو
كنت في الأزمان السالفة لوددت أن يتقدّم دهرى فألقاك ، أو في الأوقات
المستأنفة لحمدت أن يتأخّر عمري فأراك ، فكيف وقد ضمّني معك عصر^٨ ،
وجمّني وإياك فيهر^٩ ، وأنا أخطبُ إلى عمادي - أدام الله عزته - مودّته^{١٠}
عقيلة^{١١} ، وأجعل رَحمتي الأدب والنسب وسيلة ، وأبذل من تحلية حمدي
وشكري مَهراً ، وأبني لها بين سَحري ونَحري قصرأ ، وأسدل عليها من
الإشاعة والإذاعة سترأ ، وأحليها^{١٢} من مشدود موائق ومعاهد ، بمسروود
غانقٍ وقلائد^{١٣} ؛ والله جلّ وعلا يعيني على فرضه أوذيه ، وقرضه أقضيه ؛
ومن جزيل تحيتي ، على سيدي الأعظم وإمامي ، ما يفعم ريتاه الخافقين^{١٤} ،
ويُقرّ مرآه كلّ عين ، ينقاد من غير قائد ، وينساق من غير سائق ، إذا
انتهت أولاه ، عادت أنحراه ، وإذا صدّقت تباشيره^{١٥} ، برّقت أساريه^{١٦} ،
يُحيّي مغناه ، عند^{١٧} سروبه وسراه .

فراجع الفقيه^{١٧} أبو القاسم بما نسخته : يا روضة أدب غديت برهم

١ ط : وعذرة ؛ س د : وغدرة .

٢ ط : خصوصه .

٣ م : وأحليها .

٤ ط د : يميننا .

٥ من هنا حتى آخر الرسالة ورد غير منسوب في إحكام صنعة الكلام : ٨٣

٦ عند : سقطت من ط د .

٧ الفقيه : سقطت من م س .

الفَهْمُ ، وسَمَّيتَ بِدَيْمٍ حُسْنِ الشَّيْمِ ، ما أَدَمْتَ رَبَّكَ ، وأَطِيبَ شَذَاكَ ،
وأَزَكِي قَرَارَكَ ، وأَذَكِي عَرَارَكَ ! لَقَدْ شَرَقْتَ بِأَزْهَارِكَ ^١ زُهْرُ النُّجُومِ ،
ولَبَسْتَ مِنَ الْكَمَدِ وَالْحَسَدِ زِيَّ الْوُجُومِ ، وبَطَلْتَ لِنَفْحَاتِ ^٢ شَذَاكَ وَرَبَّكَ
أَرْجُ ^٣ الْعَبِيرِ ، وتَعَطَّلَ لِمَا وَشَتْ يَدَاكَ واكْتَسَى ثَرَاكَ نَسِيجُ الْحَبِيرِ ، لله
دَرْءٌ تَحْفَةٌ أَهْدَيْتَ ^٤ مِنْ تَحْفِكَ ! ما أَنْصَرَ جَنَاهَا ، وَأَزْهَرَ سَنَاهَا ، وأَبْهَرَ
لَفْظَهَا وَمَعْنَاهَا ! ! لَقَدْ ضُمَنْتَ مِنْ بَدَائِعِ الْكَلِمِ فَقْرًا شَوَارِدَ ، وَقَلَّدْتَ مِنْ
نَوَاصِعِ الْحُكْمِ دَرَرًا فَرَائِدَ ، وَخَلَعْتَ ^٥ عَلَيَّ خَلْعَةَ نَبِيلٍ لَوْ كَسَى مِثْلَهَا
أَوَيْسٌ ^٦ لَاهْتَزَّ طَرْبًا ، أَوْ سُلِّيَ بِشَبْهَةِ قَيْسٍ ^٧ لَعَادَ نَبْعٌ وَجَدِهِ غَرْبًا ،
لَا جَرَمَ أَنَّهَا حُلَاكَ ، تَبَرَّعَتْ بِهَا عُلَاكَ ، وَصَفَاتُكَ ، تَجَافَتْ عَنْهَا مَصَافَاتُكَ ،
فِيَا لَهَا مَنَّةً لَا يَكَاغُنْهَا ثَمَنٌ ، وَلَا يَسْمَحُ بِمِثْلِهَا زَمَنٌ ، وَمِنَحَةٌ تَتَضَاءَلُ لَهَا
بِيضُ النَّعَمِ ، وَتَنْقَاصُ عَنْهَا حُمْرُ النَّعَمِ .

وما زلت أستشقُّ من عَرَفِ أَنْبَائِكَ ، ما يُرْغَبُ فِي اقْتِنَائِكَ ، وَأَتَحَقَّقُ
مِنْ قِلَّةِ أُنْدَادِكَ ، ما يَبْعَثُ عَلَى خِطْبَةِ وِدَادِكَ ، لَا سِيَّما وَقَدْ جَمَعْتَنَا
عُنَاصِرُ ، وَضَمَمْتَنَا مِنْ سَهْمِ الْأَدَبِ وَالنَّسَبِ أَوَاصِرُ ، لَكِنْ تَحَامَيْتُ الْمَفَاتِحَ
هَيْبَةً لِبَرَاةِ إِحْسَانِكَ ، وَبِلَاغَةِ يَدِكَ وَلِسَانِكَ ، وَمَنْ ذَا يَنَازِعُكَ رَتَبَةً

١ م س : بِأَزْهَارِكَ .

٢ م : نَفْحَاتِ .

٣ م س : رِيحِ .

٤ د ر : سَقَطَتْ مِنْ م س .

٥ م س : أَهْدَيْتُ لِي .

٦ م : وَجَمَلْتُ .

٧ أَوَيْسُ الْقُرْنِيِّ مَضْرُوبُ الْمَثَلِ فِي الزَّهْدِ ، تَوَفَّى فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ (سنة ٣٧ هـ) انظر طبقات ابن سعد

٦ : ١١١ وحلية الأولياء ٢ : ٧٩ ؛ وقرن - بفتح الراء - بطن من مراد .

البيان ، ولو سَحَبَ ذِيولَ سَحبان ، أو نطق بلسان حَسَّان ؛ وإن كانت للكلام إِمارةٌ فَأُنتَ فارسُ منابرِها ، وطاعنُ محابرها ، ومقلِّدُ عِلَمِها ولوائِها ، ومذللُ صَعَرِها والتوائِها ، ولئن كنتَ - أعزَّكَ اللهُ - من غرائب المغرب ، لقد زُهِيتَ بك المشارق ، وحليتُ بجواهرِكَ ونوادرِكَ المهارقُ ، ولدنًا صحَّ لك فَضْلُ التقدُّمِ إلى صلةِ الأسباب ، ومفاتيحِ هذا الباب ، نعيِّنَ الجوابَ^٢ ، وإن أنبِطَ من حِسِّي بكي ، وقلبَ غير ذكي ، وناهيك من خَجَلٍ من يقيس الصُّفْرَ بالذهب ، ويعرِّضُ الحمدَ للهب ، فتكلفتُ المراجعةَ اضطراراً ، واستشعرتُ اعترافاً بفضلِكَ^٣ وإقراراً ، وأنتَ بِسَرِّوكَ تصفحُ عن هَنَاتِها ، وتقيمُ أودَّ قَنَاتِها ، ولولا حقُّ الاقتضاء ، والثقةُ بكرم الإخاء ، لأحجمتُ ذُعراً ، وقدمتُ عُذْراً .

وأما المودَّةُ التي خطبتَ بفضلِكَ بِكْرَها ، واستوجبت حَمْدَها وشكرها ، فقد زَفَقْتُها إِلَيْكَ مُشْرِقةَ الجبين ، بنور الحقِّ المبين ، ضاحكةَ الترائبِ ، على حُسْنِ الضرائبِ ، تنأوَّدُ في حُلُلِ الثناءِ^٤ ، تأوَّدَ الكاعِبِ الحسناء ، وتحملُ من نُطْفِ الصِّفاءِ ، ما يُزْرِِي على الديمةِ الوُطْفَاءِ ، فإن وافقتَ لَدَيْكَ وجهاً خصبياً ، واستحققتَ من رضاكَ وقَبُولِكَ نصيباً ، فقد فازَ قَدْحُها ، ووَرِي قَدْحُها ، ولم يَحِبْ سعيها وكَدْحُها . وظنَّي أنها ستسعدُ بارتضاءكَ ، وتهترأُ في يدِ انتضاءكَ ، وتأنسُ بِجوارِكَ ، وتسكنُ إلى جوارِكَ ،

١ م : ومتقلد .

٢ الجواب : سقطت من م .

٣ م : لنفسك .

٤ م : بحل حسن ؛ وسقطت « حسن » من ط .

٥ . . . الثناء سقطت من م .

[١٢٧ أ] والله تعالى يبقيك ، مرغوباً فيك ، وأقرأ على سيدي سلاماً دائماً
الاتصال ، عَطِيرَ الْبُكْرِ وَالْأَصَالِ . يتكرر تكرُّرَ الأنفاس ، ويخضر دائماً
اخضرار الآس .

وكتب أيضاً أبو محمد^١ إليه برقة قال فيها : يا أعظمَ مَنْ لو سريتُ
بأنواره لاهتديت ، وأفخمَ مَنْ لو اقتديتُ بآثاره لاكتفيت ، ومن أبقاه الله
لفخرِ آبائه يُفضلهُ لإلّا من بنيه ، وَلِستَرِ إغضائه يَسُدُّهُ على مستحقِّيه ،
ولِعُذْرِ أوليائه يَقبله على ما فيه . كتبتُ عن قريحةِ حمد^٢ لهيها :
ونخيزة ركدَ هبوبها ، وذهنٍ امَّحتْ أضواؤه . وطبع أخوتُ أنواؤه .
وجنانٍ فلَّ ظبتهُ^٣ الكسلُ ، ولسانٍ عَقَدَ عَدَبَتَهُ الحجلُ ، ندَبَتُهُ إلى
الاحتفال فانقطع ، وبعثتهُ على الأسر سال فامتنع ، وقال : في كلِّ حينٍ
تعرضني على العيون ، بوجهٍ مجدور ، بكلِّ نَجْهٍ جدير . فقلتُ : لا عليك .
وَلَتَتَّبِعْ نَفْسُكَ إِلَيْكَ ، العذرُ إن شاء الله بين يديك : حاملُ الرقةِ إلى
عمادي - وليته لم يحملها إليه ، ولم يُطْلِعْهَا عليه^٤ . ولم يضعها بين الكريمتين^٥
يديه - حفزني أشدَّ حَفْزٍ ، واختطفها^٦ من يدي اختطافَ الذئبِ دامية العنز ،
ومنعني من النظر فيها ، وتصفَّحَ ألفاظها ومعانيها . فأسقطتُ لفظتين . كانتا

١ م س : أبو محمد أيضاً .

٢ إلا من . . . حمد : سقط من م .

٣ م س : الطيبة .

٤ م س : نجد .

٥ ولم يطلعها عليه : سقطت من ط .

٦ الكريمتين : زيادة من م .

٧ م : واستخطفها .

بين سطرين ، فاتفق بذلك نوعٌ من الإغراب ، لم يقع في بابٍ من الإغراب ، ولا سُمِعَ من العرب ولا من الأعراب ، ولم يقع في حساب . فكيف في كتاب ؟ ! ولئن عَشَرَ قلبي وما أولاه بالتعشير ، وغيَّرَ قلبي وما أجدَرَهُ بالتغيير ، ما بهَّرَ من جلالك ، وتعيَّنَ من إجلالك ، فمن رام الصعودَ إلى السماء زلَّ ، أو المكاثرَةَ بالهباءِ قَلَّ ، أو المظاهرةَ على الرؤساء ذلَّ ؛ وبين يدي نجواي صدقةٌ على الكتاب أقدمُها ، وكلمةٌ من الصواب أغنمُها : مَنْ طَمَعَ في مجاراتِكَ قَطَفَ^١ ، ولو ركب البرقَ ، ومن دفعَ إلى مباراتِكَ تَخَلَّفَ ، ولو سبق الخلقَ ؛ وإن وصلتْ تلك الرقعةُ تتعشَّرُ ألفاظها في معانيها ، وتبترأ هواديها من تواليها ، ووافتك ترسُفُ من مهابتك في عقال ، وتقفُ من سيادتِكَ بين انقباضٍ واسترسال ، فلك — أدام الله عزَّكَ — شرفُ الاهتبالِ وكرمُ الإجمالِ ، في إرخاءِ سترٍ وإسدالِ سجنفٍ ، على ما فيها^٢ من خفاءِ بشرٍ وإخلالِ حدفٍ ؛ فقبَّحَ الله العجلةَ فما أسوأ آثارها ، وأكثرَ عثارها وأكبرَ شئناها ، وأوحشَ غلطها ، وأفحشَ سقطها ! وقديماً تحامتُها الحكماءُ ، وتبادرتها العقلاءُ ، من ركبها لم ينجُ — لو أقيَلَ — من عثار ، ومن صحبها لم يخلُ — لو قُبِلَ — من اعتذار ، والله جلَّ وعلا يُعلي قدرَ عمادي على الأقدار ، ويجعلُ إليه وفي يديه مقاومَ الليل والنهار ، ويدبمُ سترَ إغضائه ، على أودائِهِ وأوليائه ، ويزيلُ وحشةَ أرضهِ بتأنيسِ سمائه .

وكتب^٣ إليه أيضاً برقة ثانية يقول فيها : يا حامل يراعي

١ قطف : مشى ببطء .

٢ عند هذا الحد تنتهي النسخة م .

٣ تنفرد من هذه الرسالة ، ولرداءة هذه المخطوطة فإن إقامة نص صحيح تماماً منها أمر بالغ العسر .

الأعظم ، ومعوّل انقطاعي الأقوم ، ومعقل امتناعي الأعصم ، ومن
 لا زال جنبه للأمطار رضيعا ، وبابه للأوطار شفيعا ، ترشح فيه نعم الأيام ،
 وتقسم أزراق الأنام ، سلام الله وروحُ رحماه ، ونفح سقياه ، عليك من
 روضة نجد ، وزهرة حُسنٍ لا زهرة حزنٍ ، ما أغدق صوبها ، وأغزر
 شربها ، وأرسخ وهاد مطاويها الشريفة ، وأشمخ نجاد مباديها المنيفة ، وأشهر
 بغير المجد وحجوله بطونَ مجانيها ، وأغمر بدر الرغد وسيوله ظهور رروانيها .
 وأصفق غيوم كرم تسقيها ، وأرق نسيم شيمٍ يجري فيها . وآثق تسبيح
 لسانها ، وأعبق رائح أنفاسها ، وأخلص شذاها إلى الأرواح ، وأعرض ريبًاها
 على الأفواح . وأضحك ثغور أقحوانها ووارف نورها . على رقص قدود
 أغصانها وغناء طيرها ، لقد حيّا بها نفوسنا فشفاهها ، وكساه من حرّ أزهار
 الكرم ما كساه ، وحلاها من درر نواذر الحكم بما حلاّها ، وأجرى هوامي
 الخير والحمد من أصولها وفروعها . وأبدى مطاوي النور من كونها وبروعها ،
 فهامُ رعايتها محلاّةُ الأكاليل بمحاسن من المفاخر العظام ، وأجسام غيظانها
 موشاة السراويل بترايين من المآثر الجسام . وأبقى من أرواحها ، في رؤوس
 أدواحها . أُنسناُ تشني عليك بالجميل . ودموع أندائها تخلق في وجوه مائها نوالك
 بالقبول . فلا لحقَ أزهارَ خِلالك ذبول ، ولا طَرَقَ أنوار خصالك
 أفول . ما مشى بالقسيم ، بريد النسيم ، بين الأزهار والخياشيم .

يا مرادي الخفي . ومن أعلى الله أمره السني ، وصلني كتاب كريم ،
 طلعت عليّ منه نجوم ، أستغفر الله تعالى بل رجوم ، هوت من أساطيري
 على شياطين فأحرقتها بنور الحق المبين ، ومحقتها مَحَقّ ضياء اليقين ظلام الشكّ
 الظنين . وتلقفتها تلقف عصا موسى حبال الملقين . وقبل نظري
 إليه وفيه . قبلتُ يدَ مُوشيه ومهديه ، وخفتُ أن أمحو سطره تقيلا .

فوضعت له لرأسي إكليلاً ، وصرتُ به على الدهر أميراً ، وكيف لا و [قد]
 ملأ عيني نوراً وقلبي سروراً ، وبدي مسكاً وكافوراً ، وداخلت نفسي
 منه قوة لا أعرفها ، فكيف أضفها ، ولا أدريها ، فكيف أحكيها ؟ وهي
 - أظن - ما يداخل المضيل إذا أنشد فوجد ، والمقل إذا استعدى على
 الدهر فأعدي بنسبة الحيا ، فقال : يا رفاه ، فرحاً بسقياه ، وأنا أقول ذلك
 ألفاً ، وأضع خدأً وأرفع كفتاً ، فرحاً بما أولى عمادي - أعلى الله
 قدره - من مسارٍ متناصرة ، ومبارٍ متظاهرة ، لا ينبري إليها شكر ، ولا
 يحتوي عليها حُضر ، ولولا رجائي - إن اختارني - بلقائه ، واعتزائي إلى
 ولائه ، ما حاست البقيع المزهر بشجرة ، ولا ماتت الربيع المخضر بقطرة ،
 وأرجو أن يسمح بالعمو ، ويصفح عن الهفو ، ويلقي عليه سرّ معروفه ،
 ويغطيه بسجف من سجوفه ، والله تعالى يقيه ويبقيه ، مشكوراً أبدياً
 ومسامحاً ، قريرة عيون أودائه وأوليائه فيه ، ومن سلامي على عمادي
 المعظم ، وإمامي المقدم ، ما لا يخلف مكانه قطر ، ولا ينوب منابه زهر ،
 ولا يقوم مقامه عنبر ، ولا يشق قتامه مسكٌ أذفر ، يلوح بلغة لكل رامق ،
 ويفوح عبقة لكل ناشق ، ما أديل غاربٌ لشارق ، وساربٌ بطارق ، والسلام .

فكان من جواب الوزير الفقيه أبي القاسم له على ذلك ما نسخته : تَمَهَّدْتُ
 لك يا عمادي أكتافُ الهمم ، ودرتُ عليك أخلافُ النعم ، وألقتُ إليك
 مكنونَ ضمايرها ومصُونِ جواهرها أصدافُ الحكم ، فما أتمَّ فضائلك
 وشمائلك ، وألمَّ^١ بأنوارِ المحاسنِ خَمَائِلِكَ ، وأسمح بكلِّ جوهرَةٍ
 ثمينة ولؤلؤةٍ نفيسة بحارك ، وأنفحَ بأنفاسِ الآدابِ بل بأرواحِ الشبابِ أصَائِلِكَ

وأسحارك !! وأكرم بخطاين لك تسابقا إليّ وتلاحقا لديّ ، كما لحق المصلّي السابق ، ونطاع الضحى غبّ الشارق ، وتدفع الحيا لآثر البارق ، أو كما شفع المولى الطوق بالسّوار ، وجمع العروس بين بهنجة الحلّي ونفح الصّوار^١ ، وأنجد البطل^٢ المبارز بالفارس المغوار ، فما طويّت للمتقدّم مطارف ، حتى نُشِرت من المتأخّر رفارف ، وما انحسرت عن محاسن الأوّل معاجير ، حتى سحّرت من براقع الآخر محاجر . وقد كان في السابق منهما^٣ ما يملأ بهراً مدارج نفسي ، ويملك دهرأ أعنة خروسي ، ويوسع لساني وجناني إفحاماً ، ويوجب لدواعي الانقطاع بين يديّ ازدحاماً ، فكم تقلّد من درّة فكر لفظها بحرك العذب الزلال ، ونقت فيها سحر ك الحلو الحلال ، فلم تقنع لغامر [١٢٧ ب] بحره ، وباهر سحره ، حتى شدّدت عرى أواخيه ، بقوى أخيه ، وأمدّدت مذانب سربه ، بتلاع تربيّه ، فلئن كان الأوّل قد استعار من الجوزاء مِرْطاً ، لقد استمنح الآخر من الثريا قُرْطاً ، ولئن ورد السابق من موارد النّشرة نُعْباً ، لقد شرب اللاحق من ماء المجرة نُعْباً ، فهلا كففت استنان خيلك ، وأمسكت قليلاً عنان سَيْلِكَ ، وثنيت من غرّب غرائبك ، وجريت على سَجّاحة ضرائبك .

وقد كان من حق الإخاء أن لا تُهيب عواصفك على نسيم عليل ، وتجهز كتابك إلى عدد قليل ، وحدث قليل ، وبدون هذا كنت أواليك مبايعاً ، وأعطيك صفقة يدي بالعجز طائعاً ، فلست ممن يعارض قوة البرهان بضعف الإقناع ، ويشتبه عليه فرق ما بين الإمكان والامتناع ، ولإني لأعلم

١ الصّوار : وعاء المسك .

٢ البطل : سقطت من س .

٣ في الأصول : منها .

ممرٌ سهمي فأقفُ وأنصرف ، ومنتهى علمي فأنصِفُ وأعترف ؛ وأما العذرُ
الذي بَسَطْتَهُ في معنى الوهم ، فقد كنتَ غنياً عن مدٍّ أو ضاحه ، وحريراً
باطراحه لا تنضاحه ، وهيهات أن يلتبسَ عليك الغريب ، فكيف القريب ؟ !
أو يشبهَ لديك الخفي ، فكيف الجلي ؟ ! وما حسبته إلا تيممةً في صدرِ
الكتاب ، تصرفُ عنكَ أعينَ الكتاب .

وبعدُ — باعدتك الأسواءُ — فإنَّ رسمي في صناعةِ الكتابةِ قد دثر ،
ونظمي في ضبطِ معانيها قد انتثر ، ولم يبقَ عندي منها إلا أثرُ خرابٍ ، أو
لمعُ مرابٍ ، فإذا امتريتُ خلفها دَرَّ بعُسْرٍ ، وعلى قَسْرٍ ، وتحلَّبَ رِسلُهُ
بضَجْرٍ ، كأنما يتفجَّرُ من حَجَرٍ . وهي خطَّةٌ مدَّ أَرْهاً على الإقبال ، وفراغُ
البال ، وزمامُها في يدي الشباب ، مع توكُّدِ الأسبابِ ؛ وأنا — أغزك الله — قد
عطلَّتْ صهوةَ جوادها ، ونزلتُ عن ذروةِ أعوادِها ، فلا تُرهقني فيها
عُسراً ، ولا تحمِّلني من مناهضتك إصراً ، وتوخَّ بفضلِكَ معي جانبَ الترفيه
والتخفيف ، وتقبَّلْ مني عَقْوَ اليسير اللطيف ، وأقرأ عليك من سلامي ما
يُرْبِي على القطرِ ، ويُرْزِي بعَنبرِ الشحر ، ويبقى ميسمُهُ في صفحة
البدر .

قال ابن بسام : قول أبي القاسم : « وما حسبته إلا تيممةً في صدر الكتاب »
احتذى في ذلك حذو أبي المغيرة بن حزم ، في فصل خاطب به ابن عمه الفقيه
أبا محمد بن حزم في حَرْفِ هَمَزِهِ ، مما لا يهمز ، فقال له ^١ :

ومن أين نفذَ بصرك حتى هَمَزْتَهُ هَمَزَ عامر بن الطفيل ، قِرْنَتَهُ في

١ انظر القسم الأول من الذخيرة : ١٦٣ - ١٦٤ .

سواد الليل ، وما أظنك جعلتها إلا تيميةً ، لتلك القطعة الكريمة ، وامثالاً
نقول القائل :

ما كن أحوجَ ذا الكمالِ إلى عَيْبٍ يوقيه منَ العَيْنِ

فصول من ترسيل أبي محمد

فصل له من رقعة عتاب : سلام على من نظر بقلبه لا بعينه ، وحكمَ
بيقينه لا بظنه ، ونطقَ بعقله لا بهواه ، وأخذ من ديناه لأخراه ، ولم يستفزهُ
قال ولا قيل ، ولم تهزهُ تلك الأباطيلُ . وبلغني قولٌ من قضى عليّ بالظنة ،
وحكمَ بالشبهة ، وللدقولات طُرُق لا يتعدّاها متعدٌّ إلاً وكان وبّالٌ
ذلك راجعاً عليه ، ولا يتجاوزها متجاوز إلا نُسِبَ زيفها إليه ، لا سيما في
ضربةٍ توجبُ حدّاً ، وتُضرعُ حدّاً ، وتَقُلُّ من فاضلٍ حدّاً ، لم يطلع
مُشيعهاً منّي على ريبة ، ولا وقفَ مذيعها على حقيقة ، بل افتراءٌ من
مُفتَرٍ ، وادّعاء من مدّعٍ ، في تلك التي لا أسميها ، فلإني طلّقتها قبل
الدخول ثلاثاً ، « ونقضتُ حبلَ وصالِها أنكاثاً » ، قبل هذا الزمانُ مساعدُ ،
والسلطانُ مهاود ، فكيف بها الآن ، وقد علّت الإنسانَ أبهةً [الكبير] ١
ووخطتته ٢ واعظتُ القثير ، وردّ ما استعار من الشباب إلى المعير ، وهجرَ
كلَّ المهجر من ذاقها شميماً ، ورفضَ كلَّ الرفض من لم يكن إلاً على

١ الكبير : زيادة من س .

٢ كذا في النسخ ، ويمكن أن تقرأ أيضاً « ووعظته » .

الحديث نديماً^١ . وأقسمُ وأعرفُ بما أقسمُ ، وألتزمُ من ذلك ما ألتزمُ ، لقد تركتها خوفاً للمعاد ، لا رياءً للعباد ، إذ الصيانة أذكى عناد ، فكيف وأنا تحت نِعَم من الله ضافية ، ونوافل متوالية ، وفواضل رائحة وغادية ؟ ! فلا تظنَّ أن تنصلي لمعذرة أريدُ [١٢٨ أ] قبولها ، وأحب تبليغها وتوصيلها ، لا والذي صيرَ العقلَ لصاحبه خصماً ، وجعل بعضَ الظنِّ إثماً ، ولا قصدتُ مَنْ قصدتُ إلا تطوعاً ، ولا زرتُ مَنْ زرتُ إلا تبرُّعاً ، ولقد أذهبُ بنفسي عن كلِّ طمع ، وأرغبُ بها عن كلِّ حرصٍ وجشع .

وله من أخرى : كُتِبَ والعهدُ يرفُّ ماؤه ، ويشف ضياؤه ، وتأتلقُ غرتهُ ، وتشرقُ أسرتهُ ، والودُّ كما تدريه ، لا مزيدَ على ما تعلم فيه ، وإن كانت القلوبُ تتناجى على البعاد ، بالسننِ الودادِ^٢ ، وتراءى على القراق ، بأعين الوفاق ، فربما أحتوجتُ حواصي الأيام ، إلى المفاوضة^٣ بالأقلام ، لضرورةٍ لا بدَّ من الإفصاح عنها ، والخروج شفاهاً منها .

وغاب فلان — أعزّه الله — وأنت تواليه وتناصره ، وتواخيه وتظافره ، فلك الفضلُ في إيصال أحرفي ، والعذر على تخلّفي ، فكان يجب أن أزورهُ

١ في إشارته إلى ترك الخمر يومئذ إلى قول أبي نواس :

أيها الراتحان بالوم لوما لا أذوق الدمام إلا شميما
فاصرفاها إلى سواي فإني لست إلا على الحديث نديما

٢ ط د : الداد .

٣ ط د : المعارضة .

٤ ط د : شفاهاً .

٥ ط د : وتواخيه ؛ س : وقواصيه (اقرأ : وتواصيه)

٦ س : عن .

ولو على قدمي ، ولا أخاطبُهُ إلاّ بضمي لا بقلمي ، لكنّ هي الأيامُ وعوادِها ،
والأقدارُ ومجارِها ، ولو أعطيتُ أَعْنَةَ الاختيار ، لطرتُ إلى جَنَابِهِ كُلَّ
مطار ، ولكنتُ في بابهِ أوثقَ مسمار ، وإن كانت مهلةٌ انحسرتُ في
زُمرته ، وتشرفتُ بخدمته .

وله من أخرى : لو أنَّ جهتي غضةٌ على مطاويها ، لم تؤثر أَيْدِي الْغَيْرِ
فيها ، ولا تحيِّقَها الفتنُ بمِجْوَدها ، ولا نَظَرَتْ إليها المحنُ بكوارثها ، لوجب
عليَّ المبادرةُ إلى الهجرة ، والتحوُّلُ إلى الحضرة ، التي الفقيهُ الأجلُّ القاضي
سَيِّدُ الأَمةِ فيها ، ويديه أزمّةُ أوامرها ونواهيها ، ولحقَّ على مثلي الانحيازُ
إلى فِئْتِهِ ، والانحسارُ في زمرته ، والانحياشُ إلى جَنَّتِهِ ، ولكانَ تنقُّلي
لذراه ، لتقيُّلِ بعضِ سجاياه ، على حسب قدرتي ، وَمَبْلَغِ مُنْتِي ، ومنتهى
قُوَّتِي ، ولعدتُ بعلاه من أن أرجعَ أَعْرَابِيّاً بعد الهجرة ، وبدويّاً بعد لزوم
الحضرة ، فكيف وأنا آخذُ من اجتباائه بأوفر قسم ، وأضربُ في وِلايَةِ بَأَوْفَرِ
سهم ؟ ! وجهتي خاويةٌ على عروشها ، خاليةٌ من أنيسها ، فيبينها وبين النصارى ،
أَقْصَرُ من إلهامِ الحبارى ، هي مَجَرُّ عواليهم ، وَمُجَرِّ مذاكيهم ، وموردُ
ضادهم ، وَمَوْقِدُ صاليهم ، وَمَخْفَقُ أعلامهم ، وَدَرِيَّةُ سهامهم ، ومسرحُ
جيادهم ، ومركزُ صِعَادِهِمْ : الخروجُ عنها غنيمةٌ ، والسلامةُ فيها هَضِيمَةٌ ،
ومن تفرَّدَ بالجلالةِ تَفَرَّدَ عمادنا ، وتوحدَ بالسيادةِ تَوَحَّدَ مَصَادِنَا ،
استجنى مؤمِّلُهُ من الليالي والأيام ، ثمرةَ بُسُوقِهِ على الأنام ، ولم يزلْ
يستنشي هَبَّةَ تلك المخايلِ الراحدةِ البارقة ، ويقتضي عِدَّةَ تلك الشمايلِ
الصادقة . وها أنا بين يدي اختباره ، فليُجِدْ في اختبارهِ ٢ ، فإن رأى

١ أقصر من . . . سهامهم : اقتبس ابن بسام بعضه : ٣٧٤ س : ٩ - ١١ .

٢ ط : اختاره .

موضعاً لحميل رأيه أقدم^١ ، وإن ألفاني مضطجعاً بأعباءٍ ولأثـ صمتم ،
ولا رغبةً إلا فيما يزلفُ لديه ويقربُ منه ، دافعَ اللهُ للمجدِ والسرِّ عنه :
وما أسقي إلا على فتوتِ رتبةٍ عليها مضى قومي ولم أكُ تالياً
وأنت على رفعي ووضعي حجةً فكن لي على أولاهما بك جارياً

وله من أخرى : كتابي عن عهدٍ طال زمانه^٢ ، واستطال سلطانه^٣ ،
ووقتٍ لا يحزُّره حساب^٤ ، ولا يحضُّره كتاب ، ولا يحويه حدٌّ ولا
يجمعه ، ولا يحصيه عدد^٥ ولا يسعه . وحالت بيننا في الأكثر أقاليم^٦ ، لا
يقطعها الإيجاف ولا الرسيم ، ولا تهتدي في طرُقها النجوم ، لا أقول :
مجاهلٌ ومعالم ، بل أقاليمٌ وعوالم ، لا يفهم الحداثَ فيها إلا التراجم^٧ ،
ولا تقطعها الجيادُ بشدِّها ، ولا الركابُ بوخذِها ؛ فهنيئاً للحضرة وجميع
أهلِ الملة حضورُك ، وفي مقامٍ المجد مُقامُك الميمونُ ومسيرُك ،
ولولا آلامُ تناوبت ، وأسقامُ تعاقبت ، لتلقيتُ أوبتك السعيدةً بقدمي ،
ألا بمدادي وقلمي ، والله يملتي الاسلامَ عمرك ، ويحملُ عنا - معشرَ
أوليائِكَ - شكرَكَ .

١ ط د س : أقام .

٢ ط : ولا يجمعه عدد .

٣ من قول المتنبي (ديوانه : ٣٧٦) :

تجمع فيه كل لسن وأمة فما تفهم الحداث إلا التراجم

٤ س : سبيل .

ما أخرجته من شعره الرائع ، الكثير البدائع

له من قصيدة في المتوكِّل^١ : [١٢٨ ب]

وافاك من فلقِ الصباحِ تبسُّمُ	وانجَاب من غَسَقِ الظلامِ نَجْمُ
والليلُ يُنْعَى ^٢ بالأذانِ وقد شدا	بالفجرِ طيرُ البانةِ المترنمُ
ودموعُ طلِّ الليلِ تخلقُ أعيناً	يرنو بها من ماء دجلة أرقم
يا صاحبي بين الصِّرَاةِ ودجلة	ودعا العلاقة مُسْعِدٌ ومتيمُ
هل في لحاظك إنما هي عطفة ^٣	زهرٌ على خضرِ الرُّبَى أو أنجم
بيضٌ كما ضحكتُ حواشي رَوْضة	وشى السماكُ ملاءَها والمرزم

ومنها :

خَبَطْتُ بنا وَرَقَ الظلامِ سوابحُ	ملءُ النواظرِ سيرهنَّ توهُّمُ
فلذا سَرَتْ فالليلُ منهم أبيضُ	وإذا غَدَتْ فالصبحُ منها أدهمُ
من كلِّ هفَافِ العنانِ كأنه	نَفَسُ المشوقِ تعاوَرَتْهُ اللَّوَمُ
يبني وبين الدهرِ يومٌ مثله	والبيضُ تشهدُ والصوارمُ تحكمُ
ومن المشاهدِ كالشَّهودِ سوامعُ	ومن الأسنَةِ ألسُنُ تتكلَّمُ

وهذا من الكلام الذي لا يجهل مثاره ، ولا يشقَّ غباره .

١ منها ثلاثة أبيات في الفوات ٢ : ٣٩١

٢ ط د : ينبغي ؛ س : تنفى ، والتصويب عن الفوات .

٣ ط : منهم .

ومنها :

سامتُ لساني فيك يا ابنَ محمدٍ
ومحبةٌ موروثةٌ مكسوبةٌ
وليلك من بنتِ الضميرِ حديقةٌ
طبقتُ آفاقَ الكلامِ فلم أدعِ
وحلوت من غررِ البديعِ بأينقِ
وتركتُ أرضَ الغربِ وهي كأنما
ورحمتُ في الآدابِ كلَّ مُستفسِ
والفهمُ قد غارتِ نجومُ سماءه
للهِ دركٌ هل لمجدك غايةٌ
وعلاك لي رداءٌ وجودك في يدي
هزئتُك أرواحُ السباحةِ بانه
وتعلمتُ منك الغمامةُ شيمةً

مِقةٌ إذا كنتم الهوى لا تُكنتم
بُدىءَ الزمانُ بها وعنهما يُختم
غناءً تُنجدُ بالرواةِ وتتهم
زهرًا يرفُّ ولا جُمانًا يُنظم
أنا خلفها بأدي العروقِ محرم
بي عالِجٌ أو ضارجٌ أو زمزم
يشغو إذا هدرَ الفنيقُ المقرم
والعلمُ وحيٌّ والطروسُ ترجم
إلا أنت بها معنى مغرم
ماضٍ كرايك في الخطوبِ مصمم
ومن الرجاحةِ في حماك يللم
تحي وفيها للبروقِ تبسم

قوله : « من كل هفاهف العنان » . . . البيت ، أخذه من قول بشار ،
حيث يقول ٢ :

• ثم انشئت كالنفسِ المرتدة •

وقوله : « وإذا سرت فالليل منهم أبيض » ، من قول محمد بن هاني ٣ :

١ ط : بالدوات ؛ د : بالدواء .

٢ ديوان بشار : ٨٥ (جمع العلوي) .

٣ ديوان ابن هاني : ١٩٠ .

قد أطلعوا بالشهبِ صُبْحَهُمْ فلو^١ عقدوا نواصِيها أعادوا الغيها

وَألمَّ بعضُ ألام ، بقولِ أبي تمام^٢ :

* كظلمة^٣ من دخانٍ في ضحَى شحب^٤ *

ولأبي محمد من قصيدة أولها :

لمن أينقُ تَأكلُ الأرضَ وخدا تُريني العوالي إلى الغربِ تُحدَى

وفي قصيدته هذه بيت يُسْتَظَرَفُ فيما وصف من طعنة غلا في سعتها
حتى أدخل عليها الفيل ، [١٢٩ أ] وأراق من دمها ما يُرَبِّي على النيل ، فقال :

له طعنة يدخل الفيلُ منها إذا الطعنُ مزَقَّتِ الزَّغْفَ نقدا

ومن الإفراط في وصفها قولُ قيس بن الخطيم^٥ :

طَعَنْتُ ابنَ عبدِ القيس طعنةً ثائِرٍ لها نَقْدٌ لولا الشَّعاعُ أضاءَهَا

وذكرتُ بخبرِ هذه الطعنة قولَ رجلٍ من شيبان^٦ :

١ الديوان : واستأنفوا بشياتها فجراً فلو .

٢ ديوان أبي تمام ١ : ٥٩ .

٣ الديوان ، وظلمة .

٤ ط د : سرب .

٥ ديوانه ٧ والمعاني الكبير : ٩٧٨ والسمط : ٨٩٤ والمختار : ٩١ .

٦ هو ثعلب (أو ثعلبة) بن عمرو الشيباني ، انظر فصل المقال : ١٥٧ والسمط : ٥٣ والحماسة

شرح التبريزي ١ : ٢٢٠ والمرزوقي : ١٤٦

فَأَتْبَعْتُهُ طَعْنَةً ثَرَّةً يسيل على النحر منها صيب
فإن قتلته فلم أرقيه^١ وإن ينبج منها فجرح^٢ رغب

يقول^٣ : إن قَتَلْتَهُ الطعنة فلم أدع جهداً ، وإن سلم فقد تركت به
جرحاً رغبياً ، أي واسعاً .

وقوله : « لم أرقيه » ، كانوا يزعمون أن الطاعن إذا رقى المطعون
برىء ، كما قال زهير^٤ :

عشيّة عاودتُ الحليّسَ كأنما على النحر منه لونُ بُردٍ محبّرٍ
فلم أرقيه إن ينبج منها وإن يمتّ قطعته لا غسٌ ولا بمغمّرٍ
وقال حاتم الطائي^٥ :

سلاحك مرقى فلا أنت ضائرٌ عدوّاً ولكنّ وجهَ مولاك تخمشُ
وقال أبو محمد بن عبدون من قصيدة^٥ :

مَضَوْا يَظْلُمُونَ اللَّيْلَ لَا يَلْبَسُونَهُ وإن كان مسكياً الجلابيبِ ضافياً

١ السط : فلم آله .

٢ متابع للسط : ٥٤ .

٣ هو زهير بن سمود كما في السط : ٥٥ وفصل المقال : ١٥٧ والألفاظ : ١٤٣ والجمهرة

٩٣ : ١

٤ السط : ٥٥ ؛ ويروى : مولاك تقطف (اللسان والتاج : قطف)

٥ انظر الفوات ٢ : ٣٩١ وقد استخدم ابن عبدون بعض أبيات هذه القصيدة في رسالة ،
(انظر إحكام صنعة الكلام : ٢٤٧)

يؤمنون بيضاً في الأكنة لم تنزل^١
وأغربة الظلماء تنفض بينهم^٢
إذا مرقوا من بطن ليل رقت بهم
وإن زعزعتهم روعة زعزعوا الدجى
ولو أنها ضلت لكان أمامها
وصلت به الهيجا عليه وسلمت
همام أقام الحرب وهي قعيدة^٣
شريف المطاوي تحت ختم ضلوعه
إذا قرئت لا بالنواظر طبقت^٤
وهدي لو استشفى المعنى بروحه
ورقة طبع لو تحلى بها الهوى
إليه أكلت الأرض بالعيس نائراً
حوافي لا يُنعلن والبعد آذن^٥
فجاءته لم تبصر سوى البشر هاديا

قلوبهم حباً عليها أدا حيا^١
قوادمها مبلولة والخوافيا
إلى ظهر يوم عزمة هي ما هيا^٢
إليها كمة والرياح مذاكيا
سنا عمر في فحة الليل هاديا
فما ارتضيا حاشاه ساقاً وساقيا
وروى القنا فيها وكانت صواديا
تميمة تقوى ردت الدهر صاحيا
سرى أختها ذات البروج مساعيا
لما كان بالوجد المبرح صاليا
لأعدى على عصر الشباب البواكيا
وقد أكلت منها الذرى والحواميا
على نفسه إلا الوجى^٦ والدياجيا
وسلته ولم يسمع سوى الشكر حاديا^٧

١ ط د : حنا عليها جاحيا ؛ س : جناجيا

٢ الفوات : فيهم .

٣ ورد البيت في إحكام صنعة الكلام : ١٤٧ مع تغيير في الرواية .

٤ ط د : كما تأتي الرياح .

٥ الفوات : طابقت .

٦ ط د س : سوى .

٧ ط د : الدجى .

٨ رواية البيت في إحكام صنعة الكلام :

فجاء ولم يبصر كوجهك هاديا إليه ولم يسمع كشكر حاديا

هوادٍ على أعجازها قيمُ الندى
أليكني أليكني والسيادةُ بيننا
إلى أمرٍ في الدهر ناهٍ ، إذا قضى
وحيثُ لا راجينَ رجعَ تحيةُ
إليك ابن سيفي يعزُّبُ زَفَّ خاطري
وإني لأستحي من المجد أن أرى
وأنتى وقد أسلفتني قبلَ وقتهِ
وأيقظتَ من قدرِي وما كان نائماً
ولكن نبا من حُسْنِ رأيك في يدي
ولولم يكنْ ما خفتُ لا خفتُ لم أجدُ
إلى منْ إذا لم تُشككني أنت والعلا
وأنت على رفعي ووضعِي حُجةُ
وما أسقي إلا على فَوْتِ رتبةِ
وكونِ مكاني من سمائك عاطلاً^٤
وإنَّ كسادِي ، رأسَ ألفِ صناعةٍ

فأربحُ بنامشِرِي حمدٍ وشارباً [٢٩١ب]
إلى مَوْلَعٍ بالحمد يشربه غالباً
على كلِّ من فيها أطاعوه قاضياً
وإن كان جوداً لا يخيبُ راجياً
عقائلَ لا تَرْضَى البروجَ مغانياً
عليَّ للممولِ سواكَ أبادياً
من البرِّ ما حازتْ^١ خطاه الأمانيا
وأبعدتَ من ذكري وما كان دانياً
أظنُّ حساماً لم يجدني تالياً^٢
على غير ما أخذتنيهِ اللياليا
أكونُ بما ألقى من الدهر شاكياً
فكنْ بي على أولاهما بك جارياً^٣
عهدتُكَ فيها بادياً ومبادياً
ولولا مكاني الدهرَ ما كان حالياً
ليتركُ وسماءُ في السيادةِ بادياً

قال ابن بسام : أبو محمد بن عبدون لمكانه من صنعة الكلام ، وسبقه
- زعم - في غايي النثر والنظام ، أقامها مقام ألفِ صناعة ، وكفى بها واحدةً

١ كذا في الأصول ، وربما كان الأصوب « جازت » .

٢ الفوات : نابيا ؛ س : تافيا .

٣ ورد هذا البيت والذي يليه فيما تقدم ص : ٦٨٣ وقد تغير الشطر الثاني من البيت الثاني .

٤ ط د : يكون . . . عاطل .

ه ط د : رسماً .

عن جماعة ، كما قال الأول :

يا عين بكّي خالدا ألفاً وَيُدْعَى واحدا

وفي هذه القصيدة يقول أبو محمد ، وهو من حرّ النظام ، وجزل الكلام :

فردّ المنى خضراً ترفُّ غصونها	بمبسوطةٍ تندى ندى وعواليا
عوالٍ إذا ما الطعنُ هزَّ جذوعها	تساقطت الميجا عليك معاليا
وعاوين على استنجازٍ طبع بهته ^١	ترقص في ألفاظهن المعانيا
وأجعل أرض الروم تجلو تلاعها	عليك زروداً والحمى والمطاليا ^٢
وقد نشرت من ذي القروح وخاله	وعمرؤ بن كلثوم عظاماً بواليا
وقيل لهم من ذا لما فتخبروا ^٣	أخيراً يبدؤ القائلين الأوليا
فإن نسقوا على الولاء ولم يكن	بذلك فاجعل منه ظلك عاريا
وعزّ على العلياء أن يلتقي العصا	مقيماً بحيثُ البدر ألقى المراسيا
ومن قام رأيُّ ابنِ المظفر بينه	وبين الليالي نام ^٤ عنهنّ لاهيا

ضجر أبو محمد من سكنى وطنه يابرة ، وهو يكرر هذا في شعره ،
كقوله فيه في قصيدة أخرى :

١ د : بهته .

٢ هذه مواطن في بلاد العرب ، والحمى والمطالي قد جمعهما الشاعر في قوله :

« ألا حي ليل والحمى والمطاليا »

٣ ط د : فتخبروا .

٤ ط د : البدر .

٥ س د : قام .

أنا يا ابن^١ سيفي يعرب سيفك الذي إذا شِمتَه لم ينبُ واخبرَه تَعَلَّمْ
 هجرتُ إليك الأقربين مهاجراً ولم أرضَ أرضاً كلُّ ساكنها عَمَّ
 فعارٌ على العلياء سكناي بلدةٌ كَبَلْدَة عَالِي الأفقِ من دون أنجم^٢ [١٣٠]
 فلو أنَّ غيلاناً حَوَتْهُ ديارُها تَغْنَى بميَّ بينهم غيرَ مُعْجَم^٣

وقوله : « قوادِها مبلولة والخوافيا » ، ينظر إلى قول أبي الحسن^٤ بن
 حصن في سحابة^٥ :

بَكَرَتْ سُحْرَة قَبِيلِ الذَّهَابِ تَنْفُضُ الْمَسْكَ عَنْ جَنَاحِ الْغَرَابِ
 وقوله : « إِلَيْهِ أَكَلْتُ الْأَرْضَ » . . . البيت ، نَسَخَهُ من قول حبيب ،
 ونقص عنه^٦ :

من القلاص اللواتي في حقائبها بضاعةٌ غير مزجاةٍ من الكلمِ
 وأبو تمام إنما نظر في هذا المعنى إلى قول الأعشى^٧ :

فإن عتاقَ العيسِ سوف تزوركم ثناءً على أعجازِهِنَّ مُعَلَّقُ

١ ط د : أنا ابن .

٢ البلدة : من منازل القمر ، يقال انها لا نجوم فيها البتة .

٣ غيلان : هو ذو الرمة ، وفي البيت إشارة إلى قوله في مية :

أحب المكان القفر من أجل أنني به أتغنى باسمها غير معجم

وفي ط د : وحته في موضع « حوته » .

٤ ط د : أبي الحصن ؛ س : أبي الحسين .

٥ انظر ما تقدم ص : ١٥٩ .

٦ ديوان أبي تمام ٣ : ١٨٦ .

٧ ديوان الأعشى : ١٤٩ واللسان (غرب) وفيه : يزوركم ثنائياً .

أراد المدح الذي تحدى به من ورائها كما أن الهادي من أمامها ، وهذا
كقول الآخر^١ :

سأرفعُ قولاً للحصين ومنذرٍ يطيرُ به الغربان شَطَرَِ المواسمِ
وتروى به الهيمُ الظَّماءُ وتلتقي بأمثاله منهنَّ سَجَعَ الحمام^٢

ويعني بالغربان أورك الابل ، وقوله : « تروى به الهيم الظماء » يعني
أن الماتح يتغنى به ، فينشطُ ويقوى على سقي إبله .

وقوله : « ولولا مكاني الدهر ما كان حالياً » ، كقول القسطلي^٣ :

غريبٌ تحلّتْ بآدابهِ بلادٌ تواصتْ بتعطيلهِ

وقوله : « ترقصُ في ألفاظهنَّ المعاني » من سرقاته الغربية ، واختلاساته
العجيبة ، تدقّ عن أعدادٍ من المباني ، وأنها من خفيات المعاني ، وأراه أنا
من قول ادريس بن اليماني ، فإياه أراد ، وإن كان ملح وزاد ، حيث يقول^٤ :

ثقلتُ زجاجاتُ أتنا فرغاً حتى إذا ملئتُ بصرفِ الراحِ
خفّتْ فكادت تستطير بما حوتْ وكذا الجسومُ تخفُّ بالأرواحِ

قوله : « وأيقظت من قدري » ... البيت ، هو لفظ أبي نُخَيْلَةَ^٥ :

١ الأول منهما في اللسان (غرب) والمعاني الكبير : ٢٥٧ وهما في الحيوان ٣ : ٤١٨ - ٤١٩

ورواية الأول في المعاني والحيوان : للحصين ومالك .

٢ روايته في الحيوان : ويطبي ، بأمثاله الغازين سجع ...

٣ ديوان القسطلي : ٥٤٥ (عن الذخيرة) .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٤

٥ الأغاني ١ : ٢٤٤ .

ونبّهت من ذكرى^١ وما كان خاملاً^٢ ولكن بعض الذكر أنبه من بعض

وكشف أبو تمام هذا وحسنه ، فقال^٣ :

لقد زدت أوضاحي امتداداً ولم أكن^٤ بهيماً ولا أرضي من الأرض مجهلاً
ولكن أباد^٥ صادفتني جسامها أغرّ^٦ فخلتني^٧ أغرّ^٨ محجلاً

وقوله : « ولكن نبا من حسن رأيك » ... البيت ، مصراعه الأول
من قول أبي فراس^٩ :

ولكن نبا منه بكفّي صارم^{١٠} وأظلم في عيني^{١١} منه شهاب^{١٢}

أخذ هذا البيت بجملته ابن عمار :

أيظلم في عيني كذا قمر^{١٣} الدجى وتنبو بكفّي شفرة الصّارم^{١٤} العصب^{١٥}

ولأبي محمد من قصيدة أخرى في المتوكل أولها :

هل عمّروا الأفق بالآرام والعقر^{١٦} أم كحلّوا الشهب بالتفتير والخور
والنقع قد مدّه^{١٧} جنح الليل فوقهم أم عينهم لا ترى التصفير في الشقر^{١٨} [ب ١٣٠]
يا ليل هل صاحب^{١٩} في اليد غيرك لي فالنجم^{٢٠} معني عن الإدلاج^{٢١} والسهل^{٢٢}

١ الأغاني : ونوهت لي باسمي .

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩ .

٣ الديوان : فأوفت بي .

٤ ديوان أبي فراس : ٢٤ .

٥ ط د : صرمد ؛ س : مرمد .

٦ س : مؤنس .

أسري وأسربُ لا مستصحباً أحداً
أدورُ فيهم وعمرانُ يخاطبُهُمْ
شادٍ وليس لسانُ الرعدِ ذا لسنٍ
كأنما الليلُ زار الأرضَ ذا شَغَفٍ
كأنَّها عِبلَةٌ والليلُ عنترَةٌ
والأرضُ قد لبستُ أذراعَ أبحرِها
من كلِّ درعٍ نسيمُ الريحِ غَضَّنها
ما كان في هيئةِ الأرضِ القيامُ لنا
مَنْ مَجْدُهُ خَصَّ قَحْطَاناً وأنعمه
أكسى من الكعبةِ الزهراءِ من نشبٍ
بسيفِهِ انتاشَ سَيْفٌ جَدُّهُ يَمْنَأُ
أنتم عَنِّي مُسْلِمٌ يا آلَ مَسْلَمَةٍ
ولم يُردْ مَطَرًا جدُّ اليزيدِ وا
لولاكمُ أهلكَ الناسَ استواؤُهُمْ

والناسُ عُميانُ لولا الخبرُ عن خبر
منِّي وهم في من رَوْحٍ ومن زُفَرٍ
هادٍ وما ناظرُ الإيماضِ ذا نظرٍ
فأكبرتُ وصلَ أحوى اللونِ ذاعورٍ
في جَمْعٍ أَشْتَاتِهِ لو كان ذا بَصَرٍ
وجرَّدَتِ فوقَ أيديها ظُبا الغدرِ
وصارمٍ بالحجابِ اعتاضَ^٢ من أثرٍ
بالليلِ لولا مزيدُ من سنا عمرٍ^٣
عَمَّتْ ربيعةُ والحمراءُ من مضرٍ
أعرى على لبْسِهِ العَلْيَا من الحجرِ
لا سيفٍ وهرزٍ المحدودِ بالنقرِ
بالجودِ إذ لم يَنازِعْهُ بنو مطرٍ
كن من نَدَى جدِّكم سمَّاه بالمطرِ
ولم يكونوا سوى دُهُمٍ بلا غُرَرٍ

١ يعني عمران بن حطان ويقال إنه نزل في تنقله بروح بن زنباع وزفر بن الحارث ،
وكان إذا خاف انكشاف أمره ارتحل متكرراً وادعى لنفسه اسماً ونسبة غير اسمه ونسبته

(انظر شعر الخوارج : ١٦١ - ١٦٥)

٢ ط د : اغتاض .

٣ لم يرد هذا البيت في ط د .

٤ ط د : لسيفه .

٥ يريد مسلم بن الوليد في مدحه يزيد بن مزيد الشيباني ، ويشير إلى قوله (ديوانه : ٧) :

سل الخليفة سيفاً من بني مطر أقام قائمه من كان ذا ميل

وفي ط د : على مسلم ؛ وصوبته بحسب المعنى .

كم في سرادقكم^١ من ماجد عَمِمَ
 لمّا رأوا أنه لا عيبَ يَدْرِكُهُ
 يعُطي الخزِيلَ ومأوى الخائفِ الحذر^٢
 عابوه وهو الكبيرُ القديرُ بالقصر
 والصبحُ مبدي ربِّ نجدٍ وإن صغرت
 والليلُ يسترُ لبناناً على الكبير

وقوله : « بسيفه^٣ انتاش سيفُ جدّه^٤ يمناً » ، يريد سيف بن ذي يزن ،
 حين استنقذ من أيدي الحبشة ملك اليمن ، في خبر معروف ، خارج عن غرض
 هذا التصنيف . ووهرز - يقال بالراء والزاي^٣ معاً - وهو الذي أنقذه كسرى
 أبرويز مع سيف بن ذي يزن ، أميراً على من كان في سجنه ، بأشارة مرازيته
 فكان من أمره ما كان .

وله فيه من أخرى :

مالي إذا نفّسُ معنى قدّستُ وسرتُ
 أنت الذي باهتِ الأرضُ السماءَ به
 أحومُ حَوَلَ حياضٍ من رضاك وما
 راعوا قديمَ ولاءٍ يالَ مَسْلَمَةٍ
 تفري أدبمي الليالي غيرَ مبقيةٍ
 ولأنني في مواليكم كلكمكم^٥

وهذا كقول ابن الرومي :

تلوحُ في دُؤَلِ الأيامِ دولتكم
 كأنها ملّةُ الإسلامِ في المللِ

١ وقمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ ط د : لسيفه .

٣ ط د : والزاء .

٤ الذخيرة ٣ : ٣٤٢ .

وله فيه من قصيدة اندرج له بعضها في رسالة موشحة ، عارض البديع
بها في بابه ، وَصَبَّ فيها على قلبه ، منها : [١٣١ أ]

دوحة فرعها على الشَّهْبِ موضوعٌ وأصلٌ قد غاصَ تحتَ النجومِ
شُهْبٌ زَيَّنَتْ سماءَ المعالي وحماتها من ييضه برجوم
يردون الظُّبا ورودَ القطا والموتُ قد غَضَّ بالقنا المحطوم
أوقعوا بالمجوسِ ما يعلمُ اللهُ وثَنُّوا من بَعْدِهَا بالرومِ
سُوددٌ حار فيه وصفي فما أَسْطِيعُهُ بالمشورِ والمنظومِ
وإذا ما هزُّوا صدورَ القنا الصمِّ فما صدرُ فيلقِ بسليم
زعزعوها فليس تدري سوى عهدهم في حديثها والتقديم
كلِّما حَكِّمُوا اللَّهَ بالندى في المالِ نادى مالي وللتحكيم
مثلما حَكِّمُوا اللَّهَ بالندى في الأخذِ بالإختبار في المحكوم
ما على البيضِ غير أن تدعِ الهامَ بهم مثلَ الهاءِ في الترخيم
صوتُها في أَسْمَاعِهِمْ كاللثاني والمثاليثِ في سماعِ النديم
ليس إلا الظبا لهم زَهْرٌ والدَّمُ خمرٌ لكنْ بلا تحريم
فثناءٌ منِّي أرففُ بُرْدِيهِ ومنهم إدمانُ برِّ عميم

قوله : « خمرٌ لكنْ بلا تحريم » من الاستدراك البديع ، والتخلص المطبوع .
وقوله : « كلِّما حَكِّمُوا اللَّهَ » . . . البيت ، يشبه قول أبي محمد بن صارة
الشنري : ٢ :

خُلِّقَ الوزيرُ أبي العلاءِ خوارجٌ لكنها ليست تَرَى التحكيما

١ ط د : متى .

٢ ط : الشنري ؛ وترجمة ابن صارة ترد في ما يلي : ٨٣٤ .

وله أيضاً من قصيدة^١ :

سقاها الحيا من مغانٍ فِساحٍ	فكم لي بها من معانٍ فصاحٍ
وحلّى أكاليلَ تلك الرُّبى	ووشى معاطفَ تلك البطاح
فما أنْسَ لا أنْسَ عهدي بها	وجرّى فيها ذبولَ المراح
فكم لي في اللهو من طيِّرةٍ	عليها بأجنحةٍ الإرتياح
ويومٍ على حَبيراتِ الرياضِ	تُجاذبُ برديَّ أيديَّ ^٢ الرياح
بحيثُ لم أعطِ النهى طاعةً	ولم ألقِ سمعاً إلى لَحْيٍ لاح
وليلٍ كرجعةٍ لحظٍ ^٣ المريب	لم أدْرِ له شَقَقاً من صباح
كعُمُرٍ عَفاتكُ ^٤ يومَ الندى	وعُمُرٍ عذاتك يومَ الكفاح
إليك رمى أُملي بي ولا	هويَّ مصفِّقةٍ بالجنّاح ^٥
أقول لراجي الحيا وهو دان	مدّاهُ وجلّواهُ من كلِّ راح
إذا عُمُرٌ هَطَلَتْ كفهُ	فلا حَمَلَتْ سَحْبٌ من رياح
من النافذي الطعْنِ تحت العجاج	بين الدّلاصِ وبين الرماح
من القومِ ينزلهم خَصْدُهُمُ ^٦	عن الموتِ شوكَ القناني البراح [١٣١ب]
وعنهم تَكُونُ رفعُ العلا	سماءً على عمدٍ من صفاح
وقادوا الزمانَ إلى اليومِ وهو	رقيقُ الحواشي صَقيلُ النواحي

١ الفوات ٢ : ٣٩٣ والقلائد : ١٤٦ والمغرب ١ : ٣٧٥ والنفع ١ : ٦٧٤

٢ القلائد والنفع والمغرب : مر الرياح .

٣ في المصادر : طرف ، وكذلك خ بهامش ط .

٤ الفوات : عذاتك (جمع عدة) .

٥ الفوات : بالرياح .

٦ ط : ينزلهم خضرهم ؛ د : يزدحم حصدهم ؛ س : ينزلهم حصدهم .

وله من أخرى ، وهي قصيدة فريدة فضح بها الأواثل ، وصرح فيها
عن كل طائل ، والمرءُ مخبوءٌ تحت لسانه ، وشرفهٌ بنفسه لا بزمانه ،
أولها^١ :

ساروا وميسكُ الدياجي غيرُ منهوبٍ^٢ وطرةُ الشرقِ غُفلٌ دون تذهيبِ
على ربى لم يزلْ شادي الذبابِ بها يلهي بآنقٍ ملفوظٍ ومضروبِ
كالقيد في قَبَبٍ^٣ الأزهار أذرعهُ قامتْ له بالملثاني والمضاريبِ
والغيمُ تنثرُ منه راحةٌ خُضِبَتْ^٤ بالبرق فوقَ درأٍ غيرِ مثقوبِ
فرحتُ أستخيرُ الأنفاسَ لا الطَّسْمُ^٥ أدراسَ عن موعدٍ في الحيِّ مكنوبِ
وأشتفي بسؤالِ الريحِ مُخْبِرَةً عنهم ولو أنها تهفو بتأنيبي^٦
هيئات لا أبتغي منكم هوًى بهوى حسبي أكونُ محباً غيرَ محبوبِ
فما أراحُ لذكرى غيرِ عالية^٦ ولا ألدَّ بحبِّ دونِ تعذيبِ
ولا أصالحُ أيتامي على دَحْنٍ ليس التفاقُ إلى خلقي بمنسوبِ
يا دهرُ إن توسع الأحرارَ مظلمةٌ فاستثنني إنَّ غيَلي غيرُ مقروبِ
مهلاً فدرعُ حويلي غيرِ مُحْتَنَةٍ عجباً وسيف عزيبي غيرِ مقروبِ^٧
ولا تخلُ أني ألقاك منفرداً إنَّ القناعةَ جيشٌ غيرُ مغلوبِ

١ منها بيتان في الفيث ٢ : ٢٣٢ والريحان : ١٥٦ / أو ثلاثة في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٢ الريحان : موهوب .

٣ س : كالقيد في قلب .

٤ س : خضلت .

٥ ط : بتأنيب .

٦ س : عالنة .

٧ سقط البيت من د س .

ما كلُّ مَنْ نَسِمْ خَسِفاً عَافَ مَورِدَهُ
 وكم تَأَزَّرَتِ الْغِيْطَانُ لِي كَرَمًا
 أَمْشِي الْبَرَّازَ وَلَا أَعْفِي بِهِ أَثْرِي
 وَرَبَّ عَاوِي عَلَى إِثْرِي بُلَيْتُ بِهِ
 أَسْكَنْتُ عَنْهُ وَلَوْلَمْ يَزِدْ جَرْغُضِي
 سَوَيْتُ أَشْبَاحَ أَفْظَاظِي وَقَدْ سَأَرُ
 أَوَانِسُ أَذِنْتُ لِي وَالنَّوَى قَدْ فُتُّ
 سَمَا بِذِكْرِي إِلَى أَسْمَاعِهِمْ أَدْبِي
 وَطَارَ بِي أَذْنُهُ فِي أَفْتَقِ حِرْصِهِمْ
 لَا يَنْظُرُونَ إِلَى شَخْصِي كَمَا نَظَرْتُ
 مِنْ كُلِّ مُطْلِقِ قَيْدِ الْحَرْبِ عَنْ لَجَبِ
 يَمْرُ مَرَّ الْغَمَامِ الْجَوْنِ يَتَّبِعُ مِينُ
 إِنَّ الْإِبَاءَ لَظَهَرُ غَيْرُ مَرْكُوبِ
 وَاسْتَنْشَقْتَنِي أَنْفَاسُ الشَّخَابِ
 حَسَبُ الْمَرْبِ رَكُوبُ الْقَاعِ ذِي اللَّوْبِ
 بَلَاءَ لَيْثِ الشَّرَى فِي اللَّيْلِ بِالذِّبِ
 وَشِمْتُ صَارِمَ تَأْنِيْبِي وَتَرْيِي
 وَاحَ الْمَعَانِي لَهَا نَقْدِي وَتَهْدِي
 عَلَى عَلَا كُلِّ صَعْبِ الْإِذْنِ مُحْجُوبِ
 مَسْرَى النَّسِيمِ إِلَى الْآنَافِ بِالطَّيْبِ
 عَلَى قَوَادِمِ تَأْهِيلِي وَتَرْجِي
 بِيضُ الْخُدُورِ إِلَى الْقَفَرِ مِنَ الشَّيْبِ
 قَيْدُ الْأَسْوَدِ عَلَى طَيْرِ السَّرَاحِيْبِ
 لَحْمُ أَبَارِيقَ تَرْغِيْبِ وَتَرْهِيْبِ

مدح بهذه القصيدة المعتمد بن عباد .

قوله : « حَسْبِي أَكُونُ مَحْبَبًا غَيْرَ مُحْبُوبٍ » لفظ أبي الطيب ٣ :
 أَنْتَ الْحَبِيبُ وَلَكِنِّي أَعُوذُ بِهِ مِنْ أَنْ أَكُونَ مَحْبَبًا غَيْرَ مُحْبُوبٍ [١٣٢أ]
 وقوله : « وَلَا أَصَالِحُ أَيَّامِي عَلَى دَخْنٍ » ؛ لفظه أيضاً ٤ ، وقوله :

١ علا : سقطت من ط .

٢ ط : الفقرا ؛ د : القفرا .

٣ ديوان المتنبي : ٤٤٩ .

٤ يريد قول أبي الطيب :

فلا أحارب مدفوعاً على جدر ولا أصالح مغروراً على دخن

« إن غيلي غير مقروب » ، لفظ [بيت] الجميح ^١ .

• تسكن غيلاً غير مقروب •

وقوله : « أمشي البراز » ... البيت ، عكس قول امرئ القيس ^٢ :

• على أثرينا ذيلَ مِرْطٍ مرحلٍ •

وأخذه ابن المعتز فقال ^٣ :

فظلتُ أبسطُ خدّي في الترابِ له ذُلًّا وأسحبُ أذيالي على الأثرِ

وقوله : « لا ينظرون إلى شخصي كما نظرت » ... البيت ، كقول
محمد بن هانيء الأندلسي ^٤ :

همُ لحظوكم والنبوّةُ فيكمُ كما لحظت شيبَ الكبيرِ الفواركُ

وأصله من قول امرئ القيس ^٥ :

أراهنَّ لا يُحْبِسُنَّ من قَلَّ مالهُ ولا من رأينَ الشيبَ فيه وقوَّسا

١ س ط د : الجمحي ، والجميح لقب لشاعر اسمه منقذ بن الطماح ، وبيته هذا من قصيدة

له مفضلية ، وهي الرابعة في الترتيب : (شرح ابن الأنباري : ٢٥ - ٢٩) :

أما إذا حردت حردى فمجرية جرداء تمنع غيلاً غير مقروب

٢ ديوان امرئ القيس : ١٤ ، صدره : « خرجت بها تمشي تجر وراءنا » .

٣ ديوان ابن المعتز ٣ : ٥٠ .

٤ ديوان ابن هانيء : ١٠٤ .

٥ الديوان : كما لحظ الشيب النساء .

٦ ديوان امرئ القيس : ١٠٧ .

والوزير أبي محمد عبد الغفور من أهل وقتنا فصل^١ يتعلق بهذا المعنى من رقعة ، قال فيه : كنت^١ قبيل هذا المشيب الذي علا ، والشباب الذي تولّى ، كريماً على ذوات الطلّ ، لا يتعرّضن^٢ فيّ لمكان القلّة^٢ يلوّلا ، ولما أطار غراب الشباب باز المشيب ، ورُحْتُ رثّ الجلباب بعد كل^٣ شَحْتُ قشيب ، سمعتهنّ حيناً يتبرّمن^٤ ، وحيناً يترنّمن^٤ ، إلّا^٥ أنهنّ يُجَمِّنُجِمْنَ ولا يُتَرَجِمْنَ ، وبفضل حاسّتي - والله الفضل - ما فهمتُ الوزن ، فلما استقرّيتُ لتعرفِ حُرُوفِهِ السَّهْلَ والحَزْنَ ، عثرَ لهجّي في تَطَلُّبِ تلك الضالة بلعلّ وعسى ، بقول الملك الضَّلِيل : « ألما على الرّبْعِ القديم بعسعا » ولم أزل بعدُ مُحَدَّثاً مُوسُوساً ، حتى سقط بي اليقين على قوله « وقوساً » وفي صدر هذا الرويِّ « أراهن لا يُحْبِبْنَ من قلّ ماله » ، وإذا قوس ظهر المرء فقد استحال جماله ، فلذن قاتلهنّ الله يُحْبِبْنَ القبيحَ ذا المال ، والفقيرَ ذا الجمال .

وصفة ابن عبدون للذباب : أجاد فيه ما أراد ، وقد تناول هذا المعنى أبو بكر بن سعيد البطليوسي ، فقال من قصيدة^٣ :

كَأَنَّ أَهَازِيَجَ الذَّبَابِ أَسَاقِفٌ لها من أزاهير الرياضِ محاريبُ
وأخذه ابن عبدون من قول ابن الرومي يصف روضاً^٤ :

١ ط : كتبت .

٢ ط : القلت .

٣ بيت البطليوسي في رفع الحجب ٢ : ٣٦ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٢ وديوان المعاني ١ : ٣٦١ والسمط : ٨٦ ؛ وتشبيهات ابن أبي حون

. ٣٨٩

وَعَرَّدَ رِبْعِيُّ الذَّبَابِ خِلَالَهُ كَمَا حَثَّ الشَّوَانُ صُنْجًا مُشْرَعًا
وَكَانَتْ أَهَازِيحُ الذَّبَابِ هُنَاكُمُ عَلَى شَدَوَاتِ الطَّيْرِ ضَرْبًا مَوْقَعًا

ولمَّا اخْتَرَعَهُ أَوَّلًا عَنَرَةً بِقَوْلِهِ ^١ :

فَتَرَى الذَّبَابَ بِهَا يُغْنِي وَحْدَهُ هَزِجًا كَفِعْلٍ الشَّارِبِ الْمُرْتَمِ
عَرِدًا يَحْكُ ذِرَاعَهُ بِذِرَاعِهِ فِعْلَ الْمَكْبِ عَلَى الزَّنَادِ الْأَجْذَمِ

وهذا من التشبيه الذي ما له شبيه ، ولم يحسر عليه أحد ، غير أن ذا الرمة
نقل معنى الصفة إلى الجندب فقال ^٢ :

كَانَ رَجُلِيهِ رَجُلًا مُقْطِيفٍ عَجِيلٍ إِذَا تَجَاوَبَ ^٣ مِنْ بُرْدَيْهِ تَرْنِيمٍ

[١٣٢ ب] والمُقْطِيفُ : رَاكِبُ الدَّابَّةِ الْقُطُوفِ ، فنقل صفة يدي
الذباب إلى رجل الجندب فأحسن الأخذ ، وكأنه لم يعرض لعنرة في
معناه .

وقال السلمي في صفة زنبور ^٤ :

إِذَا حَكَ أَعْلَى رَأْسِهِ فَكَأَنَّمَا بِسَافَتِيهِ مِنْ يَدَيْهِ جَوَامِعُ

فَبَاعَدَ عَنَرَةً فِي الصِّفَةِ ، وَإِنْ قَارَبَهُ فِي الْمَوْصُوفِ ، وَتَعَلَّقَ فِي اللَّفْظِ

١ زهر الآداب : ٧٤٠ والحيوان ٥ : ٥١٣ وتشبيهات ابن أبي عون : ٣٨٩ وديوانه :

١٩٧ - ١٩٨ ، وابن بسام يتابع في هذه القطعة ابن رشيقي قراصة الذهب : ٦٩ - ٧٠ .

٢ ديوان ذي الرمة ١ : ٤١٩ وقراصة الذهب : ٦٩ .

٣ ط د س : تجاذب .

٤ اليتيمة ٢ : ٤٢٠ وقراصة الذهب ٦٩ .

بصرى الغواني إذ يقول في النساء^١ :

فغطت بأيديها ثمارَ نخورها كأيدي الأسارى أثقلتَها الجوامعُ

وقد قال بعضُ أهلِ أفقنا ، وهو يوسف بن هارون الرمادي :

وكأسٍ كريقِ الإلفِ شعثتها به وعيشيَ من هذا الشرابِ المشعشع
على روضةٍ قامتْ لنا بدرائكِ وقام لنا فيها الذبابُ بمسمع
إذا ما شربنا كأسنا صُبَّ فضلها على رَوْضِنَا للمسمع المتخلِّع
وهذا مما أغربَ فيه الرمادي .

وقد قال الجاحظ^٢ : وجدنا المعاني تُقَلَّبُ ويؤخذ بعضها من بعض
إلاَّ قولَ عنترَةَ في الذباب ، وقولَ أبي نواس في تصاوير الكأسِ ، حيث
يقول^٣ :

قرارتُها كسرى وفي جَنَبَاتِها مهأَ تدْرِيبِها بالقسيِّ الفوارسُ
فللراحِ ما زُرْتُ عليه جيوبُها وللماءِ ما دارتْ عليه القلائسُ
يريد أنَّ حدَّ الخمرِ بلغَ نخورَ هذه الصور ، وزيد الماء فيه فانتهى الشراب
إلى فوق رؤوسها ، وفائدة هذا معرفةُ حدِّها صرفاً ، من حدِّها ممزوجةً .

١ ديوان مسلم : ٢٧٣ وزهر الآداب : ٩٩٦ وقراءة الذهب : ٧٠ .
٢ ورد هذا القول في زهر الآداب : ٧٣٩ - ٧٤٠ وانظر تعليق الجاحظ على شعر عنترَةَ في
وصف الذباب في كتاب الحيوان ٣ : ٣١١ - ٣١٢ .
٣ ديوان أبي نواس : ٢٩٥ وزهر الآداب : ٧٤٠ .

قال ابن بسام : وقد ذُكِرَ أنَّ الحسن ولد هذا المعنى من قول
امرئ القيس^١ :

فلما استطابوا صبَّ في الصحن نصفه وشجَّتْ بماءٍ غير طَرَّقٍ ولا كدرٍ

فجعل الشراب والماء نصفين^٢ ، لقوة الشراب ، فتسلَّق الحسنُ عليه ،
وأخفاه بما شغل به الكلام ، من ذكر الصورة المنقوشة في الكأس ، إلا أنها
سرقةٌ مليحة . وكرَّرَ أبو نواس هذا المعنى عجباً به في مواضع كقوله^٣ :

بنينا على كسرى سماءَ مدامةٍ مكلَّلة حافاتها بنجومٍ
فلوردٌ في كسرى بن ساسان روحه إذن لاصطفاني دونَ كلِّ نديمٍ

وأخذه الناشيء وولد معنى زائداً فقال^٤ :

في كأسها صورٌ تُظنُّ لحسنِها عُرْباً برزْنَ من الحجال وغيدا
وإذا المزاجُ أثارها فتقسَّمت ذهباً ودرّاً توأماً وفريدا
فكأنهنَّ لبسنَ ذاك مجاسداً وجعلنَ ذا لنحورهنَّ عقودا

وقال ابن المعتز^٥ :

وكأسٌ^٦ من زجاجٍ فيه أسدٌ فرانسهنَّ ألبابُ الرجالِ

١ ديوان امرئ القيس : ١١ .

٢ س ط : قسmin .

٣ زهر الآداب : ٧٤٢ .

٤ زهر الآداب : ٧٤٠ .

٥ زهر الآداب : ٧٣٨ وديوان ابن المعتز ٣ : ٩٧ والأوراق : ١٩٩ .

٦ الديوان : بغاب .

وَأَلَمَ^١ بهذا الملتمس بن بطال البطليوسي^١ فقال :

وغاب من الأكواس فيها ضراغم^٢ من الراح ألباب الرجال فريستها
قَرَعَتْ بها سِنَّ^٣ الهموم فأقلعت وقد كاد يسطو بالفؤاد ريسها
[١٣٣ أ] وقال بعض أهل عصرنا ، وهو أبو تمام بن رباح^٤ :

وكأسٍ بدا كسرى بها في قرارةٍ غريباً ولكن^٥ في خليجٍ من الخمرِ
وما صورتهُ فارسٌ عبثاً به ولكنهم جاعوا بأخفى من السحر
أشاروا بما دانوا له في حياته فَيُؤمى إليه بالسُّجودِ وما يدري

ومثل هذه المعاني التي ذكروا مما انفرد به كل واحد من الشعراء ، لا يكاد يتناولها حاذق إلا قصر ، إلا أن يزيد زيادةً تظهر ، ولذلك ما تحامى الناس أشياء كثيرة من المعاني التي أخذت حقها من اللفظ ، ولم يبق فيها فضلة تُلتمس ، والقرائح تتفاضل ، ألا ترى إلى قول جميل في وصف امرأة فاجأها^٦ :

غدا لأعب في الحي لم يدْرِ أننا نمرُّ ولا أرض لنا بطريق
فلما انتحينا^٧ اتقانا بكُمه وأعلن من روعاتنا بشهيق

١ هوسليمان بن محمد بن بطال ، أبو أيوب : كان فقيهاً مقدماً وشاعراً محسناً قريباً من الأربعمئة (انظر ترجمته في الجذوة : ٢٠٦ وبغية الملتمس رقم : ٧٦٢ والنفع ٣ : ٢٩٢ ، ٤٥٠ وله مقطعات كثيرة في كتاب التشبيهات من أشعار أهل الأندلس) .

٢ ترجمته في القسم الثالث : ٨٢١ .

٣ لم يرد هذا الشعر في ديوان جميل ؛ ولكن ابن بسام يتابع هنا ما يقوله ابن رشيق في قراضة الذهب : ٥٧ .

٤ القراضة : افتجيناها (ولا أراه صواباً) .

كيف وَصَفَ حَقِيقَةَ الحَالِ الَّتِي صَوَّرَهَا تَصْوِيرًا ، مع حَسَنِ لَفْظٍ ،
وليس مع ذَلِكَ ببالِغٍ قولِ النَّابِغَةِ ١ :

سَقَطَ النِّصْفُ وَلَمْ تُرِدْ إِسْقَاطُهُ فَنَاقَلْتَهُ وَاتَّقَنَّا بِالْيَدِ

رَجَع

وقال ابن عبدون من قصيدة :

لولا المؤيدُ ، مدَّ الله مدَّتَهُ ،
فلم أكنْ وسوى بغدادَ ٢ لي أملٌ
وإن نبتَ حمصُ بي واللهُ يعصمها
وللمؤيدِ ، مدَّ الله مدَّتَهُ
لم ينتقبْ وجههُ للسُّمْرِ مشرعةً
يشأى المُسَاجِلَ في بأسٍ وفي كرم
تراهُ إن تدَّعُهُ يَوْمِي ٣ ندى ووغى
إليكَ منِّي ، أعزَّ الله نصركَ ما
جاءَ تَكَ تَرْقُصُ أردانُ الكلامِ به

ما كان لي في سوى بغدادَ من أربٍ
فيها كما كنت في أهلي بمغترِبٍ
ركبتُها عزيمةً تشأى الكواكبَ بي
رأيٌ يغالطُ شُهْبَ الليلِ في القطبِ
ولأنه من حياءِ الوجهِ في نُقْبِ
ويعلاُ الدلو في العليا إلى الكَرَبِ
النارَ في عَرَفَجِ والماءَ في صَبَبِ
أبقَّتَهُ أيدي السرى والبيدِ والنَّوْبِ
سوايحُ تأكلُ الغبراءَ بالخبِ

وله في المعتمد من قصيدة :

إنَّ الممالكَ والسيوفُ شهودُ لكمُ إماءُ والملوكُ عبيدُ

١ ديوان النابغة : ٣٤ وقراءة الذهب : ٥٧ .

٢ بغداد : سقطت من ط د .

٣ ط د س : يوماً .

شامتكم^١ في المكرماتِ عزائم^٢ وعلاً^٣ نشأن^٤ مع النجوم وقبلها من معشر^٥ أخذوا بأطراف العلا جادوا فبانت^٦ في البسيطة^٧ أنجم^٨ يا روضة^٩ وصف^{١٠} النسيم أريجها^{١١} ما لي أرفف^{١٢} حول دوحك^{١٣} ضاحياً لا ذنب^{١٤} للآمال^{١٥} إلا^{١٦} أنها ركب^{١٧} إليك^{١٨} جناح^{١٩} كل^{٢٠} عزيمة^{٢١} أكلت^{٢٢} إليك^{٢٣} الأرض^{٢٤} وهي بحسبها جار^{٢٥} على^{٢٦} أحكامها^{٢٧} التأيد^{٢٨} ولهن^{٢٩} من بعد^{٣٠} النجوم خلود^{٣١} والأفق^{٣٢} غفل^{٣٣} والليالي سود^{٣٤} وسطّوا^{٣٥} فثارت^{٣٦} في السماء^{٣٧} أسود^{٣٨} رقي^{٣٩} علي^{٤٠} فأنني^{٤١} غريد^{٤٢} أصف^{٤٣} الأوار^{٤٤} وماؤها^{٤٥} مورود^{٤٦} شهب^{٤٧} لها^{٤٨} من أن تراك^{٤٩} سعود^{٥٠} [١٣٣ب] قرب^{٥١} الردى^{٥٢} من خلفها^{٥٣} مزمود^{٥٤} إن^{٥٥} لم^{٥٦} تعقها^{٥٧} من ثناك^{٥٨} قيود^{٥٩}

قوله : « وعلاً نشأن مع النجوم وقبلها » ، مأخوذ من قول المعري ، وله فيه زيادة ، تجاوزت الغاية في الإجادة ، وخرقت في الإحسان كل عادة ، وهو قوله يصف خيلاً^٣ :

نشأن مع^١ النعام^٢ بكل^٣ دوح^٤ فقد ألفت^٥ نتائجها^٦ الرثالا^٧

ولعل^٨ هذا توارد^٩ من الطباع ، وبحسب القرينة يكون^{١٠} الإبداع^{١١} والاختراع .

وقوله : « يا روضة وصف النسيم أريجها » ، من قول اسحق

١ ط : رقي .

٢ لعل الصواب : « الأوام » .

٣ شروح السقط : ٤٥٤ .

٤ نشأن : الضمير يرجع إلى بيت ذكر فيه السوابق ، أي وقعت الألفة بين المهار والرثال

وهي أولاد النعام .

الموصلي^١ :

يا سَرَحَةَ الماءِ قد سُدَّتْ موارِدُهُ أمّا إِلَيْكَ طريقٌ غيرُ مسدودِ

ولا بن عبدون من قصيدة في الرشيد نقلتها من مبيضاته ، ولم يعرضها
عليه ، ولا أوصلها إليه ، أوّلها^٢ :

عزيمٌ لا يُسَدُّ عليه بابٌ وقلبٌ لا يُقَلُّ له ذُبَابٌ

ومنها :

مضى في نائباتِ الدهرِ صَليداً ^٣	فلم يُثَلِّمْ وقد طال الضرابُ
وقد زَرَّوا الضلوعَ على قلوبِ	لو انتضيتْ لقطَّ بها الرقابِ
وسرتُ ومن كواكبه حُلِيِّ	عليٍّ ومن غياهبيه قرابِ
ولو بسوى الرشيد جعلتُ هديي	لضلَّ الركبُ فيها والركابِ
من التفرُّ الألى طلعوا نجوماً	فمن أنوائهم فينا انسكابِ
إذا هزَّتْهُمْ نَعَمُ العوالي	فليس سوى النجيعِ لهم شرابِ
وباءَ قفلتُ في الغبراءِ برجٌ	وثارَ قفلتُ في الخضراءِ غابِ
إمَّ عَقِدَتُ حُباهُ على خلالِ	ظُبَاهُ لا تهابُ كما تهابِ
وطبقَ مَقْصِلَ العليا بنَقَسِ	مآثرها تراثٌ واكتسابِ
كأنَّ عداه في الهيجا ذنوبٌ	وصارمُهُ دعاءٌ مستجابِ

١ الأغاني ٥ : ٣٥٠ ورفع الحجب ١ : ٤١ ونهاية الأرب ١ : ٢٧٩ والذخيرة ١ : ٨٦٣ .

٢ منها ستة أبيات في الريحان ١ : ١٥٥ ب .

٣ الريحان : فرداً .

٤ الريحان : عطفوا .

وهذا ممّا أغرب فيه ، ولم أسمع له بشييه ، ولعلّه أميرُ شعره ، ونتيجة
فكره ، وفيها يقول :

إليكَ أبا الحسين ركبْتُ عزماً يضيقُ برحب مسعاه الطّلابُ
رمتُ في البحر منك ولم تعرّجُ على أرضٍ بقيعتِها سرابُ^١
وقد مرّقتُ إليك من الدجى بي أعاريبُ تحبُّ بها عراب
هفتُ بي والدجى يهفو حشاه كما كسّرتُ على خُزَرٍ عقاب

قول أبي محمد : « وسرتُ ومن كواكبه حُلِيٌّ » ... البيت ، سلك
فيه سبيلاً من البديع لا تُسَلِّكُ ، واستولى منه على غاية من الكلام المطبوع
قلّما تُدرك .

وأما قوله : « كما كسّرتُ على خُزَرٍ عقاب » فما أولاه عليه بالعقاب ،
إذ نسخَ لفظَ أبي الطيب كما تراه ، وقصّر أكثر مما شاء عن معناه ، وهو^٢ :

يهزُّ الجيشُ حولك جانبيه كما نقّضتُ جناحيها العقابُ
على أنّ أبا الطيب إنما تطرّفَ قولَ طرفة^٣ :

بكتائبٍ تردّي كما تردّي إلى الجيفِ النّسورُ

[١٣٤ أ] ولكن المتنبي طار في السماء مع العقاب ، وترك طرفة في
الأرض على التراب .

١ وقع هذا البيت آخرّاً في س .

٢ ديوان المتنبي : ٣٧٠ .

٣ لم يرد في ديوان طرفة .

وكان أبو محمد حين استوحش من المنصور بن المتوكل^١ ، ولحق بأشيلية ،
كتب إلى الوزير الأجل أبي بكر بن زيدون بهذه الأبيات :

لك الخير من مثري اليدين من العلا إذا تَرَبَّتْ أَيْدِي النُّوَى والتطوُّلِ
بما كان بين الماضيين من الذي إليه استنادي^٢ أو عليه مُعَوِّلِي
ولم تَمْسِكْ بالمؤيد لي يدٌ وقد زهفت^٣ رجلي عن المتوكل
وله أيضاً يقول :

قل للوزير أدام الله عزَّتهُ والجاهُ يَفْنَى وقولُ الدهرِ مفهومٌ
لئن نبت بي حمصٌ وهي قد فعلتُ فليس تنبو بي السَّبعُ الأقاليمِ
لي في مناكبِ أرضِ الله مُضْطَرَبٌ إن ساحتُ بي النوى لحمٌ ومخزومٌ

ثم انصرف إلى حضرة المتوكل ببطليوس ، ودفع إليه قصيدةً أوَّلها :

خَصَمْتُ الظُّبَا عنكم على أنها لدُّ بقرعٍ له في كلِّ بارقة رَعْدُ
بِزُرْقٍ بما خَلَفَ الضُّلُوعَ بصيرةً على أنها مما بكتُ حَدَقَ رُمْدُ
تركتُ لمن هزَّ الأستة رأيهُ وقلتُ لغيري الخَفَضُ والعيشة الرغدُ
وطار جناحُ الليلِ مِنِّي بأجدَلٍ إذا ما الظُّبَا فاضتُ ففيها له ورْدُ
منيرُ أساريرِ الرئاسِ إذا سَرَى وشتُ بسرَّاهِ اليَدُ والليلُ مسودُ

١ كذا في النسخ ، والمنصور هو أخو المتوكل لا ابنه ، وقد ولي بطليوس بعد وفاة أبيه المظفر
(سنة ٤٦٠) ؛ وأما ابنا المتوكل فهما الفضل والعباس ولا أعرف إن كان أحدهما لقب
بالمنصور ، وقد قتل مع أبيهما (سنة ٤٨٧) .

٢ س : اجتهادي .

٣ ط د : زهقت ؛ س : زلقت ؛ وزهفت : خفت وعجلت .

٤ س : بالنوى .

وفيهما من عتابه للمتوكل :

أَفَالآنَ لَمَّا مَلَّتِي وَمَلَلْتُهُ
وباضتُ على رأسي السنونَ وفرختُ
طمعتُ بغمصٍ أن تلينَ لمطلبي
ولي، فأسأتُ، الذنبُ في ذاك لا لها
طلابُ لوى عن نيله الزَّمنُ الوغدُ
وما لي حلٌّ في الأمورِ ولا عقد
ولا عَجَبٌ قد يرشحُ الحجرُ الصَّلْدُ
فمذ توجدُ الجُعْلانُ لم ينقُ الوردُ

ما أخرجته من سائر مقطوعاته الاخوانيات

من ذلك ما أنشدنيه لنفسه ، مما خاطب به الوزراء الكتاب بني سعيد
ابن القبطورنة ، حين خرج عن بطليوس مستوحشاً ، حسبما وصفته ^١ :

أَخْلَاثِي وَفِي قُرْبِ الصَّدُورِ
وقد ضممتُ جوانِحُنَا ^٢ قلوباً
إذا الكرماء نامت فوق ضميمٍ
فَقَبِّلُ أبنِي الدنْيَةِ قيسُ عبسٍ
لئن عثروا وليس لعا جوابُ
ولا سمعوا بها إلا بصمُ
ظبا تقضي ^٣ على قممِ الدُّهورِ
أَبَتْ غَيْرَ القصورِ أو القبورِ
فما فضلُ الكبيرِ على الصغيرِ
ولم يُصْغِي إلى قولِ المشيرِ
فلا عَلِقَتْ بطونٌ من ظهورِ
ولا نظروا بها إلا بعورِ

١ منها أربعة أبيات في القلائد : ١٤٦ .

٢ القلائد : تمضي .

٣ س : جوانحها .

٤ القلائد : باتت تحت .

٥ القلائد : المشير ؛ وقيس عبس هو قيس بن زهير الذي هاجر قومه بعد حرب داحس والغبراء وأوى إلى عمان .

ومنها : [١٣٤ ب]

ودلّهنّ فراقُ بني سعيدٍ فما أدري قبيلاً من دَيرٍ

وبات بطريقه هنالك على وادي آنة بقرية لبّ ، فقال :

عذيري إلى المجد من كَوْنٍ مثلي بآنة أو من مبيتي بلبّ
وبغداد لو هتفت بي هلمّ هلمّ لما كنت ممّن يلبي

وأنشدني أيضاً له مما خاطب به بعض الأعيان :

سأطلبُ لا بالسنّةِ البراع	سوى ذا الحظّ من أبدي الزماع
وأخبطُ بالسرى ورَقَ الدباجي	ووجهُ الموتِ محذورُ القناع
وأمرقُ من أساريرِ المواضي	كما مرقِ الهلالُ من الشعاع
فلسني عن ملوكِ الأرضِ تسأل	خيبراً فاقضِ حقَّ الإستماع
عرضتُ عليهمُ نَفَسي ونفسي	لأوضحِ غَبَنَهُمْ عند البياع
فما اتبعوا دليلاً في اجتنابي	ولا سلكوا سبيلاً في اصطناعي
كأعضاءٍ بها ألمٌ فقلبٌ	على ضمّدٍ ^١ ورأسٍ في صداع
ومن عَصَبٍ إذا سلتِ حراكاً	شكّتْ بسكونها نُحْلُ ^٢ النخاع
وبني لا تجودُ على شمالٍ	ولا تُصَفّي المودّةَ للذراع
وعينٌ لا تغمضُ عن قبيحٍ	وأذنٌ لا تألّمُ من قذاعٍ ^٣
فما أبَقُوا ولا همّوا ببقيا	وتنقلُ الطبعِ ليس بمستطاع

١ الضمد : الحقد .

٢ النحل بمعنى التحول ، وهو من النادر في الاستعمال .

٣ ط د : قرأع .

فلو سَقَتِ السماءُ الشريَّ أرياً لما احلوتُ مراعيه لراع
 بدهرٍ ضاعتِ الأحسابُ فيه ضياعَ الرأيِ في السرِّ المذاع
 فبعثهمُ بتاتاً لا بِشُنَيَّا ولا شرطٍ ولا دركٍ ارتجاع
 ولم أجعلْ قرايَ غيرَ بيتي فحسبي ما تقدَّم من قراع^١

قوله : « كأعضاء بها ألم » . . . البيت ، مع الذي بعده ، أراه فيما انتحاه
 سلك سبيل أبي نصر المعافى^٢ ، من أناشيد الثعالبي ، حيث يقول :

لما رأيتُ الزمانَ نيكساً وفيه للرفعةِ اتضاعُ
 كلُّ رئيسٍ به^٣ مَلالٌ وكلُّ رأسٍ به صداع
 لزمْتُ بيتي وصنْتُ عرضاً به عن الذلَّةِ امتناع
 أشربُ ممّا ادّخرتُ راحاً لها على راحتي شعاع
 لي من قواريرها ندامى ومن قراقيرها سماع
 وأجنتي من ثمارِ قومٍ قد أقفرتُ منهم البقاع

وقول أبي محمد : « كما مَرَّقَ الهلالُ من الشعاع » ، معنى متداول
 إلا أنَّ قولَ أبي محمد أولى بالتقديم ، ومنه قول بشر بن أبي حازم^٥ :

-
- ١ س : نزاع
 ٢ هو أبو نصر المعافى بن هزيم الهزيمي من أبيورد ، وكان يكثر المقام ببخارى ويخدم رؤساءها
 (اليتيمة ٤ : ١٢٩ - ١٣٣ وأبياته هذه ص : ١٣٢) .
 ٣ اليتيمة : له .
 ٤ اليتيمة : عقول .
 ٥ ط : أبي بشر بن حازم ، د : بشر بن حازم ؛ س : بشر أبي حازم ؛ وليس البيت في
 ديوان بشر ، وقد جاء في اللسان (ودق) منسوباً لزيد الخليل .

ضربنَ بغمرةٍ فخرجنَ منها خروجَ الودقِ من خللِ السحابِ

وقال المتنبي^١ : [١٣٥]

وضاقتْ خُطّةٌ فخلصتْ منها خلوصَ الخمرِ من نسجِ القدامِ

وقال أبو تمام^٢ :

فخرجتَ منها كالشهابِ ولم تزلْ مذ كنتَ خراجاً من الغماءِ

وقال أبو الحسن الرضي^٣ :

مرقتُ منها مروقَ النجمِ منكدرأ وقد تلاقتْ مصارعُ الردى دوني

وقال ابن مقبل^٤ :

خروجُ من الغمى إذا صكَّ صكّةٌ بدا والعيونُ المستكفةُ تلمحُ
إذا امتحتته من معدٍّ عصابةٌ غدا ربُّهُ قبل المقيضين يقدَحُ

والغماء^٥ : هاهنا جماعة القلاح .

١ ديوان المتنبي : ٤٧٧ .

٢ ديوان أبي تمام : ١٩ .

٣ ديوان الرضي : ٢ : ٤٤٦ .

٤ ديوان ابن مقبل : ٢٩ ، ٣٠ والمعدة ٢ : ٢٨٨ والميسر والقلاح : ٦٥ واللسان (قسم)

وفي الأصول « الغما » حذفت همزته ، وهو عندئذ يفتح الفين ؛ وفيه يجوز القصر والمد .

٥ يصف القلاح ؛ الغمى : الشدة والضيق ؛ العيون المستكفة : المحيطة به .

٦ كذا ورد أيضاً بالمد ، ورواية الديوان بالقصر وضم الفين .

وأول من نطق بهذا المعنى امرؤ القيس بقوله ^١ :

إذا ما ركبنا قال ولدانُ أهلنا تعالَوْا إلى أن يأتيَ الصيدُ نحطِبُ

فنقله ابن مقبل إلى صفة القدح ، وقال : إذا امتحنه ممتحنٌ غدا يقدحُ
ناراً قبل الإفاضة به ثقةً بفوزه ، ونقله ابن المعتز إلى صفة جارج فقال ^٢ :

قد وثق القوم له بما طَلَبُ فهو إذا جَلَى لصيدٍ واضطربُ

عَرَوْا سكاكينهمُ من القُرْبُ

وأنشدني أيضاً لنفسه ممّا خاطب به الوزير أبا القاسم ابن الجلد ^٣ :

سجيريّ من فهرٍ لا تخمشنّ	وجهَ الإخاءِ بِظُفْرِ العَدَلِ
فأقسمُ أني أجيبُ الصُّبا	إذا ما دعني إليه المقل
وما أنس ليلتنا والعناقُ	قد مزَجَ الكلّ منا بِكُلِّ
إلى أن تقوَسَ ظهرُ الظلامِ	واشمطَ عارضُهُ واكتهل
ومسّ رقيقَ رداءِ النسيم	على عاتقِ الفجرِ بعضُ البلل
وسبّح رعدُ المثاني بحمدِ	بني يعربٍ في سماءِ الجذل
إذ الدهرُ ميتُ الخطى واللحاظ	عنا وأحداثُهُ في غفل
وللطير في الورقِ النضرِ شدوٌ	كشدوِ القيانِ عليها الكلل

١ ديوان امرؤ القيس : ٣٨٩ والعمدة ٢ : ٢٨٨ .

٢ ديوان ابن المعتز ٤ : ٧ والأوراق : ٢٠٩ .

٣ منها ثلاثة أبيات في كل من المغرب ١ : ٣٧٥ والخريدة ٢ : ١٠٦ والقلائد : ١٤٧ .

٤ د : مجيري ، والسجير : التحليل والصفي .

٥ المغرب : في عاتق الليل ؛ الخريدة والقلائد : على عاتق الليل .

فأبتُ وذنبِي أميرُ الذنوبِ ودولته فوق تلك الدول

أشار في هذا البيت الأخير إلى قول أبي الطيّب^١ :

أميرة^٢ اللحظِ في الألاحظِ مالكةٌ لمقلتيها عظيمُ المُلْكِ في المقلِ

وقال أبو نواس^٣ :

أصْبني منك يا أُملي بذنبِ تبيهُ على الذنوبِ به ذنوبي

وأنشدني أيضاً لنفسه^٤ :

هل تذكرُ العهدَ الذي لم أنسَهُ ومودَّتِي؟ مخدمَةٌ بصفاءِ
والأنسُ قد خَلَعَ العذارَى فيمننا برُّ البنينَ ورقّةُ الآباءِ
ومبيتنا في نهرِ حمصٍ والحجى قدحُلَّ عَقْدُ جباهِ الصهباءِ [١٣٥ب]
ودموعُ طلِّ الليلِ تُخَلِّقُ أعيناً ترنو إلينا من عيونِ الماءِ

وأنشدني أيضاً لنفسه^٥ :

-
- ١ ديوان المتنبي : ٣٢٩ .
 - ٢ الديوان : مطاعة ؛ ط د : أسرة .
 - ٣ ديوان أبي نواس : ٤٢٨ .
 - ٤ منها ثلاثة أبيات في كل من القلائد : ١٤٧ والمغرب : ١ : ٣٧٥ والخريدة : ٢ : ١٠٦ .
 - ٥ س : ومودة .
 - ٦ س : الوقار .
 - ٧ تكرر هذا الشطر من قبل س : ٦٨٤ س : ٥ .
 - ٨ انظر القلائد والخريدة والقوات والمطرب .

وما أنسَ بين النهر والقصر وقفةً نشدتُ بها ما ضلَّ من شاردِ الحبِّ
رمتُ بلحظي رميةً سمحت به^١ فلم أثْنِهْ إلا وعرا بؤها^٢ قلبي
وأنشدني أيضاً لنفسه قصيدة أولها :

دَعَتِكَ ومن سَجِيَّتِكَ البدارُ رؤوسُ أُنِعتْ منها ثمارُ
ومنها في وصف السيوف :

فيوردها ظماءٌ وهي ماءٌ ويُصْدِرُها رواءٌ وهي نارُ
ويقرضها أعاديه بلحناً وترجعُ وهي لو سلمت نضارُ
بيته الأوسط منها نَقَلَهُ من قول أبي الشيص ، إلا أنه زاد عليه ،
واستلبه من يديه ، وهو^٣ :

فأوردها بيضاً ظماءٌ صلورها وأصدرها بالريِّ ألوانها حُمْرُ
وهذا المعنى كثير ؛ وبيته الثالث نسخ بيت أبي الطيب ، ونقله من الوادي
إلى السيف ، وهو^٤ :

ركض الأميرُ وكاللجينِ حَبَابُهُ وثنى الأعنةَ وهو كالعقيانِ
وقال أيضاً أبو الطيب^٥ :

١ القلائد : بيتي رمية جمحت به ؛ الخريدة : سخت به .

٢ القلائد والخريدة : ومجروحها .

٣ لم يرد في ديوان أبي الشيص المجموع .

٤ ديوان المتنبي : ٤١٤

٥ ديوان المتنبي : ٣٩٠ .

ولا تردُّ الغدرانَ إلا وماؤها من الدم كالرَّيحانِ تحت الشَّقائِقِ

وقال محمد بن هانيء^١ :

لا يوردونَ الماءَ سُنْبُكَ سابعٍ أو يكتسي بدمِ الفوارسِ طُحْلُبًا

وأشهر موضع نقله منه قول السناط^٢ :

فخذُ ذهباً وردَّ لنا لجيناً تكنُ في الناس أربَعَ صيرفي

إلاَّ أنَّ قول ابن عبدون قد^٣ سلم من الحشو الذي لا يحسنه إلاَّ من
أدمنَ محاولة مضايق المقال فاقتمحها، واعتري بفجاج السَّحرِ الحلالِ فتسنَّما،
وما أشبهه في لين المهزَّ ، وإجادةِ المحزَّ ، بقول ابن المعتز^٤ :

صبينا عليها ظالمين سياطنا فطارَتْ بها أيدٍ سراعٌ وأرجلُ

وأنشدني له من قصيدة^٥ :

مررتُ على الأيامِ من كل جانبٍ أصعدُ فيها تارةً وأصوبُ
ينمُّ بي الثغرانِ : صُبْحٌ وصارمٌ ويكتمني القلبانِ : نفعٌ وغيبُ
وقد لفظتني الأرضُ إلا تنوفةً يحدِّثني فيها العيانُ فيكذبُ

١ ديوانه ابن هانيء : ١٨٩ .

٢ هو أبو علي الحسن بن حسان ، قرطبي عاش في زمان عبد الرحمن الناصر وأصله من وادي
الحجارة وقد عرفت به وبمصادر ترجمته في القسم الأول : ٥١٢ وبيته هذا في المغرب ٢ : ٣٧
والقسم الأول من الذخيرة : ٣١٢ ، ٥١٢ .

٣ ط د : لو .

٤ زهر الآداب : ٣١٠ ونهاية الأرب ١٠ : ٥٩ .

٥ انظر القلائد والمطرب .

وهذا كقول المتنبي^١ :

وغادر الهجرُ ما بيني وبينكم يهماءَ تكذبُ فيها العينُ والأذنُ
ومن شعر ابن عبدون في الرثاء والتأين قوله ممّا أنشدنيه في أخيه عبد
العزیز يرثيه :

رويدكَ أيُّها الدهرُ الخوونُ	ستأكلنا وإياكَ المنونُ
تعللنا الأمانى وهي زورُ	وتخدعنا الليالى وهي خُونُ [١٣٦]
وكم غرَّتْ بيزبرجها قروناً	فما أبقتْ ولا بقتْ ^٢ القرون
فُجِعتْ بزاهرٍ من سِرِّ فهرٍ	كبدرِ التِّمِّ هالتهُ عرين
بأروعَ ملءِ عينِ الحُسْنِ قبدأً ^٣	إذا أخذت مجاريها العيون
منيرِ العِرْضِ فضفاضِ المساعي	طويلِ الباعِ ناديه رزين
سمتْ فوق السماءِ به ظهورُ	وما حطَّتْهُ إذ حطَّتْ بطون
فأنضبتِ المنايا منه بجرأً	جواريه صفونُ لا سفين
وأغضبتِ البسيطةُ منه نصلاً	طوابعهُ قيولُ لا قيون
مضى مَنْ لو سبقتْ لما تعزَّى	ولا جفَّتْ له بعدي جفون
وأبقتني يدُ الأيامِ فرداً	كما غدرتْ يسراها اليمين
وهل يبقى على غيرِ الليالى	شقيقُ أو شقيقُ أو قرين

وقال يرثي ذا الوزارتين أبا محمد بن خلدون^٤ ، وكان استشهد يوم الجمعة
المشهور :

١ ديوان المتنبي : ٤٦٨ .

٢ س : أنت .

٣ ط د : قيد .

٤ ذكره في النفع ٣ : ٢٤٢ وأنه كان مع أبي الوليد ابن زيدون وابن عمار ، وانظر بدائع
البداية : ٢٢٥ - ٢٢٦ .

ملكْتْ فأسْجَحْ لا أبَا لكَ يا دهرُ أني كلُّ عامٍ في العلا فتَكَّةُ بكرُ
رثْنُهُ فقلنا إنها لتَمَاضِرُ^١ وإن ابنَ خلدونَ لَمَفقودها صخرُ
مضى لم يَـرِثْ عنه الرئاسةَ وارثُ ولولا المساعي الزُّهرُ لانقطعَ الذكرُ
وما كان إلا الغيثَ أقلعَ جُمْلَةً فلم يكُ منه لا غديرُ ولا زهرُ
فيا ليتني بين العوالي وبينه وقد مَلَكْتَنِي من أَعْنَتِها فهرُ
لأطبقَ منه بالعشاَ حَدَقَ القنا ضرابي وإن كانت لها الأعينُ الخزرُ

فيا لأبي محمد بن عبدون في الحرب الزبون ، مجنأ ليس بحصين ، ليته
كلما شهد وقعة كان كجج^٢ ابن أبي ربيعة ، حسبه الكتب من الكتاب ،
وكفاه اعتناق القصب من خرط القواضب ، وأرى فهرأ لو ملكته يومئذ
أعنتها ، وجعلت إليه سيوفها وأسنتها ، مات ميتة ضحاكية^٣ ، أو حي
حياة فهرية قطنية^٤ ، ونحر البيت وعموده ، وضاع الرعيلُ ومن يقوده .
وقال من قصيدة له فريدة ضمنها منْ أبادهُ الخلدان ، من أكثر ملوك
الزمان :

١ تماضر : الخشاء .

٢ ط : كجر ؛ د : كجد ؛ س : كحق ؛ والإشارة إلى قول عمر بن أبي ربيعة :

فبات محي دون من كنت أتقي ثلاث شخوص كاعبان ومعصر

وقيل أن يزيد بن معاوية عرض جيش أهل الحرة فمربه رجل من الجند معه ترمس خلق ،
فقال له يزيد : ويحك ، ترمس عمر بن أبي ربيعة كان أحسن من ترمسك (الأغاني ١ : ٩١) .

٣ أي مات كما مات الضحاك بن قيس الفهري .

٤ أي طالت حياته كما طالت حياة عبد الملك بن قطن الفهري والي الأندلس (ابن عذاري
٢ : ٣٢) .

٥ وردت مشروحة ، شرحها ابن بدرون (ونشرها دوزي ، ونشرت بمصر ١٣٤٠) وهي
في المطرب والمعجب والفوات والنفخ ونهاية الأرب ٥ : ١٩٠ وبعضها في المغرب والرايات :
٣٢ (غ) والوافي للرندي : ١١٦ وساقارن نصها في الذخيرة بالفوات .

الدهرُ يفجعُ بعدَ العينِ بالآثر
 أنْهَكَ أنْهَكَ لا آلوكَ موعظةٌ^١
 فالدهرُ حربٌ وإنْ أبدى مسألةً
 فلا تغرّنكَ من دنياكَ نومتها
 ما الليالي أقالَ الله عثرتنا
 تسرُّ بالشيء لكنْ كي تغرَّ به
 كم دولةٍ وليت بالنصرِ خدمتها
 هوت بدارا وقلتْ غرَبَ قاتله
 واسترجعتْ من بني ساسانَ ما وهبتْ
 واتبعتْ أختها طسماً وعاد على
 وما أقالتْ ذوي الهيئاتِ من يَمَنِ
 ومزقتْ سباً في كلِّ قاصيةٍ
 وأنفذتْ في كلِّيبِ حُكْمها ورمتْ
 ودوّختْ آلَ ذبيانٍ وجيرتهم
 وما أعادتْ على الضليلِ صِحتَهُ
 وألحقتْ بعدي بالعراقِ على

فما البكاءُ على الأشباحِ والصُّورِ
 عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظُّفْرِ
 والسُّودُ والبيضُ مثلُ البيضِ والسُّمْرِ
 فما سجيّةٌ^٢ عينيها سوى السهرِ
 من الليالي وخانتها يدُ الغيرِ^٣
 كالأيّمْ ثار إلى الجاني من الزهرِ
 لم تُبْقِ منها وسَلْ ذكراك من خبر
 وكان عَضْباً على الأملاكِ ذا أثرِ [١٣٦ب]
 ولم تدعْ لبني يونانَ من أثر
 عادٍ وجُرْهُمَ منها ناقضُ المررِ
 ولا أجارتْ ذوي الغاياتِ من مضرِ
 فما التقى رائحٌ منهمُ بمبتكرِ
 مهلهلاً بين سَمْعِ الأرضِ والبصرِ
 نحماً وعضتْ^٤ بني بدر على النهرِ
 ولا ثنّتْ أسداً عن ربّها حُجْرُ
 يدِ ابنه أجمَرَ العينينِ والشعرِ^٥

١ د والفوات : معذرة .

٢ الفوات : صناعة .

٣ س وأصل ط : القدر .

٤ د : منها .

٥ ط : وغصت .

٦ أجمَرَ العينين والشعر : وصف النعمان بن المنذر ؛ وقد سعى في قتله زيد بن عدي بن زيد ثاراً لأبيه (شرح البسامة : ١٢٨ وما بعدها) .

وَبَلَغَتْ يَزْدَجَرْدَ الصِّينِ وَاخْتَرَلَتْ
وَلَمْ تَكْفَ مواضي رستمِ وَقَنَا
وَمَزَقَتْ جَعْفَرًا بِالْبَيْضِ وَاخْتَلَسَتْ
وَأَشْرَفَتْ بِخُبَيْبٍ فَوْقَ قَارِعَةٍ
وَحَضَبَتْ شَيْبَ عَثْمَانَ دِمَاءً وَخَطَّتْ
وَلَا رَعَتْ لِأَبِي الْيَقْظَانَ^١ صَحْبَتَهُ
وَأَجْزَرَتْ سَيْفَ أَشْقَاهَا أَبَا حَسَنِ
وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْرًا بِخَارِجَةٍ
وَفِي ابْنِ هِنْدٍ وَفِي ابْنِ الْمُصْطَفَى حَسَنٍ
فِبَعْضِنَا قَائِلٌ مَا اغْتَالَهُ أَحَدٌ
وَأَرَدَتْ ابْنَ زِيَادٍ بِالْحُسَيْنِ فَلَمْ
وَعَمَّتْ بِالظُّلُمِ فُودِيَّ أَبِي أَنْسٍ
وَأَنْزَلَتْ مُصْعَبًا مِنْ رَأْسِ شَاهِقَةٍ
وَلَمْ تَرَأِ مَكَانَ ابْنِ الزُّبَيْرِ وَلَا
وَلَمْ تَدْعُ لِأَبِي الذُّبَانِ مَاضِيَةً^٢
وَأَظْفَرَتْ بِالْوَلِيدِ بْنِ الْيَزِيدِ وَلَمْ
وَلَمْ تَعُدْ قُضْبُ السَّفَاحِ نَابِيَةً

عنه سوى الفرسِ جَمَعَ التُّرُكَ وَالْخَزَرَ
ذِي حَاجِبٍ عَنْهُ سَعْدًا فِي ابْنَةِ الْغَيْرِ
مِنْ غِيْلِهِ حَمْرَةَ الظَّلَامِ لِلْجُزُرِ
وَأَلْصَقَتْ طَلْحَةَ الْفَيَاضِ بِالْعَفْرِ
إِلَى الزُّبَيْرِ وَلَمْ تَسْتَحِ مِنْ عَمْرِ
وَلَمْ تَزُودَهُ إِلَّا الضَّيْحَ فِي الْغَمْرِ
وَأَمَكْتُ مِنْ حُسَيْنٍ رَاحَتِي شَمْرٍ
فَدَتْ عَلِيًّا بِمَنْ شَاءَتْ مِنَ الْبَشَرِ
أَنْتِ بِمَعْضَلَةِ الْأَلْبَابِ وَالْفِكْرِ
وَبَعْضُنَا سَاكِتٌ لَمْ يُوْتِ مِنْ حَصْرِ
يَبْؤُ بِشَيْعٍ لَهُ قَدْ طَاحَ أَوْ ظَفُرُ
وَلَمْ يَرُدَّ الرَّدَى عَنْهُ قَنَا زَفَرٍ
كَانَتْ بِهِ مَهْجَةُ الْمُخْتَارِ فِي وَزْرِ
رَعَتْ عِيَاذَتَهُ بِالْبَيْتِ وَالْحَجَرِ
لَيْسَ اللَّطِيمُ لَهَا عَمْرٌو بِمَنْتَصِرٍ
تُبْقِي الْخِلَافَةَ بَيْنَ الْكَأْسِ وَالْوَتْرِ
عَنْ رَأْسِ مِرْوَانَ أَوْ أَشْيَاعِهِ الْفَجْرِ

١ أبو اليقظان : حمار بن يابس (شرح البسامة : ١٥٤) .

٢ ورد في طراز المجالس : ١٣٢ .

٣ شرح البسامة : قاصية ؛ د : قائمة ، وأبو الذبان هو عبد الملك بن مروان .

٤ ط د : بمعتجر (أقرأ : بمعتجر) ؛ س : بمفتخر ؛ واللطيم هو عمرو الأشدق بن سعيد

بن العاص .

وأُسبِلتْ دُمعةَ الروحِ الأمينِ على
وأُشْرِقتْ جعفرًا ، والفضلُ يُنظره
وأُخْفِرَتْ في الأمينِ العهدَ وانتبذت
وما وَفَتْ بعهودِ المستعينِ ولا
وأوثقتْ في عراها كلَّ معتمد
ورَوَّعَتْ كلَّ مأمونٍ ومؤمن
وأُعْثِرَتْ آلَ عباسٍ لعلَّ لهمُ
بني المظفرِ والأيامِ ما بَرِحَتْ
سحقًا ليومكمُ يومًا ولا حملتْ
من للأسرةِ أو من للأعنةِ أو
من للبراعةِ أو من للبراعةِ أو
أو رفعِ كارثةِ أو دفعِ آفةِ
ويحَ السَماحِ ويحَ الجودِ لو سلما
سَقَّتْ ثرى الفضلِ والعباسِ هاميةً
ثلاثةً ما رقى النسرانِ حيثِ رقوا
[ثلاثة ما رأى العصرانِ مثلهم
ومر من كلِّ شيءٍ فيه أطيبُهُ
من للجلالِ الذي عَمَّتْ مهابته

دمٍ بفتحٍ لآلِ المصطفى هَدَرَ
والشيخُ بجي ، بريقِ الصارمِ الذكرِ
لجعفرٍ في ابنه والأعبدِ الغدُرِ
بما تَأَكَّد للمعتزِّ من مِرَرِ
وأُشْرِقتْ بقذاها كلَّ مقتدرِ [١٣٧أ]
وأُسْلِمَتْ كلَّ منصورٍ ومنتصرِ
بذيلِ ربَّاءٍ من بيضٍ ومن سمرِ
مراحلٍ والورى منها على سفرٍ
بمثله ليلةً في مُقْبِلِ العمرِ
من للأُسنةِ يُهدِيها إلى الثغرِ
من للسماحةِ أو للنفعِ والضررِ
أو ردعِ حادثةٍ تعيا على القدرِ
وحسرةِ الدينِ والدنيا على عمرِ
تُعْزِي إليهمِ سماحاً لا إلى المطرِ
وكلُّ ما طار من نسرٍ ولم يطرِ
فضلاً ولو عززوا بالشمسِ والقمرِ [٣]
حتى التمتعُ بالآصالِ والبكرِ
قلوبنا وعيونُ الأنجمِ الزهرِ

١ ط د : يسح ؛ والمقتول بفتح هو الحسين بن علي بن حسن بن حسن ، واستشكل ابن بدرون هنا على الشاعر لقوله « وأسبِلت دُمعة الروح الأمين » إذ أن دُمعة الروح الأمين لم تسبِل على قتيل فبح وإنما على الحسين بن علي نفسه (انظر ص : ٢٢٠ من شرح البسامة) .

٢ من هنا حتى آخر القصيدة لم يرد إلا في س .

٣ زيادة لاتصال السياق .

أَيْنَ الْإِبَاءُ الَّذِي أَرْسَوْا قَوَاعِدَهُ
 أَيْنَ الْوَفَاءُ الَّذِي أَصْفَوْا شَرَائِعَهُ
 كَانُوا رَوَاسِيَ أَرْضِ اللَّهِ مِنْذَرًا
 مِنْ لِي - وَلَا مَنْ - بِهِمْ إِنْ عُطِلَتْ سَنَنُ
 مِنْ لِي - وَلَا مَنْ - بِهِمْ إِنْ طَبَّقَتْ عَنْ
 عَلَى الْفَضَائِلِ - إِلَّا الصَّبْرُ - بَعْدَهُمْ
 يَرْجُو عَسَى وَلَهُ فِي أُخْتِهَا أَمَلٌ
 عَلَى دَعَائِمٍ مِنْ عَزِيٍّ وَمَنْ ظَفَرَ
 فَلَمْ يَرِدْ أَحَدٌ مِنْهَا عَلَى كَدَرٍ
 عَنْهَا اسْتَطَارَتْ بَيْنَ فِيهَا وَلَمْ تَقِرْ
 وَأَحْضَيْتِ أَلْسِنَ الْأَيَّامِ وَالْبَشَرِ
 وَلَمْ يَكُنْ وَرَدَهَا يَفْضِي إِلَى صَدْرِ
 سَلَامٍ مُرْتَقِبٍ لِلْأَجْرِ مُسْتَظَرٍ
 وَالْدَهْرِ ذُو عَقَبٍ شَتَّى وَذُو غَيْرِ

وقد سلك بعض أهل عصرنا هذه السبيل ، وهو أبو جعفر الكفيف
 التطيلي ، فقال ^١ :

خَذَا حَدَّثَانِي عَنْ فُلٍ وَفُلَانٍ
 وَعَنْ دُولِ جُسْنِ الدِّيَارِ ، وَأَهْلِهَا
 وَعَنْ هَرَمِيٍّ مَصْرَ الْغَدَاةِ أُمْتَعَا
 وَعَنْ نَخْلَتِي حُلُوانَ كَيْفِ تَنَاءَتَا
 وَطَالَ ثَوَاءُ الْفَرَقْدَيْنِ لَغَبِطَةً
 وَزَايِلَ بَيْنَ الشَّعْرَيْنِ تَصَرَّفٌ ^٢
 فَإِنْ تَذَهَبَ الشَّعْرَى الْعَبُورُ لَشَانِهَا
 وَجُنَّ سَهِيلٌ بِالثَرِيَّا جَنُونَهُ
 لَعَلِّي أَرَى بَاقِيَّ عَلَى الْحَدَثَانِ
 فَنِينَ ، وَصَرَفُ الدَّهْرِ لَيْسَ بِقَانٍ
 بِشَرْخِ الشَّبَابِ أَمْ هُمَا هَرِمَانٍ
 وَلَمْ تَطْوِيَا كَشْحًا عَلَى شَتَانٍ ^٣
 أَمَا عَلِمَا أَنَّ سَوْفَ يَفْتَرِقَانِ
 مِنَ الدَّهْرِ لَا وَاْنَ وَلَا مَتَوَانِ
 فَإِنَّ الْغُمَيْصَا فِي بَقِيَّةِ شَانِ
 وَلَكِنْ سَلَاةٌ كَيْفَ يَلْتَقِيَانِ

١ ديوان الأعمى التطيلي : ٢٢٤ ومر منها بيتان ع : ٤٨٧ .

٢ نخلتنا حلوان اللتان ذكرهما مطيع بن اياس في شعره ، وقيل انه قطع للرشيذ جمار إحداهما
 فماتت ، انظر ثلاثة شعراء عباسيون : ٦٩ .

٣ الديوان : مصرف .

وهيهات من عدل القضاء وجوره
فأجمع عنها آخر الدهر سلوة^١
وأعلن صرف الدهر لابني نويرة^٢
وكانا كسند مانتي جذيمة حقة^٣
فهان دم بين الدكادك واللوى^٤
وضاعت دموع بات يبعثها الأسى
ومال على عبس وذبيان ميلة^٥
فعوجا على جفر الهباءة^٦ فاعجبا
دماء جرت منها التلاع بملثها
وأيام حرب لا ينأدى وليدوها^٧
قآب الربيع^٨ والبلاد تهره^٩
وأنحى على ابني وائل فتهاصرا
تعاطى كليب فاستمر بطعنة

١ الدبران : نجم يدبر الثريا ، بينها وبين الجوزاء .

٢ إشارة إلى قول متمم بن نويرة في رثاء أخيه مالك (المفضلية : ٦٧)

وكننا كندمانى جذيمة حقة من الدهر حتى قيل لن يتصدعا
وندمانا جذيمة هما عقيل ومالك اللذان يقول فيهما أبو خراش الهذلي :

ألم تعلمي أن قد تفرق قبلنا خليلا صفاء مالك وعقيل

٣ إشارة إلى قول متمم :

وقالوا أتبكي كل قبر رأيته لقبر ثوى بين اللوى فالدكادك

٤ جفر الهباءة : مستنقع ببلاد غطفان قتل فيه عدد من بني فزارة ، أخذوا على غرة .

٥ الاعلاق الثماني رهن من بني عبس قتلهم حذيفة بن بدر في اليعمرية قبل جفر الهباءة .

٦ هو الربيع بن زياد الحبسي .

وبات عدي بالذنائب يصطلي
 فذلت رقاب من رجال أعزة
 وهبوا يلاقون الصوارم والقنا
 فلا خد إلا فيه خد مهتد
 وطال على الجونين بالشعب فانشي
 وأمضى على أبناء قبيلة حكمة^٣
 ولو شاء عدوان الزمان ولم يشا
 وأي قبيل لم تصدع جميعهم
 خليلي أبصرت الردى وسمعت
 خذا من فمي هلا وسوف فلاني
 ولا تعداني أن أعيش إلى غد

بنار وغى ليست بذات دخان^١
 إليهم تنامي عز كل زمان
 بكل جبين واضح ولبان
 ولا صدر إلا فيه صدر سنان
 بأسلاب مطلول وربقة عان^٢ [١٣٧ب]
 على شرس أدلوا به وليان
 لكان عذير الحي من عدوان
 بيكر من الأرزاء أو بعوان
 فإن كنتما في مربة فسلافي
 أرى بهما غير الذي تريان
 لعل المنايا دون ما تعداني

وقد تقدم أيضاً إلى هذه الطريقة جماعة من المتقدمين والمتأخرين ،

١ عدي : هو مهلهل بن ربيعة أخو كليب ، والذنائب : اسم موضع يذكره مهلهل في قوله :
 فإن يك بالذنائب طال ليلى فقد أبكي من الليل القصير
 وفي ط : علي .

٢ الشعب : شعب جبلة ، وفيه يوم من أيامهم ، والجونان : عمرو ومعاوية ابنا شراحيل ابن
 الجون وقد أسرها بنو عامر يوم الشعب (شرح النفاذ : ٤٠٧) .
 ٣ ابنا قبيلة : الأوس والخزرج .

٤ عدوان : قوم ذي الأصبع ، تفانوا ، وفيهم يقول ذو الأصبع :
 عذير الحي من عدوان كانوا حية الأرض
 بنى بعضهم بعضاً فلم يبقوا على بعض

وانظر ما تقدم ص : ١٢

٥ والمتأخرين : سقطت ن ط .

قال أبو العلاء المعري^١ :

أصاب الأخفشين بصيرُ خطبٍ أعادَ الأعشيين بلا حوارٍ
وغيَّلَ المازنيُّ من الليالي بزندٍ من خطوبِ الدهر واري
وللجرميِّ ما اجترمتُ يده وحسبُكَ من فلاحٍ أو بوارٍ
وأما فرخه^٢ فبلا جناحٍ يطيرُ بحملِ أقلامٍ جوارٍ
وما نفعَ المبردَ من حميمٍ وصادتْ ثعلباً نوبٌ ضوارٍ

وقال^٣ :

أصحابُ أليكة^٤ أهلكوا بظهيرةٍ حميتْ وعادُ بالرياحِ الصرصرِ
كسرى أصابَ الكسرُ جابراً ملكه والقصرُ كراً على تطاولِ قيصرِ

وقال^٥ :

أعياءُ سوارُ الدهرِ كلَّ مساورٍ ورمى الخليلَ بأسهمِ الأسوارِ
فاحذرْ وإنْ بعدتْ غزاتك في العدا قدراً أغار على أبي المغوار^٦
جرتِ القضايا في الأنامِ وأمضيتْ صدقاً بأسوارٍ ولا أسوار^٧

١ اللزوميات : ١٤٢ / أ ؛ ١٤٩ : ٣٢٨ .

٢ فرخ الجرمي : كتابه ، كان يسمى فرخ سيويه .

٣ اللزوميات ١٤٢ ب ؛ ١٤٩ : ٣٣٠ .

٤ اللزوميات : أصحاب ليكة .

٥ اللزوميات ١٤٤ / أ ؛ ١٤٩ : ٣٣٤ .

٦ أبو المغوار أخو كعب بن سعد الغنوي ، وقد رثاه كعب بقصيدة مشهورة .

٧ ط د : بأسرار ولا أسرار ؛ والأسوار في القضايا المنطقية مثل « كل » و « بعض » فإذا

عريت منها فهي بلا أسوار .

في ذكر الأديب أبي جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي الأعمى التطيلي^١

له أدبٌ بارع ، ونظرٌ في غامضه واسع ، وفهمٌ لا يجارى ، وذهنٌ لا يبارى ، ونظمٌ كالسحر الحلال ، ونثرٌ كالماء الزلال ، جاء في ذلك بالنادر المعجز ، في الطويل منه والموجز ؛ نظم أخبار الأمم في لبّة القريض ، وأسمع فيه ما هو أطرف من نغم معبد والغريض . وكان بالأندلس سرّ الإحسان ، وفرداً في الزمان ، إلاّ أنّه لم يطل زمانه ، ولا امتدّ أوانه ، واعتبطَ عندما به اغتبط ، وأضحت نواظرُ الآداب لفقده رَميدةً ، ونفوسُ أهله متفجّعة كمدّة . وقد أثبت ما يشهد [له] بالإحسان والانطباع ، ويثني عليه أعتة السماع .

١ ذكر الصفدي (نكت الهميان : ١١٠) أنه توفي سنة ٥٢٥ ، وترجمته في المغرب ٢ : ٤٥١ والمسالك ١١ : ٣٨٩ (وفيها نقل عن الذخيرة) والقلائد : ٢٧٣ والخريدة ٣ : ٥١١ (قسم المغرب) وبغية المتسرقم : ٤٢٩ والسلفي : ١٦ وله ذكر في الروض المطار : ١٣٣ ، ١٩٦ وبدائع البداهة : ٢٤٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٤ والنفع (انظر الفهرست تحت : الأعمى التطيلي) وقد ورد اسم أبيه في نسخة حلّيم من الذيل والتكملة (الورقة : ١٦٧) « عبيد الله » وترد له كنيستان أبو جعفر وأبو العباس ؛ وقد كنت نشرت ديوانه اعتماداً على نسختين خطيتين (بيروت ١٩٦٣) وصدرته بمقدمة في دراسة حياته وشعره ، وضمت إلى الديوان موشحاته من دار الطراز وجيش التوشيح وغيرهما ، ولكن هذه الترجمة التي أوردتها ابن بسام (والتي انفردت بها النسخة س) قد احتوت شعراً لم يرد في ديوانه ونثراً لم توردته المصادر الأخرى ، إلا أن انفراد « س » يحمل بعض القراءات أحياناً غير دقيقة ، بكل أسف .

فمن ذلك رقعة كتب بها إلى بعض إخوانه يعاتب : شاكرك أو شاكيك ،
 من لا يحمد ولا يذم الأيامَ فيك ؛ يا سيدي - كنايةً عن ذكره ، لا توخياً
 لبرّه ، وإحياء رغبةٍ في إنصافه ، لا طمعاً في استعطافه - الذي عاطيته كأس
 الوداد فأمرّها ، وزفتُ إليه بنتَ الفؤاد فأضرَّ بها وأضرَّها ، ومن أطال
 الله بقاءه ممتعاً بظلِّ السلطان ، وإقبال الزمان ، فإنَّ الرجلَ بسلطانه ، لا
 بإخوانه ، وبإقبال زمانه ، لا بإحسانه ، إني - أعزَّكَ الله - وإن كان الدهرُ
 وضعني ورفعك ، وضاق عني ووسعك ، بين جنبيَّ نفسُ عصام ، وبين
 فكيَّ صارمٍ بسَّطام ، إذا ضيمَ الرجالُ فلستُ بالمضروب زيد ، وإذا
 تكلَّم القول فلست بسعيد بن حميد :

• الشجوشجوي والعويل عويلي •

لا أستعير عيناً للبكاء ، ولا أبتغي بكبدي كبداً سليمة من الأرزاء .

وإنَّكَ أعزَّكَ الله - لما تكلَّمتَ بلسان سهل بن هارون ، وجلست مجلس
 الفضل من المأمون ، وخدمك الدهرُ ، وانثالت في يدك الأنجم الزهر ،
 قلت : أحمد وعليّ . وإن لم يكن شيعٌ فري^٢ . أسواء من أعتق أو نصر^١ ،
 وأين من ولي حلب ممن ولي حمص : وعلى رسلك : ما كنت أنا الغلط في
 مثلك . إني أبيت ظمآن ، ولا أبيت خزيان . وأحتمل الحرمان ، ولا أحتمل
 الهوان . وليت هذا الأمرَ وقلبُك لي معمر . وأنت بزعمك إليّ فقير .
 وأنا أظنُّ أني سأولِّي وأعزل . وأحدث في كنفك وأعدل ، فما هو إلا

١ شطر بيت لرمادي . وقبله : « من حاكم بيبي وبين عدولي » .

٢ يشير إلى شعر لامرئ القيس جاء فيه :

فتملا بيتنا أقطاً وسناً وحسبك من غنى شيع وري

أَنْ نَبَتَ قَدَمُكَ . وَخَفَقَ عِلْمُكَ . وَوَابَتَلَ قَرطاسك وَقَلَمُكَ ، [حَتَّى]
اِخْتَصَرْتَ شَطْرَ السَّلامِ ، وَدَفَعْتَ فِي صَدْرِ الْقِيَامِ . وَعَزَلْتَ فَلاناً قَبْلَ
الْوَلَايَةِ ، وَاقْتَصَرْتَ بِأَبِي الْأَصْبَغِ دُونَ الْغَايَةِ ، هِنَمَةً أَنَا كُنْتُ مَعْنَاهَا ، وَكَأَسُ
لِي شَعَشَعَتْ حُمَيَّاهَا ، وَوَلَايَتُكَ خَطَرٌ ، وَفِي عَمَلِكَ نَظَرٌ ، إِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ
غَمَامَةٌ . وَمَبْيُضُ حَمَامَةٌ ، ثُمَّ تَعُودُ إِلَى اسْتِحْلَاسِ الْبَيْتِ . وَأَكْثَلُ الْخَبَرِ
بِالزَّيْتِ .

وَكُتِبَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ بِياعٍ^١ بِهَذِهِ الرِّسَالَةِ وَالشَّعْرَ الَّذِي بَعْدَهَا : يَا
عِمَادِي الَّذِي شَفَّ قَدْرُهُ عَلَى الْأَقْدَارِ . شَفُوفَ الضُّحَى عَلَى الْإِبْدَارِ ،
وَسَرَى ذَكَرَهُ بِأَطْيَبِ الْأَخْبَارِ . مَسْرَى النِّسِيمِ بِالْأَزْهَارِ . وَامْتَرَجَ حَمْدُهُ
وَشَكَرَهُ بِالْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ . امْتَرَجَ الْمَثَانِي بِالْأَزْيَارِ .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَإِنْ كُنْتُ ضَيَّقَ الْبَاعِ مُزْجَى الْبُضَاعَةِ . فِي غَيْرِ
وِرْدٍ وَلَا صَدَرٍ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ ، فَانِي أَقُولُ بِفَضْلِهَا ، وَأَعْرِفُ الْحَسَنَ
مِنْ أَهْلِهَا . وَأَعْرِضُ بِنَفْسِي — فَادَيْتُكَ — لِلْإِتِّفَافِ فِي حَبْلِهَا . وَالتَّصَرُّفِ
بَيْنَ جِدِّهَا وَهَزْلِهَا ، وَلَمْ أَزَلْ مِنْذُ تَخَيَّلَ جَنَانِي . وَتَقَوَّلَ لِسَانِي ، وَأَدْبَرَ
مَلَكِي أَوْ شَيْطَانِي ، أَلْتَمَسُ مِنْ أَهْلِ هَذَا الشَّانِ إِمَاماً أَسْعَى بِاسْمِهِ وَأُحْفَدُ .
وَأَقِيسُ عَلَى حُكْمِهِ وَأَقْلُدُ ، وَأُحِلَّ بَيْنَ تَهْمِهِ وَأَعْقُدُ . وَالنَّاسُ كَثِيرٌ .
وَالنَّاقدُ بَصِيرٌ ، وَلِلْأُمُورِ أَعْجَازٌ وَصُدُورٌ . فَكَيْفَ تَرَانِي اتَّخَذْتُكَ خَلِيلاً ،

١ ذكره ابن بسام في الذخيرة ١ : ٧٦ وأورد له بيتاً على وزن قصيدة الأعمى التالية وروها
وجاء عند السلفي ذكره عرضاً (ص ١٢٢) واسمه علي بن بِياع (كنا سيجي في القصيدة)
وهو سبقي النسبة ، وقد نقل بعض شعره وشعر غيره من المغاربة أبو عمران السبقي وأنشده
للسلفي .

وَذَخَرْتُكَ عَلَى الْأَيَّامِ عَهْدًا مَسْؤُولًا . وَبَايَعْتُكَ عَلَى الطَّاعَةِ وَالسَّمْعِ .
وَشَايَعْتُكَ سِرِّيَ الْإِسْطَاعَةِ وَالْوَسْعِ ، فَعَوَّلْتُ عَلَيْكَ كَعْبَةً أَوْلَتْني وَجْهِي شَطْرَهَا ،
وَأَسْنَدْتُ إِلَيْكَ هَضْبَةً إِنْ خَشِيَ سِوَايَ وَعَرَهَا . لِأَكُونَ قَدْ قَدَّرْتُ
هَذِهِ الصَّنَاعَةَ قَدْ رَهَا . وَأَبْلَغْتُ نَفْسِي فِي ظِلِّهَا وَالتَّعَلَّقُ بِسَبَبِهَا عُدُّرَهَا .

وَفِي فَصْلِ مِنْهَا : وَكَتَبْتُهَا عَنْ جَنَانٍ بِلِقَائِكَ صَبَّ . وَلِسَانٍ بِشُكْرِ آلَائِكَ
رَطَبَ ، وَشَاهِدٍ سَرِيرَةٍ وَإِعْلَانٍ لِأَوَايَاثِكَ نَهَبَ . وَعَلَى أَعْدَائِكَ إِلْبَ .
وَعِنْدِي مِنَ الْقَوْلِ بِإِمَامَتِكَ . وَالْحَرَصِ عَلَى سَلَامَتِكَ . وَالشُّكْرِ لِأَيَادِيكَ .
وَمُنَافَسَةِ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَطْرِ فِيكَ . مَا لَا يَسَعُهُ نَظْمٌ وَلَا نَثْرٌ . وَلَا يَحِيطُ بِهِ
عَدُّ وَلَا حَصْرٌ .

وَفِي فَصْلِ : وَلَمَّا حَجَبَ سَنَاكَ . وَنَظَرْتُ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمُنْهَزِمِ إِلَى السَّلَآمِ .
وَتَنَكَّبَ الْحَادِي ذِرَاكَ ، وَقَرِبتُ مِنْكَ بِمَكَانِ الدَّبَرَانِ مِنَ النَّجْمِ . وَاسْتَمَرَّ
الزَّمَانُ عَلَى عَادَتِهِ فِي إِمَالَةٍ حَالِي . وَظَفَرَ بِإِرَادَتِهِ مِنْ عَكْسِ أَرَاغِي وَآمَالِي .
خَاطَبْتُ الْحَضْرَةَ الْبَهِيَّةَ الْمَزْدَانَةَ بِمِثْلِي - دَامَ عَزَّهُ - بِأَبْيَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْهَذْيَانِ .
الْحَالِي إِلَّا مِنَ الْبَيَانِ . أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ : بَلْ لَهَثَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْبِرْسَامِ . الْمَتَوَلِّدِ
عَنْ عَكْسِ الْإِحْتِدَامِ . وَهِيَ عَلَى حَالِهَا نَاطِقَةٌ بِلسَانٍ شُكْرَهَا . سَافِرَةٌ
عَنْ وَجْهِ عُدُّرَهَا . وَقَدْ زَفَقَتْهُهَا إِلَيْكَ . وَاسْتَسَبَّتْهُا عَنِي فِي الْمَثْوَى بَيْنَ
يَدَيْكَ ، غَيْرَ - وَاللَّهِ - مَبَاهٍ لَكَ . وَلَا مَتَشَبِهٍ بِكَ . وَلَا طَمَعًا فِي اقْتِفَاءِ آثَارِكَ .
فَضْلًا عَنْ شَقِّ غِبَارِكَ . وَلَكِنْ تَغْنَمًا لِمَسْرَتِكَ . وَاعْتِلَاقًا بِمِثْرَتِكَ . وَخِدْمَةً
لِلْعَلِيَّةِ حُضْرَتِكَ . وَلَتَرَى أَيْنَ أَقْعُ . بِمَا أَصْنَعُ . وَلَوْلَا أَنْ أُتَعِدَّيَ طَوْرِي .
وَأُحَوَّرَ بَعْدَ كَوْرِي . لَقُلْتُ : إِنَّ تَفَضُّلَ سَيِّدِي وَإِمَامِي بِجَوَابِ عَزِيزِ لَيْسَطِ
نَفْسِي ، وَبِرْدَةِ شَارِدِ أَنْسِي : فَعَلَّ .

وأول الشعر ١ :

أبا حسن دعاء أو حنيئاً
أناذَنُ في التظلم من زمانٍ
ولو أن الخيال يتوب عني
ولولا أن أدتس في التلاقي
فلم ترَ بيننا وأبيك فرقا
ذكرتك ذكرة جَذَبَتْكَ نحوِي
وأعلمُ أنها كهواك سحر
بلى إن يدنُ طيفُك من وسادي
وكيف يحسُ طيفُك أو يراه
معنى لا يزالُ سَمِيرَ شوقٍ
يؤرقُه بعادُك كلَّ ليلٍ
كانَ نجومُه أقداحُ شَرَبٍ
أبا حسن وأينُ الحسنُ مما
لك الفضلُ الذي هو فيك طبعُ
قتلتَ حقائقَ الأشياءِ علماً
نمَتِكَ إلى المكارمِ والمعالي
صقورٌ أو بدورٌ أو بحورٌ
إذا شهدوا القطارُ فسوف تدري
بنو الهيجاء طاروا في وغاها

ولا آلوك إن كانت خبالا
عدا تلك الزيارة والوصالا
لأبلغك الكرى قصصاً طوالا
لزرْتُكَ حيثُ تعرَّفُ الخيالا
سوى أني أحنُ إذا أحالا
فهل أحسنتُ نقلاً أو نقالا
ولكن كيف تستهوي الجبالا
فقد سميتها السحرَ الحلالا
ولو نصبَ الحبالَ والجبالا
عهدتَ لبرحه ألا يزالا
توهمَ طولَ زفرته فطالا
إذا زبدت هدى زادت ضلالا
تشيرُ به فعلاً أو مقالا
إذا احتقبوه غضباً وانتحالا
كفاك البحثُ عنها والسؤال
إذا نجم تكارم أو تعالى
وإن لم تلقَ مثلهم رجالا
لأية علة شهدوا القتالا
وإن كانت حلومهم ثقالا

١ انظر الديوان : ٢٤٣ .

٢ الديوان : القتال .

إِذَا زَيْنَتْهُمْ شُئُوا عَلَيْهَا
 وَنَعَمِ النَّازِلُونَ عَلَى الرُّوَابِي
 إِذَا اكْتَفَتْ^١ الرِّيحُ بِحَيْثُ تَدْعُو
 وَلَوْ أَنِّي أَشَاءُ^٢ لَأَبْلَغْتَنِي
 قَلَائِصُ^٣ مَا رَحَلْنَاهُنَّ إِلَّا^٤
 كَأَنْصَافِ الْبَرَى وَتَدْقُ عَنْهَا
 إِذَا انْبَعَثَ رَأَيْتَ قَسِيَّ^٥ نَبْعٍ
 تَنَاسِبُ شَدَقَمًا^٦ أَوْ أَذْكَرْتَهُ^٧
 [تَرَاعَ مِنَ السَّقَابِ إِذَا رَأَتْهَا
 وَقَدْ أَلْفَتْ^٨ بَنَاتِ الْقَفْرِ حَتَّى
 إِذَا لَمَعَ السَّرَابُ تَبَادَرْتَهُ
 وَبَيْنَ جَفُونِهَا مِنْهُ نَطَافُ^٩
 لَعَلَّكَ يَا عَلِيٌّ^{١٠} لَهَا مَعَاذُ^{١١}
 وَتَبَسَّطَ^{١٢} أَوْ تَمَدَّ^{١٣} لَهَا يَمِينًا
 أَبْيَعُكَ يَا ابْنَ بَيْتَاعٍ فُؤَادِي
 وَأَصْفِيكَ الْوَدَادَ^{١٤} وَغَيْرُ^{١٥} وَدِّي
 لِمَلِكٍ هَوَايَ تَكْرَمَةً^{١٦} وَبِرًّا

جِيَادًا ضَمَرًا وَقَنًا طَوَالًا
 إِذَا مَا الشَّمْسُ^{١٧} أَحْرَقَتْ الظَّلَالَا
 بِصُوبِ^{١٨} الْمَزْنِ خَالَقَهَا ابْتِهَالًا
 ذَرَاكَ^{١٩} ، وَلَوْ أَسِيءُ^{٢٠} بِهَا فَعَالًا
 رَأَيْتَ بَيْنَ^{٢١} عَصَمًا^{٢٢} أَوْ رَثَالًا
 شَوَاهَا دَقَّةً^{٢٣} تَسْعُ^{٢٤} الْخِلَالَا^{٢٥}
 وَتَحْسِبُهَا إِذَا بَرَكْتَ سَخَالَا^{٢٦}
 وَصَارَ لَهَا السَّرَى عَمًّا^{٢٧} وَخَالَا
 وَتَشْتَاقُ^{٢٨} الْأَزْمَةَ^{٢٩} وَالرَّحَالَا^{٣٠}
 حَسِبْتَ الْغَوْلَ^{٣١} يَخْذُوهَا التَّعَالَا
 فَأَحْسِبُهَا تَرِيدُ^{٣٢} بِهِ اشْتِمَالَا
 إِذَا سَمِعَ الْغَلِيلُ^{٣٣} بَيْنَ^{٣٤} خَالَا
 فَتَسْقِيهَا^{٣٥} بِحَارًا^{٣٦} أَوْ سَجَالَا
 غَدَا^{٣٧} نَوَّءَ السَّمَاءِ^{٣٨} لَهَا شِمَالَا
 وَغَيْرِي^{٣٩} مِنْ إِذَا نَدَمَ^{٤٠} اسْتِقَالَا
 إِذَا حَالَتْ^{٤١} صُرُوفُ^{٤٢} الدَّهْرِ^{٤٣} حَالَا
 إِذَا كَانَ^{٤٤} الْهَوَى قِيْلًا^{٤٥} وَقَالَا

١ الديوان : التقت .

٢ ورد البيت في الذخيرة ١ : ٧٦ .

٣ الديوان : إذا بلغت محالا .

٤ الديوان : أنكرته .

٥ زيادة من الديوان لاستكمال المعنى .

٦ الديوان : غماراً .

ومعذرة تشيرُ بناتُ صدري
عدا بي أن أزوركَ صرفُ دهرٍ
وهمٌ من همومي^١ لو توخى
إذا أغفيتُ راعَ إليّ منه
يُخَضِّضُ مدمعي ويخوضُ فيه
ودونكها وأنتَ أجلُّ قدراً
فإن ضاعتَ لديك فأنتَ شمس
وإن حظيتُ وأرجو أن ستحظى
على خطرٍ أو آنَّ الليلُ منه
وغبَّ تعقبٍ لو كان منه

إليكَ بها اختصاراً واحتفالاً
ألحَّ فما أطيقُ له احتيالاً
طريقَ الريحِ كان لها عقلاً
حُبٌّ لا يُملُّ إذا أطلالاً^٢
فما يدع المصونَ ولا المذلالاً
ولكن عادة حُذيتَ مثلاً
يشبُّ تعسُّفي فيها الذبالاً
فإنَّ الشمسَ نورَتِ الهلالاً
لعاد شبابُ راكمه اكتهالاً
فرند السيفِ ما قبِلَ الصقالاً

١ الديوان : هموم .

٢ هذا البيت والتالي له لم يردا في الديوان .

ومن شعره في النسيب وما يناسبه

قال ١ :

هو الهوى وقديماً كنت أحذرُهُ السقمُ مورده والموتُ مصدرُهُ
يا لوعةً أجلاً من نظرةٍ أملٍ ٢ الآن أعرفُ رشداً ٣ كنتُ أنكره
جيدٌ من الشوقِ كان الهزلُ أولَهُ أقلُّ شيءٍ إذا فكرتُ أكثره
ولي حبيبٌ دنا لولا تمنُّعُهُ ٤ وقد أقولُ نأى لولا تذكره

وله في قيمة كانت تسمّى لذيفة ٥ :

يا قلبُ ذُبْ من أسيٍّ أو لا فلا تذبِ ما من تحبٍّ وإن تحرصُ بمقتربِ
ركبتَ هول الهوى عن غيرِ تجربةٍ وراكبُ الهولِ محمولٌ على العطبِ
قد صابَ طعمُ الهوى من بعد ما وضحتُ منه ضروبُ منيٍّ أحلى من الضَّرَبِ
ليبتَ داعيه لما أن دعاكَ وما دعاكَ داعي الهوى إلا إلى الشَّجَبِ
حتى إذا نلتَ من تلك المني جعلت تدعو عليك بطول الويل والحربِ
أيا للذيدُ ولا والله مذ حجبت غني لعيني في اللذاتِ من أربِ

١ الديوان : ٢٤٠ وانظر بغية الملتبس : ١٧٥ والقلائد : ٢٧٤ والخريدة ٢ : ٥١٩

والمسالك ١١ : ٣٩٠ والمغرب ٢ : ٤٥٢ .

٢ الديوان : يا لوعة هي أحلى من جنى أمل ؛ المسالك : قربت من نظرة أجلا .

٣ الديوان : شيئاً .

٤ الديوان : وإن شط المزار به .

٥ منها أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

تركتني يا حياقي للردى غرَضاً
 يَصَلِّي فؤادي سعيراً من صابته
 يا ربّ قد سفكت أمّ الوفاء دمي
 وقد وهبت لها قلبي ، وما خطّري
 نسيت إلا تدانينا وموقفنا
 لما التقينا وقد قيل المساء دنا
 وأضلعي بين مُنْقَدِّ ومُنْقَصِفِ
 تأملتني أختُ المجدِ قائلةً
 فقلت قلبي مسبيٌّ وإنك لو
 فأعرضت ثم قالت قد أسأت بنا
 فقلت إني امرؤٌ لما لقيتكم
 سببت فؤادي ذات الحال قادرةً
 أشقى بها وهي عني في بلهنية
 أصابت القلب لما أن رمته ولو
 فقالت أشكُ إليها ما لقيت ولا
 عسى هواك سيُعديها فيُنْصِبُها
 فقلت أعظمها بل ما أكلّمها
 قالت أنا أنولّي ذاك في لطفٍ
 فقلت مثلك من يَرْجى لمعضلة
 قالت لها يا لذيذ الحسنِ صاحبنا
 صليهِ أو فاقتليه فالحمام له
 فلو تراني قد استسلمت مرتقباً

تفديك أُمّي من صَرْفِ الردى وأبي
 والعين في لُجّة من دمعها السَّرب
 وقد تخوّفت يوماً أن تؤاخذَ بي
 حتى يُعاقبَ ذاك الحسنُ من سبي
 على مراقبةٍ من أعين الرقب
 وغابت الشمسُ أو كادت ولم تغب
 وأدعني بين منهلٍ ومنسكب
 بمن أراك أسيرَ الوجد والطرب
 كتبت سريّ لم أكتُْمك كيف سبي
 ظناً ، أيجملُ هذا من ذوي الأدب
 والمرءُ وقف على الأرزاءِ والثوب
 ولا نصيبَ له منها سوى النَّصَب
 شتانَ والله بين الجِدِّ واللعب
 رَمَتْهُ أخرى إذن لاشكُ لم تصب
 ترهبُ فلن تبلغ الآمالَ بالرهب
 وقد يكونُ الهوى أعدى من الحرب
 إلا أشارَ إليّ الموتُ من كتب
 فقد أوْلَفُ بين الماءِ واللهب
 لازلت في غبطةٍ ممتدّةٍ الطنب
 يهفو إليك وأضحى جِدّ مكثب
 خيرٌ من الجهد في جِدِّ وفي تعب
 منها حنان الرضى أو جفوة الغضب

حتى إذا ما ألانت تلك جانبها
طففت ألثم كفتيها وقد جَنَحَتْ
ثم افترقنا وما ساءت حفاظنا
لله مثلي ما أدنى سجيته
كم مأثم مُستَلَدٍ قد همتُ به
وله فيها أيضاً ١ :

يا حُبَّ لَذَّةٍ قد أدْنَقْتَ فاتتد
ويا لذيذة لا والله ما خَطَرَتْ
أتحسين فؤادي عنك مُنْصَرَفاً
بِنْتُمْ فخلد عندي وشكُ بينكم
هياتِ يسلو فؤادي عنكم أبداً
أمّ الوفاء لِحَيَّتِي ما فتنتُ بكم
الله يعلم أني مذ عرفتكم
ولا اتكالَ لعيني بعد فُرقتكم
ترى جفونك أرضاها الذي صَنَعْتُ
أترك الناسَ صَرَعَى لا حراكَ بهم
من كان يَقْطَعُ طعمُ الموتِ في فمه
فلان سقمي أضحي ما له أمدٌ
بما بلحظك من غُنْجٍ ومن حَوَرٍ
حتي على هائمٍ بالحُبِّ مخبَلٍ

والقلبُ مهما أُرْمَ تسكينه يُجِبِ
إليّ تضحكُ بين العجب والعجب
إذ اجتمعنا ولم نأثم ولم نحب
من المعالي وأناها عن الريب
فلم يدعني له ديني ولا حسي

إن كنتَ تجهد في نَقْصي فلا تردِ
بالقلبِ ذكراك إلاّ بتّ في عضدِ
وقد حلتِ محلّ الروح من جسدي
شوقاً نَفَى جِلْدِي لا بل سبي خلدي
أنّي ووجدني بكم باقي على الأبدِ
والناسُ قد فتنوا بالمالِ والولدِ
لم يخلِ قلبي من خبَلٍ ومن كبَدِ
إلا على مَفْنِيها : الدمعُ والشهدِ
بي أنها نَقَشَتْ بالسحر في العقدِ
ولا سبيلَ إلى عَقْلِ ولا قَوْدِ
فلأنه في فمي أحلى من الشهدِ
والموتُ أرواحُ من سَقَمٍ بلا أمدِ
وما يعطيك من عَطْفٍ ومن أودِ
بالشوقِ مرتين بالحزنِ منفردِ

١ منها أبيات في الديوان : ٢٤٨ .

أضحى أسيرَ صدودٍ بل قَتِيلَ نوى
يخشى على حُبِّكَ الحَسَادَ تفضحه
وإن بكى فبدا لعاذليه فعن
أما كفى حزناً أن قد ظمئتُ وقد
قد أرهفتُ دونه سيفان من دعجٍ
ورُدَّ شهى حماء الموت مُنصَلتاً
وما عجزَ لها ابنٌ واحدٌ بصَّرتُ
يوماً بأجزعَ مني يومَ قولهمُ
أضحت على الأجدُ الأقوادِ باكيةً
لقيتُ فَعَلَّةَ واللذاتُ قد زُهيتُ
غنتُ فلو أن ميتاً كان يَسْمَعُهَا
فهل يسكنُ عذالي وإن جهدوا
يا لذُّ مالكٍ في قتلي بلا سببٍ
رفقاً بقلبي يا قلبي فإنك قد
لم تنطقي قط إلا ظلتُ أفرقُ مِن
ولا مَدَدَتِ يداً للعودِ عامدةً

وله فيها أيضاً ١ :

رَمَتْهُ منها بسهمٍ عنه لم يَحِدِ
فما يَبُوحُ به يوماً إلى أحدٍ
غير اختيارٍ ولكن عادةً الكمدِ
عابنتُ عَذَبَ الحيا يحري على البردِ
بلحظ أحوى رهيفَ القدِ ذي غيدِ
فظلتُ حيرانَ لم أَصْدُرْ ولم أَرِدِ
به يخوضُ الردى في ملتقى كبدِ
أصخُ للداعي تنائينا غداةً غدِ
فلم يَنَلْ أحدٌ ما نلتُ في الأحدِ
بنا وقد مات صرفُ الدهر من حسدِ
لعاد حياً كأن لم يَرُدْ يوم رَدِي
ما حَرَّكَ حَرَكُ الأوتار في كبدي
وأنت سؤلي في قُربٍ وفي بُعدِ
أُسْكِنْتَ حيثُ الأسي في اللَّبِّ والخلدِ
أن أَسْتَطَارَ فلم أبدىء ولم أَعِدِ
إلا وضعتُ عليه أن يذوبَ يدي

من ذا بنامُ وقلبهُ يتضرَّمُ
رَنَقُ ووجهُ الدهرِ جَهَنَّمُ مَظْلَمُ
والوجدُ يُنْجِدُ في الفؤادِ ويتهمُ

النومُ بعدكمُ عليَّ محَرَّمُ
ماءُ الحياةِ وقد نَأَيْتُمُ آسَنُ
قد بانَ عَنِّي الصبرُ لما بنتمُ

١ منها أربعة أبيات في الديوان : ٢٤٧ .

أَجْرَيْتُمْ دَمْعِي دَمًّا لِفِرَاقِكُمْ
 مَا كَانَ أَكْتَمَنِي لِسْرِي قَبْلَ أَنْ
 فَإِذَا شَهِدْتُ جَمَاعَةً وَاعْتَادَنِي
 فَبَحَقَّكُمْ مِنْ ذَا بَعَايْنُ أَدْمَعِي
 حَمَلْتُمُونِي ثَقْلَ بَيْنِكُمْ أَلَمْ
 عَاقِبْتُمُونِي فِي الْهَوَى بِذُنُوبِكُمْ
 أَتَظْلَمُونَ وَتَظْلَمُونَ عَجَبَكُمْ
 أَعْتَبْتُمْ فَعْتَبْتُمْ وَأَطَعْتُمْ
 قَدْ كَانَ لِي فِي هَجْرِكُمْ لَوْ أَنِّي
 وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي قَدْ رُمْتُ
 أَنْتُمْ مَنَائِي وَفَيْتُمْ أَوْ خْتَمْتُمْ
 يَا حَبِذَا أُمَّ الْوَفَاءِ وَإِنْ جَفْتُ
 وَهِيَ الَّتِي انْفَرَدَتْ بِوَدَّيْ كُلِّهِ

ظَلَمًا وَقَلْتُمْ مَا لَهُ لَا يَكْتُمُ
 تَكْثِيرَ الدَّمْعِ كَأَنَّمَا هِيَ عِنْدَهُ
 تَذَكَّارَكُمْ فَاضَتْ دَمْعِي تَسْجُمُ
 تَنْهَلُ إِلَّا قَالَ هَذَا مَغْرَمُ
 تَتَبَّعُوا أَلَمْ الْحَيْنِ فَتَرْحَمُوا
 لَقَدْ اسْتَظَلَمْتُمْ إِذْ قَدَرْتُمْ فَاعْلَمُوا
 وَمِنْ الْعَجَائِبِ ظَالِمٌ مُنْظَلَمُ
 فَعَصَيْتُمْ وَوَصَلْتُمْ فَهَجَرْتُمْ
 أَقْوَى عَلَيْهِ مِنَ السَّلَامَةِ سَلَّمَ
 فَضَعُفْتُ عَنْهُ فَافْعَلُوا مَا شِئْتُمْ
 وَلَكُمْ هَوَايَ دَنُوتٌ أَوْ بَتْمٌ
 وَتَغَيَّرْتُ فِيهِ الَّتِي لَا تَسَامُ
 وَلَطَالَمَا قَدْ كَانَ وَهُوَ مُقْسَمٌ

ومن شعره في المديح

له في محمد بن عيسى الحضرمي :

عتابٌ على الدنيا وَقَلَّ عِتَابُ
 وَقَالَتْ وَأَصْغَيْنَا إِلَى زَوْرِ قَوْلِهَا
 وَغَمَّتْ ٢ عَلَى أَبْصَارِنَا وَقُلُوبِنَا

رَضِينَا بِمَا تَرْضَى وَنَحْنُ غَضَابُ
 وَقَدْ يَسْتَفْزُ الْقَوْلُ وَهُوَ كَذَابُ
 فَطَالَ عَلَيْهَا الْحَوْمُ وَهِيَ سَرَابُ

١ الديوان : ٨ .

٢ الديوان : وغطت .

ودانت لها أفواهنا وعقوبنا
وتلك لعمر الله أمّا ركوبها
نلذّ ونلهو والأعزة حولنا
وتخذعنا عمّا يراد بنا منى
ونغتني الأيام وهي مصائب
بكت هند من ضحك المشيب بمفرقي
وقالت غباراً ما أرى وتجاهلت
هل الشيب إلا الرشد جلّ غوايبي
وأصبح شيطاني يعرض بنانه
أغفو لصرف الدهر عن هفواته
وأتركه يمضي على غلواته
برئت من العلياء إن لم أردّه
وإن لم أنهته من شباه بعزّة
وقائلة ما بال حمص نبت به
نبت بي فكنت العرف في غير أهله
وتالله ما استوطنتها قانعا بها
أبغضب حسّادي قيامي إلى العلا
هم حسدوني لا لوفير وقرّنه
وأروع لا يتأى على عزّماته

وهل عندها إلا الفناء ثواب
فهللك وأما حكمها فغلاب
رقات ونبي والديار خراب
لبحر المنايا دونهنّ عباب
لمن علينا جيئة وذهاب
أما علمت أن الشباب خضاب
وليس على وجه النهار نقاب
فأصبحت لا يخفى علي صواب
وقد لاح دوني للقتير شهاب
على حين لا يأبى عليّ عقاب
وقد عزّ إعتاب وطال عتاب
ولي ظفر قد عاث فيه وناب
تدلّ لها الأشياء وهي صعاب
وربّ سؤال ليس عنه جواب
يعود على موليه وهو تباب
ولكنني سيف حواه قِراب
وقد قعدوا عما ظفرت وخابوا
ولكن شهدت المكرمات وغابوا^٢
مّرام ولا يخفي سناء حجاب

١ الديوان : يأتي .

٢ الديوان : قل .

٣ لم يرد هذا البيت في الديوان .

من الحضرميين الأولى أحرزوا العلا
من المانعين الدهر حوزة جارهم
هم عرّضوا دون المعالي فأصبحت
وهم جأجأوا بالمعتفين إلى ندى
مضوا إن تسمنهم خطة الضيم بأنفوا
سجايا على مرّ الليالي كأنما
تخوفي ريب الزمان وقد حدثت
إذا الله سنّي لي لقاء محمد
فتى لم تسافر عنه آمال أمل
ولا ظمى العلم المضيع أهله
له همم في الجود والبأس لم تزل
وأقسم لولا ما له من مآثر
مآثر من المجد لا كسب درهم
يغيظ العدا منه أغرّ حلال
ولا عيب فيه لا مرى غير أنه
هو الأسد الورد الذي طال ذكره
تبوّأ من دار الخلافة مقعداً
وباهت به منذ استقل بأمرها

بنتوا فأطالوا أو رمّوا فأصابوا
وأشلاؤه بين الخطوب نهاب
مطالب لا يدنو بهنّ طلاب
هو القطر لا يأتي عليه حساب
وإن يدعهم داعي السماح أنابوا^٢
هي المزن فيه رحمة وعذاب
برحلي إلى ابن الحضرمي ركاب
تفتح دوني للسماحة باب
وكان لها إلاّ إليه إياب
فساغ له إلاّ لديه شراب
ها فوق أثابج النجوم قباب
لأصبح ربع المجد وهو يباب
وهنّ المعالي لا حلّ وثياب
أشم طوال الساعدين لباب
تعاب له الدنيا وليس يعاب
وليس له إلاّ البسالة غاب
له فيه عن حُكم القضاء مناب
كما تنهادى للجلاء كعاب

١ الديوان : جنحوا .

٢ لم يرد في الديوان .

٣ الديوان : صرف .

٤ الديوان : والبأس والندى .

سلّ الدينَ والدنيا هل ابتهاجا به
 فضاه أميرُ المسلمين^١ مهتداً
 له المثلُ الأعلى مَعاداً ومبدءاً
 ألا أنتَ لكَ الأشياءَ وهي صليبةٌ
 إليك أبيتاناً من الشعر صُعْتُها^٢
 فإن تَتَقَبَّلْها فتلك طويّتي^٣
 وهل أنا إلا الروضُ حيّاك عَرَفُهُ
 ومن يُشَنِّ بالصنع الجميل فإنّه
 وهل أنا إلا عبدُ أنعمِكَ التي
 وهل شهد المجدُ الذي أنت سرُّه
 وها أنا يا رضوانُ باسمِكَ هاتفٌ
 وهل يُدْرِكُ الحسادُ غوركَ في العلا
 إذا قايسوكَ المجدَ كنتَ غضنفرأ
 وما احمرَّ إلا من صبالك معرَّك^٤

كما انجذب من ضوءِ النهارِ ضباب
 له الحلمُ مَتْنٌ والمضاءُ ذباب
 وللحاسدِ العاوي حصيٌ وتراب
 عزائمُ في ذاتِ الإله صلاب
 بودّي لو أني بهنَّ كتاب
 فيا من رأى خطباً ثناه خطاب
 وقد باكرتَهُ من نذاك سحاب
 شكورٌ ولا مثلَ المزيّد ثواب
 هي الشهدُ إذ كلُّ المواردِ صاب
 بأنّك بحرٌ والكرامُ شعابُ
 فهل لي إلى دار المقامةِ باب
 وإن طال مكرٌ منهم وخلاب
 إذا زار لم تَشَبُّتْ عليه ذئاب
 ولا اخضرَّ إلا من نذاك يباب

وقال أيضاً يمدح ذا الوزارتين أبا جعفر بن أبي رحمه الله^٥ :

فؤادٌ على حُكْمِ الهوى لا على حُكْمِ يهيمُ على لائر البخيلة أو يهيم

١ الديوان : المؤمنين .

٢ الديوان : قلتها .

٣ الديوان : وتلك مطيقي .

٤ الديوان : سراب .

٥ الديوان : نافسوك .

٦ أنظر الديوان : ١٧٥ .

متى أشتفي من لوعتي أو أطيقها
 هنيئاً لسلمي فرطُ شوقي وأني
 غداةً وقفنا نقسمُ الشوقَ بيننا
 وقد طلعتُ تلكَ الهودجُ أنجماً
 فأبْتُ بدمعي لؤلؤاً فوق نحرها
 خليلي هل بعد المشيبِ تعلّةٌ
 وهل راجعٌ عيشٌ لبسناه أنفأ
 وهل لي حظٌّ من مواةٍ صاحبٍ
 بدّت رقةُ الشكوى على غضباته^١
 كما اضطرب الخطي في حومةِ الوغى
 رماني على فتورِ الشباب وإنما
 ولم يدري أني لو أشاءُ ختلتُهُ
 ووكلَ عينيه باتلافٍ مهجتي
 أبا جعفر هذي المكارمُ والعلا
 أرى الناسَ قد باعوا المرواتِ فاشترِ
 وأنتَ أحقُّ الناسِ بالخزمِ فأتِه
 وأنتَ بعيدُهم مقربُ الجدا
 أبتى إذا لم يدفعِ الضيمَ دافعٌ
 وأكرمُ من يُرجى لدفعِ ملامةٍ

إذا كان يجنيها فؤادي على جسمي
 ذكرتُ اسمها يوم التوى ونسيتُ اسمي
 على ما اشترطنا وارتضتُ سنةَ القسم
 تركنَ جفوني في الكرى أسوةَ النجم
 وآبت بما في مقلتيها من السقم
 لذي الجهل أو في الحب شغلٌ لذي الحلم
 كيوم يزيد في بيوت بني جرّم^١
 له قدرةُ القاضي وموجدةُ الخصم
 وربتك في أعطافه قسوةُ الظلم
 وصمُّ المنايا في أناييه الصم
 تعرّض لي لما رأيته لا أرمي
 على رسله إن الحباله كالسهم
 سيعلم إن لم يستجر بي من الغرم
 دعاء بحقٍ وادعاء على علم
 وقد ضيعوا ما كان من حسبٍ فاحم
 وصونُ العلا بالمال أشبهُ بالخزم
 كريمُ السجايا ماجدُ الحال والعم
 بغيرِ الحديث الإفك والحليف الإثم
 إذا الطفل لم يسكن إلى لطفِ الأم

١ يعني يزيد بن الطثيرة وقد دخل حي بني جرم وانصرف من عند النساء مدهوناً مشقلاً بالهدايا

(الأغاني ٨ : ١٥٨ : ١٦١)

٢ الديوان : حركاته .

وأهفى بألباب الرجال من الهوى
وأحمى لخوزات المعالي من الردى
وذو عزّات لو تُساوى بها الرُّبى
ولم أر أحبا منك وجهاً ولا يداً
وأصبر في ظلماء كل كربةٍ
إذا الخيلُ عامت في التّجيع وألّحت
ولم تر إلّا عاثراً بدمائه
ولا حصن إلا السيف في يد ماجدٍ
هنالك حدث عن أبيّ وأحمدٍ
تسميت بالفضل الذي أنت أهله
والنّبيست من مثني الوزارة حلة
وتنميك من سعد العشرة أسرة
بهاليل أبطال ججاج سادة
إذا ركبوا الجرد الجياد إلى الوغى
سيأتيك شعري ذاهباً كلّ مذهب
جزاء بنعماك الجزيلة لأنّي
فكم لك عندي من يد ملأت يدي
هنيئاً لك العيد الذي أنت عيدُه
نأى الحجر المثلث فيه فأحظني

وأخفى وراء الحادثات من الوهم
وأسخر بآمال النفوس من الحلم
لطأطأها بين المدلّة والرغم
إذا استأثر الحرّ المرمق بالطعم
بحيث يكون الصبر أفرج للغم
يسمر العوالي وهي تطنق على اللجم
يحاذر كلّماً أو يدافع عن كلم
يرى الموت دون المجد غنماً من الغنم
وعبد المليك الشم في الرّتب الشم
ومعناه ، والمذموم أجدر بالذم
تقوم لها تلك المآثر بالرقم
هل الفخر إلا ما نمته وما تنمي
كأسد الشرى في الحرب كالمن في السلم
رأيت الأسود الضاريات على العصم
على شيهنم من خطّة أو على شههم
تكرمت عن شين الصنيعة بالكم
ومن نعمة أولى بشعري من نعم
وعيد لما حاكوا من النثر والنظم
ييمناك واجعل لي سبيلاً إلى اللثم

١ الديوان : وجعفر .

٢ ص : إن النّم .

وقال أيضاً يمدح الوزير أبا العلاء بن زهر^١ :

يفديك كلُّ جبانٍ في ثياب جري
لما رأى الخُبْرُ شيئاً ليس يُنكره
ولَّ السُّهى ما تولَّى من تكذبه
وهي الشَّفَارُ إذا الإقدام جرّدها
والناسُ كالناسِ إلا أن تجربتهمُ
كالأينكِ مشبهاتٌ في منابها
ولَّى رجالٌ غضاباً حين سدّتهمُ
واستشرفوا كلما أحرزت طائلةً
طولوا وإلا فكفّوا من تطاولكم
مللتُ حمصٌ وملّنتي فلو نطقتُ
وسوّلتُ لي نفسي أن أفارقها
هيهات بل ربما جنى الرحيلُ غنىً
كم ساهرٍ يستطيلُ الليلُ من دنفٍ
أما اشتفتُ منّي الأيامُ في وطني
ولا قضتُ من سواد العين حاجتها

فازعتهُ الورْدُ واستأثرت بالصدْرِ
أحال بالدين والدنيا على الأثر
إن المزيّة عند الناس للقمر
ألوتُ بما يدّعيه العُشّي للشفر^٢
وللبصيرة حكمٌ ليس للبصر
وإنما يقعُ التفضيل بالثمر
لا ذنب للخيل إذ لا عُذْرَ للحر
وللسنان مجالٌ ليس للابر
إن المآثر أعوانٌ على الأثر
كما نطقتُ تلاحيناً على صدر^٣
والماء في المزن أصفى منه في الغدُر
بالمالِ أجني به رغداً من العمر
لم يدِرْ أن الردى آتٍ مع السحر
حتى تضايق في ما عنّ من وطر
حتى تكرّر على ما ظلّ في الشعر

١ الديوان : ٤٨ وبعضها في المسالك والنفح والوافي والمغرب والشرطي ١ : ١١٠ وطراز

المجالس : ١٢٤ ورفق الحجب ١ : ١٤٠ والفخيرة ١ : ٣١٢ .

٢ الديوان : العين للسهر .

٣ هذا البيت والذي يليه في الرايات : ٩٠ (غ) .

٤ الديوان : أحبي به فقراً .

٥ الديوان : كان .

كم ليلة جُبْتُ مثنى طولها بفتى
 حتى بدا ذنبُ السرحانِ لي وله
 في فتية يُنهبون الليل عزمهم
 لا يَرحضون دجاء كلما اعتكرت
 لهم همومٌ تكاد العيسُ تعرفها
 باتت تخطى النجوم الزهر صاعدة
 القائلين اقدمي والأرضُ قد رجفت
 والهامُ تحت الظُّبَا والبيضُ قد حميت
 أثناء كلِّ سنانٍ عُدَّةً^١ في زرد
 والحيلُ شعثُ النواصي فوقها بهم
 شابت من التقعِ وارتاب الشبابُ بها
 والشيبُ مما أظنُّ الدهرُ صحفَه
 لو يعلمُ الأفقُ أنَّ الشيبَ منقصةٌ
 وليس للمرء بعد الشيب مُقتبَلُ
 أَمَا تَرَى العرْمَسَ الوجناء كيف شكَّت
 تسري ولو أنَّ جَوْنَ الليلِ معركةٌ
 باتت توجى وقد لانت مواطنها
 تخشى الزمام فتثني جيدها فرفاً
 من كلِّ ناجيةِ الآصال قد فصلت

شتَّى المسالك بين النفع والضرر
 كأنما هو زندٌ بالصباح يَري
 فليس بطرقهم إلا على حذر
 إلا بمالٍ ضياعٍ أو دمٍ هدر
 وربما اشتملت بالحادث النُّكْرُ
 كأنما تفتليها عن بني زهر
 إلا ربِّي من بقايا البيض والسمر
 فما تطايرُ إلاً وهي كالشرر
 كأنه جدولٌ أفضى إلى نهر
 حمسُ العزائم والأخلاقِ والمر
 فغيرت من دم الأبطال بالشقر
 معنى من النقص عماء عن البشر
 لم تسرِ أنجمه فيه ولم تسرِ
 نهايةُ الروضِ أن يعتمَ بالزهر
 طول السِّفَارِ ولم تعجز ولم تخر
 ترى الردى كاشراً فيها عن الظفر
 كأنها إنما تخطو على الإبر
 كأنه بين ثني^٢ حيةٍ ذكر^٣
 من الردى فحسبناها من البكر

١ الديوان : عل .

٢ الديوان : من ثني .

٣ الديوان : الآمال .

٣ مر قبلا ص : ٦٢٧ .

بهيمة^١ لو توفى كنه^٢ شرها^٣
 تجري فللماء ساقا عائم^٤ درب^٥
 قد قسمتها يد^٦ التقدير بينهما
 أما إباد فالت كل^٧ مكرمة
 وأوقدوا ونجوم^٨ الليل قد خمدت^٩
 ألقى المراسي والتجت غياطله^{١٠}
 وأنزع الوهد^{١١} من إزباد بلحته^{١٢}
 فالأرض ملساء^{١٣} لا أمت^{١٤} ولا عوج^{١٥}
 أفادني حبك^{١٦} الإبداع^{١٧} مكتهلا^{١٨}
 إذا رميت^{١٩} القواني في فرائصها^{٢٠}
 أين ابن^{٢١} بابل^{٢٢} أو مهيار^{٢٣} من مدح^{٢٤}
 أشدو فيلتي^{٢٥} ابن^{٢٦} حجر^{٢٧} بالمقالد^{٢٨} لي
 أبا العلاء وحسي^{٢٩} أن تصيخ^{٣٠} لها
 أنا الذي أجتني^{٣١} الحرمان^{٣٢} من أدبي^{٣٣}

وله في القاضي ابن حمدين رحمهما الله يستعينه ويستعطفه :

١ س : اثرتها .

٢ الديوان : ذكر :

٣ . إشارة إلى قول امرئ القيس (ديوانه : ١٢٣) :

رب رام من بني ثعل متلج كفيه في قتره

وأتلج الكفين : أدخلهما ، والقتره : بيت الصائد الذي يكمن فيه .

٤ ابن بابل : أبو القاسم عبد الصمد بن منصور من شعراء اليتيمة ؛ ومهيار الديلمي تلميذ الشريف

الرضي (تاريخ بغداد ١٢ : ٢٧٦)

٥ الديوان : ٤ .

أَغْمَزُ جَفُونِ^١ وانكسارُ حَوَاجِبِ
سرى وسرى طيفُ الخيالِ كلاهما
وفي مضجعي أخفى على الليلِ^٢ منهما
لَقِيَّ غيرَ نفسِ حُرَّةٍ نازعت به
مُعَوَّدَةٌ^٣ أَلَاَّ تطبق روعةً
إِلَيْكَ ابْنَ حَمْدِينَ وَإِنْ بَعْدَ الْمَدَى
صُبَابَةٌ وَدٌ لَمْ يَكْدُرْ جَمَامَهُ
وَذَكَرَى عَسَاها أَنْ تَكُونَ مَهْزَةً
بِأَيِّ مَا كَانَ الْهُوَى مُتَقَارِبًا
أَمْخَلَفَةٌ^٤ تِلْكَ الرِّسَالُ بَعْدَمَا
وَكَمْ غَدْوَةٌ لِي فِي رِضَاكَ وَرُوحَةٍ
لِيَالِي لَمْ تَمْشِ الْأَخَابِثُ^٥ بَيْنَنَا
وَلَمْ يَزْحَفُوا فِي نَقْضِ مَا كَانَ بَيْنَنَا
وَأَيَّامَ لَمْ يَجْنِ الدَّلَالُ عَلَى الْهُوَى
أَفَالَا أَنْ لَمْ أَكُنْ أَحْكَمَ قَادِرٍ
وَلَمْ تَبْقَ إِلَّا نَزْعَةٌ تَرْتَقِي بِهَا
أَضَعْتُ حَقُوقِي أَوْ حَقُوقَ مُودُنِي

أَمْ الْبَرْقُ فِي جُنْحٍ مِنَ اللَّيْلِ رَاتِبِ
يُودٌ لَوْ أَنَّ اللَّيْلَ ضَرْبَةٌ لِأَزْبِ
وَأَثْقَبُ فِي أَجْوَارِ تِلْكَ الْغِيَاهِبِ
نَجُومَ الدُّجَى مَا بَيْنَ سَارٍ وَسَارِبِ
بِهَا مَذْهَبًا . وَالْمَوْتُ شَتَّى الْمَذَاهِبِ
وَإِنْ عَزَبَتْ بِي عَنْكَ إِحْدَى الْعَوَازِبِ^٣
مَرُورُ اللَّيَالِي وَازْدِحَامُ الشَّوَابِ
تَرْدٌ عَلَى أَعْقَابِهِ كُلٌّ شَاغِبِ
وَخَطُوِي فِيهِ لَيْسَ بِالْمُتَقَارِبِ
شَدَدْنَا قَوَاهَا بِالنَّجُومِ الثَّوَابِ
عَلَى مَنْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْبِرِّ لَاحِبِ
بِمَا كَادَ يَسْتَهْوِي حُلُومَ الْأَطْيَابِ
بِضِيَّابَةٍ يَنْمُونَهَا وَأَشَائِبِ
هَنَاتِ جَنَّتِ عَتَبًا عَلَى غَيْرِ عَاتِبِ
وَسَرَّكَ أَنِّي جَنْتُ أَصْدَقَ تَائِبِ
شَيَاطِينُ تُخْشَى الْقَذْفَ مِنْ كُلِّ جَانِبِ
فَدُونُكُهَا أَعْجُوبَةٌ فِي الْأَعَاجِبِ

١ الديوان : عيون .

٢ الديوان : على العين .

٣ الديوان : غربت . . . الفوارب .

٤ الديوان : الأخايث .

٥ الديوان : قباصد .

وفجعت بي حياً نواذب كلما
 وقال العدا ليلُ الخمول أجنهُ
 وأصبحتُ لا يرتاعُ من خوف سطوتي
 ولا تنباهي بي صدورُ مجالسِ
 وما تتلاقاني^١ العفاةُ كأنما
 ولا أمري أخلافَ كلِّ مشيئةٍ^٢
 أعاتبُ إدلالاً وأعتبُ طاعةً
 أبوءُ بذنبي ليس شعري بمقتضى
 ولكنه ما أستطيعُ وعوده
 ويحمدك الحسادُ أنك سدّتهم
 وقد وقفوا دون المدى غيرَ خلوةٍ
 غضاباً على من ناكر الدهرَ بينهم
 سراعاً إلى الدينار حيث بدا لهم
 إذا المرءُ لم يكسب سوى المالِ وحده
 عجبتُ لمن لم يقدر الربّ قدره
 ومن لم يوطنْ للنوائبِ نفسهُ
 أعدّ نظرةً فيهم وفي حرّماهم
 وكُنْ بهم أدنى إلى الرشْدِ منهم
 لعلّهم والدهرُ شتى ضروفهُ
 قد انصرفتْ تلك الهمومُ لواغباً

تذكرني أسعدنَ غيرَ نواذب
 على رسلهم لاني عياضُ بن ناشب
 عدوي ولا يرجو غنائِي صاحبي
 أسركُ فيها أو صدورُ مواكب
 أهابوا بمنهلٍ من الغيث ساكب
 بأيدي صبا من عزمي وجنائب
 وحسبك بي من مُعْتَبٍ أو معاتب
 علاك ولو قفّيتهُ بالكواكب
 لفضلك إلاّ تمنحُ ذنبي تقارب
 على شاهدٍ مما انتحيتَ وغائب
 بأنفسهم أو بالظنون الكواذب
 وقد عرفوه بين راضٍ وغاضب
 ولو أنّه بين الظبا والضوارب
 فالأمُ مكسوبٍ للأُمِ كاسب
 وقد تاهَ في نقد النجوم الثواقب
 وقد لجّ في تعريضها للنوائب
 وإن لم يعيدوا نظرةً في العواقب
 تكنْ هذه إحدى عُلّاك العجائب
 ومجّدك أولىّ بارتقاء المراتب
 إلى المقصدِ الأدنى وغيرَ لواغب

١ الديوان : ولا تلتقاني .

٢ الديوان : مرنة .

و ثابتٌ حلومٌ ربما زال يذبلٌ
 وأيقن قومٌ أنها هي ترتمي
 وألقوا بأيدي صاغرين وأخلصوا
 وأهونٌ مغلوبٌ على أمرٍ نفسه
 إليك ابنَ حمدين نصيحةً مشفقٍ
 برغمي ورغم المكرمات تقصبتُ
 ورغم رجالٍ علّمَهم ذنوبُهم
 قضاوا نجهم إلا أسي غير نافعٍ
 يلودون منه بالخضوع مُردّداً
 فإن تنتصف منهم فأعذرُ آخذٍ

ومن شعره ، في التأيين . قصيد له يعزّي ابن مرتين ، أوله ٢ :

على مثله فلتبك إن كنت باكياً
 وقد أجمعوها آخرَ الدهرِ رحلةً
 سفار تداعوا من نواهم بطيئةً
 أفي كلِّ يومٍ أودع الأرضَ صاحباً
 وأحسبُ أنني لو غدتُ مكانه
 ولو أنني أحببته الحبَّ كله
 وقلَّ غناءً عنه إسبالُ عبدة
 وعدّي له الأيام لا أنا واهمٌ

فقد عهد الأحبابُ ألاّ تلاقيا
 يذمُّ إليها العيس من كان ثاوباً
 تساقوا بكأسها الفراق تساقياً
 أريقُ به في التربِ ماءً شبايباً
 لعزٍّ عليه أنْ أكونَ مكانياً
 لأنبَعثهُ نفسي وأهلي ومالياً
 إذا ابتدرت كفكفتها بردائياً
 ولا أنا ثانٍ من عنان رجائياً

١ الديوان : النوائب .

٢ لم ترد هذه القصيدة في الديوان .

٣ قراءة تقديرية غير دقيقة للبيت كله .

وحفظي له بالغيب حتى كأنه
وقولي لا تبعذ وقد حال دونه
خليلي قد أفنيت شهدي وأدمعي
خليلي من يطمع بشيء فلاني
ولست حياتي غير شجون مردد
صلاة ورضوان وروح ورحمة
على الجلد المحبوب خالط تربه
على جدث ما ضر إنسان مقلتي
طوى الحسن والإحسان والدين والحجى
وشخصاً لو أن الفضل أعطي حكمه
من الخفريات البيض ما انكف دونها
أت دونها الآمال محتومة فما
تخطى إلينا يومها كل شائح
على كل طاو طالما جشم الورى
من اللائي بدعون الردى أو لحينه
إذا أقبلوها الروح خلت رقابها
حصون لو أن الرزق معتصم بها
أمصغية حي تبثك شجوها
إذا استشعرت ذكراك أنهبت الأسى
وملآن من عطف عليك ورقة
يراك بعينيني شوقه وادكاره
تهيج له ذكراك أنه ضائع

بحيث أراه أو بحيث يرانيا
كئيب تهاده الرياح تهاديا
وعيني فما لي لا أرى الوجد فانيا
نقضت به لا بل نقضت فؤاديا
عهدت له ألا ألد حياتيا
وكل سحاب لا أخص الغواديا
سنا البدر تما أو شذا المسك ذاكيا
وقد بان عنها لو غدا فيه ثاويا
ويبض الأيادي يكتفن الأياديا
لكان له مما هنالك واقيا
مرام تحاماه الخطوب تحاميا
تحدث عنها الشهب الا تناجيا
يكفك غضباناً ويكفيك راضيا
كفيلاً بأن لا يصبح الموت طاويا
عوادي يحملن الأسود عواديا
عوالي مما يتبعن العواليا
لأعيالك إلا أن تمسى الأمانيا
حوائم لم تعهد كواديه واديا
عيوناً رواء أو قلوباً صواديا
غدا منك مأهولاً وإن كان خاليا
فيا دانياً هلا كما كنت دانيا
فتضنيه مدعواً وتعنيه داعيا

عزاء بني مرتين ما أحسب الأمل
 أبت هذه الأيام إلا طباعها
 وقد أمكتكم وهي خون غواذر
 إليك عيّد الله والبعد بيننا
 وليك قد أسمعني وإن التوت
 ولا بد من أن أنتحبك بهذه
 أبثك حالي لا لأنك جاهل
 وأدلي بعذري ثم رأيك بعدها
 صدقتك عن نفسي على القرب والنوى
 وكنت قديماً [قد] أعرض بالهوى
 وإني لأستحيك من حيث بعني
 وما كنت أخشى أن آيت بليّة
 ولكنها لا استخفت مدائحاً
 وكنت أراني ربما اسودّ موضعي
 فان يترع الأحباب طول تمللي
 وإن يطعم الأعداء فرط تذلي
 والله ما بي أن تضيع مودتي
 وما لت الأيام ديتي لعلّة
 عزاءك قد أبلغت نفسي عندها
 أرى هذه تفي ويفي متاعها

لذي اللب إلا آسياً أو مؤاسياً
 وإن هي دارتكم هوى أو تدهاها
 فإن شتم لم تركوها كما هيا
 هوى بات يرمي بي إليك المراميا
 بعزمي هموم لا نجيب المناديا
 خبيلاً صفيّاً أو علواً مداجيا
 بحالي ولكن ربما كنت ناسيا
 أميراً ومأموراً وخصماً وقاضيا
 وقلت لعلّي أو لعلّ الليايا
 لتدنو فما ترداد إلا تنائيا
 رخيصاً على أنني اشتريتك غاليا
 من الدهر لا أهدي إليك القوافيا
 حذرت عليها أن تضيع مراثيا
 يسيراً فما ظني به اليوم قانيا
 فاني سليم لم أجد لي راقيا
 فحاشاك معزولاً وعتباك واليا
 لديك ولكن أن يضيع وفائيا
 ولكن لعلّي قد أسأت التفاضيا
 ودهرك غدار فما لك واقيا
 ويأبى عليها الناس إلا تغانيا

ويأبى معز الشيء إلا ارتجاعه^١ فيا أدياء السّرّ ردّوا العواريا
تساوى الورى قبل الحياة وبعدها فما بال قوم ينكرون التساويا
وقال الفتى أهلي ومالي ضلّة^٢ وأين به عن نبتى^٣ وماليا

الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطلبوسي^٤

أحد فرسان الكلام والكلام ، وحملة السيوف والأقلام ، من أسرة
أصالة ، وبيت جلالة ، أخذوا العلم أولاً عن آخر ، ورووه كابراً عن كابر ،
ولله درّه فانه ، وأخويه أبا محمد طلحة وأبا الحسن محمداً ، منتهى قول

١ س : مفتي .

١ هو أحد ثلاثة أخوة يعرفون ببني القبطرنة (أو القبطورنة أو القبطورنية) والأرجح أن هذه
التسمية مركبة من كلمتين هما caput وتعنى رأس و torno بمعنى مستدير ، فيكون
معناها : « ذو الرأس المستدير » (انظر وثائق تاريخية جديدة للدكتور محمود مكى ،
صحيفة معهد الدراسات الإسلامية ٧ : ١١٧ الحاشية رقم : ٣) . وهؤلاء الاخوة الثلاثة هم
أبو بكر عبد العزيز وأبو محمد طلحة وأبو الحسن محمد .

أما أبو بكر عبد العزيز بن سعيد فقد كان من جلة الأدياء ورؤسائهم ، كاتباً مترسلاً ،
كتب للمتوكل ابن الأفلح ثم لابن تاشفين من بعده وتوفي بعد ٥٢٠ هـ وذكر مؤلف إحكام
صنعة الكلام (١٣٧) أن أبا بكر كان من رؤساء العصر في صنعة النظم والنثر ، وأنه
كانت بينهما مراسلة سنة ٥٠٧ هـ أورد ذكرها في كتابه « ثمرة الأدب » . (وانظر
التكملة رقم : ١٧٤٣ ورسالة له في الريحان ١ : ٩٢ ب) .

وأما أبو محمد طلحة بن سعيد فقد أخذ عن مشيخة بلده ، وكان أحد الأدياء الأذكياء
وكان صديقاً لأبي بكر بن العربي وتوفي في حياة أخيه أبي بكر (التكملة : ٢٣٧) وكان
لأخيهما محمد بن سعيد مكانة مشابة ، إذ كتب أيضاً للمتوكل ابن الأفلح ، ولكن
المصادر لا تعين شيئاً واضحاً عنه . (انظر تراجم الثلاثة في المغرب ١ : ٣٦٤ والإحاطة ١ :
٥٢٨ وفيه نقل عن الذخيرة) والقلائد : ١٤٨ والحريدة ٣ : ٤٢٢ والمطرب : ١٨٦

القاتل ، وأعجوبة الأواخر والأوائل ، ثلاثة كهقعة الجوزاء ، وان أربوا على الشمس في السنا والسناء ، امثروا أخلاف الفخر فأمطرتهم شعباً ورياً ، وهزوا بجلود النظم والنثر فاسأقت عليهم رطباً جنيّاً ، ولم يحضرني من أشعارهم ومستظرف أخبارهم حين لإخراجي هذه النسخة من هذا المجموع إلا ما أثبتته لأبي بكر منهم خاصة ، وهو عَلمُ بُردِهم ، وواسطة عقدهم .

فمن ذلك رقعة خاطب بها الوزير أبا الحسين ابن سراج قال فيها ^١ :

لولا أن عوائق الزمان — أدام الله عزك — تعوق ، وبنائق مساعدته
على الأحرار — بعلمك — تضيق ، لساعدت إليك نزاعي ، وانقذت في
جبل تشوئي ^٢ واطلاعي ، ولطرت بجناح ، وامتطيت أعناق الرياح ،
ولاستبطأت السلاهب ، واستهجنّت الجرد العبابيب ، ولم أرضَ بالتي تنفخ
في البرى ، واستقصرت بريد السرى ، بالليل من خيل بربرا ^٣ ، ولارتحلت
الكوكب ، وحملت إليك قلباً كقلب العقرب ، ولاتخذت المجرة سبيلاً ،
وسهلاً دليلاً ، ولقدتُ البدر المنير ، [١٣٨ أ] وركبتُ الشعري العبور ،
وامتطيتُ الأفلاك ، وترسستُ بالثريا وطعنت بالسماك ؛ هذا لو أردت
البرّ ، ومقاساة السهل منه والوعر ، وإلا اتخذت السمكة سفينة ، وأقمت
لها النعائم الواحاً ، وعطارداً ملاحاً ، وقيرتُ بالغيوم ، وسمرت بالنجوم ،

١ ورد بعض هذه الرسالة في إحكام صنعة الكلام : ١٣٦ وقد اعتمد ابن عبد الغفور فيها الحذف

والإيجاز ، كما جاءت قطعة منها في تمام المتن : ٢١٨ .

٢ س والاحكام : شوقي .

٣ من قول امرئ القيس (ديوانه : ٦٦) :

على كل مقصوص الذنابي معاود بريد السرى بالليل من خيل بربرا

وجدتُ بالفرقدين ، وحملتُ من آمالي فيها من كلِّ زوجين^١ اثنين ، واعتصمتُ بالقوةِ والحوْل ، وتخلّفتُ^٢ كلَّ مَنْ سبق عليه القول ، واستعدتُ من شيطانِ الكسلِ وهو رجيم ، وقلتُ ﴿ باسمِ الله مجراها ومرساها إنَّ ربي لغفورٌ رحيم ﴾ (هود : ٤١) حتى أخطأتُ في واديك ، وأعرض نُسْخَةً مذهبِي في ناديك ، فأرتسمَ في الجملة ، وأصلّيتُ إلى تلك القبلة ، وأسعدتُ بتلك الغرّة ، وأقضي من لقائه الحجَّ والعمرة ، وأطوفَ بذلك المقام ، وأذكرُ الله عند المشعر الحرام ، وعسى ذلك الحينُ يحين ، وجوانبُ الأيّامِ أن تلينَ ، فقد تأسو لئثر ما تجرح ، والصعبُ ينقادُ^٣ بعدما يجمع ، والشوك بالمنَّ يسمح .

وفي فصل منها : ومؤدّيه حملته من عقوق زماني ما ليس بِنُكر ، ومن عَشَرَاتِ أَيَّامي ما لم يكنْ ببيكر ، وعودتني — دام عزك — الأخذَ بيدي عند العثار ، والنهوضَ بي على رغم أنفِ الليل والنهار ، فلك الفضلُ الذي عودتَ ، والطَّوْلُ الذي أسلفت ، في التهمُّمِ بردً ، لحظةِ العناية إلى ما يُعينُ على صلاحِي ، وَيُعيدُ بعضَ الريشِ لجناحِي ، جارياً على عادتكِ ، وعاملاً على شاكلتك ، والله يبقيك للمنن تتقلّدها^٤ ، والمكارمِ تشيّدُها ، وأقرأتُك^٥ من أثناء تلك الدولة والاشتياق ، سلامَ حبيبٍ على

١ ط : من كل زوج .

٢ تمام المتن : وخالفت .

٣ س : يمكن ، وهو أقرب إلى قول بشار :

عسر النساء إلى مياسرة والصعب يمكن بعد ما جمعا

٤ ط د : بود .

٥ س د : تقلدها .

٦ س : وأقربك .

الحسن بن وهب والعراق^١ ، وإن بكيت عني مع إخواني فطالما كنتُ
أعير الدموعَ للعشاق^٢ .

وله من أخرى : لا معنى — دام عزك^٣ — لذكر ما أنا عليه من التعظيم
والتأميل ، ولا لتجميل وجه حالي معك وهو الحسن الجميل ، فضعفُ
هوى يُبغى عليه دليل^٤ ، واعتراضي تدرية إليك ، وتوحيلي تعلمه عليك ،
وأنى لك أنتسب في ودادي ، وبك أتملى في النادي ، إن لمحت عيني نظرتُك ،
أو خلدت رجلي ذكرتك ، لا أفخرُ إلاً بولائك ، ولا أقرُّ إلاً لنعمائك ،
ولا أتمنى إلاً كان المنى في لقاءك . وهذا الباب لو أفنيت فيه الأيام ،
والقراطيس والأقلام ، لم أبلغ فيه بعضاً ، ولا أدبْتُ فرضاً ، فأنا أقتصرُ
منه على ما في ضميرك ، وأقنعُ منه بتذكرك ، والله تعالى يُبقيك لي ويُعليك ،
ويعين^٥ على شكر أباديك .

وموصله ناصح — مملوكك — حركة ما حركه^٦ ، وتوجه لأمر أرجو
بعزتك دركه ، وذلك أن أختاً لي ، أمتك ، لا باكية لي سواها ، كان

١ إشارة إلى قول أبي تمام (ديوانه ٢ : ٤٢٥) :

سلام ترجف الأحشاء منه على الحسن بن وهب والعراق
على البلد الحبيب إلى غوراً ونجداً والفق الحلو المذاق

٢ من قول الشريف الرضي (ديوانه ٢ : ٧٩) :

وابك عني فطالما كنت من قبل أعير الدموع للعشاق

٣ س : ادام الله عزك .

٤ من قول المتنبي : ضيف هوى يبغى عليه ثواب .

٥ ط د : ويميتك ؛ س : ويميتني .

٦ ما حركه : سقط من ط .

لها ابنٌ من ابن فلان ، فعرض له ^١ فاخترته ، وقربته إلى الحضرة المزدانة بك ، فتمثل ما شئت من كدها ، واحترق كبدها ، وتذكر قوله عليه السلام : « لا تؤلَّهُ والدته على ولدها » ، وانظر سوء فعل هذا المعاند ، وتدرى وجد ثكلي أصيبت بواحد ، وهو وإن كان غير واضح فهو عندها عرار ^٢ ، وفي عينها دينار ^٣ ، وإن كان كما سترى ، فكل شيء يحب ولده حتى الجباري ^٤ ، والولد - كما في علمك - فتنة ، والخنفساء في عين أمها رامسنة ، وسراه - إن شاء الله - وترى أباه ، فتعلم الإقراء ^٥ من حيث أتاه ، وترى تلك المخايل ، وتعرف فيه من أبيه شمائل ^٦ ، وتحقق به المشابهة والمناسبات ، وتنشد :

وانا نرى أقدامهم في نعالهم وأنفهم بين اللحي والحواجب

وترى فيه من علامات الكرام ، لأنه شبيه لأمر المؤمنين هشام ، وانه متخازر ، وأن اسمه عبد الله بن طاهر ، وهذا هزل كلّه جيد ، ومزح تحقيقه عمده ، فهو على كل حال ولد ، وقطعة من كبد ، وأنت [١٣٨ب]

١ ط د س : ابن من ابن فلان يعرض عليه .

٢ من قول عمرو بن شأس (الحماسية رقم : ٨٤) :

وإن عراراً إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

٣ إشارة إلى قصة أعرابي كان ينشد ابناً له ضل فلما سئل أن يصفه قال : كأنه دينير ، وكانت الصفة بعيدة عن الواقع .

٤ انظر الميداني ٢ : ٦٢ .

٥ الإقراء من قبل الفحل أي حين يكون الأب هجيناً غير عربي .

٦ من قول امرئ القيس (ديوانه : ١١٣) :

وتعرف فيه من أبيه شمائل ومن خاله ومن يزيد ومن حجر

وليَّ النعمة في جبره عليها ، وردَّ نومها به إليها ^١ ، والتطول في تأنيسي بأحرف كريمة تنضمَّنُ حالك ومجاريها ، ومصانعَ الله الجميلة عندك فيها ، والله يُطلِّعني منك المبهج ، ويُسْمِعني عنكَ الطيب الأرج ، وأقرئك سلاماً كودِّي كريماً ، وكندي ^٢ المسك شميماً ، وإن مننتَ بإبلاغه إخواني بإخائك ، وكواكبي في سمالك ، أو وسَّعتَ فيه نفسَكَ وإيَّاهم ، وخصصْتَ به الوزراء مفردهم ومثَنَّاهم ، وأخبرتَهم أَني عبدٌ ودَّهم ، وشاكرٌ عهدهم ، والباكي دماً من بعدِهم ، أنعمتَ وتطولتَ .

وعُرِضَتْ عليه بعض تلك الرسائل التي تقدمت في صفة الزر زور فكتب في ذلك رقعة : أَمَلَّكَ أبا الحسن ^٣ الأحرارُ ، وأَمَلَّكَ الكبار ، وانتجعت قُطْرَكَ الأقطارُ ، وشكرتْكَ حتى بترجيعها الأطيَّارُ . ويصلُّ به - وصل الله سعودك ^٤ - من الطير نطَّاق ، من غير ذوات الأطواق ، يمسُّ من المسك في حبرة أو طاق ، صغَّروه على جهة التعجب والإشفاق ، كما صغَّر سُهَيْل ، وذُؤَيْب وهُدَيْل ، وقيل العذيق والجُدَيْل ، وكما صغَّروا العذيب ، وقال عمر - رضي الله عنه - أخافُ على هذا العُريب ، وكقولهم يا سُمَيْراء ، وكقوله عليه السلام لعائشة : يا حُمَيْراء ، مهَّدَتْهُ العذارى الحجور ، وألحَفَتْهُ الشعور ، وربَّتَتْهُ بين الترائب والنخور ، وعلَّلَتْهُ بالرُّضاب ، وسقته بأفواهها العذاب ، فما خلع الشَّكير ، حتى رفض الصغير ، وهجر

١ ط د : عليها .

٢ ط : وتثنى ؛ س : وبئلى .

٣ اعتقد أن صوابه « أبا الحسين » أي ابن سراج ، لأنه هو الذي أثار هذه الرسائل الكثيرة حول الزر زور .

٤ س : سادتك .

الراء الدائمة التكرير ، وتحلّى في المنطق بحلية الإنسان ، ودخل في من
 علّم البيان ، وزايل عميّة البلبل والورشان ، وأفصح تسييحاً وتكبيراً ،
 وخرج من جملة من قال تعالى فيه ﴿ ولكن لا تفقهون تسييحهم ﴾ إنّه كان
 حليماً غفوراً ﴿ (الإسراء : ٤٤) فإن طلبت - أعزك الله - اسمه مكبراً ،
 وجدته لفظاً من الزيادة مكرراً ؛ أقام عندنا زماناً ، لا يتألف إلاّ رنداً
 أو باناً ، ولا يلتقط إلاّ عناباً أو سيسباناً^١ ، يتدرّج في البساتين ، يتطلّب العنب
 المنتقى والتين ، فذكرت له يوماً والحديث ذو شجون ، مُنْتِمِة الزيتون ،
 وأرضك الميثاء ذات الشجر والعيون ، وأطيار محامدك فيها السُّنَح
 الميامين ، فصفق جناحاً ، واهتزّ ارتياحاً ، وحنّ إلى ذلك القَطْر . وانتفض
 كما^٢ بلله القَطْر^٣ ، ورجّع اطراباً ، وسألني إلى مجدك كتاباً ، فأناثته ما
 ابتغى ، وقلت : سلمت أخوا البيغا ، من المنسر الأشغي . وبلّغت المدى ،
 وجنّبت من حَزّة^٤ المدى^٥ ، وعوفيت من كلّ حية صفراء . ترنو
 إلى الطائر في السماء ، بمقلة سريعة الاقضاء ، ولقيت الوفاء ، غير اللّفاء ،
 وخولت حتى من التبن والحلفاء^٦ ، فانه يسبّد^٧ ريشك . ويبرّد عشوشك ،

١ ط د س : سبستانا .

٢ س : كأنما .

٣ من قول مجنون ليلى (ديوانه : ١٣٠) :

وإني لتعروني نذكراك هزة كما انتفض العصفور بلله القطر

٤ ط : حدة .

٥ انظر الذخيرة ٣ : ٧٥ ؛ حيث ورد :

فوقبت بقرائط الطيور تطيباً
 من المنسر الأشغي ومن حزة المدى
 إذا عالج الهرسام أو أبرأ الهرس
 ومن يندق الرامي ومن قصة المقص

٦ س : وحوشيت حتى من الدبق وحلفاء .

٧ سب الفرخ : إذا بدا ريشه وشوك .

فاهض^١ فقد لقيت معمر^٢ ، وما شئت منقراً ومصفراً^٣ ، ورعيبت ريفاً ، ونزلت بحراً وريفاً^٤ ، فأخذ الكتاب بمنقار ، وصفق من ريش الجناحين سروراً وطار ، ومن ركب - أعزك الله - الجناح ، وامتنطى الرياح ، طوى البراح ، وهو آتيك كالبرق في لمعة ، تصفيقة الطائر المستحير^٥ ، سرعة ، فإن حل البساط فابن سرينج والغريص ، وإن احتفل السباط^٦ فأبو جلدة وابن بيض^٧ . وأنت بسيادتك تبسط له في بساتينك ، وتفرش له من وردك وياسمينك ، حتى تلبس من أغاريد الخلل المنشرة ، وينشر على منابر أدواحك شيباً وابن لسان الحمرة^٨ ، وتنبت أرضك مندلاً ، وجوئك صندلاً ، وثرارك خزامى وقرنفلاً ، وتهب له ريحك جنوباً ، ويحق

١ المعمر : المنزل الواسع .

٢ إشارة إلى رجز ينسب لطرفة أو لكليب (الخزائن ١ : ٤١٧ وفصل المقال : ٣٦٤) :

يا لك من قبرة بمعمر خلا لك الجو فيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري

٣ ط : ورقا . . . وريفا .

٤ استحر الطائر : غرد بسحر .

٥ ط د : السماء .

٦ ط د : فابن جلدة ؛ وأبو جلدة البشكري شاعر من شعراء الدولة الأموية من شاكني الكوفة خرج مع ابن الأشعث فقتله الحجاج ، وكان معاقراً للخمر (انظر أخباره في الأغاني ١١ : ٢٩١ - ٣١٢) وأما ابن بيض فهو حمزة بن بيض الحنفي ، وهو أيضاً شاعر أموي كوفي سائر القول في المجون ، توفي سنة ١٢٠ (انظر معجم الأدباء ١٠ : ٢٨٠ والأغاني ١٦ : ١٤٣ والقوات ١ : ٣٩٥) .

٧ شبيب بن شيبه من خطباء تميم ، يتردد ذكره في البيان والتبيين أما ابن لسان الحمرة فاسمه عبيد الله بن حصين أو ورقاء بن الأشقر (الفهرست : ٩٩) وهو أعرابي نسابه أدرك الدولة الأموية .

لشأسٍ أمَلِه من ندادك ذنوباً^١ ، حتى يرجع بتطريب ، وينشد في الخفيف
الأول لحبيب^٢ :

وما يلحظُ العافي جَدَاكَ مؤملاً^٣ سوى لحظةٍ حتى يعود مؤملاً
وأهديك وداداً مُزِجَ باشتياق ، وأقرئك سلاماً يُنسي سلام حبيبٍ
على الحسن بن وهب والعراق^٤

وله فصل من رقعة خاطب بها أبا بكر بن قزمان^٥ : [١٣٩] المجدُّ
- أعزك الله - سِباق^٦ ، وللفضائل استحقاق ، وأنا أريدُ قولهم فيها بالحدود ،
وأقول :

• لأمر ما يُسَوِّدُ مَنْ يَسُودُ •

وأعتقد أنه ما رُفِعَتْ رايةٌ لمجدٍ إلا كنت عرابة^٧ ، ولا أخِذَ حَمْدُ
بِشْمَنِ بها ربيعٍ إلا كنت ابن الاطنابة^٨ .

١ إشارة إلى قول علقمة بن عبدة يشفع في أخيه شأس وكان أسيراً عند الفساسة (ديوانه : ٤٨) :

وفي كل حي قد خبطت بنعمة فحق لشأس من ندادك ذنوب

٢ ديوان أبي تمام ٣ : ٩٩

٣ قد مرت الإشارة إلى ذلك ص : ٧٥٦ .

٤ ترد ترجمته في ما يلي من هذا القسم : ٧٧٤ .

٥ إشارة إلى قول الشماخ (ديوانه : ٣٣٦) :

إذا ما راية رفعت لمجد تلقاها عرابة باليمين

٦ يشير إلى قول ابن الاطنابة (الكامل ٤ : ٦٨) :

أبت لي عفتي وأبي بلاني وأغذي الحمد بالثمن الربيع

وله من أخرى على لسان من استعفى من ابنه إلى السلطان : معلوم — أيد الله الأمير الأجل — أن العقوق تُكَلُّ مَنْ لَمْ يُشْكَلْ ، وأنَّ العاقَّ إن عاش نَعَصَ ، وإن مات نقص ، وأنَّ الناسَ بأزمانهم ، أشبهُ منهم بآبائهم ، ولا يشفع في ابنِ أبٍ ، وإنَّ المرءَ لا يَهْدِي من أَحَبَّ ، ولو كان في يد الإنسان من ابنه شيءٌ أو إليه ، لكان أوَّلُ الأُمّةِ نوحٌ صلى الله عليه ، ولما أَضَلَّ ابنُهُ المرَاشِدَ والمُصالحَ ، حتّى ^١ قال الله تعالى ﴿ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ (هود : ٤٦) ولوليك ابنٌ سَلَكَ هذه السبيل ، واتبع هذا الدليل ^٢ ، ولما أريته طُرُقَ التبصير والتسديد ، وقلت له : يا بني مَنْ وُعِظَ بغيره فهو السَّعيد ^٣ ، ولم يُغْنِ الوعدُ ولا الوعيد ، تراءتُ منه إليك ، وقلت له : لا تجنِ يا بنيَّ عليَّ ولا أجني عليك ، وإنه للفلذة من كبدي ، وآخرُ ولدي ، ولكن لم أجِدْ فيه صنيعاً ، و ﴿ لو يشاءُ الله لهدى الناسَ جميعاً ﴾ (الرعد : ٣١) وفي الخبر أنَّ الإمامَ العادلَ إذا دعا أُجيبَتْ دعوته ، ووليكٌ يَرغبُ في دعوةٍ تنفعهُ ، أو زجرةٍ تَرُدُّهُ .

وله من أخرى : والفقيه الأجل الحافظ — زاده الله من التوفيق — بيني وبينه العهدُ المصون ، وليالٍ قطعناها « عند أصلِ القناة من جَيِّرونِ » هو يسألُ ثراها ، ولا ينساها ، ويستنقذني من أنيابٍ * قد قَتَلَتْنِي بعضُها ، وعساهُ

١ حتّى : سقطت من ط د .

٢ واتبع هذا الدليل : سقط من ط د .

٣ من المثل : السعيد من وعظ بغيره ، فصل المقال : ٣٢٧ والميذاني ١ : ٢٣٢

٤ ط : يسأل ؛ س : يقل .

٥ ط : أينات ؛ س : أبيات .

يذبحُ لي بقرةً من علمه فيضربُ نفسي ببعضها^١ ، ويردُّها^٢ وقد بلغت التراقي ، ويحييها بياسر^٣ من ذلك العلم الرقيقِ العراقي ، فجرَّد لي من سيفه القاطع ، واغرفُ لي من بحرهِ الواسع .

وله من أخرى على لسان مَنْ فرَّ من موضع اعتقال : الأمير — أيده الله — حرَّك لي ظلمي فسكن ، وجاءه عنِّي فاسق بنبأ فأخذ بأدب الله تعالى وتيسن ، وأنا رِعْتُ فارتعتُ ، وقرأتُ قوله تعالى ﴿ ففررتُ منكم لما خفتكم ﴾ (الشعراء : ٢١) فاتبعت ، وبحقَّ نُفِرْتُ فنُفِرْتُ ، وأوعدني أبو قابوس ففررت :

• ولا قرارَ على زارٍ من الأسد •

وقد قيل : لا تقرب البحرَ إذ ماج ، ولا السلطانَ إذا هاج ، وقدبما اتبعت السلطانَ فوعيت^٤ ، ورأيتُ من الديكة في السفايفد ما رأيت ، ولم يكن فراري نفاقاً ولا إباقاً ، إنما أردتُ إظهارَ براعتي ، وتطهيرَ ساحتي ، فأنزلتُ قِدرِي بجعلها^٥ ، وأطفأتُ ناري في موضع إشعالها ، وطلبتُ طالبتي ، وقرعتُ بابَ ظالمتي ، ودعوتُها إلى الخصام ، وأبرزتُها إلى الحكماء ، ورفعتها إلى القاضي

١ إشارة إلى ما جاء في سورة البقرة : ٧٣ (قلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى) .

٢ ويردها : سقطت من نس .

٣ س د : بياس .

٤ صدر البيت : نبئت أن أبا قابوس أوعدني (ديوان النابغة : ٢٥) .

٥ ط : فرعيت .

٦ الجعال : ما تنزل به القدر من خرقة أو غيرها .

محمد بن حمدين^١ ، وإلى محمد بن شبرين^٢ ، ولو وجدتُ على القافية غيرهما لدعوتهما إليه ولو كان محمد بن سيرين ، فأحقَّ الله حقِّي تحقيقاً ، وأزهدَ باطلها ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً ﴾ (الإسراء: ٨١) وما أنا معها في بساطٍ واحد ، وبين يدي ملك راشد ، أرقلُ في الأمان ، وقديماً استُعِيدَ من شرِّ النسوان ، ومن لم يُبَيِّتْني قبلي على أسفٍ ، وهُنَّ عوادي يوسف^٣ ، وقد قال عليه السلام فيهن ما قال وأنذر وأعذر ؛ ولولا أن للنساء أبناء ، ويطولُ استقصاءُ الأحاديثِ والأنباء ، لذكرتُ ما أحدثن من بلوى ، وجلبتُ من شكوى ، وسقتُ من بين دنيا - وهي ظالتي هذه - إلى عصرٍ أمنا حواً ، رضي الله عنها ، ولكن تركُ ذلك أولى ، وأنا أكفُرُ فيه بيمني وأصيرُ مع مولاي إلى فصيلتي التي تؤويني ، وأعرضُ عليه أمري في معرضه ، وأتحققُ أسودَه من أبيضه .

وله من أخرى^٤ : لا غرو - أعزَّك الله - وقد غطَّاني من إنعامِكَ الرَّغْدِ ما غطَّى ، وتوطَّأ بي من كتفِكَ الممهد ما توطَّأ - أن أسألَ شَطَطاً ، وأذهبَ فُرْطاً ، وأتكلمَ مُنْبَسِطاً ، وأيسِّنَ غرضي كله ومذهبي ، وأتحكِّمَ

١ قد مر التعريف به .

٢ أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمن بن شبرين ، استقضى باشبيلية وحدث سيرته ، وكانت وفاته سنة ٥٠٣ (الصلة : ٥٣٨) .

٣ من قول أبي تمام (ديوانه ١ : ٢٢٣) :

هن عوادي يوسف وصواحيه فعزماً فقدماً أدرك السؤل طالبه

٤ ط : أنباء .

٥ وردت عبارات قليلة منها في تمام المتن : ٣٢٧ .

على مكارمك تحكّم الصبي^١ ، وأبلغ بك إلى كلّ أملٍ [١٣٩ب] وأربّ ،
وأملأ دلوِي في جاهك إلى عقْدِ الكَرْبِ ، فإنك سبّبتَ لي ذلك ، وأرعيتني
الروضَ الأنْفَ من جاهك ومالك ، وحرّرتني ولا حرّاً بوادي عوف^٢ ،
وأنعستَ عليّ نعمةَ الله على قريش وأطعمتني من جوع وآمنتني من خوف^٣ ،
إلا أنه يلزمُ مَنْ النَجَمَ أَنْ يُسْرِجَ ، ومن اعتمر أن يتمّ الحجّ ، ووَعْدُ
الكريمِ مطلوبٌ ، وانتزاعُ العادةِ ذَنْبٌ محسوبٌ ، فجرّدني صارماً في ساعدك ،
وارمِ بي سهماً مسموماً في كبدٍ حاسدك ، وهو الوسعُ المجهود ،
• والجودُ بالنفسِ أقصى غايةِ الجودِ • .

وهذه أيضاً قطعة من شعره

كتب إليهم الوزير أبو محمد بن عبدون بأبيات منها • :

سُيُوفِي بني عبدِ العزيز وما أنا بنابٍ إذا التفتَ عِداً ونوابٍ
لعلّ لسرورٍ لم يقمَ منكمُ به مُحَيٍّ على طولِ المدى أو مخاطبٍ
ولم تكتبوا حرفاً إليّ وأنتمُ ثلاثةٌ كُتِّبَ وما أنا كاتب

١ انظر تفسير قولهم « أعطي حكم الصبي على أهله » في تمام المتون : ٣٢٥ - ٣٢٨ وثمار

القلوب : ٦٧٠ .

٢ هذا مثل ، انظر فصل المقال : ١٢٩ ، ٣٣٦ والميداني ٢ : ١٢٤ والمسكري ٢ : ٢٧٥

والفاخر : ١٧٨ .

٣ انظر السورة : ١٠٦ (وهي سورة قريش) .

٤ صدر البيت : ويجود بالنفس إذ ضن البخيل بها « وهو لمسلم بن الوليد في ديوانه : ١٦٤ وجمهرة

المسكري ١ : ٩٥ (تحقيق أبو الفضل) وانظر التمثيل والمحاضرة : ٣٠٧ .

٥ س : بأبيات قال فيها .

وكان أبو محمد قد خرج من وطنه يابرة مستوحشاً وقت حلول الفاقة
بالرؤساء ، فأجابه أبو بكر منهم بأبيات ، منها :

تباعِدُ في طولِ المدى وتُفَارِبُ	وتتذنبُ في باب الجفا وتعتابُ
بمجدك ^١ أرشدنَا إليك ودلنَا	عليك من الدنيا وخذنا نكاتب
ومن خرقَ الآفاقَ يبغي بنفسه	مساحةَ وجه الأرض أين يُخاطبُ
دُعِينمِصُّ رَمَلٍ حينَ يمشي وحارثُ	ضحى وعدي في الزَّمَاعِ وحاجب
تري لم تُصَبِّ في آلٍ بدرٍ فتقي	تري ثائرٍ أو يلتقي بك طالب
ولإن تَنَسَّيَبَ يوماً تُردُّكَ طفاوةُ	لتطفو على الدنيا وتُأبَاكَ راسب
لك الخير ملئت رحلك العيسُ ، حُطَّةُ	قليلاً ، وعرسٌ قد شكَّتكَ السباب
على أنَّ للأبيامِ فينا وقائعاً	نبا شاعرٌ فيها وأفحيم ^٢ كاتب
وأما امرؤ القيس السَّواري فإنه	رأى الدربَ حقاً فابكِه أنت صاحب
يغنيه غريدُ الدجى ^٣ فإذا وتى	يغنيه ساقٍ من دمِ الساقِ شارب

قوله : « امرؤ القيس السواري » يعني أبا بكر بن سوار الأشبوني ، وكان
أسير في طريق قورية ، وبقي بها إلى أن من الله باطلاقه ، من وثاقه ،
وأشار بذلك الدرب إلى قول امرئ القيس * :

* بكى صاحبي لما رأى الدربَ دونهُ .

١ ط : لمجدك .

٢ س : وأنجح .

٣ ط د : الوحي .

٤ تأتي ترجمته ص : ٨١١ .

٥ عجز البيت : وأيقن أنا لاحقان بقيصرنا .

وقال الوزير أبو بكر يخاطبُ جماعةً من إخوانه بحضرة قرطبة^١:

يا سيدي وأبي هدىً وجلالةً	ورسولَ ودِّي إنْ طلبتُ رسولا
عرجُ بقرطبةٍ إذا بُلِّغْتَها	بأبي الحسين ونادِه تمويلا
فإذا سعدتَ بنظرةٍ من وجهه	فاهدِ السلامَ لكفِّه تقيلا
واذكرْ له شوقي ووجدِي مُجَنِّلا	ولو استطعتُ شَرَحْتُه تفصيلا
بتحيةٍ تُهْدَى إليه كأنَّمَا	جَرَّتْ على زَهْرِ الرياضِ ذبولا
وأشيمٌ منها المُصْحَفِيّ على النوى	نَفْسًا يُنْسِي السوسنَ المبلولا [١٤٠أ]
وإلى أبي مروانٍ منها نفحة	تجني ^٢ له روضَ الربى مطلولا
وإذا لقيتَ الأخطي ^٣ فسَقَه	من صفو ودِّي قَرَقَفًا وشمولا
وأبو عليٍّ بُلٌّ منه رُبْعَه	مِسْكَاً بماءِ غمامةٍ محلولا
واذكر لهم زمناً يهبُ نسيمةً	أَصْلًا كَنَفَتْ الرَاقِيَاتِ عِلِلا
بالحيرِ ^٤ لا عبستَ عليه غمامةً	إلا تضحك إذخراً وجليلا
يوماً وليلاً كان ذلك كله	سَحَرًا وهذا بكرةً وأصيلا
مولى ومولي نعمةٍ وموالي ^٥	وأخا إخاءٍ خالصاً وخليلا

١. انظر القلائد والنفع ١ : ٦٣٤ ، ١٥٦ ، وفي القلائد أنه يخاطب أبا الحسين ابن سراج ، وذلك واضح في البيت الثاني من القصيدة ، ثم ذكر أسماء عدد من أصدقائه .

٢ القلائد : وشكري .

٣ القلائد : تهدي .

٤ القلائد : الأخطيبي

٥ س : بالخير : د : بالحي ؛ والخير : هو حير الزجالي خارج باب اليهود بقرطبة (انظر التعريف به في القلائد والنفع) .

٦ القلائد : وكرامة .

لا أدركت تلك الأهلّة دهرها^١ نقصاً ولا تلك النجوم أفولا

وله يخاطب بعض إخوانه وهو عليل :

كباري وساداتي إليكم نحيّة تفتّحُ سوساناً وتنجي رياحيناً
ومعذرةً منّي إليكم بعلّة برّتنّي ولا لدناً من الخطّ مسنونا
كأنّي فيما اشتكي ابنُ محلمٍ سقاماً ولكن لستُ أشكو الثمانينا^٢

وقال :

إليك وإن كنت قطبَ الوفا أبا عامرٍ والأريبَ الأديبا
تكونُ بمحصٍ ثلاثين يوماً وأصبحُ منك القصيَّ الجنيبا
نسيت ودادي وحرّاً اعتقادي وجمعي بأفقي عليك القلوبا
وهبّك تناسيت حرّاً الوفاء ولم ترَ لي في ودادٍ نصيبا
فهللاً رعبت جزيل الثواب وعدت العليلَ وزرت الغريبا^٣
وتدري الحديث وماذا عليه عائدُ ذي السقم حتى يؤوبا
ولكنها شيمةٌ للزمان أن لا صديقاً وأن لا حيبا

وله يصفُ بقرةً أخذها الريق^٤ الطاغية صاحب قلمرية^٥ :

١ ط د : دهرنا .

٢ إشارة إلى قول عوف بن محلم : « إن الثمانين وبلغتها . . . البيت » .

٣ س : القريبا .

٤ الريق أو الرنق هو الفونسو هنريكز (Alphonso Henrices) صاحب قلمرية (Coimbra) وكانت حينئذ عاصمة البرتغال .

٥ انظر الإحاطة ١ : ٥٣٠ وهي هناك شديدة التصحيف والتحريف .

وأفقدنيها الريق أمّا حَقِيَّةٌ
 تعنّفي أمّي على أنْ رَتَبْتُهَا
 لها الفضلُ عندي أرضعتني أربعاً
 إذا هي ضُفَّتْ أَلْفَتَ بين رَفْدَيْنِ^١
 بشعري وأنْ اتَّبَعْتُهَا الدَّمْ من عيني
 وبالرغم ما بَلَّغْتَنِي رَأْسَ عَامَيْنِ^٢
 وله فيها :

وفجّعتني ذا الريق لا درّ درّه
 ترى فخذها يَحْمِلَانِ خِزَانَةً
 بأمّ عيالٍ ما عرفنا بها الجلبابا
 إذا فَتَحَتْهَا إصبعاً ملأتْ وطبا
 وقال يستهدي المنصور بازياً^٣ :

يا أيتها الملك الذي آباؤه
 حَلَيْتَ بالتَّعَمِّ الجسامُ^٤ سماحةً
 وامننْ به ضافي الجناح كَأَلَمَا
 أغدو به عُجْباً أصرّف في يدي
 شُمُّ الأنوفِ من الطّراوِ الأوّلِ
 عُنُفِي فَحَلَّ يدي كذاكَ بأجْدَلِ
 حُذِيثٌ قوادمه بريح شمال
 ريحاً وأخذ مُطْلَقاً بِمَكْبَلٍ [١٤٠ب]
 وله في دنّ خمرٍ تَخَلَّلَتْ له :

أبا حسنٍ إني فجعتُ بصاحبٍ
 غَدَتْ بنتَ بسطامِ بنِ قيسٍ بدنّها
 أنيسٍ يُنْسِي الهَمَّ عند احتلاله
 وأمسّت كجسمِ الشَّنْفَرِي بعد خاله

١ ضفت : حلبت باليد كلها لفخامة الفرع (ط د س : صفت) والرغد : القدح الضخم .

٢ س والإحاطة : حولين .

٣ النفع ٤ : ٣١٣ .

٤ د : الحسان .

أشار إلى قول الشنفرى^١ :

• إنَّ جسمي بعد خالي نحل •

وكنى بنتِ بسطام عن الخمر لأن بسطاماً كان يكنى أبا الصهباء .

وقال في مثله وعرض بأبي سلمة الخلال :

فإذا الوزيرُ وزيرُ آلِ محمدٍ شانيكمُ ، لا كان ، فيها طاني

وهذا كقول الآخر^٢ :

ختمتها بنتَ بسطامٍ لها أرجٌ ثم افتضضتُ ختاماً عن أبي سلمة

وبعث إلى بعض إخوانه بخرشف وكتب معها :

بعثتُ بها عشرًا بناتٍ شياهم مكلَّلةً هاماتها بمباضع
تراها بها الأعداءُ فوق جفونهم نهاراً ، وليلاً تحتم في المضاجع
وإن مدَّ مولانا لها يدَ قابلٍ فلأنِّي فيها باسطٌ خدَّ ضارع

وكان ابن رشيقي قد أنزل على أموالم^٣ وقت حلول الحوالة ، فكتب
إليه أبو بكر ، وأخذتها عنه :

١ وقيل هو لابن أخت تأبط شرا يرثي خاله ، وصدر البيت : « فاسقنيها يا سواد بن عمرو »

انظر الحماسية رقم : ٢٧٣

٢ ورد البيت في الشريشي ٢ : ٢٩٢ (بولاق) .

٣ ط د : أحوالم ؛ س : أخوالم .

بني رشيق^١ أما لي عندكم سعة^٢
 أما يشق^٣ عليكم شرب^٤ صافيتي
 أرعى الخزامى وأنتم في بلنسية^٥
 هلاً^٦ استحيتم^٧ وقلتم إن^٨ ذا كدر^٩
 فتحضروني ولو ملئ^{١٠} نعالكم^{١١}
 وتظفرون بما تهوون من أدب^{١٢}
 وأنشدني أيضاً له :

وأحور^{١٣} حياء^{١٤} بنارنجة^{١٥}
 مخمسة^{١٦} الوجه^{١٧} مرشومة^{١٨}
 وأنشدني له قوله :

قريب^{١٩} على عزمي بعيد^{٢٠} المطالب^{٢١}
 وما الشعر^{٢٢} من همي ولكن^{٢٣} خواطري^{٢٤}
 أقلل^{٢٥} منه مازحاً غير^{٢٦} طالب^{٢٧}
 وأنشدني أيضاً لنفسه من قصيدة ، أولها :

لعينك^{٢٨} وعد^{٢٩} من فؤادي مكنوب^{٣٠} مضى عزمه^{٣١} إلا^{٣٢} سهاد^{٣٣} وتعذيب^{٣٤}

١ س : بلهنية .

٢ س : موشومة ؛ ط : موشامة ، والمرشومة : التي فيها برش ؛ السفن : جلد خشن غليظ .

٣ س : قريب .

٤ ط : بعينك .

٥ س : هذه .

٦ س : وتكذيب .

٧ د : سناد ؛ ط : سعاد .

ومنها :

ومن شقَّ هُدْبِ اللَّيْلِ عَنْ شَهْلَةَ الضُّحَى يَبْرِقُ عَلَى ثَوْبِ الدَّجَى^١ مِنْهُ تَكْتِيبُ

ومنها^٢ :

كَأَنَّ أَهَازِيَجَ الذَّبَابِ أَسَاقِفُ لَهَا مِنْ أَزَاهِيرِ الرِّيَاضِ مَحَارِيبُ

وَأُنْشِدُنِي لِأَخِيهِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَدْ رَمَدَ ، يَسْتَهْدِي الْمُتَوَكِّلَ كَحَلَاً : [١٤١أ]

يَا مُلْكَا آمَنُ مَا يُخْشَى وَنِيرَا أَوْضَحَ مَا أُعْشَى
شَاعِرَكُمْ كَانَ زَهِيرَا أَصْبَحَ مِمَّا نَالَهُ الْأَعْشَى
يَقْرَأُ وَالشَّمْسُ عَلَى رَأْسِهِ تَنْيرُ ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى ﴾

ولأخيه أبي محمد :

يَا سَائِلِي عَنْ عِلْوَةٍ وَجَمَاهَا أَغْنَتْ مُحَاسِنَهَا عَنْ التَّيْبِينِ
هِيَ دَرَاهِمُ الْبَخْلَاءِ يُلْقَى^٣ دُونَهَا قُفْلٌ وَفَوْقَ الْقُفْلِ طَائِعُ طِينِ
هِيَ رَوْضَةُ الْأَمَالِ إِلَّا أَنَّهَا لَمْ تَحُلْ مِنْ أَفْهَى وَمِنْ تَنْبِينِ

وله يرثي الفضل بن المتوكل ، ويشير إلى أنه قتل ولم يدفن ، من جملة

قصيدة :

١ ط : الرجا .

٢ مر هذا البيت ص : ٧٠١ من هذا الجزء .

٣ ط د : تلقى .

٤ ط د : يفع

وواعبها للأرض حين ملكتها وميت ولم يستترك من عرضها اشبر^١
فليتك من قلبي وعيني^٢ صيانة^٣ تؤوب^٤ إلى قبر إذا لم يكن قبر
فيرعاك مني مشفق^٥ ذو حفيظة عليك إذا لم يرعك الذئب والنسر

وباتوا^٦ ثلاثهم ببعض المواضع ، تتجافى جنوبهم عن المضاجع ،
ويتعاطون أدباً كالراح ممزوجة بماء الوقائع ، والمدام لهم نقل ، والزمان
لولا هم غُفِلَ إلى أن غازلت السنّة أجزائهم ، وأجمت قليلاً أذهانهم ؛
فانتبه أبو محمد منهم والصبح قد ومض ، والعصفور قد انتفض ؛ فقال :

يا شقيقي وافى الصباح بوجه سر الليل نوره وبهاؤه
فاصطبج واغتتم مسرة يوم لست تدري بما يجيء مساؤه

ثم استيقظ أبو بكر فقال :

يا أخي قم تر النسيم عليلاً باكر الروض والمدام شمولاً
لا تتم واغتتم مسرة يوم إن نحت التراب نوماً طويلاً

ثم هب أبو الحسن من مرقدته ، بأذكي ذهن وأوقده ، فقال :

يا صاحبي ذرا لومي ومعتبي ولنصطبج خمرة من خير ما ذخروا
وبادرا غفلة الأيام واغتتما فالיום خمر ويبدو في غد خبر

١ س : بعضها . ٢ س : عيني وقلبي .

٣ من هنا حتى آخر الترجمة تنفرد به س ؛ وانظر القلائد : ١٥١ والمغرب ١ : ٣٦٧ والإحاطة

١ : ٥٣٠ .

٤ رغم أنه متصل بقول امرئ القيس « اليوم خمرأ وغداً أمر » فإنه من صياغة بشار بن برد
إذ يقول :

اليوم خمر ويبدو في غد خبر والدهر ما بين إنعام وإيأس

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان^١

وسياقه جملة من نظمه ونثره^٢

وأبو بكر أيضاً من كتاب الوقت والأوان ، ومن أهل البلاغة والبيان^٣ ، والمتوكل أول من اتخذ كاتباً ، واقتدح زنده فأورى شهاباً ثاقباً ، وله محدث كريم ، ولسلفه تقدّم معلوم ، ورسائله جلائل ، إلا أنه لم يحضرني منها عند نقلي هذه النسخة إلا فصول قلائل ، لا تفي بقدره ، وفيما كتبت منها أنموذج بعُربُ عمّا أجريت من ذكره .

فصول له من رقعة عتاب ، خاطب بها بعض الوزراء الكتاب ، قال فيها :
ما أكثر الأشياء الجامعة لنا : أدب كروض الحزن ، وودّ كصوب المزن ، وأوليّة كرم تاريخها وانصلت أسانيدها ، لا ينكر فضلها ولا تُدّم عهدوها ، وأسلاف سلّفت بينهم صحبة حميدة ، وأذمة وكيدة ، مثلها نهج إخاء ، وأورث صفاء ، ونظم أهواء وآراء^٤ . ومازلت على تراخي المزار ، وتنازع الأقطار ، أودك كلّ الوداد ، وأعتقدك أصحّ

١ ترجمته في القلائد : ١٨٧ والخريدة ٣ : ٤٦٥ والمغرب ١ : ٩٩ والصلة : ٥٤٠ وهذا هو محمد بن عبد الملك بن عيسى بن قزمان (عم ابن قزمان الزجال) ، وكانت وفاته سنة ٥٠٨ هـ ودفن بمقبرة أم سلمة ، وقد وهم المقرئ حين نقل ترجمة الوزير وترجمة الزجال ظناً منه أنهما شخص واحد ، في نفع الطيب ٤ : ٢٤ .

٢ س : نثره ونظمه .

٣ والبيان : سقطت من ط د .

٤ وآراء : سقطت من ط د .

الاعتقاد ، والحظُّكَ بعينِ الإعظامِ ، وأقترحُ لقاءَكَ على الأيامِ ، معرفةً
بسبقك ، وتوفيةً لحقِّكَ ، وتَوْفَاقاً إلى مطالعةِ تلكِ الطباعِ الرقيقةِ ، ومباشرةِ
تلكِ الآدابِ الأنيقةِ ، إلى أنْ وَقَعَ ما وقعَ ، وأُتِيَ من التداني ما لم يُتَوَقَّعَ ،
وهي الأقدارُ ، وليس عليها الخيارُ .

وقد كنتُ أعلمتُ بسؤالك - بفضلِكَ - عني ، ونزاعك نحوي ، وغرضك
إلى لقائي ، واعتذارك بخفاء مكان نزولي ، وغموضِ موضعِ حلولي ، ولقيتُ
فلاناً فعرض عليَّ من قصدك ما فُتَّ^١ إليه حَدَّ المسابقِ ، لو^٢ أفرجتَ لي
عنه العوائقَ ، فأريتُهُ من اختلالِ الحالِ الباعثِ على الانقباضِ ، وتجنُّبِ
الاسترسالِ المخوفِ من الإعراضِ ، ووقوعِ الإخلالِ ما رآه ، فأحسبُهُ
وكفاه ، وتلقَّاهُ عذراً واضحاً يلقيكهُ فتلقاهُ ، ثم ما زال يفتلُ في الذرورةِ
والغاربِ ، حتى أجبه التزماً لما لم يُلْزِمْنِي إلاَّ بحكم جلالتك ، وشرطِ
المتعيِّنِ من استمالتك ، فوافيتُنا منزلكَ ذاتِ يومٍ بُعِيدَ العصرِ ، وعلى
بابِهِ غلامٌ ، سأله عَنكَ فقال : هو ينامُ ، فظوينا آثارنا ، وأعلمني بعدُ
باجتماعكما من الغدِ ، وأنه عَرَّفَكَ بذلكِ المقصدِ ، فسألكَ أنْ لم تعلمْ ،
وعزَّ عليك الالتقاءُ أنْ لم يتمَّ ، ودعاني إلى المعاودةِ [١٤١ ب] فلم يَسْعَني
ولم يَسْغُ لي ، وَمَضَتْ على ذلكِ أَيَّامٌ إلى أنْ دخلتُ على فلانٍ ومعه فلانُ ،
وأنتَ حاضرهما ، فحين لمحتُكَ عرفتُكَ ، بما كان ثبتَ عندي من صفيتك ، وتقرَّرَ
لديَّ من سِمَتِكَ ، وعند أخذِي لمقعدي رأيتُكَ قد وَحَيْتَ إلى من كان

١ ط د س : كنت .

٢ ط د : ولو .

٣ س : وأعلمني بعيد اجتماعكما من الغد أنه .

يليك وَوَحَى إِلَيْكَ ، فَاثْنَيْتَ وَقَدْ زَوَيْتَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْكَ ، وَشَمَرْتَ^١ أَنْفَكَ ،
وَمَعَرْتَ وَجْهَكَ ، وَضَمَمْتَ إِلَيْكَ مِنْ ثِيَابِكَ ، وَقَارَبْتَ بَيْنَ أَجْزَائِكَ ،
فَقُلْتُ : أَرَاهُ أَزْدَرَى طَلْعَتِي ، وَتَقْدَّرُ هِيَاثِي ، وَخَشِيَّ أَنْ أَعْدِيَهُ بِسُوءِ
حَالَتِي ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « لَا عَدُوِّي » ، وَقَالَ : « فَمَنْ أَعْدَى
الْأَوَّلُ » ، وَإِنْ اعْتَرَضَ عَلَيْنَا بِحَدِيثِهِ الْآخَرِ : « لَا يُورَدَنَّ مُجْرِبٌ عَلَى
مُصْبَحٍ » ، وَدَفَعْنَا مِنْ صَحِيحِ التَّأْوِيلِ ، وَأَوْضَحِ الْأَقَاوِيلِ ، بِمَا لَا مَدْفَعَ
فِيهِ ، مِمَّا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ وَأَذْكُرُ لَهُ . وَأَمَّا الْأَزْدَرَاءُ وَالْإِنْتِخَاءُ ، وَالتَّقْدَرُ
وَالْتَعْدَرُ ، مَعَ عِلْمِكَ بِالْحَالِ وَأَوَّلِهَا ، وَتَمَكُّنِهَا وَتَأَثُّلِهَا ، وَبِحَالِ الْأَيَّامِ وَتَقَلُّبِهَا ،
وَتَعَاوُرِ أَقْطَارِهَا وَتَنَاوُبِهَا ، وَمَعَ ذِكْرِكَ قَوْلَهُمْ : « لَيْسَتِ الْعِزَّةُ فِي حُسْنِ
الْبَزَّةِ » وَقَوْلِ مَنْ قَالَ : « لَيْسَتِ الْعِبَادَةُ تَكْلَمُكَ إِلَّا مَا يَكْلَمُكَ مِنْ فِيهَا » ،
وَقَوْلِ بَعْضِهِمْ^٢ :

لَيْسَ الْجَمَالُ بِمُتَرٍّ فَاعْلَمْ وَإِنْ رُدَّيْتَ بَرْدًا
إِنْ الْجَمَالَ مَآثِرٌ وَمَنَاقِبٌ أَوْرَثَنَ حَمْدًا

وَقَوْلِ غَيْرِهِ :

وَفَضْلُ النَّاسِ فِي الْأَنْفُسِ لَيْسَ الْفَضْلُ فِي الْمَالِ

فَشَيْءٌ خَرَقَتْ بِهِ عَادَةً أَمْثَالِكَ ، وَخَالَفَتْ فِيهِ سِيرَةَ نَظَرَاتِكَ وَأَشْكَالِكَ ،
وَكَفَى بِالْمِثْلِ الْمَضْرُوبِ بِفَرَحَةِ الْأَدِيبِ بِالْأَدِيبِ ، وَقَوْلِهِمْ : « الْأَدَبُ بَيْنَ
أَهْلِهِ نَسَبٌ » ، وَقَوْلِ الطَّائِي الْأَكْبَرِ^٣ :

١ شمر : قلص ؛ ولعل الصواب : وأشمت أنفك ، وذلك كناية عن الكبر .

٢ هو عمرو بن معد يكرب ، انظر الحماسية : ٣٤ .

٣ ديوان أبي تمام ١ : ٤٠٧ .

إن تفرق نسباً يؤلفُ بيننا أدبُ أقمناه مقامَ الوالدِ

وقول الأصغر^١ :

ان كنتَ من فارسٍ في بيتِ سُوددها وكنتُ في بحرٍ في البيتِ والحسبِ^٢
فلم يَقرِّنا تنائي المنصبين وقد رُحنا نسيين في علمٍ وفي أدبٍ

وإن كنتُ أكثرُ الاعتزاءِ إلى النسبِ الكريمِ ، وأعتدُّ من أهلِهِ في
الصميمِ ، وأزاحمهم بمنكبٍ واهنٍ ضعيفٍ ، وأمتُّ إليهم بسببِ سَحيلٍ
سَخيفٍ ، ثم أرجعُ عندَ الامتحانِ ، وإلتي منكم كإل السَّقْبِ من ولدِ الأتانِ^٣ ،
فقد قال عليه السلام : « من كثر سواد قومٍ فهو منهم » ، وعسى أن يبدوَ
لي ما يستنكر ويستكثر لثلي ، فأكونَ عباسَ بنِ الأحنفِ ويكونَ كبشَّارُ ،
إذ يقول^٤ : « ما زال غلامٌ من بني حنيفةٍ يُدْخِلُ نفسه فينا ويخرجها حتى
قال :

١ ديوان البحري : ٢٥٤ .

٢ الديوان : ان كان من فارس . . . علي . . . في الحسب .

٣ خلط هنا بين ييتين أحدهما لحسان (ديوانه : ٣٩٤ والحيوان ٤ : ٣٦٠) وهو :

لممرك إن إلك من قریش كإل السقب من رآل التمام
والثاني هو قول الشاعر :

وأشهد أن رحلك من زياد كرحم الفيل من ولد الأتان

وهذا البيت الثاني يروى لعبد الرحمن بن الحكم (الحيوان ١ : ١٤٦ ، ٧ : ٧٣
والخزاعة ٢ : ٥١٨) كما ينسب لابن مفرغ (الشعر والشعراء : ٢٧٩ ووفيات الأعيان
٦ : ٣٥٠)

٤ انظر الأغاني ٥ : ١٩٣ .

نزف البكاء دموعَ عينك فاستعرُ عيناً لغيرك دَمْعُهَا مِدْرَارُ
من ذا يُعيركَ عينهُ تبكي بها أرايتَ عيناً للبكاء تُعار

فتتصلَ حينئذِ رَحِمٌ لا تَخْفَى ، وتحصلَ قرابةٌ لا تُجْفَى ؛ وإن
كنتَ نكرتَ ما نكرتهُ ، ونظرتَ ما نظرتَه ، من ابتداءك بالتسأل والتكليم ،
وترفعي إياك ما لا أدعيه فضلاً عن أن أقتضيه من الترفع والتقديم ، بخمولي
ونباهتك ، وذليّ وعزّتكَ ، وبُعدي عن بلدي وعددي ، وكوني في طينتك
ومدينتك ، وبين قبيلتك وفصيلتك ، وجيرتك وعشيرتك ، وحاشيتك
وغاشيتك ، وصنائعك وتوابعك ، فقد قال ابن عباس ، رضي الله عنه : « إن
لكلِّ داخلٍ دهشةً فابدأه بالتحية » ، وإذا أطلق الحكم بهذا للبعد والقريب ،
فما ظنُّكَ بالغريب مثلي^١ المنكوب ؟ !

ونتركُ ما استمرَّ إلى هلمَّ جرّاً ، وأطوّلُ به دهرأ ، فربما تلاقينا ،
وكأننا ما تراءينا ، لا كلامَ بينت شفة ، ولا إيماءَ بطرف أنملة ، واللومُ
في هذا كله يسقطُ عني ، كما يضيقُ العذرُ عنك ، بقضيةِ سنّةِ الإسلام
في السلام ، في أني ألقاك راكباً وأنا ماشٍ ، وأنتَ بحمدِ الله طائر ، وأنا
— ولا كفران بالله — واقع [١٤٢ أ] وعلى الطائر أن يغشى أخاه . وإن طمع
بك ، وحطَّ من قدرِي عندك ، لإدبارِ الأمرِ عني وإقبالهُ عليك ، ففيها ما
فيها ، وما أرضاها لكَ طريقةً ، فالكریم يُجلُّ الكرام ، وإن قلتَ : إني
أدعو إلى مباعدي ، وأبعثُ على مقاطعتي ، باستبهاهم خلُقي ، وإظلام أفقي ،
وثقلِ حواسي ، وقلةِ استثناسي ، فهذا من لم تغره رقة الحضر اللطيف^٢ ، وقد

١ ط د : مثل .

٢ ط : تقده رقة اللطيف .

قال عليه السلام : « من بدا جفا » . على أتى أتى المتكبرين ، ولا ألين لمن لا يبتغي لين^١ ، ولولا أن يدال القرب بالبعد ، دون أن يقع عتب ويشرع وداد ، ويكشف يوماً على هذا التهاجر الغريب ، والتنافر العجيب ، ولا يعرف من الظالم منّا من المظلوم ، ولا من المحكوم عليه من المحكوم له . لأضربت عنها صفحاً ، وطويت دونها كشحاً . ولسدت عليها أذني ، وسأيرتها ساحباً رَسَنِي ، ولقد لقيت بعدُ فلاناً فذكر بصفتك . وأثنى باتساع آدابك وكثرة أدواتك ، وسألني عن الخلعة ، وأشار إلى هذه السمة بيننا والوصلة . فقلت : لا خلعة ولا خلل ، ولا وصلة ولا اتصال . فكأنه أنكر ذلك . وهذا هو الذي أثار من هذا الكتاب ، ما لم يكن في الحساب ، ودونكه هراء غشاً ، وهباءً منبثاً . وهاك إليه^٢ ما يوازيه^٣ عن الموازنة والمقاربة لؤماً ودقة . وركاكة لا رقة :

أبا أيوبَ والأيامُ لا تبقى على حالٍ
وأصبحتُ مقلّاً رهْناً لِدلالٍ وإقلالٍ
لئن رحتَ رخيَّ البالِ ذا جاهٍ وذا مالٍ
ومركوبٍ وغازيةٍ وأكمامٍ وأذيالٍ
فلأنكَ حدٌّ أشكالي وأشباهي وأمثالي
بحكمِ الأدبِ العالِيِّ الحنيفِ المونقِ الحالي
ولكني أنا التالي وأنتَ السابقُ العالِي

١ من قول ذي الأصبع العدواني (شرح ابن الأنباري : ٣٢٥ ، المفضلية : ٣١) :

لا يخرج الكره مني غير مأبية ولا ألين لمن لا يبتغي ليني

٢ وهاك إليه : سقطت من ط .

٣ ط : يوازيه ؛ د : يوارثه .

فكم خيَّمتَ من قلبي بدارٍ منك محلال
وقد كان التلاقي من أمانٍ وآمالي
فلما أنْ تلاقينا على ما قد تصدَّى لي
فلم تبدأ بتسليمٍ ولم تنشطْ لتسالي
كما يلزمُ أمثالك تأنيساً لأمثالي
تفصّلنا على الحين وكلِّ ذاهلٍ سالي
ولولا طيبُ نفسٍ قلتُ كلُّ شائءٍ قالي
وقد كنّا كما أنتم ولا بأسَ على حال
وقد يُعقَّبُ وادي القوم خصباً بعد إحمال

وكأنِّي بك قد قلتَ عند تصفح هذه الرقعة : هذان حمارا العبادي كُسِيرٌ
وَعُوَيْرٌ ، وكلُّ غير خير^١ ، ثم ثنيت بقولهم : « مَنْ يَسْمَعُ يَخْلُ »^٢ ،
وثلثت بقول من يسمع :

سبكانه ونحسبهُ بلحينا فأبدى الكبيرُ عن خبث الحديد^٣

فمهلاً : فمن أنباك أني أتشبعُ بما لا أملك ، فأقول : مَنْ عبدُ الحميد
وابن العميد ، ومن الوليد وابن الوليد ، لاها الله ! ! إني لأربعُ على ظلمي
وأعلمُ قصرَ باعي ، ولا أجهل سقوطَ بضاعتي ، وهل غيرُ الفاظٍ لفقتها

١ انظر المثل في جمهرة العسكري ٢ : ١٥١ (تحقيق أبو الفضل) والفاخر : ١٧٨ والسان
(دور) ، وسئل المبادي عن حمارين له أيهما أردأ فقال : هذا ثم هذا .

٢ المثل في فصل المقال : ٤١٢ والميداني ٢ : ١٦٩ والعسكري ٢ : ٢٦٣ (تحقيق أبو الفضل) .

٣ التشيل والمحاضرة : ٢٨٨ (دون نسبة) .

بمبلغ علمي ، عبرتُ بها عن ذات نفسي ؛ وأما إن سُمِّيتي في هذا الباب
مدآك ، ورمت مني ما لا يتعاطاه سواك ، فمن للسُّها بتمام القمر ، ومن
للدآدي بأنوار العُشْرَا وأوضح الغُرَر ؟ ! فأرشدنَا ، أكرمك الله ،
وسدُنَا ، يرحمك الله .

وانفتح علينا من كلامك نفحةٌ إن كانت الأخلاقُ مما توهبُ

وبعد فاني :

أناقشكم ووراءَ النقاش أنفُ العلوِّ ورثمانه^٢
وأهجركم هَجْرَ مُستعَبٍ وكم وامقٍ طالَ هجرانهُ

وكُلِّفَ مخاطبةَ عروسٍ فكُتِبَ رقعةٌ قال فيها^٣ : الكلفةُ بيننا — أعزَّكَ
الله — جدُّ ساقطةٌ ، والحال الجامعةُ لنا في أقصى حدِّ الموانسةِ والمباطنةِ ،
فلا نُكْثِرُ أنْ نُبَاثَ السُّرِّ المحجَّبِ ، ولا غُرُوهُ أنْ نتكاشفَ المغيَّبِ ، واتصل
بي دخولُكَ بعقيلةٍ أترابها ، وبيضةٍ خدرها وربَّةٌ محرابها ، تشاطرُكَ نسلكُ ،

١ الدآدي : ليالي أواخر الشهر ، والعشر : ثلاث من ليالي الشهر بعد التسع ، وفي ط د س : ومن
الوادي

٢ أراه أخذه من قول الشاعر (السان : رثم ، والخزاة ٤ : ٤٥٥) :

أم كيف ينفع ما تعطي العلوِّ به رثمان أنف إذا ما ضن بالبن
والعلوِّ التي لا تَرَأَم ولدها ولا تدر عليه ، والرثمان : عطفها ومحبتها ، وهذا البيت
مثل يضرب لكل من يعد بلسانه كل جميل ولا يفعله لأن قلبه منطو على ضده .

٣ وردت الرسالة في العطاء الجزيل : ١١٢ .

٤ ط د : السحر .

٥ من والعطاء : ولا عجب .

كما شاطرتك أصلك ، التي [١٤٢ ب] لم تكن تصلح إلا لها ولم تكن تصلح إلا لك ، فخذمتك بالنية ، وحضرتك على بعد المشقة وتقاذف الطيبة ، وسألت الله أن يبارك لك ويبارك عليك ، ويجمع بينكما في خير وعافية ، على أسعد الجدد وأيمن الطير إلى آخر القافية ؛ ثم ترقبت كتابك مؤدعاً من وصف حالك ، ما ينبغي فحواه عن اجتماع شملك ونعمة بالك ، فرابنى التواؤه ، وقدح في نشاطي توقفه وإبطاؤه ، وتسلفت على الظنون ، وخفت ما عسى أن لا يكون ، وساعني أن أستمطر من الأمل جهاماً ، وأستنصر^١ لدى ذلك العمل كهاماً ، ويحمد صاحبك مبرداً^٢ عن المناجزة ، [لائذاً بالمحاجة] منقطعاً في موضع الحجج^٣ ، مبداً به^٤ عند مستقبل^٥ مفرق الطريق ولقم المنهج :

تريدُ جواً ويريدُ برّاً كأنما أسعطَ شيئاً مرّاً

ثم قلت : لعلّه قد حظي بما جُنّي له ، فافتح الحصن الذي نازله قسراً ، وتخلّله كيف شاء مجالاً ومكرّاً^٨ ، وأفضى به انصداع ما صدعه إلى

١ ط د : ولا .

٢ ط : ويستنصر .

٣ العطاء : مفرداً .

٤ زيادة من العطاء الخزيل .

٥ ط د : الحج .

٦ مبدع به : مخذول منقطع .

٧ العطاء : عندما استقبل .

٨ ط : وأكدا ؛ د : وكدا ، وأثبت ما في س والعطاء .

الثام ، وانشعب ما شَعَبَهُ إلى انتظامٍ والتحام ، وَلَهِيَ^١ بتوابع هذه الحال التي هي أخت^٢ الامرة ، وجامعةُ أفانينِ المسرة ، عن صديقٍ يصله بكتابٍ إليه يعلمه ، وإن يكن ذلك فهناك ، وظَفِرَتْ يداك ، وإن يكن ما عداه ، ويكفي الله ، فمعَ اليومِ غدٌ ، وفي اللَّمَمِ خلالَ ذلك متعلِّلٌ^٣ ، ثم لا يشغل عن الكتابِ جدَلٌ^٤ ، ولا يحولُ دونه خَجَلٌ^٥ .

جوابها من إنشائه أيضاً^٦ : الكلامُ مأثورٌ ، والإفراطُ في الانبساطِ حِجْرٌ محجورٌ ، وقديماً جرّاً على أهليه ، وأثار عليهم التقاطعَ من مجاثمه وأبرزه من مطاويه ، فسبيل ما وردني الآن كتابك المقتحِمُ هذا الباب المتحامى ، إلاَّ أنَّ ما عولتَ عليه ، وأسندتَ إليه ، من تمكُّنِ الألفة ، وارتفاعِ الكُلفةِ ، سوَّغَ بعضَ المغزى . وقد وقفتُ على مَقْطَعِهِ ، وعجبتُ من التفرغِ لمودَعِهِ ، فلئن كنتَ مندراً فليخفَ وَقْعُكَ^٧ ، أو حَذِرْاً على الحقيقة فليُفْرِخْ رَوْعُكَ ، فالحدُّ بحمدِ الله ماضٍ ، وكلا الفريقين راضٍ ، على عُنْفِ التقاضي ، ثم لا بأسَ ولا إبلاسَ لو عَرَّتْ نبوة ، وعَرَّضَتْ^٨ دونَ المرامِ كبوة ، فربما خان الثقاتُ ، في بعضِ الأوقات :

١ س : والتهى .

٢ أخت : سقطت من س .

٣ ط د : متقلد .

٤ وردت في المطاء الجزيل : ١١٣ .

٥ المطاء : فان .

٦ ط : فلخف رقمك .

٧ المطاء : وعدت .

وسيف بني عبسٍ وقد كان صارماً نبا بيدي ورقاءَ عن رأسِ خالدٍ^١

وأرجع^٢ فأقول بحكمِ الحالِ ، وعلى شرطِ الاستئمانِ والاسترسالِ :
لله أخوك ، الذي لا فرق عندكما بين ما يعرفه ويعرّوك ، فلقد افترّ عن
بازل ، وجردَ عن قاصل^٣ ، ورمى بلا أفوقَ ناصل ، ولو لقيت أعداءَكَ
بمثلِ صاحبه مضاءً وإقداماً ، وتسرعاً واستعداداً :

طَعَنَتْهُمْ سُلُكِي وَمَخْلُوجَةٌ لَقَعَتْكَ لَامِينٍ عَلَى نَابِلٍ^٤

قال ابن بسّام : وينظر من معنى هذا الخطاب والجواب أبياتٌ خاطب بها
بعض أهلِ عصرنا أحدَ إخوانه وقد ابنتى بزوجة ، قال فيها ، وضمنَ
بيتَ ابنِ حجاج :

أبا بكر اسمعها وراجع مؤنساً	ولو بقسيمٍ أو بمصرعٍ قافيه
فإننا دخلنا بالفتاة ولم يكن	هنالك واشٍ غير مسكٍ وغاليه
وكنّا رجونا وصلّ الأسبوع كله	لننعم فيه فابثلينا بداهيه
بجيشٍ تمادى فامتنعت لحرمتي	فدمعة أيري فوقَ خصييه جاريه
« إذا لم يكن للأير بختٌ تعذّرتُ	عليه وجوه النيك من كل ناحيه »

١ البيت لفرزدق يقوله معتزراً عن نبوضه حين أمره سليمان بن عبد الملك بقتل أحد الأسي
(انظر شرح النقاظ : ٣٨٣ - ٣٨٤) وورقاء هو ابن زهير بن جذيمة العبسي ، ضرب
خالد بن جعفر ، وخالد مكب على أبيه زهير ، فلم يصنع سيف ورقاء شيئاً ، وانظر ثمار
القلوب : ٢٢٠ - ٢٢٢ .

٢ س : وأنا أرجع .

٣ ط : فاضل .

٤ البيت لامرئ القيس (ديوانه : ١٢٠) وروايته : نطعنهم .

قال فأجابه الآخر بهذه الأبيات : [١٤٣]

لك الخير لا تعجل^١ فإنك مفسر^٢ وفي الليل ما تسريه إن كنت ساريه
طعنت الفتاة البكر طعنة^٣ نائري^٤ بمثل ذراع البكر شد^٥ بأخيه
حسبت النجيع القانيء اللون^٦ حيضة^٧ وما كان إلا العود^٨ في الحين^٩ ثانيه
غدت على شكل^{١٠} تدانت طبقه^{١١} فباعدت من أقطاره^{١٢} المتدانيه
ولو كنت من أهل^{١٣} المساحة لم تدع^{١٤} مكسرة^{١٥} أضلاعه^{١٦} المتساويه
ولكن له قطر^{١٧} يقوم مقامه^{١٨} هو الشكل إلا أنه منه زاويه
وإن لم يكن إلا الذي كان فاتتد^{١٩} فإنك باقي^{٢٠} عندها وهي باقيه

ومن شعر أبي بكر بن قزمان مما أنشدنيه لنفسه ، قوله^{٢١} :

ركبوا السيول من الخيول وراكبوا فوق العوالي السمر زرق^{٢٢} نطاف^{٢٣}
واستودعوا الخلخل الجداول واصطفوا بيض^{٢٤} الرؤوس من الحجاب الطافي^{٢٥}
وتجللوا الغدران^{٢٦} من ماذبيهم^{٢٧} مرتجة^{٢٨} إلا على الأكتاف^{٢٩}

وأنشدني أيضاً لنفسه :

قلت للعين حين أذرت^{٣٠} على الخد^{٣١} دموعاً لا تستفيق^{٣٢} انهما لا
جزعاً من صلود^{٣٣} أجور^{٣٤} كم حير^{٣٥} بالاً^{٣٦} وكم جنى^{٣٧} بكنبالا^{٣٨}
لا ترومي مثال^{٣٩} ما لن تنالي^{٤٠} والمحيه^{٤١} كما رأيت^{٤٢} الهللا

١ س : شخوصه .

٢ منها بيتان في القلائد والخريدة ٣ : ٤٦٦ والمغرب والنفح .

٣ س : ما تستين .

٤ ط : أن تنالا .

فأجابتْ لقد أحلتَ مثلاً^١ هو أنأى من الهلالِ منلاً
إن بدرَ السماءِ يطلع للأبصارِ مُنسىً ومُصْبِحاً وزوالاً
وإذا ما استسراً أبَ وقد ذابَ اكتئاباً من أن يُغِبَّ وصلاً
وهوَ البدرُ قد أجدَّ ملالاً واجتناباً كما أجدَّ كمالاً
يتواري من العيونِ نهراً ومع الليل لا يزور خيلاً
وأنشدني له أيضاً :

لا تطمئنَّ إلى أحدٍ وأحذر وشمّر واستعدّ
فالكلّ كلبٌ مؤسّدٌ إلاّ إذا وجدوا أسدّ

في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مَقَنَا الأشبوني^٢

من شعراءِ غربنا المشاهير ، وله شعرٌ يُعْرِبُ عن أدبٍ غزير ، تصرفَ
فيه تصرفَ المطبوعين المجيدين ، في عنقوان شبابه وابتداءِ حاله ، ثم تراجع
طَبَعُهُ عند اكتهاله .

أخبرني الوزير الفقيه أبو عبد الله محمد بن ابراهيم الفهري^٣ المقتول بالآشبونة

١ له ترجمة في الجذوة : ٢٦٠ (بنية الملتصق رقم : ١٠٤٤) والمغرب ١ : ٤١٣ والرايات :
٦٢ (٣٣ غ) وأشار في النفع ١ : ٢١٤ إلى مدحه إدريس بن يحيى الحمودي صاحب
مالقة ، وأورد قصيدته التونينية في ملح إدريس ١ : ٤٣٣ وذكر في ٣ : ٢٦٤ اجتماعه
مع ابن الشقاق عند ابن دري بيجان (وانظر أيضاً مسالك الأبصار ١١ : ٤٣٨ وبدائع البداهة :
٣٦٥ - ٣٦٦) وابن الشقاق هذا هو المنفلت ، وقد مرت ترجمته في القسم الأول ص : ٧٥٤ .
٢ قد مرت الإشارة إلى قتله في هذا القسم ص : ٣٧٨ والقسم الثالث ص : ٧٥٤ .

— رفع الله منزلته ، وقتل قتلته — قال : كان أبو زيد بن مقانا قد انصرف شيخاً إلى وطنه عندنا ، بعد أن جال أقطار الأندلس على رؤساء الجزيرة ، قال : فمررت به يوماً بقرية التي تدعى بالقبذاق^١ من ساحل شنترة^٢ ، ويده مزبرة^٣ ، فلما رأيته ملت إليه ومال إليّ ، وأخذ يدي [١٤٣ ب] وجلسنا ننظر في حرّاث يحرث بين يديه ، فاستنشدته فأنشدني ارتجالاً لوقته :

أيا عامرَ القبذاقِ لا تخلُ من زرعٍ	ومن بصلٍ نزرٍ وشيءٍ من القرعِ
وإن كنتَ ذا عزمٍ فلا بدَّ من رحيٍّ	سحايةٍ لا تستمدُّ من النبعِ
فما أرضُ قبذاقٍ وإن جادَ عامها	بموفيةٍ عشرين من حزمِ الزرعِ
وإن أنجبتُ شيئاً وزادتُ تواترتُ	إليها خنازيرُ الفاوِزِ في جمعِ
بها قلّةٌ من كلِّ خيرٍ ونفعةٍ	كقلّةٍ ما تدري لديّ من السمعِ
تركتُ الملوكَ الخالعينَ برؤودهمُ	عليّ وسيري في المواكبِ والنعمِ
وأصبحتُ في قبذاقٍ أحصدُ شوكتها	بمزبرةٍ رعشاءٍ نايبةٍ القطعِ
فإن قيل تهجوها وأنت تحبها	فقلْ إنَّ حبَّ الخُلِّ من شرفِ الطبعِ
وحبُّ أبي بكرٍ المظفرِ قاذي	وإحسانه حتى انصرفَ إلى ربي

وهذا من الشعر النازل البارد ، عند ما له من القصائد القلائد . ووصف

١ في د : الفيذاق ، وفي ط : القيداق ، الفنداق ، وفي س : القيزان ؛ العيران ، القيدان .

وقد أثبتتها محقق المغرب (١ : ٤١٣) « القبذاق » .

٢ شنترة (Cintra) من مدن البرتغال (الروض المطار رقم : ١٠٢) .

٣ المزبرة : المنجل ، أو المنجل الصغير (ملحق دوزي) .

٤ ط : قلت .

نفسه بقلّة السمع ، لأنه كان كما زعموا كذلك . وهو القائل من جملة
أبيات :

سمعتُ الكَنَكَّ^١ يصرُخُ في الربيع على ما بي من الصَّمَمِ الطبيعي

جملة من شعره في أوصاف شتى

من ذلك من قصيدة في منذر بن يحيى صاحب سرقسطة :

لمن طَلَلُ ^١ دارسٌ باللوى	كحاشية البردِ أو كالردّا
رمادٌ ونؤيُّ ككُحُلِ العروسِ	ورسمٌ كجسمِ براهُ الهوى
غداً موسماً لوفود البلى	وراح مراحاً لسرْبِ المها
عجبتُ لطيفِ خيالٍ سرى	من السَّدْرِ أنَّى إليَّ اهتدى
وكيف تجاوزَ جَوَزَ ^٢ الحجازِ	وجَوَزَ ^٢ الخميسِ وسَدَرَ ^٣ المنى
ولم يَشْنِه حَرٌّ نارِ الضلوعِ	وبحرُ الدموعِ وريحُ النوى
فذكرَ ^٤ أيامنا بالعقيقِ	وليلتنا بهضابِ الحمى
وقولي وصيفي بالمنصَقَيْنِ	وقد نقشَ ^٥ الصبحُ ثوبَ الدجى
أسرَبُ العذارى بسقطِ اللوى	مشى الخيزلى أم نجومُ السما
برزنَ لنا عاطراتِ الجيوبِ	بنازِ عنَ في الحُسْنِ شمسُ الضحى

١ لعله يريد الكنكلة وهي آلة موسيقية (ملحق دوزي) ، أو الجنك (وجيمه وكافه صجيتان)
ويطلق على الدف الذي يضرب به ، ثم عرب بالميم والكاف المبريتين ، وفي س : الكد .

٢ س : حوز البحار وحوز .

٣ ط : نفش ؛ س : نفس .

خماصَ البطون مراضَ الجفون
لدانَ القلود حسانَ الخلود
عذابَ الثغور لطافَ الخصور
مشينَ الهوينا ووادي الخزامى
فما زلنَ يرفلنَ حتى إذا
أقمنَ الشعورَ مقامَ الردا
صغارَ النهود طوالَ الطلى
خفافَ الصدور ثقالَ الخطى
يودُ من البشر أن لو مشى
عقدنَ لواءَ الهوى باللوى

وفيها يقول :

وقد أغتدي في سبيل العلا
ييم بذي همه نازح
كانَ فؤادي بوادي الغضا
كانَ عقائلَ برقي^٢ الدجى
ويهدأ طوراً كغمزِ العيون
إذا قلقلَ الرعدُ من فوقه^٣
كانَ السحابَ في سَيْرِها
نجيبُ نجيبَ إذا استصْرِختْ
ففى يقرعُ النبعَ بالنبعِ لا
لو الفلَكُ انخرَ من فوقه
حَمولٌ لأعباءِ هذا الزمانِ
بذي مَيْعَةٍ من نِتاحِ الصبا [١٤٤]
براه السرى مثلَ بري الظبا^١
وقلبَ الدليلِ جناحُ القطا
خلالَ الحبيِّ بريقُ الظبا
فيلتاعُ من لوعتي ما هدا
تقلقلَ قلبي له والحشا
بنودُ المظفرِ يومَ الوغى
وفارسُها البطلُ المنتقى
جبانَ الجنانِ ولا مزدهى
عليه بأقطاره ما شكا
ولا يرهبُ الموتَ عندَ اللقا

١ سقط البيت من ط د .

٢ د : بدر .

٣ س : في برقه .

إذا سار يحيى إلى غارة فويل* لأعدائه أينما
يحيشون : جيش يهدئ الرئي وجيش يظلمه في هوا
مطاعمها من شغاف القلوب ومشرؤها من نجيع الدما
إليك ابن منذر المنتقى قرعت يد الخطب قرع العصا
فقال مناديك لي مرحباً وقالت أياديك لي حبذا
دعوت فأسمعت بالمرهفات صم الأعداي وصم الصفا
وشمت سيوفك في جلق فشامت خراسان منها الحيا

قال ابن بسام : جلق واد بشرق الأندلس ، فكذبة أبي زيد في هذا
البيت أشنع من كذبة مهلهل في قوله ٢ :

فلولا الريح أسمع أهل حجر صليل البيض تفرع بالذكور

وخرج أبو زيد يوماً من بلنسية إلى طرطوشة ليلقى صاحبها مقاتلاً^٣ الفتي ،
فلما ورد عليها ، منع الجواز ، فكتب إلى مقاتل :

إن كان واديك نبلاً لا يُجاز به فما لنا قد حرّمنا النبيل والنبلا
إن كان ذنبى خروجي من بلنسية فما كفرت ولا بدلتُ تبديلا
« هي المقادير تجري في أعنتها » ليقضي الله أمراً كان مفعولا

١ ط : واينما .

٢ الأغاني ٥ : ٣٥ .

٣ ط د : مقاتل ، ومقاتل خلف لبيباً الفتي في رياضة طرطوشة وتسمى بسيف الملة ، وكان عنده
من المال والكتاب ما لم يكن عند غيره ؛ ولما توفي ولي طرطوشة الفتي نبيل ، وفي سنة ٤٥٢
خرج عنها وأسلمها المقتدر بن هود (البيان المغرب ٣ : ٢٢٤ . ٢٥٠) .

وله القصيدة المشهورة في ابن حمود يتداول القوالون أكثر أبياتها ، لعذوبة ألفاظها وسلاستها وهي التي أولها ^١ :

أَلْبَرْقِ لَانِحٍ مِنْ أُنْدَرِينَ	ذَرَفَتْ عَيْنَاكَ بِالْمَاءِ ^٢ الْمَعِينِ
لَعَبْتُ أَسْيَافَهُ عَارِيَةً	كَمْخَارِيقَ بِأَيْدِي اللَّاعِبِينَ
وَلِصَوْتِ الرِّعْدِ زَجَرٌ وَحْنِي	وَلِقَلْبِي زَفَرَاتٌ وَأَنْيَسُ
وَأُنَادِي ^٣ فِي الدُّجَى عَاذِلِي	وَيْكَ لَا أَسْمَعُ قَوْلَ الْعَاذِلِينَ
عَيَّرَنِي بِسِقَامٍ وَضَنِي	إِنَّ هَدِينَ لَتَزِينُ الْعَاشِقِينَ

ومنها : [١٤٤ ب]

قَدْ بَدَأَ لِي وَضَحُ الصَّبْحِ الْمُبِينِ	فَاسْقِنِيهَا قَبْلَ تَكْبِيرِ الْأَذِينِ
سَقَنِيهَا مِرَّةً صَافِيَةً	عُتِّمَتْ ^٤ فِي دَنْهَا بَضْعَ سَنِينِ ^٥
نَثَرَ الْمَرْجُ عَلَى مَفْرَقِهَا	دُرَّرَا عَامَتَ فَعَادَتِ كَالْبُرِينِ
مَعَ فَتْيَانٍ كَرَامٍ نَجُوبِ	يَتَهَادَوْنَ رِيَّاحِينَ الْمَجُونِ
وَعَلَيْهِمْ زَاجِرٌ مِنْ حِلْمِهِمْ	وَلَدَيْهِمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عَيْنِ
شَرَبُوا الرَّاحَ عَلَى خَدِّ قِي ^٦	تَوَرَّ الْوَرْدُ بِهِ وَالْيَاسْمِينِ

١ انظر أبياتاً منها في النفع ١ : ٤٣٣ . والمغرب والمسالك والرايات ومنها بيتان في الوافي

للرندي : ١١٠ .

٢ المغرب : بالدفع .

٣ النفع : وأناجي .

٤ النفع والمغرب : مشمولة لبث .

٥ سقط هذا البيت من س .

٦ المغرب والنفع والرايات : رشا .

رَجَلَتْ دَابَّتُهُ^١ عَامِدَةً
 لَوَتْ الصُّدْغَ عَلَى حَاجِبِهِ
 فَرَى غَضْنَاً عَلَى دِعْصٍ نَقَاً
 وَيُسْقَمُونَ إِذَا مَا شَرَبُوا
 وَمَصَابِيحُ الدَّجَى قَدْ أَطْفَأَتْ
 وَكَأَنَّ الطَّلَّ مَسَكٌ فِي الثَّرَى
 وَالنَّدَى يَقْطُرُ مِنْ نَرْجِسِهِ
 وَالثَّرْيَا قَدْ عَلَتْ فِي أَفْقِهَا^٢
 وَانْبَرَى جُنْحُ الدَّجَى عَنْ أَفْقِهِ^٣
 وَكَأَنَّ الشَّمْسَ لَمَّا أَشْرَقَتْ
 وَجْهَهُ إِدْرِيسُ بْنُ يَحْيَى بْنِ عَلِيٍّ
 خَطَّ بِالْمَسْكِ عَلَى أَبْوَابِهِ
 وَيَنَادِي الْجُودُ فِي آفَاقِهِ
 مَلِكٌ ذُو هَيْبَةٍ لَكِنَّهُ
 وَإِذَا مَا رُفِعَتْ رَابِتُهُ^٤
 وَإِذَا أَشْكَلَ خَطْبُ مُعْضِلٍ^٥
 وَإِذَا رَاهِنٌ فِي السَّبْقِ أَتَى

سَبَّحَ الشَّعْرَ عَلَى عَاجِ الْجَبِينِ
 ضَمَّةَ اللَّامِ عَلَى عَطْفَةِ نُونٍ
 وَتَرَى لَيْلاً^٢ عَلَى صُبْحٍ مَبِينٍ
 بِأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ
 فِي بَقَايَا مِنْ سَوَادِ اللَّيْلِ جُونٍ
 وَكَأَنَّ النُّورَ^٣ دُرٌّ فِي الْغُصُونِ
 كَلِمَوْعٍ أَسْبَلَتْهُنَّ الْجُفُونُ
 كَقَضِيبٍ زَاهِرٍ مِنْ يَاسَمِينٍ
 كَقَرَابِ طَارٍ عَنْ بَيْضٍ كَنِينٍ
 فَانْتَشَتْ عَنْهَا عَيُونُ النَّاطِرِينَ
 بَنَ حَمُودٍ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ادْخَلُوهَا بِسَلَامٍ آمَنِينَ
 يَتَمَحَوْنَ قَصْرَ أَمِيرِ الْمُسْلِمِينَ
 خَاشِعٌ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 خَفَقَتْ بَيْنَ جَنَاحِيْ جَبْرَتَيْنِ
 صَدَعَ الشَّكَّ بِمَصْبَاحِ الْيَقِينِ
 وَيُؤْمِنَاهُ^٥ لَوَاءُ السَّابِقِينَ

١ المغرب : داباته ، الرايات : وجلت آياته (وهو خطأ) .

٢ الرايات : فانثى . . . وبدا ليل .

٣ النفع : الطل .

٤ الرايات : هوت من أفقها .

٥ الرايات : صبحه .

يا بني أحمد يا خير الوري لأبيكم كان رفاً المسلمين
نزل الوحي عليه فاحتبي في الدجى فوقهم الروح الأمين
خلقوا من ماء عدل وتقى وجميع الناس من ماء وطن
انظرونا نقبس من نوركم إنه من نور رب العالمين

قوله : « والندى يقطر من نرجسه » . . . البيت ، أخذه من قول ابن
الرومي ، ونقص منه وقصّر عنه حيث يقول ٢ :

كأن تلك الدموع قَطُرُ ندى يقطر من نرجس على ورد

وقوله : « وانبرى جنح الدجى » . . . البيت ، مأخوذ من قول يزيد
ابن الطرية ٣ حين خلق أخوه لمتة فقال ٤ : [١٤٥ أ]

وغودِرَ رأسي كالصُخَيْرَةِ أَشْرَفَتْ عليها عِقَابٌ ثم طارت عِقَابُهَا

وقوله : « وإذا ما رفعت رأيتك » . . . البيت ، حسد ابن هانيء في
هذيانه ، وتقيّله حيث يقول في خذلانه ٥ :

١ النفع : وفد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٧٦٧ والمختار : ٢٤٥ وزهر الآداب : ٥٣٠ .

٣ هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن عامر بن صمصمة يعرف بابن الطرية ، كان شاعراً مطبوعاً
من شعراء العصر الأموي ، وقد جمع شعره أبو الفرج الأصفهاني والطوسي ، وقتل مع الوليد
بن يزيد سنة ١٢٦ (ابن خلكان ٦ : ٣٦٧ والشعر والشعراء ٣٤٠ والأغاني ٨ : ١٥٧
والسمط : ١٠٣) .

٤ الأغاني ٨ : ١٨١ .

٥ ديوان ابن هانيء : ١١٩ .

أَمْدِيرَهَا مِنْ حَيْثُ دَارَ لَطَالَمَا زَا حَمَتَ تَحْتَ رَكَابِهِ جَبْرِيلا

وقوله في صفة الثريا : « كقضيبي زاهري من ياسمين » من أحسن ما سمعته في تشبيه الثريا مجرداً ، وإن كان قد تقدّم في تقسيم التشبيه وأحسن ما شاء فيه حيث يقول :

في الغرب كأسٌ وفي مطالعها قُرْطٌ وفي أوسطِ السّما قَدَمُ
وقد قال الناس في الثريا فأكثروا ، وأول مَنْ سُمِّعَ له في ذلك الملك الضَّلِيل ، حيث يقول ^١ :

إذا ما الثريا في السماءِ تَعَرَّضَتْ تَعَرَّضَ أَثْناءِ الوشاحِ المِفْصَلِ
وقد قيل : إن الثريا لا تتعرض ، وإنما تتعرض الجوزاء ، ولم تَتَّزِنْ له ، أو وَهِمَ ، وقال ذو الرمة ^٢ :

قطعتُ اعتسافاً والثريا كأنها على قمّةِ الرأسِ ابنُ ماءٍ محلّقُ
وقال أيضاً ^٣ :

أقامتْ به حتى ذوى العودُ في الثرى وساق الثريا في مُلأَةٍ تهِ الفجرُ

١ ديوانه : ١٤ ومعاني العسكري ١ : ٣٣٤ وتشبيهات ابن أبي عون : ٤ والأزمة والأمكنة

٢ : ٢٣٤ .

٢ ديوانه ١ : ٤٩٠ والأنواء : ٤٠ والأزمة والأمكنة ٢ : ٢٣٤ واللسان (عسف - حلق) وتشبيهات ابن أبي عون : ٥ .

٣ ديوان ذي الرمة ١ : ٥٦١ وزهر الآداب : ٩٧٨ والأنواء : ٣٠ .

وقال التهامي^١ :

وللثريّا ركودٌ فوق أرحلينا كأنّها قطعةٌ من فروةِ الثميرِ

وقال محمد بن هانيء^٢ :

وولّتْ نجومٌ للثريّا كأنّها خواتمٌ تبدو في بنانٍ يدٌ تخفّي

وكرر هذا التشبيه في موضع آخر فقال^٣ :

وحتى أرى الجوزاءَ تنثرُ عقدها وتسقطُ من كفِّ الثريّا الخواتمُ

وقال آخر :

إلى أن تولّتْ والثريّا كأنّها على حلّةٍ زرقاءٍ جيبٌ مدنّرُ

وقال ابن المعتز^٤ :

وكأنّ البدرَ لمّا لاح من تحتِ الثريّا
ملكٌ أقبلَ في تا جٍ يقدّى ويحيّا

وقال المعري^٥ :

١ ديوان التهامي : ٤٢ .

٢ ديوان ابن هانيء : ٢٣٩ .

٣ ديوان ابن هانيء : ٢٨٨ .

٤ ديوان ابن المعتز : ٣ : ١٢٣ والأوراق : ٢٠٦ - ٢٠٧ .

٥ شروح السقط : ٢١٤ - ٢١٥ .

وقد بسطت إلى الأرض^١ الثريا يداً غلقت بأنمائها الرهان^٢
كان^٣ يمينها^٤ سرتك شيئاً ومقطوعاً على السرّ السرقِ البنان

ومما قيل في ذكر الثريا ، وإن لم يكن فيه صفة تشبيه ، قول الآخر^٥ :

خليلي^٦ إني للثريا لحاسد^٧ وإني على ريب الزمان لواجد^٨
أبجمع^٩ منها شملها وهي سبعة^{١٠} وأفقد^{١١} من أحبته وهو واحد

وقال المعري^{١٢} :

والثريا رهينة^{١٣} بافتراق^{١٤} الشمل^{١٥} حتى تُعدّ في الأفراد

ولأبي زيد بن مقانا ، مما يتعلق بذكر الثريا من جملة قصيدة في مجاهد
العامري ، قال فيها^{١٦} :

ولما سقّتنا من أبريقها^{١٧} لثنا يدّيتها وخلخالها
وبتنا وباتت على ساقها تصفّق للشرّب جريالها
كان^{١٨} نجوم الدجى روضة^{١٩} تجرّ بها السحب أذيالها
كان^{٢٠} الثريا بها راية^{٢١} يقود الموقّ أبطالها

١ شروح السقط : الغرب .

٢ شروح السقط : يداً لها .

٣ هو لابن طباطبا في اليتيمة ١ : ٤٢٩ وانظر سرور النفس : ١٣٩ وشروح السقط : ١٠٠١

٤ شروح السقط : ١٠٠١ .

٥ شروح السقط : باجتماع .

٦ المسالك ١١ : ٤٤٠ .

٧ س و المسالك : يابريقها .

في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن إسماعيل القرشي الأشبوني^١

قال ابن بسّام : وكان يعرف عندنا بالطيطل ، ممّن نظم الدرّ المفصّل ، لا سيما في الزهد ، فإن أهل أوانه ، كانوا يشبهونه بأبي العتاهية في زمانه .

أنشدني الوزير الفقيه أبو عبد الله بن إبراهيم [١٤٥ ب] قال : أنشدني أبو الحسن الطيطل لنفسه يصف نملة^٢ :

و ذاتِ كَشْحٍ أَهِيْفٍ شَخْتِ	كأنّما بولغَ في النحتِ
زنجيةٌ تحملُ أقواتها	في مثل حدّتي طَرَفِ الجفّت ^٣
كأنّما آخرها قطرةٌ	صغيرةٌ من قاطرِ الزفتِ
أو نقطةٌ جامدةٌ خلفها	قد سَقَطَتْ من قلمِ المقي
تسري اعتسافاً ولقد تهدي	في ظلّمةِ الليلِ إلى الخُرّتِ ^٤
تشدُّ في الأرضِ على أرجلِ	كشعرةِ المخدَجِ في النبتِ
تشهدُ أنّ الله خلّاقُها	رازقُها في ذلك السمتِ

١ أشبوني شقباتي الأصل ، قرأ العلم بقرطبة وأخذ عن طائفة من علمائها وأكثر من حفظ الآداب والأشعار حتّى ليقال إنه حفظ شعر عشرين امرأة ، وكان مشاركاً في الحديث والفقه ، ثم مال إلى النسك والتقشف ونظم أشعاراً في الزهد ، واتخذ لنفسه رابطة في رقعة من جنة على بحيرة شقبان عرفت برابطة الطيطل ولزم بها العبادة إلى أن توفي (انظر الذيل والتكملة ٥ : ١٩٥ والجلوة : ٢٩٤ وفيها « الطيطن » والبغية رقم : ١٢١٢ والمساك ١١ : ٤٤٠) .

٢ الجلوة والبغية والذيل والتكملة ٥ : ١٩٦ والمساك .

٣ الجفّت : قشرة رقيقة تكون بين اللب والقشر في البلوط (تحفة الأحياب : ١٣ وأمثال الزجاجي رقم : ٢١٣٠) .

٤ الخُرّت : ثقب الابرة .

سبحان مَنْ يَعْلَمُ نَسِيحَهَا
فَنَسَبْتِي مِنْهَا لِفَرْطِ الضَّنَى
كَلَّا وَلَوْ حَاوَلْتُ مِنْ رَقَّةٍ
أَرْقَى مِنْ هَذَا وَأَضْنَى ضَنَى
لَكِنَّ نَفْسِي وَاعْتَلَا هَمِّي

وهذا من قول المتنبي^٢ :

وعزْمةٌ بعثتها هَمَّةٌ زُحَلٌ
من تحتها بمحل^٣ التراب من زُحَلٍ

وأنشدني أيضاً له في الزهد :

يا غافلاً شأْنُهُ الرقادُ
والموتُ يرعاك كلَّ حينٍ
فهيَّ زاداً وزد مزاداً
إذ سَقَرُ الموتِ فيه شَحَطُ
ما حالُ سَقَرٍ بغير زادٍ
ضمُرُ جوادٍ ليومٍ سَبَقِ
أين فلانٌ وكم فلانٍ
لا تبغِ دنيا فلانٍ عنها
فابنِ لها بالتقى بروجاً

كأنما غيرك المرادُ
فكيف لم يَجْفُكَ المهادُ
فقد طوى عمركَ النِّفادُ
والقربُ منه هو البعادُ
والأرضُ قفرٌ ولا مزادُ
لمثله يَرْفَعُ الجوادُ
قد غَيَّبُوا في الثرى فبادوا
ألمؤمنُ المتقي يذادُ
تأمنُ إذا رُوِّعَ العبادُ

١ الكت : الإحصاء ؛ ط د س : كفت .

٢ ديوان المتنبي : ٢٦٥ .

٣ الديوان : بمكان .

واعتبر الأرضَ كيف مُدَّتْ فهي لهذا الوري مهاد
ثم السماء التي أظلت قد رُفِعَتْ ما لها عماد
كما بناها بيني سواها كما بدانا كذا نُعاد

في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن الين^١

أحد الشعراء المجيدين - كان - بحضرة بطليوس ، مستظرف الألفاظ والمعاني ، وكان يميل إلى طريقة محمد بن هاني ، على أن أكثر أهل وقتنا وجمهور شعراء عصرنا ، إليها يذهبون ، وعلى قلبه وجدتهم يضربون ، ومن أحسن شعر أبي عبد الله قصائده التي على حروف المعجم ، في أبي الأصبح بن المنخر أيام استوزره المنصور يحيى بن المظفر ، [١٤٦ أ] ووصله عليها بمائة مثقال .

فصل له من نثر جعله مقدم^٢ تصنيفه ، وصدر تأليفه

قال فيه : وما اختصاصته بالثناء تشيعاً للاخاء ، ولكن لما قلتُ فيه :
تشبعتُ فيه للحقائق والعلا وما أنا فيه للهي متشيعُ
ولقولي فيه^٣ :

١ له ترجمة في المغرب ١ : ٣٧٠ ورايات المبرزين : ٦٠ (٣١ غ) وذكر في النفع ٣ : ٤٥٣

وانظر المساك ١١ : ٤٤٠

٢ نثر ... مقدم : سقط من ط د .

٣ المساك ١١ : ٤٤١ .

لم أرضَ إلا فيه نظمَ بدائعٍ حسدتهُ في منظومها الأمراءُ
 مالت إليه بها حقائقُ سُودٍ لا كالذي مالت به الأهواءُ
 أهلُ المدائحِ سالكُ في منهجِ سلكتُ به من قبله الآباءُ
 ولما قال أبو الطيب^١ :

أحبُّكَ يا شمسَ الزمانِ وبدرهُ وإن لأمي فيك السُّها والفراقُ
 وذلك لأن الفضلَ عندك باهرٌ وليس لأن العيشَ عندك بارد
 فإيه أبا الأصبح ، وفدتُ عليك ، وصرتُ إليك ، وإن كنتُ قد أهديتُ
 التمرَ إلى هجر ، وحاسنتُ بقباحي القمر ، فقد تُمطر الدأما^٢ ، وللشاكِرِ
 على الله ثناء .

ومن تلك القصائدِ قصيدة مهموزة أولها^٣ :

هل في الغمامِ الغادة الحسناءُ أسرَّتْ عليها الكَلَّةُ الخضراءُ
 يقول فيها :

أسرى بها الغَيْرانُ في أفقِ الدجى فتصوَّعتْ عن عَرفها الأنواءُ
 هل كان يطمعُ بالسرى في خفية ما للبدور إذا سرَّين خفاءُ
 كيف الخفاءُ^٤ وللشروقِ مجامرٌ في جانبيك وللنسيمِ كباءُ

١ ط د : قوله .

٢ ديوان المتنبي : ٣١٤ .

٣ الدأما : البحر ؛ ط د : الدماء .

٤ منها أبيات في المساك .

ه المساك : النجاء .

يا ربّة الخدر التي أضللتها
لم كان والدك الطويلُ نجادهُ
أشبهته في فتكه يوم الوغى
وكما حكيت البأسَ فاحكيه الندى
أخفى السرى وأذاعه إشراقهُ
وكانّه عيسى يكتّمُ جودة
نشرت محاسنه قصائد جمّة
أقصائدي جوبي البلاد بذكره
أمّي النجوم فخبّري عن مجده

وله فيه من أخرى أولها :

أني كليل الأظعان غزلان رملة
ولمّا تولّت بالجمال جمالهم
بؤادي الكرى لاقيتها وهي عاطل
إذا نسّمت ريح الصبا في جنابها
وإن وردت ماء الفرات فلانها

وهذا كقول أبي الطيب^١ :

أومّا وجدتم في الشراب^٢ ملوحة

يوم النوى وعملها الأحشاء
ليثاً وأنت الظبية الغفراء
والسمهرية عيّنك النجلاء
فيسرى لديك كما لديه جباء
فالأرض منه منيرة زهراء
فيشيعه منّا عليه ثناء
ملئت بها الخضراء والغبراء
وعليك من نور القفار رداء
فله هنالك في العلا نظراء

أم احتملت فيها جاذر وجرة
تولى جميل الصبر يوم تولّت
فأرسلت دّرّ العين حين تجلّت [١٤٦ب]
ستعرف في أنفاسها حرّ لوعي
ستُنكير في سلسالها طعم عبرتي

مما أرقق في الفرات دموعي

١ ديوان المتنبي : ٣٤ .

٢ الديوان : الصراة .

وقال مهيار الديلمي^١ :

بكيتُ على الوادي فحرمتُ ماءَهُ وكيف يحلُّ الماءُ أكثرُهُ دَمُ

وقال ابن البين من أخرى^٢ :

غَصَبُوا الصَّباحَ فقسَّموه خدودا واسترهمفوا^٣ قُضِبَ الأركِ قدودا
ورأوا حصَى الياقوتِ دون محلِّهم فاستبدلوا منه النجومَ عقودا
واستودعوا حدقَ المِها أجفانهم^٤ فسبوا بهنَّ ضراغماً وأسودا
لم يكفِ أن خلفوا^٥ الأسنةَ والطِّبا حتى استنابوا^٥ أعيناً وخدودا
وتضافروا بصفائيرِ أبدوا لنا ضوءَ النهارِ بليلها معقودا

ومنها :

صاغوا الثغورَ من الأفاقِ^٦ بينها ماءُ الحياةِ لو اغتدى مورودا

ومن المدح :

أبني السيوفِ المشرفِةِ نجدةً وبني^٧ السحابِ المستهلةِ جودا

١ تجيء ترجمة مهيار في القسم الرابع من الذخيرة ، وانظر ديوانه ٣ : ٣٤٤ .

٢ وردت الأبيات في المغرب والنفع والمساك .

٣ المغرب والمساك : واستوهبوا ، النفع : واستنهبوا .

٤ المغرب : ان سلبوا ؛ النفع : لم يكفهم حمل ، المساك : أن جلبوا .

٥ المغرب والمساك : استعانوا ؛ النفع : استعاروا .

٦ س : الأفاحي .

٧ ط د : أثني . . . وثني .

الدهرُ عندكمُ طريفٌ مُحدثٌ وفخاركم ما زالَ فيه تليدا
عطرتمُ نَفْسَ الزمانِ فأصبحت آثاركمُ في الجيدِ^١ منه عقودا

في ذكر ذي الوزارين أبي محمد بن هود^٢

كانت قد أراحتهُ عن حضرة أسرته سرقسطة ، أسبابٌ غابَ عني
شرحها ، فتجولَ على رؤساء أقدنا ، واتخذ آخر أمره حضرة بطليوس
وطناً ، فرحبَ به المتوكلُ فأواه ، وأجزل قراه ، وولاه مدينة الأشبونة ،
ثم صرفه عنها ، وصدرَ محمودَ السيرة منها ، وكان ممن تندرُ له الأبياتُ ،
وتستظرف له بعضُ المقطوعات ، كقوله وقد سئل عما اكتسبه في ولايته ،
فقال^٣ :

وسائلٍ ليَ لَمَّا	صدرتُ عما ولبتُ
ما نلتُ ؟ قلت : ثناءً	يبقى معي ما بقيت
وإن أمتُ كان بعدي	مخلداً لا يموت
عفتُ الفضول لعلمي	أن ليس يُعْدمُ قوت
وصنتُ قدري منها	تجمللاً فغنيت

١ المسالك : للعطف .

٢ الأمير أبو محمد بن هود واسمه عبدالله (وقال ابن الأبار : لم أقف على اسمه ، الحلقة : ١٦٥)
نفاه ابن عمه المقتدر عن الثغر (سرقسطة) فقصده طليطلة حضرة ابن ذي النون ثم مل الإقامة
هناك ، فجعل يضطرب ما بين ملوك الطوائف إلى أن استقر عند المتوكل ابن الأفتس (المغرب
٢ : ٤٣٩) ثم ولاه المتوكل الأشبونة (المغرب ١ : ٤١١) ثم صرف عنها محمود السيرة
(وانظر المسالك ١١ : ٤٤١ ، والحلة ٢ : ١٦٥ - ١٦٦) .

٣ الحلقة : ١٦٦ .

وهو القاتل وقد خرج عن سرقسطة ^١ :

ضللتم جميعاً يالَ هودٍ عن الهدى وضيعتمُ الرأيَ الموفقَ أجمعاً
وشتتمُ يمينَ الملكِ بيَ فقطعتمُ بأيديكمُ منها وبالغديرِ إصبعاً
وما أنا إلاَّ الشمسُ غيرُ ^٢ غياهِب دَجَتْ فأبَتْ لي أن أنيرَ وأسطعاً
وإن طلعتُ تلكَ البدورُ أهيلةٌ فلم يبقَ إلاَّ أن أغيبَ وأطلعاً
فلا تقطعوا الأسبابَ بيني وبينكم فأنفكمُ منكمُ وإن كانَ أجدعاً ^٣

واحترق له بيت أيام مقامه بطليطلة ، فقال ^٤ : [١٤٧ أ]

تركتُ محليَ جنةً فوجدتها ^٥ على حُكْمِ أيدي الحادثاتِ جهنماً
لتصطنعُ ^٦ الأيامُ ما شئتُ آخرأ فما صنعتُ بي أولاً كان أعظماً

وأنشدت له مما نقش على رثاس سيف للمتوكل ، وأخبر عنه ^٧ :

لا تخشَ ضيماً ولا تُمنسَ ^٨ أخا فرق إذا رثاسيَ في يُمْنِي يدبكَ بقي
أصبحتُ أمضى من الحينِ المتاحِ فصلٌ على الكماةِ وبني عند الوغى فثقي
لولا فتورٌ بالحاظِ الظباءِ إذن لقلتُ إني أمضى من طُبّاً الحدق

١ انظر المغرب والمساك والحلة .

٢ المغرب : عند .

٣ هو من المثل : أنفك منك وإن كان أجدع .

٤ الحلة ٢ : ١٦٦ .

٥ الحلة : فوجدته .

٦ الحلة : لتصنع بي .

٧ هي في الحلة ومعا بيتان في المساك .

٨ الحلة : تصبح .

وَيَتَرَفُّ هَذَا الْمَعْنَى قَوْلَ ابْنِ شَرَفٍ^١ :

لَمْ يَبْقَ لِلظُّلْمِ فِي أَيَّامِهِمْ أَثَرٌ إِلَّا الَّذِي فِي عَيُونِ الْغَيْدِ مِنْ حُورِ

وَلابن هود في المتوكل أيام سلطانه يابرة^٢ :

يَا خَائِفَ الدَّهْرِ بِمَسْمٍ أَرْضَ يَابِرَةٍ تَأْمَنُ وَتَكْفِي الَّذِي تَخْشَى مِنَ الْحَذَرِ
وَوَاصِفَ الْبَحْرِ فِي شَتَى عَجَائِبِهِ حَدَّثَ بِلَا حَرَجٍ عَنْهُ وَعَنْ عَمْرِ
وَكَمْ سَمِعْنَا قَدِيمًا عَنْ مَكَارِمِهِ حَتَّى رَأَيْنَا فَأَزْرَى الْخُبْرُ بِالْخَبِيرِ

في ذكر الشيخ الأديب أبي عمر فتح بن برّكوصة البطليوسي^٣

من نبهاء العصر المقلّين في الشعر ، إلّا أن أبياته نواذر سوائر ، وهو
القائل في ابن برد^٤ :

إِنَّ ابْنَ بَرْدٍ لَفَقِيٌّ مَاجِدٌ وَنَفْسُهُ بِالْخُودِ مَفْتُونَةٌ
مَدَدْتُ كَفِّي نَحْوَ بَلْطُوطَةٍ فَقَالَ : دَعْنَهَا وَخُذِ التَّيْنَةَ

وَأَنشَدَتْ لَهُ :

وَشَادَنِي طَلَبَتُهُ مُقَلَّتِي بِدَمِي فَأُطْلَعْتُ لِي فِي خَدَيْهِ مِنْهُ أَثَرٌ

١ قد مر في ما تقدم ص : ١٥٨

٢ منها بيتان في الحلة ٢ : ١٦٦ أكثرهما مطموس .

٣ انظر مسالك الأبصار ١١ : ٤٤٢ .

٤ أوردهما في المسالك .

وقام بين يديه الخالُ يعذرنِي وقد تعمَّم بالاظلام^١ فوق قمر
كأنما حلَّ جيشُ الحسنِ صفَّحتَه وكرَّ اللَّيلِ فيه فارسُ فأسر

وأخبرني غيرُ واحدٍ من أدباء عصرنا ، قال : دخل لَمَّةٌ من الأدباء
دارَ الأديب أبي مروان بن الصيقل اليابري ، فرأوا في بيته سيفاً معلقاً ،
فقالوا له : أيُّ شيءٍ تصنعُ بهذا السيف ؟ فقال : أعددتُه للمخانيثِ العتاةِ
نظرائِكُمْ ، فاهتبل بعضهم غِرَّتَه حتَّى أخذ السيفَ ، ثم قاموا به عليه
وقالوا : والله لنقتلَنَّك أو نكتبَ لنا كتاباً بخطِّ يدك ، يتضمَّنُ أنا هتكنا
حريمك ، وعَجَمْنَا ميمَك ؛ ولما رأى الجِدَّ . ولم يجدْ من بُدَّ . كتب
لهم بذلك خطَّ اليد ، فخاطب أبو عمر هذا بهذه الأبيات بعض^٢ إخوانه :

زُرْنَا أبا مروانَ شيخَ المجون ^٣	ونحن لاندري سوى الظَّرفِ دين ^٤
فقام يدعوننا إلى نَفْسِهِ	بدمع ^٥ جارٍ وصوتِ حنين
قلنا له قد يرفع الدهر من	آهِ وندريك رفيق ^٦ اللدين
وممكن أن تتناسى ^٦ لنا	ذلك أو تُلفي من الجاحدين
اكتبْ لإخوانك رفقاً بهم	صكاً بما عندك يستظهرون [١٤٧ب]
فإذ قضانا صكَّنا وانحى	قمنا على منبره منشدين
سبحانَ مَنْ سخرَ هذا لنا	منه وما كُنَّا له مُقرَّين

١ ط : بالإطلال .

٢ س : أحد .

٣ ط : يدمع .

٤ ط د : فقلنا .

٥ د : رفيق .

٦ ط : تناسى .

فقال أبو مروان بن الصيقل في ذلك :

يا رَبِّ مفعولين قالوا أعطنا خطاً يد في أننا فاعلون
قلتُ لهم خطي مباح لكم أكتب فيه كل ما ترغبون
فَمَنْ رأى الخطَّ الذي هم به قبلَ اشتهاهِ الأمرِ مستظهرون
يشهدُ بأن الخطَّ واللفظَ لي وأنهم في قولهم يكذبون

وانتهت الأبيات إلى الفقيه أبي عبد الله^١ بن القلاء فسكتب إلى ابن الصيقل
بأبيات منها :

قل لأبي مروان شيخ المجون شاعر ذا العصر العزيز القرين
قال ابن فتح إنه كان قد ولم يقل أكثر للمخبرين
وقد حكى أن له شاهدي عدل على ذاك من الصالحين
فإن يكن حقاً فلا تكتب إليّ ليس جان مثل ذا كل حين
فالعزم أن تقصده ضارعا إليه سراً فعساه يلين
واسأله أن يستر ما جاءه فان أبي فاجحد وزده يمين

فأجابه ابن الصيقل بأبيات منها :

أهكذا يفعلهُ الصالحون تقبل أيماناً من الفاسقين؟ !
لا تعتقد من شاعرٍ لفظه ولو غدا من أزهد الزاهدين
يريد أن يُخفي صبحاً وهل يخفي سنا الصبح على الناظرين
إن كان غرَّتْكَ يمينُ له واحدة خُذْني بألفي يمين

١ س : أبي عمر .

في ذكر الأديب أبي عمر يوسف بن كوثر الشنتريني^١

أنشدت له من كلمة أولها :

ألا لا يُقْنَدُ عاشقاً مَنْ له ذِهْنُ فوالله لولا العشق ما عُرِفَ الحسنُ

ومنها في أحد تلامذ عصره^٢ :

مررت به يوماً يغازل مثلهُ وهذا على ذا بالملاحة يَمْتَنُ
فقلتُ اجتمعا بالوصلِ رأيكما فما لثلكما كان التغزلُ والمجنُ
عسى الصبُّ يقضي اللهُ بينكما له بخيرٍ فقالا لي اشتهى العسلَ السمنُ
فجاءهما دُبٌّ فأحرزَ ذا وذا وما لامرئٍ من ريبِ أَيْامِهِ أَمْنُ

وأنشدت له في كلمة أولها :

حِلٌّ لسيوفِ الحبِّ حمي ما مثلي منه بمحترم^٣
وفؤادي فيه يساعفها ويربها اللذة بالآلم [١٤٨ أ]
فمتى لحظتُ بشراً حسناً تلتذ بصورته تهم^٤

١ ذكره في النفع ٣ : ٤٥٨ وأورد له ثلاثة أبيات ، وفي المسالك ١١ : ٤٤٢ وأورد له بيتاً واحداً .

٢ منها ثلاثة أبيات في النفع .

٣ ط د : بمحترم .

٤ د س : يساعدها .

٥ د : شيئاً .

٦ ط د : يلتذ . . . بهم .

يا أملح معشوق نعتاً واسماً فلنعتك أنت سمي
شعشع بوضالك كأس دلا لك تطنف بذلك من ضرمي

في ذكر الأديب أبي الوليد المعروف بالنحلي^١

كان باقعة^٢ دهره ، ونادرة عصره ، ولم يصدّ دراهم ملوك عصرنا
إلاّ بجرّ النادرة والتوقيع ، وقد اندرجت له عدّة مقطوعات في تضاعيف
هذا المجموع ، وكان يضحك من حَضَر ، ولا يكاد يتبسّم هو إذا ندّر ،
وهو القائل يصف طلوع الشمس ومقابلة القمر لها :

أما ترى الشمس وهي طالعة تمنع عنها إدامة النظر
حمراء صفراء في تلونها كأنها تشتكي من السهر

١ يتفق نفح الطيب (٣ : ٢٢٣) وبدائع البدائع (١١٤) ونفحة العروس (١١٣) في إيراد
قصة المعتمد مع إحدى حظاياها وما كان من شعر النحلي فيها ، ويورد النفح والبدائع قصة في
وصف فرس للمتوكل كان في كفله ست نقط (النفح ٣ : ٣٣١ والبدائع : ٢٦٩ وهي عن
الذخيرة ٢ : ٤٦٥) . وكذلك يوردان قصة شربه عند ابن طوفان (النفح ٣ : ٣٣١
والبدائع : ٤٠) ويتفرد النفح بإيراد نادرة ناجحة له (٣ : ٢٣٤) وشعره في مفنية (٣ :
٤٤٥) وتدل قصة (٤ : ٩) على أنه كان لدى ابن صمادح ثم سار عنه إلى اشبيلية فمدح
المعتمد وغمز من ابن صمادح بقوله :

أباد ابن عباد البربرا وأفى ابن معن دجاج القرى
ثم نسي ما قاله فلما حل بالمرية ، أحضره ابن صمادح لمناذمته ، وأحضر للعشاء موائد
ليس فيها إلاّ لحم الدجاج ، فلما احتج النحلي على ذلك أنه ابن صمادح أنه أراد تكذيبه في
ما قال ، فطار سكره وجعل يعتذر ، فعفا عنه ابن صمادح ، ولكنه فر عن المرية وتدمر بمد
ذلك .

٢ س : نابغة .

مثل عروسٍ غداةَ ليلتها تُنْسِكُ مرآتها من القمر
أو صورة المجد وهي مائلةٌ تنظرُ قُدَّامها إلى عمر

ومن أحسن ما سمعت في وصف^١ الشمس قول متوكل بن أبي الحسن^٢:

كأنما الشمسُ مرآةٌ مجردةٌ وقد غدا المغربُ الأقصى لها سَفَطًا

ومن نوادر^٣ الآفاق ، الحلوةِ المساقِ ، الغريبةِ الاتفاقِ ، خبرُ النحليِّ
مع المعتمد بن عباد ، وذلك انه مشى بين يديه يوماً بعضُ نسائه ، في غلالة
لا تكادُ تفرق بينها وبين جسمها ، ولها ذوائب تخفي إياةَ الشمس في مدلهما ،
فسكب عليها إناءَ ماورد فامتزج الكلُّ ليناً واسترسالاً ، وتشابه طيباً وجمالاً ،
فأدركت المعتمد أريحيةُ الطرب ، ومالت بعطفه راحُ الأدب ، فقال :

وهويتُ سالبةَ النفوسِ عريرةً تختال بينَ أسنةٍ وبواترٍ

ثم تعذّر عليه المقال ، أو شغلته تلك الحال ، فقال لبعض الخدم القائمين
على رأسه : سر إلى النحليِّ وخذْهُُ باجازه هذا البيت ، ولا تفارقْهُ حتى
يفرغَ منه ، فأضاف النحليُّ إليه ، لأوّلِ وقوعِ الرقعةِ بين يديه ، هذه
الآبيات^٤ :

١ س : صفة .

٢ س : الحسين .

٣ وردت هذه النادرة في النسخ وبدائع البداهة وتحفة العروس والمسلك السهل : ٤٦٣ .

٤ هي في النسخ وبدائع البداهة وانظر الإعلام ٢ : ٣٢٦ وفي ط د : « هذين البيتين » في موضع
« هذه الأبيات » ولهذا لم يرد منها سوى الأول والثالث ، إلا أن سائرهما مثبت بهامش ط بغير
خط الأصل .

راقت محاسنها ورقاً أديمها فتكادُ تبصرُ باطناً من ظاهر
وتمايلت كالغصن في دعص النقا تلتف في ورق الشباب الناصر
يندى بماء الورد مُسبِلُ شعرها كالطلَّ يسقطُ من جناح الطائر
تزهي برونقها وعزّ جمالها زهو المؤيد بالثناء العاطر
ملك تضاءلت الملوك لقدره وعنا له صرّف الزمان الجائر
وإذا لمحت جبينه ويمينه أبصرت بدرأً فوق بحر زاخر

فلما قرأها المعتمد استحضره وقال له : أحسنت . أو معنا كنت ؟
فأجابه النحلي بكلام معناه : يا قاتل المحل . أو ما تلوت ﴿ وأوحى ربك إلى
النحل ﴾ (النحل : ٦٧)

في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني^٢

[١٤٨ب] وأبو بكر في وقتنا واحد عصره . وله عدة قصائد في
ملوك قطره . قالها تحبباً لا تكسباً ، وعمر مجالسهم بها وفاء لا استجداء .
فلما خلّع ملوك الأندلس حالت به الحال . وتقسّمه الإذبار والإقبال .
ثم أسره العدو بعقب محنة ، وبين أطباق فتنة . وقيد بقورية من عمل
الطاغية ابن فردلند . ثم خرج من وثاقه . خروج البدر من مُحاقه
وتردّد في بلاد أفقنا يحمله قرب على بعد . ويكله سعيئد إلى سعد . حتى

١ زاد في ط بغير خط الأصل : فزاد المعتد هذا الجواب عجباً ، واحتر له استغراباً وتعجباً ، وقرب
النحلي وأدناه ، ووهب له من المال ما أرضاه به وأغناه .

٢ له ترجمة في المغرب ١ : ٤١١ ومسالك الأبصار ١١ : ٤٤٣ والمحمّدون من الشعراء : ٣٥٩
والوافي ٣ : ١٤٣ .

ضاقَتْ عنه الخطوب ، وملَّه السُّرى والتَّأويب ، واتفق له أن أسمع الله صوته من وراء البحر المحيط الفقيه الأجل قاضي القضاة بالمغرب ، وسلالة الأُطيب فالأُطيب ، أبا الحسن علي بن القاسم بن عشرة ، فأجابه وأباه^١ ، وجذب بِضَبْعِهِ واستدناه ، فأعاد هلاله بدرأ ، وصيَّر خَلَّه خمراً ، ولبي القاسم^٢ في الجود خيمٌ كريم ، ولهم تقدُّمٌ مشهورٌ معلوم ؛ بلغني أن جدَّهم الأكبر أحمدُ بن المدبر ، حاملُ تلك الفضائل ، وصاحبُ الأعمالِ الجلائل ، إذ كان أحدَ نجومِ تلك الآفاق ، ببلاد الشام والعراق ، واشتهار معرفة قدره ، يمنعُ عن ذكره ، لكني ألمع هنا بلمعة من أمره .

قرأت في الكتاب الكبير لليعقوبي في الدولة العباسية قال : كان لأحمد ابن المدبر منزلةٌ عند المتوكل جعفر ، وكان قد قلَّد ديوانَ الضياع لإبراهيم ابن العباس الصوليّ ، قال وهب بن سليمان بن وهب : وكنت أكتبُ له ، وكان رجلاً بليغاً ، ولم يكنْ له في علم الخراج تقدُّمٌ ، وكان بينه وبين أحمد ابن المدبر تباعد ، وكان أحمد نسيجَ وَحْدِهِ ، فدخل على المتوكل وقال له : قلَّدتَ ديوانَ الضياع لإبراهيم بن العباس فضاع ، فقال له المتوكل جعفر : غداً يحضرُ ، وتكلِّمُ في أمره بما يظهر ؛ فبلغ ذلك إبراهيم فاغتمَ لمعرفته أنه لا يفي بابن المدبر ، وحضرا من الغد ، فقال له المتوكل^٣ : تكلم يا أحمد

١ واتفق . . . وأباه : زيادة عن س و المسالك .

٢ بنو القاسم هم بنو عشرة من أعيان سلا ، وقد كانوا مقصد الشعراء في عصرهم ، أو كما يقول ابن الأبار « رباب السماع وأرباب الأمداح » (اعتاب الكتاب: ٢٢٤) وللدكتور محمد بنشريفة بحث عن أسرة بني عشرة (مجلة البحث العلمي ، السنة الرابعة ، العدد العاشر ص: ٦٥- ١٠٢ ؛ ١٩٦٧) .

٣ ط د : المتكلم .

فذكر أشياء صدقَ فيها ، و ابراهيم ساكت ، فقال له المتوكل : يا ابراهيم
ألكَ جوابٌ على كلامه ؛ قال : جوابي يا أمير المؤمنين في بيتي شعر إن أذن
لي قلتهما ، قال : قل ، فأنشد^١ :

ردَّ قولي وصدقَ الأقوالا وأطاعَ الوشاةَ والعذالا
أنراه يكونُ شهرَ صدودٍ وعلى وجهه رأيتُ اللالا

فقال المتوكل : زاه زاه !! أحسنتَ والله ، إيتوني بمن يلحنُ هذا ،
وأحضِرُوا الندمان ، ودعونا من أخبار الديوان ، وخلع على ابراهيم .

وخلا المتوكل يومه بلهوه ، وبقي ابراهيم مغموماً في منزله ، فقيل
له : هذا يومٌ سرورٍ بما جددَ عليك من النعمة ، وأخصِصَتْ به من الكفاية
بدل النعمة ، فقال : الحقُّ بمثلي أولى وأشبه ، وما أدفعُ أحمد بن المدبر ،
ولا كذبَ في شيء مما ذكره ، ولا أنا ممَّنْ يعشره في الخراج ، كما لا
يعشرني في البلاغة ، وإنما ظهرت عليه في يومي هذا بالهزل ، فما لي لا
أبكي فضلاً عن أن أغتم ، من زمان يُدْفَعُ فيه الحقُّ بالباطل ؟ ! وسيكونُ
لهذا وشبهه نبأٌ بعدُ .

وقال يوماً يحيى بن أكنم القاضي لابن المدبر بحضرة المتوكل جعفر :
أنت كاتبٌ تفقه وتذكرُ أنك لا تُلْزِمُ الناسَ الأموال إلا بحجج فقهية :
مَنْ كَتَبَ للنبي عليه السلام ؟ قال أحمد : ليس على الكاتب عِلْمٌ ذلك ،
ولا تعلُّمه أيضاً على الفقيه ، إذ لا يحلُّ حلالاً ولا يحرمُ حراماً ، وقد روي أن

١ ديوان ابراهيم الصولي (الطرائف الأدبية) : ١٤٩ والأغاني ١٠ : ٥٩ وفيه طرف من حكاية
الصولي مع ابن المدبر .

عثمان وعلياً وزيد بن ثابت وحنظلة ومعاوية وغيرهم كتبوا له صلى الله عليه وسلم ، ولكن من الذي عمل على عهده عمك فأمر بقتله ؟ !
يعرض له بما كان ينسب لابن أكنم من اللواط - فحجل ، واستفرغ
ضحكاً المتوكل ، فكان ذلك سبب العداوة بينهما ؛ وأخباره كثيرة مأثورة .

جملة من شعر أبي بكر بن سوار في أوصاف شتى

[١٣٩ أ] له من قصيدة أولها ١ :

إيَّاكَ من ظبية في ذلك الكنسِ فلإنها أختُ ذاك الضيغمِ الهرسِ
كم نمَّ بي جرسُ قُرطِيها وساعدني ما في الخلاخلِ من صمتٍ ومن خرسِ
ما ظبية المكنسِ العفراء همتُ بها وإنما تيمنتي ظبيةُ الأنسِ ٣

ومنها ٤ :

ما يُعرفُ العَرَفُ في المساوِكِ من سببِ إلا من الشَّنَبِ المعطارِ واللَّعَسِ
ياربَّةَ الخدرِ حيثُ النجرُ من أسدٍ ٥ والموجُ من زَرَدٍ والسيفُ من فرسِ
رسومُ داركِ في يبرينَ دارسةً وفي الحشا لك ريعٌ غيرُ مندرسِ
قس ما تشاءُ تجدُ بي مثلهُ عوضاً وبالزمان الذي ولَّى فلا تقسِ

١ منها أبيات في المحمدون والمساك .

٢ ط د : لي .

٣ سقط هذا البيت من ط د ، وهو ثابت في س والمحمدون من الشعراء .

٤ منها : سقطت من س .

٥ ط د : البحر (دون اعجام) من أمد ، وأثبت ما في س والمحمدون .

أَلَسْتَ تَذْكُرُ يَوْمًا حِينَ زُرْتَهُمْ والدهرُ يخرجُ من عيدٍ^١ إلى عرس
نزلت في موضعٍ حَفَّ الغديرُ به كما يحفُّ اخضرارُ الليل بالغلس
تريك دائرةَ الدينار صفحتهُ فإن تهادى قليلاً صار كالترس^٢
تري بها الحوت حول الماء جثته [. . .] ما يرمي من النفس^٣
كأنَّ جودَ عليٍّ^٤ جاد بلختهُ فليس يخشى^٥ عليه آفةُ الدرس
مطهرٌ لم يدنس عرضه بتخلُّ وجوهرُ الشمسِ معصومٌ من الدنس

وكان أسر على ما ذكرته ، وبقي معتقلاً بمدينة قورية ، إلى أن خرج من وثاقه ، وقال في ذلك قصيدةً يصفُ كيفيةَ القبضِ عليه ، قال فيها^٦ :

وليلٍ كهْمُ العاشقين قميصُهُ ركبْتُ دِباجيهِ ومركبها وعَرُ
سريتُ وأصحابي يُمِيلُهُمُ الكرى فهمُ منه في سُكْرِ وما بهمُ سكر
رميتُ بجسمي قلبَهُ فنفدتهُ كما نفذ الإصباحُ إذ فُتِقَ الفجر

١ المسالك : حزن .

٢ زيادة من المسالك .

٣ سقط البيت من ط د ، كما سقط البيتان التاليان له من س .

٤ هو علي بن القاسم بن محمد بن موسى بن عيسى ، أبو الحسن ابن عشرة ، كان فقيهاً حافظاً سري أهل بلده ، وجيهاً فيهم نبيه القدر ، رئيساً جواداً ، دخل الأندلس غازياً وامتدحه بها طائفة من أدبائها وشرق حينئذ وحج ثم عاد إلى بلاده ؛ وتوفي بسلا سنة ٥٠٢ وممن امتدحه من جلة الشعراء ابن حمديس وأبو الوليد اسماعيل بن ولاد وله في مدحه ومدح ابنه أبي العباس مجموع سماه «نزهة الأدب» (الذيل والتكملة - قسم الغرباء ، الورقة : ١٠ من مصورة الخزانة العامة بالرباط) ومن مداحه أيضاً الأعمى التطليبي وابن بقي وغيرهما (انظر مقالة الدكتور بنشريفية عن بني عشرة) .

٥ ط : تخفى .

٦ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ولما بدا وجهُ الصباح تطلَّعت
فقلت لهم : خيل النصارى فشمروا
وكانت حميماً النوم قد صرعتهم
وأفردتُ سهماً واحداً في كنانة
وكنت عهدت الحرب مكرراً وخدعة
فطاعنَتْهُمْ حتى تحطمت القنا
أضرج أنوابي دماً رثيابهم
وأحدق بي والموت يكشر نابه
فأعطيتها وهي الدنية صاغراً
فطاروا وصاروا بي إلى مستقرهم
فقال العذارى حرَّقوه مقارصاً

ومنها :

خيول من الوادي محجلة غر
إليها وكروا ها هنا يحسن الكر
فقلُّوا وولَّوا مدبرين وما قروا
من الحرب لا يخشى على مثله الكسر
ولكن مع المقدور ما لا مريء مكر
وضاربهم حتى تكسرت البئر
كان الذي بيني وبينهم عطر
ومنظره جهنم وناظره شر
وقد كان لي في الموت لو يدتي عذر
يصاحبني ذلٌ ويصحبهم فخر
فمن قتله الفتيان عطلت البكر

فجاءوا بأنواع الكبول ونظَّموا
وساقوا كلاباً كالبحولة أجسماً
فقالوا أعطنا ألفاً فقلت مضاعفاً
فسبحان ربي ما أجل جلاله
فضاقت عليَّ الأرض حتى كأنها
فناديت في حول من الدهر كامل
وإن وراء البحر أروع ماجداً
ألا خبراني ابني أبي هل أتاكما

سلاسل في جيدي كما ينظَّم الدر
لها أعين خضر ملاحظها شر
[]
تخلَّصني منها له الحمد والشكر [١٤٩ب]
بما رحبت ما كان في طولها فتر
ألا رجل حرّ ألا رجل حرّ
بغرته الغراء يستنزّل القطر
وشيكا عن القاضي أبي حسن ذكر

١ زيادة من س ؛ والشطر الثاني بياض . وهذا البيت يرد في القصيدة التالية .

سلا عَنْ سَلا هَلْ مِنْ عَلِيٍّ حَقِيقَةٌ
أَلَا إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلِيٌّ وَقَرْبُهُ
بَعْدَ عَلِيٍّ تُعْمَرُ الْأَرْضُ كُلُّهَا
حَنِينِي إِلَيْهِ مَوْثِقًا وَمَسْرَحًا
فَأَنِّي فِي أَحْشَاءِ قُورِيَّةٍ سَرَّ
وَالْأَرْضَ فَانَّ الْأَرْضَ عَامِرًا قَفَرٍ
وَتَتَّسِعُ الدُّنْيَا وَلَوْ أَنَّهَا قَبْرٍ
كَأَنَّ حَنْزَلَةَ لَبَرٍّ الَّذِي يَفْرُقُ الْبَحْرَ

وله من قصيدة في قاضي الجماعة أبي عبد الله بن حمدان :

من معشرٍ حُمِلُوا فَأَحْمَدُ سَعِيهِمْ
مَضَتْ الْقُرُونُ وَمَرَّتِ الدُّنْيَا وَمَنْ
لَهُ دَرْكٌ أَيُّهَا الْقَاضِي فَمَا
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْعَدُوُّ يَعْصَتِي
يَوْمَ الْعَذَابِ وَلِلْكَالِبِ تَضَوُّرٌ
وَتَوْهَمُونِي بِالْفُغْيِ وَأَضُرُّ بِي أَلَا
قَالُوا : أَعْطَانَا أَلْفًا فَقُلْتُ مَضَاعِفًا
فَبَقِيْتُ عَامًا فِي الْإِسَارِ مَصْفَدًا
لَا يَسْتُ وَلَمْ تَكُنْ لِي حَبْلَةً
وَتَرَكْتُهُ يَدَ الْعَدُوِّ مَوْثِقًا^١
وَرَدَّتْ رَسَائِلُهُ عَلَيَّ فَتَارَةً
وَلَنَا أُخِيَّاتٌ وَأُمٌّ أَتُكَلِّمُ
قُلُوبَهُمْ كَالْقَلْبِ فِي خَفْقَانِهِ
فَأَتَيْتُ نَحْوَكَ وَالرَّجَاءُ يَبْعُدُنِي
فَلَذَاكَ مَا سُمُّوا بَنِي حَمْدَانَ^٢
فِيهَا وَمَا جَاءَتْ لَهَا بِقَرِينٍ
حَبْلُ الرَّجَاءِ لَدَيْكَ غَيْرُ مَتِينٍ
وَالْعَلَجُ يَلْطَمُ صَفْحَتِي وَجِيئِي
حَوْلِي وَنَشَابُ الرَّدَى تَرْمِينِي
حَالُ الَّذِي أَخَذُوهُ إِذْ أَخَذُونِي
لَا رَأَيْتُ الْمَوْتَ مَلَأَ جَفُونِي
بَسَلَسِلٍ ضَرْبًا مِنَ التَّنِينِ
أَرْسَلْتُ فِي ابْنِ أَبِي فَكَانَ ضَمِينِي
فِي ذُلٍّ أَغْلَالٍ وَضَيْقٍ سَجُونِ
يَشْكُو إِلَيَّ وَتَارَةً يَشْكُونِي
وَأَخَافُ قَبْلَ الْجَمْعِ وَشَكَّ مَنْوُنِ
وَعِيُونُهُمْ فِي جَرَّتِهَا كَعِيُونِ
وَجَمِيلُ ذِكْرِكَ خَلْفَهُ يُحْدُونِي

١ شر البيت ص : ٢٢٢ .

٢ ص : مشقفاً .

وله من أخرى في القاضي أبي الحسن بن القاسم^١ :

ساروا وحبّلُ وصالمهم مَبْتُوتُ
بانوا وروحي عندهم وحُشَّاشِي
أسفي على وادي الأراكِ وإنما
أنحي على الأقراطِ ناطقةً ولا
لا تأخذوا في اللوم لستُ بسامعٍ
هذا فؤادي إنْ وجدتمْ غيرَهَا
فسلوا نجومَ الليل كيف أبيتُ
وتظنُّ أنهمْ مَضَوَا وبقيت
يتأسَّفُ المحزونُ وهو يموت
أنحي على الخللِ وهو صموت
إنَّ الملامةَ في الهوى تعنيت
في طيِّهِ فالنَّارُ والكبريت

ومنها في المدح : [١٥٠]

لو أنْ رَفَقَكَ في القلوبِ مُرْكَبٌ
ولقد حملتَ من الوقارِ سَكِينَةً
لم يلتقمْ في البحرِ يونسَ حوت
لم يحملها قبلك التابوت

وله فيه من أخرى أولها :

من لظى قلبي اقتدحُ لا من زنادِ
اصرفوا نومي ليدني طيفكمْ
أنتمُ الأحبابُ في حُكْمِ الهوى
جسدي أنحل من مَرَكَمِ
تكنُ الشَّحناءُ في أحشائهمْ
يحمدُ النجمُ الثريا النقي
ما مرادي أن أرى منفرداً
لا سقى الروضَ غمامٌ ساكب
ودموعي استسقى لا صوبَ الفؤادي
وهنيئاً ما غصبتُمْ من فؤادي
فارفقوا لا تفعلوا فعلَ الأعادي
في تناجيكم به يومَ البعاد
ككمونِ الحميرِ في جَوْفِ الرماد
ولقد يبكي سُهَيْلٌ لانفرادي
ربَّ محمولٍ على غير المراد
ليس يَسْقِي مَعَهُ شوكَ القتاد

١ منها أبيات في مسالك الأبصار .

ومن المدح :

إنَّ من بعدِ بني القاسم لا
نسب مطَّردٌ من شرفٍ
وقبيلٍ كلُّهُ من عزَّةٍ
وبنو عَشْرٍ ذوو العِلاءِ لم
وعفافٍ واعتكافٍ وتميٍّ

وله فيه من أخرى :

بَدَتْ الغزاةُ والغزاةُ وجهها
خالستُها وتبسمتُ فظنَّنتُها
فتشابهتُ منها الثلاثةُ أضرب
لو كان مرئياً جُمانُ حديثها
ومضتُ تجرُّ وراءَها شعراً كما
يمحو مواقعَ إثرها فكأنَّه
والمسكُ فوق الترابِ من أردانها
ما لي وما لك يا غيورٌ^٢ تسومني
هلاً^٣ التقينا حيثُ تنتثرُ^٣ الطُّبَا
والجُوْءُ أدكنُ بالغبارِ قميصه
وكانَ يومَ الحشرِ يومٌ^٤ جموعنا

وتكلَّمتُ فسمعتُ ظيلاً ييغمُ
عن مثلٍ ما في نحرها تبسم
عقدٌ وثغرٌ طيبٌ وتكلَّم
لرأيتُ منه أجلُّ شيءٍ يُنظَّم
أعطاك جانبهُ الغرابُ الأسحم
يخفيه عن عينِ الرقيبِ ويكتم
خطُّ كما رُقِمَ الرداءُ المعلم
خططَ الردى وأنا المعنى المغرم
والهامُ تسقطُ والقنا تتحطَّم
والجيشُ أرعنُ والخميسُ عرمرم
وكانَ غلتي الحربِ فيه جهنم

١ منها أبيات في الوافي والمالك .

٢ ط د : عيون ، والتصويب عن المالك .

٣ ط : ينتثر .

٤ الوافي : فيه .

وكان كل كمي حرب مارد
 ومدربين على الطعان لقيتهم
 لبسوا جلود الرقم واعتقلوا القنا
 حتى علواهم بكل مهند
 ذو خطبة في الهام يسمع صوتها
 ولقد سلمت من الصوارم والقنا
 أعلي يا ابن القاسم بن محمد
 رد النجاة مثل ودّي غضة
 ولقد كتبت وأدعي منهلة
 أمن السوية أن أكون كما أنا
 والله يرضى عنك من حكم فقد
 إن بنت عنك ولم تردده فإنه
 ولقد ندمت على فراق سلا كما
 تهوي إليه من الأسته أنجم
 وكأنهم في الشمس ليل مظلم [١٥١أب]
 فرأيت كيف يجر أرقم أرقم
 يبكي فتحسبه لهم يرحم
 في كل قطر وهو لا يتكلم
 لو كنت من فتكات رمك أسلم
 بيني وبينك عروة لا تفصم
 لأنني عليك مع النسيم مسلم
 والقلب فيه جدوة تتصرم
 فيفوز غيري بالنعيم وأحرم
 وافيت حكم الله فيما تحكم
 بعضي لبعضك في فراقك يخضم
 ضعف الندامة حين أهبط آدم

وهذا كقول الآخر :

كآدم حين عصى ربه عوض بالدنيا من الآخرة

قوله : « يجر أرقم أرقم » ، كقول ابن اللبانة ، وقد تقدم ؛

١ وردت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ وقمت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت أيضاً في س .

٣ قرأها الأستاذ بشريفة : « طعم » ، وهي قراءة جيدة .

٤ انظر ما تقدم ص : ٧٨ .

• فقلتُ الصلُّ أتبع ضيغما •

وقوله : « والمسكُ فوق التراب » . . . البيت ، كقول ابن شهيد :
وولتُ والمسك من ذيلها على الأرض خطَ كظهر الشجاع^١

وله فيه من قصيدة أولها :

إلى ضوءِ ذاك البارقِ المتعالي	حننتُ وحثتُ ^٢ أينُفهي وجمالي
تألقَ يزجي عارضاً مثلَ أدمعي	ويحكي فؤادي خفقهُ المتوالي
فلولا شمالي في زمامِ شملتهِ	لطارت إليه في صباً وشمال
إلى مستطِ الغرس الذي كان غرسها	به لا إلى سدرٍ هناك وضال
ولم تُنسها الأرطى رياضُ ترودها	لدى موردٍ عذبِ المياه زلال
وحُبِّبَ للإنسانِ أوَّلُ موطنِ	وإن كان في حاشاه ناعمَ بال
همُ يعيشوا طيفَ الخيال الذي سرى	فعانقَ جسماً مثلَ طيفِ خيال
وأقبل من تلقائهم فكأنه	مغلقةٌ أعطافهُ بغوالي

ومنها :

فيا دارهم بالحزنِ حُزني مُجدد ^٣	عليك ، وقلبي ليس عنك بسالي
أرى أعيناً صُوراً إليّ كثيرة	ومن دون أن ألقاك سورُ عوالي
وأبيضُ هنديٌّ كأنَّ بحدّه	مُطارَ ذبابٍ أو مدبَّ نمال

١ لم يرد من البيت في ط إلا قوله : « كظهر الشجاع » .

٢ د : وحثت ؛ س : وحثت .

٣ ط د س : مجرد .

٤ سقط البيت من س .

جری فوقه ماءُ الفرندِ وتحتہ
وقد أظهرت فيه المنايا نفوسہا
وجال علی متنیہ کلّ متجّالٍ
كما خوّضت لُجّ السرابِ سعالی

ومن المدح^١ :

ولم یَحْكَمْهُمْ صوبُ الحیالِكنِ اغتدى
وجاءوا علی جید الزمانِ فلائداً
أقاموا لواءَ المکرّماتِ وخیموا
إذا احتجبوا لم یَسْتِرِ الحجبُ نورهم
أو انتسبوا فی المجدِ كان انتسابُهم
وان ورثَ العلیاءَ عنهم علیها
سکیتُهُ من أعْفَرٍ^٢ ویلملم
إلیکَ رمتنا العیسُ حتی کأنّہا
بما فیهمُ من شیمۃٍ وخلال
وأفعالُهم فیها ضروبُ لآلٍ [١٥١]
من المجدِ والعلیاءِ تحتَ ظلال
وإن طلعوا كانوا بدورَ جَمال
لأعظمِ عمٍّ أو لأکرمِ خال
فلا بدعَ فی حالٍ وراثۃُ عال
وبعضُ رجالٍ فی سکونِ جبال
من الوهنِ أقواسُ رَمَتِ بنبال

وهذا لفظ أبي العرب الصقلي^٣ ، وهو معنى قد نبّهتُ عليه في تضاعيف
هذا التأليف :

وحطّ بنا عن ناجیاتِ کأنّہا قسيّ رَمَتِ منّا البلادَ بأسنهمِ

وكذلك قوله : « جری فوقه ماء الفرند » لفظ ابن المعتز^٤ :

جری فوق متنیہ الفرندُ کأنّما تنفّسَ فیہ القینُ وهو صقیلُ

١ س : ومن مدح هذه القصيدة .

٢ أعفر : جبل في بلاد الشام (معجم ما استعجم ١ : ١٧١)

٣ ترجمته في القسم الرابع من الذخيرة . الورقة : ١٠٩ ويرد البيت هناك .

٤ زهر الآداب : ٧٧٦ .

وفي أشعار أبي بكر تليفق كثير ، على تدفقٍ نحيزته ، وقوة غريزته ،
كقوله في قصيدة : منها :

وفتية من أعاريب كأنهم ^١ لا يلبسون جلودَ الرقم سايغة ^٢ ولا تبيتُ على قُربٍ مَحَلَّتْهُمْ يا كم مضيتُ وغولُ الهول يتبعني مُلابساً ما تراه العين مُلْتَبِساً وأطرقُ الفتياتِ البيضَ لابساً ^٣ والقرطُ كالقلب من خَوفٍ ومن حذر لم آتِها قطُّ إلا نمَّ بي وبها ولا انتهيتُ إلى أطناب قُبَّتْها بأبيضِ بدمِ الأجسادِ مغتسلِ والطبعُ أكرمُ في تركيبِ خلقتِه إن كنتَ يادهرُ لم تُحسِّنِ معاشرتي أجربُ الناسَ في ضيقٍ وفي سَعَةٍ وما على العود أن يُهدي نوافِحَه ^٤ ويُطلبَ الجودُ من قومٍ وجود بني محاسنُ ثقت منها أوائلهم	أسدٌ على أعوجياتٍ سراحيبِ حتى تُخَاطَ بأحداقِ العاسيبِ إلا يبيت حماهم غيرَ مقروب وكم سريتُ وسيلُ الليلِ يرمي بي ليلاً مع الليل أو ذنباً مع الذيب بيضَ الجلايب في سودِ الجلايب كأنه هوَ في خوفٍ ^٥ وتعذيب واشٍ من الحَلْيِ أو واشٍ من الطيب إلا على ظهرِ مطعونٍ ومضروب وأسمِرِ بدمِ الأكبادِ مخضوب من أن أكون محباً غيرَ محبوب فيما مضى فلقد أحسنتَ تأديبي والناسُ صنفان في حدِّ التجاريب إلاَّ على لَهَبٍ بالجرمِ مشوب عَشْرٍ يجيئك عفواً دون مطاوب كما تَشَقَّفَ أنبوبٌ بأنبوب
-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------	----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

وقال من أخرى ، وذكر حمامة :

١ ط د : وحول .

٢ س : خفق .

بكت لم تُسَلِّ دمعاً ولا هي أعربت
ولم أرَ أشجى من بكاءٍ بَعَثْنَهُ
نوائحُ ما غاضَتْ دموعُ جفونها
وما ذلك المحمرُّ فيهنَّ خلقة

ومنها :

سقى منزلاً بالغرب مُنْسَكِبُ الحيا
بحيثُ بنو عَشْرِ تَنْيرُ وجوههمُ
فما أكثرُ المثني عليهم سَجِيَّةً
رعى الله فيكمُ ذِمَّةَ المجد والعلا

وله فيه من أخرى ٢ :

إذا نزلَ العافون في عَقْرِ دارِهِ
بحيث حياضُ الجودِ ٣ زُرُقُ مياها
وللغَيْثِ أوقاتٌ يفاجيءُ صَوْبُهُ
أغرُّ طليقُ الوجهِ يهتزُّ للندى
فما لعلِّي في البريَّةِ مُشَبَّه
فلو أنني في الوصف لم أذكر اسمَه

ولا أفصحت معنىً بلحنٍ كلامٍ
فزدن به في لوعتي وغرامي [١٥١ب]
على السَّكْبِ إلا والضلوعُ حوام
ولكنها مما بكين دوامي

وجاد عليه كلُّ أسحمٍ هامٍ
كما طَلَعَتْ ليلاً بدورُ تمام
وما أشبهَ النعْمى بطوقِ حمام
فلا خلِّقَ أَرعى منهمُ للنام

فقد نزلوا في غبطةٍ وأمانٍ
وَمَزْنُ العطايا دائمُ المِطْلانِ
ونائلُهُ ينهلُ كلَّ أوانٍ
كما اهتزَّ مصقولُ الفرندِ يمانٍ
وما لعلِّي في الأنامِ بثنائي
دَرَوَهُ وقالوا : ذي صفاتُ فلان

١ ط : ولا كنف .

٢ من أخرى : زيادة من س .

٣ س : الموت .

وله فيه من أخرى عند صدره من حضرة أمير المسلمين :

مضيت بوجه السعد وهو طليق	وأبت بثوب النجح وهو يروق
لقيت أمير المسلمين مقرباً	كما يتلاقى شائق ومشوق
راك وللإسلام نصحك كله	وعهدك في ذات الإله وثيق
تلقاك بالبشر الذي أنت أهله	فقالوا : أب حان عليه شفيق

ومنها :

ولما طفى قوم وفرت لحومهم	فجاج فريق واستقام فريق
وضلت حلوم ^١ بالجهالة مثلما	أضل سواع معشراً ويعوق
وجاموك بالمكر الكريه وإنما	بصاحبه ^٢ المكر الكريه يحيق
أراهم مكان الفضل منك فروءعوا	كما انتشقت ريح الغضنفر نوق
وفرؤوا ولولا حسن رأيك فيهم	لما حملتهم بعد ذلك سوق
فلا عديموا منك الذي عهدوا فما	بغيرك غفران الذنوب يليق
توسعت فضلاً في ولي وحاسد	ولم يك في باع المكارم ضيق
كرمتهم فروءعاً في المعالي حميدة	وطابت أصول منكم وعروق

وله فيه من أخرى ، وكتب إليه^٣ بها من تلمسان وأولها :

لعل إياب الظاعنين قريب فترجع أيام الحمى وتؤوب

١ ط : نجوم .

٢ ط : لصاحبه .

٣ إليه : زيادة من س .

٤ وردت أبيات منها في الواقي للصفدي وبيتان في المغرب .

مقاني تلاقينا وعهدُ اجتماعنا
وأبأمننا بيضُ الليالي ودَهْرُنَا
بها كان يدعوني الهوى فأجيبهُ
وأرمني المها عن ناظري فتصيبها
وفي الخدرِ مكحولُ الجفونِ صفاته
إذا ما أدارا الكأسَ من مثل ريقه
فأجفأهُ سَكْرَى ونحن وقدُهُ
ويَهْتَرُ نَوَارُ الملاحِ حوله
على مثل أيام الزمان الذي مضى

ومنها :

أمثلَ عليَّ تطلبُ العينُ أن ترى
فتيَّ يهبُ الدنيا ويرتاحُ للندى
وتأتي عطاياه اطرَادَ خصاله
وإن كنتُ قد أضربتُ عن مدح غيره
أحبُّ سَلاَ من أجلِ كونك في^٣ سَلا
لصيرتِها مصراً فنَسِيتُكَ نيلها

١ ط د : أراد .

٢ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٣ المغرب : من .

وقد كرر هذا المعنى فيه أبو بكر ، في مواضع من شعره ، منها قوله
من قصيدة^١ :

يقولُ رجالٌ غيرَ ما يفعلونهُ وإنَّ عليّاً قاتلٌ وفعلُ
فلا تطلبوا في ساحةِ الأرضِ مثلهُ فمثلُ عليٍّ في الملوكِ قليلٌ
ولولاك ما كانت سلا دارَ هجرتي ولا كان لي عمَّنْ أحبُّ رحيلُ
فألفيتها مصرأً وأنتَ خصيبتها وكفأك بطحاها ونيلُك نيلُ

ولما توفي سنة اثنتين وخمسمائة قال فيه يرثيه :

العيشُ بعدك يا عليُّ نكالُ لا شيءَ منه سوى العناءِ يُنالُ
يا عثرةَ عثر الزمانِ بأهله ليتَ الزمانَ من الزمانِ يقالُ
يا عصمةَ الفقراءِ بل يا مالهمُ هيهات ما للناسِ بعدك مالُ
أبكيك بالدمِّ لا بدمعي إنَّه يبكي سواي به وذاك محالُ
دنيا ظفرت وما متاعكِ كلُّهُ إلَّا سَرابٌ يضمحلُّ وآلُ
قد كنتُ مشغولاً به متوقفاً ولذي الوفاءِ بغيره أشغالُ
فالآنَ ها أنا لا أبالي عن أسيِّ وقعَ التوقعُ فاستراحَ البالُ
قد كنتُ آمالي التي أنا طالبُ جهدي ومتَّ فماتت الآمالُ
لا الظلُّ ظلُّ بعدَ فقدك يا أبا حَسَنٍ ولا الماءُ الزلالُ زلالُ

ومنها :

كنتُ الصَّفوحَ عن المسيء ولم يكنُ إلا الجميلُ لديك والإجمالُ
حُطُّوا عن الأكوارِ قد مات الذي يتحمَّلُ الأعباءَ وهي ثقالُ

١ زاد في س : « تقدست » .

٢ ط د : كيف .

مذُ ودَّعَ القَوَّالُ والفَعَّالُ ما
وتهدَّم الجبلُ المنيفُ فزلزلت
فلا تجعلنُ حجِّي لقبركَ إنه
كلا عيالك لكن [. . .]
أين العزاءُ فقد أدبلَ بأحمدِ
في الأرضِ قَوَّالٌ ولا فَعَّالٌ^١ [١٥٢ب]
رُتَّبُ العلا ومن الرجال رجال
للخيرِ فيه وللتَّقَى أوصال
فجميعنا لك يا عليَّ عيال^٢
دُوْلُ الأفاضلِ بالبنينِ تدال

ومنها :

طوَّقْتُني النعمى فصرتُ حمامةً تشدو وغُصْنُكَ ناضرٌ مِيَّالٌ
وإذا الأيادي لم تكنْ مشكورةٌ للمنعمين فلانها أغلال

ومن مدائحه في الفقيه القاضي أبي العباس ابنه^٣ ، له من قصيدة أولها^٤ :

بَعَثْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْبَراقِ خيالَها فأراك شكلك حاملاً أشكالها
هل ينكرُ الْغَيْرانُ مني وَقْفَةً وقفتُ أمانِيُ النفوس حياها
في ليلة عبث المحاقُ بيدرها غصباً فقصرَ عُمْرُهُ وأطالها
سوداءُ أَشْرَقَ نجمها فلو أَنِي أجري على فلكك لكنتُ هلالها
ولقد فتكتُ بقرطها وبمرطها حتى هتكتُ حجولها وحجالها

١ وقعت لفظة « ومنها » بعد هذا البيت في س .

٢ زيادة من س .

٣ أبو العباس أحمد بن علي بن القاسم ، ولي قضاء سلا بعد أبيه ، ويصفه الفتح بأنه « فخر بني القاسم » وفي مدح التطليل له يلقبه « قاضي قضاء الغرب » ، وعنده نزل ابن تومرت ، وكانت وفاته بعد سنة ١١٥٥ هـ (انظر بحث بشريفة : ٧١ - ٧٤ ، ٨٧)

٤ وردت ثلاثة أبيات منها في الوافي ومثلها في المسالك .

ومن المدح :

ما الخطئة العلياء زانته ، بلى^١
ويشق ماء العتق صفحة خده
وبأحمد بن علي بن القاسم بن
هو لفظة من منطق الدنيا بها
من كل مكتهل الوقار وأزهر
يمشون فوق الأرض تحت حلومهم
لولا هم لتحركت جنباتها

هو زانها حتى أتم^٢ كمالها
شق^٣ النرند من السيوف صقالها
محمد درت المكارم حالها
فخر الزمان على بنه فقهاها
لبسوا الشبيبة فاكسوا سرباها
فتخالهم أوتادها وجبالها
من رجفة ولزلت زلزالها

وله من أخرى^٤ :

أمعاهد المدح^٥ الذي غادرته
واد إذا ضرب الهجير رواقه
إن كانت الأرواح من ماء فمن
فأت تقبلي فقلت لها أمسكي
فمضت وقد أحجلتها فتبسمت
حتى إذا ما الروض نبه الندى

معدى لبارقة المها ورواحا
أهدى إلى مهبج القلوب رواحا
ذاك المجاج تكوئت أرواحا
عني فإني لا أقارب راحا
فرأيت في أرض العقيق أقاحا
فتحت عيوناً كالعيون ملاحا

ومن المدح :

-
- ١ ط د : بل .
٢ منها أربعة أبيات في المسالك .
٣ كذا ولعل صوابها : المرح .
٤ سقط هذا البيت والذي يليه من س : وجاء في موضعها « ومنها » .

طالبتها أدباً فسأل توقدأ وطلبتة كرمأ فذاب سماحا

وله فيه من قصيدة كتب بها إليه من تلمسان ، أولها :

على طول ما أبكي تعاتبني عتبا فإليت شعري هل يكون لها عتي
سرى جانب من جانب الغرب خافق خفوق فؤاد الصب قد فارق الحبأ
فما قنعت في الحرب ببيض صوارم بأيدي كماء يكثر بها الضربا

ومنها :

تكلّفتني نظم النجوم قلائدأ لعمرى لقد كلّفتني مرتقى صعبا [١٥٣أ]
وهبك ملكة الشمس والبدر في يدي وسقت إلى جنبيهما الأنجم الشهبأ
إذا لم أعلّقها على جيد أحمد فلا جيد في الدنيا يكون لها حسبا
صبا بالغواني من صبا وهو لم يزل بينت المعالي هائما كلفا صبا
فتى يهب البيض الكواعب كالدمى وبيض الظبا والسمر والضمر القبا
لقد وهب الله الجمال لأحمد وشرف منه الخلق والخلق العذبا
موفق آراء القضاء كأنما بصيرته في الغيب تخترق الحجبا
إذا اكتسب الناس الدنانير عدة فأحمد لا يرضى بغير العلا كسبا
كذاك مضت في السالفات جدوده كما مرّ كعب الرمح مطردأ كعبا

وله فيه :

يا راقدا الليل التمام جفونه إنني بأرحم خصره من رقة
لاني لأرحم بطنعني الوصال تمنيا وأرق للغصن الذي يتأود
وغدا يطمعني الوصال تمنيا إني سأهلك قبل أن يدنو غد
ولبست أثواب الملاحه مثلما لبس السماحة والرجاحة أحمد

لو كان خُلِّدَ فاضلٌ لفضيلةِ فيه لكان على الزمانِ يُخَلِّدَ
 المجدُ والشرفُ المؤثَّلُ والندى والحدودُ والعليا له والسودد
 وبلاغةٌ لم أدرِ حين سمعتها أفصاحةٌ أم لؤلؤ متبدّد
 لا ناطقٌ عَجَلُ الكلام بها ولا متوقّفٌ فيها ولا متردّد
 من معشرٍ طابوا مناصبَ في العلا وإذا يطيبُ الأصلُ طاب المولد

جملة من مراثيه

له من قصيدة في تأبين أمير المسلمين ، أبي يعقوب يوسف بن ناشفين
 رحمه الله ، قال فيها ، وأنشدها على قبره :

ملكَ الملوكِ وما تركتَ لعاملٍ عملاً من التقوى يشاركُ فيه
 يا يوسفُ ما أنت إلا يوسفُ والكلُّ يعقوبُ بما يطويه
 اسمعُ أميرَ المسلمين وناصرَ الـ دين الذي بنفوسنا نفديه
 جُوزيتَ خيراً عن رعيّتك التي لم ترضَ فيها غيرَ ما يرضيه
 أمّا مساعيك الكرامُ فإنّها خَرَجَتْ عن التحديد والتشبيه
 في كلِّ عامٍ غزوةٌ مبرورةٌ تُرْدي عديدَ الروم أو تُفنيه
 تصلُ الجهادَ إلى الجهاد موقفاً حَتَمَ القضاء بكلِّ ما تقضيه
 ونجّى ما دبّرتَهُ كنجية فكأنَّ كلَّ مغيبٍ تدريه
 متواضعاً لله مُظهرَ دينه في كلِّ ما تخفيه أو تبديه [١٥٣ب]
 ولقد ملكتَ بحقِّكَ الدنيا وكم مَلِكُ الملوكِ الأمرَ بالتصويه

لو رامت الأيامُ أن تُحصي الذي
إنا المفجوعون منك بواحدٍ
وإذا سمعت حمامةً في أيكَةٍ
ومضى قد استرعى رعيتهُ ابنهُ
وإذا هزبرُ الغابِ ضرى شبلهُ
وإذا عليٌّ كان وارثَ ملكه

وله من مرثية :

وناعٍ نعى والقلْبُ كالقلْبِ خافق
بكتٍ رحمةً لي عينُ كلِّ غمامةٍ
فيا مزن لا [تؤذن] بتسكابٍ أدمي
فلولا التهابُ النار ما بين أضلعي
دعوني أشكو الدهرَ للدهرِ معتباً
فما فوقَ هذا الرزءِ رزءٌ وإنما
مضى بآبنِ عشرٍ كابنِ عشرٍ وأربع
مضى بفتىٍ تُزري أسرةً وجهه

وله فيه :

فعلتْ سيوفُك لم تكن تحصيه
جُمعتْ خصالُ الخلقِ أجمع فيه
نبكي الهديلَ فإنما ترثيه
فأقام فيهم حقَّ مسترعيه
في الغابِ كان الشبلُ مثلَ أيه
فالسهمُ ملقى في يدي باريه

مرُوعٍ ومما رابني لم أصدق
وساعدني نوحُ الحمامِ المطوق
فلي مدمع من بلعة الحزن يستقي
لأصبحتُ في بحرٍ من الدمع مغرق
على أنني أشكو إلى غير مُشفق
رمى كبدَ العليا بسهمٍ مفرق
فهلاً هلالٌ مثلُ نونٍ مُعرق
بضوءِ الصباحِ المشرق المتألق

١ ط د : التي .

٢ س : فإنها .

٣ زيادة من س .

٤ ط : معنياً .

ما كنت أعلمُ علّةَ الزّهر^١ الندي
 خطب نبي وجهَ الصّباحِ كأنّه
 ورزيّة نزلتُ بآلِ محمدٍ
 حتى ثوى في القبرِ جسمُ محمدٍ
 بالحزنِ من قِطعِ الظلامِ الأريد
 خصّتْ وعمّتْ آلَ دينِ محمدٍ

وله فيه ٢ :

الصبرُ أجملُ عند كلِّ مُلِمّةٍ
 قمران غيّبَ بالكسوفِ سناهما
 من قاضيين موفّقين كأنّما
 لم يَعدُوا نهجَ السيلِ وإنّما
 بنقبةٍ من صحّةٍ ، وسجّةٍ
 ورويةٍ من حكمةٍ ، وقضيةٍ
 لكن على فقديهما لم يجملِ
 لا تُخسَفُ الأعمارُ إن^٣ لم تكمل
 هذا شُرَيْح في القضاءِ وذا علي
 [.....]^٤
 من روضةٍ ، وسكينةٍ من بذلِ
 من فطنةٍ ، وبديهةٍ من منصلِ

١ ط د : الدهر .

٢ منها بيتان في المسالك .

٣ س : ما لم .

٤ زيادة من س : والشطر الثاني فيها بياض .

الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنريني^١

ناثر وشاعر مُفْلِح ، وشهاب متألق ، نَشَرَ فسحر ، ونظم فنمنم ،
وأولع بالقصار فأرسلها أمثالا^٢ ، ورشق بها نبالا^٣ ، لا سيما قوارعُ كَدَرِها
على مَرَدَّةِ عصره ، وسم بها أنوف أحسابهم ، وتركها^٤ مثلاً في أعقابهم ،
وأوصاف أبدع فيها ، واخترع كثيراً من معانيها ، ومُلَحَّح في شكوى زمانه ،
دلَّ بها على علوِّ شأنه ، حتى لو أنَّ أبا منصور الثعالبي رآه ، أو سمع شيئاً
مما نحاه ، لأضربَ عن ذكر كثير ممن به أغرب ، كابن سَكْرَةَ وابن
لنكك ، ومن سلك ذلك المسلك .

وكان أبو محمد على جودة شعره . وشفوفه على [١٥٤ أ] أهل قطره ،
ضيقَ المجال ، زُحِّلَ الانتقال ، لم يسعه مكان ، ولا اشتمل عليه سلطان ،

١ عبد الله بن محمد بن صارة (أو سارة) البكري الشنريني الأصل، نزل اشبيلية وسكنها وتميش فيها بالوراقة، وتجول في بلاد الأندلس شرقاً وغرباً للتعليم بالعربية، وسكن المرية وغرناطة وامتدح الولاة والرؤساء ، وكان حسن الخط جيد النقل قائماً على جمهرة من اللغة والنحو ، وكانت وفاته سنة ٥١٧ هـ (انظر التكملة : ٨١٦ والسلفي : ١٥ والقلائد : ٢٦٠ والخريدة : ٢ : ٣١٥ وبنية الملتصم رقم : ٨٩٦ والمغرب ١ : ٤١٩ والرايات : ٣٥ (غ) والمغرب : ٧٨ ، ١٣٨ والإحاطة : ٢٤٠ (النسخة الكتانية) والمسالك ١١ : ٣٨٣ وبنية الوعاة : ٢ : ٥٧ (نقلا عن الوافي للصفدي) والشذرات ٤ : ٥٥ وزاد المسافر : ٦٦ ووفيات الأعيان : ٣ : ٩٣ وانظر ٦ : ٢٥٢ وصفحات متفرقة من نفع الطيب ، وبدائع البدائع : ٣٧٦ وشرح المقامات للشريشي ، وقد مر ذكره في مواطن من القسم الأول ، انظر مثلاً : ١ : ٧٩ ، ١٤٧ ، ٣٧٩ .

٢ المسالك : وغلدها .

وكانت قصاراه تتبع المحقّرات ، وبعدَ لأيٍ ما ارتقى إلى كتابة بعض الولاة ، فلما كان من خلع الملوك ما كان ، أوى إلى إشبيلية أوحشَ حالاً من الليل ، وأكثر انفراداً من سهيل ، وتبلغ بالوراقة وله منها جانب ، وبها بقصر ثاقب ، فانتحلها على كساد سوقها ، وخلو طريقها ، وفيها يقول ^١ :

أما الوراقة فهي أبكة حرقه أوراقها ^٢ وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

ولقد رأيت له عدّة مقطوعات في الهجاء ، تُرني على حصّى الدهناء ، وهو فيه صائب السهم ، نافذ الحكم ، طويت عليه كشحاً ، وأضربتُ عن ذكره صفحاً ، وربّما أملتُ منه بالأقلّ ، لرى فتستدلّ ، ولو استجزتُ أن أثبت في هذا الكتاب ، بعض ما له في هذا الباب ، لتحققت أنه بالجملة بائقة محاجة ، وصاعقة مهاجاة ، وقد كتبتُ من ذلك في كتابي المترجم : « ذخيرة الذخيرة » جملة موفورة ، له ولطوائف كثيرة . وفيما أوردت مع ذلك هنا من شعره ، لما أجريت من ذكره ، حجة فصل ، وشاهد عدل .

١ البيتان في القلائد والمساك وبغية الوعاة وابن خلكان والإحاطة والشرذات والثاني في

طراز المجالس : ١٤١ .

٢ س : أغصانها .

جملة من شعره في النسيب وما يناسبه

قال في غلامٍ أزرق^١ :

ومهفٍ أبصرتُ في أطواقِهِ قمرًا بآفاقِ المحاسنِ يُشرقُ
تقضي على المُهَجَّاتِ منه صَعْدَةٌ متألِّقٌ فيها سنان أزرق

وهذا كقول السلامي ، من أناشيد الثعالي ، حيث يقول^٢ :

أعانقُ من قدّه صَعْدَةٌ ترى اللحظَ منها مكانَ السَّنانِ

وأبو محمد يتسلَّقُ على أشعار اليتيمة : تسلَّقَ القاضي الغشوم ، على مال
اليتيم . وفي ذلك يقول عبد الجليل :

قدّهُ مهما تشّى صَعْدَةٌ والسَّنانُ الذَّلِقُ فيها طَرَفُهُ

ولابن رباح في غلامٍ أزرق :

عيني رأْتُ أغربَ شيءٍ يُرى منزّهاً عن كلِّ تشبيهٍ
غصن من البلّور أعطافُهُ تريك ليناً في تشبيه
يسفرُ للياقوت في حمرةٍ وإن رنا عن زرقَةٍ فيه

١ انظر القلائد والحريدة وابن خلكان والمسالك والشدرات .

٢ اليتيمة ٢ : ٤٠٣ .

وقال أبو محمد أيضاً^١ :

أعندك أن البدر كان ضجيجي فقضيت أوطاري بغير شفيع
جعلت ابنة العنقود بيني وبينه فكانت لنا أمّا وكان رضيحي

وقال^٢ :

ومعذر رقت حواشي حسنه فقلوبنا وجدّا عليه رفاق
لم يكس عارضه السواد وإنما نشرّت عليه صباغها الأحداق

وقال^٣ :

قاسيت حبك منذ حول كامل وطبور آمالي عليك تحوم
فحرمت منك بلوغ ما أملت أشقى البرية عاشق محروم

وقال^٤ :

يا من تعرّض دونه شحط النوى فاستشرفت لحديثه أسماعي
إني لمن يحظى بقربك حاسد ونواظري يحسدن فيك رقاعي
لم تطوك الأيام عني إنما نقلتك من عيني إلى أضلاعي

١ انظر المطرب والمساك والنفع ٣ : ٤٥٨ .

٢ البيتان في القلائد والمطرب والمساك والرايات وابن خلكان وشذرات الذهب والقسم الأول من

النفيرة : ١٤٧ .

٣ انظر المساك .

٤ الأبيات في القلائد والنفع ٤ : ٣٠١ .

وهذا المعنى كثير ومنه قول المعتمد^١ :

أغاثبة عني وحاضرة^٢ معي كأنك من عيني نُقِلْتَ إلى كبدي^٣

وقال العباس بن الأحنف^٤ :

تالله ما شطتْ نوى ظاعنٍ صار من العينِ إلى القلبِ

وقوله : « إني لمن يحظى بقربك حاسد » ، كقول محمد بن أبي أمية^٥ :

قد رأها الرسولُ حينَ رآها ليت عيني مكانَ عينِ الرسولِ

وقال^٦ :

ومفهمٌ يختالُ في أبراده مَرَحَ القضيبي اللدنِ تحتَ البارجِ
عاينتُ في مرآةٍ وهي خدَّةُ فحكيتُ فِعْلَ جفونِهِ بجوانحي
لا غَرَوَ إن جرحَ التوهمُ خدَّةُ فالسَّحرُ يَفْعَلُ في البعيدِ النازحِ

وبيته الثاني من هذه كقول القائل ، إلا أن أبا محمد زاد فيه ، وهو :
فقتلتني وجرحتُ خدَّكَ ظالماً ما كان أغناني وما أغناكَ

١ ديوان المعتمد : ٦

٢ الديوان : لئن غبت عن عيني فإنك في كبدي .

٣ لم يرد في ديوان العباس .

٤ كان محمد بن أبي أمية (أو ابن أمية) كاتباً شاعراً ظريفاً من ندماء إبراهيم بن المهدي وهو

ممن كان يصاحب مسلم بن الوليد وأبا العتاهية (انظر الأغاني ١٢ : ١٣٩ - ١٥٠) والبيت

الوارد هنا في الأغاني ١٢ : ١٤١ .

٥ الأغاني : وإذا جاءها الرسول .

٦ الأبيات في القلائد والخريدة والمسالك .

وقال ١ :

أيُّ امرئٍ يُعَصِّمُ من فتنةِ
جبيتهُ المشرقُ من وصلهِ
ملكُتهُ رقيّ ولا رقةُ
وسطوةُ الهنديّ في لحظةِ
بشادنٍ لإبليسُ من جُنْدِهِ
وَقَرَعُهُ الخالكُ من صدّةِ
يحظى بها قلبيّ من عنده
وعطفةُ^٢ الخطيّ في قدّةِ

وقال ٣ :

ماءُ الجمالِ بخدّه مَترَقِرُ
ما خدّه جَرَحَتُهُ عيني إنّما
رشاً له خدُّ البريء ولحظُهُ
ذو طرّةٍ سَبَجِيّةٍ ذو غُرّةٍ
لله راءُ زبرجدٍ في عَسْجَدِ
أتراه يعلمُ أنّ قلبي عنده
مازَحَتُهُ ولم أدر ما حدُّ الهوى
لولا العيونُ لكان من دون الهوى
قامت عليّ شواهدُ من حُبّه
والشمسُ منه تعومُ في ضحَضاحِ
صَبَغَتْ غَلالَتُهُ دماءُ جراحِ
أبدأُ شريكُ الموتِ في الأرواحِ
عاجيّةٍ كالليلِ كالإصباحِ
في جوهرٍ في كوثرٍ في راحِ
رَهْنُ الهوى يهفو بغير جناحِ
حتى قدحتُ زنادَهُ بمزاحِ
وقلوبنا قُفْلٌ بلا مفتاحِ
فأرى الكنايةَ فيه كالإفصاحِ

١ في هامش ط هنا تعليقات بخط غير خط الأصل ، وأكثرها شعر منقول من القلائد .

٢ س : وسطوة .

٣ منها في المسالك أربعة أبيات .

ومن شعره في الأوصاف

قال في النارج^١ :

أجمر على الأغصان زادت^٢ غضارة
وقضب تشنت^٣ أم قلود^٤ نواعم
أرى شجرَ النارج أبدى لنا جنى
جوامد^٥ لو ذابت^٦ لكانت مُدامة^٧
كرات^٨ عقيق^٩ في غصون^{١٠} زبرجد
نقبلها طوراً وطوراً نشمها
به أم خلود^{١١} أبرزتها الموادج^{١٢}
أعالج^{١٣} من وجدي بها ما أعالج
كقطر^{١٤} دموع^{١٥} ضرّجتها اللواعج
تصوغ^{١٦} البرى فيها الأكف^{١٧} الموازج
بكف^{١٨} نسيم^{١٩} الريح منها صوالج
فهن خلود^{٢٠} بيننا ونوافج

وقال :

رخم^{٢١} من النارج خمسيه^{٢٢} وقل^{٢٣}
عجبا^{٢٤} لدوحته^{٢٥} ترف^{٢٦} غضارة^{٢٧}
كالغيد لا تشقى بنار^{٢٨} خلودها
نار على الإطلاق^{٢٩} ليس تُكذّب^{٣٠}
والجمر^{٣١} في أغصانها يتلهّب^{٣٢}
وقلوبنا في حرّه^{٣٣} تتقلب^{٣٤}

وهذا كقول بعض أهل عصرنا^٣ :

١- انظر القلائد والحريدة والمغرب والرايات ، ومنها أربعة أبيات في المساك واثنان في النفع ٣ :

٤١٤

٢ القلائد : أبدى .

٣ هو عمر بن الشهيد كما في الذخيرة ١ : ٦٩١ .

وتحت البراقع مقلوبها تدبُّ على ورد خد ندي
تسالمُ من وطئتُ خدّه وتلدغُ قلبَ الشجي الأبعد

وقال أبو محمد^١ :

أهدِ الثناءَ إلى زمانٍ مشرقٍ أهدى إليك شقائق النعمانِ
قامتْ فُرَادَى فوق سَوْقٍ زبرجدٍ صيغتْ عليه جمائمُ العقيانِ
يهفو بها مرٌّ النسيم كأنها حمُرُ البنودِ نُشِيرْنَ في الميدانِ

وقال^٢ :

وحديقةٍ في نرجسٍ وبهارٍ رَفَعَتْ لواءَ الحُسْنِ للنظارِ
فكأنما هذا ضحىً متهللٌ وكأنما هذا أصيلُ نهارِ
أخوانِ أمهما معاً شمسُ الضحى وأبوها قمرُ السماءِ السَّاريِ
شرباً سُلَافَ القطرِ حتى عربدا وتراجما بكواكبِ الأزهارِ
واستودعا خبريهما نَفْسَ الصِّبَا فأذاع ما كتما من الأسرارِ
فبكى الندى لهما ضحياً ، والندى مذ كان للأزهارِ أكرمُ جارِ

ومنها :

نمتْ زجاجتُها بها فحسبتُها ماءً يحيطُ بجلوةٍ من نارِ
رام المديرُ بأن يسكنَ فوزها فتقاذفتْ جنباتُها بشارِ

١ ورد في المسالك بيتان منها .

٢ منها أربعة أبيات في المسالك .

حتى إذا ما ابنُ الغمامةِ شجَّها ثارَ الحجابُ مطالباً بالثار
في درعٍ نضناضٍ كأنَّ أدبمهُ يرنو بأحدائقِ بلا أشفار

ألمَ في هذا بقول المعري وقصر عنه ^١ :

كأثوابِ الأرقامِ مرَّقَتها فخاطنها بأعينها الجرادُ

وكذلك قوله : « أخوانِ أمهما معاً شمس الضحى » ، من قول ابن
الرومي ^٢ :

هذي النجومُ هيَ التي ربَّتْهما بجيا السحابِ كما يربِّي الوالدُ
وقال ^٣ :

وبستانٍ وردٍ في مطارفِ سندسٍ يرفُّ على غيدِ السَّوالفِ مُبدٍ
نظرتُ إليه في الكمامِ فخلَّتهُ ذوائبُ تبرٍ عُمَّتْ بزبرجدٍ

وله يستدعي إلى مجالسِ الأنسِ :

أيا تاجاً بهامِ المعلَّواتِ وياوُسْطَى نظامِ المكرماتِ [١٥٥ب]
ومن طلَّعتْ مآثرهُ نجوماً بأفلاكِ السعادةِ نيراتِ
أرى ديماً تحثُّ إلى مدام يشيعها النديمُ بخُذْ هاتِ

١ شروح السقط : ٣٠٥ ، يصف الدرع ويشبهها بجلد الحية ، وقد شبه المسامير فيها بميون الجراد .

٢ ديوان ابن الرومي ٢ : ٦٤٤ والمختار : ٢٣٧ وأمالى القالي ١ : ٢٧٠ .

٣ البيهتان في المسالك .

٤ ط : فخذ .

وعندي من بنات الكرم بكر
يطوف بكأسها ساقٍ نبيلٌ
يكرُّ إليك الحافظُ مراضاً
ملحُ الوصفِ مقبولُ الصفاتِ
يخفّرها ملاحظةُ السّقاءِ
كأنَّ بها بقايا من سنواتِ

وقال :

أيا من جارت العلياءُ فيه
بجيد النّسبِ متاً عقْدُ أنسٍ
فما تدري له العلياءُ كُنْها
أقام بغير واسطةٍ فكُنْها

وقال يصف سحابة :

أعاذك الله من ليلٍ بُليتُ به
وافاني السّحر الأعلى بساريةٍ
هللتُ منها وقد هبتُ صواعقها
لله من عارضٍ ضاقَ الفضاءُ به
تلاؤُ الجوّ من نيرانٍ بارقهٍ
وقلتُ إذ قصفتُ للرعدِ قاصفةً
كأنّه بغتةُ المقدورِ إذ طرّقا
كادتُ تُعيدُ صعيداً منزلي زلقا
كراكبِ البحرِ لما شارف الغرقا
طولاً وعرضاً فخلتُ البرّ قد غرقا
حتى حسبنا أديم الأرض محترقا
تضعضُ الفلّكُ الأعلى أو انطبعا

ومن ملح شعره في ذكر الزمان وبنيه ، وتعذر آماله فيه ^١ :

أرى الدينار للدنيا نسيباً
هما سيّان إن صحفتُ حرفاً
رأيتُ هواهما استولى علينا
يُحيدُ عن الكرام ^٢ كما تحيدُ
وجدتُ الرّاء تنقصُ أو تزيد
فنحن بحكمه أبدأ عبید

١ ورد في النسخ ٣ : ٥٦٧ خمسة أبيات منها .

٢ ط : المكارم .

يؤملُ أن يصيدهما فوادي
فكم أصغني إلى زورِ الأمانِي
والمحُ من سنا الدينارِ برقاً
يفوزُ به الخليُّ فيحتويه
يجدُ فاسعَ لا تحفلُ بجيدُ
فما حُسنُ التناولِ فات سمعي
إلى كم ينفرُ الدينارُ مني
ألم أنشدهُ في وادي هيامي
« حبيبي أنت تعلمُ ما أريدُ
وكم غنيتُ حين تنكبتني
« يريد المرءُ أن يُعطى مناه

فيرجعُ عنهما وهو المصيد
ويُغريني بها الحرصُ الشديد
غمامتهُ على غيري تجود
ويُحرّمُ وصلتهُ الصبُّ العميد
أبتُ لك صحبةً فيها الحدود
ولكن فاتهُ الجدُّ السعيد
ويطلبُ كفَّ مَنْ عنه يجيد
به لو كان يعطفهُ النشيد
ولكن لا ترقُ ولا تجود
منى شيطانها أبداً مرید
ويأبى الله إلا ما يريد »

وقال وقد طلق امرأته : [١٥٦ أ]

أما الزمانُ فرقَ لي من طَلَّةٍ
كانت تطلُّ دمي بسيفِ نفاقها
الذئبةُ الطلساءُ عند نفاقها
والحيّةُ الرقشاءُ عند عناقها

وقال في هرَّ له كان يسمي رشيماً :

تبَّيتُ الهزبرَ فبات شبلي
وأقصيتُ الغلامَةَ والقلاما
أوسدُ ساعدي خدِّي رشيقي
وأوسعهُ اعتناقاً والتراما
وأطوي طولَ ليلى ذِكرَ ليلى
ولا أقرا على سلمى سلاما

١ الطلة : الزوجة .

وقال في أحد الكتاب :

وأغرَّ ينتحلُ الكتابةَ خطَّةً متوقِّدٍ كالحبِّةِ النضناضِ
عشق السَّوادَ فأصبحتُ أسنانهُ تشري السَّوادَ ببيع كلِّ بياضِ
فإذا شحا فاه رأيتَ خنافساً يأوين من فيه إلى مرحاضِ

وقال :

وأبخرَ قصرٌ حديثاً له فقال الحضورُ فسا ذا الحدَثِ
فقلت لهم بادروا بالقيامِ فإن الفُساءَ نذيرُ الحدَثِ

وهذا كقول عبد المحسن الصوري^١ :

حديثه كالحديثِ يرفثُ كلَّ الرفثِ

ومن غريب ما قيل في البحر قول الحصري :

أبحرٌ لا يحبكُ فيه البخورُ حسَدَ الغائبين فيه الحضورُ
قلت لِمَا فسا بفيه علينا ما له آستُ فكذبتنا الأبور

وقال آخر :

أهدى مغيثُ هِرَّةٍ لقمةً أرسلها من فمه الأبحرِ
فبادر القطُّ إلى دفنها يحسبها من بعضِ ما قد خري

وقال أبو محمد أيضاً :

١ اليتيمة ١ : ٣١٨ .

أما الثنايا فلإني لست مشنياً
يبدو لطرفك منها حين تبصرها
عن الثناء عليها آخر الأبد
سن^١ كثل ميسن^٢ الصيقل الفرد
كان جن^٣ سليمان بنوا فمه
بنيان تدمر^٤ بالصفاح والعمد
يهدي إلى السمع من ألفاظه نغماً
كأنها نقتات^٥ السحر في العقد
له فم^٦ كحري في شكل صورته
« ترمي غواربه^٧ العبرين بالزبد »^٨

واستجزت لإثبات^٩ هذا إذ لم يصرح^{١٠} بأحد ، وقد قلت في غير موضع
من كتابي هذا إني نزهته عن الهجاء ، ولم أجعله ميداناً للسفهاء .

وقال من قصيدة :

أرى السيادة مذ صافحت هاجسها
فما تلاقيك إلا^١ وهي قائلة^٢
لأنني خطوط إليك الناس كلهم
أشكو إليك ولا عار^٣ بذي وصب^٤
الخرج^٥ أخرج رأسي من شبيبته
وفي الشهور إذا وافين لي شهر^٦
وما الهلال بمبيض^٧ لدى مقلي^٨
أو من دراهم مذ بانت^٩ منجمة^{١٠}
في كل^{١١} واد^{١٢} من التقوى تهيم بكا
قول^{١٣} التي شفها الصديق^{١٤} هيت لكا
ولم أزر سوق^{١٥} منهم ولا ملكا^{١٦} [١٥٦ب]
ألقى^{١٧} التداوي من أوصابه فشكا
فكلما افتر^{١٨} ثغر^{١٩} الشيب فيه بكى
يظل^{٢٠} عني^{٢١} فيه السر^{٢٢} منهتكا
كأنه من قنير^{٢٣} الشيب قد سبكا
علي^{٢٤} كدت^{٢٥} أسب^{٢٦} النجم والفلكا

١ علق ناسخ ط هنا بقوله : انظر هذا الحنا البشيع ، فسبحان من قدر علي بكتبه ، فإننا لله وإنا

إليه راجعون .

٢ ط د : أبيات .

٣ ط : الحرج .

وقال أيضاً في مثله ١ :

لولا الخراجُ خرجتُ عنه ولم تكنُ
قالوا الخراجُ فقلتُ ضُمُّوا خاءهُ
نُوبُ الزمانِ خواطراً بخواطري
فهو الخراجُ على سوادِ الناظرِ

وقال من قصيدة ٢ :

سافرُ فإنَّ القى من باتَ مفتتحاً
ولا يذودُ تلكَ عن وجهِ تصعُّبه
تنمَّرَ الدهرُ لي حتى مرقتُ له ٣
لا بدَّ أن يقعَ المطلوبُ في شركي
قاضي الجماعة في دار الإمارة لي
فلستُ أنشدُ والقاضي بقرطبةِ
« جار الزمانُ علينا في تصرفه
ولا أقولُ وعندي من تهمته
« عندي من الدهر ما لو أنَّ أيسره
أصغرتُ من زمني ما كنتُ أكبرهُ »

قُفِّلَ النجاحُ بمفتاحٍ من السِّفَرِ
قد ينبعُ الكوثرُ السَّلَسَالُ من حجرٍ
من قسوريِّ الدَّجى في فروة النمرِ
ولو بني وَكْرَهُ ٤ في دارة القمرِ
قاضي على الدهر إن لم يقض لي وطري
يُسَرُّ بالعدل والأحكام والسيرِ
وأي دهرٍ على الأحرار لم يجرِ
ما يطردُ الهمَّ عن نفسي وعن فكري
يُلْقَى على الفاتك الدَّوَّار لم يدرِ
لما نظرتُ إلى آياته الكبيرِ

وفيها :

وهاك بكرةً تريك الحسنَ في قحةٍ
إذا تجلَّتْ وَحُسْنُ البكرِ في الخفرِ

١ لم يرد البيتان في س .

٢ منها أربعة أبيات في كل من القلائد والحريدة .

٣ الحريدة والقلائد : الدهر حتى ما فرقت له .

٤ الحريدة والقلائد : داره .

لها بذكركَ أنفاسٌ مُعَطَّرَةٌ كما تنفست الأزهارُ في السحر
طالعٌ بغرتك الميمون طائرُها نواظراً بك في أمنٍ من الطير
ولا تدعني في كف الزمان سدىً كالقوس عطلها الرامي من الوتر
وقد تلينُ الليالي بعد قسوتها ويسمحُ الورْدُ بعد الشوك بالزهر
لم ألقَ في الورْد إلا ما أنسيتُ به وأنت لي وزرٌ من وحشة الصدر

قواه : « واو بنى وكره في دارة القمر » من قول المعري^١ :

ولو أنني في هالة البدر قاعدٌ لما هاب يومي رفعتي وجلالي

وأظنّ أبا ذؤيب افتتحه بقوله^٢ :

ولو أنني استودعته الشمس لا رتقتُ إليه^٣ المنايا عيْنُها أو رسولُها

وقال : [١٥٧أ]

جزى الله إخواني جميلاً^٤ فلأنني وجدتهم لي عُدَّةً في الشدائدِ
هم وصلوا كفي فكانوا سواعداً ولا خيرَ في أيدٍ بغير سواعدِ
أقلدُهم حُرَّ الثناء فإنهم يجيد المعالي واسطاتُ القلائدِ
أبا بكرٍ الأولى بحمدي وبالمنى نثرتُ على الأحرار دُرَّ المحامدِ
أهزُ حساماً من لسانِكَ إن سَطَّتْ مضاربُهُ ذلتْ رقابُ الشدائدِ

١ شروح السقط : ١٢١٠ .

٢ ديوان الهذليين ١ : ١٧٤ .

٣ ط د : استودعتها . . . إليها .

٤ س : جميعاً .

عسى أمني يحظى بإدراكِ سُؤْلِهِ فثمَرَ بالإنجاز أَيْنَكَ المواعِد

وله :

لم أكسهم مِدْحِي إِلَّا لَأَكْسُوهُمْ من سُرُوْهِمْ سُنَّةَ الْأَحْجَالِ وَالْغُرَرِ
ولم أزدْهُمْ بِهَا فَضْلًا وَهَلْ أَحَدٌ فِي وَسْعِهِ رَفَعُ قَدْرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ
مِنْ كُلِّ مَنْ يَدُهُ يَمْضِي بِهَا قَدَمًا بَاعَ طَوِيلٌ وَبَاعَ السِّيفُ ذُو قَصَرِ
بَحْرٌ وَصَارُمُهُ الدَّامِي بِرَاحَتِهِ نَهَرَ عَلَى ضَفْتَيْهِ يَانَعُ الثَّمَرِ

ومعنى هذا البيت كثير ، ومنه قول المعري^١ :

روضُ المنايا على أنْ الدماءَ به وإنْ تخالفنَ أبدالُ من الزَّهَرِ

وقوله : « ولم أزدْهم بها فضلًا » ، من السرق الواضح ، والاهتمام
القاضح ، وهو قول أبي الطيب^٢ :

مَنْ كَانَ فَوْقَ مَحَلِّ الشَّمْسِ مَوْضِعَهُ فَلَيْسَ يَرْفَعُهُ شَيْءٌ وَلَا يَنْضَعُ

وقال أبو محمد من قصيدة :

شاورْتُ في سِرِّي إِلَيْهِ عَزِيمَةً قُرِنْتُ بِسَعْيٍ لَا يَنْجِبُ نَجِيجِ
لَمْ أُدْرِ حِينَ عَلَوْتُ مَتْنَنَ بُرَاقِهِ أَعْلَى الْبَرَاقِ نَزْوَتْ أُمٌّ فِي اللُّوْحِ

١ شروح السقط : ١٥٨ .

٢ وصف السيف بأنه روض المنايا ، والدماء المختلفة فيه أنواع من الزهر .

٣ ديوان المتنبي : ٣٠٦ .

٤ ط د : تروت .

٥ سقط البيت من س .

ومنها :

يَحْتَابُ أَرْدِيَةَ الْعَجَاجِ وَنَحْتَهُ
شَيْحَانُ لَمْ يَعْرِفْ دَرِيْسُ قَمِيصِهِ
وَأَنَا الَّذِي أَخْضَيْتُ جَهْدَ خِصَاصِنِي
حَتَّى بَدَأَ مَاءُ النَّدَى مَرْتَقِرًا
وَأَجَلْتُ مِنْهُ نَوَاطِرِي فِي غُرَّةِ
قَاضِي الْقَضَاةِ الْمُجْتَبَى مِنْ مَعَشِرِ
مَمَّنْ تَرَفُّ لَهُ عَلَيْكَ جَوَانِحُ
كَمْ قُلْتُ إِذْ قَالُوا زَمَانٌ قَابِضٌ
إِنْ طَافَ مِنْ حَدَثَانِهِ الطُّوفَانُ بِي

أَشْلَاءُ ذِمْرٍ أَوْ صَفِيحُ ضَرْبِ
عَرَفَ الْكِبَاءِ سَوَى دَخَانِ الشَّيْخِ
مَنْ بَعْدَ مَا ارْتَشَقَتْ بِلَالَةِ رُوحِي
فِي صَفْحَتِي طَلَّقَ الْيَدَيْنِ صَفُوحِ
تَسْتَنْطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْبِيحِ
كُتِبَ الْمَدِيحُ بِهِمْ حُلًى مَدِيحِ
فِيهَا صَحِيحُ مَوَدَّةٍ وَجَنُوحِ
مِنْهُ الْكَرِيمُ عَلَى عَيْنَانِ جَمُوحِ
فَمَكَارِمُ الْقَاضِي سَفِينَةُ نُوحِ

وله فيه من أخرى^١ :

اللَّهُ أَكْبَرُ قَدْ وَافَيْتُ قَرْطَبَةَ
وَقَدْ تَهَلَّلَ بِي وَجْهُ النِّجَاحِ بِهَا
تَزْهَوُ الْعُلَا بِمَسَاعِيهِ إِذَا ذُكِرَتْ
لَمْ يُرْضِهِ عَرَضُ الدُّنْيَا فَجَادَ بِهِ

دَارَ الْعُلُومِ وَكُرْسِي السُّلَاطِينِ^٢ [١٥٧ب]
طَلَّقَ الْأَسْرَةَ مِنْ وَجْهِ ابْنِ حَمْدِ
زَهَوَ الْأَنْوْفِ بِأَنْفَاسِ الرِّيَاحِينَ
وَضَنَّ بِالْأَكْرَمَيْنِ: الْعَرَضِ وَالْدِينِ

١ فيه من أخرى : سقطت من ط د .

٢ ورد هذا البيت في النفع ٣ : ٢٦ .

انتهى السفر الثاني من الذخيرة والحمد لله حق حمده وصل الله على سيدنا ومولانا
محمد المصطفى الكريم ، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

وكان الفراغ منه عام خمسة بعد ألف في زوال

يوم الأربعاء الرابع والعشرون [كذا]

من ذي القعدة ، عرفنا الله خيرته ،

ووقانا ضيره ، بحمته ويمنه

تذليل و استدراقات

تذييل

حين كان هذا القسم يكاد يشارف النهاية في المطبعة ، وصلتني صورتان عن نسختين منه ^١ وإليك وصفاً موجزاً لكل منهما :

(١) نسخة الخزنة الملكية بالرباط (رقم : ٧٧٥٣) ورمزها (ك) ، وهي تشتمل القسم الثاني كله ، وتضم ٢١٥ ورقة ، وفي كل صفحة من صفحاتها ٢٣ سطراً ، ومعدل الكلمات ١٣ كلمة في السطر الواحد ؛ مكتوبة بخط مغربي حديث ، وفي بعض سطورها تحشيات بخط أحدث ، وفي أوراقها اضطراب ، وفيها خرم ضاعت بسببه بضع صفحات .

ويمكن أن تعدّ هذه النسخة دون تردد من فئة (ط) ولهذا نجدها تطابق (ط د) بوجه عام وربما انفردت بزيادات قليلة (وخاصة في إحدى قصائد ابن عمار وفي بعض أبيات للمعمد) ، وهي لا نشذ عن (ط د) في القراءات حيث تكون هاتان متطابقتين . وتنفرد بعد ذلك بقراءات بعضها مرجح على ما عدها . وهذا أثبتته في الاستدراكات التالية : وبعضها مرجوح ولذلك أرجأته إلى جزء أخصصه للتعليقات العامة على جميع أقسام الذخيرة (وهو فيما أقدر سيكون جزءاً تاسعاً ، إذا وفقني الله إلى انجازه) ، وهذا القسم المرجوح هو الذي تنفرد به (ك) عن أخيها (ط د) ، فأما ما تنفق فيه معهما فلا أرى داعياً لإثباته .

(٢) نسخة المكتبة البوذية بباكسفورد (I: 749) ورمزها (ل) ، وهي أصل

^١ تطف الصديق الدكتور عدنان البغيت ، الأستاذ بالجامعة الأردنية . فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة الخزنة الملكية رقم 7753 كما تطف الابن العزيز الأستاذ رمزي بعلبكي فأرسل إلي ميكرو فيلم عن نسخة المكتبة البوذية بباكسفورد . فال الصديقين ، جزيل الشكر وأوفاه .

النسخة (س - الباريسية) ولذلك تقع في فئة النسختين (م س)، إلا أنها أكلت من (م) لأن هذه الأخيرة تقف عند جانب من ترجمة ابن عبدون، وأصح كثيراً من (س) التي تشاركها في الأخطاء الأصلية وتضيف كثيراً من الأخطاء الجديدة. ولما كانت كذلك فإنها تتمتع بما في النسختين من زيادات أشرت إليها في الحواشي؛ وربما كان خطها المغربي الدقيق الجميل يشير إلى أنها من أقدم ما لدينا من نسخ الذخيرة. إلا أنها لا تحمل تاريخاً للنسخ. وتقع في ٢٣٠ ورقة وفي الصفحة الواحدة ٢٥ صفحاتها ٢٥ سطراً، ومعدل الكلمات في السطر الواحد ١٢ كلمة. وتحتل بعنوانات للفصول والفقرات مكتوبة بخط كبير.

وقد اعتمدت بعض قراءاتها الضرورية لقارئ هذا القسم وأدرجتها في الاستدراكات التالية معتمداً بالمقارنة الشاملة للجزء الخاص بالتعليقات العامة.

مما تقدم يتضح أن هاتين النسختين لوقوعهما في فئتي المخطوطات التي اعتمدتها منذ البداية لم ينتشلا هذا القسم من الذخيرة مما يشكوه من نقص متصل بترجمة البكري وترجمة ابن حجاج (التي لا وجود لها في المخطوطات المتوفرة لدي) - كما وضحت في مقدمة هذا القسم - ولكنهما قد متا بعض الفائدة في ترجيح بعض القراءات على البعض الآخر.

استدراكات^١

٧٤ حاشية رقم ١ : البيتان المشار إليهما لا يردان في هذا القسم ، فالقول بوزودهما وهم .

٢٧٤ : ٨ - ٩ أن غماءهم لا تنفرج ، وظلماءهم لا تنجلي ولا تتبليج (كما قدرت في الحاشية رقم : ٤)

١ ميزت ما اعتمدت فيه على النسخة (ل) بإثبات هذا الحرف إلى جانب القراءة المرجحة ، ومعنى ذلك أن كل ما لم يرفق به رمز فانه مستمد من (ك) : والرقم الأول يشير إلى الصفحة والثاني إلى السطر .

ومجلي دياجير الظلم والظلم	٢٨٦ : ١١
وتعطلت أجيادُ الأنوار	٢٩٠ : ٣
من عتتم الكتاب	٣٠١ : ١٥
فكيف تزلُّ (لعلها : تزل) لي عن صهوة الابتداء	٣٢٩ : ٤
أن يشدَّ على علق مضنة منه يده	٣٣٩ : ٩
زاد في (ك) بعد السطر : ١٣ :	٣٤٨ :
كلام لو ان البقل أدلى بمثله رمى البقل واخضرَّ العضاء المصيف	
وابذل لها (احذف كلمة : بها)	٣٥٠ : ١٢
وأعرب عن تحيزته وانتسب .	٣٥٤ : ٩
وبعد انتبازه من منازلة شلب	٣٧١ : ١٠ - ١١
أما معاني أول هذه القصيدة (كما في النسخة : د)	٣٧٧ : ٢
زاد في (ك) بعد السطر : ٦ : وقد رأيت البيت الأول منهما	٤٠٩ :
على قافية أخرى :	
أسأت إلي فاستوحشت مني ولو أحسنت أنسك الجميلُ	
من حَفَّ أظآر العلا في معشر	٤٥٧ : ٥
يا تربة استبقي سناه ويا بلى	٤٨٤ : ١٧
والفاظ التأين مبنية على كثرة التفجع .	٤٨٩ : ٨
الشماثل الواعدة الصادقة .	٦٨٢ : ٢٠ - ٢١
إذا شهدوا القتال (ل = كما في الديوان)	٧٣٢ : ١٩
إذا التقت الرياح (ل = كما في الديوان)	٧٣٣ : ٣
أحال بالدين والدنيا على الخبر (ل)	٧٤٥ : ٣

- ٧٤٦ : زاد في (ل) بعد السطر : ١٩ البيت التالي :
- أجلتها فاستبانت نصف دائرة لو كلفت شأوها الأفلاك لم تسر
- ٧٤٨ : ٤ غير نفس حرة زاحمت به (ل) .
- ٧٤٩ : ٥ أهلاً بمنهل من الغيث (ل) .
- ٧٥٥ : ١٤ ويميد بعض الريش إلى جناحي .
- ٧٥٨ : ٩ أمّلكَ أبا الحسين (كما قدرت في الحاشية رقم : ٣)
- ٨٧٣ : ٨ فسيل ما وردني به الآن .
- ٧٩٤ : ٣ اقرأ : وإن كان [ابن المعتز] قد تقدم في تقسيم التشبيه . . .
- والبيت التالي في غرائب التشبيهات : ٣٦ لابن المعتز ، وينسب أيضاً للصنوبري : انظر ديوانه : ٤٨٧ .

فہارسُ الکتابِ

١ - فهرس الأعلام

أ	ابن أبي (أبو جعفر) ٧٤٢ ، ٧٤٣
آدم ١٥٦ ، ٥٨٤ ، ٨٢٠	أحمد (في شعر) ٤٠٩
الأمدي ٦٤٤	أحمد (دون تعيين) ٧٤٤
ابن الأبار أبو جعفر ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩ ، ١١١ ، ١١٢ ، ١٢٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٣ (١٣٥ - ١٥٨)	أحمد ابن أبي أحمد المتوكل ٢٥
— ٢٠٩ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧	أحمد بن الحسين المتنبى أبو الطيب ، انظر : المتنبى
أبان بن عبيد ٣٩٧	أحمد بن صالح ٣٩٠
إبراهيم (الخليل) ٢١١	أحمد بن عبد الله بن هريوة ، انظر : الأعمى التطيلي
إبراهيم الشاشي ٧٩	أحمد بن علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة
إبراهيم بن العباس الصولي ، انظر : الصولي	أحمد بن محمد البلعي الاشبيلي (٢١٣ - ٢١٤)
ابن أبي ربيعة ، انظر : عمر بن أبي ربيعة	أحمد بن المدبر ٨١٢ ، ٨١٣
ابن أبي زرعة ١٤٨	الأحيمر ٦٤٦
ابن أبي عامر ، انظر : المنصور	ابن الأخضر (علي بن عبد الرحمن) ٣١٠
ابن أبي عتيق ٢٢٥	الأخطل التغلبي ١٤٧ ، ٥٤٤ ، ٦٣٠
ابن أبي قرعة اليفرني ٣٩	
أبي (والد أبي جعفر) ٧٤٤	

١٤ ، ١٥ ، ١٩ ، ٢٢ ، ٢٩

إسماعيل بن عباد (ابن المعتضد)

٥٠ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٨٣ ،

١٨٤

إسماعيل بن محمد الملقب بحبيب

(١٢٤ - ١٣٥) ، ٢٠٠ ، ٢٠٢

الأشتر النخعي ٨٩٦

أشجع السلمي ٤٨٤

أشعب ٤١٥

الأصمغ ٦٣٨

أبو الأصمغ ٧٣٠

أبو الأصمغ ابن سعيد (٢٠٩ -

٢١٠)

الأصمعي ١١٧ ، ٢٢٤ ، ٥٨١ ،

٥٨٢

ابن الاطنابة ٧٦١

الأعشى ٢٠١ ، ٦٩١ ، ٧٧٢ ،

الأعشيان ٧٢٧

الأعدى التطيلي (أبو جعفر أحمد بن

عبدالله بن هريرة) ٥٤٤ ،

٧٢٤ ، (٧٢٨ - ٧٥٣)

الأعلم (يوسف بن عيسى أبو

الحجاج) ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٨٤

الأخطلي ٧٦٧

الأخشان ٧٢٧

ادريس بن يحيى الحمودي ٦٥٨ ،

٧٩١ ، ٧٩٢

ادريس بن اليماني ١٠٦ ،

١٣٦ ، ٦٩٢

اذفونش بن فردلند ٢٤١ ،

٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٦ ، ٢٤٧ ،

٤١٠ ، ٤٣٦ ، ٦٥٠ ، ٨١١

أربد (أخو لبيد) ٣٤٩

ابن أرقم ، أبو الأصمغ ٤٦

ابن الاستجي ، أبو الحسن

(٢٠٠ - ٢٠٦) ، ٦٣٧

إسحاق الموصلبي ٢٢٤ ، ٣٤٩ ،

٣٨٥ ، ٧٠٧

إسحاق بن كيخلف ٣٣٤

إسحاق بن معل ٤٨٧

الأسعد بن بليطة ٤٤

إسماعيل البرمكي ٥٥٣

إسماعيل بن عباد (جد المعتضد)

٢٣٤

إسماعيل بن عباد (أخو المعتضد)

الباجي (جعفر بن يوسف) ١٨٦	ابن الأفتطس ٥٤٤
الباجي (سليمان بن خلف أبو الوليد)	ابن الأفتطس (المتوكل) ، انظر :
(٩٤ - ١٠٥)	المتوكل ابن الأفتطس
الباجي (عبد الله بن جعفر) ١٨٦	ابن الأفتطس (المظفر) ، انظر :
الباجي (يوسف الجحد) ١٨٦	المظفر بن الأفتطس
ابن الباجي (يوسف بن جعفر ،	ابن الأفتطس (والد المظفر) ٢١
أبو عمر) (١٨٦ - ٢٠٠)	امروء القيس ١٤٥ ، ١٤٦ ،
٢٦٦ ، ٣٤٢	١٥٣ ، ٢٥٠ ، ٣٥٧ ، ٤٤٦ ،
باديس بن حبوس ٣٣ ، ٤٩ ،	٤٤٩ - ٤٥٥ ، ٥٥٠ ، ٦٩٠ ،
٥٠ ، ٢٣٧	٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧٢١ ،
باقل ١١٧ ، ١٨٢	٧٤٧ ، ٧٦٦ ، ٧٩٤
بجير بن الحارث ٦٢٨	أم الربيع (جارية المعتمد) ٤٣ ، ٤٤
البحري ١٢ ، ٩١ ، ٢٢٢ ،	أم مالك ١٠٢
٣٥٤ ، ٣٨٧ ، ٣٨٩ ، ٤٦٩ ،	أمير المسلمين وناصر الدين ، انظر :
٤٩٢ ، ٤٩٩ ، ٥١٢ ، ٧٧٧	علي بن يوسف بن تاشفين ،
بديع الزمان الهمداني ٥٣٨ ، ٦٩٦	يوسف بن تاشفين .
ابن برد الأصغر ، أبو حفص	الأمين العباسي ١٥٢ ، ٧٢٣
١٢٧ ، ٢٣١ ، ٨٠٥	أبو أنس (الضحاك بن قيس) ٧٢٢
البرغواطي ، انظر : سقوت بن محمد	أويس القرني ٦٧٢
ابن برلوصة البطليوسي ، أبو عمر	ابن أيمن ، أبو عبد الله (٦٥٢ - ٦٦٨)
(٨٠٥ - ٨٠٧)	أبو أيوب ٧٧٩
ابن بسام الشتريني ١١ ، ١٣ ،	ب
	ابن بابك ١٦٨ ، ٧٤٧

أبو بكر الخولاني المنجم ٢٤٤، ٥٦	١٨ ، ٢٣ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٨
أبو بكر الداني ، انظر : ابن اللبانة	٤١ ، ٤٩ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٦٩
أبو بكر الصديق ٩٤ ، ٤٤١	٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٤٢
أبو بكر ابن الاشيلي الحكيم ٣٨٥	١٤٩ ، ١٥١ ، ١٥٥ ، ١٦٨
أبو بكر بن سعيد البطليوسي (ابن القبطورنه) ٧٤ ، ٦٠٨	١٨٦ ، ٢٢١ ، ٢٦٨ ، ٢٨٤
٧٠١ ، (٧٥٣ - ٧٧٣)	٣٧٦ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٣٩٧
البكري ، انظر :	٤١٧ ، ٤٢٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥
أبو الحسن غلام البكري	٤٤٦ ، ٤٥٢ ، ٤٦٢ ، ٤٧٩
أبو زيد البكري	٤٩٩ ، ٥٤٤ ، ٥٥٠ ، ٥٧٩
أبو عبيد البكري	٥٨١ ، ٦٣١ ، ٦٣٤ ، ٦٣٧
ابن بلبل ، انظر : أبو الصقر ابن بلبل	٦٤٢ ، ٦٥٠ ، ٦٧٩ ، ٦٨٩
بلج بن بشر القشيري ١٤	٧٠٤ ، ٧٨٤ ، ٧٩٠ ، ٧٩٧
ابن بياح السبتي أبو الحسن ٧٣٠	بسطام بن قيس ٧٢٩ ، ٧٦٩
٧٣٢ ، ٧٣٣	٧٧٠
ابن بيض ٧٦٠	بشار بن برد ٤٢ ، ٢٢٥
ابن البين البطليوسي ٢٢٢ ،	٢٩٦ ، ٦٨٥ ، ٧٧٧
(٧٩٩ - ٨٠٣)	بشر بن أبي خازم ٧١٣
ت	ابن بقي ، أبو بكر (يحيى بن محمد)
٥٥٠ تبع	(٦١٥ - ٦٣٦)
٨٢ الترمذي	أبو بكر ٧٨٤
أبو تمام ٦١ ، ٧٨ ، ٩١ ،	أبو بكر (في شعر) ٦١٨
	أبو بكر (صديق ابن بقي) ٦١٦

١١٥ ، ١٢٠ ، ١٤٧ ، ١٧٠ ، ابن الجلد أبو الحسين (الحسن)
 ١٧١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٤ ، ٢٥٦ ، (٥٥٦-٥٦٢)
 ٣٢٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٤٤٢ ، ابن الجلد ، أبو القاسم (٢٨٥ -
 ٤٤٣ ، ٤٦٩ ، ٤٨٩ ، ٤٩٢ ، (٣٢٢) ، ٣٤٢ ، ٣٤٧ ،
 ٤٩٣ ، ٥١٣ ، ٥٥٢ ، ٦٠٥ ، ٣٥٣ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ، ٦٧٧ ،
 ٦١٨ ، ٦٢١ ، ٦٢٩ ، ٦٤٣ ، ٦٧٩ ، ٧١٥

جذيمة الأبرش ٦٣ ، ٧٢٥ ،
 ابن الجراح الوزير ١٣٩ ،
 ١٤٠

التنوخي القاضي ٦٣٣ ،
 التهامي أبو الحسن ٢٤٨ ،
 ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٧٩٥

ث

ثابت بن أبي ثابت ١٥٤ ،
 الثعالبي ، أبو منصور ١٥٢ ،
 ٦٣٣ ، ٧١٣ ، ٧٣٤ ، ٨٣٦ ،
 ثعلب ٧٢٧

ج

جابر بن المعتضد ٥٠ ،
 الجاحظ : أبو عثمان ٦١ ،
 ١١٧ ، ٢٨٥ ، ٧٠٣ ،
 أبو جعفر المحدث ٤٩٤ ،
 أبو جلدة اليشكري ٧٦٠ ،
 جمل ٦١٣

ابن جمهور ٢٥٦ ، ٤٥٠ ، ٤٥١	حبيب الوزير (محمد بن أحمد بن عامر) ١٩ ، ٢٤
الجميع (منقذ بن الطماح) ٧٠٠	حبيب بن أوس ، انظر : أبو تمام
جميل بن معمر ٤٥١ ، ٧٠٥	ابن حبيب ، انظر : إسماعيل بن محمد
جنوب أخت عمرو ٥١٣	
ابن جهور ١٨ ، ٣٣ ، ٣٧	ابن حجاج البغدادي ٧٨٤
ابن جهور ، أبو الوليد ١٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٣٥ ، ٢٣٧	ابن حجاج ، أبو بكر ٤٦٨
الجونان (عمرو ومعاوية) ٧٢٦	حجر بن عمرو الكندي ٧٢١
ح	ابن حزم ، أبو بكر ٦١١
حاتم الطائي ١٠٧ ، ٣٦٦ ، ٣٩٥ ، ٦١٧ ، ٦٢٨ ، ٦٨٧	ابن حزم ، أبو الحكم (٥٨٨ - ٦١١ ، ٦١٠ ، ٦١١)
أبو حاتم الحجاري ٤٤٣ ، ٦٣٤	ابن حزم ، أبو محمد ٩٦ ، ٦٧٩
أبو حاتم السجستاني ١٣٨ ، ١٣٩	ابن حزم ، أبو المغيرة ٣٢١ ، ٦٧٩
حاجب بن زرارة ٧٦٦	ابن حزم ، أبو الوليد ٢٢٢ ، ٥٨٨ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٨)
الحارث بن بسخر ٤٠٥ ، ٤٠٦	(٦١٥ -)
الحارث بن ظالم ٧٦٦	حسام الدولة بن رزين ، انظر : ابن رزين
الحارث بن هشام ٢٤٦ ، ٢٥٠ ، ٢٥١	

حسان بن ثابت ٣٢ ، ٢٥٠ ،	ابن حصن ، أبو الحسن (١٥٨)
٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٦٧٣	— (١٨٦) ، ٢٠٥ ، ٦٩١
حسان بن المصيصي ٢٤٨ ،	الحصين ٦٩٢
٢٧٣ ، (٤٣٣ — ٤٥١) ٥٩١	الحصين بن الحمام المري ٣٣٣
ابن حسداي ، أبو الفضل ٤٠١	ابن الحضرمي ، أبو الوليد ٣٩١
الحسن بن حسان ، انظر : السناط	٦٤٦ ، ٦٥٢
حسن بن علي بن أبي طالب ٧٢٢	ابن الحضرمي ، محمد بن عيسى
الحسن بن عمر الهوزني ، انظر :	٣٧٩ ، ٧٤١
الهوزني ، أبو القاسم	الحكم المستنصر ٦٤١
الحسن بن هانيء ، انظر : أبو نواس	حكم الوادي ٦٣١
الحسن بن وهب ٧٥٦ ، ٧٦١	الحليس ٦٨٧
أبو حسن ٥٩٠	حمدويه الأحول ٤٦٩
أبو الحسن بن سعيد البطلبوس	ابن حمديس الصقلي ٧٦ ،
٧٤ ، ٥٨٨ ، ٧٥٣ ، ٧٦٩ ،	٦٢٤
٧٧٢ ، ٧٧٣	ابن حمدين القاضي ، أبو عبد الله
الحسين بن علي بن أبي طالب ٧٢٢	٢٢٢ ، ٢٦٠ ، ٥٦٩ ، ٧٤٧ ،
أبو الحسن (غلام) البكري	٧٤٨ ، ٧٥٠ ، ٧٦٤ ، ٨١٧
(٥٦٣ — ٥٧٣)	حمزة بن عبد المطلب ٧٢٢
الحصري المكفوف ٦٦ ، ٦٧ ،	ابن الحنات الرعيني ١٩٥
١٤١ ، ٥٥٧ ، ٦١٨ ، ٦٦٢ ،	حنظلة الكاتب (حنظلة بن الربيع)
٨٤٥	٨١٤
حصن بن حذيفة ٤٨٩	أبو حنيفة الدينوري ٢٠١
	حواء ٧٦٤

ابن حيان، أبو مروان المؤرخ ، ١٤ ، الخنساء (تماضر) ٧٠ ، ١٢٣ ،
 ١٦ ، ١٨ ، ١٩ ، ٢٤ ، ٢٨ ، ٤٤٩ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٧٢٠ ،
 ٣٣ ، ٤٠ ، ٢٣٣ ، ٦٣٧ ، خولة ٩ ،
 ٦٤١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٨ ، ابن خيرة الصباغ (٢١٠ -
 أبو حية النميري ٤٧٦ (٢١٢)

د

دارا ٧٢١ ،
 ابن داود الظاهري ١٣٩ ،
 ابن الدب ، أبو مروان ٣٢٤ ،
 ابن الدباغ ، أبو المطرف ٣٩٢ ،
 ٦٥١ ، ٦٥٣ ، ٦٦٤ ،
 ابن دراج القسطلي ٤٦٩ ،
 ٦٩٢ ،
 دريد بن الصمة ٢٧٢ ، ٤٩٠ ،
 دعبل الخزاعي ٥٤٤ ،
 دتمي ٦١٧ ،
 دعيص الرمل ٧٦٦ ،
 أبو دلامة ٥٤ ، ٥٥ ،

ذ

أبو الذبان ، انظر : عبد الملك بن

خ

خارجة السهمي ٧٢٢ ،
 ابن خاقان (وزير المتوكل) ٣٨٦ ،
 خالد ٦٩٠ ،
 خالد بن جعفر ٧٨٤ ،
 خالد بن الوليد ٨٧ ،
 خالد بن يزيد ١٤٧ ،
 خبيب (بن عدي الأنصاري)
 ٧٢٢ ،
 ابن خزرون ٢٨ ، ٣٩ ،
 الخصيب (والي خراج مصر)
 ٨٢٦ ، ٨٢٧ ،
 ابن خلدون ، أبو محمد
 ٧١٩ ، ٧٢٠ ،
 خلف الأحمر ٦٣٣ ،
 الخليل بن أحمد ٧٢٧ ،

ريبعة بن مكرم ٤٦٠	مروان
ابن رزين، حسام الدولة ٢٢١ ،	أبو ذر الغفاري ٦٤٢
٢٢٩ ، ٤٠٠	ذو الاصبع العلواني ١٢
رستم ٧٢٢	ذو حاجب ٧٢٢
الرشيد (هارون) ٣٤٩	ذو الخمار ٦٤٢
الرشيد بن المعتمد ، أبو الحسين	ذو الرمة ١٣٣ ، ١٦٩ ،
٣٨٥ ، ٤٠٥ ، ٤٠٧ ، ٤٢٦ ،	٦٩١ ، ٧٠٢ ، ٧٩٤
٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٩٩ ،	ذو القروح ، انظر : امرؤ القيس
٥٠٠ ، ٥١٠ ، ٥١١ ، ٥٢١ ،	ذو الكلاع الأصغر ٨٢
٧٠٨ ، ٧٠٩	ذؤاب بن أسماء ٢٧٢
ابن رشيق الأندلسي ٧٧٠	أبو ذؤيب الهذلي ٤٢٢ ، ٨٤٨
ابن رشيق القيرواني ١٦٤ ،	ابن ذي النون ، انظر : المأمون
٤٣٨	ابن ذي النون
الرضي ، انظر : الشريف الرضي	ر
الرمادي (يوسف بن هارون)	الراضي بن المعتمد ، أبو خالد
١٤١ ، ١٥٦ ، ٣٧٧ ، ٤٦٧	٦٩ - ٧١ ، ٢٨٥ ، ٤٢٢
٤٦٨ ، ٧٠٣	- ٤٢٤ ، ٤٢٨
رملة بنت الزبير ١٤٧	الرباب ٦٦
روح بن حاتم المهدي ٥٥ ،	ابن رباح ، أبو تمام ٤٧٠ ، ٧٠٥
٥٦	٨٣٦
روح بن زنباع ٦٩٤	الربيع بن زياد ٧٢٥
ابن الرومي ٩١ ، ١٣١ ،	

١٤٦ ، ١٥٥ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ ، زهير الصقلبي ١٧
 ٢٥١ ، ٣٧٩ ، ٤٨٨ ، ٤٩٦ ، زهير بن أبي سلمى ٧٧٢
 ٦٠٥ ، ٦٣٢ ، ٦٩٥ ، ٧٠١ ، زهير بن مسعود ٦٨٧
 ٧٦٨ ، ٧٦٩ ، ٧٩٣ ، ٨٤٢ ، زياد بن أبي سفيان ٣٨٣ ،
 ٣٩٩ ، ٥٦٣

ز

الزباء ٦٣
 الزبرقان بن بدر ٥٤٤
 الزبيدي ، أبو بكر ١٩
 الزبير بن العوام ٧٢٢
 الزريزير ٣٤٧ ، ٣٤٨ ، ٣٥٣
 زفر بن الحارث ٦٩٤ ، ٧٢٢
 ابن الزنجاري ٦٨
 زيد الخليل ٦٤٢ ، ٦٤٦
 زيد بن ثابت ٨١٤
 أبو زيد البكري ٣٦ ، ٢٣٣ ،
 ٢٣٤
 ابن زيدون ، أبو بكر ٤٢٩ ، ٧١٠
 ابن زيدون ، أبو الوليد ٥١ ،
 ٥٢ ، ١٥٩ ، ١٦٠ ، ١٧٣ ،
 ٢٣٩ ، ٣٧٨ ، ٤٦٣

س

سابور العامري ٦٤١
 سالم بن عبد الله ٣٥٧
 أبو سالم العراقي ٤٢٢
 سحبان وائل ١١٧ ، ١٨٢ ،
 ٦٧٣ ، ٣٥٧
 سحر (جارية المعتمد) ٤٥
 سحيم (عبد بني الحسحاس) ١٥٥
 ابن زهر (محمد بن مروان) (٢١٩)
 ابن زهر ، أبو العلاء (٢١٨)
 - (٢٣١) ، ٥٩٣ - ٥٩٥ ،
 ٦١٦ ، ٦١٨ ، ٦٩٦ ، ٧٤٥ ،
 ٧٤٧
 ابن زهر ، أبو مروان (٢١٩)

سراج الدولة، انظر: عباد بن المعتمد	سقوت بن محمد البرغواطى (المنصور
سراج الدولة	المعان) ٣٧ ، ٤٠ ،
ابن سراج ، أبو الحسين ٣٤٧ ،	٦٥٧ - ٦٦١
٣٤٨ ، ٥٧٣ ، ٦٢٨ ، ٧٥٤ ،	ابن سكرة ٨٣٤
٧٥٨ ، ٧٦٧	السلامى ، أبو الحسن ٥٠٥ ،
ابن سراج ، أبو مروان ٤٧٤	٧٠٢ ، ٨٣٦
ابن سريج (المغنى) ٧٦٠	سلمى ٧٤٣ ، ٨٤٤
ابن سريج ، أبو العباس ١٣٩	أبو سلمة الخلال ٧٧٠
سعد (حاجب ابن خاقان) ٣٨٦ ،	سليمى ٧٤ ، ٢٢٤ ، ٥٥٢
٣٨٧	سليمان بن الحكم ، انظر : المستعين
سعد بن أبي وقاص ٧٢٢	سليمان بن داود ٤٦٣ ، ٥٠٧
أبو سعد المخزومي ٤٤٣ ، ٤٢	٨٤٦
سعد الدولة بن لبون ، أبو الأصبغ	السمناني القاضي ٩٩
٢٦٣	السهرى العكلى ٧٢
سعدى ٦١٣	السناط (الحسن بن حسان) ٧١٨
سعيد بن حميد ٧٢٩ ، ١٣٨	سهل بن هارون - ٧٢٩
سعيد بن هارون (صاحب اكشوبة)	ابن سوار الأشبوني ، أبو بكر
٣٦	٢٢٢ ، ٧٦٦ ، (٨١١ - ٨٣٣)
أبو سعيد الثغري ٥١٢	ابن سوار الشترىفى ، أبو عامر
السفاح ٧٢٢ ، ٣٤٢	٤٧٩
ابن السقاء (ابراهيم بن محمد)	ابن سيرين ٧٦٤
٢٣٧	سيف الدولة الحمداني ٢٢٦ ،

شيبان الخارجي ٥٤

أبو الشيص ٨١٧

ص

الصاحب بن عباد ٢٢٢ ، ٤٦٢

ابن صاحب الأسفيريا ، انظر :

ابن فتوح

ابن صارة الشنتريني ٦٩٦ ،

(٨٣٤ - ٨٥٠)

صاعد بن الحسين ٢٧ ، ٢١٦

صاعد بن مخلد ٢٢٢

صالح (النبي) ٤١٢

صالح بن صالح الشنتمري (٥٧٣)

(٥٨٧ -

صخر (أخو الخنساء) ١٢٣ ،

٤٤٩ ، ٧٢٠

صريع الغواني ١٣٦ ، ٤٨٦ ،

٧٠٣ ، ٦٩٤

صفية بنت عبد المطلب ٤٤٠

أبو الصقر ابن بلبل ٣٩٩

ابن صمادح ، أبو يحيى ٢٦٢ ،

٤٧٥ ، ٢٦٤

٢٤٦ ، ٤٩٠ ، ٥٤١

سيف بن ذي يزن ٦٩٤ ،

٦٩٥

ش

شأس بن عبدة ٧٦١

ابن شبرين ٧٦٤

شبيب بن شيبه ٧٦٠

ابن شرف ، أبو عبد الله ٤٣٦ ،

٦٤١ - ٦٤٣ ، ٦٤٦

ابن شرف ، أبو الفضل ١٥٨ ،

٤٩٢ ، ٤٩٣ ، ٨٠٥

شريح القاضي ٨٣٣

الشريف الرضي ١٤٠ ، ٣٧٩ ،

٦٢٢ ، ٧١٤

ابن شماخ (عبد الملك) ٤٩٤

شمر بن ذي الجوشن ٧٢٢

شمس المعالي (قابوس) ٥٣٨

شميسة (والده ابن عمار) ٤١٤

الشنفرى الأزدي ٧٦٩ ، ٧٧٠

ابن شهيد ، أبو عامر ٧٢ ،

٤٥٨ ، ٤٦٦ ، ٥٨٧ ، ٨٢١

أبو محمد بن سعيد	الصمة القشيري ١٣٧
طلحة بن عبيد الله ٦٥١	الصولي ، ابراهيم بن العباس
الطليق المرواني ٣٨٩	٨١٢ ، ٨١٣
الطماح الأسدي ٤٤٦ ، ٤٤٧	الصولي ، أبو بكر ٤٢ ، ١٣٨ ، ٣٨٩
أبو الطيب ، انظر : المتنبي	ابن الصيقل اليابري ٨٠٦ ، ٨٠٧
الطيب (علي بن إسماعيل القرشي)	
(٧٩٧ - ٧٩٩)	
ابن طيفور ٢٠	
ظ	ض
الظافر بن المعتمد ١٢٣ ، ٢٧٦	ضياء الدولة بن سقوت ٦٦١
ع	ط
عامر بن الطفيل ٦٤٢ ، ٦٤٦ ، ٦٧٩	طاهر بن الحسين العلوي ٣٨٠
أبو عامر ٧٦٨	ابن طاهر ، أبو عبد الرحمن ٨٢ ، ٤١٠ ، ٤١٢
أبو عامر (صديق ابن الجحد)	أبو طاهر ٥٥٢
٣١٩ - ٣٢١	الطائي الأصغر ، انظر : البحري
عائشة (أم المؤمنين) ١٧١ ، ٧٥٨	الطائي الأكبر ، انظر : أبو تمام
عباد بن القاضي أبي القاسم محمد ، انظر : المعتضد	طرفة بن العبد ٧٠٩
عباد بن المعتمد ، سراج الدولة	ابن طريف ، أبو الوليد ٤١٧
	طلحة الفياض ٧٢٢
	طلحة بن سعيد البطليوسي ، انظر :

أبو عمرو ٧٠ ، ٢٦٦ ،	ابن عبد الصمد السرقسطي ٤٩٣
٢٦٨ ، ٢٧٠ - ٢٧٢	ابن عبد العزيز ، أبو الأصمغ
ابن عبادة القزاز ٢٤٤	٢٠٤ ، ٢٠٥ ، (٢٠٦ - ٢٠٩)
العباس بن الاحنف ٩٨٢ ،	ابن عبد العزيز ، أبو بكر (ابن
١٣٧ ، ٢٢٥ ، ٥١٤ ، ٧٧٧ ،	المرخي) ٤١٠ ، (٥٣٣ -
٧٣٨	(٥٥٦
العباس بن المتوكل بن الأفطس	ابن عبد العزيز ، أبو مروان ٥٣٥ ،
٦٥١ ، ٧٢٣	٥٣٦
ابن عباس ٧٧٨	ابن عبد الغفور ، أبو القاسم
أبو العباس ٦١٠	(٣٢٣ - ٣٢٥)
ابن عبد البر ، أبو محمد ٩٦	عبد الغفور بن أبي القاسم ، أبو
ابن عبد البر الشنبريني ٤٦٦	محمد (٣٢٥ - ٣٦٨) ،
عبد الجليل بن وهبون المرسى ،	٧٠١
انظر : ابن وهبون	عبد الله (ممدوح ابن الأستجي)
عبد الحميد الكاتب ٥٣٨ ،	٢٠٠ ، ٢٠١
٧٨٠	عبد الله بن الزبير ٧٢٢
عبد الرحمن بن معاوية (الداخل)	عبد الله بن الصمة ٢٧٢
٨٢ ، ٣٩٧	عبد الله بن طاهر ٥٥٢ ، ٧٥٧
عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني ،	عبد الله بن مسلمة ٦٤١
انظر : ابن مقانا الأشبوني	عبد المجيد بن عبدون ، انظر :
عبد الرحيم الوزير ٣٦	ابن عبدون
ابن عبد الصمد ، أبو بحر ٥٧	عبد المحسن الصوري ٣٨٤ ،

عبيد الله بن زياد ٧٢٢	٨٤٥
عتاب ٦٤٦	عبد الملك ٧٤٤
العتابي (كلثوم بن عمرو) ٢٨٥	عبد الملك بن محمد بن زهر ، انظر :
٥٨١	ابن زهر ، أبو مروان
عتاد اللولة بن سهيل ٤١٧	عبد الملك بن مروان ٦٣ ،
أبو العتاهية ٦٠ ، ٧٩٧	٧٢٢
عتيبة ٦٤٦	عبد الوهاب المالكي ٩٦
عثمان بن ادريس ٤٦٩	عبدة بن الطبيب ٤٤٨
عثمان بن عفان ٤٨٩ ، ٥٦٠ ،	ابن عبلوس ٤٦٧
٧٢٢ ، ٨١٤	ابن عبدون ، عبد العزيز ٧١٩
عدي ، انظر : مهلهل	ابن عبدون ، عبد المجيد ٣٠ ،
عدي بن الرقاع ٥١٢ ، ٥١٣	٣١ ، ٦١ ، ٢٢٨ ، ٤٤٢ ،
عدي بن زيد ٥٩ ، ٩٤ ،	٥٣٣ ، ٥٤١ ، ٥٨٨ ، ٥٩٠
٢٢٥ ، ٧٢١	— ٥٩٢ (٦٦٨ — ٧٢٧) ،
عرابة الأوسي ٧٦١	٧٦٥ ، ٧٦٦
عرار بن عمرو بن شأس ٤٥٠ ،	عبلة ٦٩٤
٧٥٧	عبيد بن الأبرص ٤٠٦
أبو العرب الصقلي ٨٢٢	أبو عبيد البكري (٢٣٢ —
عروة بن حزام ٤٤٨	(٢٣٨)
العز بن سقوت ٦٥٦ ، ٦٦١ .	أبو عبيدة (معمر بن المثنى)
٦٦٣ ، ٦٦٤	٥١٢
ابن عشرة (أحمد بن علي) أبو	عبيد الله ٤٩٦

علي بن حمود ٣٨ ، ٦٥٧	المباس ٨٢٨ — ٨٣٠
٦٥٩	ابن عشرة (علي بن القاسم) أبو
علي بن القاسم ، انظر : ابن عشرة	الحسن ٨١٢ ، ٨١٥
علي بن مجاهد العامري ٢٩ ،	— ٨١٨ ، ٨٢٠ ، ٨٢٢ ،
٥٢١	٨٢٤ ، ٨٢٦ — ٨٢٨
علي بن محمد الايادي ٥٠٧	أبو عطاء السندي ٢٢٤
علي بن منصور الحاجب ٢٢٢	ابن العطار اليايسي ٤٦٤
علي بن يوسف بن تاشفين (أمير	عطاف بن نعيم ١٤
المسلمين) ٧٤٢ ، ٨٢٥	أبو العطاف ٦٥٧
٨٣٢	ابن عكاشة ٧٠ ، ١٢٣ ، ٢٦٦ ،
أبو علي ٧٦٧	٢٦٩ ، ٢٧٣
عمار بن ياسر (أبو اليقظان)	العلاء بن صاعد ٢٢٢
٧٢٢	علوة ٧٧٢
ابن عمار ، أبو بكر ٤٦ ، ٤٧ ،	علي بن أبي طالب ٣٨٠ ، ٤٤٠ ،
١٥٠ ، ٢٧٣ (٣٦٨ — ٤٣٣) ،	٥٦٠ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ، ٨٣٣
٤٣٤ ، ٤٣٦ ، ٤٤١ ، ٤٧٥ ،	علي بن اسماعيل القرشي ، انظر :
٤٩٤ ، ٤٩٥ ، ٥٥٦ ، ٦٣٢ ،	الطيطل
٦٩٣	علي بن الحسين ٣٥٧
عمر بن أبي ربيعة ١٤٧ ، ١٥٣ ،	علي بن حصن الاشبيلي ، انظر : ابن
٧٢٠	حصن
عمر بن الحسن الهوزني ، انظر :	علي بن حمدان ، انظر : سيف
الهوزني ، أبو حفص	الدولة الحمداني

عياض بن ناشب ٧٤٩	عمر بن الخطاب ٩٠ - ١٧١ ،
عيسى بن الأعلم ٤٢٨	٢٥٧ ، ٧٢٢ ، ٧٥٨
عيسى بن الحسن ، أبو الأصمغ ٣٧٧	عمر بن عبد الله بن الأفطس . انظر :
عيسى بن مريم (المسيح) ٧٨ ،	المتوكل ابن الأفطس
٢٢٠ ، ٤٣٦ ، ٤٩٥ ، ٨٠١	عمر بن هبيرة ٢٢٤
غ	أبو عمر الغرضي الوزير ٤٢٣
ابن غانم ، أبو طالب الوزير ٦٦٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥١	عمران بن حطان ٦٩٤
أبو (ابن) غسان المتطبب ٤٨١	عمرو ٥٩٢ ، ٥٩١
الغريض ٣١٣ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	عمرو الأشدق ٧٢٢
ابن غصن الحجاري ، أبو مروان ١٩٤ ، ١٩٣	عمرو ذو الكلب ٥١٣
ابن غطمش ، أبو عمرو ٤٧	عمرو بن العاص ٧٢٢
غيلان بن عقبة ، انظر : ذو الرمة	عمرو بن قميئة ٤٤٧
ف	عمرو بن كلثوم ٦٩٠
فائق الخادم ٦٤١	عمرو بن مذحج ، انظر : ابن حزم
الفتح بن المعتمد ، أبو نصر ٦٩	أبو الحكم
٧١ ، ٤١٦ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ،	عمرو بن هند ٦٢٦ ، ٥٩٨
٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦	عمرو بن ود ٣٨٠
أبو الفتح البستي ٢١٥	ابن عمرو ٦٤٦
	ابن العميد ٥٣٨ ، ٧٨٠
	عنان ١٥١
	عترة ٣٨٠ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢
	عوف بن محلم ٦٩ ، ٢٢٤ ، ٧٦٨

القاسم بن حمود ١٥ ، ١٨ ، ٣٦ ، ٣٧	ابن فتوح ، عبد الرحمن ٤٦٥ ، ٤٦٨
أبو القاسم الميثقي ١٤٩ ، ١٤٥	
القائم الفاطمي ٥٠٧	فخر الدولة (حفيد المعتمد) ٧٩
ابن القبطورنه ، انظر : أبوبكر بن سعيد	فخر الدولة : انظر المعتضد
أبو الحسن بن سعيد	فرثي ٦٦
أبو محمد بن سعيد	الفرار السلمي (حيان بن الحكيم)
القتال الكلابي ٣٥٨	٤٧٦
ابن قتيبة ٥٤	أبو فراس الحمداني ٢٤٦ ، ٦٩٣
قدار (عاقر الناقة) ٤١٢ ، ٤١١	
القروي الإسلامي ٥٦٢	ابن فرج الجبائي ، أبو عمر ١٤٢
ابن قزمان ، أبو بكر ٧٦١ ، (٧٧٤ - ٧٨٦)	الفرزدق ٩٠ ، ١٥٣ ، ١٨٠
القس المكي ١٣٧	الفضل بن سهل ٧٢٩
قس بن ساعدة ٣٤٩	الفضل بن علي بن حزم ١٣ ، ١٤
قصير ٦٣	الفضل بن المتوكل بن الألفطس ٧٢٣
ابن القصيرة ، أبو بكر (٢٣٩)	
— (٢٨٥) ، ٢٩٣	الفضل بن يحيى البرمكي ٧٢٣
القطامي ٤٠٧	فعال (غلام) ٣٩١
ابن القوطية ، أبو بكر ٢٠٣ ، (٢١٥ - ٢١٨)	ق
ابن القلاس ، أبو عبد الله ٨٠٧	القارظان ٣٦٠
قيس ليلى ، انظر : المجنون	قارون ٣٤٥

ل	قيس بن الخطيم ٥٣ . ٦٨٦
ابن لبون ٣٩٤	قيس بن ذريح ٤٤٨
الذبيذة (قينة) ٧٣٥ - ٧٣٩	قيس بن زهير العبسي ٧١١
ابن لسان الحمراء ٧٦٠	قيس بن عاصم ٣٤٨ ، ٤٤٨ ، ٥٤٤
لقمان ١١٧ ، ٥٠٢	قيصر ٢٠٩ ، ٤٤٧ ، ٧٢٧
ابن اللبانة (أبو بكر المداني) ٦١	ك
- ٦٦ . ٧٧ ، ٧٩ - ٨١ ،	كافور ١٦٧ ، ٣٨٦
١٤٥ ، ١٥٠ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،	كثير عزة ٢٢٣
٤٦٦ ، ٥٦٣ ، ٨٢٠	كسرى ٢٠٩ ، ٢١١ ، ٣٤٥ ،
ابن لنكك ٨٣٤	٥٥٠ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ ، ٧٢٧
لوط ٣٣٥	كسرى ابرويز ٦٩٥
ليلى ٨٤٤	كشاجم ٣٨٧
ليلى العامرية ٤٣	كعب بن مامة ٣٩٥ ، ٦١٧ ،
م	٦٢٨
المازني ، أبو عثمان ٧٢٧	ابن الكلبي ٤٥٥
مالك بن الربيع ٦٤٢	كليب وائل ٣٦٠ ، ٥٤٤ ،
مالك بن نويرة ٧٨ ، ٦٤٦	٧٢١ ، ٧٢٥
مأمون بني عباد ، انظر : الفتح ابن	الكميت بن زيد ٦٤٥
المعتمد	الكندي ، انظر : امرؤ القيس
المأمون العباسي ٤٤٩ ، ٥٤٤ ،	ابن كوثر الشنتريني ، أبو عمر
٧٢٩	(٨٠٨ - ٨٠٩)

المأمون بن ذي النون ، ١٩٣	المتوكل العباسي ٧٢٣ ، ٨١٢
٢٦٨ — ٢٧٢ ، ٦٥٠	— ٨١٤
المبرد ، أبو العباس ١٣٨ ،	المتوكل بن أبي الحسن ٨١٠
٦٤٦ ، ٧٢٧	المتوكل ابن الأفتس ٦١ ،
المتلمس بن بطلال البطليوسي ٧٠٥	١٥٨ ، ٣٩١ ، ٤٢٣ ، ٤٦٥ ،
متمم بن نويرة ٧٨ ، ١٠٢ ،	٤٦٦ ، ٥٩١ ، (٦٤٦-٦٥٢) ،
٥٦٧	٦٦٤ ، ٦٦٩ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ،
المتنبى ، أبو الطيب (أحمد بن	٦٨٨ ، ٦٩٠ ، ٦٩٣ ،
الحسين) ٤٢ ، ٦٠ ،	٦٩٤ ، ٦٩٧ ، ٧١٠ ، ٧١١ ،
٦٤ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١٢١ ،	٧٢٣ ، ٧٧٢ ، ٧٧٤ ، ٨٠٣
١٢٢ ، ١٣٤ ، ١٤٠ ، ١٤٣ ،	— ٨٠٥ ، ٨١٠
١٤٨ ، ١٤٩ ، ١٦٧ ، ٢٢٢ ،	مجاهد العامري ٢٩ ، ٣١ ،
٢٢٦ ، ٢٤٧ ، ٢٥٥ ، ٣٢٢ ،	٩٦ ، ٧٩٦
٣٣٢ ، ٣٣٤ ، ٣٨٠ ، ٣٨٦ ،	المجنون ٤٣ ، ١٥٠ ، ٤٢٢ ،
٤٠٩ ، ٤٤٢ ، ٤٥٩ ، ٤٦٣ ،	٤٤٨ ، ٥١٤ ، ٥٩٩ ، ٦٧٢
٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ،	ابن محفور ٤١٧
٤٩٠ ، ٤٩٣ ، ٤٩٧ ، ٤٩٩ ،	محمد (ص) ٨٨ ، ٨٩ ،
٥٠٣ ، ٥١٥ ، ٥٤١ ، ٥٥٠ ،	١٠١ ، ١٠٣ ، ١٢٣ ، ١٧١ ،
٦١٨ ، ٦٢٠ ، ٦٢١ ، ٦٤١ ،	٢٨٦ — ٢٨٩ ، ٣٧٦ ، ٤٤٠ ،
٦٤٤ ، ٦٩٩ ، ٧٠٩ ، ٧١٤ ،	٤٤١ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٥٦٩ ،
٧١٦ ، ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٩٨ ،	٧٢٢ ، ٧٢٣ ، ٧٤٧ ، ٧٥٧ ،
٨٠٠ ، ٨٠١ ، ٨٤٩	٧٥٨ ، ٧٦٤ ، ٧٧٦ ، ٧٧٧ ،

محمد بن عبد العزيز بن المعلم ، انظر :	٧٧٩ ، ٧٩٣ ، ٨١٣ ، ٨١٤ ،
ابن المعلم	٨٣٣
محمد بن عبد الله البرزيلي ٢٠ ،	محمد ٦٠١
٢٢ ، ٢٨	محمد بن ابراهيم الفهري أبو عبد
محمد بن عبد الله بن الجحد ، انظر :	الله ٣٧٨ ، ٧٨٦ ، ٧٩٧
ابن الجحد ، أبو القاسم	محمد بن أبي أمية ٨٣٨
محمد بن عبد الله بن مسلمة ، انظر :	محمد بن ادريس الحمودي ٣٣
المظفر بن الأقطس	محمد بن اسحاق بن الملح ، انظر :
محمد بن عبد الملك بن قرمان ،	ابن الملح
انظر : ابن قرمان	محمد بن ديعم الاشبيلي (٢١٢
محمد بن علي بن حمدين ، انظر :	- ٢١٣)
ابن حمدين	محمد بن سليمان الكلاعي ، انظر :
محمد بن القاسم ٣٣	ابن القصيرة
محمد بن مروان بن زهر ، انظر :	محمد بن سليمان بن خلف الباجي
ابن زهر	١٠١
محمد بن هانيء ، انظر : ابن هانيء	محمد بن عباد ، انظر : المعتمد بن
محمد بن هشام بن عبد الجبار ٣٨	عباد
محمد بن يحيى بن حزم ، انظر :	محمد بن عباد أبو القاسم القاضي
ابن حزم ، أبو الوليد	(١٤ - ٢٣) ، ٢٥ ، ٣١ ،
محمد بن يوسف ، أبو عبد الله	٢١٩
٢٥٨	محمد بن عبد الجبار الأموي ، انظر :
أبو محمد بن سعيد البطليوسي	المهدي

٧٢٢ مصعب بن الزبير	٧٧٣، ٧٧٢، ٧٥٣ (ابن القبطورنه)
المصطفى ، انظر : محمد (ص)	٧٢٢ المختار الثقفي
مطر الشيباني ٦٩٤	ابن مرتين ، عبيد الله ٧٥٢ ، ٧٥٠
ابن المطرز ٤١١ ، ٤٠٢	ابن مرتين ، محمد ٢٧١ — ٢٦٩
ابن مطري ٥٤٤	ابن مرزقان ، أبو القاسم ٤٧٦ ،
المظفر بن الأفتس ٢٠ ، ٢١ ،	ابن المرخي ، انظر : ابن عبد العزيز
٣٣ — ٣٦ ، ٩٦ ، ٢٣٣ ،	٤٧٧ (٥٢٠ — ٥٢٢)
(٦٤٠ — ٦٤٦) ٦٥٠	مروان بن محمد ٧٢٢ ، ٩١ ، ٥٤
المعافي بن هزيم ٧١٣	ابن مزين (عيسى بن محمد) ٣٦
معاوية بن أبي سفيان ٣٩٦ ،	المستنصر ، انظر : الحكم المستنصر
٣٩٧ ، ٣٩٩ ، ٧٢٢ ، ٨١٤ ،	مسلم بن الوليد ، انظر : صريح الغواني
معبد (المقني) ٣١٣ ، ٣٤٩ ، ٦٣١ ، ٧٢٨	أبو مسلم الخراساني ٥٤
المعتز العباسي ٧٢٣	المستعين العباسي ٧٢٣
المعتز بن أبي عامر ١٨٧ ، ١٨٨	المستعين ، سليمان بن الحكم
ابن المعتز ٣٠ ، ١٥٥ ، ٢٢٣	١٦ ، ١٧ ، ٣٨
— ٢٢٥ ، ٢٣١ ، ٣٧٩ ،	المستعين بن هود ٥٤٥
٧٠٠ ، ٧٠٤ ، ٧١٥ ، ٧١٨ ،	ابن مسلمة ، انظر : المظفر ابن الأفتس
٧٩٥ ، ٨٢٢	ابن مسلمة ، أبو عامر (١٠٥)
المعتصم العباسي ٣٥٧ ، ٤٤٤	— (١١٢) ١٢٤ . ٢٠٦ ،
المعتصم بن صمادح ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،	٢٠٧ ، ٣٩٧
المعتضد عباد ، أبو عمرو ١٩ ،	المسيح ، انظر : عيسى بن مريم
(٢٣ — ٤١) ٤٧ ، ٤٩ ،	المصحفي ١٠٩ ، ٧٦٧

، ٤٤٣ ، ٤٤١ ، ٤٣٧ ، ٤٣٥
 ، ٤٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٠ ، ٤٤٦
 ، ٤٩٤ ، ٤٩١ ، ٤٧٦ ، ٤٧٤
 ، ٥٠٣ ، ٥٠١ ، ٥٠٠ — ٤٩٦
 ٥٢٠ ، ٥١٧ — ٥١٥ ، ٥٠٩
 ، ٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٣٥ ، ٥٢٢ —
 ، ٦٦٩ ، ٦٦٤ ، ٦٦٢ ، ٦٥١
 ، ٨١٠ ، ٧١٠ ، ٧٠٦ ، ٦٩٩
 ٨٣٨ ، ٨١١

المعري ، أبو العلاء ٩١ ، ١٦٩ ،
 ، ٣٧٨ ، ٣٧٤ ، ٢٤٨ ، ١٩٩
 ، ٤٥٧ ، ٤٠١ ، ٣٨٧ ، ٣٨١
 ، ٤٨٦ — ٤٨٤ ، ٤٨٢ ، ٤٥٨
 ، ٦٢٧ ، ٦٢٠ ، ٥٥٠ ، ٤٩٣
 ، ٧٠٧ ، ٦٤١ ، ٦٣٢ ، ٦٣١
 ، ٨٤٢ ، ٧٩٦ ، ٧٩٥ ، ٧٢٧
 ٨٤٩ ، ٨٤٨

معز الدولة (ثمال المرداسي)
 ١٠٣ ، ١٠٢

المعز بن يوسف بن تاشفين ٦٦٤
 ابن المعام ، أبو الوليد ٨٣ ،
 ١٥٥ ، (١٢٤ — ١١٢)

، ٨٧ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٥٠
 ، ١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ١٠٠
 ، ١٢٣ ، ١٢١ ، ١٢٠ ، ١١٨
 ١٥٨ ، ١٥٦ ، ١٣٥ ، ١٣٠
 ١٧٨ ، ١٧٦ ، ١٧٤ ، ١٧٢ ، ١٦٠ —
 ، ١٨٧ ، ١٨٦ ، ١٨١ ، ١٧٩
 ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ٢٠٣ — ٢٠١
 ، ٣٧١ ، ٢٣٩ ، ٢٣٥ ، ٢٣٢
 ، ٣٨٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨١ ، ٣٧٦
 ، ٦٣٧ ، ٥٣٥ ، ٤٦٠ ، ٤٥٦
 ٦٥٨ ، ٦٥٠

المعتمد بن عباد ، المؤيد ٢٨
 ، ١٢٣ ، ١٢٢ ، (٨١ — ٤١)
 ، ٢٢٠ ، ١٩٩ ، ١٩٧ ، ١٨٦
 ، ٢٣٨ ، ٢٣٧ ، ٢٣٥ ، ٢٢٧
 ، ٢٥٢ ، ٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤٠
 ، ٢٧٢ ، ٢٦٩ ، ٢٦٨ ، ٢٦١ ، ٢٥٥
 ، ٣٦٩ ، ٣٢٦ ، ٣٢٣ ، ٢٨٥
 ، ٣٨٥ ، ٣٨٣ ، ٣٧٥ ، ٣٧١
 ، ٤٠٩ ، ٤٠٧ ، ٤٠٥ ، ٣٩٦
 ، ٤٢٤ — ٤٢٠ ، ٤١٧ — ٤١٣
 ، ٤٣٣ — ٤٣٠ ، ٤٢٨ ، ٤٢٧

أبو المغوار الغنوي	٧٢٧	المنصور بن أبي عامر	٤٠ ،
مغيث	٨٤٥		٣٧٦
مقاتل (النلام)	٥٤٤ ، ٥٤٥	المنصور (يحيى بن الأفتس)	
مقاتل (أغنى)	٧٨٠		٦٤٧ ، ٦٥٠ ، ٧٩٩
ابن مقانا الأشبوني ، أبو زيد		المنصور (؟) بن المتوكل	٧١٠
(٧٨٦ - ٧٩٦)		المهدي (محمد بن عبد الجبار)	
ابن مقبل	٤٨٩ ، ٧١٤ ، ٧١٥		٢٧
المقتدر بن هود ، انظر : هود المقتد بالله		المهلب بن أبي صفرة	٥٦
ابن الملح ، أبو بكر	٤٣٣ ،	مهلهل التغلي	٥٦٧ ، ٧٢١ ،
٤٣٤ ، (٤٥٢ - ٤٧٣) ، ٦١٣			٧٢٦ ، ٧٦٦ ، ٧٩٠
الملك الضليل ، انظر : امرؤ القيس		مهيार الديلمي	٧٤٧ ، ٨٠٢
ابن المناصف ، أبو القاسم	٣٠٥	المؤتمن (يوسف بن أحمد بن هود)	
ابن المنخر ، أبو الاصينغ	٢٢٢ ،	انظر : ابن هود المؤتمن	
٧٩٩ ، ٨٠٠		موسى (النبي)	٤٥٨ ، ٤٩٥
منذر	٦٩٢		٦٧٦
منذر بن يحيى التجيبي	٧٨٧	المؤيد ، انظر : المعتمد بن عباد	
- ٧٩٠		ابن ميتويه الحاجب	٦٤١
المنصور	٧٦٩	مية	٥٠٢
المنصور العباسي	٥٥	مية (صاحبة ذي الرمة)	٦٩١
منصور الفقيه	٦١٣		
المنصور المعان ، انظر : سقطت بن		ن	
محمد		الناطقة الحمدي	٣٥٧

٢١١ ، ٥٤٥ ، ٧٦٢ ، ٨٥٠	الناطقة الذبياني ١٤٧ ، ٢٢٣ ،
ابن نوح الدمري ٢٨ ، ٣٨ ،	٤٢٩ ، ٤٨٩ ، ٧٠٦
٣٩	الناجم ١٤٨ ، ٤٠٩
ابنا نويرة (مالك ومتمم) ٧٢٥	الناشيء ٧٠٤
	ناصر ٧٥٦
	ابن نباتة السعدي ٣٧٩ ، ٤٦٦
هارون (أخو موسى) ٤٩٥	النحلي ، أبو الوليد ٤٦٥ (٨٠٩
ابن هارون الشتمري ، أبو الحسن	— ٨١١)
(٦٣٧ — ٦٣٩)	نسيم (غلام التتوخي) ٦٣٣
ابن هانيء ٤٢ ، ١٢٢ ، ٣٧٨ ،	نصر بن سيار ٩١
٣٨٣ ، ٤٣٦ ، ٥٠٦ ، ٦٢١ ،	ابن نصر الاشيلي ، أبو بكر
٦٨٥ ، ٧٠٠ ، ٧١٨ ، ٧٩٣ ،	(٢١٢)
٧٩٥ ، ٧٩٩ ،	أبو نصر ٢٦٨
أبو هاشم بن المعتمد ٧٣	نصيب بن رباح ٦١ ، ٢٢٥
هشام الرضي (بن عبد الرحمن)	النعمان بن بشير ٥٤٤
٨٢	النمري (رفيق كعب بن مامة)
هشام بن الحكم (المؤيد) ١٦ ،	٦١٧
١٨ ، ٣٧ ، ٧٥٧	أبو نواس (الحسن هانيء) ٦٠ ،
هلال بن الأديب ٥٣٦ — ٥٣٩	٩٣ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٤ ،
هند ٧٤٠	٤٣٦ ، ٦٠٥ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ،
هند (أم معاوية) ٣٩٦	٧١٦
ابن هند، انظر: معاوية بن أبي سفيان	نوح (النبي) ١٥٦ ، ١٥٧ ،

٨٦٣ ، ٥٦٣ (٥١٩ - ٤٧٣) ، ٤٧٢	ابن هود، أبو محمد (٨٠٥ - ٨٠٣)
٦٩٥ ، ٦٩٤ وهرز	ابن هود ، المقنن بالله ١٨٧ ،
٢٤٥	٢٠٠ ، ١٩٩ ، ١٩٤ ، ١٩٣ ، ١٩١
ي	ابن هود ، المؤتمن ٣٨٨ ، ٣٧١
٢٤٥	٤١٠ ، ٤١٥
٤٨٧ يحيى	الموزني، أبو حفص (عمر بن الحسن)
يحيى بن إسماعيل بن ذي النون ١٨٧	١١٨ (٩٤ - ٨١)
٨١٤ ، ٨١٣ يحيى بن أكثم	الموزني، أبو القاسم (الحسن بن عمر)
٣٩٠ يحيى بن البحتري	٣١٤ ، ٢٩١
٧٢٣ يحيى بن خالد البرمكي	و
١٩ ، يحيى بن علي الحمودي	
٦٦٤ ، ٦٥٧ ، ٢٨	واضح العامري ٣٨ ، ٢٧
يحيى بن محمد بن بقي ، انظر :	والبة بن الحباب ١٥٤
ابن بقي	أبو وائل الحمداني ٢٥٥
يحيى بن المظفر بن الأفتس ، انظر :	ورقاء بن زهير ٧٨٤
المنصور ابن الأفتس	ابن وكيع ٤٦
يحيى بن هذيل ٤٦٩ ، ٥١٤	ابن الوكيل ٢٦٤
ابن يحيى (صاحب لبلة) ٣٣ ،	الوليد بن يزيد ٧٢٢
٢٣٤ ، ٢٣٣ ، ٣٦ ، ٣٤	وهب بن سليمان بن وهب ٨١٢
١٩ ابن يريم	ابن وهبون المرسي ، عبد الجليل
٧٢٢ يزدجرد	١٤٤ ، ١٦٩ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ ،
يزيد بن الطرية ٧٤٣ ، ٧٩٣	٢٥٥ ، ٤٣١ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ،

٢٢٠ ، ٢٣٧ ، ٢٤٠ — ٢٤٢ ،

٢٤٥ ، ٢٥٤ — ٢٥٦ ، ٢٦٣ ،

٢٦٥ ، ٢٩١ ، ٥٠٣ ، ٥٤٦ ،

٥٤٧ ، ٥٩٤ ، ٦٥٣ ، ٦٥٦ ،

٦٦٠ — ٦٦٣ ، ٨٣١

يوسف بن محمد بن الجحد ، انظر :

ابن الجحد أبو الحسين (الحسن)

يوسف بن هارون الرمادي ، انظر :

الرمادي

يونس (النبي) ٨١٨

يزيد بن مزيد الشيباني ٤٨٦ ،

٦٩٤

يزيد بن المعتمد أبو خالد ، انظر :

الراضي بن المعتمد

يعقوب (النبي) ٤٩٦ ، ٨٣١

ابن يعيش ١٦

يوسف (النبي) ٧٨ ، ٢٤٥ ،

٧٦٤ ، ٨٣١ ، ٨٤٦

يوسف بن تاشفين (أمير المسلمين

وناصر الدين) ٥٧ ،

٢ - فهرس الاماكن

أخيات ٥٧ ، ٧٣ ، ٧٥ ،	آلس ٢٥٦
٢٢٧ ، ٧٦	أبان ١٨٢ ، ٦١١
المرية ٢٤٥ ، ٤٠٢ ، ٤٠٣ ،	أجا ٤٣٦
٤١٩ ، ٤٧٥	أركش ٣٩
أنلرين ٧٩١	الاشبونة ٢٢ ، ٣٧٨ ، ٥٤٤
الأتدلس ١١ - ١٤ ، ١٦ ،	٧٨٦ ، ٨٠٣
١٧ ، ٢٤ ، ٢٥ ، ٣٦ ، ٣٧ ،	اشبيلية ١١ ، ١٣ ، ١٥ ، ١٨
٤٠ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٩٧ ،	— ٢١ ، ٢٨ ، ٣٣ - ٣٥ ،
١٢٥ ، ١٤٢ ، ١٨٧ ، ٢٣٢ ،	٣٨ ، ٤٦ ، ٥٦ ، ٧٥ ، ٧٦
٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٦٩ ،	٨٢ ، ٨٣ ، ١٦٦ ، ٢٠٢ ،
٢٨٠ ، ٤٣٨ ، ٥١٥ ، ٥٣٥ ، ٥٥٨ ،	٢٢٠ ، ٢٣٩ ، ٣٢٥ ، ٣٧١
٦٣٩ ، ٦٥٠ ، ٦٥٤ ، ٦٥٦ ،	٣٩٦ ، ٤١٥ ، ٤٢٨ - ٤٣٠
٦٥٨ ، ٦٦٩ ، ٧٨٧ ، ٨١١ ،	٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٥٣٥
أنقرة الروم ٤٤٩	٦١٥ ، ٧١٠ ، ٨٣٥ (وانظر
أونية ٢٣٣	أيضاً : حمص)
باب النخيل ٤٣٠	إضم ٥٧٣
بابل ٦١٧	أعفر ٨٢٢
باجة الأتدلس ١٩ ، ٢٠ ، ١٨٧	

بالص ٢٤٦	توضح ١٧٠
بحر الروم : انظر البحر المحيط	ثبير ٢٠٠
الرومي	الثريا (قصر) ٧٥ ، ٧٦
بحر الزقاق ٦٥٨ ، ٦٥٠	شهران ١٧٥
البحر المحيط الرومي ١١ ،	شهاد ٩٩
٢٢ ، ١٨٧ ، ٤٦٣ ، ٦٣٩ ،	جاسم ٥٩٢
٨١٢	جامع قرطبة ٥٨ ، ٢٧١
بربشتر ٨٢	الجزيرة ، انظر : الأندلس
بربعيص ٢٥٠	الجزيرة الخضراء ٣٦ ، ٤٠
بسطة ٢٧٩	الجزيرة العراقية ٤٨٦ ، ٥٥٨
بطليوس ٢٢ ، ٣٥ ، ٩٦ ،	جفر الهباءة ٧٢٥
٢٤٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٦٣٩	جاق (واد أندلسي) ٧٩٠
٦٤١ ، ٦٥٠ - ٦٥٣ ، ٧١٠	جو ٨٧
٧١١ ، ٧٩٩ ، ٨٠٣	جيرون ٧٦٢
بغداد ٨٠ ، ٩٨ ، ١٣٥	الحجاز ٢٢٥ ، ٢٨٨ ، ٧٨٨
١٩٢ ٣٥٧ ، ٣٩٨ ، ٧٠٦ ،	حجر ٧٩٠
٧١٢	الحرمان ٢٨٩
بلنسية ٣٩٣ ، ٤١١ ، ٧٩٠	الحساء ٣٣٥
بياسة ٤١٦	حلب ٩٥ ، ٥٤١ ، ٧٢٤ ،
تدمر ٤٦٩ ، ٨٤٦	٧٢٩
تدمير ٤١١ ، ٤٧٤	الحمى ٦٩٠
تلمسان ٢٥ ، ٨٣٠	حمص (اشيلية) ١١ ، ١٣

الري ٦٩	٧٥ ، ٨٠ ، ١٢٣ ، ١٦٦ ،
الزاب ٢١٧	١٨٦ ، ٣٢٤ ، ٣٧٢ ، ٣٨٥ ،
الزاهر (قصر) ٧٥	٣٩٣ ، ٥٠٤ ، ٥٩٣ ، ٧٠٦ ،
الزاهي (قصر) ٧٥ ، ٧٦ ،	٧١٠ ، ٧١١ ، ٧١٦ ، ٧٤٠ ،
٥٠٨	٧٤٥ ، ٧٦٨
زرود ٦٩٠	حمص (الشام) ١٤ ، ٧٢٩
زمزم ٦٨٥	حير الزجالي ٧٦٧
سبقة ٣٧ ، ٤٠ ، ١٢١ ، ٦٥٦ ،	الخيف ١٠٢ ، ١٧٥
— ٦٦٣	دار تنوير ٦٦٣
السد ٣٧٢	دارين ٣٥٠ ، ٣٦٣
سرتة ٢٤٩ ، ٦٥٥	دانية ٢٩ ، ٩٦
سرقسطة ٣٧١ ، ٣٧٤ ، ٧٨٨	دجلة ٥٠٥ ، ٦٨٤
٨٠٣ ، ٨٠٤	الدخول ١٥٨
سعد السعود (قصر) ٧٥ ، ٧٦	الدكاك ٧٢٥
سقط اللوى ٧٨٨	الدمنة ٦٦٠
سلا ٨٢٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧	الذئاب ٧٢٦
سلمى ٤٣٦	ذو طلوح ٢٢٤
السند ٥٠٢	ربض الرصافة ٣٩٧
شاطبة ٤١٧	الربض الشرقي ٢٧٣
الشام ١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ٢٢٠	رضوى ١٩٧ ، ٥٧٣
٣٠٧ ، ٨١٢	رنده ٣٢ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٦٩
شامة ٦٣٣	رومة ٢٦٠

شذونة	٥٣٥ ، ٢١	طفيل	٦٣٣
شرق الأندلس	٢١٩ ، ٣٧	طلبطة	١٦ ، ٢٤٦ ، ٢٤٩ ،
	٢٢٠ ، ٣٧١ ، ٧٩٠		٢٧٢ ، ٢٧٩ ، ٦١٥ ، ٦٤٣
شعب جبلة	٧٢٦		٨٠٤
شقورة	٤١٧ ، ٤١٥ ، ٤٠١	طنجة	٦٦ ، ٦٧ ، ٦٦١ ، ٦٦٢
	٤٢٢ ، ٤٢٣ ، ٤٢٨	عالج	٦٨٥
شلب	٣٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧١ ،	عدن	١٩٢
	٤١٤ ، ٤٣١ ، ٤٣٣	العراق	٧٢ ، ٨٢ ، ٨٧ ،
شلطيش	٢٣٣ ، ٢٣٤		٩٥ ، ١٢٣ ، ١٢٤ ، ٢٢٠
شنبوس	٤١٣ ، ٤١٤		٣٠٧ ، ٥٣٩ ، ٧٢١ ، ٧٥٦
شنرة	٧٨٧		٧٦١ ، ٨١٢
شتتمرية الغرب	٦٣٧	عرفة	٢٨٨
الصراة	٦٨٤	العريش	١٤
الصفاء	٢٨٨	عسعمس	٧٠١
صقلية	٨٢	عسيب	٤٤٨ ، ٤٤٩
صنبر	١٩٧	عقرقس	٢٥٦
صنحاء	١١١ ، ٢٩٠	العقيق	١٧٠ ، ٧٨٨
صول	٢٩٤	عكاظ	٣٤٩
الصين	٧٢٢	العلياء	٥٠٢
ضارج	٤٥٥ ، ٦٨٥	عمان	٧٢٥
طرطوشة	٧٩٠	غافق	١٩٧
طشانة	١٤	الغرب	١٤ ، ٢٠ ، ٢٨ ، ٢٣٢ ، ٢٣٣

٧٦٨	قلمرية	٦٨٥، ٦٥٠، ٦٤١، ٤١٤، ٢٣٩
٣٣٥	القوادم	٨٣٠، ٨٢٤، ٧٨٦، ٦٨٦
٦٥٥، ٢٤٩، ٢٤٣	قورية	٢٧٧، ٢٣٧، ٢٢٧
٨١٧، ٨١٥، ٨١١، ٧٦٦		٢٢ غليسية
٩٥	القيروان	٣٩٠ الغوير
٦٩٤	الكعبة	٧٧٧، ٧٠٥ فارس
٧١٢	لب	٧٢٣ فح
٢٣٤، ٢٣٣، ٣٥ - ٣٣	لبلة	٨٠١، ٣٩٨ الفرات
٢٨٦		٣٣٤ القاصرة
٧٢٥	اللوى	٧٨٧ القيناق
٢٦٥، ٢٦٣	لورقة	٢٧، ٢٤، ٢١ - ١٥ قرطبة
٢٦٤، ٢٦٢، ٢٢٠	لييط	٦٩، ٥٨، ٣٧، ٣٦، ٣٤
١٠٢	المأزمان	٧٠، ٨٢، ١٢٣، ١٦٦،
٥٠، ٤٩، ٤٧، ٣٣	مالقة	٢٦٦، ٢٦٠، ٢٣٤، ٢٣٣
٥١٧، ٤٣٠	المبارك (قصر)	٢٦٩ - ٢٧١، ٢٧٢،
٥٢٠		٣٩٧، ٣٨٣، ٣٥٧، ٣٠٥
٣٦	المجاز	٤٣٥، ٤٢٨، ٤٢٣، ٤١٦
٤٧٥	المحصب	٥٤١، ٥٣٩ - ٥٣٤، ٤٤٦
٨٧، ٢٧	مدينة سالم	٧٦٧، ٦٣٩، ٥٦٨، ٥٤٥
١٩٧	المنور	٨٥٠، ٨٤٧
٤٠	مراكش	٥٣٥، ٢٠ قرمونة
٢٧٣، ٨٣، ٨٢	مرسية	٢٥٧ قلعة بني حماد

ميورقة	٥٥٨ ، ٩٦	٣٧١ ، ٤٠٥ ، ٤٧٥ ، ٥٥٦	المروة	٢٨٨
نجد	٣٠٧		المزدلفة	٢٨٨
النيل	٨٢٧ ، ٨٢٦		المشرق	٩٧ ، ١٣٦ ، ٢١٩
هجر	٦٣٠		المشقر	٤٨٩
الهند	١٣٥ ، ٢٤٢ ، ٣٠٧ ،		مصر	١٤ ، ٨٢ ، ٩٥ ، ١٩٢
	٤٩١ ، ٦٢٠			٢٤٠ ، ٨٢٦ ، ٨٢٧
وادي آتة	٧١٢		المطالي	٦٩٠
وادي الأخرم	٤٦٠		المغرب	٦٧ ، ٨٢ ، ٦٧٣ ،
وادي قرطبة	٣٤ ، ١٦٦			٨١٠ ، ٨١٢
وادي منى	٢٥٧		مكة	٨٢ ، ٩٢
واسط	٣٩٠		منى	١٠٢ ، ٢٨٨
وجرة	٨٠١		منبتة الزيتون : انظر اشبيلية	
ولبة	٢٣٤		منبج	٣٠٤
يابرة (يابورة)	٢٠ ، ٦٤٧ ،		منبج	١٧٠
	٦٥١ ، ٦٦٩ ، ٦٩٠ ، ٧٦٦		المنية الصمادية	٤٠٢
بيرين	٣٥٠ ، ٣٦٣		المهدية	٢٨٣
يثرب	٢٨٩		مورور	٣٩
يذبل	٧٥٠		الموصل	٣٨٥٠
يلعلم	٥١ ، ٥٦٧ ، ٦٨٥ ،		ميرتلة	٢٠
	٨٢٢		ميسر	٢٥٠
يُمن	٣٣٥			

٢٤٥ ، ٢٤٤ ، ٢٤١،٧٣	اليمن ١٩٢ ، ٦١٩ ، ٦٩٤
٧١٩ ، ٥١٠ ، ٢٥٦ ، ٢٥٥	٦٩٥
٤١٥ ، ٤١٤ ، ١٤ يومين	يوم الأحزاب ٣٨٠ ، ٤٤٠
	يوم الجمعة (يوم العروبة : الزلافة)

٣ - فهرس الأمم والطوائف والقبائل

بنو أسد ٥٦ ، ٤٤٧ ، ٧٢١	بكر ٦١٢
أصحاب الأيكة ٧٢٧	البكريون (بنو البكري) ٢٣٣ ،
الأعراب (الأعراب) ٢١٧ ،	٥٦٣ ، ٥٦٩
٤٨٠ ، ٤٩١ ، ٦٧٥ ، ٧٠٩ ، ٨٢٣	تجيب ١٢ ، ٦٣٩ ، ٦٤١ ،
الأفرنج : انظر الفرنجة	٦٤٢ ، ٧٨٩
الأكاسر ٤١٣	الترك ٧٢٢
بنو أمية (بالمشرق) ٤٢ ، ٥٤ ،	تغلب ٥٧٠ ، ٥٩٧ ، ٥٩٨ ، ٦٢٨ ،
١٨٦ ، ٣٩٧	ثمود ٩٣
إياد ٢١٨ ، ٣٤٩ ، ٣٩٥ ،	بنو جالوت ٨٧
٦١٨ ، ٧٤٧	بنو الجلد ٥٥٦
بنو الباجي ١٨٧ ، ١٩٧	بنو جرم ٧٤٣
بجتر ٧٧٧	جرهم ٧٢١
بنو بلر ٧٢١ ، ٧٦٦	جشم ٤٦٠
البراجم ٦٢٦	بنو جهور ٢٦٨ ، ٣٨٨
البرابرة ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ،	الحبشة ٦٩٥
٣٣ ، ٣٧ ، ٣٩٧ ، ٥٣٥	الحرية (بنو حرب) ٣٩٧
بنو برزيل (البرازلة) ٢١ ،	الحضرميون ٧٤١
٣٨ ، ٤٠	بنو حمدين ٢٢٢ ، ٨١٧

٦٥٣ ، ٦٢١ ، ٦١٩ ، ٤٦٣	الحمودية ٣٣
٨٣١ ، ٦٩٦ ، ٦٩٠	حمير ٤٥٧ ، ٢٤٥
بنو الزبيدي ١٥	بنو حنيفة ٧٧٧
زناتة ٢٢١ ، ٦٦٠	الخزرج ٧٢٢
الزنج ٢١٤	الخوارج (الشراة) ٦٩٦ ، ٥٥
بنو زهر ٧٤٦ ، ٦١٨ ، ٦١٧ ، ٥٩٤	خولان ١١١
بنو ساسان ٧٢١ ، ٤٦٣	بنو الدب ٣٢٤
سبأ ٧٢١	بنو دمر ١٧٩
بنو سراج ٦٢٨	الدولة الأموية (بالشرق) ٧٢
سعد العشيرة ٧٤٤	الدولة البرغواطية ٦٦١
بنو سعيد (أبناء القبطورنه) ٧١١	الدولة الحمودية ٦٥٨ ، ٦٥٧
٧١٢ ، ٧١١	الدولة الديلمية ١٢
السودان المغاربة ٥٠	الدولة العامرية ١٢ ، ٥٣٥ ، ٦٣٩
الشراة : انظر الخوارج	الدولة العبادية ٥٦٣ ، ٢١٩
شيبان ٦٨٦	٦٤٠
الصفر : انظر الروم	الدولة العباسية ٨١٢
الصقالب ٤٣٠	ذبيان ٧٢٥ ، ٦٢١
الطالبيون ١٣٨	ربيعة ٦٩٤
بنو طاهر ٢٧٣	بنو رشيق ٧٧١
طسم ٧٢١	الروم ٨٢ ، ١٨٥ ، ٢٤٨ ، ٤٤٧ ، ٣٨٨ ، ٣٥٨ ، ٢٥٤
طي ٣٧٦ ، ٣٩٥ ، ٤٣٦	
عاد ٩٠ ، ٢١١ ، ٧٢١ ، ٧٢٧	

٤٤٧ ، ٤٥٥ ، ٥٣٨ ، ٥٤٠ ،	بنو عامر (الاندلسيون) ٣٨
٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٦٥٨ ، ٦٦٠ ،	٥٣٥ ، ٥٩٩ ، ٦٣٩
٦٧٥ ،	بنو عامر (قبيلة) ١٥٠
٨١٢ بنو عشرة (بنو القاسم)	بنو عباد (آل عباد) ٣ ،
٨١٩ ، ٨٢٣ ، ٨٢٤	٥٨ ، ٦١ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٣٩٦
بنو عقيل ٥١٣	٤١٥ ، ٤٢٧ ، ٤٩٢ ، ٦٤٠
عك ١٦٧	العباسيون (بنو العباس) ٢٥
بنو عمار ٤١٢	٤٢ ، ٨٠ ، ٧٢٣
غسان ١٦٨	بنو عبد العزيز (بنو المرخي)
غفار ٦٤٢	٣٩٣ ، ٤١٠ ، ٤١١ ، ٤٢١
الفرس ٧٢٢	٥٣٣ ، ٥٣٤ ، ٧٦٥
آل فرعون ٣٤ ، ٩٥	عبد القيس ٦٨٦
الفرنجية ٢٧٤ ، ٤٠٥ ، ٤٩١	بنو عبس ٧١١ ، ٦١٢ ، ٢٢٣
فهر ٦٦٨ ، ٦٧١ ، ٧١٥ ،	٧٢٥ ، ٧٨٤
٦١٩ ، ٧٢٠	العجم (الأعاجم) ٢٥١ ، ٦٨
بنو القاسم : انظر بنو عشرة	٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٣٧٤ ، ٥٣٨
قحطان ١١١ ، ٤٣٩ ، ٤٦٣	٥٧٢ ، ٦٢٦ ، ٦٦٠
٦٤٢ ، ٦٩٤	عدنان ٤٦٣
قريش ٢١ ، ٤٩٠ ، ٧٦٥	بنو عدوان ١٢ ، ٧٢٦
بنو قريظ ٢٤٧	العرب ١٩ ، ٦٨ ، ١٨٥ ،
ابنا قبيلة ٧٢٦	٢٢٤ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٥
بنو كعب ٤٩٩	٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٣٣٣ ، ٣٧٤

٢٤٨ ، ٢٤٤ ، ٢٤٣ ، ٢٣٧

٢٦٣-٢٥٩ ، ٢٥٤ ، ٢٥٣ ، ٢٤٩

٦٥٠ ، ٥٤٦ ، ٢٨٣ ، ٢٧٥

٧٩٣ ، ٧٩٢ ، ٦٥٥ ، ٦٥٤

آل المصطفى : انظر آل محمد

مضر ٧٢٤ ، ٧٢١ ، ٦٩٤

٧٤٧

بنو المظفر (الأفطس) : ٧٢٣

معد ٦٤٢ ، ٣٥٢ ، ٢٢٥

٧١٤ ،

مكناسة ٦٤١

الملثمون (المرابطون) ٤٠ ،

٢٦١ ، ٦٦١ ، ٦٦٣

ملوك الطوائف ١٦ ، ٦٦ ،

٢٤٠ ، ٢٤٨ ، ٢٥٦ ، ٦٥٠

٦٥٣ ، ٦٦١ ، ٦٦٩

مهرة ٣٨١

المولدون ١٩

نزار ٦٤٢

النصارى ٢٢ ، ٧٣ ، ٢٤٨

٢٤٩ ، ٢٥٤ ، ٢٦٢ ، ٣٧٤

٤٠٥ ، ٤٧٥ ، ٥٤٦ ، ٦٨٢ ، ٨١٦

بنو كلاب ٢٤٦

كنذة ٥١

لحم ١٢ ، ٧٨ ، ٢٤٥ ، ٣٧٦

٣٨١ ، ٤٤٤ ، ٤٤٥ ، ٤٨٤

٤٩١ ، ٤٩٤ ، ٥٠٢ ، ٥٣٣

٦٣٩ ، ٦٩٩ ، ٧١٠ ، ٧٢١

لمتونة ٦٦٠

بنو ماء السماء ٥٩ ، ٧٥

المانوية ٢٤٧

المجوس ٦٩٦

المحدثون ٤٨٠

آل محمد ٧٢٣ ، ٧٧٠

آل محمد (مرثي) ٨٣٣

مخزوم ٧١٠

منحج ٥٩٠ ، ٥٩٧ ، ٦٠٣

المرابطون : انظر الملثمون

بنو مرتين ٧٥٢

بنو المرخي : انظر بنو عبد العزيز

بنو مروان (المروانية) ١٦

١٧ ، ٣٣

بنو (آل) مسلمة ٣٩٧ ، ٦٩٤ ، ٦٩٥

المسلمون ٩٢ ، ١١٨ ، ١١٩

بنو (آل) هاشم	٥٤٤ ، ٣٧٦	بنو يزداد	٤٩٩
بنو (آل) هود	٨٠٤ ، ٤١٠	يعرب	٤٧٥ ، ٥٠٢ ، ٦٨٩
هوزن	٨٢		٥٩١ ، ٧١٥
وائل	٣٦٠ ، ٥٤٤ ، ٥٦٩ ،	بنو يفرن	١٧٩
٦٢٨		يمن	٧٢١
ابنا وائل	٧٢٥	اليهود	٩٢ ، ٣٥٤ ، ٣٦٤٣
بنو يريم	١٥		٥٦٢
بنو يرنيان	١٧٩	يونان	٣٣٥ ، ٤٦٣ ، ٧٢١

٤ - فهرس الكتب المذكورة في المتن

- الاعتماد على ما صحّ من شعر المعتمد بن عباد لابن بسام ٨١ ، ٤٧٧
 الاكليل المشتمل على شعر عبد الجليل لابن بسام ٤٧٧
 البديع في وصف الربيع لأبي الوليد الحميري ١٢٥ ، ٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢١٤
 التذكرة لابن الأفطس ٦٤٠
 الحدائق لابن فرج ١٤٢
 حديقة الارتياح لابن مسلمة ١٠٦ ، ٢٠٦ ، ٣٩٦
 خلق الانسان لثابت ١٥٤
 ذخيرة الذخيرة لابن بسام ٨٣٥
 الزهرة لابن داود ١٤٢
 سلك الجواهر من نوادر ترسيل ابن طاهر لابن بسام ٤٧٧
 شعر المعتضد جده ابن أخيه إسماعيل ٢٩
 العمدة لابن رشيق ٧٢٧
 كتاب الترمذي في الحديث ٨٢
 الكتاب الكبير لليقوبي ٨١٢
 كتاب المظفر (المظفري) : انظر : التذكرة لابن الأفطس
 نخبة الاختيار من أشعار ذي الوزارتين أبي بكر بن عمار لابن بسام ٤٧٧
 نظم السلوك في وعظ الملوك لابن اللبانة ٦٢
 الهادي إلى معرفة النسب العبادي لأبي رافع بن حزم ١٤
 اليتيمة للثعالبي ٨٣٦

٥ - فهرس القوافي

قافية الحمزة

٥٣	قيس بن الخطيم	الطويل	بقاءها
٦٨٦	قيس بن الخطيم	الطويل	أضاءها
٥٨٤'	صالح الشتمري	الكامل	البرحاء
١٢٠	ابن المعلم	البسيط	هيجاء
١٢٣	ابن المعلم	البسيط	الداءُ
٣٥٨	—	البسيط	دعجاء
٢٢٧	المعتمد	الوافر	البقاء
٢٢٨	ابن زهر	الوافر	الشقاء
٢٥١	حسان بن ثابت	الوافر	لحاء
١٦٨	ابن الرومي	الكامل	الرقباء
٢٢٢	ابن البين	الكامل	الأسماء
٨٠٠	ابن البين	الكامل	الخضراء
٤٣٧	ابن هانيء	الكامل	شركاء
٤٧٨	ابن وهبون	الكامل	البيضاء
٦٢٠	المتنبي	الكامل	نجلاء

العزاء	الخفيف	أبو القاسم ابن عبد الغفور	٣٢٤
وبهاؤه	الخفيف	أبو محمد البطليوسي	٧٧٣
بماء	الطويل	صالح الشنمري	٥٨٤
وحياء	الطويل	أبو الحكم ابن حزم	٥٩٤
الرقباء	الطويل	أبو الوليد ابن حزم	٦٠٣
السناء	مخلع البسيط	ابن برد أو ابن الرومي	٢٣١
الفناء	الوافر	أبو حفص الهوزني	٩٣
الامراء	الكامل	عدي بن الرقاع	١١٦
الغماء	الكامل	أبو تمام	٧١٤
بصفاء	الكامل	ابن عبدون	٧١٦
وبدائه	الكامل	حسام الدولة ابن رزين	٢٢١
وفائه	الكامل	ابن زهر	٢٢١
ومضائه	الكامل	المتنبي	٢٢٧
أحشائه	الكامل	ابن نباتة	٤٦٦، ٣٧٩
جوزائه	الكامل	ابن فتوح	٤٦٦
شراء	مجزوء الكامل	ابن عمار	٤٢٠
سمائه	مجزوء الكامل	ابن المعتز	٢٣١
صفاء	المجث	أبو عامر ابن مسلمة	١٠٦
وصفاء	المجث	ادريس بن اليماني	١٠٧
الدعاء	المتقارب	ابن الملح	٤٥٢
الضياء	المتقارب	أبو الحسن البكري	٥٦٩

قافية الباء

٧١٥	ابن المعتز	الرجز	طلب
٥٣٨	ابن بسام	المتقارب	الحسب
٥٤٠	ابن عبد العزيز	المتقارب	العرب
٦٢٠	المعري	المتقارب	كتب
٥٦٨	أبو الحسن البكري	المتقارب	القضيب
٦٨٧	ثعلبة الشيباني	المتقارب	صبيب
٤٧٠	ابن الملح	الطويل	ندويا
٤٩٢	أبو تمام	الطويل	خائبا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	غائبا
١٤٧	خالد بن يزيد	الطويل	قلبا
٣٣٢	المتنبي	الطويل	كذبا
٥٥٠	المتنبي	الطويل	ركبا
٥٥٤	—	الطويل	لبى
٧٦٩	أبو بكر البطلومي	الطويل	الجلبا
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	عني
١٧٤	ابن حصن	الطويل	اصطحابها
١٦٨	ابن بابك	البيسط	لانتصبا
٢٧٠	مرة بن محكان	البيسط	الطنبا
١٦٥	ابن حصن	الوافر	النقابا
١٢٢	ابن هانيء	الكامل	شبابا
٢٢٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	أبا

٢٢٣	ابن زهر	الكامل	كبا
٢٢٢	المتني	الكامل	الحاجبا
٥٨٣	صالح الشتمري	الكامل	مذهبا
٦٨٦	ابن هانيء	الكامل	الغيهبا
٧١٨، ٤٢	ابن هانيء	الكامل	طحلبا
٣٢٦	أبو محمد عبد الغفور	مجزوء الكامل	الكتابا
٦٧	المعتمد	مجزوء الكامل	صوابا
٢١٧	ابن القوطية	السريع	الزبابا
٤٩٤	أبو جعفر المحدث	الخفيف	الذناي
١٥٠	ابن الأبار	الخفيف	الكثيبا
٢٣٦	—	الخفيف	طبيبا
٣٥٠	—	الخفيف	قليبا
٢١٤	البلمي	الخفيف	وغرابا
٦١	نصيب	الطويل	الحقائب
٥٨٠	—	الطويل	لراغب
٦٢٠	—	الطويل	حواجب
٧٦٥	ابن عبدون	الطويل	ونواب
٧٦٦	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعاب
٣١	المعتضد	الطويل	ثواب
٤٩٤	ابن وهبون	الطويل	شباب
٦٩٣	أبو فراس	الطويل	شهاب
٧٣٩	الأعمى التطيلي	الطويل	غضاب

٥١٦	ابن وهبون	الطويل	وثوبُ
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	تنوب
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	يلوبُ
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وتؤوب
٣٨١	ابن عمار	الطويل	رحيب
٤٤٩	امرؤ القيس أو صخر	الطويل	عسيب
٤٤٩	امرؤ القيس	الطويل	نسيب
٧٠١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	محاريب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	وتعذيب
٢٤٨	أبو تمام	الطويل	الغرب
٦١٩	أبو تمام	الطويل	المضب
٦١٤	—	الطويل	قلب
٦٩٣	ابن عمار	الطويل	العضب
١٦٧	المتنبي	الطويل	وأكتب
٢٤٧	المتنبي	الطويل	تكذب
٤٩٠	ابن مقبل	الطويل	تغرب
٧١٨	ابن عبدون	الطويل	وأصوب
٥٥٢	أبو تمام	الطويل	مطالبه
٧٩٣	يزيد بن الطرية	الطويل	عقابها
٧٢	السمهري العكلي	الطويل	ذنوبها
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	لهيبها
٩١	البحري	البسيط	ينسكب
٤٧٢	ابن الملح	البسيط	ينسكب

٢١٤	البلي	البسيط	ذوائبه
١٤٦	—	الوافر	والخطاب
٤٤٢	ابن عبدون	الوافر	الرباب
٥٨٠	—	البسيط	الذباب
٧٠٨	ابن عبدون	البسيط	ذباب
٧٠٩	المتني	البسيط	العقاب
٧٨١	—	الكامل	توهبُ
٨٤٠	ابن صارة	الكامل	تكذبُ
٤٨٧	إسحاق بن معلى	الكامل	يرتاب
٩١	ابن الرومي	المجث	مسيبُ
٢٧٢	دريد بن الصمة	الطويل	قارب
٢٨٠	ابن أبي فتن	الطويل	الثاوب
٣٨٠	المتني	الطويل	المواهب
٤٠٣	المعتصم بن صمادح	الطويل	صاحب
٤٠٤	ابن عمار	الطويل	التجارب
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	الغياهب
٧٤٨	الأعشى التطيلي	الطويل	راتب
٧٥٧	—	الطويل	الحواجب
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	الطويل	الكواكب
٤٩٧	ابن وهبون	الطويل	شهاب
٤٥٣	ابن الملح	الطويل	تأنيب
٣١٨	المتني	الطويل	طبيب

٥٨٤	صالح الشنمري	الطويل	محيبي
٥٨٦	صالح الشنمري	الطويل	حسيب
٣٣٤	امرؤ القيس	الطويل	تولب
٧١٥	امرؤ القيس	الطويل	بخطب
٤٧٥	ابن وهبون	الطويل	يعرب
٤٣	المجنون	الطويل	مغرب
١٠١	أبو الوليد الباجي	الطويل	القلب
٤٠٧	ابن عمار	الطويل	الركب
٤٠٨	المعتمد	الطويل	العتب
٧١٧	ابن عبدون	الطويل	الحب
٦٨	المعتمد	البيسط	النوب
٢٣٧	أبو تمام	البيسط	التعب
٣٨١	أبو تمام	البيسط	السلب
٤٤٤	أبو تمام	البيسط	مرتقب
٦٠٥	أبو تمام	البيسط	صخب
٦٨٦	أبو تمام	البيسط	شخب
٢٥٦	ابن جمهور	البيسط	للعرب
٤٨٠	المتنبي	البيسط	الشجب
٥٥٨، ٤٨٦	المتنبي	البيسط	الكذب
٤٩٠	المتنبي	البيسط	سبب
٧٠٦	ابن عبدون	البيسط	أرب
٧٣٥	الأعشى التطيلي	البيسط	بمقرب

٧٧٧	البحري	البيسط	والحسب
٢١٧	ابن القوطية	البيسط	أعراب
٤٩٥	ابن عبدون	البيسط	التجاريب
٦٩٨	ابن عبدون	البيسط	تذهيب
٦٩٩	المتني	البيسط	محبوب
٧٠٠	الجميع	البيسط	مقروب
٨٢٣	ابن سوار الأشبوني	البيسط	سراحيب
٣٨٤	عبد المحسن الصوري	البيسط	مضاريه
٧١٤	بشر بن أبي خازم	الوافر	السحاب
٧١٦	أبو نواس	الوافر	ذنوبي
٦٧	المعتمد	الكامل	منهـب
١٦١	ابن حصن	الكامل	تشرّب
١٦٩	المعري	الكامل	يخطب
٣٨٧	المعري	الكامل	المركب
٤٩٢	البحري	الكامل	بالمضرب
٥٠٧	علي بن محمد الأيادي	الكامل	يركب
٦٣٥	ابن بقي	الكامل	يشرب
٥٥	أبو دلامة	الكامل	وضراب
٣٨٠	علي بن أبي طالب	الكامل	أثوابي
٢١٠	أبو الأصمغ ابن سعيد	الكامل	بمشيبي
٢١٥	ابن القوطية	الكامل	شريبه
٨٣٨	العباس بن الأحنف	السريع	القلب

٤٨١	المتنبي	الكامل	كسبه
٢٢٥	العباس بن الأحنف	المنسرح	أرب
٦٩١، ١٥٩	ابن حصن	الخفيف	الغراب
٧١٢	ابن عبلون	المتقارب	بلب

قافية للتاء

٢١٠	ابن خيرة الصباغ	مجزوء الكامل	المصامت
١٦٦	ابن حصن	المتقارب	وتعنيته
١٤٨	الناجم	مخلع البسيط	عنكبوت
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أبيت
٨٠٣	أبو محمد ابن هود	المجث	وليت
٧٤	أبو الحسن البطليوسي	المتقارب	فارقته
٨٠١	ابن البين	الطويل	وجرة
٤٨٢	المعري	البسيط	السموات
٨٤٢	ابن صارة	الوافر	المكرمات
١٣٩	ابن سريج	الكامل	سناته
١٤٣	ابن الأبار	الكامل	لحظاته
٣٥٨	المتنبي	الكامل	سراويلاتها
٧٩٧	الطيطل	السريع	النحت
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الخفيف	هياته

قافية للثاء

الحدث	المتقارب	ابن صارة	٨٤٥
انبعث	المنسرح	ابن الملح	٤٥٣
نافث	الطويل	ابو الأصمغ ابن سعيد	٢٠٩
الحوادث	الطويل	ابراهيم الصولي	٤٠٥
الحوادث	الطويل	ابن عمار	٤٠٦
الرفث	مجزوء الرجز	عبد المحسن الصوري	٨٤٥

قافية الجيم

الموادج	الطويل	ابن صارة	٨٤٠
منهج	الطويل	ابن حصن	١٧٠
تخرج	الطويل	البلمي	٢١٣
الزجاج	الوافر	ابن بقي	٦٢٨
وبالسروج	الوافر	أبو الحسين ابن الجدد	٥٦٢
البروج	مجزوء الكامل	المعتمد	٤٥
الأعلاج	الخفيف	ابن الرومي	٤٨٨، ٣٧٩
أرتجي	مجزوء الخفيف	ابن عبدون أو أبو الحسن البطليوسي	٥٨٩

قافية الحاء

قرح	مجزوء الرجز	ابن القوطية	٢١٨
ألحى	الطويل	—	٣٦٦

١١٤	النابعة الذبياني	الكامل	نجاحا
٤٤٦	حسان بن المصيصي	الكامل	جناحا
٨٢٩	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ورواحا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	طامحا
٢٣٠	المرادي	الخفيف	وشحا
٤٨٩	أشجع السلمي	الطويل	الصحاصحُ
٥٤٩	أبو بكر ابن عبد العزيز	الطويل	صائح
٤٢٠	ابن عمار	الطويل	وأوضح
٧١٤	ابن مقبل	الطويل	تلمح
٦٩	عوف بن محلم	الطويل	ينوح
٤٨٩	النابعة الذبياني	الطويل	جنوح
٤٨٢	المعري	الطويل	روحُها
٢٤٥	ابن عبادة القزاز	الوافر	الجراح
٤٤٥	حسان بن المصيصي	الكامل المرفل	سطح
٦٢٥	ابن بقي	المنسرح	نفاح
٤٤٤	حسان بن المصيصي	المتقارب	الرماحُ
٥١٤	المجنون	الطويل	الأباطح
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	البسيط	مقترحي
٣٨٦	البحثري	الكامل	الذابح
٣٨٧	البحثري	الكامل	الذابح
٨٣٨	ابن صارة	الكامل	البارح
١٠٩	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل	جناحي

٦٩٢	ادريس بن اليماني	الكامل	الراح
٨٣٩	ابن صارة	الكامل	ضحضاح
٨٤٩	ابن صارة	الكامل	نجيح
٣٠	المعتمد	مجزوء الكامل	الأفاح
٤٠٢	ابن عمار	مجزوء الكامل	السماح
٤٠٢	المعتصم بن صمادح	مجزوء الكامل	الصباح
٢١١	ابن خيرة الصباغ	المجثث	الصبوح
٦٩٧	ابن عبدون	المقارب	فصاح
٣٨٥	ابن عمار	المقارب	للبارح

قافية الدال

٤٤٢	ابن عبلون	الكامل المرفل	وشهد
٥٩١	ابن عبدون	الكامل المرفل	ومجد
٢١٣	البلمي	مجزوء الكامل	البرود
٧٨٦	ابن قزمان	مجزوء الكامل	واستعد
٤٨٠	—	المنسرح	الفائد
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	أنجدا
٤٥٤	ابن الملح	الكامل	الورّادا
٦١٣	ابن الملح	الكامل	الصدّا
١٩٨	أبو عمر الباجي	الكامل	الآسادا
٧٠٤	الناشيء	الكامل	وغيدا
٨٠٢	ابن البين	الكامل	قلودا

٧٧٦	عمر بن معد يكرب	مجزوء الكامل	بردا
٣٢	المعنضد	الهرج	عقدہ
٦٩٠	—	مجزوء الرجز	واحد
٦٨٦	ابن عبدون	المتقارب	تحدى
٤٥	المعتمد	الطويل	واجد
٤٥	المعتمد	الطويل	بارد
١٤٠	المتنبى	الطويل	راقد
٨٠٠	المتنبى	الطويل	والفراقد
٧٩٦	ابن طباطبا	الطويل	لواجد
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	أرمد
٢٢٢	ابن الرومي	الطويل	ويصعد
٥٠٦	ابن هانيء	الطويل	أسود
٨٣٠	ابن سوار الأشبوني	الطويل	أرقد
٥٠٣	المتنبى	الطويل	العقد
٥٧٨	المتنبى	الطويل	بد
٦٢٤	ابن حمديس	الطويل	أشدو
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	رعد
٧٢	ابن شهيد	الطويل	وكبود
٩٢	أبو حفص الهوزني	الطويل	شهود
٢٢٥	أبو عطاء السندي	الطويل	بعيد
٥٩٤	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وتعيد
٥٩٩	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	بعيد

١١٥	المتنبي	الطويل	استجدة
١٢١	أبو تمام	البيسط	كبد
٦٢١	أبو تمام	البيسط	تلد
٤٨٢	المعري	البيسط	الجسد
٤٨٣	المعري	البيسط	وردوا
٥١٤	العباس بن الأحنف	البيسط	رقلوا
٤٨٣	المعري	البيسط	ميعاد
٦١٧	ابن بقي	البيسط	أنجاد
٥٠٣	ابن وهبون	البيسط	الأناشيد
٧٩٨	الطيطل	مخلع البيسط	المراد
١٩٩	المعري	الوافر	يستعاد
٨٤٢	المعري	الوافر	الجراد
٥٠٥	السلامي	الوافر	تقاد
٣٨٨	ابن عمار	الوافر	فريد
٤٨٦	صريع الغواني	الوافر	يزيد
٧٦١	—	الوافر	يسود
٨٤٣	ابن صارة	الوافر	تحيد
٦٠٩	—	الوافر	نجد
١٣١	ابن الرومي	الكامل	الفاسد
٨٤٢	ابن الرومي	الكامل	الوالد
٣٩٤	ابن عمار	الكامل	نهود
٧٠٦	ابن عبدون	الكامل	عبيد
٥٦	المعتمد	الكامل المرفل	تعد

٥٩٦	—	السريع	الأبعد
٥٥٣	—	المنسرح	أحد
١٥٠	—	الخفيف	النهود
٦٠	أبو العتاهية	المتقارب	جاحد
٨٧	أبو حفص الهوزني	الطويل	ماجد
١١٧	أبو تمام	الطويل	عطارد
٤٤٢	أبو تمام	الطويل	بزاهد
٧٨٤	الفرزدق	الطويل	خالد
٨٤٨	ابن صارة	الطويل	الشدايد
١٥٤	ابن أبي ربيعة	الطويل	توسد
٢٢٤	—	الطويل	يصر د
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الطويل	محمد
٢٣٨	ابو عبيد البكري	الطويل	الجر د
٣١٩	أبو القاسم ابن الجلد	الطويل	ند
٤٥٠	ابن الملح	الطويل	الغد
٨٣٨	المعتمد	الطويل	كبدى
٨٤٢	ابن صارة	الطويل	سيت
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	لمعاد
٥٦	أبو دلامة	البسيط	أمد
١٣٥	أدريس بن اليماني أو ابن الأبار	البسيط	كبدى
٤٧١	ابن الملح	البسيط	جسدى
٤٩٨	ابن وهبون	البسيط	الغيد

٤٩٩	ابن وهبون	البسيط	فاقتصد
٥٠٠	ابن وهبون	البسيط	الفند
٤٩٩	البحري	البسيط	ترز
٥١٤	يحيى بن هذيل	البسيط	واكبدي
٦٢١	ابن بقي	البسيط	منجرد
٦٢٣	الأواء الدمشقي	البسيط	بالبرد
٦٢٥	ابن بقي	البسيط	لغد
٧٣٧	الأعدى التطيلي	البسيط	ترز
٧٦٣	الناقة الذبياني	البسيط	الأسد
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	الأبد
٥٧	المعتمد	البسيط	عباد
٨٠	ابن اللبابة	البسيط	عباد
٦٢١	ابن هانيء	البسيط	بمولود
٧٠٨	إسحاق الموصلي	البسيط	مسلود
٧٦٥	صريع الغواني	البسيط	الجود
١٢١	المتنبي	الوافر	فؤاد
١٤٣	ابن فرج الجياني	الوافر	الرقاد
٥٥٤	—	الوافر	عيد
٣١	—	الكامل	الأكباد
٥٨	أبو بحر ابن عبد الصمد	الكامل	عواد
٣٩٤	ابن لبون	الكامل	الوراد

٣٩٥	ابن عمار	الكامل	صعادي
٤٦٩	القسطلي	الكامل	المباد
٢٥١	الحارث بن هشام	الكامل	مزبد
٧٠٦	النابعة الذبياني	الكامل	هاليد
٧٧٧	أبو تمام	الكامل	الوالد
٨١٨	ابن سوار الأشبوني	الرمل	الغواذي
٦٨٥	بشار	الرجز	لمرتد
٣١٤	أبو فراس	السريع	خالد
٨٣٩	ابن صارة	السريع	جند
٧٩٣	ابن الرومي	المنسرح	ورد
٤٣٢	ابن عمار	المنسرح	نقده
٤٨٥	المعري	الخفيف	والاجداد
٧٩٦	المعري	الخفيف	الأفراد
٤٢٦	ابن عمار	الخفيف	الرشيد
٧٥	المعتمد	المتقارب	القيود
٨٤١	عمر بن الشهيد	المتقارب	ندي
٣٩٢	ابن عمار	المتقارب	ردة

قافية الذال

٢١٥	ابن القوطية	الرمل	وبذ
٢١٠	أبو الأصمغ ابن سعيد	الكامل	رذاذ
٢٣	القاضي ابن عباد	الطويل	يغتذي

غذي	الطويل	ابن حبيب الحميري	١٣٣
فخذي	الكامل المرفل	الحصري الكفيف	١٤٢

قافية الراء

كدر	الطويل	امرؤ القيس	٧٠٤
أثر	البيسط	ابن برلوصة	٨٠٥
المجوهر	مخلع البيسط	أبو الأصبغ ابن عبد العزيز	٢٠٨
معدّر	مخلع البيسط	ابن الأبار	٢٠٩
المعجبر	مجزوء الكامل	أبو محمد عبد الغفور	٣٦٢
البهار	الرمل	ابن مرزقان	٥٢١
تغور	الرمل	ابن خيرة الصباغ	٢١١
القمر	السريع	ابن حصن	١٦٦
نزار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
الفرار	السريع	أبو عبد الله ابن شرف	٦٤٢
نصر	المنسرح	القاضي ابن عباد	٢٣
غير	المنسرح	ابن اللبانة	١٤٥
النظر	المنسرح	ابن حبيب الحميري	١٣٣
اذكر	المنسرح	أبو الحسن الشنتمري	٦٣٨
تناثر	الخفيف	ابن فرج أو المصحفي	٣٩٠
البشر	مجزوء الخفيف	—	٢٠١
الأوار	التقارب	المعتمد	٧٣
قصر	التقارب	ابن نباتة السعدي	٩٢

١٥٤	أبو نواس	الطويل	صفرا
٢٢٨	ابن عبدون	الطويل	جهرا
٢٢٩	ابن زهر	الطويل	أورى
٢٥٠	امرؤ القيس	الطويل	وميسرا
٧٣	المعتمد	البسيط	ماسورا
١٩٩	أبو عمر الباجي	الوافر	نارا
١٤٨	—	الكامل	ظهورا
٣٢٢	أبو المغيرة ابن حزم	الكامل	مسكرا
٣٨٢	ابن عمار	الكامل	السرى
٦٣٢	ابن عمار	الكامل	أخضرا
٥٦١	أبو الحسين ابن الجحد	الكامل	أبعصرا
١٠٤	أبو الوليد الباجي	الرجز	النبرا
٧٨٢	—	الرجز	برآ
١٠٤	أبو الوليد الباجي	السريع	جائرا
٣٣٤	أبو تمام	السريع	القاصره
٨٢٠	—	السريع	الآخره
٨٢٠		السريع	برآ
٦٤	المعتمد	الخفيف	وشكرا
٤١٥	ابن عمار	المتقارب	مشيرا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	المتقارب	ميثرة
٦٤٥	الكميت	المتقارب	وأفكارها
٣٠	ابن المعتز	الطويل	جواهر

١٦٩	ذو الرمة	الطويل	أغبر
١٩٧	أبو عمر الباجي	الطويل	أكبر
٤٥٩	ابن شهيد	الطويل	فيشمر
٧٩٥	—	الطويل	مدنر
٦٨	المعتمد	الطويل	الدهر
١٣٣	ذو الرمة	الطويل	الخمر
١٥٤	أبو نواس	الطويل	فخر
٢٣٧	أبو عبيد البكري	الطويل	القطر
٣٢٠	أبو عامر ابن مسلمة	الطويل	الخبر
٣٢٠	أبو القاسم ابن الجد	الطويل	نشر
٣٢٢	أبو تمام	الطويل	البدر
٣٤٠	أبو محمد عبد الغفور	الطويل	والصبر
٤٠١	ابن عمار	الطويل	الدهر
٤٤٣	—	الطويل	صفر
٤٩٣	المعري	الطويل	الدهر
٤٩٤	ابن شماخ	الطويل	عمر
٥٩٠	ابن عبدون	الطويل	الزهر
٥٩٠	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	البدر
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ستر
٧١٧	أبو الشيص	الطويل	حمر
٧٢٠	ابن عبدون	الطويل	بكر
٧٧٣	أبو محمد البطليوسي	الطويل	شبر

٧٩٤	ذو الرمة	الطويل	الفجر
٨١٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وعر
٧٥	المعتمد	الطويل	وسرير
٧٦	ابن حمديس	الطويل	ويجور
١٦٩	ابن وهبون	الطويل	يدور
٣٣٣	—	الطويل	لكثير
٤٦٢	الصاحب بن عباد	الطويل	ضمير
١٥٣	الفرزدق	الطويل	كاسره
٤٨	المعتمد	البيسط	والخدر
١٥٠	ابن اللبانه	البيسط	ينكسر
٢٥٥	ابن وهبون	البيسط	السمر
٣٠٥	ابن وهبون	البيسط	الفكر
٢٥٦	أبو الحسين ابن الجحد	البيسط	خبر
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	وطر
٥٩٦	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	والغير
٦٠٧	أبو الوليد ابن حزم	البيسط	الشرر
٦٣٠	الأخطل	البيسط	هجر
٧٧٣	أبو الحسن البطليوسي	البيسط	ذخروا
٥٨	—	البيسط	محدور
٣١	المعتضد	البيسط	ناظره
١٤٩	المتنبي	البيسط	مآزره
٤١٠	المتنبي	البيسط	دوائره

٧٣٥	الأعمى التطيلي	البيسط	مصدره
١٦٥	ابن حصن	مخلع البسيط	والبهار
١١٠	ابن الأبار	مخلع البسيط	البنور
١١٠	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	النفور
٩١	أبو تمام	مخلع البسيط	مطير
٤٩٩	المتنبي	الوافر	السوار
٧١٧	ابن عبدون	الوافر	ثمار
٤٤٨	ابن الدهقانة أو غيره	الوافر	كثير
٢١٤	البلمي	الكامل	وتمطر
٢٩٦	—	الكامل	يكدر
٩٢	العباس بن الأحنف	الكامل	الأقدار
٧٧٨	العباس بن الأحنف	الكامل	مدرار
٤٤	المعتمد	الكامل	أمور
٢٢٥	بشار	الكامل	أمير
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	كثير
٣٩٢	ابن عمار	الكامل	اضراره
٤٤٩	حسان بن المصيصي	الكامل	بهاره
٧٠٩	طرفة	مجزوء الكامل	النسور
١٥٤	—	الرجز	عتوره
٨٤٥	الحصري الكفيف	الخفيف	الحضور
٤٤٠	حسان بن ثابت	الخفيف	يطير
١٧١	ابن حصن	الطويل	تصير

٦٨٧	زهير بن مسعود	الطويل	محبّر
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	وظاهر
٨٤٧	ابن صارة	الطويل	بنحو اطري
٤٣	المعتمد	الطويل	مجر
٦٩	المعتمد	الطويل	عمري
١٤٧	الأخطل	الطويل	يجري
١٦٦	ابن حصن	الطويل	والنهر
٢٧٣	حسان بن المصيصي	الطويل	بحري
٤٨٧	—	الطويل	الدهر
٦١٢	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	أدري
٦١٢	أبو بكر ابن حزم	الطويل	القدر
٦١٨	الحصري الكفيف	الطويل	القدر
٧٠٥	أبو تمام ابن رباح	الطويل	الخر
٤٦٣	ابن الملح	الطويل	مطار
٢٠٧	أبو الأصمغ ابن عبد العزيز	الطويل	منير
٢٠٨	ابن الأبار	الطويل	منير
٤٥	المعتمد	البيسط	الغبر
٧٦	المعتمد	البيسط	الشجر
١٢٦	ابن حبيب الحميري	البيسط	والخير
١٣٧	العباس ابن الأخنف	البيسط	والبصر
١٥٥	ابن المعتز	البيسط	الخير
٧٠٠	ابن المعتز	البيسط	الأثر

٨٠٥، ١٥٨	أبو الفضل ابن شرف	البيسط	حور
٣٢٢	أبو تمام	البيسط	بالقمر
٣٧٤	المعري	البيسط	أشر
٤٥٧	المعري	البيسط	الصغر
٨٤٩، ٤٥٨	المعري	البيسط	الزهر
٤٩٤	المعري	البيسط	العكر
٤٠٠	ابن عمار	البيسط	نظري
٤٨٨	التهامي	البيسط	بصري
٧٩٥	التهامي	البيسط	التمر
٧٢٧	الأعمى التطيلي	البيسط	ذكر
٧٤٥	الأعمى التطيلي	البيسط	بالصدر
٦٩٣	ابن عبدون	البيسط	والحور
٨٠٥	أبو محمد ابن هود	البيسط	الحذر
٨٤٧	ابن صارة	البيسط	السفر
٨٤٩	ابن صارة	البيسط	والغرر
٣٠	ابن عبدون	البيسط	آذار
١٥٠	ابن عمار	البيسط	بأطيار
٣٨٤	ابن عمار	البيسط	الساري
٢١٧	ابن القوطية	البيسط	بلاّ
٣٥٨	القتال الكلابي	البيسط	بالعار
١٦٩	—	البيسط	نور
٦٤٦	جرير	الوافر	الخمار

٧٢٧	المعري	الوافر	حوار
٦٢	المعتمد	الوافر	الشكور
٦٣	ابن اللبانة	الوافر	ضميري
٧١١	ابن عبدون	الوافر	الدهور
٧٩٠	مهلهل	الوافر	بالذكور
٣١	أبو تمام ابن رباح	الكامل	بشرار
٢٤٨	التهامي	الكامل	عذار
٤٨٦	التهامي	الكامل	الأشفار
٤١١	ابن عمار	الكامل	النار
٤١٣	المعتمد	الكامل	الاعصار
٥٩٦	—	الكامل	جدار
٧٢٧	المعري	الكامل	الأسوار
٨٤١	ابن صارة	الكامل	للنظار
٨١٠	المعتمد	الكامل	وبواتير
٨١١	النحلي	الكامل	ظاهري
٤٥٦	ابن الملح	الكامل	فاصدر
٥٩٢	أبو الحكيم ابن حزم	الكامل	فتذكير
٦٢٩	ابن بقي	الكامل	المقفر
٧٢٧	المعري	الكامل	الصرصر
٦٣٨	أبو الحسن الشنتمري	الكامل	غديرها
٤٠١	ابن عمار	الكامل المرفل	الزهر
٥١٢	الخنساء	الكامل المرفل	الخصر

٦١٧	ابن بقي	الكامل المرفل	النجر
٢٩٦	بشار	الكامل المرفل	قدره
٩٤	عدي بن زيد	الرميل	اعتصاري
٢٣	القاضي ابن عباد	المع	المخبر
٨٤٥	—	السريع	الأبخر
٨٠٩	التحلي	المنسرح	النظر
٢١٥	ابن القوطية	الخفيف	واققدار
٢٣٠	ابن زهر	الخفيف	نهار
٤١٠	ابن عمار	الخفيف	بالتندير
١٦١	ابن حصن	المجث	أواري
١٤٥	أبو القاسم المنبشي	المقارب	أمريها

قافية للزاي

٢١٨	ابن القوطية	البسيط	الخرز
١٥٥	ابن الرومي	الكامل	المتحرز
١٥٦	ابن الأبار	الكامل	منعوز

قافية السين

٢١٢	البلمي	مخلع البسيط	العس
١٣٣	ابن حبيب الحميري	المنسرح	الأنفس
١٠٩	المصحفي	الطويل	الشمسا
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	تلبسا

٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	وقوسا
٧٠٣	أبو نواس	الطويل	الفوارس
٧٠٥	المتلمس البجليوسي	الطويل	فريسها
١٦٢	ابن حصن	السريع	والآس
٢٣٨	أبو عبيد البكري	الطويل	والآس
٤٧	المعتمد	البسيط	حرأس
٢١٦	ابن القوطية	البسيط	مقتبس
٨١٤	ابن سوار الأشبوني	البسيط	المهرس
٢٧	صاعد البغدادي	الوافر	الرعوس
١٢٩،٧٠	الخنساء	الوافر	نفسى
٣٩١	ابن عمار	الكامل	مجلس
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الكامل	أناس
٣٩٦	الأشتر	الكامل	عبوس
٣٩٧	ابن الأبار	الكامل	ونفوس
١٥٥	والبة بن الحجاب	السريع	راسى
١٦١	ابن حصن	السريع	الأنفس
٤٦	ابن وكيع	مجزوء الخفيف	دنجسي

قافية الشين

٥٨٤	صالح الشتيمري	الوافر	ويمشى
٧٧٢	أبو الحسن البجليوسي	السريع	أعشى
٦٨٧	حام	الطويل	تشمش

قافية الصاد

٤٠٧	عدي بن زيد	السريع	الحريص
١٢٤	ابن المعلم	الكامل المرفل	خرصي
١٢٤	أبو عامر ابن مسلمة	الكامل المرفل	الفرص

قافية الضاد

٢٠٢	ابن الأستجي	المجتث	أرضه
٢٠٣	ابن القوطية	المجتث	أرضه
٢٠٣	ابن حبيب الحميري	المجتث	وأرضه
٢٠٤	ابن الأبار	المجتث	وافتنضه
٢٠٤	أبو الاصبع ابن عبد العزيز	المجتث	غضه
٢٠٥	ابن حصن	المجتث	غمضه
٢٠٥	المعتضد	المجتث	لتمضه
٢٣١	ابن زهر	البسيط	غمرض
٢٩	المعتضد	المنسرح	تبيض
٦٩٣	أبو نخيلة	الطويل	بعض
٨٤٥	ابن صارة	الكامل	النضناض
١٢	ذو الاصبع العدواني	الهزج	الأرض
٣٨٠	—	الخفيف	رياض

قافية الطاء

٨١٠	متوكل بن أبي الحسن	البسيط	سَقَطَا
٣٩٠	البحثري	الطويل	ولا قَطُة
٢٥٠	ابن العسال	البسيط	الغَلَطِ

قافية العين

٥٤	(خارجي)	الرجز	الطَمْعُ
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	الطَلُوعُ
١٥٣	امرؤ القيس	الطويل	أَتَلَعَا
٧٠٢	ابن الرومي	الطويل	مَشَرَّعَا
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	أَجْمَعَا
٥٤١	أبويكرابن عبد العزيز	البسيط	مَوْضَعُهُ
١٤٦	ابن الرومي	الكامل	دَمُوعَا
٦٨	المعتمد	الرملي	الطَمْعَا
١٩٥	أبو الأسود الدؤلي	الرملي	مَنْتَزَعُه
٩٨	أبو الوليد الليحي	المتقارب	كَسَاعُه
٨٣	أبو حفص الهوزني	الطويل	يَتَوَقَّعُ
١٧١	أبو تمام	الطويل	فِيَوْجَعُ
٣١٨	أبو القاسم ابن الجحد	الطويل	وَأَمْتَعُ
٧٩٩	ابن البين	الطويل	مَتَشِيعُ
٥٩٩	المجنون	الطويل	المُضَايِجُ

٧٠٢	السلامي	الطويل	جوامعُ
٧٠٣	صريع الغواني	الطويل	الجوامعُ
٥٦٧	أبو الحسن البكري	الطويل	سمعُ
٤٤	المعتمد	الطويل	تواقعهُ
٣٢٣	المعتمد	الطويل	متاعها
٢٤٩	ابن اللبانة	البسيط	فتنخدع
٦٢١	المتني	البسيط	زرعوا
٨٤٩	المتني	البسيط	يضعُ
٦٢٩	—	البسيط	البقعُ
٧١٣	أبو نصر المعافى	مخلع البسيط	الاضاعُ
٤٢٢	أبو ذؤيب	الكامل	تنفع
٤٦٦	ابن عبد البر الشنتريني	الكامل	تسطع
٤٨٧	المتني	الكامل	الأدمع
٥٣	المعتمد	مجزوء الكامل	الصدبُع
٤٤	المعتمد	السريع	لماعُ
٣٧٧	عيسى بن الحسن	الطويل	وتفجمي
٥٥٠	المعري	الطويل	أربع
٧٠٣	الرمادي	الطويل	المشعشع
٧٧٠	أبو بكر البطلبيوسي	الطويل	بمباضع
٨٣٧	ابن صارة	الطويل	شفيع
٣٨٨	ابن عمار	الطويل	دع
١٦٩	المعري	الطويل	جدع

٤٤٢	—	البسيط	الورع
٥١٣	ابن فرج الجبائي	الوافر	بالمطاع
١٤٢	أبو تمام	الوافر	الرقاع
٧١٢	ابن عبدون	الوافر	الزماح
٧٨٨	ابن مقانا	الوافر	الطبيعي
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	أسماعي
٦٢٣	الشريف الرضي	الكامل	المطبوع
٨٠١	المتنبي	الكامل	دموعي
٧٢١	ابن شهيد	المتقارب	الشجاع

قافية الفاء

١٤٣	ابن الأبار	مجزوء الكامل	للارتشاف
١٧٤	ابن حصن	الطويل	تناقفا
٧٩٥	ابن هاني	الطويل	تخفى
٢٠٧	أبو الأصبح ابن عبد العزيز	مجزوء الكامل	عطفه
٦٠٠	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	الطاقها
٣٧٧	الرمادي	الطويل	وتتف
٩٣	أبو نواس	البسيط	تعرف
٤٧٣	ابن الملح	البسيط	منزوف
٤٠٩	الناجم	الوافر	ظريف
١٤٧	ابن أبي ربيعة	مجزوء الرجز	مهفهم
٨٣٦	ابن وهبون	الرمل	طرفه

٦٣٧	أبو الحسن الشتمري	السرّيع	والخيفُ
١٦٤	ابن حصن	المتقارب	ينصفُ
٤٦٨	أبو بكر ابن حجاج	المتقارب	عرفهُ
١٤٩	أبو القاسم المنيشي	الطويل	الحشفِ
٦٣٤	ابن بقي	البسيط	الأسفِ
٤٨٣	المعري	الوافر	شعفي
٥١٢	البحثري	الكامل	يشرفِ
٧٧٠	أبو بكر البطلبوسي	الكامل	طافي
٧٨٥	ابن قزمان	الكامل	نطاق
٦٣٩	أبو الحسن الشتمري	المنسرح	طرفهُ
١٣٨	سعيد بن حميد	الخفيف	الأردافِ

قافية القاف

٥٨	—	الرمّل	بسقْ
٥٨	المعتمد	الرمّل	حقْ
١٥٦	ابن الأبار	الرمّل	فاغتبِقْ
٨٤٣	ابن صارة	البسيط	طرَقا
١٤٨	المتنبّي	الوافر	نطاقا
٢١٢	ابن نصر الأشبيلي	الكامل	وأعتقا
١٤٨	ابن أبي زرعة	الكامل المرفّل	نطقا
٣٨٩	الطليق المرواني	الرمّل	شفقا
٥٩٥	أبو الحكم ابن حزم	الخفيف	وعقيفا

١٧٧	ابن حصن	الطويل	أرقق
٢٣٦	الأعشى	الطويل	ونطلق
٦٩١	الأعشى	الطويل	معلق
٤٩٧	الصابي	الطويل	أحذق
٤٩٤	ذو الرمة	الطويل	معلق
٤٢٢	المجنون	الطويل	عاشق
٣١	المعتضد	الطويل	رقيق
١٥٠	المجنون	الطويل	لصديق
٨٢٥	ابن سوار الأشبوني	الطويل	يروق
٨٥	أبو حفص الهوزني	الطويل	شرق
٦٢٢	—	البيسط	الخلق
٢١٦	صاعد البغدادي	البيسط	سراق
٣٨٥	ابن عمار	البيسط	واسحاق
١٢٢	ابن المعلم	الوافر	البراق
٢٣٠	ابن زهر	الكامل	مونق
٨٣٦	ابن صارة	الكامل	يشرق
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	رقاق
٧١٨، ٤٢	المتنبي	الطويل	الشقائق
١٤٠	المتنبي	الطويل	مفرق
١٤٧	النابعة الذبياني	الطويل	منطق
٤٠٣	ابن عمار	الطويل	المنق
٦٢٤	ابن بقي	الطويل	أطوق

٨٣٢	ابن سوار الأشبوني	الطويل	اصدق
٥٨٨	أبو الحسن البطلبيوسي	الطويل	الطوق
٧٠٥	جميل بثينة	الطويل	بطريق
١٣٥	—	البسيط	الحدق
١٥٨	المتوكل بن الأفتطس	البسيط	الحدق
٤٧٢	ابن الملح	البسيط	والحدق
٤٦٥	ابن العطار اليايسي	البسيط	العتق
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	البسيط	بقي
٦١٦	ابن بقي	البسيط	حلقه
٦١٦	أبو بكر	البسيط	درقه
٦١٦	ابن بقي	البسيط	ورقه
١٤٤	ابن وهبون	الوافر	اتفاق
٥٨٣	صالح الشتمري	الوافر	البروق
٣٧٩	ابن نباتة السعدي	الوافر	الشفيق
١٣٢	ابن حبيب الحميري	الكامل	الفائق
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الكامل	تلحق
٥٠٥	ابن وهبون	الكامل	الأزرق
٦٣٦	ابن بقي	الكامل	لناشق
٥٨٩	ابن عبلون	الكامل	تحرير
٨٤٤	ابن صارة	الكامل	نفاقها
١٦١	ابن حصن	السريع	لاخلاقها
٢٥١	ابن الرومي	المنسرح	والحدق

٤٦٧	ابن عبدوس	المنسرح	بلق
٤٨١	المتني	الخفيف	المذاق
٢١٧	ابن القوطية	مجزوء الخفيف	ورونق

قافية الكاف

٥٦٢	أبو الحسين ابن الجدد	مخلع البسيط	لساحتك
١٦٧	ابن حصن	الطويل	الشركا
٨٤٦	ابن صارة	البسيط	بكا
٣٨٤	ابن عمار	الكامل	لقياكا
٧٠٠	ابن هاني	الطويل	الفوارك
١٦٤	ابن حصن	الوافر	الديوك
٥٨٢	صالح الششمري	الكامل	هواك
٨٣٨	—	الكامل	أغناك

قافية لللام

١٥٩	ابن حصن	المجث	يتدلل
٦٢٥	—	المتقارب	الجميل
٧١٥	ابن عبلون	المتقارب	العذل
١١٥	أبو تمام	الطويل	يتحوّلا
٦٩٣	أبو تمام	الطويل	مجهلا
٧٦١	أبو تمام	الطويل	مؤمّلا
١٣٨	—	الطويل	وعجّلا

١٨٠	ابن حصن	الطويل	وصائلا
٢١٣	ابن ديسم الاشبيلي	الطويل	عذلا
٧٩٠	ابن مقانا	البسيط	والنيلا
١٣٧	القس المكي	الوافر	قالا
٢٢٣	كثير	الوافر	المطالا
٣٧٨	المعري	الوافر	الظلالا
٧٠٧	المعري	الوافر	الرتالا
٤٧٢	ابن وهبون	الوافر	ملالا
٥٠٨	ابن وهبون	الوافر	والخلالا
٧٣٢	الأعمى التطيلي	الوافر	خبالا
٩٢	أبو تمام	الكامل	كاملا
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	قبولا
٧٦٧	أبو بكر البطليوسي	الكامل	رسولا
١٢١	ابن المعلم	الكامل	عليلا
٣٨٧	كشاجم	الكامل	قابلا
٤٦٦	ابن اللبانة	الكامل	التأميلا
٥٦٢	أبو الحسين ابن الجدة	الكامل	طويلا
٧٩٤	ابن هاني	الكامل	جبريلا
٨٢٨	ابن سوار الأشبوني	الكامل	أشكالها
٣٣٢	المتنبي	المنسرح	قتلة
١١٣	المتنبي	الخفيف	بخلا
٢٢٦	المتنبي	الخفيف	محلتي

٨١٣	ابراهيم الصولي	الخفيف	والعذا
٧٨٥	ابن قزمان	الخفيف	انهمالا
٧٧٣	أبو بكر البطليوسي	الخفيف	شمولا
١٥٢	المفجع البصري	الخفيف	طويلا
٤١٤	ابن عمار	المتقارب	جمالا
٥١٣	جنوب	المتقارب	عضالا
٦٠٦	أبو الوليد ابن حزم	المتقارب	قليلا
٧٩٦	ابن مقانا	المتقارب	وخلخالها
١٤٨	أبو تمام	الطويل	الخلاخل
٦٣٤	ابن بقي	الطويل	دلائل
٧٨١	ابن المعتز	الطويل	وأرجل
١٠٢	ابو الوليد الباجي	الطويل	غافل
٧١	المعتمد	الطويل	كَبَلْ
٨٨	زهير بن أبي سلمى	الطويل	قبل
٨٨	أبو حفص الهوزني	الطويل	فصل
١٣٦	صريع الغواني	الطويل	والبذل
٥٥٣	صريع الغواني	الطويل	النصل
١٤٧	الحكم الحضري	الطويل	عبل
٥٦٤	أبو الحسن البكري	الطويل	النصل
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	القتل
٦٣٤	—	الطويل	الشغل
٦٢٧	المعري	الطويل	أصلا

٧٧	المعتمد	الطويل	حجول
٦٠٤	أبو الوليد الباجي	الطويل	فأقول
٨٢٦	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وفعول
٨٢٢	ابن المعتز	الطويل	صقيل
١٢٣	ابن المعلم	الطويل	دخيل
١٤٦	ابن الطثرية أو غيره	الطويل	فتيل
١٣٧	الصمة أو ابن الطثرية	الطويل	أنامله
١٧٠	أبو تمام	الطويل	خلاخله
٨٤٨	أبو ذؤيب	الطويل	رسولها
٨٩	أبو حفص الهوزني	المديد	أزل
٧٧٠	الشنفرى أو غيره	المديد	نخل
٤٠٧	القطامي	البسيط	الزلزل
٤٠٧	—	البسيط	عجلوا
٤٩١	ابن وهبون	البسيط	زحل
٢٩٤	حنديج المري	البسيط	صول
٦٢٥	جران العمود	البسيط	مشغول
٩١	المعري	الوافر	الهلل
٢٢٥	عدي بن زيد	الوافر	أقول
٤٥١	جميل بثينة	الوافر	وبيل
١٤٨	النحلي	الكامل	يحمل
٨٢٧	ابن سوار الأشبوني	الكامل	ينال
٦٣٣	ابن بقي	الكامل	ميزول

٣٣٨	—	الكامل	دليل
٤٦٩	يحيى بن هذيل	الكامل	اليل
٦٠٥	ابن الرومي أو أبو نواس	الكامل	طويل
١٦٥	ابن حصن	السريع	إكليل
٢٢٦	المتنبي	المقارب	منصل
٤٤١	حسان بن ثابت	المقارب	الأكمل
٥٧٠	أبو الحسن البكري	المقارب	يعقل
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	تسهل
٤٤٧	امرؤ القيس	الطويل	فأجملي
٥٥٠	امرؤ القيس	الطويل	ومنز
٧٠٠	امرؤ القيس	الطويل	مرحل
٧٩٤	امرؤ القيس	الطويل	المفصل
٧١٠	ابن عبدون	الطويل	والتطول
٦٣٥	ابن بقي	الطويل	بطائل
٣٦٠	أبو ذؤيب	الطويل	لوائل
١٣٤	أبو الوليد الحميري	الطويل	الشم
٢٩٥	أبو القاسم ابن الجعد	الطويل	ييلي
٣٧٨	ابن زيدون	الطويل	النصل
٦٤٨	المتوكل ابن الأفطس	الطويل	فضلي
١٤٦	امرؤ القيس	الطويل	إذلال
٤٦٧	الرمادي	الطويل	قتال
٦٣١	المعري	الطويل	طوال

٨٤٨	المعري	الطويل	وجلاي
٨٢١	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وجمالي
٥٨٧	صالح الشتمري	الطويل	خليلي
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	احتلاله
٤١	أبو سعد المخزومي	البيسط	وجل
١٣٥	أبو سعد المخزومي	البيسط	مكتحل
٧٩٨، ٣٢٢	المتنبي	البيسط	زحل
٦٤	المتنبي	البيسط	البلل
١٣٥	المتنبي	البيسط	والعمل
٤٤٢	المتنبي	البيسط	الحلل
٧١٦	المتنبي	البيسط	المقل
٦٩٥	ابن عبدون	البيسط	مثل
٧٩	ابراهيم الشاشي	البيسط	مرتحل
٤٣٦	أبو عبد الله ابن شرف	البيسط	والمقل
٤٣٧	حسان بن المصيصي	البيسط	الأسل
٥٩١	حسان بن المصيصي	البيسط	القبّل
٤٣٩	ابن رشيّق	البيسط	والرسل
٤٦١	ابن الملح	البيسط	الطلل
٥١٥	ابن وهبون	البيسط	الجلل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	المطل
٦٢٠	ابن بقي	البيسط	والإبل
٦٢٤	ابن بقي	البيسط	الجمل

٦٢٩	ابن بقي	البسيط	ومتفعل
٦٩٥	ابن الرومي	البسيط	الملل
٢٤٦	أبو فراس الحمداني	الوافر	العوالي
٤٨٦	المتنبي	الوافر	الأوالي
٤٩٠	المتنبي	الوافر	بالجمال
٦١٨	المتنبي	الوافر	الغزال
٥٢١	ابن مرزقان	الوافر	المعالي
٥٢١	المعتمد	الوافر	للهلال
٥٣٤	ابن عبدون	الوافر	بسال
٧٠٤	ابن المعتز	الوافر	الرجال
٤٤	الأسعد بن بليطة	الكامل	الأصا
١٥٠	صالح الشتمري	الكامل	والخلخال
٥٨٣	صالح الشتمري	الكامل	إعمال
٢٠٦	أبو الأصيبغ ابن عبد العزيز	الكامل	وال
٢١٤	البلمي	الكامل	أعمالي
٤٦٨	الرمادي	الكامل	مجال
٦٣٤	أبو حاتم الحنجاري	الكامل	الأشغال
٧٢٩	الرمادي	الكامل	عويلي
٤٣١	ابن وهبون	الكامل	القاتل
٤٦٩	البحثري	الكامل	الأحول
٦٢٥	ابن بقي	الكامل	يعذل
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الكامل	الأول
٨٣٣	ابن سوار الأشبوني	الكامل	يحمل

٤٦٨	ابن فتوح	الكامل	مجاله
٦٤٤	المتني	الكامل	وزياله
٤٤٣	أبو حاتم الحجاري	الكامل	زوالها
٦٧٦	—	الهمزج	المال
٧٧٩	ابن قزمان	الهمزج	حال
٥٩	—	الرملي	الزلال
٤٦٥	التحلي	الرملي	مهله
٤١٩	ابن عمار	السريع	المال
٧٨٤	امرو القيس	السريع	نابل
٤٥٣	ابن الملح	الخفيف	أبالي
٤٦٢	—	الخفيف	الصقال
٨٣٨	ابن أبي أمية	الخفيف	الرسول
١٣٤	أبو الوليد الحميري	المتقارب	مقتلي
١٦٠	ابن حصن	المتقارب	نوى لي
٢٥٥	المتني	المتقارب	وائل
٦٩٢	ابن دراج القسطلي	المتقارب	بتعطيله

قافية الميم

٤٦٦	ابن شهيد	مجزوء الكامل	القوائم
٦٣٣	—	الرملي	نسيم
٤٢	بشار	المتقارب	بدم
٨٦	أبو حفص الهوزني	المتقارب	تنصرم

٩٨	أبو الوليد الباجي	المتقارب	القلم
٣٨٣	ابن هاني-	المتقارب	القلم
٥٥	أبو دلالة	الطويل	نحطما
٧٧	ابن اللبانة	الطويل	نُخْتَمَا
١٣٩	ابن داود	الطويل	محرّما
٢٤٨	حسان بن المصيصي	الطويل	لثكرما
٤٣٥	حسان بن المصيصي	الطويل	متمما
٢٥٦	أبو تمام	الطويل	مسلمما
٤٤٨	عبد بن الطيب	الطويل	تهدّما
٤٩٧	المتنبي	الطويل	والفهما
٦٢٣	ابن بقي	الطويل	كالدمي
٨٠٤	أبو محمد ابن هود	الطويل	جهنّما
٨٢١	ابن اللبانة	الطويل	ضيغما
١٥٦	الرمادي	الطويل	ملامها
٧٩	ابن اللبانة	البيسط	عظما
٥٩٣	أبو الحكم ابن حزم	البيسط	والقلمما
٧٧٠	—	البيسط	سَلَمَة
١٦٤	ابن رشيّق	مخلع البيسط	حساما
٨٤٤	ابن صارة	الوافر	والقلاما
٤٣	المعتمد	الكامل	فكَلَمَا
٦٠٩	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	عَمَى
٦٩٦	ابن صارة	الكامل	التحكّيمما

٣٦٠	—	الرمل	سجما
٧٣	المعتمد	السريع	ترجما
٣٣٢	عبد الغفور أبو محمد	المنسرح	هَدَمَةٌ
١٠٨	أبو جعفر ابن الأبار	المجثث	الكَرِيمَةُ
٢٣٠	أبو العلاء ابن زهر	المتقارب	عَمَى
٩١	الفرزدق	الطويل	فيفعمُ
٣٥٣	—	الطويل	يكرمُ
٥٦٦	أبو الحسن البكري	الطويل	المتبسم
٢٣٧	المتنبي	الطويل	نائمُ
٣٥٧	—	الطويل	المباسمُ
٣٧٨	—	الطويل	الحمائمُ
٥٩٢	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	التمائمُ
٧٩٥	ابن هانيء	الطويل	الخواتمُ
٦٣٢	المعري	الطويل	الكرمُ
٨٠٢	مهيّار	الطويل	دمُ
٦٥	المعتمد	الطويل	حرامُ
٦٥	ابن اللبانة	الطويل	حمامُ
٥٥٢	—	الطويل	وتسيمُ
٢٢٦	المتنبي	الطويل	لظالمهُ
٤٦٣	المتنبي	الطويل	كاتبهُ
٦٢٢	كثير غزوة	الطويل	خيمتهاُ
٤٦	المعتمد	السيط	حلُمُ

٢٢٦	المتنبي	البسيط	والخدم
٧١٠	ابن عبلون	البسيط	مفهوم
١٨٤	ابن حصن	البسيط	وتسليم
٧٠٢	ذو الرمة	البسيط	ترنيم
٩١	نصر بن سيار	الوافر	الكلام
٢٢٤	جرير	الوافر	البشام
٢٤٥	ابن وهبون	الوافر	والنمام
٤٣٠، ١٦٠	أبو العتاهية	الوافر	الخصوم
٥١	—	الكامل	يشتم
٥١	المعتمد	الكامل	أكرم
٥٢	ابن زيدون	الكامل	الأسهم
١٠١	أبو الوليد الباجي	الكامل	يسلم
٤٤٢	المتنبي	الكامل	يظلم
٦٢٩	أبو تمام	الكامل	وتعلم
٦٨٤	ابن عبلون	الكامل	تجهم
٧٣٨	الأعمى التطيلي	الكامل	يتصرم
٨١٩	ابن سوار الأصبوني	الكامل	يبنم
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	وتقوم
٨٣٧	ابن صارة	الكامل	تحوم
٧٩٤	ابن المعتز أو الصنوبري	المنسرح	قلم
٥٢	المعتمد	الطويل	ومعصم
٤٠٩	المتنبي	الطويل	تومم

٦٩١	ابن عبدون	الطويل	تعام-
٨٢٢	أبو العرب الصقلي	الطويل	بأسهم-
٥٨٥	صالح الشتمري	الطويل	قائم-
١٥٣	جرير	الطويل	والمكارم-
٣٧٢	ابن عمار	الطويل	الغنائم-
٤٧٠	أبو تمام ابن رباح	الطويل	قوائم-
٦٢٦	ابن بقي	الطويل	قوائم-
٦٩٢	-	الطويل	المواسم
٤٥٥	امرؤ القيس	الطويل	طامي
٨٢٤	ابن صوار الأشبوني	الطويل	كلام-
٤٦٠	ابن الملح	الطويل	نجوم-
٧٠٤	أبو فواس	الطويل	بنجوم-
٣٩٣	ابن عمار	الطويل	وسيم-
٤٠٢	ابن عمار	الطويل	بقسيم-
٦٩١، ٦١	أبو تمام	البيسط	الكلم-
٤٩٣	أبو تمام	البيسط	الأمم-
٦٤٤	أبو تمام	البيسط	ينم-
١٠٤	أبو الوليد الباجي	البيسط	والكلم-
٥٧٢	أبو الحسن البكري	البيسط	الكلم-
١٤٠	الشريف الرضي	البيسط	قدم-
٣٧٩	الشريف الرضي	البيسط	واللمم-
٢٠١	ابن الاستحي	البيسط	اللمم-

٤٩٣	المتنبى	البسيط	المهرم-
٤٥٦	ابن الملح	البسيط	متهم-
٥٩٧	أبو الحكم ابن حزم	البسيط	الخدم
٥٩٧	ابن بسام	البسيط	والحكم-
٤٩٣	أبو الفضل ابن شرف	البسيط	منهزم-
٣٩٤	ابن عمار	الوافر	الثام-
٤٨١	المتنبى	الوافر	الرجام-
٧١٤	المتنبى	الوافر	القدام
٤٤٨	المجنون	الوافر	يوم-
٦٣٣	خاف الأحمر	الوفر	ميم-
٢٢٦	المتنبى	الكامل	الصارم-
٣٨٠	عنزة	الكامل	المغنم-
٧٠٢	عنزة	الكامل	الترنم
٣٨١	المعري	الكامل	تكرم-
٤٥٩	ابن الملح	الكامل	الأرقم-
٩٠	الحارث بن ولة	الكامل المرفل	ينمي
١٣٨	أبو حاتم السجستاني	مجزوء الكامل	الكلام-
١٠٥	أبو الوليد الباجي	الخفيف	الكرام-
٦٤٥	أبو تمام	الخفيف	واكتام-
٤٩٦	ابن الرومي	الخفيف	حيزوم-
٦٣٣	ابن الرومي	الخفيف	لميم-
٦٣٠	ابن بقي	الخفيف	النسيم-

٦٩٦	ابن عبدون	الخفيف	النجوم
٨٠٨	ابن كوثر	المتدارك	بمخترم

قافية للنون

٧٩١	ابن مقانا	الوافر	المعين
٢٢٤	عوف بن محلم	السريع	ترجمان
٨٠٦	ابن برلوصة	السريع	دين
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	فاعلون
٨٠٧	ابن الصيقل	السريع	الفاسقين
٨٠٧	ابن القلاس	السريع	القرين
٧٧١	أبو بكر البطليوسي	المتقارب	البدن
٧٦٨	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رياحينا
٢٩١	—	الطويل	كامنه
٧٠	المعتمد	البسيط	أحرانا
٤٦٣	ابن زيدون	البسيط	يفشيننا
٦٥٢	المتوكل ابن الأفطس	مخلع البسيط	علينا
٣٧٤، ١١٥	القطامي	الوافر	ترانا
٢١٦	ابن القوطية	الوافر	العيونا
٨٠٥	ابن برلوصة	السريع	مفتونه
١٥٢	أبو فواس	الخفيف	زمانا
١٦٤	ابن أبي ربيعة	الخفيف	وغنى
٥٥٥	أبو بكر ابن عبد العزيز	الخفيف	ركنا

١٥١	أبو نواس	المجث	فلنا
٥٥٥	—	المقارب	مواطننا
١٠٣	أبو الوليد الباجي	الطويل	تيبان
٤٨٧	أبو الحسين ابن الجحد	الطويل	بهتان
٥٥٩	أبو الحسين ابن الجحد	الطويل	أجفان
٦٣٦	ابن بقي	الطويل	عقبان
١٨٣	ابن حصن	الطويل	تمكن
٨٠٨	ابن كوثر	الطويل	الحسن
٧١٩	المتنبي	البسيط	والاذن
٤٦٢	ابن الملح	البسيط	ميزان
٧٩٦	المعري	الوافر	الرهان
٧١٩	ابن عبدون	الوافر	المنون
٨٣٥	ابن صارة	الكامل	الحرمان
٣٧٨	ابن هانيء	الكامل	ظنون
٢٥٤	أبو تمام	الكامل	كمين
٤٨٩	أبو تمام	الكامل	محزون
٣٩٢	ابن عمار	المجث	العيون
٧٨١	—	المقارب	ورثمائه
١٦٩	—	الطويل	عدن
٤٨٨	المعري	الطويل	الحشن
١٣٧	—	الطويل	مخططان
١٤١	الرمادي	الطويل	أذافي

٤٨٧	الأعمى التطيلي	الطويل	وعناني
٧٢٤	الأعمى التطيلي	الطويل	الحدثان
٥١٣	—	الطويل	ويقتربان
٥٨٧	ابن شهيد	الطويل	تلتطمان
٦٠٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	وجناني
٨٢٤	ابن سوار الأشبوني	الطويل	وأمان
٧٦٩	أبو بكر البطليوسي	الطويل	رفدين
٤٧٣	ابن الملح	الطويل	سيلانه
٦١٩	ابن بقي	البسيط	تُبْن
٦١٩	—	البسيط	درن
١١٥	—	البسيط	يجيران
٣٧٩	ابن المعتر	البسيط	وسنان
٤٦٩	أبو تمام	البسيط	هيمان
٧١٤	الشريف الرضي	البسيط	دوني
٢١٧	ابن القوطية	البسيط	البساتين
٦٢٢	ذو الاصبع العلواني	البسيط	حين
٨٥٠	ابن صارة	البسيط	السلطين
١١٢	أبو عامر ابن مسلمة	مخلع البسيط	والجلمان
١١٢	أبو جعفر ابن الأبار	مخلع البسيط	وبالبيان
٢٢٣	النابعة الذبياني	الوافر	فان
٥٣٤	أبو بكر ابن عبد العزيز	الوافر	الرهان
٦١٠	أبو الوليد ابن حزم	الوافر	الأماني

٦١١	أبو الحكم ابن حزم	الوافر	فلان
٤٠٩	—	الوافر	عني
٧٤	المعتمد	الكامل	والأبدان
٢٢٦	المتنبى	الكامل	كالأجفان
٢٨٢	المتنبى	الكامل	جبان
٧١٧	المتنبى	الكامل	كالعقيان
٦٠١	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	بفلان
٦١٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	الاخوان
٦٢٣	ابن بقي	الكامل	عينان
٨٤١	ابن صارة	الكامل	النعمان
٨١٧، ٢٢٢	ابن سوار الأشبوني	الكامل	حمد بن
٤٢٤	ابن عمار	الكامل	يكفيني
٧٧٢	أبو محمد البطليوسي	الكامل	التبيين
٦٨٠	—	الكامل المرفل	العين
٦٠٢	أبو الوليد ابن حزم	الكامل المرفل	الحزن
٦٠٨	أبو بكر البطليوسي	مجزوء الكامل	الحسين
١٦٢	ابن حصن	مجزوء الرمل	سنّي
٣٠	المعتضد	مجزوء الرجز	حسن
١١١	أبو جعفر ابن الأبار	السريع	ولإعلان
١١١	أبو عامر ابن مسلمة	السريع	وخولان
١٤١	الرمادي	السريع	ومنان
٤٩٣	ابن عبد الصمد السرقسطي	الخفيف	الجبان

١٠٧	أبو الأصبع ابن عبد العزيز	الخفيف	العيان
٦١٣	منصور الفقيه	المجث	الازمان
٦٠	أبو نواس	المجث	مهيّن
٨٣٦	السلامي	المقارب	السنان

قافية الهاء

٨٤٣	ابن صارة	الوافر	كنها
٢١٥	ابن القوطية	مجزوء الوافر	ولها
٥١٣	علي بن الرقاع	الكامل	نسجها
١٠٨	أبو عامر ابن مسلمة	مجزوء الرمل	يحتويها
١٠٤	أبو الوليد الباجي	المنسرح	نحصبها
٥٩١	أبو الحكم ابن حزم	الطويل	ويرعاه
٢٢٢	البحري	الكامل	علاه
٥٨٣	صالح الشتمري	الكامل	أهداه
٦١	المتنبي	المنسرح	أفواه
٦١٤	أبو الوليد ابن حزم	الطويل	ابكيه
٤٢٣	ابن عمار	الكامل	أبيه
٦٠٣	أبو الوليد ابن حزم	الكامل	يسقيه
٨٣١	ابن سوار الأشبوني	الكامل	فيه
٨٣٦	أبو تمام ابن رباح	السريع	تشبيه
٣٩١	ابن الحضرمي	المجث	عليه

قافية الواو

٤٧٩	أبو عامر ابن سوار	الرمل	بَسَوَا
-----	-------------------	-------	---------

قافية الياء

٦١	ابن عبلون	الطويل	حاديَا
٦٨٣	ابن عبلون	الطويل	تاليَا
٦٨٧	ابن عبدون	الطويل	ضافيَا
١٢٢	المتنبي	الطويل	باكيَا
٣٨٦	المتنبي	الطويل	السواقِيَا
١٥٥	سحيم	الطويل	تَهَادِيَا
٤٤٨	قيس بن ذريح	الطويل	صواديَا
٧٥٠	الأعمى التطيلي	الطويل	تلاقِيَا
٧٨٤	—	الطويل	قَافِيَةٌ
٧٨٥	—	الطويل	سَارِيَةٌ
٨٧	أبو حفص الهوزني	الوافر	سويَا
٧٩٥	ابن المعتز	مجزوء الرمل	الثريا
٣٨٩	ابن عمار	المقارب	الثنايَا
٥٨٣	صالح الشنتمري	البسيط	عَمِيَّ
٤٧	المعتمد	مخلع البسيط	العَشِيَّ
٢٠٠	ابن الاستجي	السريع	وفضِيَّ
٤٧	ابن عمار	مخلع البسيط	والنُديَّ

٤٨١	أبو غسان المتطبب	الخفيف	والألمي
١٤٧	أبو تمام	الوافر	بطي
٧١٨	السناط	الوافر	صيرفي
٣٠٠	أبو تمام	الكامل	وريبي

مصادر التحقيق^١

- ابن شهيد لشارل بلاّ . منشورات الجامعة الأردنية ، ١٩٦٥ .
- ابن عمار لصلاح خالص . بغداد ، ١٩٤٧ .
- الإحاطة في أخبار غرناطة للسان الدين ابن الخطيب (الجزء الأول) .
تحقيق محمد عبد الله عنان . دار المعارف بمصر ؛ (ج ١ - ٢) . مصر ،
١٣١٩ ؛ مخطوطة المكتبة الكتانية بالرباط ، رقم : ٢٧٠٤ .
- إحكام صنعة الكلام لابن عبد الغفور الكلاعي . تحقيق رضوان الداية .
دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٦ .
- أخبار أبي تمام لأبي بكر الصولي . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- أدباء مالقة لابن عسكر . صورة عن نسخة خطية خاصة بمكتبة الأستاذ
محمد المنوفي .
- الأزمنة والأمكنة للمرزوقي (١ - ٢) . حيدر أباد الدكن ، الهند ، ١٣٣٢
- أساس البلاغة للزمخشري . دار صادر ، بيروت .

١ قد أثبتنا في هذا الفهرست ما اعتمدناه من مصادر في تحقيق القسمين الأول والثاني ؛ وهي المصادر التي لم يرد ذكرها في تحقيق القسم الثالث من الذخيرة .

الأشباه والنظائر للخالدين (١ - ٢) . تحقيق السيد محمد يوسف . مصر .
١٩٥٨ - ١٩٦٥ .

الاشتقاق لابن دريد . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٩٥٨ .

الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (ج ٦) . مصر ، ١٣٢٣ .

إعجاز القرآن للباقلائي . تحقيق السيد أحمد صقر . دار المعارف ، القاهرة
١٩٥٤ .

الإعلام بمن حلّ مراكش وأغامت من الأعلام للعباس بن ابراهيم
(١ - ٥) . فاس ، ١٩٣٦ .

أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب (القسم الثالث) تحقيق الأستاذين
العبادي والكتاني . الدار البيضاء ، ١٩٦٤ ؛ وأعمال الإعلام تحقيق ليفي
بروفنسال ، بيروت ١٩٥٦ .

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن السيد البطليوسي ، القاهرة .

الاكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف من الأسماء والكنى
والانساب لابن ماكولا (١ - ٥) ، بعناية عبد الرحمن اليماني . حيدر أباد
الدكن ، ١٩٦٢ - ١٩٦٦ .

الامتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيد (١ - ٣) . تحقيق أحمد أمين
وأحمد الزين . القاهرة ، ١٩٣٩ - ١٩٤٤ .

أمالى الزجاجي . تحقيق عبد السلام هارون . القاهرة ، ١٣٨٢ .

- أنساب الأشراف للبلاذري (ج ٥) . تحقيق جويتاين . القلمس ، ١٩٣٦ .
- الأوراق الصولي . تحقيق هيورث دن . مصر ، ١٩٣٦ .
- كتاب البديع لابن المعتز . تحقيق كراتشكوفسكي . لندن ، ١٩٣٨ .
- البديع في نقد الشعر لأسامة بن منقذ . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد . القاهرة ، ١٩٦٠ .
- البصائر والذخائر لأبي حيان التوحيدي (١ - ٤) . تحقيق ابراهيم الكيلاني دمشق ١٩٦٤ - ١٩٦٩ .
- بلاغات النساء لابن أبي طاهر طيفور . مصر ، ١٩٠٨ .
- بهجة المجالس لابن عبد ربه النمري (١ - ٢) . تحقيق محمد مرسي الخولي . مصر ، ١٩٦٢ .
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى (ج ١ - ١٤) . طبعة مصورة عن الطبعة الأولى . دار الكتاب العربي ، بيروت
- تاريخ الحكماء للقفطي . تحقيق جوليوس ليهرت . ليبسك ، ١٩٠٣ .
- تاريخ الطبري (ج ٢) . نسخة مصورة عن الطبعة الأوروبية . مكتبة خياط ، بيروت .
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر أبي القاسم . ط . القلمي ، القاهرة .
- تحفة العروس للتجاني . القاهرة ١٣٠١ .

تذكرة الحفاظ للذهبي (١ - ٤) . الطبعة الثالثة ، حيدر آباد الدكن ،
١٩٥٥ .

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض (١ - ٤) . تحقيق أحمد
بكير محمود دار مكتبة الحياة ببيروت ، دار مكتبة الفكر بطرابلس - ليبيا .
كتاب التشبيهات لابن أبي عون . تحقيق عبد المعيد خان . كبرج ،
١٩٥٠ .

التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار القضاعي (١ - ٢) . ط . مصر ؛
والتكملة (ط . مدريد - يذكر موضعاً بالرقم) .

التلخيص للعسكري (١ - ٢) . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٩
تمام المتن في شرح الرسالة الجدية لابن زيدون للصالح الصفدي تحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم القاهرة ، ١٩٦٩ .

تهذيب تاريخ ابن عساكر للشيخ عبد القادر بدران (١ - ٧) . دمشق ،
١٣٢٩ - ١٣٤٩ .

تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني (ج ٢) . حيدر آباد الدكن ،
١٣٢٥ .

ثلاث رسائل في الحسبة . تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة ، ١٩٥٥ .
الجغرافية والجغرافيون في الأندلس لحسين مؤنس . مدريد ، ١٩٦٧ .
جمع الجواهر للحصري . تحقيق علي محمد البجاوي . القاهرة ، ١٩٥٣ .

جمهرة أنساب العرب لابن حزم الظاهري . تحقيق عبد السلام هارون .
دار المعارف بمصر ، ١٩٦٢ .

جمهرة نسب قریش للزبير بن بكار (الجزء الأول) . تحقيق محمود شاكر .
القاهرة ، ١٣٨١ .

جوامع السيرة لابن حزم الظاهري . تحقيق ناصر الدين الأسد وإحسان
عباس . دار المعارف بمصر .

الجواهر المضیة فی طبقات الحنفیة لابن أبي الوفا القرشي (١ - ٢) .
حيدر آباد الدکن ، ١٣٣٢ .

حسن المحاضرة في تاريخ مصر ، والقاهرة للسيوطي (ج ١) . تحقيق
محمد أبو الفضل ابراهيم . القاهرة ، ١٩٦٧ .

حلبة الكميت لشمس الدين التواجي : القاهرة ، ١٢٧٦ .

حلبة الأولياء لأبي نعيم الاصفهاني (ج ٢) . القاهرة ، ١٩٣٨ .

الحماسة لابن الشجري . حيدر آباد الدکن ، ١٣٤٥ .

خاص الخاص للثعالی . القاهرة ، ١٩٠٨ .

الدرة الفاخرة في الأمثال لحمزة الأصفهاني (١ - ٢) . تحقيق عبد المجيد
قطامش . دار المعارف بمصر ، ١٩٧٢ .

ذمية القصر وعصرة أهل العصر لأبي الحسن الباخري (ج ١ - ٢) .

تحقيق عبد الفتاح محمد الحلو ، القاهرة ١٩٦٨ - ١٩٧١ .

- الديارات للشابشي . تحقيق كوركيس عواد . بغداد ، ١٩٥١ .
- ديوان ابن حمديس . تحقيق إحسان عباس . دار صادر ، بيروت ، ١٩٦٠ .
- ديوان ابن رشيقي . جمع عبد الرحمن ياغي . دار الثقافة ، بيروت .
- ديوان ابن زيلون . تحقيق علي عبدالعظيم . مصر ، ١٩٥٧ .
- ديوان ابن مقل . تحقيق عزت حسن . دمشق ، ١٩٦٢ .
- ديوان ابن وكيع التنيسي . تحقيق حسين نصار . القاهرة .
- ديوان أبي حية النميري . مجلة المورد (بغداد) العدد الأول من المجلد الرابع (١٩٧٥) ص : ١٣١ - ١٥٢ .
- ديوان أبي الحسن التهامي . الطبعة الثانية ، دمشق ، ١٩٦٤ .
- ديوان أبي سعد المخزومي . جمع رزوق فرج رزوق . بغداد ، ١٩٧١ .
- ديوان أبي الشيصر . جمع عبد الله الجبوري . بغداد ، ١٩٦٧ .
- ديوان أبي نواس . طبعة اسكندر آصاف ، مصر ، ١٨٩٨ ؛ وديوان أبي نواس (١ - ٢) تحقيق فاجنر .
- ديوان الأعمى التطيلي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٣ .
- ديوان بكر بن النطاح . جمع حاتم الضامن . بغداد ، ١٩٧٥ .

ديوان الخليلع الحسين بن الضحاك . جمع عبد الستار فراج . بيروت . ١٩٦٠ .

ديوان دعبيل بن علي الخزاعي . جمع محمد يوسف نجم . بيروت ، ١٩٦٢ .

ديوان ديك الجن الحمصي . تحقيق أحمد مطلوب وعبد الله الجبوري . بيروت . ١٩٦٤ .

ديوان سحيم عبد بني الحسحاس . تحقيق عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٥٠ .

ديوان الشريف الرضي (١ - ٢) . بيروت ، ١٩٦١ .

ديوان الشماخ . تحقيق صلاح الدين الهادي . دار المعارف ، مصر ، ١٩٦٨ .

ديوان صريع الغواني . انظر : ديوان مسلم بن الوليد .

ديوان الصنوبري . تحقيق إحسان عباس . بيروت ، ١٩٧٠ .

ديوان طرفة بن العبد . باريس . ١٩٠١ .

ديوان عدي بن زيد العبادي . جمع محمد جابر المعيند . بغداد ، ١٩٦٥ .

ديوان علي بن الجهم . تحقيق خليل مردم بك . دمشق . ١٩٤٩ .

ديوان القتال الكلابي . تحقيق إحسان عباس . دار الثقافة . بيروت ، ١٩٦١ .

ديوان مسلم بن الوليد (شرح ديوان صريع الغواني) . تحقيق سامي الدهان
دار المعارف بمصر . ١٩٥٧ .

ديوان المعتمد بن عباد . تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد .
القاهرة ، ١٩٥١ .

ديوان مهيار الديلمي (ج ٣) . دار الكتب المصرية . ١٩٣٠ .

ديوان النابغة الجعدي . طبعة المكنب الإسلامي . دمشق - بيروت ،
١٩٦٤ .

ديوان التامي . جمع صبيح رديف . بغداد ١٩٧٠ .

ديوان الوأواء الدمشقي . تحقيق سامي الدهان . دمشق ، ١٩٥٠ .

ديوان الوليد بن يزيد . جمع غابرييلي . بيروت ، ١٩٦٧ .

الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة لابن بسام (ج ٤ قسم ١) ، مصر ١٩٤٥
(ج ٢ قسم ١) . تحقيق لطفي عبد البديع مصر . ١٩٧٥ ؛ (ج ١ قسم ١ - ٢)
و (ج ٣ قسم ١ - ٢) . تحقيق إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٥ .

الذيل والتكملة لابن عبد الملك المراكشي . (ج ١ قسم ١ - ٢) ، تحقيق
محمد بنشريف ، بيروت ؛ (ج ٤ و ٥ و ٦) ، تحقيق إحسان عباس بيروت .
١٩٦٤ - ١٩٧٣ ؛ (ج ٨) مصورة عن مخطوطة العباس بن ابراهيم (قسم
الغرائب) .

رايات المبرزين لابن سعيد الأندلسي . تحقيق غرمية غومس . مدريد ،
(ورمزه غ) ؛ ورايات المبرزين (ط . مصر) .

ربيع الأبرار للزخشري ، مخطوطة جامعة برنستون ، مجموعة يهودا
رقم : ٤٢٧٢

الردّ على ابن النغيلة ورسائل أخرى لابن حزم . تحقيق إحسان عباس .
القاهرة ١٩٦٠ .

رفع الحجب المستورة في محاسن المقصورة للغرناطي (١ - ٢) . مطبعة
السعادة القاهرة . ١٣٤٤ .

روض القرطاس لابن أبي زرع . فاس ، ١٣٠٣ .

الروض المعطار في خبر الاقطار لأبي عبد الله الحميري . تحقيق إحسان
عباس . بيروت ، ١٩٧٥ .

الريحان والريعان لابن خيرة المواعيني (ج ١) . مخطوطة الفانح
رقم : ٣٩٠٩ .

كتاب الزهرة لابن داود الأصفهاني (ج ١) . تحقيق لويس نيكل
وابراهيم طوقان . بيروت ، ١٩٣٢ .

سرقات المتنبي المنسوب لابن بسّام ، تحقيق ابن عاشور ، ط تونس
١٩٧٠ .

سرور النفس بمدارك الحواس الخمس للتيفاشي . نسخة عن مخطوطة أحمد
الثالث رقم : ٢٥٥٧ .

كتاب السنن الكبير للنسائي .

سيرة رسول الله لابن هشام (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم
الإبياري وشلي . الطبعة الثانية . القاهرة . ١٩٥٥ .

سيف الدولة لكانار . الجزائر ، ١٩٣٤ .

شرح المفضليات لابن الأنباري . تحقيق كارلوس يعقوب لايل . بيروت
١٩٢٠ .

شرح مقامات الحريري للشريشي (١ - ٢) . القاهرة : ١٣٠٠ . وشرح
المقامات (١ - ٤) تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

شرح نقائض جرير والفرزدق (١ - ٢) . تحقيق بيغن . ليدن ، ١٩٠٥
- ١٩٠٨ .

شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد (ج ٢) . تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم . القاهرة ١٩٥٩ .

شعر الخوارج . جمع إحسان عباس . الطبعة الثانية ، دار الثقافة : ١٩٧٤ .

شعر اليزيديين . جمع محسن غياض . النجف ، ١٩٧٣ .

صحيح مسلم (١ - ٢) . القاهرة ، ١٢٩٠ .

صحيفة معهد الدراسات الإسلامية بملريد (ج ٧) : وثائق تاريخية جديدة
عن عصر المرابطين لمحمود مكي ص : ١٠٩ - ١٩٨ .

طراز المجالس للخفاجي . القاهرة ، ١٢٨٤ .

طبقات ابن سعد (ج ٣) . دار صادر ، بيروت ، ١٩٥٧ .

- طبقات الشافعية الكبرى للسبكي (ج ٢) . القاهرة ، ١٣٢٤ .
- طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجهمي . تحقيق محمود محمد شاكر .
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٢ ؛ والطبعة الثانية (١ - ٢) ، القاهرة ،
١٩٧٤ .
- طبقات الفقهاء لأبي إسحاق الشيرازي . تحقيق إحسان عباس . بيروت
١٩٧٠ .
- كتاب الطبيع لمؤلف مجهول . تحقيق إ . ميراندا . مدريد ، ١٩٦٥ .
- الطرائف الأدبية . تحرير عبد العزيز الميمني . القاهرة ، ١٩٣٧ .
- العبر في خبر من غير للذهبي (١ - ٥) . تحقيق صلاح الدين المنجد
وفؤاد السيد . الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ .
- العطاء الجزيل في كشف غطاء الترسيل لمحمد بن أحمد البلوي . نسخة
الخزانة الملكية بالرباط ، رقم : ٦١٤٨ .
- عقود الجمان للزركشي . مخطوطة الفاتح رقم : ٤٤٣٤ .
- عنوان الأريب للنيفر (١ - ٢) . تونس ، ١٣٥١ .
- عنوان المرقصات والمطربات لابن سعيد الأندلسي . تحقيق عبد القادر
محداد . الجزائر ، ١٩٤٩ .
- عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسير لابن سيد الناس (١ - ٢)
القاهرة ، ١٣٥٢ .

الغيث المسجّم في شرح لامية العجم للصّاح الصفدي (١ - ٢) . المطبعة
الازهرية المصرية . القاهرة . ١٣٠٥ .

فجر الأندلس لحسين مؤنس . القاهرة . ١٩٥٩ .

الفهرست لابن النديم . تحقيق رضا تجدد . طهران . ١٩٧١ .

قراضة الذهب لابن رشيق القيرواني . تحقيق الشاذلي بويحيى . تونس .
١٩٧٢ .

كليلة ودمنة . تصحيح عبد الوهاب عزام . مطبعة المعارف ، القاهرة .
١٩٤١ .

كتابات الأدباء للجرجاني . مصر . ١٩٠٨ .

اللباب في تهذيب الأنساب لابن الأثير (١ - ٣) . القاهرة . ١٣٥٦
- ١٣٦٩ .

اللزوميات لأبي العلاء المعري (١ - ٢) . طبعة هندية . القاهرة . ١٩١٥ :
ونسخة ليدن رقم : ٩٠٦ .

مجلة البحث العلمي المغربية (العدد ١٠) . مقالة « عائلة بني عشرة »
لمحمد بنشريف (١٩٦٧) ص : ٦٥ - ١٠٢ .

المحمّدون من الشعراء وأشعارهم للقفطي . تحقيق حسن معمرى . الرياض
١٩٧٠ .

المختار في كشف الأسرار للجوبري . دمشق . ١٣٠٢ .

المختار من شعر بشار للتجوي بعناية محمد بدر الدين العلوي . القاهرة ،
١٩٣٤ .

مختارات ابن الصيرفي . تحقيق هلال ناجي . مجلة المورد العراقية ، المجلد
الرابع (١٩٧٥) ص : ١٠٥ - ١٣٨ .

المخصص لابن سيده (١ - ١٦) . صورة عن الطبعة الأولى ، المكتب
التجاري ، بيروت .

مخطوطة الرباط ، انظر : مفاخر البربر .

المراقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا للنباهي . نشر ليفي بروفنسال .
القاهرة . ١٩٤٨ .

المستقصى في الأمثال للزخشي (١ - ٢) حيدر أباد الدكن ،

المسلك السهل للافراني مخطوطة الخزانة العامة بالرباط .

مشاهير علماء الأمصار لابن حبان تحقيق م . فلا يشهر . القاهرة ،
١٩٥٩ .

معالم الإيمان للدباغ (ج ٣) . تونس ، ١٣٢٠ .

المعاني الكبير لابن قتيبة (١ - ٣) . حيدر أباد الدكن ، ١٩٤٩

معاهد التنصيص لعبد الرحيم العباسي (١ - ٤) . تحقيق محمد محي
الدين عبد الحميد . القاهرة ، ١٩٤٧ .

معجم ما استعجم لأبي عبيد البكري (١ - ٤) . تحقيق مصطفى السقا .
القاهرة ، ١٩٤٤ - ١٩٤٩ .

المغرب ، لابن سعيد الأندلسي (قسم مصر ، ج ١) . تحقيق زكي محمد
حسن وشوقي ضيف وميدة كاشف . مطبعة جامعة فؤاد الأول ، القاهرة ،
١٩٥٣ .

مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال . الرباط ١٩٣٤ ، ومخطوطة الخزنة
العامة بالرباط ، رقم : ١٢٧٥ .

المفضليات ، انظر : شرح المفضليات .

المقاصد النحوية للعيني ، على هامش خزنة الأدب ، بولاق .

المقتضب من نخبة القادم لابن الأبار القضاعي . تحقيق ابراهيم الاياري .
القاهرة ، ١٩٥٧ .

المقتطف في أزاهر الطرف لابن سعيد . نسخة مكتبة سوهاج .

المنتظم في تاريخ الأمم والملوك لابن الجوزي (٥ - ١٠) . حيدرآباد
الدكن ، ١٣٥٧ .

الموازنة بين الطائنين للآمدي (١ - ٢) . تحقيق السيد أحمد صقر . دار
المعارف بمصر ، القاهرة . ١٩٦١ - ١٩٦٥ .

الميسر والقдах لابن قتيبة . بعناية محب الدين الخطيب . القاهرة ، ١٣٤٢ .

نزهة الجلساء في أشعار النساء للسيوطي . تحقيق صلاح الدين المنجد .
بيروت . ١٩٥٨ .

نزهة المشتاق للادريسي (قسم الأندلس والمغرب) . تحقيق دوزي ودي
خوية . امستردام ١٩٦٩ .

نسب قريش للمصعب الزبيري . تحقيق ليثي بروثنسال . دار المعارف
بمصر . القاهرة ، ١٩٥٣ .

نقائض جرير والفرزدق ، انظر : شرح نقائض جرير والفرزدق .
نهاية الخلافة الأموية للصوفي الطبعة الأولى ، حلب ، ١٩٦٣ .

نور القبس المختصر من المقتبس للمرزباني من اختصار الحافظ أبي المعاسن
اليغموري . تحقيق رودلف زهايم . بيروت ، ١٩٦٤ .

الوافي في نظم القوافي . مخطوطة الخزانة العامة بالرباط ، رقم :
١٧٣٠ .

الوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي بن عبد العزيز الجرجاني . تحقيق محمد
أبو الفضل ابراهيم وعلي محمد البجاوي . الطبعة الثالثة ، القاهرة ،
١٩٥١ .

Caskel, w, *Gamharat An-nasab de Ibn Al-Kalbi* (Bl. 1-2) Leiden, 1966.

Dox, Reinhart. *Spanish Islam*. London, 1913

Encyclopaedia of Islam (New Edition).

Hesperis Thamuda: Ibn Darraj, by Blachère (1933) pp. 99 — 121.

Lévi-Provençal, E. *Histoire de L'Espagne Musulmanne* (I-III), Paris —
Leiden, 1951 — 1963.

فهرس المحتويات

- ٥٦٣ في ذكر الأديب أبي الحسن غلام البكري
٥٦٤ جملة من شعره
٥٧٤ في ذكر الكاتب أبي الحسن صالح بن صالح الشتمري
٥٧٥ جملة من نثره
٥٨٢ وهذه أيضاً قطعة من شعره
فصل في ذكر الوزير أبي الحكم عمرو بن مذحج وأبي الوليد
٥٨٨ ابن عمه : ابني حزم
٥٩٠ جملة من شعر أبي الحكم
٥٩٨ أبو الوليد ابن حزم
٥٩٩ جملة من شعره
٦٠٧ من شعره في العتاب
٦١٥ في ذكر الأديب أبي بكر يحيى بن بقي
٦١٦ جملة من شعره
٦٣٧ في ذكر الأديب أبي الحسن بن هارون الشتمري

- فصل يشتمل على ذكر الكتاب الوزراء وأعيان الأدباء الشعراء
 ٦٣٥ ممن نشأ في المدة المورخة بمحضرة بطليوس
- ٦٤٠ المظفر أبو بكر محمد بن عبد الله بن مسلمة المعروف بابن الأفتس
- ٦٤٦ جملة من نثر المتوكل [عمر ابن الأفتس] وشعره
- ٦٤٩ [الخلاف بين المتوكل وأخيه]
- ٦٥٢ في ذكر الوزير الكاتب أبي عبد الله محمد بن أيمن
- ٦٥٣ فصل من ترسيله
- ٦٥٧ لإيجاز الخبر عن فتح مدينة سبتة
- ٦٦٤ [عود إلى ترسيل ابن أيمن]
- ٦٦٨ فصل في ذكر الوزير الكاتب أبي محمد عبد المجيد بن عبدون
- ٦٧٠ [مراسلات بينه وبين أبي القاسم ابن الجلد]
- ٦٨٠ فصول من ترسيل أبي محمد
- ٦٨٤ ما أخرجه من شعره الرائع
- ٧٠١ [رسالة لأبي محمد عبد الغفور]
- ٧٠١ [التشبيهات العقم]
- ٧٠٦ رجع إلى شعر ابن عبدون
- ٧١١ بعض مقطوعاته الاخوانيات
- ٧١٩ شعره في الرثاء والتأبين
- ٧٢٨ في ذكر أحمد بن عبد الله بن هريرة الأعمى التطيلي

- ٧٢٩ [بعض من ترسيله]
 ٧٣٥ من شعره في النسب
 ٧٣٩ من شعره في المديح
 ٧٥٠ من شعره في التأين
- ٧٥٣ الوزير الكاتب أبو بكر عبد العزيز بن سعيد البطليوسي
 ٧٥٤ [جانب من ترسيله]
 ٧٥٨ [رسالة له في الزر زور]
 ٧٦٥ قطعة من شعره
 ٧٧٢ شعر له ولأخويه أبي الحسن وأبي عماد
- ٧٧٤ في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر بن قزمان
 ٧٧٤ [فصول من رسائله]
 ٧٨٥ [من شعره]
- ٧٨٦ في ذكر الأديب أبي زيد عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني
 ٧٨٨ جملة من شعره
 ٧٩٤ [أشعار في الثريا]
- ٧٩٧ في ذكر الشيخ أبي الحسن علي بن اسماعيل الشقباني (الطيطل)
 ٧٩٩ في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن البين
 ٧٩٩ فصل من مقدمة كتاب له
 ٨٠٠ [من قصائده في كتابه]

٨٠٣	في ذكر ذي الوزارتين أبي محمد بن هود
٨٠٥	في ذكر الشيخ أبي عمر فتح بن برلوصة البطليوسي
٨٠٨	في ذكر الأديب يوسف بن كوثر الشنريفي
٨٠٩	في ذكر الأديب أبي الوليد النحلي
٨١١	في ذكر الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن سوار الأشبوني
٨١٤	جملة من شعره
٨٣١	جملة من مراثيه
٨٣٤	الأديب أبو محمد عبد الله بن صارة الشنريفي
٨٣٦	جملة من شعره في النسيب
٨٤٠	من شعره في الأوصاف
٨٥٥	تذييل
٨٥٦	استدراكات
٨٥٩	فهارس الكتاب
٨٦١	فهرس الاعلام
٨٨٨	فهرس الأماكن
٨٩٥	فهرس القبائل والأمم والطوائف
٩٠٠	فهرس الكتب المذكورة في المتن
٩٠١	فهرس القوافي
٩٤٥	مصادر التحقيق
٩٧١	فهرس المحتويات